المسجد النبوى الشريف

فى العصر العثمانى ٩٢٣ ـ ١٣٤٤هـ

« دراسة معمارية حضارية »

الدكتور

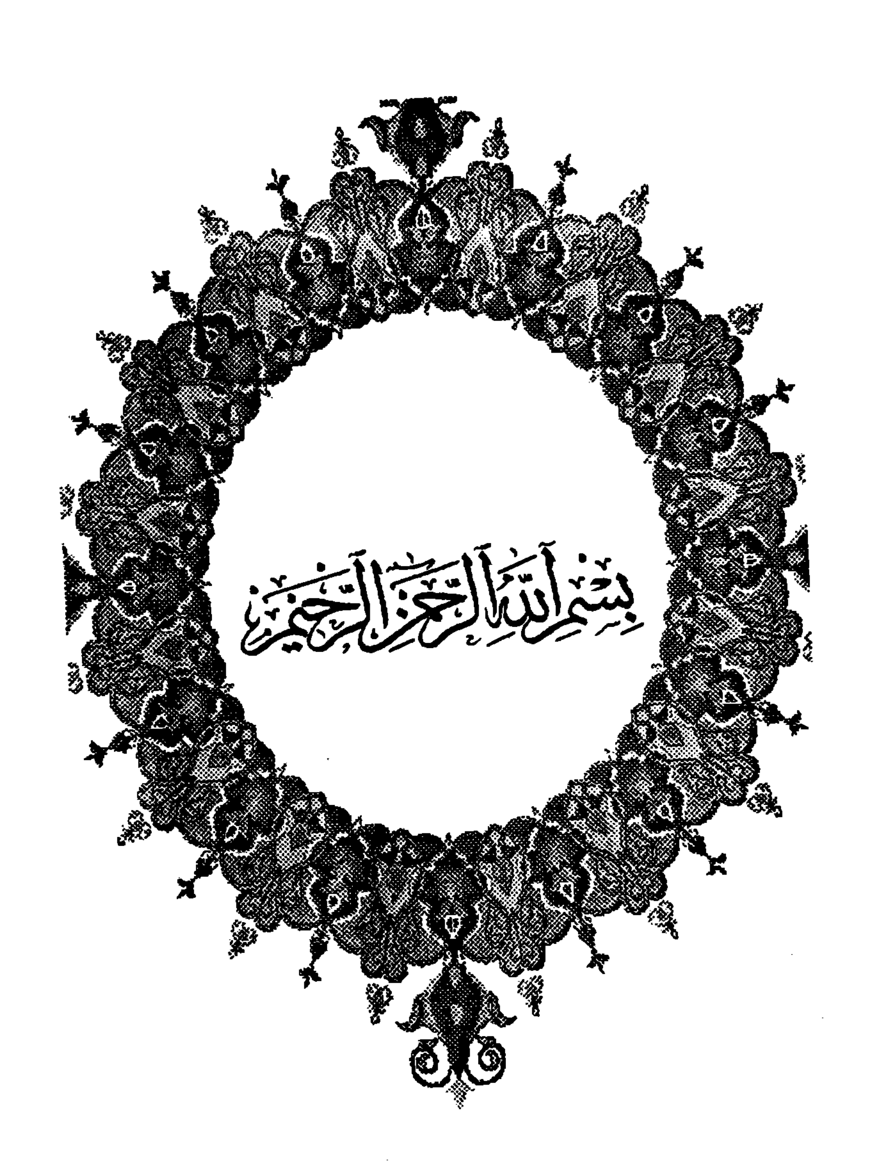
محمد هزاع الشهرى

دار القاهرة للكتاب

١١٦ ش محمد فريد ـ القاهرة

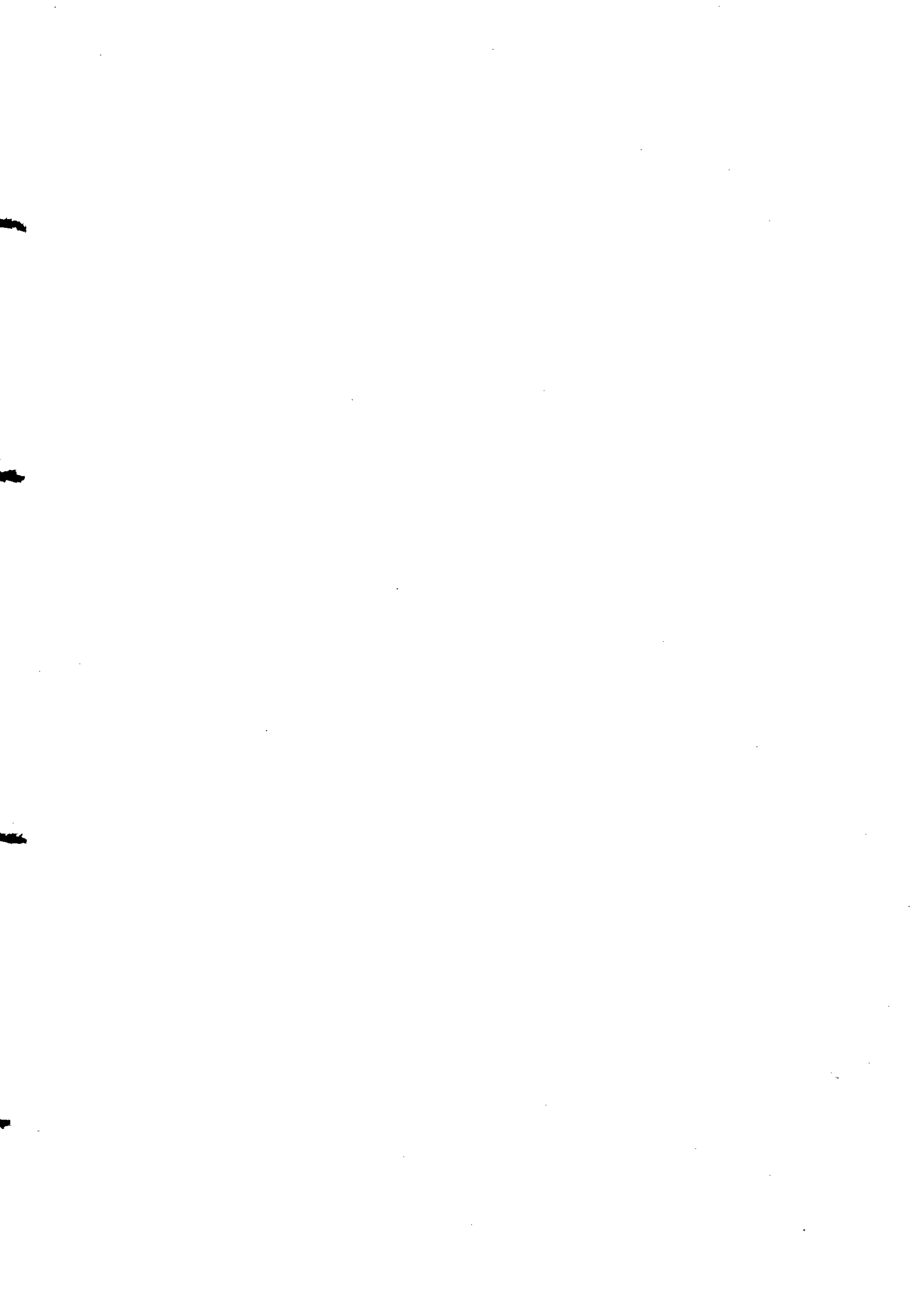
ت ٣٩٢٩١٩٢

اسم الكتاب	المسجد النبوى الشريف فى العصر العثمانى
اسم المؤلف	الأستاذ الدكتور / محمد هزاع الشهرى
رقم الطبعة	الأولى
رقم الإيداع	١٠٥٤٢
الترقيم الدولى	I. S. B. N
	977 - 6048 - 07 - 2
سنة النشر	٢٠٠٣
الناشر	دار القاهرة
عنوان الناشر	١١٦ ش محمد فريد ـ القاهرة
بلد الناشر	القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
التليفون	٣٩٢٩١٩٢ ـ ٠١٢/٣١٧٧٥١٠
فاكس	٣٩٢٩١٩٢ ـ ٣٩٣٣٩٠٩


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة



تمهيد - عرض موجز لتاريخ المسجد النبوى قبل العصر العثمانى

قام النبى ﷺ بتأسيس المسجد النبوى ، الشريف بعد دخوله المدينة المنورة ، فى الموضع الذى اتخذه الأنصار قبل الهجرة المعطرة لأداء فريضة الصلاة . وكان محاطا فى بداية الأمر بسور منخفض ، يحدد اتجاه القبلة إلى بيت المقدس ، ويمنع امتهان الدواب له ؛ ثم دعت الحاجة إلى حماية المصلين من حرارة الشمس وهطول المطر. فاستحدث ﷺ بمقدمه سقفا من جذوع النخل وسعفه ، وصار له حينئذ ثلاثة أبواب ، هى باب الرحمة فى الجانب الغربى وباب آل عثمان (باب جبريل فيما بعد) فى الجانب الشرقى ، وباب فى مؤخرته .

وقد شهد المسجد الشريف بعض التغييرات المعمارية الهامة بعد تحويل القبلة فى النصف الأول من السنة الثانية للهجرة ، فأغلق الباب الذى كان فى منتصف جداره الجنوبى ، بعد نقله إلى ما يحاذيه من الجدار الشمالى ، ونقلت ظلة القبلة إلى الجنوب ، بعد أن خصصت الظلة الأولى لمبيت فقراء المسلمين ، وصار له آنذاك ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة ، ثم زيد فى مساحته بعد غزوة خيبر سنة ٧هـ / ٦٢٨م ، فتطلب الأمر رفع جدرانه واطالة أعمدته ، وصارت أبواب حجرات أمهات المؤمنين تفتح مباشرة فى المسجد النبوى الشريف وذلك بعد إضافة الطرقة التى كانت تفصلها عنه ، وكانت مساحته آنذاك مربعة الشكل (١٠٠ × ١٠٠ ذراع) .

وقد احتفظ المسجد الشريف بهذا البناء طيلة حياة الرسول ﷺ ، وحياة خليفته الأول ، ثم دعت الحاجة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، إلى توسعته وتجديد عمارته بما يوافق البناء الذى كان فى عهد رسول الله ﷺ ، فشرع سنة ١٧هـ / ٦٣٨م فى تقديم جدار القبلة بمقدار بلاطة واحدة ، وزاد ثلاث بلاطات فى شماله ، وبلاطتان فى غربه ، فجاء مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب ١٤٠ ذراعا ، ومن الشرق إلى الغرب ١٢٠ ذراعا ، وارتفاع سقفه حوالى ١١ ذراعا ، وقد أضاف له ثلاثة أبواب أخرى ، أحدها فى الطرف الشمالى من الجدار الشرقى وسماه باب النساء ، والآخر فى الطرف الجنوبى من الجدار الغربى

وسماه باب السلام ، والثالث فى الجانب الشمالى .

أما سيدنا عثمان رضى الله عنه ، فغير من شكل العمارة التى قام بها سنة ٢٩هـ/٦٤٩م ، فبناها بالأحجار المنحوتة والقصة بدلا من اللبن ، وأبدل جذوع النخل باسطوانات الحجر المدورة ، وزاد فى مقدم المسجد الشريف بلاطة واحدة ، ومثلها فى الجانب الغربى ؛ ثم بلاطتان فى الشمال ، فجاء المسجد أيضاً مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب ١٧٠ ذراعا ومن الشرق إلى الغرب ١٣٠ ذراع ، ولم يزد أو ينقص فى عدد الأبواب .

هذا عن عمارة المسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ، أما فى عهد الدولة الأموية ، فكان موضع عناية الوليد بن عبد الملك المولع ببناء المساجد . فكلف عمر بن عبد العزيز واليه على الحجاز آنذاك ، بتوسعة المسجد الشريف سنة ٨٧هـ / ٧٠٥م ، وادخال حجرات أمهات المؤمنين فيه ، بعد موت آخرهن وهى ميمونة بنت الحارث سنة ٦٢هـ / ٦٨١م . فشملت التوسعة الجانب الغربى والشرقى والشمالى وشىء من الجانب القبلى مما يلى المواجهة الشريفة ، حتى صار طوله على أصح الروايات ، من الشمال إلى الجنوب ١٦٧٫٥ ذراعا ، ومن الشرق إلى الغرب ١٤٧ ذراعا ، ولم يغير شيئا من أبوابه الأساسية ؛ بل أحاط صحنه المكشوف لأول مرة بالأروقة الجانبية . واستحدث فيه محرابا ومقصورة وثلاث منائر ، وزينه بالشرافات ، وزخارف الفسيفساء الجميلة ، بالإضافة إلى الكتابات المتعددة ، والسقوف المنقوشة .

أما فى عهد الدولة العباسية ، فكان المهدى أول من زاد فى المسجد الشريف مما يلى مؤخرته ، وذلك فى سنة ١٦٢هـ / ٧٧٨م ، وقد جاءت معادلة لزيادة الوليد ابن عبد الملك ، ومشابهة لها من حيث الزخرفة والبناء ؛ ما عدا المنارتين الشماليتين فقد جعلتا على هيئة الأبراج الصغيرة ، كما زاد فى عدد أبوابه حتى بلغت عشرين بابا. وتعرض المسجد الشريف فى أواخر الدولة العباسية سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م ، لحريق مدمر أباد جميع زخارفه ونقوشه وتحفه ، حتى تعذر على الدويلات التى أسهمت فى بنائه بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، إعادة

عمارة المسجد النبوى أو زخارفه ، إلى ما كانت عليه قبل الحريق أو قريب منها ... ورغم العناية التى أبداها الظاهر بيبرس ، فى بداية دولة المماليك البحرية ٦٤٨ - ٧٨٤هـ / ١٢٥٠ - ١٣٨٢م ، فى استكمال ما تبقى من بناء المسجد النبوى سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٢م ، فإن خصائص ومميزات العمارة المملوكية لم تزل آنذاك فى طور التكوين والبناء . مما حد من ظهور طراز مملوكى مميز . إلا أن المسجد الشريف احتفظ بعد هذه العمارة بالأبواب التى كان عليها فى العصر الأموى وهى باب السلام وباب الرحمة وباب جبريل وباب النساء .

أما الأعمال التى قام بها المنصور قلاوون ، فتتمثل فى إنشاء قبة الحجرة الشريفة ، من الخشب الملبس بالرصاص ، كما أنشأ قرب باب السلام ميضأة بعدد من صنابير الماء ، وأيضًا قام ابنه الناصر محمد بن قلاوون ، بعدة أعمال يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ - تسقيف الروضة المطهرة سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م .

٢ - تجديد سقفى الرواقين (المجنبتين) الشرقى والغربى سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م ، ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م .

٣ - بناء منارة باب السلام لأول مرة سنة ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م .

٤ - أضاف إلى رواق القبلة بلاطتين موازيتين لجدار القبلة ، مما يلى صحن المسجد الشريف .

كما شهد المسجد الشريف فى أواخر عصر المماليك البحرية عدة أعمال كان أهمها ما قام به السلطان حسن بن الناصر قلاوون ، من تجديد قبة الحجرة الشريفة سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م . ثم قام الأشرف شعبان بإعادة تجديدها مرة ثانية سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م ، كما أعاد أيضًا سنة ٧٧٦هـ / ١٣٦٥م تجديد شرافات المسجد لأول مرة بعد الحريق الأول .

هذا عن أهم الأعمال التى قام سلاطين المماليك فى الحرم النبوى الشريف ، أما فى عهد المماليك الجراكسة ٧٨٤ - ٩٢٣هـ / ١٣٨٢ - ١٥١٧م ، فقد

حفل الجزء الأول من عهدهم بكثير ، من أعمال الترميم والتجديد ، فجدد السلطان برقوق منبر الظاهر بيبرس سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م ، وقام المؤيد شيخ باستبداله سنة ٨٢٠هـ ١٤١٧م ، بمنبر جميل من صناعة الشام ، كما أقر الأشرف برسباى سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧م قيام أحد العلماء ، بتسمير أبواب السياج الذى أحدثه الظاهر بيبرس على الحجرة الشريفة ، ومنع الناس من دخول الحجرة الشريفة ، ما عدا المكلفين بتنظيف الحجرة وإسراج قناديلها . كما جدد فى السنة ذاتها البلاطتين اللتين أضافهما الملك الناصر محمد بن قلاوون فى مؤخرة رواق القبلة ، وكذلك شيئا من السقف الشمالى ، مما يلى المنارة السنجارية الواقعة فى الركن الشمالى الشرقى .

وفى سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م قام الظاهر جقمق ، بإصلاح التلف الذى أصاب سقف الروضة المطهرة ، وبعض الأماكن المتفرقة من سقف المسجد الشريف، ثم أحدث لباب الحجرة الشمالى رفرفا لحمايتها من الشمس ، وفرش أرضه بالرخام الجميل . وفى سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م استحدث رحابا فسيحة أمام أبواب المسجد ليتمكن الناس عندها من خلع أحذيتهم .

أما عهد الأشرف إينال ، فقد قام أتباع المذهب الحنفى سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م، باستحداث محراب مجوف داخل الرواق القبلى ، بمعرفة الأمير طوغان شيخ الأحمدى . وفى نهاية عهد المماليك الجراكسة جدد الأشرف قايتباى سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م فى عمارته الأولى ، عقود الرواق الشرقى وسقفه وبعضا من جداره ، وأعيد تجديد سقف الروضة الشريفة سنة ٨٨١هـ / ١٨٧٦م ، وكذلك السقف الممتد من المنارة الرئيسية إلى باب النساء ، كما هدم البناء المحدث فوق الحجرة الشريفة ، والذى أقيم بعد الحريق الأول سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م ، وجدده بأحجار وعقود قوية ، ثم بنى فوقه قبة من الحجر الأسود والأبيض ، فى مدة وجيزة لم تتجاوز ٥٣ يوما ، ويقدر ارتفاعها عن سطح الأرض بحوالى عشرة أمتار .

أما العمارة الثانية التى قام بها الأشرف قايتباى ، فكانت أثر حريق نتج عن إصابة صاعقة لأعلى المنارة الرئيسية ، قبل صلاة الصبح فى اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م ، وتسبب فى تدمير سقوف المسجد المكونة

من طبقتين من الخشب ، ولهذا فقد بذل الأشرف قايتباى جل عنايته فى بناء المسجد الشريف . فكلف ناظر عمارته الأولى الأمير شمس الدين بن الزمن ، بالذهاب إلى المدينة المنورة والإشراف على العمارة الجديدة ، فقام بهدم الجدران المحيطة بالرواق القبلى ، وأعاد بنائها بعد أن زاد فى الجانب الشرقى حوالى ١٢٠ مترا مربعا . كما جدد بناء المنارة الرئيسية ، وأعاد تسقيف الرواق القبلى بالخشب ، بعد استحداث عدة عقود موازية لجدار القبلة ، وعبارات من الخشب متعامدة عليها. ثم اضاف لها ثمان قباب فى أجزاء متفرقة من الرواق (الشكل رقم ٣١). واستحدث منورا قرب المنارة الرئيسية ، وسقف الرواق الشمالى وكذلك الشرقى والغربى ، بالخشب المحمول على عبارات ترتكز فوق تيجان الأعمدة ، وقد أبقى ابن الزمن على القبة الموضوعة فى العمارة الأولى فوق القبور الشريفة ، وأبدل قبة الخشب التى أحدثها المنصور قلاوون بقبة عالية ، ترتكز على أكتاف واسطوانات عديدة ؛ وقد تميزت بطول رقبتها وكثرة فتحاتها تمشيا مع السمات المشتركة للقباب المملوكية . ثم خفض أرض الرواق القبلى وردم بهما الدكتين المحدثتين فى الرواق الشرقى والغربى ، وكانتا أخفض من دكات الرواق الشمالى المحدثة قبل هذا العهد .

وفصل جدار القبلة الأول ، بسياج من الخشب المخروط ، عن البلاطتين اللتين أضافهما عمر وعثمان فى مقدمة الرواق القبلى ؛ ثم قام فى نهاية العمارة بكسوة جدران المسجد وبعض أساطينه بطبقة سميكة من الملاط ، وزخرف سقف المسجد وقبابه بالذهب واللازورد ، وميز جدار القبلة ومحاريب المسجد الثلاثة باستخدام الرخام فى النقوش الكتابية والهندسية ، ثم زود المسجد بمنبر من الرخام المجزع . وأحيطت الحجرة الشريفة بمشبك من الحديد المترابط على هيئة فروع الشجرة وأوراقها .

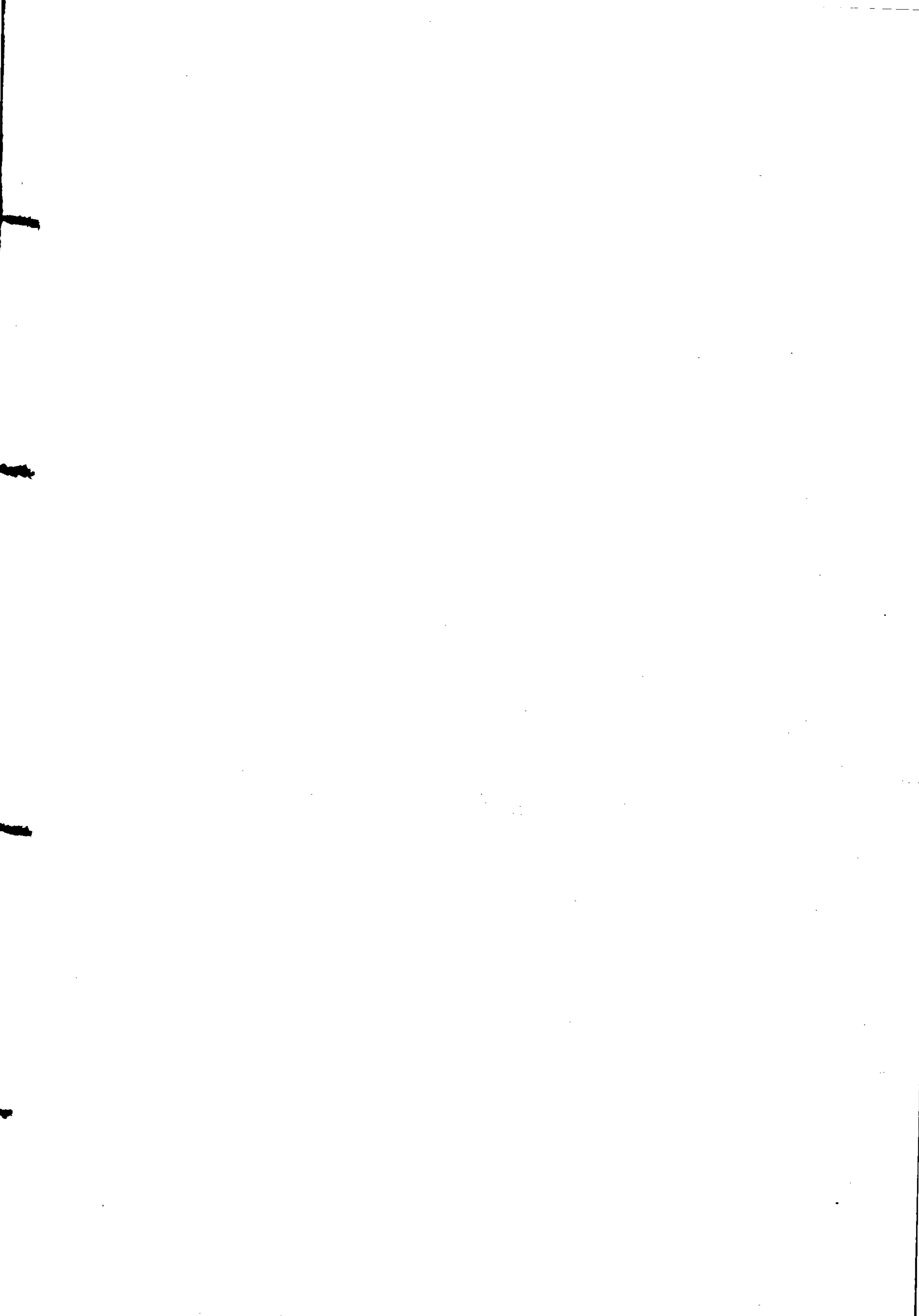
أما أبواب المسجد الأربعة فظلت على ما كانت عليه من قبل ، إلا أن مصاريعها جددت بخشب ثمين ، وحليت بقطع النحاس المنقوشة بمختلف الزخارف، ثم زود المسجد بعد اكتمال العمارة سنة ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م ، بعدد من كتب العلوم المختلفة ، وأنواع ثمينة من الشمعدانات والقناديل ، بالإضافة إلى

السجاجيد الفاخرة . وقد مالت المنارة الرئيسية فى سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م، وتشققت قبة الحجرة الشريفة من أعلاها ، فقام الأمير شاهين الجمالى بهدم المنارة المذكورة من أساسها ثم بناها بالهيئة التى هى عليه اليوم ، كما نقض الجزء العلوى من القبة وقصر من ارتفاعها بعض الشيء ، وبناها بإحكام شديد حتى أنها لم تتأثر بالصاعقة التى أتلفت الجزء العلوى من المنارة الرئيسية سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م. وقد أمكن اصلاحها فى أسرع وقت ، أما فى عهد الغورى فإن تلبيس القبة الشريفة بألواح الرصاص على يد المعمار (المهندس) خايربك ، كان بمثابة آخر أعمال السلاطين المماليك فى الحرم النبوى الشريف .

وبناء على ما تقدم ، فقد ظل المسجد النبوى الشريف محتفظا بالعمارة التى قام بها الأشرف قايتباى بعد الحريق الثانى ، والمتصفة بخصائص ومميزات العمارة المملوكية ، حتى قام العثمانيون بالقضاء على دولة المماليك ، وإدخال بعض سمات العمارة العثمانية بدءا من عهد السلطان سليمان القانونى كما يتضح من الفصول. والأبواب التالية .

الباب الأول

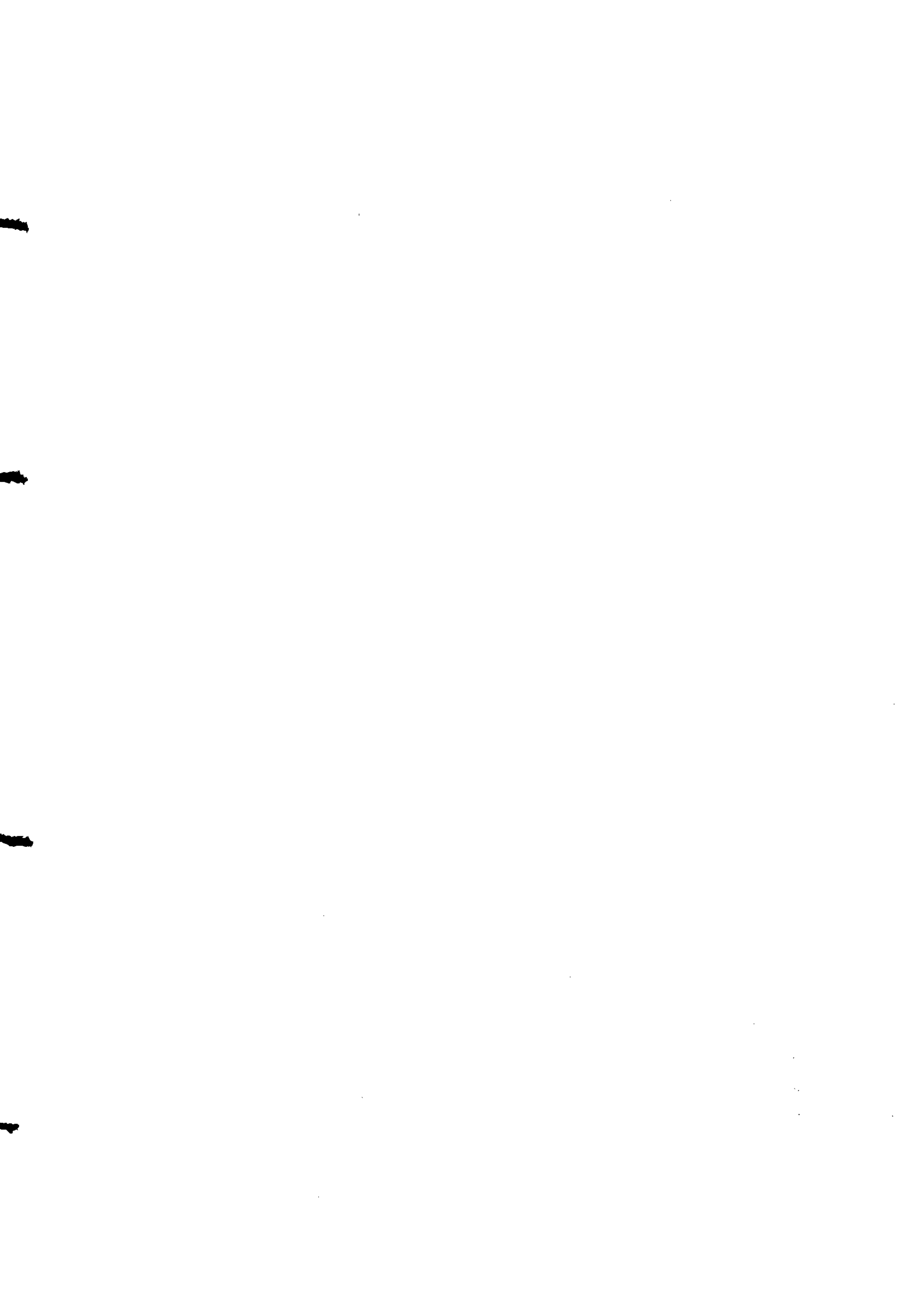
الأعمال المعمارية



الفصل الأول

تاريخ الأعمال المعمارية قبل عهد السلطان عبد المجيد

٩٢٦ ـ ١٢٥٥هـ / ١٥١٩ ـ ١٨٣٩م



الفصل الأول

تاريخ الأعمال المعمارية قبل عهد السلطان عبد المجيد

١ ـ أعمال السلطان سليمان القانوني ٩٢٦ ـ ٩٧٤ هـ / ١٥١٩ ـ ١٥٦٦م

أسهم العثمانيون قبل استيلاء السلطان سليم الأول على مصر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، فى تقديم الصدقات إلى الحرمين الشريفين ، وكان السلطان محمد الأول (٨١٦ ـ ٨٢٥هـ/ ١٤١٣ ـ ١٤٢١م) ، أول من أرسل الصرّ[١] لأهل الحرمين[٢] ، ثم خلفه السلطان مراد الثانى (٨٢٥ ـ ٨٥٦هـ) ١٤٢١ ـ ١٤٥٢م ، فعين من ماله الخاص لأهل الحرمين كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار ؛ « وللشرفاء »[٣] مثل ذلك . وفى سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م ، حج أحد وزرائه ، فأمد أهل الحرمين بالأموال الوفيرة والصدقات الجمة [٤].

أما السلطان بايزيد الثانى (٨٨٦ ـ ٩١٨هـ) ١٤٨١ ـ ١٥١٢م ، فتمثلت محبته لسكان المدينتين المقدستين ، فى ترتيب الصرّ لهم فى كل عام ، وفى تخصيص أربعة عشر ألف دينار لفقهاء مكة والمدينة [٥] ، وعقب انتصار السلطان سليم الأول (٩١٨ ـ ٩٢٦هـ) ١٥١٢ ـ ١٥١٩م ، على المماليك وتلقبه بخادم

---

(١) الصرّ مأخوذ من صر الدراهم وتوزيعها فى أكياس صغيرة لحفظها وتسهيل نقلها ، انظر أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م جـ٤ ص ٤٥٢ والمقصود بها هنا قطع النقد الذهبية والفضية المرسلة من مصر والقسطنطينية فى أكياس لفقراء مكة والمدينة وموظفيها . انظر إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م جـ٢ ص ٧ .

(٢) قطب الدين النهروالى : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام . طبعة غتنغة ١٢٧٤هـ ، ص٢٥٦ . .

(٣) القطبى ، المصدر نفسه ، ص٢٥٦ ويقصد بالشرفاء السلالة الطاهرة من أولاد الحسن والحسين ويعرف أحفاد الحسن بالأشراف وأحفاد الحسين بالسادة . انظر محمد صادق باشا : دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج . الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق ، القاهرة ١٣١٣هـ ص ٦٥ .

(٤ ، ٥) القطبى : المصدر السابق ، ص ١٩١ ، ٢٦١ .

الحرمين الشريفين فى احتفال دينى مهيب [١] ، استقبل سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م بالفرح والسرور مفاتيح الحرمين الشريفين ، التى حملها إليه ابن شريف مكة ، وأعادها لوالده بعد أن أجزل لهما العطاء ، وأقرهما على شرافة مكة [٢] . وأمد سكان الحرمين الشريفين بمبالغ نقدية وعينية ، كما أقر لهم مال الذخيرة المعين لهم من خزائن مصر فى عهد المماليك[٣] ، والمعروف طيلة العصر العثمانى «بإخراجات الحرمين الشريفين» ، « وصرة أهالى الحرمين الشريفين » ، وتخصص الأولى لشراء المواد اللازمة للحرمين كالزيت والشمع ومرتبات بعض الوظائف ، وتدفع الثانية لبعض الأشراف والمستحقين من سكان مكة والمدينة [٤] .

وعندما جاء السلطان سليمان إلى الحكم (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ) ١٥١٩ ـ ١٥٦٦م، ضاعف ما كان يبعث به والده من الصدقة الرومية ، وضبطها فى السجلات المقررة لهذا الوقف من عهد السلطان سليم [٥] .

أما المدينة المنورة فقد حظيت منه باهتمام كبير ، فخصص مال الجوالى لأهل الوظائف فى الحرم النبوى [٦] ، وسبق غيره فى تخصيص ٢٥٠٠ دينار ، كوقف نقدى يخصص لإقراض المحتاجين من أهل الوظائف ، فى المدينة حتى ترد

---

(١) تذكر المصادر فرح السلطان عند سماعه للخطيب فى صلاة الجمعة ، وهو يضفى عليه لقب خادم الحرمين الشريفين . ومن المعروف تلقب سلاطين المماليك ومن قبلهم الأيوبيين والعباسيين بهذا اللقب ، انظر حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨م ، ص ٢٦٧ ـ ٢٧٠ .

(٢) أحمد بن لطف الله ، صحائف الأخبار ، مخطوط بمكتبة طويقبى باستانبول برقم ٢٩٥٤ جـ٢ لوحة ٥٣٨ أ .

(٣) القطبى : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٣٠٩ .

(٤) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج تحقيق ليلى عبد اللطيف ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٨٠م ص ٢٧ .

(٥) القطبى : المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، ٢٤٤ .

(٦) يذكر القطبى فى نفس المصدر ص ٣٣٣ أن مال الجوالى كان معروف فى عهد المماليك ، وهو ما يؤخذ من الذميين المقيمين فى البلاد الإسلامية ، إلا أن السلطان سليم خصصه لأجل نقاوته لأهل الوظائف ، والمتقاعدين المقيمين فى الحرمين ومصر .

مخصصاتهم [١] . وقضى بعمله هذا على لجوء أصحاب الوظائف ، إلى الاقتراض من المرابيين [٢] . واهتم بأمن المدينة فجدد سورها وقلعتها ، فيما بين ٩٣٩ - ٩٤٦هـ / ١٥٣٢ - ١٥٣٩م .

هذا من حيث الاهتمام العام بأمور المدينة ، أما العناية بالمسجد النبوى الشريف، فقد تمثلت فى أعمال الترميم والتجديد التى أمر بها فى كثير من جوانبه ، حيث بدأها سنة ٩٣٨هـ / ١٥٣١م بارسال مهندسين وفنيين إلى المدينة المنورة . بناء على الشكوى المقدمة من أعيان المدينة عن تصدع الجدار الغربى للحجرة الشريفة ، واحتياج جوانب أخرى من المسجد النبوى للعمارة [٣] .

وقد جاء فى بعض المصادر أخبار مفصلة عن هذه الأعمال ، من ذلك أن المشرف على العمارة القائمة آنذاك فى سور المدينة ، قد باشر الإشراف على ما تم فى المسجد النبوى سنة ٩٤٠ - ٩٤١هـ / ١٥٣٣ - ١٥٣٤م من الأعمال[٤]، التى كان فى مقدمتها اصلاح ما تهدم ، من الجدار الغربى للحجرة الشريفة [٥]. وتدل المدة الطويلة التى استغرقها البناء فى الجدار المذكور (٩٣٨ - ٩٤٠) ١٥٣١ - ١٥٣٣م، على دقة العمل وأهميته ، وربما أن الحجرة ليس لها منذ عمارة السلطان قايتباى سنة ٨٨٨هـ . ١٤٨٣م جدار ، إلا الدعائم والأساطين التى تحمل القبة الكبيرة ، فإن الظن يذهب إلى اعتبار العمل تم فى الجزء السفلى من القبة . لا سيما وقد جاء فى مصدر معاصر ، بأن القبة الشريفة لبست فى ذلك الوقت بالرصاص المقطع [٦]، حماية لها من تلف الأمطار . ومهما يكن الأمر فقد

---

(١) جاء ذلك فى وثيقة من عهد السلطان سليمان برقم ٢٢٠٥ فى الأرشيف العثمانى باستانبول وقمت بعد ترجمتها فى دارة الملك عبد العزيز بالرياض تحت رقم ٩/٢ - ٩ .

(٢) أبو الفتح محمد بن محمد بن صالح الشافعى : مخطوط بغية الطالبين وإجابة السائلين عن أخبار دار سيد المرسلين ص١٦١ ، مكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم ٣٤٧٧٤ .

(٣) أيوب صبرى : مرآة المدينة ، الطبعة الأولى القسطنطينية ١٣٠٤هـ ، جـ٢ ص ٦٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٢ ص ٧١٧ .

(٥) المصدر نفسه ، جـ٢ ص ٦٧٠ .

(٦) عبد المعلى السخاوى : « الدر الثمين فى وصف طيبة ، دار الوحى والتمكين » مخطوط بالخزانة الملكية بالرباض رقم ٨١٢٦ لوحة ١٤٧ أ .

توجت الأعمال بفرش وتزيين أرض الحجرة وجدرانها بالرخام الفاخر [(١)]، ثم كتب على جدارها الغربى ، بعض الأبيات من المدائح النبوية ، والكتابة التأسيسية التالية ونصها :

« جدد هذا المكان الشريف ، السلطان الملك المظفر ، سليمان خان بن السلطان سليم خان ، بن يزيد خان فخر آل عثمان ، خلد الله ملكه بمحمد وآله وصحبه [(٢)] وسلم ، وتاريخ اتمامه شهر جمادى الأخرى فى سنة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م [(٣)].

أما باب السلام فكان العمل فيه تاليا لأعمال الحجرة الشريفة ، إذ تم هدم البناء المملوكى ، وأعيد بأحسن مما كان عليه ، دون التعرض لفتحة الباب القديمة، فقد أعيد ترميم مصراعى الباب المعمول من عهد السلطان قايتباى [(٤)]، كما زخرفت جوانبه بأنواع الرخام الجيد[(٥)]، وقد أشاد بوركهارت الذى زار المدينة سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م بالباب المذكور ، وقال : أنه معقود من أعلاه ، وعده أحسن من أى باب فى المسجد الحرام ، كما أثنى على زخارفه المنقوشة فوق عقد الباب، وعلى جانبيه ، وذكر أنها بحروف كبيرة مذهبة[(٦)]، وترتيبها كالتالى :

١ ـ فوق عقد الباب من الخارج : **« سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار[(٧)]، إن الله وملائكته يصلون على النبى »[(٨)] « ثم اتبعوها**

---

(١) ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار إلى قبر النبى المختار ، مخطوط بمكتبة الحرم المكى الشريف رقم ١٣٣ تاريخ ص ٩٦ .

(٢) كثر الدعاء بحق الرسول صلى الله عليه وسلم فى العصر العثمانى وذلك من البدع الثابت حرمتها .

(٣) درويش عشقى : الموارد المجيدية فى تاريخ بلد خير البرية . مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، رقم ١٠٣٩ تاريخ تركى ، لوحة ٤٠ ب ، أيوب صبرى باشا : المصدر السابق جـ٢ ص ٦٧٠ .

(٤) اولياء چلبى : سياحت نامة سى (كتاب مترجم تحت الطبع) جـ١٣ ص ٦٥ ، البتنونى : الرحلة الحجازية ، الطبعة الثانية القاهرة ١٣٢٩هـ ، ص ٢٤٤ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧١٨ .

(٦) Burckhard . J : Travels in Arabia (London 1968) p. 341 .

(٧) سورة الرعد آية رقم ٢٤ .

(٨) سورة الأحزاب آية رقم ٥٦ .

بمدائح نبوية »[١].

٢ - فى داخل القبة المنشأة فوق الباب حديث[٢]، يحث على الترغيب فى الزيارة [٣].

٣ - كتب على الجانب الأيمن من الداخل، « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيين [٤]» وكان الله عليما حكيما [٥]، اللهم أدم العز والتمكين والنصر والفتح المبين ببقاء عبدك مولانا [الـ]سلطان سليمان شاه، بن [الـ]سلطان سليم خان، بن بايزيد خان، بن السلطان محمد، بن [الـ]سلطان مراد، بن [الـ]سلطان محمد، بن [الـ]سلطان بايزيد بن [الـ]سلطان مراد، بن [الـ]سلطان اورخان، بن [الـ]سلطان عثمان خان، أعز الله أنصاره، وخلد الله ملكه وختم بالصالحات أعماله بمحمد وآله وصحبه[٦] وسلم، وذلك مع تاريخ سنة إحدى وأربعين (وتسعة ومائة) (كذا) فى شهر صفر»[٧]. ١٥٣٤م.

٤ - ومكتوب على الجانب الأيسر من المدخل: « مولينا (كذا) السلطان الملك المظفر سليمان شاه بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد خان، (الملك) (كذا) البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين، خلد الله ملكه ». وفى نهايته بيتين من الشعر فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام[٨].

ومما يجدر ذكره أن المسجد النبوى ظل طيلة خمسة أعوام، بعد بناء باب السلام سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م، دون تعمير يذكر، إلا ما جاء من أن شيخ الحرم

---

(١) درويش عشقى: المصدر السابق لوحة ٣٩ ب، أيوب صبرى: المصدر السابق، جـ٢ ص ٧٢٠.
(٢) لم يرد هذا الحديث فى الصحيحين أو فى من كتب السنن الأربعة مما يدل على ضعفه.
(٣) درويش عشقى: المصدر السابق، ٣٩ ب، أيوب صبرى: المصدر السابق، جـ٢ ص ٧٢٠.
(٤) سورة الأحزاب آية ٤٠.
(٥) ليست من الاية.
(٦) سبقت الإشارة إلى أن ذلك من البدع المكروهة.
(٧) درويش عشقى: المصدر السابق، لوحة ٣٩ ب، أيوب صبرى، المصدر السابق جـ٢ ص ٧١٩.
(٨) درويش عشقى: المصدر السابق، لوحة ٣٩ ب، أيوب صبرى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٧١٩.

النبوى الشريف، طالب السلطان باستبدال الأهلة المملوكية، التى تعلو القبة الشريفة والمنارات الخمس، وقد أرسلت الأهلة الجديدة بطريق البحر سنة ٩٤٦هـ/١٥٣٩م، وكانت سبعة أهلة من النحاس المطلى بالذهب [١]، وركب هلال القبة فى التاسع عشر من شهر شوال سنة ٩٤٦هـ/١٥٣٩م [٢]، وكان هلالا كبيرا يبرز من عدد من الكريات، وقبل ذلك بأيام ركب هلال المنبر، وأهلة المنارات الخمس [٣].

وبناء على اقتراب سور المدينة من الإنتهاء، حرص شيخ الحرم على الاستفادة من عناية السلطان سليمان بأمر المدينة، فقرر السفر إلى الاستانة، وفاتح السلطان سليمان بحاجة المسجد النبوى الشريف؛ إلى البناء والترميم فى كثير من جوانبه [٤]، فبرز أمر السلطان إلى والى مصر سليمان باشا [٥]، بالإسراع فى ذلك. واختير البناؤون والحجارون والنحاتون، وأعدت الجمال والدواب وجهز ما يحتاج إليه من الغلال، وكلف الوالى المذكور بالانفاق على عمارة المسجد النبوى [٦]، وخصص ذلك من الخزينة الإرسالية [٧].

---

(١) قدرالذهب المستخدم فى طلاء الأهلة بثمانية عشر ألف دينار سليمانى.

(٢) محمد بن خضر الرومى: التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة. تحقيق ونشر حمد الجاسر الطبعة الأولى الرياض ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ص ٩٠.

(٣) الرسالة رقم ٦ من رسائل تاريخ المدينة لمجهول. نشر وتحقيق حمد الجاسر، الرياض ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ص ١٩٧.

(٤) محمد بن خضر الرومى: المصدر السابق. ص ٩٠. خص المؤلف جدران المسجد والمنارة السنجارية بالحاجة إلى التجديد والترميم مع أن العمارة فى عهد السلطان سليمان شملت جوانب كثيرة من المسجد النبوى.

(٥) بدأ سليمان باشا الخادم حياته فى قصر السلطان، وتولى عدد من مناصب الدولة فى عهد السلطان سليمان ثم تولى ولاية سوريا ومصر ٩٣١ ـ ٩٤١هـ ثم عين صدرا أعظم أربع سنوات ٩٤٨ ـ ٩٥١هـ ثم عزل وتوفى سنة ٩٥٥هـ. انظر صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمارى، دار النهضة العربية. بيروت ١٩٨١م ص ٢٨٣.

(٦) محمد بن خضر الرومى. المصدر السابق، ص ٩٠.

(٧) تذكر ليلى عبد اللطيف فى مقدمتها لكتاب حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج لأحمد الرشيدى ص ٢٢ أن الفائض عن نفقات مصر فى العصر العثمانى يرسل إلى الأستانة ويعرف «بالخزينة الإرسالية إلى الأبواب الشريفة الخنكارية»، انظر تعليق محمد شفيق غربال على أجوبة حسين افندى الروزنامجى: عن ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة المجلد الرابع جـ١، ١٩٢٦ ص ١٥.

وإذا كان اتمام عمارة سورة المدينة المنورة وقلعتها ، قد تم فى نهاية السنة التى بدأت فيها عمارة المسجد النبوى الشريف ، فإننى لم أجد بعد استقصائى لأسماء القائمين بالعملين ، ما يفيد بمشاركة أحد من المهندسين أو المباشرين أو النظار المشرفين على عمارة السور المذكور ؛ فى أى من الأعمال التى بدأت فى المسجد النبوى الشريف فى نهاية سنة ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م ، ففى ذى الحجة من هذا العام وصلت الجمال والبهائم من البحر مع أمين العمارة ، كما وصل المدينة أهل الخبرة بالبناء وقطع الحجارة ونحتها . وفور وصولهم تشكل مجلس من شيخ الحرم ، وقضاة المدينة ، ومهندس البناء على بن تبك وأمينه الزينى حسن ؛ ومن كان فى المدينة المنورة من البنائين الواردين والمقيمين ، فكشفوا على المسجد الشريف ، واطلعوا على المراسيم التى حملها أمين البناء من الأستانة ، والقاضية بإسناد نظارة العمارة ، وما يحتاجه المسجد النبوى الشريف ، لشيخ الحرم محمود جلبى[١] .

وكان مما رآه المهندس والبناؤون ، هدم بعض الجدار الغربى مع باب الرحمة وإعادة بنائهما ، وترميم ما تبقى من الجدار الغربى مع الجدار الشرقى ، وذلك بهدم بعض الأجزاء السفلى ، وترك الأجزاء العليا على حالها ، وتقوية باب النساء ، وهدم المنارة السنجارية الواقعة فى الركن الشمالى الشرقى من المسجد من أساسها[٢] .

ويفهم من تأخر وصول كاتب العمارة ، الزينى عبدى جلبى ومباشرها تاج الدين الخضيرى ، وما تحتاجه العمارة من غلال حتى أوائل ربيع الثانى سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م[٣] . أن العمارة الفعلية لم تبدأ إلا بعد هذا التاريخ ، وأن تقدم المهندس مع الحرفيين كان بقصد المقايسة ، المعروفة فى العصر العثمانى بالدراسة

---

(١) جاء فى التحفة اللطيفة لمحمد بن خضر الرومى ، ص ٩٠ أن أمين العمارة قد حمل معه المراسيم المذكورة ، ولا بد أن المجلس قد أحيط علما بفحواها ، كما هى العادة فى قراءة الفرامين السلطانية المتعلقة بالمدينة من فوق دكة الأغوات فى المسجد النبوى . وقد جاء فى الوثيقة التركية رقم ٨٥٤٤ والمترجمة فى الدارة برقم ٨/٢ ـ ٢٧ ما يبين فضل شيخ الحرم المذكور ومحبة أهل المدينة له .

(٢) محمد بن خضر الرومى : المصدر السابق ، ص ٩٠ ، ٩١ .

(٣) محمد بن خضر الرومى : المصدر نفسه ، ص ٩٠ .

المبدئية للعمل ، وتقدير ما تحتاجه العمارة من مال ووقت[١] ، فضلا عن إعداد الأحجار ونحتها .

ومهما يكن من أمر فقد بوشر بالهدم والبناء من باب الرحمة [٢] ، وتم البناء مزخرفا ، مكتوبا على يمينه من الداخل فى إطار من الذهب [٣] :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين [٤]» [٥].

وعلى يساره :

« إمر بتجديد هذا الباب الشريف ، سيدنا ومولانا [الـ]ـسلطان الملك المظفر [الـ]ـسلطان سليمان بن الـ سلطان سليم بن [الـ]ـسلطان بايزيد خان بن [الـ]ـسلطان محمود خان بن الـ سلطان مراد خان بن [الـ]ـسلطان محمد خان بن [الـ]ـسلطان بايزيد خان بن [الـ]ـسلطان مراد خان بن [الـ]ـسلطان أورخان بن [الـ]ـسلطان عثمان خان خلّد الله ملكه وأعزّ نصره بمحمد وآله[٦] وذلك فى شهر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وتسعة مائة (كذا) » [٧]. ١٥٤٠م .

ثم انتقل العمل بعدذلك إلى الجزء الشمالى من الجدار الغربى، الذى فيه باب الرحمة ، وكان مائلا مما يلى المنارة الخشبية[٨] فاقتضى الأمر هدم وبناء الجزء المائل منه وترميم الجزء الممتد منه إلى باب الرحمة[٩] ، وبدء بعد ذلك بالعمل فى المنارة الواقعة فى الركن الشمالى الشرقى من المسجد الشريف، والمعروفة بالسنجارية

---

(١) وثيقة رقم ٢٤ فى ١٢٣٥/٥/٢٠هـ محفظة ٧ بحرير محافظ الحجاز أرشيف دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) محمد بن خضر الرومى : المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٣) عبد المعلى السخاوى ، الدر الثمين لوحة ١٤٧ أ .

(٤) سورة الأنبياء الآية رقم ١٠٧ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧١٩ .

(٦) انظر الحاشية رقم ٢ فى ص ٢٠ .

(٧) أيوب صبرى : المصدر السابق جـ٢ ص ٧١٩

(٨) تقع فى الركن الشمالى الغربى من المسجد ، انظر الشكل رقم (٣٤)

(٩) محمد بن خضر الرومى : المصدر السابق ، ص ٩١

وكان ارتفاعها حوالى ٥٣ مترا[١] ، فهدمت وعمق أساسها بأكثر من ثمانية أمتار[٢] ، حتى ظهر الماء [٣] ، ثم استخدمت طرقا فنية فى التغلب على الماء المتدفق بغزارة ، تمثلت فى وضع ثلاثة دوائر من الخشب القوى فى الماء ، ورفع البناء عليها بقدر القامة ، وحفر ما تحت الدوائر المذكورة حتى ظهر الأساس القوى، فأنزلت الدوائر بما عليها من البناء، ثم أخرج الماء من داخل الدوائر وحشيت بالحجر والمونة الجيدة[٤] ، وقد بنى الأساس مربعا ٤٫٦٥ × ٤٫٦٥ مترا[٥] ، ورفع البناء بالحجر المنحوت حتى استوى بالأرض ، ثم اختصر منه جزء بسيط من كل جانب ، وبنى فى شكل مربع القطاع طول كل ضلع منه أربعة أمتار[٦] ، حتى علت المنارة عن سطح المسجد فثمنت[٧] وجعل القسم الثالث منها اسطوانيا [٨] .

وبناء على هذه المعطيات الواضحة ، فإن المنارة السليمانية كانت مكونة من ثلاثة أجزاء : جزء سفلى إلى أعلى سطح المسجد مربع القطاع ، والثانى مثمن القطاع ، والثالث اسطوانى القطاع ، وينتهى كل من الطابقين الثانى والثالث

---

(١) أى ٧٩ ذراعا .

(٢) أى ١٣ ذراعا . قدر فالترهنتس فى المكاييل والأوزان الإسلامية : ترجمة كامل العسلى، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ١٩٧٠م ص ٨٩ ذراع العمل ٦٦٫٥ سم .

(٣) محمد بن خضر الرومى : المصدر السابق ، ص ٩١ ، ويذكر ابن حجر الهيثمى فى تحفة الزوار ص ٩٥ مشاهدته للماء وشربه منه .

(٤) محمد بن خضر الرومى : المصدر السابق ، ٩١ .

(٥) أى سبعة أذرع فى سبعة أذرع ، انظر ابن الرومى المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٦) يذكر ابن الرومى فى المصدر السابق ، ص ٩١ أنهم اختصروا من عرضها ذراع ثم بنوها مربعة والأمر يقضى بأن يكون الذراع قد انقص من كل جانب كما هو واضح فى الرسم التالى : أو نصفه من جانب ونصف من الجانب الآخر وبذلك يكون ضلعها ستة أذرع أى حوالى أربعة أمتار وهو الأولى .

(٧) ابن الرومى ، المصدر السابق ص ٩١ .

(٨) Burten : personal Narrative of apilgrimage to El - Madinah and Meccah . (New York) vol 2, p. 333

وانظر صالح لمعى : المدينة المنورة ، ص ٨٨

(٩) أيوب صبرى المصدر السابق ، جـ١ ص ٧٧٦ حاشية رقم ١

بشرفة[٩] وبأعلاها مخروط متوج بهلال على نمط المآذن العثمانية .

ومن هذا يتبين أن المنارة المذكورة جمعت بين طراز المآذن الإسلامية فى العصر المملوكى[١]، وبين مميزات المآذن العثمانية ، التى كان أهمها المخروط الذى شاع فى الأناضول ، قبل وقت طويل من عهد السلطان سليمان القانونى ؛ كما فى مسجد أوج شريفلى بمدينة أدرنة ٨٤١ ـ ٨٥١هـ / ١٤٣٨ ـ ١٤٤٧م [٢] كما استخدم أيضًا بمنارة باب الرحمة فى المسجد الحرام فى حدود سنة ٩٣١هـ / ١٥٢٤م[٣].

هذا من حيث بناء المنارة السليمانية ، أما الأعمال فى هذا الجانب من المسجد، فمنها إصلاح بعض الأخشاب التالفة فى مؤخرة المسجد النبوى ، وتقسيم المخزنين الموجودين فى مؤخرة الرواق الشمالى ، من عهد الأشرف قايتباى[٤]، إلى ستة حواصل صغيرة [٥].

أما الجدار الشرقى فرمم الجانب السفلى منه ، من خارج المسجد أثناء عمارة المنارة ، وجاء أن باب النساء جدد كذلك وجعل له برجان [٦]، إلا أن ذكر البرجين المذكورين ، يفيد بأن المدخل المذكور لم يهدم من أساسه ، لا سيما وأن التقرير الذى قدمه المهندس ، ومن صاحبه من المعلمين قبل بدء العمارة ، ينص على تقوية باب النساء فقط [٧]، بيد أن البرجين المذكورين عن يمين الباب ويساره من الخارج يقتضى هدم جزء من جدار المسجد من الجانبين مما يؤيد قول ابن حجر

(١) كمال الدين سامح : تطور المآذنة فى العمارة الإسلامية ، القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م ص ٢٥ وما بعدها .

(٢) Goodwin : a history of ottoman architecture (London 1971) p. 97 .

(٣) إبراهيم رفعت باشا ، مرآة الحرمين ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م جـ١ ص ٢٣٥ صورة ٥٨ .

(٤) انظر محمد هزاع الشهرى : عمارة المسجد النبوى فى العصر المملوكى . دار القاهرة للكتاب ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ، ص٣٤٨ .

(٥) عبد المعلى السخاوى ، المصدر السابق ، لوحة ١٤٧ أ .

(٦ ، ٧) محمد بن خضر الرومى : المصدر السابق ، ص ٩١ .

الهيثمى من أنهم قدموا باب النساء إلى جهة القبلة وأقاموا فوقه رفرفا [١].

ومهما يكن الحال ، فإن البناء قد انتهى بكتابة اسم السلطان سليمان على الباب المذكور[٢] ، ويستنتج من نوع الخط المكتوب به النص الموجود حاليا أعلى عتب باب النساء من الخارج، أنه تجديد لما كان مكتوبا زمن السلطان سليمان القانونى [٣].

وفى نهاية الأعمال السابقة ، بيضت بعض جوانب المسجد واسطواناته ، ونقش اسم السلطان وتاريخ البناء على رفوف الخشب ، بأعلى الجدار الغربى من المسجد الشريف[٤] . ومما يدعم اهتمام السلطان سليمان بأمر المسجد النبوى ، تلك الأوامر الواردة صحبة أمير الحج المصرى أواخر سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م ، والقاضية بتقديم المحراب الحنفى بمحاذاة المحراب النبوى الشريف ، وجعل الأولوية فى الأمور كلها لقاضى الحنفية على قاضى الشافعية .

وبناء على ذلك بدئ فى السابع عشر من شهر محرم سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م، فى هدم بناء المحراب المبنى سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م من الخشب[٥]، فى موضع مصلى الأحناف، ونقل من محاذاة طرف الروضة الشمالى الغربى، إلى يمين المنبر الشريف ، فى محاذاة المحراب النبوى [٦]، وقد استبدل ببناء قوى مزخرف ، واستغرق ذلك قرابة شهر وعشرين يوما ، وتم افتتاحه بصلاة إمام الحنفية فيه فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م [٧]، وخلافا لما صاحب استحداثه سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م من معارضة ، وما قام به أتباع المذهب الشافعى عند نقله سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م من استياء[٨]، فإن موضعه الحالى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٢) محمد بن خضر الرومى : المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٣) انظر أدناه فصل الكتابات ص ٢٨١ .

(٤) لم يذكر المؤلف فحوى النص بل اكتفى بقوله أنه مشابه لما كان للسلطان قايتباى فى الجدار القبلى والشرقى ويحتمل أن ذلك قد كتب على الأفريز المحيط بسقف الظلة الغربية .

(٥) عبد المعلى السخاوى : المصدر السابق ، لوحة ١٤٧ أ .

(٦) فى موضعه الحالى .

(٧ ، ٨) ابن الرومى ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

ساعد آنذاك فى توسيع المكان وزاد من جمال البناء ، وجاء فى وصفه من مؤرخين معاصرين أنه على هيئة المحراب النبوى فى الزخرفة والبناء[١] إلا أنه بلا حوض[٢] خلافا للمحراب النبوى الذى كان محاطا فى العصر المملوكى وما قبله بحوض مفروش بالرخام لمستوى الأرض التى صلى عليها النبى عليه الصلاة والسلام ، كما وضع حوله شريط مذهب فيه آيات من القرآن الكريم[٣] تظهر عليه فى الوقت الحاضر بحروف بارزة لخط الثلث المملوكى وترتيبها كالتالى :

١ ـ حول عقد المحراب من الجهة اليمنى :

« بسم الله الرحمن الرحيم » « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره[٤] » قل صدق الله « فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين»[٥] ، « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين » [٦] ، «فتوكل على الله إنك على الحق المبين» [٧] .

٢ ـ وتحت رجلى العقد وعلى حنية المحراب شريط مكتوب فيه بخط وحروف مماثلة **« التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين »**[٨] صدق الله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد [٩] .

---

(١) البرزنجى : نزهة الناظرين فى مسجد سيد المرسلين والآخرين ، الطبعة الأولى ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ١٣٣٢هـ ، ص ٥٠ .

(٢) ابن حجر الهيثمى : المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٣) عبد المعلى السخاوى : المصدر السابق ، لوحة ١٤٧ أ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ١٤٤ .

(٥) سور آل عمران آية رقم ٩٥ .

(٦) سورة آل عمران آية رقم ٦٨ .

(٧) سورة النمل آية رقم ٧٩ .

(٨) سورة التوبة آية رقم ١١٢ .

(٩) لم يذكر صالح لمعى فى المرجع السابق: التصديق والتسليم الموجود حاليا فى نهاية الآية الكريمة.

٣ - وفى الدائرة التى تتوسط الهرم النحاسى المتوج لأعلى المحراب قوله تعالى «كلما دخل عليها زكريا المحراب [١]» [٢].

أما لوح الرخام الذى كتب عليه اسم السلطان فطوله ٧٢ × ٦٦سم ، ويظهر خلف المحراب مكتوب عليه بالحفر البارز ، فى خمسة أسطر بخط الثلث المملوكى (لوحة رقم ١) ما يلى :

أنشـــأ هذا المحــراب المبــارك الملك المظفـــر
السلطان سليـــمن شـــاه بن السلطان سليم
خـــان بن السـلطان بايزيد خـــان أعــز الله
انصـاره بمحـمـد وآله وسلم وتاريخ جـمـاد[ى]
الأول سنة ثمان وتسعمائة من [الـ]ـهجرة النبوية

ويعتقد البرزنجى بوجود خطأ فى تاريخ النص ، وعلل ذلك بسهو الكاتب [٣]. وكما نسبه الدكتور حسن الباشا إلى السلطان سليم الثانى فى سنة ٩٨٠هـ / ١٥٧٢م [٤]، فقد برهنت على أن الصواب هو سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م [٥].

هذا من حيث بناء المحراب وزخرفته بالنقوش الكتابية (الشكل رقم ١) ، أما الأعمال الناتجة عن نقله فى محاذاة المحراب النبوى ، فكانت تسمير عوارض خشبية

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٣٧ .

(٢) عن هذه النصوص انظر إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٠ ، صالح لمعى : المرجع السابق ص ١٢١ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٤) الحرم النبوى الشريف فى عهد العثمانيين . منبر الإسلام . العدد رقم ٧ السنة ٢٦ رجب ١٣٨٨هـ ص ١٩٥ .

(٥) محمد هزاع الشهرى : عمارة المسجد النبوى فى العصر المملوكى ، مكتبة القاهرة للكتاب . الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ص٣٦٤ ، وكان لزاما على آنذاك أن أدلل على أن النص المذكور بتاريخه الحالى لايمت إلى العصر المملوكى بصلة . وفيما يتعلق باختلاف المؤرخين حول هذا التاريخ انظر الحاشية رقم ٩ ص ٢٨٣ وما بعدها من كتاب صالح لمعى : المدينة المنورة تاريخها وتراثها المعمارى .

بين السوارى من المنبر إلى دون باب السلام لتعليق القناديل بها ، كما يفعل فى الروضة[١] ، ومن المهم الإشارة إلى ما تم فى الحجرة الشريفة بعد هذا التاريخ من الأعمال . فرغم سكوت المصادر عند ذكر الاصلاحات التى تمت فيها بعد سنة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م [٢] ، فلقد شاهدت فى إحدى زياراتى المتكررة للمسجد الشريف نصا مكتوبا بخط الثلث المملوكى على وزرة من الرخام لم أتبين منه سوى قوله تعالى : ﴿ ووضعتها أنثى ﴾[٣] وتاريخ سنة ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م، فلعل ذلك يشير إلى عمل هام يكشف عنه من يمكن مستقبلا من قراءة النص كاملا من داخل الحجرة الشريفة . وقد يكون ذلك مزامنا لما ذكره عبد المعلى السخاوى من إبدال التالف من زجاج القمريات التى تحيط برقبة القبة الشريفة بزجاج ملون ، وبناء السبيل الواقع خارج باب السلام قبل سنة ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م[٤]. أما فى سنة ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م فأجريت فى المسجد النبوى بعض الأعمال الزخرفية ، برعاية شيخ الحرم[٥]. فاستبدل السياج المصنوع من الخشب فى مواجهة الروضة المطهرة ، على حد المسجد الأول من جهة القبلة[٦]، بجدار منخفض[٧] يمتد من الحجرة الشريفة إلى الأسطوانة التى قرب باب السلام ، وأقام عليه سياجا من الخشب المخروط ، ثم دهنه باللون الأخضر والأحمر ، وزخرفه برسوم نباتية فى طراز الأرابيسك[٨] ، وذلك بارتفاع القامة ، وأبقى فيه أربعة مداخل ينفذ منها اثنان إلى

---

(١) يرجع ابن حجر الهيثمى فى المصدر السابق ص ٩٥ هذا العمل إلى سنة ٩٤٩هـ ، بينما يشير إليها ابن الرومى فى المصدر السابق ص ٩٢ دون تاريخ .

(٢) انظر أعلاه ص ١٩ .

(٣) سور آل عمران آية رقم ٣٦ .

(٤) المصدر السابق ، لوحة ١٤٩ أ .

(٥) يذكر عبد المعطى السخاوى فى المصدر نفسه ، لوحة ١٤٩ أ ورود الأمير سليمان أغا إلى المدينة سنة ٩٥٦هـ موفدا من قبل زوجة السلطان سليمان ، بقصد إنشاء تكية فى المدينة المنورة . فلعل ما قام به شيخ الحرم فى هذه السنة من أعمال كان بمشورته أو بأوامر حملها إليه .

(٦) اقتصر هذا الجدار فى عمارة السلطان قايتباى المملوكى على مقدم الروضة الشريفة .

(٧) جاء أن ارتفاعه حوالى ذراع أى أكثر من نصف متر .

(٨) Burten : personal Narrative of a pilgrimage to El - Madinah and Mecah. (London 1907) vol 2, p. 309 .

الروضــة المطهـرة عن يمين المحـراب النبـوى ويسـاره ، وواحـد عن يمين المحـراب السليمانى وآخر عن يساره[1] ورغم غموض الهدف من مد البناء ورفع السياج إلا ما جاء من أنه قطع به الصف الأول من جهة باب السلام[2]، فإن أحمد بشكارى زاده يذكر فى وصفه للمدينة المنورة سنة ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م، بأن الزوار يدخلون فى الأيام العادية من باب السلام ولا يقطعون الصلاة عند إقامتها ، فهم لا يرون إلا رؤوس المصلين ، أمـا فى الجـمع وأيام المواسم فـيـصلى بهم الإمـام فى المحـراب العثمانى ؛ ويمنع الزوار حينئذ من ولوج باب السلام حتى تنتهى الصلاة [3] ومن هذا يمكن تفهم الأسباب التى دعت شيخ الحرم الشريف إلى رفع السياج المذكور، وقد اهتم أيضًا بطلاء ما يتخلله من اسطوانات بالأحمر والأخضر ، إلى أقصى ما تلامسه يد الإنسان المتوسط القامة ، وكذلك الدعائم والاسطوانات المحيطة بالحجرة الشريفة ، واسطوانة محراب التهجد والأسطوانات التى قرب باب النساء ، وسدس أيضًا ساريتين مما يلى صحن المسجد بالحجارة [4].

وأقام أحجارا فى داخل باب السلام من جهة الشرق والشمال ، لمنع الناس من دخول المسجد بنعالهم كما فعل المماليك فى حدود سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م عند مدخل باب السلام وباب الرحمة[5]. تقليدا للسلسلة التى وضعها عمر بن عبد العزيز فى العصر الأموى على باب السلام ، كـمـا ينسب المؤلف إلى شيخ الحرم المذكور ، استحداث دكة عند باب النساء من الداخل خصصها لخدام الحجرة ، وأقام حولها سياجا مزخرفة ، ودكة أخرى بدرابزين ملون على يمين الداخل من باب جبريل . ونصب فى دكة الخدم خزائن جميلة قام بزخرفتها مع أبواب المسجد

---

(١) ابن حجر الهيثمى : المصدر السابق ، ص ٦١ ، ٩٥ وانظر Burton . op. cit., vol. 2 p. 309

(٢) ابن حجر الهيثمى : المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٣) Burckhardt . op. cit., p. 337 .

(٤) يقول ابن حجر الهيثمى فى المصدر السابق ، ص ٦١ أن تسديس الساريتين كان يقصد منع المسار للفراشين وهو تعليل لم أفهمه .

(٥) كان الأمير برديك التاجى قد نصب الأحجار المذكورة زمن الظاهر جقمق . انظر محمد هزاع الشهرى المرجع السابق ص ٢٨١ .

النبوى ؛ وشبك الحجرة الشريفة بمختلف أنواع النقوش [(١)].

وإذا كانت الأعمال السابقة للسلطان سليمان القانونى، لا تعدو فى مجملها أعمال صيانة وترميم ، فإن سقوط بعض أجزاء الجدار الغربى ، مرة ثانية سنة ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م ، بعد عملية الترميم الأولى بخمسة وعشرين عاما . أوجب هدم الجدار وبناءه من أساسه إلى أعلاه بناءاً محكما ، وقد بدأ أوله من باب الرحمة ، واتصل آخره بالمنارة الشمالية الغربية المعروفة بالشكيلية [(٢)]. ويبدو أن بناء الجدار المذكور استدعى بالضرورة هدم سقف الظلة الغربية والمكون من طابقين [(٣)] ، ثم أعيد تسقيفها بعدد من القباب كما يتبين من الرسم المؤرخ سنة ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م[(٤)]. (لوحة رقم ٩) ، وفى ذلك ما يبرر بقاء العمل أكثر من عام ، كما فى النص الذى نقش على لوح من الرخام ، فى ثلاثة أسطر بخط الثلث المملوكى (لوحة رقم ٢) ، وكان مثبتا حتى وقت قريب بأعلى الجدار المذكور ، قرب باب الرحمة من الداخل[(٥)]، وفيما يلى نصه :

« بنى هذا الجدار المبارك من باب الرحمة إلى المنارة من أساسه إلى علوه بأمر مولانا السلطان الأعظم مالك الروم والعرب والعجم خليفة الله فى العالم ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين الملك المظفر سليمان شاه خلد الله ملكه وسلطانه فى سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م ».

وقد صاحب بناء السور سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م، هدم القبة المبنية سنة

---

(١) ابن حجر الهيثمى : المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧١٨ .

(٣) عن صفة بناء سقوف المسجد النبوى فى العصر المملوكى انظر السمهودى : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ـ الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٣هـ ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد جـ٢ ص ٦٠٥ ، ٦٤٠ .

(٤) نقلها على حافظ فى كتابه فصول من تاريخ المدينة شركة المدينة للطباعة جده ص ٧٤ سنة ١٣٧٨هـ عن مخطوط فى المكتبة الظاهرية بدمشق وكان بظاهرها ما يفيد برسمها سنة ٩٩٢هـ.

(٥) عبد القدوس الأنصارى : أثار المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٣٩٣/١٩٧٣م ص ١٠٦ ، وقد ذكر صالح لمعى فى مرجعه السابق ص ٢٩١ أن سوبرنهايم قد نشرها سنة ١٩١٨م فى ليبزج بالمانيا ولكن به أخطاء كثيرة

٥٧٦هـ/ ١١٨٠م فى وسط صحن المسجد الشريف ، والمخصصة لزيت المسجد وشمعه وبعض التحف الثمينة [١]، لازدياد الخلل فيها ، وأعيد بناؤها بإتقان جيد ، وقد جاء فى وصفها أنها قبة كبيرة لها جدران مربعة وبابها يفتح إلى الشرق [٢]، تم كتب اسم سليمان القانونى بخط جلى مذهب ، لا يمكن أن يخرج عن خط الثلث المملوكى المستخدم فى جميع النصوص السابقة . ثم تثبيته فى نهاية البناء على جدارها القبلى[٣]، وفيما يلى نصه :

« [عز] لمولانا السلطان الملك المظفر ، مالك البرين والبحرين السلطان سليمان أعز الله نصره » [٤]. وتظهر بقايا التأثيرات المملوكية ، فى الألقاب والعبارات المستخدمة فى النصوص بوضوح على هذا النص ، وذلك لأن جميع الأعمال التى تمت فى الجزء الأول من العصر العثمانى ، أسندت إلى ولاة مصر ، حيث تمكنت الإصالة المملوكية فى العمارة والفنون ، من البقاء حتى أواخر القرن العاشر الهجرى[٥]. ومن هذا كله يتبين أن الأعمال المختلفة التى قام بها السلطان سليمان طيلة ٣٣ عاما (٩٤٠ _ ٩٧٤هـ) ١٥٣٣ _ ١٥٦٦م . حفظت المسجد النبوى من التصدع والانهيار ومكنته من أداء رسالته ردحا من الزمن .

---

(١) كان الخليفة العباسى الناصر لدين الله ٥٧٥ _ ٦٢٢هـ قد شيدها سنة ٥٧٦هـ فى الطرف الجنوبى الشرقى من صحن المسجد ، ويبدو أن هذا تقليد لما فى الجوامع الكبيرة كالجامع الأموى بدمشق وجامع ابن طولون بمدينة القاهرة .

(٢) عبد الغنى النابلسى : الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ، مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ٤١ تاريخ جـ٣ ص ٩٥ .

(٣ ، ٤) لم يذكر أيوب صبرى عند ذكره لهذا النص فى مرآة المدينة جـ٢ ص ٧١٨ ما اذا كان اللوح المذكور فى داخل القبة أو خارجها ، إلا أن النصوص التاريخية تثبت عادة فى مكان واضح مما يقوى الاعتقاد بأنه كان معلقا على الجدار الخارجى للقبة .

(٥) فيما يتعلق بهذا المعنى انظر عبد القادر الريحاوى العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها فى سورية ، الطبعة الأولى دمشق ١٩٧٩م ص ٢١٤ ، وربيع حامد خليفة : فنون القاهرة فى العهد العثمانى الطبعة الأولى القاهرة ١٩٨٤م ص ١٦ وما بعدها

٢ - أعمال السلطان سليم الثانى ٩٧٤ - ٩٨٣هـ / ١٥٦٦ - ١٥٧٥م

كان السلطان سليم الثانى ٩٧٤ - ٩٨٣هـ / ١٥٦٦ - ١٥٧٥م، يحب أهل الحرمين ويتعهدهم بالصدقات قبل أن يلى السلطنة ، فقد خص فقراء مكة فى بعض مواسم الحج بألفى دينار ، وفقراء المدينة بنصف ذلك ، كما تعهد بعض العلماء والصلحاء بالصلة الدائمة .

فلما ولى الحكم أضاف ذلك إلى دفتر الصرة الرومية فى كل عام [١] ، كما زاد سنويا فى الصدقة العينية التى كان يرسلها والده بإرسال سبعة آلاف أردب من الحب . ثلاثة لأهل مكة ومثلها لأهل المدينة ، وخمسمائة لفقراء جدة ، ومثلها لفقراء ينبع [٢] .

ورغم الاهتمام الذى كان يوليه السلطان سليم الثانى للحرمين ، فإننى لم أجد فى المصادر التى اطلعت عليها ما يفيد بحدوث بناء أو تجديد مهم فى المسجد النبوى الشريف ، إلا ما جاء من أنه اهتم بإكمال الأعمال التى لم تتم فى عهد والده[٣] . وكان يمكن اعتبار ما ذكره الدكتور صالح لمعى ، من وجود اسم السلطان سليم الثانى مكتوبا داخل قبة غرب المنبر الشريف ، جزءا من أعمال لم تذكر المصادر تفاصيلها [٤] ، بيد أن المصدر الذي اعتمد عليه يشير إلى النص المكتوب خلف المحراب السليمانى وينسبه خطأ إلى السلطان سليم الثانى سنة ٩٨٠هـ [٥] .

ومن الأعمال المزامنة لعهد السلطان سليم الثانى ، ما قام به الوزير السابق للسلطان سليمان القانونى محمد باشا سنة ٩٨٠هـ / ١٥٧٢م؛ من تطهير مجرى

---

(١) القطبى : المصدر السابق ، ص ٣٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ٣٥٨ ، ٣٨٨ .

(٣) عبد الحميد العباسى : عمدة الأخبار ، الملحق الخاص بحمود حيدر المدنى ، ص ٤٦٤ ، صالح لمعى المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٤) صالح لمعى : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٥) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين : الطبعة الأولى القاهرة ، ١٣٤٤هـ جـ١ ص ٤٦٥ ، محمد لبيب البتنونى : الرحلة الحجازية ، ص ٢٤٥ .

العين الزرقاء ،وتزويد حوض الوضوء المنشأ بجوار باب الرحمة بفرع من القناة [١] .

وبالنظر إلى ما تم في المسجد النبوى الشريف ، خلال عهد السلطان سليمان القانونى من أعمال متنوعة[٢] فمن المرجح إرجاع ندرة أعمال البناء والترميم فى المسجد النبوى الشريف ، فى عهد السلطان سليم الثانى إلى عدم الحاجة إليها طوال حكمه القصير نسبيا الذى دام تسعة أعوام فقط .

---

(١) القطبى : المصدر السابق ، ٣٠٧ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٧٢١ . ولم تصرح المصادر المذكورة بتاريخ بناء السبيل المذكور مما يدعو إلى الاعتقاد بأن يكون الوزير المذكور أول من بناه .

(٢) انظر أعلاه ص ١٧ _ ٣٣

٣ - اعمال السلطان مراد خان الثالث ٩٨٣ - ١٠٠٣هـ / ١٥٧٥ - ١٥٩٤م

كانت معالجة الخلل الطارئ على الجدار الشرقى ، سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م فى عهد السلطان سليمان القانونى غير كافية ، إذ سرعان ما عاد التلف إلى كثير من أجزائه فى سنة ٩٩٤هـ / ١٥٨٥م ، وبالذات الأجزاء القريبة من باب النساء حتى أصبح ميله واضحا وسقوطه متوقعا [١].

وبناء على الشكوى المقدمة من سكان المدينة المنورة ، إلى السلطان مراد الثالث فى هذا الخصوص ، صدر الفرمان السلطانى ، بإرسال الموظفين المختصين ، والمعدات اللازمة عن طريق مصر [٢] ، وفور وصول أمين المبانى إلى المدينة المنورة قام بإجراء المقايسة المعتادة ورفع نتائجها إلى السلطان ، إلا أن ما تشير إليه بعض المصادر من موافقة السلطان مراد على استخدام ما لا يصلح للتعليق ، من القناديل والحلى المخزونة فى حاصل المسجد النبوى ؛ فى الصرف على العمارة المذكورة [٣] ، يدل على أشياء منها :

١ ـ أن تكون الدولة قد عانت آنذاك من ضائقة مالية ، مما حدا بها إلى استخدام الأموال المخزونة فى تمويل العمارة .

٢ ـ أن يكون ناظر العمارة أو شيخ الحرم النبوى أو هما معا ، قد زينا للسلطان فكرة استخدام التحف المخزونة ، نظرا لكثرتها ونقاوة مصدرها ، لا سيما وقد جاء مايفيد بمعارضة بعض أهل المدينة لذلك ، بدعوى أن ذلك يفوت على السلطان مراد الثالث ، فرصة الانفاق على العمارة من مال الدولة [٤].

ولذلك باشر ناظر العمارة بنفسه ، استخراج الأموال المذكورة ، من حاصل

---

(١) ملا أحمد الأنصارى : رسالة فى عمارة جدار المسجد النبوى سنة ٩٩٥هـ مخطوط بمكتبة السليمانية استانبول ضمن مجموع ١١٥٧ رسائل ص ١٢٦ .

(٢) لم يتضح ما إذا كان العمال قدموا كلهم من استانبول إلى مصر ، أو أن الأمر قد كلف والى مصر بإرسال معلمى العمارة وعمالهم من مصر .

(٣) ملا أحمد الأنصارى : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٤) ملا أحمد الأنصارى : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

الحرم النبوى الشريف ، وسافر بها إلى مصر ، لسبك كل جنس إلى أصله ؛ ثم عاد بها إلى المدينة ، وصرف المتحصل منها فى أجور العمارة ولوازمها .

وتفيد المعلومات المتوفرة عن هذه العمارة ، اقتصارها على هدم الجدار الممتد من باب النساء إلى المنارة السليمانية[١] ، بطول ثلاثة وستين مترا فى ارتفاع أحد عشر مترا [٢] ، وقد تطلب الأمر هدم سقف الرواق الشرقى وأحكام بنائه ، خاصة وأن بعض المصادر ذكرت ، اغتباط السلطان مراد الثالث بما تم فى المسجد من عمل ، وارساله الخلع والمنح السخية إلى البنائين والعمال وأعيان المدينة ، ومع ذلك لوح من الرخام كتب عليه بدار السلطنة ما يلى :

اللهم خلد ملك من جدد هذا الجدار المحترم وهو مولينا (كذا) السلطان الأعظم والخاقان الأكرم سلطان القبلتين وخادم الحرمين الشريفين السلطان مراد خان تاريخه جدد جدارا بالمسجد النبوى السلطان مراد لوجه الله .

١١ + ٢٠٩ + ١٤٠ + ٩٩ + ١٨١ + ٢٤٥ + ٤٤ + ٦٦ = ٩٩٥

سنة خمس وتسعين وتسعمائة ٩٩٥هـ [٣].

ولا بد من تثبيت اللوحة المذكورة ، على إحدى جوانب الجدار المجدد ، خلافا لما ذهب إليه صالح لمعى من أنها علقت على الجدار القبلى [٤]. أما سقف الرواق المجدد ، فلم تذكر عنه المصادر شيئا . بيد أنه يؤخذ من الرسم المنقول من إحدى المخطوطات المؤرخة سنة ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م [٥]، (لوحة رقم ٩) استخدام القبب الخشبية فى تسقيفه [٦].

---

(١) القطبى : المصدر السابق ، ص ٤٣٥ .

(٢) أى خمسة وتسعون ذراعا فى الطول وسبعة عشر ذراعا فى الارتفاع ، انظر القطبى : المصدر السابق ، ص ١٣٥ ، أيوب صبرى ، المصدر السابق جـ٢ ص ٧٢٥ ، لمعى : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٢٥ .

(٤) صالح لمعى : المرجع السابق ، ص ١٢٢

(٥) على حافظ : المرجع السابق ، ص ٧٤

(٦) ذكر أيوب صبرى أن معظم القباب التى كانت بالمسجد قبل عمارة عبد المجيد كانت من الخشب. انظر أدناه ص ٩٥

ومهما يكن الأمر فإن هذا البناء ، حمى المسجد النبوى الشريف ، من مخاطر الزلازل التى أصابت المدينة سنة ٩٩٦هـ / ١٥٨٧م ، فلم يسقط منه شئ رغم قوة الهزة [١]، إلا أنه يؤخذ من شمول الترميم فى سنة ٩٩٧هـ / ١٥٨٨م لجميع أنحاء سطح المسجد[٢]، تأثر بعض أجزائه بالزلازل المذكورة ، كما تم أيضًا فى هذه السنة تبيض جدران المسجد ، وطلاء ثلاثمائة اسطوانة ، وإحداث شمسات مذهبة[٣] بأعلى الجدران [٤].

أما العمل الثانى والمتبقى من أعمال السلطان مراد خان الثالث ، فى المسجد النبوى الشريف سنة ٩٩٨هـ / ١٥٨٩م ، فكان بناء المنبر الرخامى الجميل ، الواقع حاليا فى موضع المنبر النبوى الشريف ، بيمين المحراب النبوى ، وكان السبب فى استحداثه إبلاغ السلطان مراد الثالث ، بتلف الأجزاء السفلى ، من منبر الأشرف قايتباى المبنى سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م [٥]. ورغم ندرة المعلومات المتعلقة بما تم فى هذا الأمر من مراسلات ، بين السلطان وولاة الأمر فى المسجد الشريف، لا سيما وأن الأمر يستدعى حصول السلطان على مواصفات جيدة ، عن مسقط المنبر الأول من ناحية الطول والعرض ، حتى لا يخرج المنبر الجديد عن القاعدة المألوفة فى المحافظة على وضع منبر الرسول ﷺ . كما أن ارتفاع سقف المسجد آنذاك من الأمور التى يجب مراعاتها قبل الإقدام على صنع المنبر .

وبناء على ذلك فلا بد أن يكون السلطان مراد الثالث ، قد كلف مهندسا من قبله بالسفر إلى المدينة لإجراء المقايسة المعتادة ، وهو ما يدعو إلى الظن بأن ذلك كان من مهام المهندس ، الذى قام بعمارة الجدار الشرقى سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م، خاصة وأن قطع الرخام ونحته ونقشه، بهذه الصفة التى تثير الإعجاب حقا، استغرق

---

(١) ملا أحمد الأنصارى : المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(٢) القطبى : المصدر السابق ، ص ٤٣٩ .

(٣) الشمسات : هى جامات مدورة استخدم ماء الذهب فى تزينها بالزخرفة المشعة لتماثل أشعة الشمس المشرقة . وتطلق على النوافذ المسدودة بالزجاج الملون .

(٤) القطبى : المصدر السابق ، ص ٤٣٥ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٢٤ .

وقتا طويلا، مما يجعل الفترة بين انتهاء العمل الأول وهو سنة ٩٩٥هـ / ١٥٨٦م، وترميم المنبر سنة ٩٩٨هـ / ١٥٨٩م ، أمرا مناسبا جدا لمثل هذا العمل الدقيق .

ومما يدعم ذلك ويقويه ما ذكرته المصادر ، من أن السلطان مراد خان الثالث اختار عددا من النجارين المهرة والصناع المبدعين[١] ، وكلفهم برفع منبر السلطان قايتباى ووضع المنبر الجديد فى مكانه [٢] .

وقد لاحظت بأن المنبر المذكور ، مؤلف من عدد من القطع الرخامية المركبة فى بعضها ، بطريق التعشيق كما هو واضح فى الشكل رقم (٤) ، وأجزاء المنبر الشريف مصنوعة كلها ، من الرخام المصقول ما عدا رقبته المخروطية ، ودرفتا بابه المصنوعة من الخشب الفاخر . واعلاه متوج بهلال تتجه فتحته إلى أعلى، ويتوسطه شكل ورقة نباتية بثلاثة فصوص . ويقدر ارتفاعه عن ارض المسجد الشريف بحوالى سبعة أمتار ، الأمر الذى يؤكد ارتفاع سقف العمارة المملوكية عند تركيبه سنة ٩٩٨هـ / ١٥٨٩م . لا سيما وأن ما يعلوه من السقف خلا آنذاك ، من وجود قبة عالية على غرار القبة المحدثة فوقه فى العمارة المجيدية سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م[٣] .

هذا من حيث الارتفاع المميز لمنبر السلطان مراد ، أما الزخارف المنقوشة فى كثير من أجزائه ، فتمثل مرحلة متطورة من تاريخ الفن العثمانى[٤] ، وأهمها الكتابات المؤرخة لصنع المنبر والظاهرة فى واجهة مدخله .

فقد كتب فى أعلى المصراعين بالحفر البارز ، نصان فى مستطيلين أحدهما على المصراع الأيمن ونصه « يا مفتح الأبواب »[٥] والآخر على الأيسر ونصه «افتح لنا كل باب » ، وتظهر الكتابة والزخرفة فى الباب المجدد حديثا كما كانت فى الباب القديم[٦] .

(١ ، ٢) أيوب صبرى : المصدر السابق جـ١ ص ٤٢٥ .

(٣) انظر (الشكل رقم ٣٧) .

(٤) انظر أدناه فصل الزخارف الهندسية والنباتية ص ٢٠١ ، ٢٠٩ .

(٥) قراءة الباحث ، وانظر صالح لمعى : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٦) شاهدت سنة ١٤٠٣هـ مصراعى الباب الأصليين محفوظين مع بعض تحف الحجرة فى إحدى الغرف الملحقة بمؤخرة المسجد الشريف .

ومدخل المنبر مكون من ثلاث قطع من الرخام ، (الشكل ٤) يتوجها عقد مدبب من أعلاه ، ويزينه من الجانبين نصف عمود حلزونى بارز ، كما يظهر فى كوشة العقد ستة أبيات من الشعر المدون بخط الثلث البارز ونصها :

أرسل السلطان مراد بن سليم ... مستزيدا خير زاد للمعاد

دام فى أوج العلى سلطانه ... آمنا فى ظله خير البلاد

بحور روض المصطفى صلى عليه ... ربنا الهادى به خير العباد

منبرا قد أسست أركانه ... بالهدى واليمن من صدق الفؤاد

منبرا يعلى الهدى أعلاؤه ... دام منصوبا لأصحاب الرشاد

قال سعد ملهما تاريخه ... عمر منبرا سلطان مراد

٩٩٨هـ/١٥٨٩م[١].

٣١٠ + ٢٩٣ + ١٥٠ + ٢٤٥ = ٩٩٨هـ / ١٥٨٩م

ويتوج المدخل صفان من المقرنصات ، أحدهما تحت الآخر ، ويعلوها شكل جملونى محلى بزخارف نباتية بارزة[٢] ، وفى أعلاه شرافات بثلاثة فصوص ، على هيئة المراوح النخيلية ، وقد زرع فى أطرافها مسامير لمنع الحمام من الوقوف عليه ، كما تظهر الشهادتان بين المقرنصات فى قمة المدخل ، داخل مثلث مكتوب فيه بخط الثلث البارز « **لا إله إلا الله محمد رسول الله** » [٣].

وللمنبر تسع درجات فى داخله، وثلاث تودى إليه من خارج الباب [٤] ، ويبلغ

---

(١) قراءة الباحث ، وانظر أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٢ ، صالح لمعى : المرجع السابق ص ١٢٣ ، ويخالف ذلك ما ذكره عبد الحميد العباسى فى عمدة الأخبار ص ١٣٥ من أن تاريخه هو سنة ٩٩٩هـ .

(٢) انظر أدناه الزخارف النباتية ص ٢٢٤ .

(٣) قراءة الباحث :

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

عرض السياج المحيط بدرج المنبر أكثر من نصف المتر ، ويظهر محلى من الجانبين بزخارف هندسية مفرغة ، مؤلفة من دوائر متداخلة وبأحجام مختلفة شكل (١٥) . وتحت مقعد الإمام ثلاث فتحات بعقود متماثلة ، اثنتان منهما على الجانبين[١] ، وواحدة خلف المنبر ، إلا أنها مميزة بزخارف مماثلة لما فى خافقي المنبر . وفوق كل فتحة من الفتحات المذكورة مستطيلان أحدهما فوق الآخر ، مفرغان بأشكال هندسية مثمنة على شكل خلية النحل . وفى أسفل كل جانب من المنبر ثلاث فتحات متماثلة ، على شكل عقود مفصصة ، وحولها زخارف نباتية محفورة فى الرخام [٢]. ويتوسط المثلث القائم الزاوية الذى يحلى جانبى المنبر ، دائرة تتماس مع أضلاع المثلث ، بها زخارف نباتية مفرغة ، وعلى جانبى المنبر حلقتان مثبتتان فوق بعضهما ؛ لتثبيت علمى المنبر فيهما .

وترتكز قبة المنبر على أربعة أعمدة من الرخام المثمن ، محلاة بتيجان مقرنصة يعلوهما أربعة عقود مدببة من أعلاها ، بينها عوارض خشبية رابطة ، وفى وسط العقد المواجه لباب المنبر صرة مسننة . وتحلى واجهات العقود زخارف نباتية مشابهة لزخارف المثلثين الجانبيين .

كما يعلو واجهة كل عقد تسع شرافات ، على شكل أوراق نباتية بثلاثة فصوص ، وتنقسم العاشرة منها بين كل جانبين (الشكل ١٤) . ويعلو قبة المنبر مخروط مثمن يتوجه هلال كبير ، مثبت فى جزئه السفلى مسامير بارزة فى طوق محيط بمنطقة الانتقال ، من التربيع إلى التثمين لحمايته من وقوف الحمام عليه . ويبدو أن تزويقه بالألوان جاء فى زمن متأخر ، إذ أن أوليا جلبى ظنه عند زيارته للمدينة سنة ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م مصنوعا من الفضة الخالصة[٣] مما يرجح استخدام اللون الفضى فى تزويق قطعه الرخامية آنذاك .

---

(١) سدت الفتحتان الموجودتان على الجانبين حديثا بسياج من الحديد الملحم كما سدت الفتحات الصغيرة الموجودة أسفل المنبر بسياج مماثل .

(٢) انظر أدناه فصل الزخارف النباتية ص ٢٢٤ وانظر لوحة رقم (٨) .

(٣) المصدر السابق ، جـ١٣ ص ٦٥ .

أما ما ذكره الدكتور صالح لمعى من أن منبر السلطان مراد يشبه كثيرا منبر السلطان سليم الثانى بمدينة أدرنة ، والمنشأ ٩٧٦ ـ ٩٨٢هـ / ١٥٦٩ / ١٥٦٩ ـ ١٥٧٥م[١] فأمر يعتوره الشك ، لاسيما وأن الاختلاف بين المنبرين يبدو جليا ، عند المقارنة بينهما فى نوع الزخرفة ودقة التفاصيل ، فمنبر السلطان سليم الثانى أكثر دقة وأغزر زخرفة ، كما أن مخروط القبة محلى برسوم نباتية جميلة ، إلا أن ذلك لا ينفى مطلقا تشابهما فى بعض التفاصيل ، لا سيما المدخل وزخارف الجانبين التى تميز معظم المنابر العثمانية .

ومن الأعمال المزامنة لبناء المنبر ، ما جاء فى بعض المصادر من أن السلطان مراد الثالث ، كلف القائمين بوضع المنبر ببناء مكبرية فى الحرم النبوى الشريف سنة ٩٩٨هـ / ١٥٨٩م [٢] ، ونظرا لندرة المعلومات فى هذا الخصوص ، فلا يعرف ما إذا كانت المكبرية المذكورة ، حلت فى موضع المكبرية التى ترجع إلى عهد السلطان قايتباى سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م [٣] ، إلا أن بقاء بعض الأعمدة المملوكية أسفل المكبرية حتى الوقت الحاضر ، دليل كاف على أن الأمر اقتصر آنذاك على تجديدها وتوسيع مساحتها ، بما تبقى عن بناء المنبر من رخام . ويتأيد ذلك بوضوح التشابه بين الرخام الموضوع من قبل ، فى بعض أجزاء المكبرية المجددة حاليا ، وبين رخام المنبر وزخارفه ، كما أن قول الرحالة التركى أولياء جلبى عنها سنة ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م أنها محمولة على ثمان دعائم صغيرة[٤] ، دعم قوى لاختلاف حجمها عن المكبرية المملوكية التى أدركها أبو الفتوح المدنى سنة ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م [٥].

أما المكبرية التى شاهدها بيرتون سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م بأربعة أعمدة[٦]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٩ ، وانظر Goodwin : A history of Ottoman Architecture (London 1971) 265, fig 253 .

(٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٢١ .

(٣) ابن حجر الهيثمى : المصدر السابق ، ص ٩٢ ، أبو الفتوح المدنى : المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٤) المصدر السابق ، جـ١٣ ص ٦٥ .

(٥) أبو الفتوح المدنى : المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٦) Personal Narrative of a pilgrimage to El - Madinah and Meccah . (London 1907) vol 2, p. 308 .

فقد أحدثها السلطان مراد الرابع قرب صحن المسجد ، كما يتضح من الحديث عن أعماله [١].

هذا من حيث الأعمال التى قام بها السلطان مراد الثالث ، فى الحرم النبوى الشريف على مدى ثلاثة أعوام ، ويتضح منها بقاء المسجد الشريف على هيئته البنائية الأولى ، واقتصار الأعمال المذكورة على الترميم والتجديد .

---

(١) انظر أدناه ص ٥١ .

٤ـ اعمال السلطان محمد الثالث بن السلطان مراد الثالث

١٠٠٣ ـ ١٠١٢هـ / ١٥٩٤ ـ ١٦٠٣م

لم يتعرض المسجد النبوى الشريف ، مدة حكم السلطان محمد الثالث ، الذى استمر تسعة أعوام لمخاطر تذكر ، مما يؤكد متانة وشمول الأعمال التى قام بها والده من قبل . ولذلك اقتصرت خدمات السلطان المذكور بصفة عامة على إرسال الصدقات وبعض المنسوجات الثمينة [١] .

ففى أول حكمه أرسل مبلغا من المال ، لسكان وفقراء الحرمين الشريفين ، كما أضاف إلى المخصصات التى عينها السلاطين العثمانيون من قبل ، اثنى عشر ألف أردب ، من محصول القرى التى أوقفها بمصر لهذا الغرض [٢] ، وقرر إرسالها كل سنة مع صرة الحرمين الشريفين [٣] ، ثم أنشأ بعد ذلك تكية لاطعام الفقراء والمساكين بالمدينة المنورة[٤] ، جاء تموينها فيما يبدو من فائض ريع الوقف المذكور.

وقد حالت متانة المسجد الشريف ، وحرص السلطان محمد الثالث ، على اتباع سياسة أسلافه ، فى المحافظة على المبنى القديم للمسجد النبوى ، دون رغبته الصادقة فى خدمة المدينة وسكانها . فعمد إلى إرسال الصدقات والأوقاف السابقة للتعبير عن مشاعره الصادقة[١] نحو المدينة وسكانها .

---

(١) انظر أدناه فصل التحف والأثاث ص ٣١٠ .

(٢) وهى قرية بتنون ، مليح ، سنون ، هياتم ، ومنية العجيل ، وبهوت ، صفافير ، مجول البيضا ، شنشلخوت ، نقيطا ، صهرجة المشى ، نقليفة ، بغتييمن ، نويرة سلاو ، باها ، قاى ، وزريبة ، بهدار ، بلوصره ، سقط الخمارة ، اهتلس المدينة كفر حيدر ، قيس ، وانوح ، ريده . انظر أيوب صبرى ، المصدر السابق جـ٢ ص ٧٣٢ .

(٣) مقدمة حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امرة الحاج لأحمد الرشيدى ص ١٩ ، تحقيق ليلى عبد اللطيف .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٣٣ .

(٥) ذكر أيوب صبرى فى المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٣٢ ما يدل على استشعار السلطان محمد الثالث لقدسية المدينة ومكانتها فى قلوب المؤمنين كوقوفه على قدميه عند سماعه لذكرها أو ورود خبر منها .

٥. اعمال السلطان احمد الأول بن السلطان محمد الثالث
١٠١٢ - ١٠٢٦هـ / ١٦٠٣ - ١٦١٧م

أولى السلطان أحمد الأول ، سكان الحرمين عناية كبيرة ، فأرسل عند توليه عرش السلطنة خمسة آلاف من الذهب ، لفقراء الحرمين الشريفين(١) . أما أوقاف الحرمين الشريفين المرسلة من مصر ، فقد جعل ما يخص الدشيشة الكبرى(٢) ، والمرادية(٣) ، والأشرفية (٤) ، والمحمدية(٥) ، والخاصكية(٦) ، من أوقـــاف فى إدارة واحدة، وضم لها الصدقات المختلفة بالإضافة إلى قمح الجراية(٧) ، وعين داود أغا ناظرا لها ، بموجب الفرمان الموجه إلى والى مصر فى سنة ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م ، كما أضاف إلى ذلك كله ألف أردب من القمح ، المرسل من شونة مصر ، وألف قطعة من الذهب ، زيدت على صرة الحرمين (٨) .

هذا من حيث الصدقات النقدية والعينية ، أما الأعمال المعمارية فكان أهمها

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق جـ٢ ص ٧٣٨ .

(٢) تذكر ليلى عبد اللطيف فى مقدمتها لكتاب حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج . لأحمد الرشيدى . ص ١٤ ، ٢٥ أنها إحدى أوقاف السلطان قايتباى التى أقرت فى عهد السلطان سليم الأول عند فتحه لمصر .

(٣) نسبة إلى السلطان مراد الثالث ، انظر حسين أفندى الروزنامجى : المصدر السابق ص ٤٥ .

(٤) نسبة إلى السلطان المملوكى الأشرف قايتباى ، انظر حسين أفندى الروزنامجى المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٥) نسبة إلى السلطان العثمانى محمد الثالث ، انظر حسين أفندى الروزنامجى ، المصدر السابق ص٤٥ .

(٦) قال حسين أفندى الروزنامجى فى المصدر السابق ، ص ٤٥ بأن السلطان أحمد الأول أوقف بمصر بعض الأوقاف ، كما ذكر أيوب صبرى فى المصدر السابق جـ٢ ص ٧٣٦ ما يؤكد ذلك فلعل هذا الوقف هو المقصود بوقف الخاصكية ، لا سيما وأن ترتيبه جاء بعد الأوقاف المتقدمة على عهد السلطان أحمد الأول .

(٧) الجراية هى القمح المرسل فى العصر العثمانى لسكان الحرمين من مصر ، وكان نصيب الفرد منه أردبا ، وعشرة أرادب للعائلة فى السنة وكان يكفى ويزيد . انظر عبد الحق النقشبندى . « من ذاكرتى قبل نصف قرن » مجلة المنهل العدد رقم ٥ سنة ١٣٨٢هـ ص ٢٧٩ حاشية رقم ٢ .

(٨) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٣٤ .

إنشاء سبيل جميل مزود بفسقية ، محلاة بالرخام الملون ، قرب باب الرحمة[١] ، قال في مدحها أحد الشعراء :

سلسبيل الماء فيه مطلق   قيد الناس بطيب المورد
قد سرى بين رياض دبجت   برخام أبيض فى أسود
وحلا فى العين من مرمره   شكل زهر جل عن قطف اليد[٢]

وفى سنة ١٠٢٤هـ / ١٦١٥[٣] ، أرسل السلطان أحمد الأول، فصين من الألماس المكفتين بالذهب والفضة[٤] ، لوضعهما على جدار الحجرة تجاه الوجه الشريف . كما أمر فى سنة ١٠٢٦هـ / ١٦١٧م، باستبدال السياج الحديدى، الموضوع سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م، أمام المواجهة الشريفة، والذى يرجع إلى عهد السلطان قايتباى، بسياج من الفضة المحلاة بالذهب [٥] ، وثبت على جانبه الأيمن لوح مستطيل من الفضة (١٣٠ × ٦٦ سم)، أهدى من السلطان نفسه سنة ١٠٢٦هـ / ١٦١٧م، لوضعه على الجانب الأيمن لمستقبل السياج المذكور . وقد أبدل هذا السياج ، فى الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجرى، بالسياج الموجود حاليا [٧] . أما اللوح الفضى فلا زال حتى الوقت الحاضر ، يحلى الجزء العلوى من المستطيل ، الفاصل بين السياج المعدنى ، المثبت أمام الوجه الشريف ، والسياج

(١) الوثيقة رقم ٧١ حمراء فى ٢٨ شعبان سنة ١٢٥٣هـ محفظة رقم ٢٦١ عابدين بدون نمرة / محافظ الحجاز بدار الوثائق القومية بالقاهرة ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٣٨ .

(٢) محمد كبريت الحسينى : الجواهر الثمينة فى محاسن المدينة مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ٢٤ تاريخ ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) محمد أمين المكى : خلفاى عظام عثمانية حظر تنك حرمين شريفنيدكى . « اثار مبرورة ومشكورة هما يونلرندن » المطبعة العثمانية ، استانبول سنة ١٣١٨هـ ص ٣٣ ، أحمد زينى دحلان : رسالة عن خيرات الدولة العثمانية وتعميراتها فى الحرمين الشريفين ، ملحقة بسالنامة بالعربى . المطبعة الميرية بمكة سنة ١٣٠٣هـ ص ١٢٢ .

(٤) انظر أدناه فصل التحف والأثاث ص ٣٥١ .

(٥) أحمد زينى دحلان : المصدر السابق ، ص ١٢٢ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص٥٨٣ ، وذكر المؤلفان أن السلطان أحمد الأول ، أحضر السياج القديم إلى استانبول ، وقام بوضعه على قبره الذى أعده قبل مماته ، بجوار جامعه المشهور باستانبول .

(٦) أى حوالى ذراعين فى ذراع ، انظر أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٣٨ .

(٧) انظر أدناه ص ١٤٠ .

المثبت تجاه صاحبيه ، رضوان الله عليهما (لوحة رقم ٦) ، وتظهر عليه الكتابة التالية فى تسعة أسطر بخط الثلث الاستانبولى :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم ، نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم [١] .

٢ - يا أيها النبى أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا [٢] .

٣ - وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا[٣] اللهم يا رحمن يا رحيم بجاه هذا النبى الكريم أغفر لعبدك المنقاد لأحكام شريعة نبيك العظيم.

٤ - السلطان أحمد بن السلطان محمد بن السلطان مراد بن السلطان سليم .

٥ - ابن السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد .

٦ - بن السلطان مراد بن السلطان محمد بن السلطان بايزيد بن السلطان مراد .

٧ - بن السلطان أورخان بن السلطان عثمان نصره الله نصرا عزيزا و[١]فتح له فتحا مبينا سنة ١٠٢٦هـ .

٨ - لوح بسيم خالص الهمت فى تاريخه .

٩ - لوح السلطان أحمد أهداه حبا خالصا [٤].

٤٤ + ١٨١ + ٥٣ + ١٦ + ١١ + ٧٢٢ = ١٠٢٧هـ / ١٦٦٧م [٥].

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٤٩ .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٤٧ .

(٤) اقتصر أيوب صبرى فى المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٣٨ على ذكر السطر الثامن والتاسع بينما أوردها صالح لمعى فى المرجع السابق ص ١٢٣ ، ١٢٤ كاملة وكان ذلك مطابق لما قرأته على اللوح المذكور .

(٥) جاء مجموع الأعداد التى تمثلها الحروف المؤرخة بحساب الجمال ١٠٢٧ بزيادة سنة واحدة عن حكم السلطان أحمد الأول المتوفى سنة ١٠٢٦هـ ومرد ذلك كما أعتقد إلى أن الحروف المتكررة لم تحسب مما يوجب اهمال أحد حروف الألف المتكررة ليصبح العدد ١٠٢٦هـ . انظر صالح لمعى : المرجع السابق ص ١٢٤ أو يكون ارساله فى سنة ١٠٢٧هـ تنفيذا لرغبته فى إرسال هذا النقش قبل وفاته .

٦ - اعمال السلطان مراد الرابع ١٠٣٢ - ١٠٤٩هـ / ١٦٢٢ - ١٦٣٩م

لم يسبق أن زاد أحد من السلاطين العثمانيين ، فى مسقف المسجد النبوى، حتى جاء السلطان مراد الرابع ؛ فزاد فى رواق القبلة (الظلة) ثلاث بلاطات مما يلى الصحن ، وكان ذلك أثر تلف البلاطات المسقوفة بالخشب مما يلى صحن المسجد ، وتعذر الصلاة تحتها ، مما دعا القائمين بأمور المسجد إلى مخاطبة السلطان مراد الرابع ، بما آلت إليه سقوف المسجد الشريف . بيد أن ما تضمنته الفتوى الشرعية المقدمة إلى السلطان مراد ، عن عدم التغيير فى مبانى الحرم النبوى القديم، جعل الباب العالى يطيل فى مناقشة الكيفية التى يمكن بها معالجة الخلل السابق، فضلا عن توسع المجلس فى مناقشة الأفكار والآراء المتعلقة بتوسيع رواق القبلة .

ومهما يكن الأمر فقد أبلغ والى مصر بما استقر عليه الأمر ، وكلف بإرسال المواد اللازمة للعمارة على وجه السرعة ، ووصل المدينة عدد من الحرفيين والأمراء، صحبة أمين المبانى المعين بمقتضى الأمر السلطانى[١] ؛ وقد أطلعهم شيخ الحرم النبوى على الأجزاء الآيلة للسقوط وتدارس معهم كيفية إصلاحها .

أما البلاطات الثلاث ، المقرر اضافتها بمؤخرة الرواق القبلى ، فقد أقيمت أعمدتها فى محاذاة ما يقابلها من الرواق القبلى والشرقى والغربى ، ونظرا لانفصال سقف البلاطات المذكورة عن سقف المسجد الشريف ، فقد استخدمت القباب الصغيرة فى تسقيفها ، بمعدل تسع قباب فوق كل صف من البلاطات المذكورة[٢] ، نظرا لصلاح القباب المنشأة فى أجزاء متفرقة من سقف المسجد ، فى عهد السلطان قايتباى ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م ، والسلطان سليمان القانونى ، والسلطان مراد الثالث[٣] . ولأن حاجة الرواق القبلى من المسجد النبوى إلى الإضاءة والتهوية، زادت بعد إضافة البلاطات الثلاث إلى السبع الموجودة به من قبل[٤] . فقد أوجد

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٢٥ .

(٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٢٦ .

(٣) انظر أعلاه ص ١١ ، ٣٢ ، ٣٧ .

(٤) تعود ثلاث منها إلى عهد الرسول ﷺ واثنتان فى مقدم المسجد إلى عهد عمر وعثمان رضى الله عنهما ومثلهما مما يلى صحن المسجد إلى عهد الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٩هـ . انظر محمد هزاع الشهرى : المرجع السابق ص ٥١ ، ٨٤ ، ٩٥ ، ٢٥٢ .

المهندس بينهما منورين جديدين ، جاء الأول منهما على طرف البلاطات المضافة ، مما يلى التقاء الجانب الشرقى منها ، مع الرواق المبنى فى المسجد من هذا الجانب . وجاء المنور الثانى فى الطرف الغربى ، من البلاطات المذكورة ، على نسق المنور الأول أيضاً ؛ ثم فرشت أرضهما بالرمل [١].

وليس من تفسير لانخفاض عدد القباب المنشأة فى هذه الإضافة ، بمعدل تسع قباب فوق كل بلاطة ، عن البوائك المطلة على صحن المسجد باثنى عشر عقدا ، إلا بناء المنورين بهذه الصفة (الشكل ٣٢). ومهما يكن الأمر فقد شعر رواد المسجد الشريف بفوائد المنورين ، مما دعا أحد الشعراء إلى مدحها بالبيتين التاليين :

يا طيب نفحة باذهنج لم يزل   بهوائه لنفوسنا تنفيس

مغرى بجذب الريح من آفاقه   فكأنه للريح مغناطيس [٢].

ويؤخذ من وصف بيرتون للبوائك ، المحيطة بصحن المسجد الشريف سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م[٣] ، أن البلاطات المذكورة مطلة على الصحن ، بعقود كما هو الحال فى واجهات مؤخرة المسجد ومجنبتيه ، وأن القباب نصف برتقالية وبأحجام صغيرة ، محمولة على عقود قوية وسقفها مما يلى أرض المسجد مسطح . كما ذكر بوركهارت أنها مدهونة من الخارج بالجص الأبيض ، أسوة بقباب المسجد الحرام فى مكة المكرمة[٤]. وتظهر فى الرسم الذى أعده بيرتون سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م، مماثلة لبقية قباب المسجد (لوحة ١٠)، ورغم ركاكة الأبيات الشعرية المؤرخة لهذا العمل ، والمنقوشة آنذاك فى لوح من الرخام ، ثبت على كوشات أحد العقود المطلة على صحن المسجد النبوى الشريف . إلا أن بعض المصادر التى أوردت

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٣٩ .

(٢) محمد كبريت ، المصدر السابق ، ص ٥١ .

(٣) Burton , R., op. cit, vol. 2 . P. 308 .

(٤) Burckhard, J., op. cit, P. 331

النص ألحقت فى نهاية الآبيات المذكورة سنة ٩٩٩هـ / ١٥٩٠م[١]، ظنا منها بأن السلطان مراد الثالث (٩٨٢ ـ ١٠٠٣هـ) ١٥٨٤ ـ ١٥٩٤م، هو المقصود بالمعنى. دون أن تفطن إلى دلالة أرقام الحروف ، المكونة للشطر الثانى من البيت الأخير ، والتى جاء مجموعها بحساب الجمل ١٠٤٤ وهو زمن السلطان مراد الرابع (١٠٣٢ ـ ١٠٤٩هـ) ١٦٢٢ ـ ١٦٣٩م.ونص الأبيات كما يلى :

بناء الشريف الروضة النبى ... نبى النصر خير العباد

فقلنا على الفور تاريخه ... فقام بتجديده سلطان مراد[٢]

٢٢١ + ٤٢٨ + ١٥٠ + ٢٤٥ = ١٠٤٤هـ / ١٦٣٤م

ويؤيد ذلك معاصرة محمد كبريت المدنى لهذا السلطان، وذكره البلاطات المذكورة ، عند حصر الأعمال التى قام بها السلطان مراد فى المدينة المنورة ؛ ومنها إنشاء مطعما كان عليه اعتماد « المهاجرين والفقراء والمجاورين »[٣]. كما أن تصريح أيوب صبرى فى مواضع أخرى من كتابه ، بإنشاء السلطان مراد الرابع للبلاطات المذكورة[٤]، يؤيد ذلك ويقويه . ومهما يكن الأمر ، فنظرا لعمق رواق القبلة بعد توسيع مسقفه ، فقد تطلب الأمر إضافة مكبرية ثانية ، فى نهاية الطرف الشمالى للرواق القبلى مما يلى صحن المسجد ، وقد انفرد عبد الغنى النابلسى بذكرها سنة ١١٠٦هـ / ١٦٩٤م[٥].

ولا بد من نسبتها إلى السلطان مراد الرابع ، لأن المسجد الشريف لم يشهد منذ

(١ ، ٢) وردت الأبيات المذكورة عند درويش عشقى فى الموارد المجيدية فى تاريخ بلد خير البرية ، جـ٣ ص ٥٩ ، وعند أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٢٦ . وقد ذكر لمعى فى المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، ٢٩١ أنها أبيات ركيكة إلا أننى لاحظت أن البيت الأول يختلف فى وزنه عن البيت الثانى ، مما يدعو إلى الاعتقاد بأن نقله خطأ وأن وضعه الأول على النحو التالى :

بناء شريف لروضة النبى ... نبى النصر خير العباد

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٤ وعن هذا المطعم انظر أيوب صبرى : المصدر السابق جـ٢ ص ٧٣١ .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٨٠٨ ، ٨١٠ ، ٨٣٣ .

(٥) المصدر السابق ، جـ٣ ص ٩٦ .

إضافة البلاطات الثلاث ، حتى مشاهدة النابلسى للمكبرية المذكورة ، إلا أعمالا بسيطة قام بها السلطان محمد الرابع سنة ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠ ، ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م ، تركزت كلها فى بناء منارة باب السلام وتجديد بعض سقوف المسجد [(١)].

أما بقية الأعمال التى تمت فى عهد السلطان المذكور ، فمنها وضع بلاطات من القشانى الجميل فى الحجرة الشريفة ، بدلا من رخامها الذى يرجع إلى عهد السلطان قايتباى [(٢)].

كما تم تجديد الملاط ، الموضوع على جدران المسجد الشريف من الداخل ، وتلبيس أعمدة المسجد بطبقة سميكة منه ، مع رسم مناظر واقعية للشمس والنجوم والزهور بكفاءة عالية ، أذهلت على حد قول المؤلف زوار المدينة وسكانها[(٣)]. بيد أن بوركهارت لم ير منها سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م ، سوى مناظر فى الجانب الشرقى من المسجد النبوى ، لبعض مساجد استانبول ، كأياصوفيا ، ومسجد السلطان أحمد ، وبايزيد ، مرسومة بألوان مائية على جدار أبيض ، دون مراعاة لقواعد المنظور . هذا فضلا عن خلو الزهور والأرابيسك ؛ المرسومة على الجزء السفلى من اسطوانات المسجد من الدقة والحيوية[(٤)]. بيد أن ما رآه الرحالة السويسرى لم يكن فى الغالب إلا تجديدا لأعمال تمت قبل حوالى ١٩٠ سنة .

---

(١) انظر أدناه ص ٥٢ ـ ٥٥ .

(٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٥٥٤ .

(٣) أيوب صبرى ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٣١ .

(٤) Op. cit. p. 330 .

٧ - أعمال السلطان محمد الرابع بن السلطان إبراهيم خان ١٠٥٨ - ١٠٩٩هـ / ١٦٤٨ - ١٦٨٧م

احتاجت منارة باب السلام المبنية سنة ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م، فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون[١]، لأعمال التجديد زمن السلطان محمد الرابع ، كما جاء فى الشكوى المقدمة من سكان المدينة المنورة ، عن مخاطر المنارة المذكورة، واحتياج بعض المواضع فى الحرم النبوى لأعمال الترميم[٢]. الأمر الذى أوجب إرسال نخبة من المهندسين إلى المدينة لبحث الأضرار المذكورة ، وتقدير المقايسة[٣] ، التى بموجبها كلف والى مصر « أحمد باشا » ، بإرسال المبالغ والمواد اللازمة .

ورغم جهلنا بالكيفية التى بنيت بها المنارة المذكورة ، بعد هدم أساسها كله[٤]. فإن بعض المعطيات الجيدة ، جاءت من وصف بيرتون لها فى حدود سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م ، حيث أفاد بأنها برج طويل رشيق يعلوه مخروط كبير من نحاس أصفر[٥]. وبما أن جزؤها العلوى ، تعرض فى عمارة السلطان عبد المجيد للهدم والتجديد[٦] ، فإن دراسة جزئها السفلى ، كاف لشرح معالم بناءها القديم، الذى أعيد كما يبدو على نمط بناء المنارة السليمانية[٧]. وهو بناء مربع القطاع يمتد من الأرض إلى أعلى سطح المسجد بحوالى ستة أمتار ، وتتخلله فتحات مستطيلة لإنارة وتهوية سلم المنارة ، وفى نهايته شرفة مربعة ، محمولة على ثلاثة

---

(١) ابن فرحون : نصيحة المشاور وتعزية المجاور مخطوط بمكتبة عارف حكمت برقم ٥١ تاريخ ، ص ٣٤ ، السمهودى : وفاء الوفاء ، جـ٢ ص ٥٢٩ .

(٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٣٩ .

(٣) انظر أعلاه ص ٢٣ .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٣٩ .

(٥) Burton : op. cit., vol 2, p. 333 .

(٦) على بن موسى : وصف المدينة المنورة ، الرسالة الأولى من رسائل تاريخ المدينة تحقيق ونشر حمد الجاسر الرياض ١٣٨٢هـ ، ص ٦١ .

(٧) انظر وصف بناء المنارة السليمانية سنة ٩٤٨هـ ص ٢٥ - ٢٦ .

صفوف من المقرنصات المتعاقبة، كما غطى البناء بطبقة سميكة من الملاط، مما حال دون معرفة نوع الحجارة المستخدمة في البناء ، وإذا كان هذا العمل خلا على غير المألوف من كتابة تأسيسية ، فإن ما ذكره أيوب صبرى من مزامنته لوضع الرخام في أرضية المنورين المفروشين بالرمل ، في عهد السلطان مراد الرابع ، في أطراف الروضة الشريفة سنة ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م(١)، دليل كاف على معرفة إتمام بناء المنارة المذكورة .

ومن الأعمال التي تمت في عهد السلطان محمد الرابع، ما قام به شيخ الحرم النبوى في حدود سنة ١٠٧٣هـ / ١٦٦٢م، من حجز رواق القبلة عن صحن المسجد بأحجار منحوتة ، ثبتت في الأرض بين الأساطين الموالية للصحن ، بقصد منع ماء الصحن من الدخول إلى الرواق القبلي ؛ كما حدث في الأمطار التي شهدتها المدينة في السنة المذكورة (٢) .

أما ما كان فوق دكة الأغوات من سقوف ، فقد آلت في حدود سنة ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م للسقوط ، كما جاء في المحاضر والخطابات المقدمة للسلطان محمد الرابع ، من بعض سكان المدينة المنورة وكبار المسئولين فيها ، وفي مجملها تأكيد على خطورة السقوف المذكورة وضرورة تجديدها (٣) ، وبمقتضاها كلفت أمانة البناء في الاستانة ، بإرسال مهندس متمرس وفعلة ماهرين ، مع تزويدهم بما يلزم من مال ومؤنة ، بموجب الفرمان الذى أسند نظارة البناء ، إلى مدير الحرم النبوى إبراهيم باشا آغا(٤) .

وإذا كانت بعض المصادر أفادت بأن إصلاح السقوف المذكورة قد أخذ صورة الترميم بعد هدم التالف منها(٥)، فإن بعض الوثائق العثمانية أفادت بأن المهندس

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٣٩ .

(٢) أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي : الرحلة العياشية (ماء الموائد) صورة بالأوفست عن الطبعة الأولى بالحجر الرباط ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م جـ١ ص ٣٠٤ .

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٤١ ، ٧٤٢ .

(٤) عن المهام المنوطة بمدير الحرم النبوى ، انظر أدناه ص ٤١٧ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٤٢ .

محمد رائف باشا ، المشرف على عمارة الحرم النبوى سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م، رم القباب الموجودة فى هذا الجزء من المسجد الشريف ، ونسبتها خطأ للسلطان أحمد[١]. وكما يتضح من خريطة توزيع الأعمال المعمارية (الشكل ٣٣)، فلم أجد أن أيا من السلطان أحمد الأول أو الثانى ، قام بعمل معمارى فى هذا الجزء من المسجد الشريف أو قريب منه ، مما يجعل نسبة بناء القباب المذكورة للسلطان محمد الرابع أمرا مؤكدا . ولا يعرف على وجه التأكيد ، ما إذا كانت جدران الموضع المجدد من الرواق الشرقى ، قد جددت عند إصلاح السقوف المذكورة ، أم أن الهدم آنذاك اقتصر على عقوده التى تعرضت للهدم والتجديد ، إلا أن كثرة الكتابات الموضوعة بعد ذلك على جدار مؤخرة رواق القبلة ، يدل على تجديد ما حاذى السقوف المجددة ، إذ جاء أن قصيدة بليغة كتبت على الجدار المذكور ، بعد إتمام عملية التجديد[٢] وفى نهايتها النص المتضمن اسم السلطان محمود خان بن السلطان إبراهيم خان ، وهو الاسم المرادف لاسم السلطان محمد الرابع ، تيمنا بتعدد أسماء النبى عليه الصلاة والسلام وفيما يلى ذكر النص المؤرخ سنة ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م :

جدد الحرم الشريف من فضل الله تعالى وعونه وجزيل عطائه العميم السلطان محمود[٣] خان بن السلطان إبراهيم خان ، كان الله له ناظرا (كذا) إبراهيم آغا ، وكان الفراغ فى سنة ألف وثلاثين (كذا)[٤] وتسعين »[٥].

أما ما ذكر عن ترميم القبة الشريفة فى عهد السلطان محمد الرابع، فلم تصل عنه معطيات وافية إلا ما ذكره البرزنجى ، نقلا عن كتاب مفقود لم أعثر عليه[٦]، مما يدعو إلى الاعتقاد بأنها أعمال بسيطة لم يأبه لها المؤرخون .

---

(١) الوثيقة رقم ٤٤ من الوثائق التركية المترجمة فى دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

(٢) أيوب صبرى المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٤٢ .

(٣) لم أجد فى المصادر والمراجع التى دونت نسب السلاطين العثمانيين وفترات حكمهم ما يدل على أن للسلطان إبراهيم خان ابن يدعى محمود تولى السلطنة فى الفترة المذكورة مما يدل على أن المقصود محمد الرابع ١٠٥٨هـ / ١٠٩٩هـ ، انظر زمباور : معجم الأسرات الحاكمة ، جـ١ ص ٢٣٩ .

(٤) صحتها ثلاث .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٤٢ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

٨ - أعمال السلطان مصطفى الثانى
١١٠٦ - ١١١٥هـ / ١٦٩٤ - ١٧٠٣م

تركزت أعمال السلطان مصطفى الثانى ، فى تجديد سقف المسجد النبوى الشريف ، ففى سنة ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م تلقى السلطان تقريرا من شيخ الحرم النبوى (أبو بكر آغا)(١) ، عما تهدم من سقوف المسجد الشريف ، وما تلف من أعمدته (٢).

وبناء على خطورة الموقف ، وعدم الحاجة إلى إجراء المقايسة المعتادة ، تم اختيار المعمار سليمان بك لتدبر الأمر ، وكلف والى مصر بإرسال المواد اللازمة للعمارة . وقد جاء فى بعض المصادر ما يفيد بأن المعمار المذكور ، بدأ العمل سنة ١١٠٨هـ / ١٦٩٦م ، بعد التباحث مع المسئولين عن المسجد النبوى فى المدينة(٣) ، عن كيفية إصلاح التلف المذكور .

وتم تجديد السقوف التالفة ، بعد تجديد حوالى ١٢ اسطوانة ، وفرش الرخام على سطح الحجرة الشريفة ، ورممت بعض المواضع الخربة داخل المسجد النبوى ؛ كما تعهد المعمار المذكور جميع النقوش والزخارف بالإصلاح والتجديد (٤).

ورغم سكون المصادر عن ذكر بعض التفاصيل الهامة ، عن نوع السقوف المجددة وموقعها من المسجد الشريف ، إلا أنه يفهم من نقش تاريخ الإنتهاء من الأعمال المذكورة على لوح من الرخام بتاريخ سنة ١١١١هـ / ١٦٩٩م ، وتثبيته على اسطوانة الوفود(٥) ، الواقعة فى نهاية الروضة المطهرة من الشمال(٦) . إلى أن

---

(١) تولى مشيخة الحرم النبوى سنة ١١٠٦هـ / ١٦٩٤م ، انظر عبد الرحمن الأنصارى : تحفة المحبين والأصحاب فى معرفة ما للمدنيين من أنساب ، تحقيق محمد العروسى المطوى ، الطبعة الأولى تونس ١٣٩٠/١٩٧٠م ص ٦٣ .

(٢ - ٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٤٦ .

(٥) كان ذلك عبارة عن ١٢ بيتا من الشعر تعدد الأعمال التى قام بها المعمار المذكور فى المدينة ، ولم أشأ نقلها لكثرتها من جهة ، وخلوها من تفصيلات هامة عن العمارة المذكورة . انظر أيوب صبرى: المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٤٧ .

(٦) انظر الشكل (٢١) .

العمل الذى استغرق حوالى ثلاثة أعوام ١١٠٨ ـ ١١١١هـ / ١٦٩٦ ـ ١٦٩٩م، كان على درجة كبيرة من الدقة والأهمية .

ومرد ذلك كما اعتقد إلى كون التجديد ، تم فى الروضة المطهرة المثبت فيها النص ، والتى يجب أن تهيأ للصلاة فى جميع الأوقات ، كما كان الأمر فى العمائر والتجديدات ، التى تمت فى المسجد النبوى منذ تأسيسه . وبعد عودة سليمان بك من المدينة المنورة بعدة أشهر أصابت صاعقة سقف مؤخرة المسجد الشريف بأضرار بالغة [١] .

ونظرا لرغبة السلطان فى تجديد السقوف المهدمة بأسرع وقت ، وإعجابا بالأعمال الجيدة التى قام بها المعمار سليمان بك فى السابق ، كلف بالتوجه مرة ثانية إلى المدينة لإصلاح السقوف المتضررة ؛ كما أسندت له ولاية جده [٢] ومنح وساما بثلاثة « طوغات [٣]» [٤] .

وقام فور وصوله إلى المدينة بإصلاح ما تهدم من السقوف المذكورة [٥]، على هيئة لم تذكر المصادر نوعيتها ، ولا موضوعها من البلاطات الأربع التى يتألف منها رواق الظلة الشمالية ، إلا أنه يؤخذ من الرسم الذى أعده بيرتون سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م عن المسجد النبوى استخدام القبب فى تسقيفها (لوحة ١٠). ومهما يكن الأمر فقد كتب تاريخ الإنتهاء من العمل المذكور ، على لوح من الرخام تم تثبيته فى ركن السقف المجدد وفيما يلى نصه :

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٤٨ .

(٢) جاء فى رسالة الدرة البهية لكسوة الحجرة الشريفة لمحمد بن أسعد الحنفى . مخطوط بمكتبة بشير آغا الملحقة بمكتبة السليمانية باستانبول ضمن مجموع برقم ٤٧٦ ص٩ أن سليمان باشا كان محافظا لبندر جده وشيخا لحرم مكة وأمينا لعمارة المدينة .

(٣) الطوغات الثلاثة : علامة تميز الوسام أو النيشان المخصص فى العادة لحكام الباشاويات فى الدولة العثمانية ويعرف بالنيشان ذى الدرجة من ثلاثة ذيول (طوغات) . انظر عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ، الطبعة الأولى . دار التراث ، القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ص ٢٣ .

(٤ ، ٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٤٨

جـدد هذا [الـ]سـقف الشـريف ملك البـرين والبـحـرين خـادم الحـرمين الشريفين السلطان الغازى مـصطفى خان ، خلد الله ملكـ[ـه] وذلك بالنظر (كذا) العبد الفقير المعترف بالتقصير الحاج سليمان باشا ، المحافظ (كذا) جده المعـمـورة المشـرف (كـذا) بخـدمـة رسـول الله ﷺ فى سنة ١١١٢هـ ، / ١٧٠٠م[١].

هذا عن الدور المميز الذى قام به المهندس سليمان باشا ، بأمر من السلطان مصطفى الثانى ، فى إصلاح سقف الروضة الشريفة ، وسقف مؤخرة الحرم النبوى، ولم تخرج جميع الأعمال التى نفذها عن أعمال الترميم والتجديد .

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٤٩

٩ ـ أعمال السلطان أحمد الثالث ١١١٥ ـ ١١٤٣هـ / ١٧٠٣ ـ ١٧٣٠م

اقتصرت أعمال السلطان أحمد الثالث ، على تجديد سقف الظلة الجنوبية الغربية من المسجد النبوى الشريف .

ففى سنة ١١٣٢هـ / ١٧١٩م أبلغ السلطان ، بتلف اثنى عشر عمودا مما يلى الجدار الغربى من المسجد الشريف ، وتهدم السقوف المحمولة عليها[(١)] ، وقد جاء فى إحدى الوثائق العثمانية[(٢)] ، أن شيخ الحرم أيوب آغا المتولى ١١١٨ ـ ١١٢٤هـ / ١٧٠٦ ـ ١٧١٢ ، ١١٢٨ ـ ١١٣٥هـ / ١٧١٥ ـ ١٧٢٢م[(٣)] ، أخبر السلطان بأن السقف الموجود فى جانب المسجد النبوى الشريف ، بالقرب من مخزن الزيت آل إلى السقوط ، وإنه قد رم عدة مرات فلم يجد فيه . وقد تم الكشف عليه بمعرفته وحضور قاضى المدينة ، وقدرت النفقات اللازمة لتجديد هذا السقف بأربعمائة دينار ذهب ، وتفيد الوثيقة بأن السلطان أمر بصرف المبلغ المذكور من زوائد الأوقاف .

واختير الحاج موسى لأمانة البناء ، وباشر عمله فور وصوله إلى المدينة المنورة. وتم استبدال الأعمدة التالفة بأعمدة جديدة ، وأصلحت السقوف المحمولة عليها بطريقة لم تصرح بها المصادر التى أطلعت عليها ، إلا أنه قد جاء فى النص المؤرخ لهذا التجديد ، ذكر المنامتين المجددتين فى هذا البناء ، وليس من تفسير لها[(٤)] إلا أن تكونا جزءا من بلاطتين من البلاطات الأربع ، الموجودة فى الظلة الغربية . لا سيما وقد جاء فى المصدر المعتمد ، تلف اثنى عشر عمودا من الظلة المذكورة[(٥)] . كما يؤخذ من الرسم الظاهر فوق إحدى البلاطات، المحفوظة فى متحف الفن

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق جـ٢ ص ٧٤٩ .

(٢) رقم ٤٦٢٨ غير مؤرخة وترجمتها فى دارة الملك عبد العزيز بالرياض تحت رقم ٣/٢م ـ ١٧ .

(٣) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ص ٦٣ وما بعدها .

(٤) يعتقد صالح لمعى بأن الإصلاح كان خارج المسجد إذ أن ذكر المنامتين الدالة على معنى القبرين ليس لها وجود فى المسجد ، انظر المرجع السابق ص ٢٩٢ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، ص ٧٤٩ .

الإسلامى بالقاهرة والمؤرخة سنة ١١٤١هـ / ١٧٢٨م [١]. ومن الرسم الذى أعده بيرتون ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م [٢]. استخدام القباب فى تسقيف هذا الجانب من المسجد (لوحة ١٠) ، وعلى أية حال فقد كتب على لوح من الرخام نص يؤرخ لأتمام هذه الأعمال فيما يلى نصه :

اللهم أيد وانصر دولة من جدد هذه (كذا) المنامتين الشريفتين ، ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان بن السلطان الغازى أحمد خان بن الغازى محمد خان خلد الله ملكه وذلك بمباشرة العبد الضعيف الحاج موسى ووافق بتجديد (كذا) تاريخ المنامتين بالمسجد سنة ألف ومائة وثلاثة وثلاثين / ١٧٢٠ » [٣].

وبعد الإنتهاء من الأعمال المذكورة ، تبين لأمين البناء تلف جزء من سقف مؤخرة المسجد النبوى ، فقام بإصلاحه بطريقة لم تفصح المصادر عن كيفيتها ولا موضعها من ظلة المسجد الشمالية ، إلا أن المؤكد إعادة استخدام القباب فيما جدد منها بناء على ما ورد فى الرسمين السابقين .

ونتيجة لما قام به أمين البناء ، من دقة فى العمل وسرعة فى الإنجاز ، فقد منحه السلطان أحمد الثالث رتبة أمير الأمراء [٤].

---

(١) حسن الباشا : المرجع السابق ص ١٩٧ .

(٢) Burton, R., op. cit, vol 2 p.

(٣ ، ٤) المصدر السابق : ص ٧٤٩ ، ٧٥٠

١٠ـ أعمال السلطان محمود الأول بن مصطفي الثاني
١١٤٣ ـ ١١٦٨هـ / ١٧٣٠ ـ ١٧٥٤م

لم تمض فترة طويلة على الإصلاحات الكبيرة ، التى قام بها السلطان أحمد الثالث سنة ١١٣٣هـ / ١٧٢٠م حتى بدت آثار التلف على أجزاء أخرى من سقف الحرم النبوى الشريف ، الأمر الذى دعا المسئولين فى المدينة المنورة ، إلى مطالبة السلطان محمود الأول ، بما يحتاجه المسجد الشريف من تجديد وترميم . وعليه تم تكليف والى جده أحمد باشا بإصلاح السقوف الخربة ، وأسند الوالى المذكور نظارة البناء إلى الحاج أحمد آغا[١] . بيد أن المصادر المتوفرة لم تفصح عن نوعية التجديد ولا موضعه من المسجد الشريف ، إلا أن فيما ذكر من تجديد الجزء العلوى من جدار القبلة بعد سقوطه سنة ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م ، دلالة كافية على وقوع التجديد فى السقوف الموضوعة على طول جدار القبلة ، مما يلى البلاطة المحدثة زمن سيدنا عثمان رضى الله عنه .

وتفيد المعلومات المتوفرة عن هذا التجديد ، أن المعمار المذكور اكتفى بوضع أقبية فوق ما تبقى من جدار القبلة ، دون أن يبرز فيه أعمدة أو يسنده بدعامات خارجية[٢] . ولا يعرف ما إذا كان المحراب العثمانى قد تعرض للهدم ، أم أن التجديد اقتصر على ما فوقه من جدار القبلة . وبناء على ما توفر لى من معلومات جيدة عن سقوط جدار القبلة سنة ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م، وبدء العمارة سنة ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م وتثبيت اللوحة التأسيسية سنة ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م، فإن الأمر يتأكد بأن ما قام به والى جده وناظر العمارة ، كان تجديد الجزء العلوى من جدار القبلة ، مع تجديد سقف الرواق (البلاطة) المذكورة فى اللوحة التأسيسية ، وليس إضافته كما يرى الدكتور صالح لمعى[٣] . استنتاجا من قراءته لما حواه النص

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٥٠ .
(٢) أيوب صبرى : المصدر نفسه جـ٢ ص ٨٣١
(٣) المرجع السابق ، ص ٨٩

المكتوب على لوح من الرخام ، ثبت بعد إتمام الأعمال المذكورة سنة ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م على جدار القبلة ونصه :

« أمر بعمارة هذه (كذا) الرواق الشريف ، ملك البرين والبحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، مولينا (كذا) السلطان الغازى محمود خان ابن المرحوم السلطان مصطفى خان ، عز نصره ، وذلك بمعرفة الحاج أحمد باشا محافظ بندر جده المعمورة ، وبمباشرة تابعه الحاج محمد آغا ، فى سنة ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م[١].

وإذا كان ينقصنا بعض التفصيلات الهامة ، عن نوعية السقوف المجددة فى البلاطة المذكورة . فإن القباب الموجودة من زمن السلطان قايتباى فى هذا الجزء من المسجد ، ومنها قبة فوق المحراب العثمانى ، وقبتان أمام باب السلام ، وأربع بين الحجرة الشريفة وجدار القبلة[٢] ؛ بالإضافة إلى القباب المنشأة فى عهد السلطان سليمان القانونى والسلطان مراد الثالث والرابع[٣]. تحتم بالضرورة استخدام القباب فى الجزء المجدد من السقف المذكور ، ويؤيد ذلك ما جاء من أن برواق القبلة قبل عمارة السلطان عبد المجيد ٥٩ قبة[٤] ، منها ٢٧ قبة فوق البلاطات الثلاث التى أضافها السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٢هـ / ١٦٣٢م[٥]، و ٣٢ قبة موزعة على بقية سقف رواق القبلة ، منها على الأقل ١٧ قبة فى سقف البلاطة المجددة زمن السلطان محمود الأول مما يلى جدار القبلة . ويتأكد ذلك بالرسم الذى أعده بيرتون عن المدينة سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م فقد ظهر فيه عدد كبير من قباب المسجد (لوحة ١٠) .

وبما أن الجدار المذكور مملوكى البناء ، ولم يتعرض طيلة العصر العثمانى لأى من أعمال البناء والتجديد حتى سقوطه سنة ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م. فإن النوافذ

---

(١) أيوب صبرى ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٥٠ .
(٢) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٤٠ ، ٦٤١ .
(٣) انظر أعلاه ص ١١ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٩ .
(٤) أيوب صبرى ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٨٣٣ .
(٥) انظر أعلاه ص ٤٩

الموجودة بأعلى الجدار المذكور ، قد أحدثت فى عهد السلطان محمود الأول سنة ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م . ويؤيد ذلك خلو جدار القبلة سنة ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م من النوافذ المذكورة ، كما جاء فى وصف أولياء جلبى لجدار القبلة[١] ، وعدم ذكر النابلسى لتلك النوافذ سنة ١١٠٦هـ / ١١٩٤م [٢].

أما قول بيرتون أنها من أعمال السلطان قايتباى[٣] ، فمبنى على مماثلتها للنوافذ المملوكية المعشقة بالجص والزجاج الملون . ومهما يكن من أمر فقد أعجب بها بوركهارد سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م ، وقال أنها نوافذ زجاجية كبيرة عالية فى الجدار الجنوبى، وبعضها ذات زجاج ملون جميل[٤] . ورغم دلالة تلك المعطيات الجيدة فإنه يرجى لو أمكن التعرف على عددها وصفة أبوابها وموقعها من المحراب العثمانى ، حتى يمكن مقارنتها بالنوافذ الموجودة بجدار القبلة .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٢) المصدر السابق جـ٣ ص ٩٤ ، ٩٦ .

(٣) Burton, R., op. cit, vol 2 . p. 312 . 313

(٤) Burckhard, j.. p. cit, p. 331 .

١١ - أعمال السلطان عثمان الثالث
١١٦٨ - ١١٧١هـ / ١٧٥٤ - ١٧٥٧م

آلت بعض سقوف الحرم النبوى الشريف إلى السقوط ، فى عهد السلطان عثمان خان الثالث ، كما جاء فى التقرير المقدم سنة ١١٦٩هـ / ١٧٥٥م [١] ، والذى يعتقد بأن يكون أمين صرة الحرمين إبراهيم آغا ، قد حمله معه أو قدمه إلى السلطان فى العام المذكور ، بناء على مرئياته السابقة ، مما يفسر تكليف السلطان له بالعودة إلى المدينة لتولى أمانة البناء المقترح [٢] .

وكما جرت العادة فى كثير من الأعمال السابقة ، فقد كلف والى مصر سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٦م ، بإعداد المواد اللازمة للعمارة ، وإرسالها إلى المدينة المنورة مع خصم تكاليفها من خراج مصر [٣] .

ورغم ندرة المعلومات عما قام به إبراهيم آغا من أعمال ، فإنه يؤخذ من النص الذى ثبت فى المسجد النبوى الشريف ، بعد إصلاح السقوف المذكورة سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٦م ، أنها إصلاحات بسيطة لم تستغرق إلا بضعة أشهر ، تم فى نهايتها تثبيت لوح من الرخام ، فى موضع الاصلاحات المذكورة ، مكتوب فيه :

أمر بعمارة الحرم الشريف السلطان الأعظم [الـ]ـسلطان عثمان خان بن السلطان مصطفى خان ، خلد الله ملكه ، وذلك بمباشرة الحاج المعتمد الأمين إبراهيم آغا أمين صرة الحرمين الشريفين السابق وأمين بناء المسجد النبوى بتوفيقه (كذا) من الله سنة ألف ومأة وسبعين » ١٧٥٦م [٤] .

(١ ، ٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٥٤ .

(٣) جرت العادة بخصم الأموال التى تنفقها مصر على بناء الحرمين ، من الخراج المقرر على مصر للدولة العثمانية ، والمعروف « بالخزينة الإرسالية » . انظر مقدمة حسن الصفا والابتهاج لأحمد الرشيدى تحقيق ليلى عبد اللطيف ، ص ٢٢ ، وانظر أجوبة حسين أفندى الروزنامجى تحقيق محمد شفيق ص ١٥ حاشية رقم ١ .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٥٤ .

١٢ - أعمال السلطان عبد الحميد الأول
١١٨٧ - ١٢٠٣هـ / ١٧٧٣ - ١٧٨٨م

تنوعت الأعمال التى قام بها السلطان عبد الحميد الأول فى المسجد النبوى الشريف ، ففى عهده آلت بعض المواضع من سقفه إلى التهدم والسقوط ، وبناء على خطورة الموقف ، عين محمد أمين بن فيض الله آغا أمينا لإصلاح الخلل الطارئ[١] . وقد قام فور قدومه المدينة المنورة ، مع البنائين وسائر الفعلة المهرة بالكشف على المواضع الخربة من المسجد الشريف [٢] . ولا يعرف على وجه التأكيد موضع السقوف المجددة ولا نوعية تجديدها ، إلا أننى أرجح بناء على ما جاء في بعض المصادر ، من الاقتصار فى وضع البلاطات الخزفية على اسطوانات الصف الأول من الروضة[٣] دون غيرها ، أن تكون السقوف المحمولة على هذا الصف من الأعمدة مما جدد فى هذه العمارة .

وإذا كان تاريخ الأعمال الواقعة سنة ١١٩١هـ / ١٧٧٧م، لم يخص تجديد السقوف بالعمل المذكور، فإن مهمة أمين البناء المذكور، شملت أيضًا فرش الرخام فى المدخل الممتد من باب السلام؛ حتى المواجهة الشريفة ، وتلبيس جدار القبلة بالبلاطات الخزفية[٤] ، من باب السلام حتى باب المئذنة الرئيسية [٥] .

كما تم تزيين جدران الحجرة بالخزف الملون [٦] ، وفى نهاية الأعمال السابقة نقش النص التأسيسى على قطعة من الرخام ، علقت على السقف المجدد ونصه :

أمر بعمارة هذا الحرم الشريف السلطان عبد الحميد خان بن السلطان

(١ ، ٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٥٥ .

(٣) وثيقة رقم ٩٥/١٩٨ سنة ١٢٠٦هـ من الوثائق العثمانية المترجمة فى الدارة برقم د ١٦/١ .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٨٠ .

(٥) مجموعة محمود حيدر المدنى الملحق بعمدة الأخبار فى مدينة المختار . لأحمد عبد الحميد العباسى ص ٤٦٤ .

(٦) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٥٦ .

أحمد خان خلد الله ملكه مدى الزمان وذلك بمباشرة [الـ]ـمفتقر إلى الله عبده (كذا) محمد أمين بن فيض الله سنة ألف ومأة وواحد والتسعين (كذا)» / ١٧٧٧م[1].

كما ثبت على جدار القبلة مما يلى المواجهة الشريفة ، نص آخر تضمن ستة أبيات من الشعر الركيك ، جاء فى النصف الثانى من البيت الأخير « جدده الخان عبد الحميد »[2]. وكتب أيضًا على العمودين الموجودين حاليا ، فى المواجهة الشريفة بيتان من الشعر الجيد هما :

يا خير من دفنت فى القاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والاكـم

نفسى الفـداء لقبـر أنـت ساكنـه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم [3]

وكان يمكن التأكيد على أن مشاهدة البيت الأول ، فى الوقت الحاضر منقوشا على الرخام الذى حلى العمود الواقع يمين الزائر للرسول ﷺ . ووجود البيت الثانى على يساره مما كتب فى عهد السلطان عبد الحميد الأول ، بيد أن وضع الرخام على اسطوانات الروضة المطهرة ، وكذلك اسطوانات المواجهة الشريفة، فى عهد السلطان سليم الثالث سنة ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م[4]، كاف للدلالة على أن الكتابة الحالية تجديد لما كتب سنة ١١٩١هـ / ١٧٧٧م [5].

ومن الأعمال المزامنة تعليق قصيدة بليغة فى مدح الرسول ﷺ على محيط الحجرة الخارجى ، وتظهر فى الوقت الحاضر مكتوبة بخط الثلث المحفور بحروف

(١ ، ٢ ، ٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٥٦ ولم يكن البيتان مما قيل فى عهد السلطان عبد الحميد الأول ، فقد أنشدهما أحد الأعراب أمام المواجهة الشريفة فى حدود المائة الأولى من الهجرة ، انظر السمهودى : المصدر السابق ، جـ٤ ص ١٣٦١ .

(٤) انظر أدناه ص ٧٣ وما بعدها .

(٥) ذكر عبد السلام الداغستانى فى مخطوطة تحفة الدهر ونفحة الزهر فى أعيان أهل المدينة من أهل العصر ص٩٩ ميكروفيلم فى مركز البحث العلمى فى جامعة أم القرى بمكة برقم ١٠٣٥ تاريخ فى ترجمة خضر بن يحيى بن خضر عدة أبيات من قصيدة قال أنه أرخ بها الأعمال التى تمت فى المسجد النبوى سنة ١١٩١هـ وكان يرجى لو ذكر القصيدة كاملة لاتضحت الأعمال المذكورة .

عريضة على ألواح خشبية مستطيلة (٥٠×٢٥٠ سم تقريبا) . محيطة بجدار الحجرة الشريفة من أعلى المشبك الحديدى ، لم يظهر منها فى الوقت الحاضر إلا خمسة عشر قطعة ، باثنتى عشرة منها اثنا عشر بيتا من القصيدة المذكورة ، وفى قطعتين منها دعاء بالترضى عن العشرة المبشرين بالجنة [١] .

أما ما كان من أبيات القصيدة فى جدار المواجهة الشريفة فأبدل فى الوقت الحاضر بلوحات حديثة ، كما تم اخفاء ستة أبيات مما يلى الروضة ، وجدار الحجرة الشمالى والغربى ، بطبقة من الدهان لمغالاتها فى مدح الرسول ﷺ [٢] .

ونظرا لتشابه خصائص الخط فيما ظهر من أبيات القصيدة المذكورة ، مع ما تبقى فى المسجد النبوى من النصوص المملوكية ، فإن بالإمكان إرجاع القصيدة المذكورة بناء على الملاحظات السابقة ، إلى عهد السلطان قايتباى وما بعده . بيد أن تصريح أيوب صبرى فى موضعين بنسبتها إلى السلطان عبد الحميد الأول[٣] ، يدعو إلى الظن بأن تكون قد كتبت على يد مصرى ، محافظ على الكتابة بخط الثلث الثقيل ، ويتأكد ذلك بوضوح التأثيرات المملوكية فى العمارة والفنون العثمانية حتى وقت قريب جدا من تاريخ كتابة القصيدة المذكورة [٤] .

ومهما يكن من أمر ، فقد ظهر بعد ذلك بسبعة أعوام ، علامات تصدع فى المحراب العثمانى سنة ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م ، مما جعل المسئولين فى الحرم الشريف ، يسرعون بإبلاغ السلطان بخطورة الموضع [٥] .

ولذلك أرسل السلطان عبد الحيد الأول ، إلى المدينة شخصا متمرسا فى

---

(١) كتب فى اللوحة الأولى « اللهم ارض عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير » وفى الثانية وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم أجمعين » .

(٢) حرصت على عدم كتابة القصيدة مع قراءتى لأبياتها وعلى من أراد الإطلاع عليها كاملة مطالعة مرآة المدينة لأيوب صبرى ، جـ١ ص ٥٨٦ .

(٣) المصدر السابق ، جـ١ ص ٥٨٦ ، جـ٢ ص ٧٥٧ .

(٤) ربيع حامد خليفة : المرجع السابق ص ٢٠ وما بعدها ، عبد القادر الريحاوى : المرجع السابق ص ٢١٤ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر نفسه ، جـ١ ص ٤٧٧ .

الزخرفة والبناء ، تم فى حضوره اطلاع المسئولين فى المسجد النبوى ، على كيفية معالجة الخراب المذكور ، وأجمعت الآراء على ضرورة التجديد والترميم ، مع الإبقاء على النصوص الموجودة فى جدار المحراب فى عهد السلطان قايتباى [١] .

ورغم سكوت المصادر عن كيفية معالجة التلف الطارئ على المحراب العثمانى، فإن توزيع الكتابات بعد التجديد على يمين المحراب ويساره (الشكل ٢). تفيد بتجديد المحراب من أساسه ، ولولا تعرض المحراب العثمانى لمراحل من التجديد بعد هذا التاريخ[٢] ، لاعتبرت هيئته الحالية من إنجاز السلطان عبد الحميد الأول سنة ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م .

وتنفيذا لما اتفق عليه مع المسئولين فى المسجد النبوى الشريف ، أعيدت النصوص المملوكية فى مواضعها ، ورتبت فى سطرين على يسار المحراب (الشكل ٢) ونظرا للتشابه الكبير فى محتواها ، فإن الأمر يقضى بأن يكون أحدهما فى يمين المحراب والاخر عن يساره بقصد إبرازها ، غير أنه تبين لى بعد توزيع النصوص فى الشكل السابق ، بناء على ما صرح به أيوب صبرى[٣] ؛ أنهما فى الجهة اليسرى من المحراب العثمانى ، وقد جاء فى السطر الأول :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم ، « إنما يعمر مساجد الله ... عنده أجر عظيم»[٤] صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم ، « أمر بعمارة الحرم الشريف [الـ]ـنبوى بعد إحراقه فى ليلة صباحها عند ثالث عشر رمضان المعظم قدره جرى سنة ثمان مأة وثمانين ، سيدنا ومولانا العبد الفقير المعترف بالتقصير الراجى عفو ربه القدير خادم الحرمين الشريفين الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره ، وذلك بنظارة [الـ]ـعبد الفقير محمد بن [الـ]ـزمن ، [وشاد][٥]

---

(١) المصدر نفسه ، جـ١ ص ٤٧٨ .

(٢) انظر أدناه ص ١٢٩ .

(٣) المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٩ وما بعدها .

(٤) سورة التوبة آية رقم ١٨ .

(٥) جاءت وإنشاد وصحتها ما أثبته .

العمارة بالحرمين الأمير سنقر الجمالى ، وذلك فى [أيام][1] الأمير[2] شيخ الحرم الشريف غفر الله لهم »[3].

٢ ـ وتحت هذا النص ما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أن الذين ينفقون أموالهم ... واسع عليم »[4]، صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم ورضى الله عن الصحابة أجمعين ، أمر بعمارة هذا الحرم الشريف النبوى المعظم من فضل الله تعالى الفقير الملك المعترف بالتقصير الراجى عفو ربه القدير قايتباى وناظر العمارة محمد بن الزمن بمباشرة قاسم الفقير شيخ الحرم وأمير السادات الجمالى سنقر غفر الله لهم ، وكان الفراغ من هذا الحرم الشريف فى شهر رمضان سنة ثمان مأة وثمانين»[5].

أما الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، والنصوص المكتوبة بعد التجديد سنة ١١٩٨هـ / ١١٨٣م ، فإن بعضا منها ما زال قائما على جانبى المحراب ، مع الاعتقاد بتجديدها فى أوقات تالية ، وقد كتب فوق عقد المحراب ، ما يلى :

٣ ـ بسم الله الرحمن الرحيم ، ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ... وكفى بالله وكيلا »[6] ثم « بسم الله الرحمن الرحيم ، إنما يعمر مساجد الله .... إلى من المهتدين »[7] ثم اللهم شفع هذا النبى فى مجدده السلطان عبد الحميد خان نصره الله »[8].

---

(١) جاء فى الأيام وصحتها ما أثبته .

(٢) يقتضى المعنى أن يدعى الأمير الذى سمى فى النص الثانى سنقر .

(٣) أيوب صبرى : مرآة المدينة ، جـ١ ص ٤٨٠ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٦١ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٨٠ .

(٦) سورة العنكبوت آية ٤٨ .

(٧) سورة التوبة آية ١٨ .

(٨) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٩ .

٤ ـ ومكتوب على الجهة اليمنى من المحراب : « **بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك فى السماء .... إلخ** »[(١)].

وفوقه « **قال رسول الله ﷺ إن سركم أن تقبل صلواتكم فيؤمكم ... إلخ**»[(٢)]. وعلى جانبى هذا الحديث الشريف بعض أسماء النبى ﷺ .

٥ ـ وفى مقابل هذا الحديث على يسار المحراب مكتوب : « **قال رسول الله ﷺ ، أقيموا صفوفكم .. إلخ** »[(٣)] وفى أطراف هذا الحديث الشريف بعض أسماء النبى وبعض المدائح المشهورة .

٦ ـ وفى وسط النصين المملوكيين رقم ١ ، ٢ « **بسم الله الرحمن الرحيم ، والضحى والليل ... وأما بنعمة ربك فحدث** »[(٤)] « **صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ورضى الله عن سادات (كذا) أصحاب رسول الله أجمعين** » .

٧ ـ وكتب فى نهاية النص المملوكى الأول قصيدة الإمام الوترى[(٥)] ومطلعها:

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٤ .

(٢) رواه الطبرانى فى الجامع الصغير ورمز له بالضعف ولفظه : « إن سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم علماؤكم فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم » . وفى رواية : « إن سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم علماؤكم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم » انظر محمد ناصر الدين الألبانى : ضعيف الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامى بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م جـ٢ ص ٤ . الحديث رقم ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ .

(٣) رواه أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنه باختلاف بسيط فى لفظه ونصه : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدى أخوانكم ولا تذروا فرجات للشيطان ومن وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله » انظر سنن أبى داود ـ إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، الطبعة الأولى دار الحديث بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م جـ١ ص ٤٣٣ الحديث رقم ٦٦٦ .

(٤) سورة الضحى .

(٥) هو مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الوترى البغدادى توفى سنة ٩٨٠هـ انظر يوسف ابن إسماعيل النبهانى المجموعة النبهانية ، الطبعة الأولى القاهرة ، جـ١ ص ٤١١ .

بنو رسول الله أشرقت الدنا   ففى نوره كل يجيئ ويذهب

ثم كتب فوقها فى سطر طويل ما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وإذا يتلى إبراهيم ... الركع السجود » [١] ثم **« إذ قال إبراهيم ... أنت السميع العليم »** [٢] ثم **« إذ قالت امرأة عمران .... وضعتها أنثى »** [٣] ثم **« سلام قولا من رب رحيم »** [٤] **« ربنا واجعنا مسلمين لك إلى آخر الآية »** [٥] ثم **« سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعلمون »** [٦] ثم **«هناك دعا زكريا ربه ... عاقر »** [٧] وبعدها **« سلام عليكم بما صبرتم فنعمى عقب الدار »** [٨] ثم **« قال كذلك الله يفعل ما يشاء ... إلى واركعوا مع الراكعين»** [٩] **صدق الله العظيم كتبه الفقير نقشى الاسكندرانى سنة ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م** [١٠].

أما التجديدات التالية ، فنظرا لاحتياج باب جبريل إلى شىء منها ، فقد بنى سنة ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م بالقوة والمتانة ، ولبست جوانبه بالرخام الملمع [١١]. وبناء على طريقة ترتيب الآيات الشريفة ، والمدائح النبوية المكتوبة مع تأريخ العمارة ، على جدران الباب المجدد ، فإن الأمر يتأكد بتجديد هذا الباب من أساسه مما يؤيد قول أيوب صبرى أنه فاق بقية أبواب المسجد النبوى الشريف [١٢].

وكان وضع النقوش على عتب الباب وجدرانه كالتالى : فوق عتب الباب بعد البسملة **« وإنه لتنزيل رب العالمين ... من المنذرين »** [١٣] ومن يمين عتب الباب

---

(١) سورج الحج آية ٢٦ .
(٢) سورة البقرة آية ١٢٧ .
(٣) سوة آل عمران آية ٣٦ .
(٤) سورة يس آية ٥٨ .
(٥) سورة البقرة آية ١٢٨ .
(٦) سورة النحل آية ٣٢ .
(٧) سورة آل عمران آية ٤٠ .
(٨) سورة الرعد آية ٢٤ .
(٩) سورة البقرة آية ٤٣ .
(١٠) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٩ .
(١١ ، ١٢) المصدر نفسه ، جـ٢ ص ٨٦٨ .
(١٣) سورة الشعراء آية ١٩٤

إلى شماله بعد البسملة « **قل من كان عدو لجبريل ... للمؤمنين** »[١] ، « **قل نزل به روح القدس من ربك** »[٢] ، « **جنات عدن مفتحة لهم الأبواب** »[٣] ثم بيت شعر فى مدح النبى ﷺ وفى نهايته « **سلام عليكم ... فادخلوها خالدين** »[٤] .

وعلى الجدار الأيمن كتب « **أمر بعمارة هذا الحرم الشريف النبوى حضرت مولينا (كذا) السلطان عبد الحميد خان بنظر المعتمد الحاج محمد سلاحشورى ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م** »[٥] .

كما أجريت فى نفس السنة أيضاً ، تعميرات فى بعض أجزاء الروضة المطهرة ، قام بها الحاج محمد آغا[٦] ، ويفهم من اسناد العملين الواقعين فى سنة ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م إلى الناظرين المذكورين ، بأنهما ليسا فى وقت واحد من العام المذكور .

ومهما يكن من أمر ، فإن تجديد الباب الخشبى الواقع يسار المحراب النبوى[٧] ، زامن بعض الأعمال السابقة ، وكذلك كتابة الحديث التالى على جدار المواجهة ، «**شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى**»[٨] . وكلمة « **لا اله إلا الله الملك الحق المبين**»[٩] ، ثم كتابة تأسيسية نصها ، « **عمره السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م** »[١٠] .

هذا عن الأعمال التى قام بها السلطان عبد الحميد الأول ، على مدى ثلاثة أعوام ، وقد تركزت فى مجملها فى تجديد المحراب العثمانى ، والمواجهة الشريفة ، وبعض الأجزاء من سقف الروضة المطهرة ، وكذلك باب جبريل عليه السلام . وقد تميزت بالمحافظة على إعادة النصوص المملوكية القديمة ، وإضافة عدد من النصوص التأسيسية .

---

(١) سورة البقرة آية ٩٧ .

(٢) سورة النحل آية ١٠٢ .

(٣) سورة ص آية ٥٠ .

(٤) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٥ ـ ٧) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٩ ، جـ٢ ص ٧٥٦ .

(٨) رواه أبو داود فى كتاب السنة باب فى الشفاعة . انظر سنن أبى داود جـ٥ ص ١٠٦ إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس ، الطبعة الأولى ، دار الحديث حمص ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٩ ، ١٠) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص٧٥٦

١٣ - اعمال السلطان سليم خان الثالث
١٢٠٣/١٢٢٢هـ - ١٧٨٨/١٨٠٧م

لم تتوفر معلومات كافية عن قرار السلطان سليم الثالث ، بتغطية النصف السفلى من اسطوانات الروضة بالرخام سنة ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م ، إلا ما جاء بإحدى الوثائق العثمانية ، من تلف القاشانى الموضوع فى عهد السلطان عبد الحميد الأول[١]، على اسطوانات الصف الأول من الروضة المطهرة [٢]. وتدل الوثيقة على أن الرخام أرسل من مصر ، بيد أن نحت الرخام المذكور بالدقة والمهارة التى نراها فيما تبقى منه اليوم* ، يدل على أن نحته ونقله إلى المدينة المنورة استغرق وقتا وجهدا كبيرين ، كما يتقوى الاعتقاد بنحته فى مصر ، بعد أخذ القياسات الدقيقة لمحيط اسطوانات الروضة البالغ عددها ١٢ اسطوانة [٣]، بما ذكرته بعض المصادر من إتمام العمل سنة ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م [٤].

ورغم غموض دوافع هذا الإجراء من السلطان سليم الثالث ، فإن فى نقش القصيدة التركية المنسوبة إليه ، على الأجزاء العليا من الرخام المذكور[٥]، ما يشرح الرغبة التى درج عليها السلطان فى نقش بعض قصائده على العمائر المنشأة فى عهده[٦]، ولهذا أمر بتخليد مدحه للرسول ﷺ ، بنقش القصيدة المعدودة من روائع الأدب العثمانى[٧]، والمكونة من ٢١ بيتا مكتوبة بالحفر البارز ، فى إطار مستطيل بالجزء العلوى ، من قطع الرخام الموضوعة على النصف الأسفل من اسطوانات الروضة بارتفاع ١٣٠ سم تقريبا[٨]، ونظرا لخلو اسطوانات المسجد الشريف، قبل

(١) انظر أعلاه ص ٦٤ .

(٢) الوثيقة رقم ٩٥/١٩٨ دفتر المهمة ورقمها فى الدارة بعد الترجمة د ١/١٦ .

* أستبدل فى عهد الملك فهد برخام جديد نقش وزخرف على هيئة الرخام القديم واستبعدت منه القصيدة العثمانية .

(٣) أيوب صبرى ، المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٤٤ وما بعدها .

(٤ ، ٥) المصدر نفسه ، جـ٢ ص ٧٥٧ .

(٦) Good win : op. cit., p. 404 .

(٧) صرح بذلك أحد الشعراء الأتراك ممن يجيد العربية والعثمانية بشكل جيد .

(٨) أى حوالى ذراعين كما يذكر صبرى فى المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٥٧ .

عمارة عبد المجيد من قواعد بارزة[١]، على عكس ما نراه اليوم فى كثير منها ، فإن القياس المعطى من البرزنجى معقول جدا بالنسبة لما لبس منها اليوم ؛ إذ جاء فى وصفة لها قبل عمارة عبد المجيد بأنها ملبسة بالرخام إلى منتصفها تقريبا [٢].

أما طريقة توزيع أبيات القصيدة فمنها أربعة أبيات على الأسطوانة الأولى من المنبر ، ثم أربعة أبيات على التى تليها ، ومثلها على الثالثة والرابعة ، وبكل من الاسطوانات الخامسة[٣] والسادسة من الصف الأول وخمس من الصف الثانى[٤] بيتان فقط ، وبيت واحد على الاسطوانة السادسة المجاورة لمشبك الحجرة . وبالتمعن فى أجزاء الرخام الموضوع على اسطوانات الروضة ، تبين لى أنه مؤلف من قطع متماثلة فى الزخرفة والقياس بكل منها أربع قطع فقط (الشكل ٢٢) . ولم يقتصر وضع الرخام زمن السلطان سليم الثالث على الصفين المذكورين بل لبس الصف الثالث من اسطوانات الروضة برخام مماثل ، تلف معظمه فى عمارة السلطان عبد المجيد [٥].

ولبست أيضاً الأسطوانات المحيطة بالحجرة الشريفة ، والاسطوانات الواقعة بحذاء المنبر والمحراب وما قابلها مما يلى جدار القبلة .

ومما يسترعى الانتباه ، أسناد السلطان سليم الثالث ما تم فى المسجد النبوى سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م من أعمال ، إلى والى الشام عبد الله باشا بعد سقوط مصر فى يد الفرنسيين سنة ١٢١٣ - ١٢١٦هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠١م[٦]. وقد أسند الوالى المذكور أمانة البناء إلى حافظ إسماعيل المدنى ، الذى جدد بناء باب جبريل

---

(١) Burckhard : op. cit., p. 330 .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٣) تعرف باسطوانة السرير .

(٤) تعرف الرابعة منها باسطوانة المحرس .

(٥) انظر أدناه ص ١٢٧ .

(٦) عبد الرحمن الجبرتى : تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، الطبعة الثانية دار الجيل بيروت ١٩٧٨م ، جـ٢ ص ١٨٠ .

وكسى جدرانه الجانبية وجدران محراب التهجد ، بالخزف التركى الجميل [١].
كما جاء فى بعض الوثائق تجديد الزجاج البلورى فى بعض نوافذ جدار القبة الشريفة سنة ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م [٢]. وطلب محافظ المدينة يوسف باشا من السلطان سليم الثالث ، إرسال مكلسين وحجارين وكميات كافية من الرخام ، لإصلاح التلف الذى حل ببعض جوانب سقف المسجد النبوى ، والحجرة المعطرة وإحدى المنائر من أثر الأمطار المتكررة [٣]. وتدل التعليمات المكتوبة على بعض حواشى الوثيقة ، أن المواد المطلوبة سترسل عن طريق والى الشام مع بقية الفعلة ، مما يدل على أن العمل قد تم سنة ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م، بناء على ما صرحت به الوثيقة رقم ٤٣٣١ فى الفقرة ٩ ـ ١٢ فقد جدد الرخام المبسوط فى الحجرة الشريفة ، ونصف أرضية المسقوف من الحرم الشريف ، واستمر العمل فى النصف الآخر ، أما قطع الأحجار السوداء المفروشة فى مصلى النساء ، داخل الظلة الشرقية الممتدة من باب النساء إلى مؤخرة المسجد الشريف ، فأعيد رصفها بعد تجديد التالف منها . وأبدلت الأحجار فى الجزء الممتد من باب السلام إلى باب الرحمة، وحتى مؤخرة الحرم الشريف [٤]. كما جدد رخام المحراب المجاور لدكة الأغوات مما يلى باب النساء وجددت دكته [٥]، وكذلك الرخام المتساقط خارج باب السلام، وأعلى المحراب النبوى والسليمانى [٦]، والدواليب المتصلة بمقدم الروضة [٧]، ورممت كذلك الاسطوانات المتهالكة فى الحجرة الشريفة ، وأطراف الحرم المختلفة وكذلك الأعتاب المحمولة عليها ، ورمم أيضًا ما كان بداخل المنارات الخمس وخارجها من تصدع ، وأبدلت الأخشاب التالفة وغطيت جدرانها بالجص [٨].

---

(١) أيوب صبرى ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٥٧ .
(٢) الوثيقة رقم ٤٣٣٨ مؤرخة ١٢١٤ ، ١٢١٥ رقمها فى الدارة بعد الترجمة ٢/١ ـ ٥ .
(٣) الوثيقة نفسها ، الفقرة رقم ١١ .
(٤) الوثيقة رقم ٤٣٣١ G ، رقم الدارة ٨/٢ ـ ١٠ .
(٥) الوثيقة رقم ٤٣٣٨ ، رقم الدارة ٢/١ ـ ٥ فقرة رقم ٩ .
(٦) الوثيقة نفسها فقرة ١٠ .
(٧) الوثيقة رقم ٤٣٣١ G ، رقم الدارة ٢ / ٨ ـ ١٠ فقرة ١ .
(٨) الوثيقة رقم ٤٣٣٨ فقرة ١١ .

كما رممت الشقوق الطارئة على سطوح المسجد الشريف ومناوره الثلاثة ، إلا أن الأوسط منها هدم وأعيد بناؤه بأخشاب محكمة « وسطر عليه التاريخ واسم الغازى السلطان سليم خان » [١].

وبناء على ما صرحت به الوثيقة ، فإن التجديدات والترميمات المذكورة انتهت فى أواخر جمادى الثانية سنة ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م[٢]، وأن المصروف عليها ٨٣٢٧قرش[٣]، أى ثمانمائة وثلاثون ليرة عثمانية ذهبية وسبعة وعشرون قرشا [٤].

---

(١) الوثيقة نفسها فقرة ١٢ ، الوثيقة رقم ٤٣٣١ G فقرة ٣ .

(٢) الوثيقة رقم ٤٣٣٨ فقرة رقم ١٥ .

(٣) الوثيقة نفسها فقرة رقم ١٤ ، الوثيقة رقم ٤٣٣١ G فقرة رقم ٣ .

(٤) عبد الفتاح حسن أبو علية ، النقود والموازين والمقاييس فى منجق الحسا فى العهد العثمانى ، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمى الأول للجنة العربية للدراسات العثمانية تونس ١٩٨٤م ، الطبعة الأولى بالرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ١٠ .

١٤ - أعمال السلطان محمود الثاني
١٢٢٣ - ١٢٥٥هـ / ١٨٠٨ - ١٨٣٩م

اهتم السلطان محمود الثانى، بترتيب ما يرسل لأهل الحرمين، من قبل الدولة العثمانية من الأشياء العينية والنقدية ، فقام محمد على باشا فى عهده، بتكليف والى جده ومحافظ المدينة بحصر سكان المدينتين(١) . الأمر الذى مكن السلطان من وضع قواعد جيدة لمديرية الخزينة الحكومية بالمدينة المنورة ، يتم بموجبها استلام مستحقات الأفراد السنوية من أمين الصرة ، ثم تسليمها مجزأة إلى أصحابها كل شهر ، بموجب سجلات دقيقة تنظم واردات الخزينة ومصروفاتها (٢) . وعليه فقد حمى السلطان بعمله هذا ، كثيرا من سكان المدينة المنورة من الإفلاس ، الذى كان يداهمهم بعد شهور قليلة ، من قدوم المحمل المصرى والشامى فى نهاية العام الهجرى ، كما مكن الأرامل وصغار السن ، ممن ورثوا وظائف آبائهم(٣) ، من الحياة بعزة وكرامة ، وحماهم من بيع حصصهم السنوية للتجار والموسرين من أهل المدينة وغيرها (٤) .

هذا من حيث الاهتمام بسكان المدينة وترتيب معاشهم ، أما العناية بالمسجد النبوى فتمثل فيما أولاه السلطان محمود الثانى ، من عناية كبيرة لإصلاح القبة الشريفة ، وما جاورها من مقدم المسجد النبوى الشريف ، فى مرحلتين متتاليتين . فإن بعض المصادر أفادت بوقوع أعمال يسيرة فى حدود سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م، على يد كاتب ديوان مصر طاهر أفندى(٥) ، الذى عين من قبل السلطان محمود أمينا للبناء ، وبناء على ما وصلنا مما دون فى نهاية العمارة ،على بعض جدران المسجد النبوى وأبوابه من نقوش، وما هو متبق منها الآن ، فإن أيا منها لم يصرح

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٥٨ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٢ ص ٧٦٠ .

(٣) كانت الوظائف فى المسجد النبوى طيلة العصر العثمانى تنتقل بالوراثة إلى الأبناء وبقية الورثة حسب القرابة كما صرحت به بعض الوثائق والمصادر المعتمدة . انظر أدناه ص ٣٩١ ، ٤٠٧ .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٥٨ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٦١ .

بتجديد أى من القبتين المنشأتين فوق القبور الشريفة ، من عهد السلطان قايتباى المملوكى [١]. إلا أن طريقة وضع بعض النصوص بعد العمارة المذكورة ، « على الباب الخشبى الواقع طرف المرقد النبوى »[٢] . وما هو بارز حاليا فوق شباك المواجهة الشريفة ، فى الطغرى العثمانية المتضمنة اسم وتوقيع السلطان ، تحت عبارة « عمّر السلطان محمود سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م» [٣]. يفيد بأن التجديد المذكور ، تركز فى إصلاح بعض جدران القبة الداخلية الحاوية للقبور الشريفة ، مع تكسية جدران الحجرة الخارجية بالبلاطات الخزفية ذات الطلاء الأزرق القاتم . ويدعم هذا الرأى ما تبقى حول اسم السلطان وتوقيعه من بلاطات خزفية ، وما صرح به أيوب صبرى من إقامة « جدار حول الجدار الذى أقيم فى عهد عمر بن عبد العزيز »[٤]، والموجود حاليا ضمن جدران القبة الصغرى .

ومن الأعمال المزامنة ترميم باب جبريل ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م، بناء على ما صرحت به بعض المصادر من وضع النصوص التالية يمين ويسار الباب ، ففى الجانب الأيمن من داخله ثبت لوح من الرخام مكتوب فيه ، « **عمر السلطان الغازى محمود خان نصره الله تعالى سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م** »[٥]. وداخل الجانب الأيسر لوح آخر منقوش عليه ، « **عمر الحرم الشريف أمين البناء كاتب الديوان المصرى محمد طاهر سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م** » [٥].

وقد لاحظ بوركهارت سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٥ ترميم الظلة الشمالية من

---

(١) يخالف هذا ما ذكره أيوب صبرى فى المصدر السابق جـ٢ ص ٧٦١ من أن طاهر أفندى قرر مع أهل المدينة أنشاء قبة فوق الحجرة الشريفة .

(٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٦١ وقد تضمن حديث ضعيف يحث على الزيادة وفى آخره عبارة « كتبه الفقير إلى ربه قونامجى زاده إبراهيم النقشى سنة ١٢٢٨هـ »

(٣) قراءة الباحث ، انظر صالح لمعى مصطفى ، المرجع السابق ، ص ١٢٥

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٦١ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٦١ .

المسجد ، وخفض أرضيتها المرتفعة نسبيا[١] ، بمستوى الظلات الأخرى[٢] . وتأكد ذلك فى التقرير المقدم إلى والى مصر ، عما تم فى المسجد سن ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م من أعمال [٣] .

أما أهم الأعمال التى أتمها السلطان محمود الثانى سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م، فتركزت فى تجديد القبة الشريفة ، على أثر عودة الشروخ التى عالجها من قبل طاهر المصرى سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م. فأرسل لها من استانبول المدرس بدار الهندسة الهمايونية حسين رفقى أفندى ، بمرتب شهرى قدره ألف قرش، ووضع تحت تصرفه مائة ألف قرش[٤] ، وكمية من الأخشاب والمسامير [٥] . ونظرا لقيام مصطفى رشيد أفندى بأداء فريضة الحج فى تلك السنة ، فقد كلف بالذهاب إلى المدينة المنورة لمعاينة القبة الشريفة وتقديم تقرير عنها ، وقد دخل فور وصوله المدينة، مع شيخ الحرم قاسم آغا ومحافظ الشام حافظ على باشا إلى الحجرة الشريفة، ودققوا النظر فى القبة فوجدوها متشققة « من أحد عشر أو اثنا عشر موضعا » [٦] ، ومما يسترعى الانتباه إطلاع مندوب العاصمة ، على القرار الذى اتخذه أمين البناء بتجديد القبة ، إلا أن موته بعد بداية أعمال التجديد بوقت قصير، دعا المسئولين فى المدينة المنورة إلى إيداع المبلغ المتبقى فى عهدته ، والمقدر بحوالى ٨٢٠٠٠ قرش[٧] ، فى خزينة الحرم النبوى وتكليف المهندس أحمد أفندى الإسلامبولى بتولى أمانة البناء [٨] .

وبناء على ما فصله أحد المشاركين فى إدارة البناء[٩] ، فإن مصر كلفت بتأمين

---

(١) كان هذا الارتفاع من عهد عمارة قايتباى الثانية .

(٢) Burck hard , op. cit., p. 340 .

(٣) الوثيقة رقم ١٢ فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٣٣هـ محفظة رقم ٤ بحرير / محافظ الحجاز .

(٤) الوثيقة رقم ١٥٠ فى ٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٣١هـ محفظة رقم ٤ بحرير / محافظ الحجاز .

(٥) وثيقة رقم ٦٩٨٨ سنة ١٢٣٢هـ أرشيف مجلس الوزراء / خط الهمايون .

(٦) الوثيقة رقم ٢٧٠٩٢ سنة ١٢٣٢هـ أرشيف مجلس الوزراء / خط الهمايون ، وانظر أيضا الوثيقة رقم ٢٦٩٧٩ سنة ١٢٣٢هـ أرشيف مجلس الوزراء ، تصنيف خط الهمايون .

(٧) أى ٨٢٠ ليرة عثمانية ذهبية .

(٨) الوثيقة رقم ١١٢ فى ١٥ ذى الحجة سنة ٢٣٣هـ محفظة ٥ بحرير / محافظ الحجاز .

(٩) شاكر الترجمان الفارسى : « قبة سعادة تعميرنه دائر رسالة » مخطوط بمكتبة جامعة استانبول برقم ٦٦٨٤ تاريخ تركى .

متطلبات العمارة ، من الخشب والحديد والمسامير والزجاج والصباغ وقماش الكتان بالإضافة إلى شحن ٢٠٠٠٠ حمل من الجبس[١] من ميناء السويس إلى ميناء ينبع ، وقد استغرق إعدادها ونقلها إلى المدينة ستة أشهر[٢] هذا فضلا عن إعداد الكلس والأجر فى المدينة المنورة [٣].

وبناء على المعطيات السابقة ، بدأ العمل فى تمام الساعة الواحدة من الرابع عشر من ربيع الأول سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م، فى هدم جزء من الجدار الشرقى مما يلى شباك جبريل عليه السلام، بقصد إدخال الأخشاب والمؤنة اللازمة للبناء ، ثم سد فى اليوم الثالث لاعتبارات أمنية [٤]. كما أخذت الاحتياطات اللازمة فى حماية موضع القبور الشريفة من الأتربة والغبار، بفرش ستارة خضراء على القبة الداخلية المنشأة فوق القبور الشريفة زمن السلطان قايتباى [٥]. وفتح شباكان من الشبابيك الأربعة المحيطة بالجزء المربع من رقبة القبة، وأدخلت جذوع النخل الطويلة من الشباك الشرقى إلى الشباك الغربى، بقصد تدعيم السقاله المنشأة فى اليوم الثانى بين شبابيك الصف الأول، المحيطة برقبة القبة والبالغ عددها ١٦ شباكا . وذلك بإدخال جذوع النخل الطويلة بين ثمان منها ، ثم تزويد الأخشاب بين الشبابيك المذكورة فى اليوم التالى ، وربطها ببعضها وتغطيتها بغصون النخل وفرش الحصير، وفوق ذلك كله مشمع قوى وأقمشة كتانية [٦].

ويفهم مما ذكره مترجم العمارة المذكورة ، أن الشروخ الطارئة على القبة الشريفة قد وصلت إلى الصف المكون من ١٦ شباكا . محيطة برقبة القبة على

---

(١) شاكر الترجمان المصدر نفسه ، ص ١ ، وتذكر الوثيقة رقم ٢٦٩٩٦ سنة ١٢٣٢هـ أرشيف رئاسة مجلس الوزراء / تصنيف إدارة داخلية أن الجبس المرسل من مصر كان ألف غلالة .

(٢) شاكر الترجمان : المصدر السابق ص ١ .

(٣) الوثيقة السابقة رقم ٢٧٠٩٢ سنة ١٢٣٢هـ تصنيف الإرادة / داخلية .

(٤) شاكر الترجمان : المصدر السابق ، ص ١ .

(٥) قدرت مساحتها ٤٤٨ ذراع ، انظر شاكر الترجمان : المصدر السابق ص ٢ .

(٦) شاكر الترجمان : المصدر السابق ص ٣ ، وانظر الوثيقة السابقة رقم ٢١٩٩٦ .

عمق ١٨٫٥م تقريبا من قمتها [١]، الأمر الذى دعا المهندسين المنتمين إلى مصر ومكة والمدينة والهند وبعض البلاد الأخرى[٢]، إلى الإجماع على ضرورة هدم الجزء العلوى من القبة الشريفة حتى موضع السقالة المذكورة . وتفيد المعلومات بأن نزع الهلال من أعلاها تم فى الساعة الخامسة وثلاث دقائق من اليوم الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م[٣]، وأن الخزف الأخضر الذى كان يغطى سطح القبة قد وضع على بعض الأساطين بداخل المسجد [٤].

وبحضور المهندسين تم فتح القبة من أعلاها ، بحذر شديد فى الحادى عشر من شهر جمادى الأولى ، ثم فكك الطوب المعقود به القبة حتى مستوى الصف المؤلف من ١٦ شباكا ، فى الجزء المكون من ١٦ ضلعا محيطة برقبة القبة ، وتمت عملية الهدم ونقلت المخلفات فى ٢١ جمادى الآخرة [٥].

ويدل ما صرح به مترجم العمارة ، أن الشبابيك المحيطة برقبة القبة فى صفين، قد أعيدت كما كانت فى العمارة المملوكية ، بعد وضع خشب السدر كعتب للصف الأول منها بطول ٢٠٠ × ١٦ سم تقريبا[٦]. ومثل ذلك ما استخدم من شجر الحضيل[٧] فى عتب الصف الثانى المكون من ٣٢ شباكا[٨]، كل شباكين فوق شباك من الستة عشر شباكا السابقة .

وفى اليوم الثالث عشر من شهر شعبان ، بدأ البناء باستخدام الخشب

---

(١) أى حوالى ٢٨ ذراع . انظر شاكر الترجمان : المصدر السابق ، ص ٣ ، وكذلك الوثيقة السابقة رقم ٢٦٩٨٨ تصنيف خط الهمايون .

(٢ ، ٣) المصدر نفسه ، ص ٢ ، ٤ .

(٤) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٦ ، ولا يعرف متى أبدل الرصاص المفروش على سطح القبة بهذا النوع من الخزف .

(٥) شاكر الترجمان : المصدر السابق ، ص ٨ .

(٦) أى حوالى ٣ أذرع × ذراع .

(٧) قال ابن منظور فى لسان العرب جـ١١ ، ص ١٥٥ : أن الحضيل هو جذع النخلة إذا فسدت عروقها وتساقط سعفها .

(٨) شاكر الترجمان : المصدر السابق ، ص ٨ .

والحديد والجبس ، في ربط مداميك الجزء المجدد من القبة ، والمبنية من الأجر المثبت بالجبس والنورة [١]، ويتدرج قطاع الجزء المجدد من القبة ، فعرضه مما يلي الشبابيك المحيطة برقبة القبة حوالى ١٣٠ سم[٢]، ويؤيد ذلك ما ذكره البرزنجي سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م ؛ من أنه لا يتأتى النظر من النوافذ المذكورة إلى داخل الحجرة الشريفة ، « إلا لمن مد رأسه مدا زائدا »[٣]. وعرضه عند تقوس القبة حوالى ٨٠ سم[٤]، وعرض ما فوقها حوالى ١٨ سم [٥]. وغطيت القبة من الخارج بستمائة قطعة من الرصاص[٦]، ثم أعيد تركيب الهلال عليها .

ويوحي شكلها الحالي باختلافها بعض الشيء ، عما تتميز به القباب المملوكية من ارتفاع ملحوظ في الرقبة ، كما يلاحظ في قبة مدرسة السلطان قايتباي بقرافة مصر[٧]، وغيرها من قباب العصر المملوكي ، مما يؤيد القول بأن ارتفاع القبة الشريفة اختصر في هذه العمارة [٨].

ولهذا فإنها مزيج من العمارة المملوكية والعثمانية ، وإن كان يغلب عليها اتصافها بالسمات المملوكية ، عند مقارنتها بالمشهور من قباب المساجد العثمانية عامة ، وقباب المسجد النبوي خاصة . ويدعم هذا ما لاحظه البرزنجي سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م، من وجود اسم السلطان المملوكي قايتباي ، في جهتها الغربية من الداخل ، في نص طويل لم يظهر له منه إلا ما يلي : « **أنشأ هذه القبة الشريفة العالية المعترف بالتقصير الراجي عفو ربه القدير قايتباي** » [٩].

---

(١) انظر ما جاء في ص ٧٩ عن الجبس المرسل من مصر والجير المحروق في المدينة .

(٢) أي حوالى ذراعين . شاكر الترجمان : المصدر السابق ، ص ٩ .

(٣) نزهة الناظرين ، ص ٦٩ .

(٤) حوالى ذراع وست أصابع .

(٥) أي حوالى ١٨ أصبع ، انظر شاكر الترجمان : المصدر السابق ص ٩ .

(٦) شاكر الترجمان : المصدر السابق ، ص ٩ .

(٧) صالح لمعي : التراث المعماري في مصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص ٢٦٥ .

(٨) محمد هزاع الشهري : المرجع السابق ، ص ٣٣٧ .

(٩) المصدر السابق ص ٧٠ ، إبراهيم رفعت : المصدر اسابق جـ١ ص ٤٧٤ .

أما الزخارف الكتابية فى الجزء المجدد من القبة ، فيتوسطها اسم السلطان محمود الثانى ، واسم محمد على باشا وابنه إبراهيم باشا [١] ، كما أن الآية الكريمة « **كل يعمل على شاكلته** »[٢] ، منقوشة بماء الذهب فى وسط القبة على شكل دائرة[٣] ، **ثم آية الكرسى**[٤] ، فى شكل دائرة ثانية[٥] **ومن بعدها اسم السلطان محمود الثانى** بخط جلى[٦] .

كما نقشت بعض الكتابات خارج القبة ، على جدران باب جبريل بعد إنتهاء العمارة المذكورة ، منها قصيدة باللغة العربية مكونة من ثمانية أبيات ، يتطلب الأمر بناء على حدوث العمارة فى هذا الجانب ، أن تكون مع بقية النصوص التالية قد وضعت على جدار القبلة خارج باب جبريل . لا باب السلام ، كما يقول أيوب صبرى[٧] . وكتب على يمين القصيدة النص التالى على شكل قرص الشمس « **قد كان الوكيل بالعمارة (كذا) الحرم الشريف النبوى والى مصر محمد على باشا أدام الله إجلاله آمين** »[٨] .

وتحته بنفس الطريقة بيت من الشعر فى مدح الرسول ﷺ نصه :

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم[٩] .

وفوقه نقش آخر على شكل قرص الشمس أيضًا نصه : « **ما شاء الله كان ، هذا باب كليم الله سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م** »[١٠] وفوق باب جبريل كتب «**هذه العمارة للحرم الشريف النبوى فى أيام إبراهيم باشا والى جدة ومحافظ المدينة سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م** »[١١] ، وفى نهايته على شكل قرص الشمس

---

(١) على بن موسي : المصدر السابق ص ٦٦ .
(٢) سورة الإسراء آية ٨٤ .
(٣) شاكر الترجمان : المصدر السابق ص ٩ .
(٤) سورة البقرة آية ٢٥٥ .
(٥) شاكر الترجمان : المصدر السابق ص ٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٩ .
(٧) المصدر السابق جـ٢ ص ٧٦٣ .
(٨) أيوب صبرى : المصدر نفسه ، جـ٢ ص ٧٦٣ .
(٩) هو البيت رقم ٣٦ من قصيدة البردة ، انظر بدر الدين الغزى : المصدر السابق ص ٦٥ .
(١٠ ـ ١١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٤ ص ٧٦٣ .

أيضاً بيت ثان فى مدح الرسول ﷺ نصه :

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم [١]

ثم نقش آخر فوق البيت السابق، على نفس الهيئة السابقة : « **وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا** »[٢]، **صدق الله العظيم ورسوله الكريم** »[٣] وفوق هذا على شكل الأنماط السابقة « **ما شاء الله كان هذا باب كليم الله** » [٤]. **ثم أعيد تحتها نقش قديم يعود إلى السلطان المملوكى الأشرف قايتباى** [٥].

هذا عن عمارة القبة وزخارفها ، أما المعلومات التى أمدنا بها شاكر الترجمان، عن أجور العمال ونوعياتهم ، بناء على تكليفه بحصر المشاركين فى هدم القبة وبنائها ، فقد تبين منها اسهام معظم موظفى الحرم النبوى الشريف ، من فراشين وخدام ومؤذنين ومدرسين فى هذا العمل ، بالإضافة إلى مشاركة بعض المجاورين والمقتدرين من سكان المدينة وأشرافها ، وبعض الفرق العسكرية ، مما سهل على القائمين بالعمارة ، سرعة الإنجاز فى زمن قياسى لم يكن متوقعا من قبل ، الأمر الذى حدا بالسلطان محمود إلى منح كل من ساهم فى عمارتها، مائتين وخمسين قرشا [٦] ، كما أن ذكره لبعض الأجور اليومية جاءت على النحو التالى[٧] :

٨ قروش لمهندس العاصمة .

٥ قروش لبقية المهندسين .

٤ قروش للمعلمين .

٣ قروش لمن دونهم من الفعلة .

٦٠ قرش لسائر الحراس .

---

(١) هو البيت رقم ٣٨ من قصيدة البردة ، انظر بدر الدين الغزى : المصدر السابق ص ٦٦ .

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٨٠ .

(٣ ، ٤ ، ٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٦٣ .

(٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٧ .

(٧) شاكر الترجمان : المصدر السابق ، ص ٥ .

١٥ قرش للمشاركين من الفراشين .

٥٠ بارة للصبيان .

وبناء على هذا كله فلا مجال بعد اليوم ، فى الاعتماد على ما ورد فى بعض المصادر والمراجع[١] العثمانية ، من خلط بين تجديد الجزء العلوى من القبة فى عهد السلطان محمود ، وبين بنائها زمن الأشرف قايتباى سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م.

ومن الأعمال التى جاءت بعد بناء القبة الشريفة ، تغطيتها بالدهان الأزرق المتجانس مع لون الرصاص الموضوع فوقها من قبل[٢]، كما جاءت موافقة السلطان بتجديد بناء مدرسة قايتباى المجاورة لباب الرحمة، بالحجر النحيت مخافة سقوطها ، بعد ميلان جدارها الملاصق لجدار المسجد الشريف ، فيما بين باب الرحمة وباب السلام[٣]. وصرف لها مائتى كيس من النقود[٤]، على أن تبنى بارتفاع يقل بعض الشيء عما كانت عليه من قبل [٥]. وإن يبنى بجانبها دار لناظر المدرسة ولم ينته العمل فيها إلا سنة ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م [٦].

وفى سنة ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م طلب إبراهيم باشا ، المتولى محافظة جدة والمدينة من الباب العالى، انتداب إسحق أفندى لمعاينة الحرم النبوى ، وتقدير احتياجات بعض الأبنية الأخرى فى المدينة المنورة ، فتقرر إرسال المهندس عبد الرحيم أفندى بدلا منه[٧]. وكان من رأيه فى التقرير المقدم عن سقوف المسجد

---

(١) محمد لبيب البتنونى : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ ، عبد القدوس الأنصارى : المصدر السابق ص ١٠٧ ، عبد السلام هاشم حافظ : المدينة المنورة فى التاريخ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م ص ٧٥ .

(٢) عن إعادة الرصاص فوق القبة الشريفة انظر اعلاه ص ٨١ وعن الدهان الأزرق الموضوع فوق الرصاص بعد العمارة انظر الوثيقة السابقة ٢٦٩٨٨ تصنيف خط الهمايون ، البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٧ .

(٣) الوثيقة رقم ٩١ فى ٢٩ شعبان سنة ١٢٣٣هـ محفظة ٥ بحربر تركى / محافظ الحجاز أرشيف الوثائق القومية بمصر .

(٤ ، ٥) الوثيقة نفسها .

(٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٧) الوثيقة رقم ١٠٦ فى ٢٧ شوال سنة ١٢٣٤هـ ، محفظة ٦ بحربر تركى / محافظ الحجاز

النبوى الشريف، تعميم القباب فيما تبقى من سقوفه الخشبية[١] ، وبناء عليه فقد تم إرسال ٢٠ نحاتا وسبعة نجارين وسبعة مبيضين وسبعة حمالين من الأستانة[٢] ، بموجب الفرمان السلطانى فى نهاية سنة ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م [٣] ، كما أرسل لناظر خزينة المدينة خمسة وعشرون ألف ريال فرانسة[٤] ، بالإضافة إلى خمسة آلاف من جمرك جدة، لاحتياجات العمارة وصرف المرتبات اليومية للعمال المذكورين، بمعدل خمسة قروش ، عدا التعيينات الخاضعة لأسعار المدينة المنورة[٥] ، والمقدرة بمائة درهم من القمح يوميا[٦] . كما صرف للمعلمين من العمال المصريين والمدنيين مثل ذلك ، ولمن دونهم أربعة قروش وزنة مائة درهم من القمح [٧] . ويفهم مما جاء فى بعض الوثائق أن شيخ الحرم النبوى ، عارض استبدال السقوف الخشبية بالقباب ، مخافة تأثر القبة الشريفة بهدم السقوف المجاورة لها[٨] . ورأى من الأجدى الاكتفاء بتعمير مؤخرة الحرم النبوى ومنارته المتهدمة من الصواعق ، وكذلك منارة باب الرحمة ، بالإضافة إلى تعهد بقية أجزاء الحرم النبوى بالترميم والتزيين . وقد وافقه فى ذلك قاضى المدينة ، ومحافظها وناظر الخزينة وسائر أعيان المدينة المنورة ، الأمر الذى دعا المهندس عبد الرحيم أفندى إلى مجاراتهم والعدول عما جاء فى تقريره السابق [٩] . وبناء عليه فقد جاءته موافقة السلطان محمود

---

(١) الوثيقة رقم ٢٤ فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٣٥هـ محفظة رقم ٧ بحربر / محافظ الحجاز .

(٢) الأمر ٤٩٩ فى ٢٦ ذى الحجة ١٢٣٥هـ دفتر ٥ معية تركى ، الوثيقة رقم ٨ فى ١٣ محرم ١٢٣٦هـ ، دفتر ٨ معية تركى / محافظ الحجاز . أرشيف الوثائق القومية بمصر .

(٣) الوثيقة رقم ٤٩٩ فى ٢٦ ذى الحجة ١٢٣٥هـ دفتر ٥ معية تركى / محافظ الحجاز .

(٤) وهو المعروف بريال ماريا تريزا ، المسكوك ١٧٨٠م ويعادل ٣ قروش عثمانية . انظر عبد الفتاح أبو علية : المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٥) الوثيقة رقم ٨ فى ١٣ محرم ١٢٣٦هـ دفتر ٨معية تركى / محافظ الحجاز .

(٦) وثيقة رقم ١١٠ فى ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٣٦هـ دفتر ٧ معية تركى/ محافظ الحجز .

(٧) الوثيقة نفسها .

(٨) الوثيقة رقم ١٣٣ فى ٢٩ ذى القعدة ١٢٣٦هـ محفظة ٧ بحربر / محافظ الحجاز .

(٩) وثيقة رقم ٩٥ فى ١٦ ربيع الأول سنة ١٢٣٦هـ دفتر ٧ معية تركى / محافظ الحجاز ، ٩٧ ، فى ١٦ ربيع الأول سنة ١٢٣٦هـ دفتر ٧ معية تركى / محافظ الحجاز .

الثانى ، بالاكتفاء بالترميمات الضرورية فى نهاية سنة ١٢٣٦هـ ١٨٢١م[١].
ورغم ندرة المعلومات عن الإصلاحات التى تمت فى مؤخرة الحرم النبوى، إلا أنه يؤخذ من التقرير المقدم عنها فى شهر رجب سنة ١٢٣٧هـ ١٨٢١م[٢]، أنها أعمال دقيقة استغرقت حوالى ستة أشهر ، تركزت كلها ـ بناء على اعتراض شيخ الحرم السابق[٣] ـ فى معالجة سقف مؤخرة المسجد الشريف وإحدى منارته ، بالإضافة إلى بعض أعمال الترميمات والزخرفة داخل المسجد الشريف [٤].

وفى سنة ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م رممت الشقوق الطارئة على المحراب العثمانى[٥]، كماأقيم سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م سياج خشبى صغير ، بمقدمة الرواق الشرقى ، والمخصص لصلاة النساء ، أثر قدوم زوجة السلطان محمود الثانى إلى المدينة [٦].

أما الأعمال التى تمت فى المسجد النبوى ، على يد شريف بك سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م ، وما بعدها فكان أهمها تكليف والى مصر بإرسال ألف قطعة من الرخام المصرى ، بالإضافة إلى إرسال ٢٠٠ قطعة من الرخام الاستانبولى[٧]، لبسطه فى الأرض الممتدة داخل رواق القبلة ، من الحجرة الشريفة حتى باب السلام وباب الرحمة[٨]. كما أن الأمر باستبدال الأسطوانات الحجرية، الواقعة أمام الروضة الشريفة باسطوانات رخامية[٩]، احتاج بالضرورة معالجة قد يكون منها تجديد السقوف المحمولة عليها .

---

(١) الوثيقة رقم ١٣٣ فى ٢٩ ذى الحجة سنة ١٢٣٦هـ محفظة ٧ بحربر / محافظ الحجاز .
(٢) الوثيقة رقم ١٩٤ فى ٨ رجب ١٢٣٧هـ دفتر رقم ١٠ معية تركى / محافظ الحجاز .
(٣) انظر أعلاه ص ٨٩ .
(٤) الوثيقة رقم ١٩٤ فى ٨ رجب سنة ١٢٣٧هـ دفتر رقم ١٠ معية تركى / محافظ الحجاز .
(٥) الوثيقة رقم ٢٨٣ فى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٢٤٥هـ دفتر معية تركى / محافظ الحجاز .
(٦) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٨٠٩ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٦٧ .
(٧) الوثيقة رقم ٧١ حمراء فى ٢٨ رمضان سنة ١٢٥٣هـ محفظة ٢٦١ عابدين بدون نمرة ، الوثيقة رقم ٢٤٧ فى ١٢٥٢/١١/٢١هـ دفتر ٤ عابدين / محافظ الحجاز .
(٨) الوثيقة رقم ٢١٨ فى ٤ صفر ١٢٣٩هـ دفتر ١٤ معية تركى / محافظ الحجاز .
(٩) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٦٦ ، ٧٦٧ .

أما الأعمال المتعلقة بمرافق المسجد ، فكان منها إنشاء سبيل بجوار باب السلام سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م ، وموضع للتوقيت فى الجزء السفلى من مدرسة قايتباى المعروفة فيما بعد بالمحمودية [١]، كما تم تجديد المخازن المحترقة سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م، بجوار جدار القبلة والمعروفة بديار العشرة[٢]. وكذلك إصلاح السبيل والفسقية المنشأة بجوار باب الرحمة من عهد السلطان أحمد الأول[٣] . بالإضافة إلى استحداث عقد حجرى على الطريق المؤدى إلى الباب المذكور[٤]، كما تم فى آخر عهد السلطان محمود الثانى ، استبدال الدهان الأزرق الموضوع على القبة الشريفة سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م، بلون أخضر فى حدود سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م ، ظل يجدد كلما بلى من أشعة الشمس حتى وقتنا الحاضر[٥] .

ومن هذا العرض السريع تتضح أهمية الأعمال، التى قام بها السلطان محمود الثانى فى الحرم النبوى الشريف على مدى إحدى وعشرين سنة ١٢٣٢ - ١٢٥٣هـ / ١٨١٦ - ١٨٣٧م، تركز معظمها فى إصلاح القبة الشريفة وما جاورها من مقدم المسجد الشريف .

ولا شك بأن حرص السلطان محمود الثانى، وواليه فى مصر محمد على باشا، على تنفيذ تلك الأعمال فى الحرم النبوى الشريف،فى وقت مبكر من عهد السلطان محمود الثانى ، كان بمثابة تأكيد لإعادة سيطرة الدولة العثمانية على الجزيرة العربية ، بعد انتصار الدولة العثمانية على خصومها من دعاة الإصلاح الدينى فى الجزيرة العربية ، وسقوط عاصمتهم الدرعية ، وما تلاها من إعادة بسط النفوذ العثمانى على الحرمين الشريفين .

---

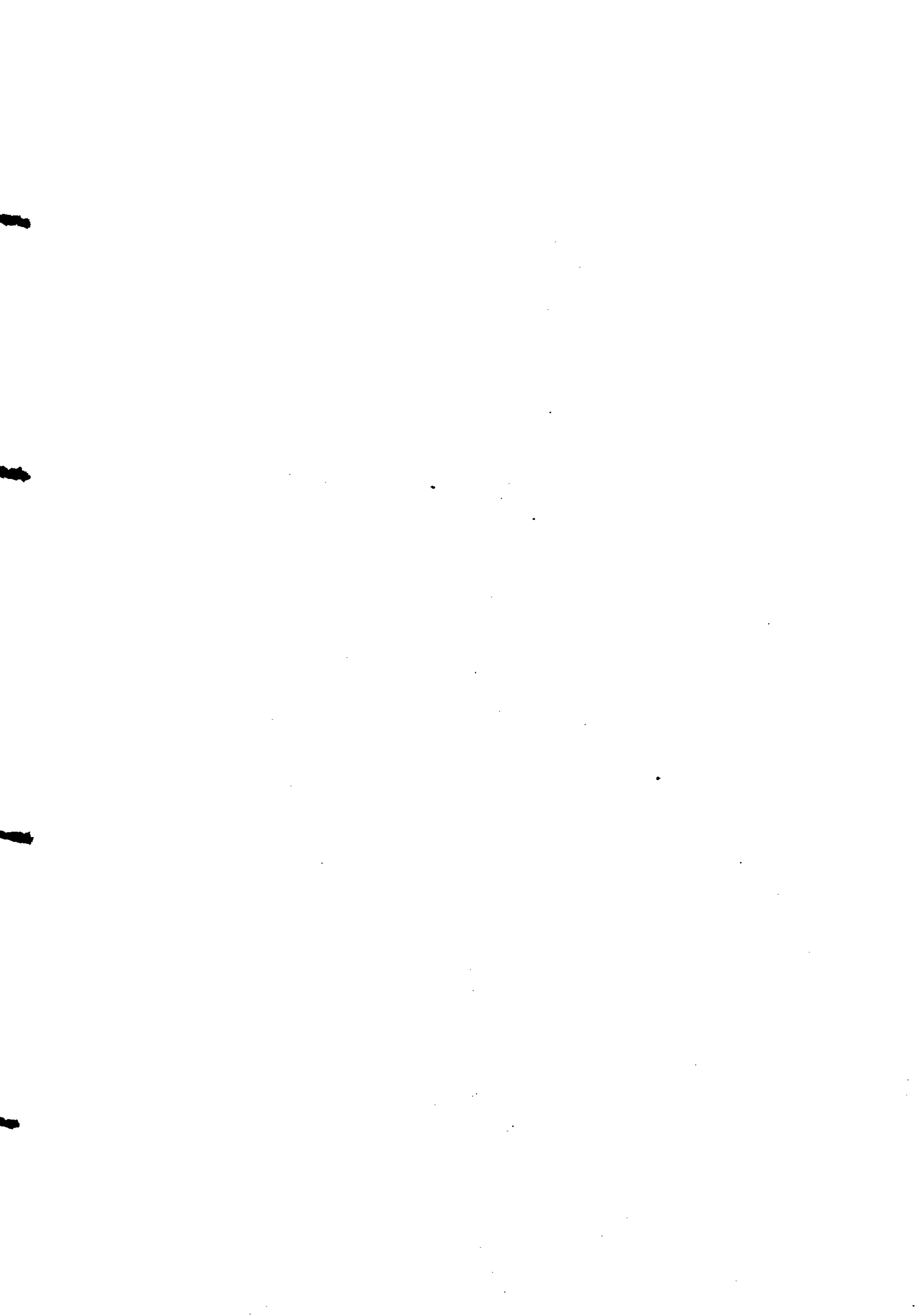
(١) وثيقة رقم ٧١ حمراء فى ٢٨ شعبان سنة ١٢٥٣هـ محفظة ٢٦١ عابدين بدون نمرة / محافظ الحجاز ، وقد ذكر أيوب صبرى : فى المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٦٦ ، ٧٦٧ تزويدها بساعة ميكانيكية لتحديد مواقيت الصلاة .

(٢) وثيقة رقم ٧١ حمراء فى ٢٨ شعبان سنة ١٢٥٣هـ محفظة ٢٦١ عابدين بدون نمرة / محافظ الحجاز .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٣

(٤) الوثيقة رقم ٧١ حمراء فى ٢٨ رمضان سنة ١٢٥٣هـ محفظة ٢٦١ عابدين بدون نمرة ولا يعرف الهدف من إنشاء هذه البوابة

(٥) الوثيقة السابقة رقم ٧١ وقد أرسل الدهان من استانبول فى عشرة صناديق . وانظر البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٧



الفصل الثانى

عمارة السلطان عبد المجيد وترميماتها فى أواخر العصر العثماني

١٢٦٦ ـ ١٣٣٦هـ / ١٨٤٩ ـ ١٩١٧م



أولا: عمـارة السلطـان عبـد المجيـد

١٢٦٦ ـ ١٢٧٧هـ / ١٨٤٩ ـ ١٨٦٠م



الفصل الثانى

عمارة السلطان عبد المجيد وترميماتها فى أواخر العصر العثمانى

أولا : عمارة السلطان عبد المجيد ١٢٦٦ _ ١٢٧٧هـ / ١٨٤٩ _ ١٨٦٠م

تعرض المسجد النبوى الشريف ، منذ بداية العصر العثمانى حتى عمارة السلطان عبد المجيد، لعدد من التجديدات والترميمات، التى حالت دون انهيار وتلف محتوياته . حتى لم يبق منه جزء إلا وبه أثر لإصلاح أو تجديد ، كما يتضح من توزيع الأعمال المعمارية قبل العمارة التى قام بها السلطان عبد المجيد (الشكل ٣٣) ، بالإضافة إلى نصوص التعمير التى تربو على خمسة عشر نصا [(١)] .

وإذا كانت عمارة السلطان عبد المجيد للمسجد النبوى ، غيرت كثيرا من شكله الخارجى ومسقطه الأفقى ، فمن المفيد إعطاء صورة مختصرة عن حال المسجد الشريف ، بعد الإصلاحات والتجديدات التى طرأت على عمارة الأشرف قايتباى. بدء بعمل السلطان سليمان القانونى سنة ٩٣٨هـ / ١٥٣١م ، وانتهاء بما تم فى آخر عهد السلطان محمود الثانى سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م من أعمال متعددة، صار المسجد النبوى بعدها قوى البنيان متنوع الزخارف والنقوش ، فقد ضم رواق القبلة عشر بلاطات موازية لجدار القبلة ؛ بعد إضافة السلطان مراد الرابع لثلاث منها ، واحتفظت بقية أروقة المسجد ببلاطاتها السابقة .

كما احتوى المسجد الشريف على ٣١٢ عمودا[(٢)] بتيجان مختلفة وأحجام متباينة[(٣)] ، وهى متقاربة من بعضها ، ويبرز أغلبها من أرض المسجد دون قواعد بارزة

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧١٧ وما بعدها ، جـ٢ ص ٧١٧ وما بعدها ، وقد جمع صالح لمعى بعضها فى المرجع السابق ص ١٢٠ _ ١٢٥ .

(٢) درويش أحمد بشكارى زاده : رسالة فى وصف المدينة ، ص ٢ ، ولا تدخل أعمدة الحجرة الشريفة البالغ عددها ١٤ كتفا واسطوانة ضمن هذا العدد .

(٣) Burckhard ., op. cit., p. 330 .

وقد ذكر أن أعمدة رواق القبلة أكثر سماكة من أعمدة الأروقة الأخرى .

لكثير منها[١] ، ومنها سبعة أعمدة ملبسة بالخزف المزجج قرب دكة الأغوات ، و٥٧ عـمـودا من الرخـام الأبيض ، فى الروضـة المطهـرة والمواجـهـة الشـريفـة ، ٢٢٧ عمودا[٢] من قطع الحجر الأسود المدور والمثبتة بأعمدة الحديد والرصاص ، والملبسة بطبـقة سميكة من الملاط[٣] . يبـعـضـهـا أطواق من الحـديد للحـيلولة دون توسع النتوءات البارزة فى المرمم منها[٤] ، وجدران المسجد الشريف مطلية باللون الأبيض ، وخـالية من الزخـارف والرسـومات ، إلا مـا كـان منهـا بالألوان المائية (الفـرسكو) لمساجد ومناظر طبيعية ، على جزء من الجدار الشرقى. ويتميز جدار القبلة وجزء من الجدار الشرقى، بما عليهما من الكتابات المذهبة والرخام المجزع والبلاطات الخزفية، بالإضافة إلى دقة وجمال الصنعة فى نوافذ جدار القبلة المعشقة بالزجاج الملون[٥] .

ولم يتغير شىء من أبواب المسجد الأربعة ، (باب السلام ، الرحمة ،وجبريل ، النساء) . وقد احتفظت جميعا بمصاريعها المملوكية، المصنوعة من الخشب المثبت بصفائح الحديد والمسامير المكوبجة[٦] ، ما عدا باب السلام المتميز باستخدام قطع النحاس ومساميره فى تقوية مصراعيه [٧] . وجدران المسجد محاطة من الخارج بأزقة متسعة بعض الشئ [٨] ، وأرضه مرتفعة بعض الشئ عن البلاط الخارجى . فلا يتوصل إليه إلا بسلالم من عدة درجات حجرية عند مداخله الرئيسية[٩] ، وتظهر من

---

(١) Burckhard ., op. cit., p. 330 .

(٢) درويش أحمد بشكارى زاده : المصدر السابق ، ص ٢ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٧ وقد لاحظت ذلك عند تجديد الرخام الموضوع بالجزء السفلى من الأسطوانة الملاصقة للمنارة الرئيسية سنة ١٤٠٦هـ وهى من بقايا العمارة المملوكية، فإن سمك الملاط عليها لا يقل عن عشرة سنتيمترات .

(٤) ما تزال هذه الطريقة تستخدم فى المحافظات على أعمدة المسجد الحرام حتى اليوم .

(٥) Burckhard ., op. cit., p. 331 .

(٦) Burton ., op. cit., vol 2 , p. 332 .

(٧) البتنونى : المصدر السابق ص ٢٤٤ .

(٨) حمد الجاسر : ملخص رحلتى ابن عبد السلام الدرعى ، الطبعة الأولى ، دار الرفاعى للطباعة والنشر ، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٥٥ .

(٩) Burckhard ., op. cit., vol. 2. p. 309 - 332 .

الداخل مفروشة بالرخام والأحجار المنحوتة . بالإضافة إلى انتشار الدكاك المطبطبة في كثير من أجزائه [١]، وصحن المسجد مساو لرواق القبلة تقريبا[٢]، وكان مغطى كله بالرمل الأحمر الناعم، مع وجود قبة في الركن الشمالي الشرقي، لحفظ زيت المسجد وشمعه وما غلا من تحفه .

أما علامات حدود المسجد الأصلي في رواق القبلة، فكانت سياجا من الخشب المخروط، الممتد من الحجرة الشريفة حتى قرب باب السلام بارتفاع القامة ، وكان به رفوف ومخازن صغيرة للكتب ، وتتخلله أربعة أبواب صغيرة تؤدي إلى البلاطتين المضافتين في مقدم المسجد[٣]، في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما .

هذا عن مسقط المبنى وما ضمت أروقته من البلاطات والأعمدة المتنوعة .

أما سطح المسجد فقد ظهر به في الرسم الذي أعده بيرتون سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م عن المدينة المنورة ، عدد كبير من القباب (لوحة ١٠) ، مما يؤيد قول بعض المصادر احتوائه آنذاك على ٢١٣قبة صغيرة من الخشب[٤]. منها ٩٣ في رواق القبلة . تعود ثمان قباب مبنية بالطوب إلى العمارة المملوكية (الشكل ٣١)، و٢٧ قبة من الخشب إلى عهد السلطان مراد الرابع [٥]، و ٣٠ قبة من الخشب أيضًا بالرواق الغربي ، ٦٨ بالشرقي ، ٢٢ بمؤخرة المسجد الشريف[٦]، ولبعضها

---

(١) Burckhard ., op. cit., p. 331 .

(٢) قال بيرتون في المرجع السابق جـ٢ ص ٣٣٢ أنه شاهد سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م الجزء الجنوبي من صحن المسجد مفروشا بقطع الحجر الأسود في شريط عريض يمتد بين باب الرحمة وباب النساء وأنه تحت مستوى رواق القبلة بدرجتين أو ثلاث .

(٣) Burckhard ., op. cit., p. 336 , Burton ., op. cit., vol 2. p. 332 .

(٤) ذكر البرزنجي في المصدر السابق ، ص ٢٥ أن السلطان عبد المجيد طلب من المهندسين إعداد مجسم لمبنى الحرم الشريف قبل هدمه فأرسل المهندسان حافظ أفندي وعزت أفندي في أواخر سنة ١٢٦٧هـ، وقاموا بعمل مجسم من الخشب ظهرت به القباب المذكورة . كما ذكر أيوب صبري في المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٩٥ أن القباب المذكورة من الخشب .

(٥) انظر أعمال السلطان مراد الرابع ص ٤٨ .

(٦) أيوب صبري : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٩٥ ، ٨٣٣ .

نوافذ جانبية مغطاة بالزجاج الملون .

وسطح المسجد مغطى بطبقة سميكة من الجص والنورة ، وسقفه من الداخل مزين بالنقوش المختلفة [١] . ومنائره على هيئة المنائر العثمانية المتوجة بمثلث مخروطي الشكل، ما عدا الرئيسية فإنها أبقيت على هيئتها المملوكية حتى الوقت الحاضر . ومن الجدير بالذكر أن الخشب ظل مادة إنشائية، في ترميمات المسجد النبوى الشريف وتجديداته، منذ بداية العصر العثمانى حتى بداية عمارة السلطان عبد المجيد، التى اختلفت فى الشكل والمضمون عن العمائر السابقة .

ومهما يكن الأمر فإن السلطان عبد المجيد ١٢٥٥ ـ ١٢٧٧هـ / ١٨٣٩ ـ ١٨٦٠م، حافظ على السياسة التى اتبعها أسلافه منذ عهد السلطان سليمان العظيم، والمتضمنة الاكتفاء بالتجديدات والترميمات الضرورية[٢] . وعدم إجراء أى تغيير معمارى فى مبانى الحرم الشريف ، وتأكيدا لهذا الهدف تعرض المسجد النبوى فى بداية السنة الثانية ، من عهد السلطان عبد المجيد، لترميمات هامة على يد أمين المبانى حليم أفندى . إذ جاء فى بعض الوثائق إرسال ٢٥ ألف أوقية من الرصاص ، مع الكميات المطلوبة من النحاس لترميم القبة[٣] . هذا فضلا عن تجديد القباب المبنية فوق البلاطات التى أضافها السلطان مراد الرابع فى مؤخرة رواق القبلة، مع الاعتقاد بأن قبتين أحدثتا على أحد المنورين المنشأين فى نهاية البلاطات المذكورة، كما يؤخذ من فارق العدد بزيادة بين القباب المنشأة أولا والمجددة ثانيا[٤] .

ويستنتج أيضاً من ذكر بعض الوثائق[٥] ، ظهور كنز تحت حائط الحرم النبوى

---

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٢) عن معارضة الباب العالى عند اقتراح أحد المهندسين فى عهد السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٤هـ بناء المسجد الشريف بالقباب ، انظر أعلاه ص٤٨ ، وكذلك معارضة شيخ الحرم النبوى عزم المهندس عبد الرحيم أفندى تعميم القباب فيما بقى من سقف المسجد فى عهد السلطان محمود الثانى سنة ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م .

(٣) الوثيقة رقم ١ ـ ٢ / ٤٦٠ الوثائق العثمانية المترجمة فى إدارة الملك عبد العزيز بالرياض .

(٤) أيوب صبرى ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٦٩ وكان المنور الأول قد سد سنة ١٢١٥هـ فى عهد سليم الثالث . انظر أعلاه ص ٧٥ .

(٥) الوثيقة رقم ٤٧٦١ فى ١٧ ذى القعدة سنة ١٢٦٠هـ أرشيف رئاسة مجلس الوزراء باستانبول تصنيف إرادة / داخلية .

سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م، أن أعمالا لم تفصح المصادر عن طبيعتها حدثت في الجدار المذكور .

وتأكيدا لما سلف ظل المسجد النبوي في بداية عهد السلطان عبد المجيد ، محتفظا بالعمارة السابقة بضعة أعوام ، دون التفكير في تجديد بناءه حتى سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م، عندما بدأت الأجزاء التي لم ترم في السابق بالميل والسقوط، حتى ساءت حالة المسجد الشريف بشكل كلي في سنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م[١] . وأصبحت التشققات والشروخ في الجدران والقباب ظاهرة للعيان، مما هيأها للسقوط في أية لحظة[٢] . الأمر الذي دعا شيخ الحرم النبوي الشريف داود باشا[٣] ، إلى التشاور مع أعيان المدينة وكبار المسئولين فيها ، عن الكيفية التي تتم بها معالجة أبنية الحرم المتداعية .

ولتباين وجهات النظر وتغلب الرأي المعارض للتجديد ، اعتمد المجلس خطابا موجها للسلطان عبد المجيد ، فيه تأكيد على « قدرة الأبنية المقدسة للتحمل بعض الوقت »[٤] . إلا أن شيخ الحرم النبوي اعتبر هذا الرأي معارضا للمصلحة العامة، وسعى جاهدا بما له من قوة التأثير ، في جمع المعارضين وإقناعهم بضرورة إعطاء صورة صادقة عن الأبنية المتداعية[٥] ، في خطاب قدم للسلطان سنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م ، موقع من أعيان أهل المدينة وكبار الموظفين فيها ، وبرفق الخطاب المذكور إلتماس من شيخ الحرم الشريف ، على ضرورة إنشاء وبناء الحرم النبوي من جديد[٦] .

---

(١) أيوب صبري : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٧٦ .

(٢) محمد كامل المدني : تجديد حرم محبوب يزدان در عهد سلطان عبد المجيد خان » مخطوط بمكتبة جامعة استانبول برقم ٦١٢٨ تاريخ تركي ص ١ .

(٣) كان واليا على بغداد وخرج على الدولة العثمانية وضرب سكة باسمه كتب عليها « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض » ثم عفت عنه الدولة وعينته شيخا للحرم النبوي . انظر إبراهيم رفعت: المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(٤ ، ٥) أيوب صبري : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٧٦ .

(٦) محمد كامل المدني : المصدر السابق ، ص ١ ، أيوب صبري : المصدر السابق، جـ٢ ص٧٧٦.

وتأكيدا لما سبق فقد تكرر الخلاف مرة ثانية فى الأستانة ، عند مناقشة الباب العالى لموضوع بناء الحرم الشريف ، فى عدة جلسات خاصة لم يتوصل فيها إلى رأى حاسم[١] . مما دعا إلى إحالتها إلى لجنة خاصة فى دار الافتاء ، لإيجاد مخرج شرعى يبيح التحلل من القيود التى حدت من التصرف فى مبانيه القديمة . وبعد مناقشة مستفيضة للجوانب الشرعية والمالية الواردة فى مذكرات الوزراء ، اقترحت اللجنة المذكورة تكليف مهندس متمرس بالذهاب إلى المدينة المنورة لدراسة المبانى القديمة فى الحرم النبوى ، ووضع تقرير مفصل عنها مع رسم خريطة مبدئية للعمارة المقترحة وحدودها من كل الجهات[٢] ، وإجراء المقايسة المعتادة عن التكلفة المتوقعة لهذا المشروع [٣] .

وبناء عليه كلف المهندس رمزى أفندى بأمر من السلطان عبد المجيد بالمهمة المذكورة[٤] ، وأرجئت مناقشة الموضوع حتى يعود المهندس بالخرائط والبيانات المطلوبة . وإذا كان وصول البعثة التى يرأسها رمزى أفندى إلى المدينة المنورة كما تذكر بعض المصادر فى سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م[٥] ، فإن طول الزمن الذى استغرقته المناقشات المذكورة حول هذا الموضوع ، هيأ مبانى الحرم النبوى لمزيد من الشروخ والإنهيار المفاجىء ، مما مكن الوفد المذكور من التأكيد على حاجة المسجد الشريف إلى البناء العاجل ، كما جاء فى التقرير المقدم إلى مجلس الوكلاء واللجنة الخاصة ، التى دعت إلى عقد مجلس فوق العادة لبحث مرئيات المهندس ومقترحاته [٦] .

ويؤخذ من قصر المناقشة التى دارت فى هذا المجلس ، أن توصيات ومقترحات

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص٧٧٦ وما بعدها .

(٢) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ١ .

(٣) عن المقايسة المعتادة انظر أعلاه ص ١٥ .

(٤) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٢ ، البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٣ ، أيوب صبرى : المصدر نفسه ، جـ٢ ص ٧٧٧ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر نفسه ، جـ٢ ص ٧٧٧ .

(٦) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٢ ، أيوب صبرى : المصدر السابق، جـ٢ ص ٧٧٧.

المهندس كانت بناءة ومفيدة ، ولم تترك للمعارضين فرصة الطعن أو التأجيل، حيث صدر فى بداية سنة ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م، مرسوم سلطانى مبنى على فتوى شرعية ببناء الحرم النبوى الشريف ، واختيار المهندس عبد الحليم أفندى مدير هيئة المبانى الخاصة باستانبول[١] ، مديرا لهيئة البناء المقترح مع تخصيص مبلغ مؤقت لهذا المشروع[٢] ، فضلا عن تأكيد السلطان على وزير المالية بأن تكون المبالغ المرصودة لهذا الغرض حلالا طيبا لا شبهة فيها . مع العناية باتباع العادة القديمة فى تخصيص مال الجوالى لنفقة العمارة المذكورة حتى ولو احوج الأمر باستدانة المبالغ المطلوبة من أهل الورع والتقوى ، عن طريق المبادلة بما يتفق مع قواعد الشرع الشريف[٣] .

وكان يرجى لو أمكن الوقوف على شكل المخطط المعتمد ، حتى يمكن مقارنته بالمعلومات المقدمة من شخصية معاصرة[٤] ، نقلا عن بعض المعمرين الأتراك الموثوق بهم والمتضمنة ميل السلطان عبد المجيد فى بداية الأمر إلى بناء الحرم النبوى الشريف على أربعة أكتاف وقبة كبيرة ، كما فى مسجد السلطان بايزيد الثانى[٥] ، ومسجد السليمانية[٦] ، ومسجد السلطان أحمد[٧] . إلا أن عوامل خفية حالت دون تحقيق هذه الرغبة ، قد يكون منها معارضة العلماء لإخفاء مواقع الإسطوانات المشهورة فى الروضة ، واستحالة بقاءها عند تنفيذ المشروع وفق رغبة السلطان المذكورة . وبغض النظر عن هذا كله ، أرسلت المواد للأعمال المبدئية مع

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٧٧ .

(٢) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٢ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص٧٧٧.

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٧٨ .

(٤) هو الشيخ على علوى التركى الموظف سابقًا بمكتبة عارف حكمت بالمدينة ، حيث أفاد أنه سمع ذلك من الشيخ سعيد شامل بك حفيد الإمام شامل زعيم القفقاس الشهير .

(٥) بناه المهندس خير الدين سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م بطلب من السلطان بايزيد الثانى .

(٦) بناه المهندس سنان باشا سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م بطلب من السلطان سليمان القانونى .

(٧) بناه المهندس محمد آغا سنة ١٠١٨ ـ ١٦١٦هـ / ١٦٠٩ ـ ١٦١٦ م فى عهد السلطان أحمد الأول . انظر توفيق أحمد عبد الجواد ، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية ، جـ٣ ص ١٤٧ وما بعدها .

المهندسين والنحاتين وأرباب الحرف الأخرى ، من عاصمة الخلافة وحاضرة مصر، عن طريق الموانى المصرية على وجه السرعة[١].

وعند وصول عبد الحليم أفندى إلى ميناء ينبع ، اهتم بنوعية الأحجار المطلوبة فى إنشاء العمارة المقترحة ، وكلف إبراهيم آغا المتمرس فى فحص المحاجر ومعرفة جودتها ، بمسح المنطقة الممتدة من ينبع إلى المدينة المنورة[٢]. بيد أن المذكور أفاد بعد أيام من البحث والتنقيب بخلو المنطقة من محاجر جيدة ، مما دعا عبد الحليم أفندى إلى عرض المشكلة فى أول مجلس عقده مع شيخ الحرم النبوى وكبار المسئولين فى المدينة ، فى الأول من شهر رجب سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م[٣]. وقد سعوا فى اطلاعه على بعض المحاجر المشهورة فى بعض نواحى المدينة المنورة ، حيث تم اختيار عينات منها بمعرفة المعلم إبراهيم الذى أكد صلاحية الجبل الموجود فى وادى العقيق[٤]، والمتميز بميله إلى الإحمرار وسهولة النحت ، مما أثار إعجاب واستحسان الهيئة المكلفة بالبناء ، التى عدت ذلك من علامات التوفيق والنجاح[٥].

وفى الواقع فإن هذا اللون المميز أضاف للحجارين عبئا كبيرا ، إذ حال ذلك دون الاستفادة من أعمدة المسجد وأحجار عقوده القديمة . وقبل الشروع فى الأعمال المبدئية تشكل المجلس المكون من العلماء الشرعيين وأشراف المدينة وأعيانها. لتولى الإشراف الدينى على أعمال البناء ، كما كلف شيخ الحرم النبوى وقاضى المدينة المنورة بتقديم تقارير منفردة عن سير العمل ومعوقاته[٦]. وفى حضور الجميع أبلغ الفعلة والمهندسون وسائر المشاركون، بتعليمات السلطان المتضمنة ضرورة التمسك بآداب الدين أثناء العمل، وأداء الصلاة مع الجماعة، ومباشرته

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٧٧ .

(٢، ٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٣ ، أيوب صبرى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٧٩ .

(٤) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٣ ، البرزنجى ، المصدر السابق ، ص ٢٤ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٧٩ .

(٥) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٦) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٧٨ .

بإخلاص وروية ، مع اجتناب الحركات التى لا تليق بالمسجد الشريف من رفع الصوت ونحوه[١] .

ومن أولويات الأعمال التى قام بها عبد الحليم أفندى ، إعداد المحجر ونصب المخيم الخاص بالحجارين ومساعديهم ، فى مكان مناسب من الجبل ، مع إصلاح الطرق المؤدية إليه[٢] . وإعداد العربات التى تجرها البغال والجمال[٣] ، ثم تهيئته ساحة دار الضيافة ، فى الشمال الغربى من المسجد الشريف لنقل الأحجار ونحتها[٤] ، مما يسر الاتصال بين المهندسين والنحاتين ، فى إنجاز ومراقبة المواصفات المطلوبة من الأحجار والأعمدة والتيجان والقواعد المنحوتة . ويفهم مما جاء فى بعض الوثائق العثمانية[٥] ، أن المهندس محمود أفندى تولى الاشراف على هدم سقف الرواق الشمالى من المسجد الشريف .

هذا من حيث الأعمال المبدئية ، التى أنجزها عبد الحليم أفندى حتى شهر ذى القعدة سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م ، أثر توجهه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، بعد إنابه محافظ المدينة محمد رشيد أفندى الأزميرى ، وتابعه شريف أفندى فى مراقبة الأعمال أثناء غيابه[٦] . بيد أن وفاة عبد الحليم أفندى فى مكة أثناء موسم الحج ، عاقت سير العمل فترة من الزمن ، فى الوقت الذى تهيأت فيه الظروف للشروع فى أعمال الهدم والبناء ، بعد أن وصلت الأموال المقدرة بخمسة وعشرين ألف ليرة ذهبية ، مع لوازم البناء التى أحضرها مندوب عبد الحليم أفندى من إستانبول ، صحبة محمل الحج لسنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م[٧] .

وعلى أية حال فقد سلمت الأموال والمعدات المذكورة ، إلى الهيئة المكلفة

---

(١) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٢ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٧٨ .

(٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٨١ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ٢٤ .

(٥) الوثيقة رقم ٣٧٨٦ سنة١٢٦٥هـ أرشيف مجلس الوزراء بإستانبول تصنيف إرادة / مجلس الوالا.

(٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٧) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٨١ .

بالإشراف الدينى على أعمال البناء ، كما كلف الباب العالى فور علمه بموت أمين البناء ، مجلس الوكلاء باختيار رجل متمرس ، له مقومات الصدق والصلاح ما يعينه على تدبير أعمال البناء[١] . ورأى المجلس فى وجود الصدر الأعظم السابق وعضو مجلس الوالاة[٢] ، محمد أسعد أفندى الملقب بإمام زاده ، فى الحجاز لأداء فريضة الحج[٣] ، فرصة كبيرة لتكليفه بالإشراف المؤقت على أعمال البناء ، ونقل مرئياته عن احتياجات العمارة عند عودته إلى الباب العالى[٤] ، وساعد ذلك فى انتقاله إلى المدينة أثر موافقة السلطان عبد المجيد ، فبدأ مع شيخ الحرم النبوى وبقية أعضاء اللجنة المشرفة على أبنية الحرم الشريف ، بقصد تقدير التكلفة الإجمالية للعمارة المقترحة[٥] . ولكن ضخامة المبلغ المقدر وصعوبة توفيره من مال الجوالى ، حال دون موافقته على بناء الحرم الشريف بالصفة المقترحة ، وفضل قصرها على تجديد وترميم الأجزاء المتداعية[٦] .

هذا من حيث الآراء المبدئية لمحمد أسعد أفندى ، والتى لم ترق لشيخ الحرم داود باشا[٧] ، المتحمس لإنجاح المشروع الذى تبناه منذ ثلاثة أعوام . إلا أن الفحص العملى لبعض القباب المتصدعة ، وسقوط بعض الأجزاء من سقف الرواق الشمالى[٧] ، بالإضافة إلى سقوط إحدى القباب، الموجودة بين الحجرة الشريفة

---

(١) أيوب صبرى : المصدر نفسه ، جـ ٢ ص ٧٨٢ . ومجلس الوكلاء هو مجلس الوزراء فى الوقت الحاضر ، انظر المرجع فى حاشية رقم ٢ .

(٢) مجلس الوالاة : هو المجلس الأعلى للأحكام العدلية وقد أسس فى عهد السلطان محمود الثانى سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م بقصد اعداد ما تحتاجه الاصلاحات الجديدة من لوائح بالإضافة إلى صلاحية النظر فى محاكمات الموظفين وإظهار الرأى فى أمور الدولة عند الحاجة إلى ذلك انظر
Ferid Devellioglu : Osmanlica - Turkce Ansiklopedih lugat Aydin Kitabevi . Ankara 1982, 5. ci baski . p. 250 .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٤ ، ٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٨٣ ، ٧٨٤ .

(٦) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٤ .

(٧) انظر ترجمته فى ص٩٧ ، وانظر ما ذكره عنه أيوب صبرى : فى المصدر السابق جـ٢ ص ٧٨٢ .

وجدار القبلة فى صباح اليوم التالى ، على أحد الزوار مما أودى بحياته[١]، ساعد كثيرا فى تغيير انطباعات محمد أسعد أفندى (إمام زادة) ، المؤيدة بعد مشاهدته لما سلف بتجديد بناء الحرم النبوى الشريف بأكمله[٢].

وبناء عليه بدأ بنقل الصلاحيات المخولة من قبل لمحافظ المدينة المنورة، إلى مدير الخزينة الجليلة[٣] عبد اللطيف أفندى[٤] ، وعين بدرى أفندى كاتبا لأجور العمال ونفقات العمارة[٥]. ثم أكمل الأعمال التى بدأها عبد الحليم أفندى ، فى تهيئة دار الضيافة الواقعة شمال المسجد الشريف ، حيث أضاف غرفا ومكاتب ومواضع لنحت الأعمدة ومتطلباتها ، وحظائر وإسطبلات للخيول والبغال والجمال المستخدمة فى نقل الأحجار ومواد البناء [٦]. ثم عاد إلى دار الخلافة حيث أيد فى تقريره المقدم لمجلس الوكلاء[٧]، الآراء المتحمسة لبناء الحرم النبوى الشريف ، مما حدا بالسلطان عبد المجيد إلى تعيين شيخ المهندسين[٨] ، والمتصرف السابق لطرابلس الغرب محمد رائف باشا ، فى أول ربيع الأول سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م[٩].

ورغبة فى الوقوف على هيئة المبنى القديم فى المسجد الشريف ، كلف المهندسان حافظ أفندى وعزت أفندى ، بالذهاب إلى المدينة المنورة لعمل صورة مجسمة للعمارة المملوكية المجددة . فوردا المدينة فى شهر شعبان سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م، واتخذ من الخشب نموذجا مصغراً لواقع المسجد الشريف[١٠] بعد إجراء

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ص ٢٥ ، أيوب صبرى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٨٣ حيث أفادوا بموت محمد الإسكندرى أحد تلاميذ الإمام الصاوى .

(٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٨٣ .

(٣) هى الخزينة التى أنشأها محمود الثانى لحفظ مرتبات أهل المدينة وتوزيعها عليهم شهريا .

(٤ ، ٥) البرزنجى : المصدر السابق : ص ٢٥ .

(٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٧) انظر أعلاه ص ١٠٢ الحاشية رقم ١ .

(٨) محمد كامل المدنى ، المصدر السابق ، ص ٥ .

(٩) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(١٠) لمعرفة ما كان به من القباب ، انظر أعلاه ص ٩٥ .

القياسات والنسب المطلوبة ، ثم نحتا قبة صغيرة من الحجر المقطوع من الجبل الأحمر ، لاطلاع السلطان على لونه المميز[١].

وفور مباشرة المتولى المذكور لأعماله فى حدود ٢٢ شعبان من السنة ذاتها ، شرع فى استبدال الخيام المنصوبة قرب مقطع الحجر ، بغرف توفر الراحة والأمن للحجارين ومعاونيهم[٢] ، مع حفر بئرا فى بطن الوادى بالقرب من المخيم ، لتأمين حاجتهم من الماء . وسعى جاهدا فى حمايتهم من هجمات الأعراب المتكررة[٣] ، وتفاديا للأضرار التى لحقت بعض البيوت الواقعة فى الطريق المؤدى إلى دار الضيافة ، من جراء الحركات والأصوات الصادرة من العربات المحملة بالأحجار الضخمة ، التى تجرها البغال والجمال ، استأذن محمد رائف باشا فى فتح باب خارجى شمال السور الداخلى للمدينة المنورة وسماه باب المجيدى[٤] . وأقام خارج المدينة مصانع لاحراق اللبن والجص ومشتقاته[٥] ، مع حرصه أن تكون المواد الداخلة فى صناعتها مطابقة للشرع الشريف ، كما جاء فى بعض الوثائق العثمانية[٦] .

وجريا على العادة المتبعة فى جميع العمائر التى أجريت بالمسجد الشريف منذ تأسيسه ، حيث الأمر يقضى ألا يعطل المسجد الشريف من أداء العبادة ، فى أى وقت وتحت أى ظرف . أجبر المهندس محمد رائف باشا بإجراء ترميم عام لجميع أنحاء المسجد الشريف[٧] ، تلاه بهدم القبة الموجودة فى صحن المسجد الشريف[٨] لاستخدام موضعها للصلاة . ومنعا لدخول الجمال المحملة بالزيت إلى صحن

(١ ـ ٥) البرزنجى ، المصدر السابق ، ص ٢٥ ـ ٢٧ .

(٦) ورد فى الوثيقة رقم ١٠٨٦٩ فى ١٩ شوال سنة ١٢٦٩هـ رئاسة مجلس الوزراء العثمانى ، تصنيف إرادة / مجلس الوالا استفسار من محمد رائف باشا عما إذا كان اللبن المصنوع من التراب المخلوط بروث الجمال مؤثر فى طهارة المبانى الشريفة ، فأحيلت الأوراق إلى دار الفتوى بمشيخة الإسلام لإبداء وجهه نظر العلماء فى الموضوع . بيد أن الجواب لم يرد فيما توفر لديه من وثائق .

(٧) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٥ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص٧٨٦ .

(٨) عن القبة المذكورة وتجديدها فى عهد السلطان سليمان القانونى سنة ٩٧٤هـ ١٥٦٦ م انظر أعلاه ص ٣٢ ما بعدها .

المسجد[١] ، ثم شرع أولا فى هدم ما تبقى من سقف الرواق الشمالى[٢] .

وكانت موافقة السلطان وإعجابه باقتراحات محمد رائف باشا ، المتضمنة إضافة مكاتب مؤلفة من طابقين ، لتعليم أبناء المدينة المنورة القرآن الكريم ومخازن للزيت خارج الجدار الشمالى للمسجد الشريف[٣] ، مما ساعد على البدء بالعمارة من مؤخرة المسجد الشريف ، بالإضافة إلى إسهام عدة عوامل فى ذلك منها :

١ ـ تردى حالة سقف الرواق الشمالى ، وعدم تحمله لأعمال الترميم والإصلاح[٤] .

٢ ـ ضرورة فتح باب جديد فى الطرف الغربى ، من الجدار الشمالى لدخول الفعلة ومواد البناء .

٣ ـ قرب الرواق الشمالى من الساحة الشمالية ، المعدة لنحت الأحجار والأعمدة الجديدة .

٤ ـ قلة المصلين فيه لبعده عن حدود المسجد القديم ، إلا فى أيام الجمع والمواسم .

٥ ـ استخدام هذا الجزء من المسجد بعد إكماله ، فى تخفيف الضغط عن بقية أروقة المسجد الشريف عند نقل العمارة إليها .

وبغض النظر عن قوة أو ضعف هذه العوامل ، فقد شرع الناظر المذكور ، بعد ذلك فى حفر خندق عميق بالساحة الشمالية من المسجد الشريف ، لدفن الأنقاض المحتوية على الأعمدة والأخشاب والأحجار القديمة[٥] . جريا على العادة المتبعة فى

---

(١) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٧

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٧ .

(٤) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٦ .

(٥) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٦ .

العمائر السابقة[١] . إلا أن ذلك تسبب فى إثاره مناقشات ومعارضات من بعض أهل المدينة[٢] ، الذين اعتمدوا على تكليف السلطان لهم بالاسهام فى مراقبة العمارة وحل معوقاتها[٣] . وزادوا من حدة الخلاف الذى قام بين محمد رائف باشا ومعاونه خورشيد أفندى[٤] ، وبالغوا فى الاتهامات الموجهة إلى محمد رائف باشا ، والتى لا تستند إلى خبرة علمية أو فكر هندسى[٥] .

وبفحص الذرائع والحجج التى عارض بها الناظر المذكور خصومه ، تبين أن شيئا من الأعمدة والأنقاض المدفونة ، لم يعد صالحا للعمارة الجديدة المزمع إنشاؤها وفق طراز هندسى مختلف[٦] ، تتساوى فيه الأعمدة من حيث الطول والسماكة واللون .

وترقبا لتوجيهات السلطان فى هذا الأمر ، قرر محمد رائف باشا الشروع فى بناء الإضافة الجديدة المقررة خارج الجدار الشمالى ، فابتاع الفرن والبيوت الملاصقة لجدار المسجد من الشمال ، وهدمها مع المخزن المخصص للزيت ، والميضأة المعدة من قبل للأغوات[٧] ، مع إبقاء الجدار الممتد بين المنارتين لمتانته وحسن بنائه القديم[٨] .

وكما يتضح من الشكل رقم (٣٨) فإن مدخل باب التوسل المعروف فيما بعد بالمجيدى، لم يتوسط الجدار الشمالى بل جاء فى الثلث الأخير مما يلى المنارة السليمانية . ويرجع ذلك إلى أمور منها مقابلته للباب المفتوح من قبل فى السور الداخلى للمدينة ، وكما يتضح من الوثيقة المحررة فى ١٢ شوال سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م[٩] ، فقد تم بناء ما يقرب من نصف المكاتب المذكورة ، وأن قصائد اختيرت وأرسلت بطلب الموافقة من السلطان عبد المجيد ، على الرسم المرفق لتدوينها بجانب الطفراء السلطانية بأعلى الباب المجيدى[١٠] .

---

(١) نقل عمر بن عبد العزيز أحجار المسجد وأخشابه إلى مسجد قباء ، وردمت الأروقة الشمالية والجانبية من المسجد النبوى بمخلفات العمارة بعد الحريق الثانى انظر السمودى : المصدر السابق، جـ ٢ ص ٦٢٤ . جـ ٣ ص ٨٠٩ .

(٢ ، ٣) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٦ ، ٧ .

(٤) الوثيقة رقم L ٤٨١٧٦ فى شر محرم سنة ١٢٧٣هـ ، تصنيف خط الهمايون .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٩٤ .

(٦) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٦

(٧ ، ٨) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٩ ، ١٠) وثيقة رقم ٨٧٥٥ سنة ١٢٦٨هـ أرشيف رئاسة مجلس الوزراء تصنيف الإرادة/ داخلية .

ويتبين من المسقط الأفقى لتلك المكاتب والمخازن ، المستحدثة فى عهد محمد رائف باشا ، مدى الإبداع الذى وفق إليه الناظر المذكور . الأمر الذى أثار إعجاب السلطان واستحسانه للفكرة والإشادة بها[١] . فضلا عن ثناء أهل المدينة واستفادتهم منها[٢] ، فى تعليم أطفالهم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم . بيد أن ما حققه محمد رائف باشا من نجاح وحسن قبول ، كان فى الحقيقة على حساب تقدم مراحل العمارة فى الأروقة الداخلية للمسجد ، فمن الواضح أن بناء جدران المكاتب المذكورة ـ الخارجة عن العمارة الأساسية والتى كان يجب تأجيلها حتى اكتمال عمارة المسجد ـ بتقسيماتها الداخلية وجدرانها الخارجية ، عاق تقدم مراحل العمارة الأساسية أكثر من عام ؛ لا سيما وأن الجدران المذكورة تعادل نصف أبعاد جدران المسجد تقريبا .

ومهما يكن من أمر ، فإن المعمار انتقل بعد ذلك إلى بناء الرواق الشمالى، بعد أن رفضت التهم الموجهة إليه من بعض أهل المدينة ، إلا فيما يتعلق بضرورة نقل مخلفات العمارة القديمة ودفنها قرب جبل أحد[٣] . ومع أن الوثائق والمصادر المتوفرة لم تفصح عن قيام محمد رائف باشا بهذا العمل ، إلا أنه يؤخذ من ذكرها لانتقال العمل إلى الجانب الشرقى، من مقدم المسجد الشريف[٤] أن ذلك حدث بعد خفض أرض الرواق الشمالى بحوالى ٥٠ سم تقريبا[٥] ، ونصب الأعمدة وبناء العقود ، ويؤيد ذلك ما ذكره بيرتون سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م، من أن العمل كان قائما فى هذا الرواق منذ خمس أو ست سنوات[٦] ، ومما ذكره البرزنجى عن العادة المتبعة فى البناء ، من حيث الانتقال بعد نصب الأعمدة وبناء العقود إلى موضع آخر ، حتى تجف الأولى ويسهل بناء القباب عليها[٧] .

(١ ، ٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٨٧ .

(٣) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٨ .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٥) أى حوالى ذراع بذراع اليد ، انظر البرزنجى : المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

(٦) op. cit., vol. 2 . p. 308 .

(٧) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

وكما يتبين من المخطط رقم (٣٨)، فإن البلاطات التى ضمها الرواق الشمالى، اختصرت من أربع بلاطات صغيرة إلى بلاطتين كبيرتين[١]، محصورتين بين صفين من الأعمدة المتقابلة فى كل صف ١١ عمودا ، بارتفاع خمسة أمتار تقريبا[٢]، ويقابلها أيضا ١١ عمودا ملصقة بالجدار الشمالى الذى احتفظ ببنائه القديم .

واعتمادا على ما شاهده بيرتون فى أول سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م[٣]، فإن العمل لم يكن قد انتهى بعد مما يدعو إلى الاعتقاد بتأخير عقد القباب لأسباب فنية سبق ذكرها ، وليس من تعليل لانتقال أعمال البناء إلى الجانب الشرقى من مقدم المسجد الشريف ، فى النصف الأول من سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م ، حيث هدم الجدار الممتد بين المنارة الرئيسية وباب جبريل ، إلا إذا كانت حالته البنائية لم تحتمل البقاء حتى تصلها الأعمال المعمارية .

ومن المرجح أن الرغبة فى إزالة الضيق والظلمة ، من الممر المحصور بينه وبين الحجرة الشريفة[٤]، كانت من العوامل التى ساعدت على الانتقال المفاجئ إلى هذا الجزء من المسجد الشريف .

ومهما يكن الأمر ، فقد نقل الجدار المذكور إلى الشرق ثلاثة أمتار ونصف[٥]، ثم أسس بالقوة والمتانة الكبيرة ، وبنى بالحجر المنحوت من الداخل والخارج . واستحدث فى وسطه بارتفاع القامة المتوسطة خزائن للكتب ، وثلاثة شبابيك

---

(١) البرزنجى : المصدر نفسه ، ص ٢٧ ، ويخالف ذلك ما ذكره عبد القدوس الأنصارى فى آثار المدينة المنورة ص ٩٢ من أن عدد بلاطاتها ثلاث وهو خطأ مطبعى لا شك فيه ، لا سيما وأن المؤلف أدرك الرواق المذكور وعرف حقيقته .

(٢) أى حوالى ١١ ذراع بذراع اليد انظر البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٧ ، ويقدر فالتر هنتس ذراع اليد بـ ٥٤ / ٤٨ سم ، ٣/ ٥٠ سم انظر المرجع السابق ص ٩١ .

(٣) op. cit., vol. 2 . p. 308 .

(٤) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٧ ، البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(٥) أى خمسة أذرع وربع عند البرزنجى المصدر السابق ، ص ٢٩ ، وستة أزرع عند محمد أمين المكى ، المصدر السابق ، ص ٧ ، وخمسة أذرع عند أيوب صبرى فى المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٩٢ ، وخمسة أذرع وربع فى ص ٧٩٧ .

مستطيلة كالأبواب[١]، وبأعلاه ثلاث طاقات مستديرة، تقع الواسطة منها مقابل باب النبى ﷺ[٢]. كما استغل الفراغ الناشئ عن سحب الجدار الشرقى عن المنارة الرئيسية، فى بناء مخزنين لأغراض المسجد، أحدهما سفلى والآخر علوى يتوصل إليه عن طريق سلم داخلى[٣]، كما زين باب المنارة الرئيسية بالأحجار المنحوتة[٤].

وحرص المعمار على خلو هذا الممر من الأعمدة ، فاستحدث أعمدة مزدوجة بأصل الجدار[٥]، فى مقابل الأعمدة القديمة للحجرة الشريفة . حيث تيسر إلصاق[٦] أعمدة إضافية بها لحمل القباب المنشأة فوق هذا الممر ، وقد تميزت بضخامتها عن بقية قباب المسجد المعمرة فى عهد محمد رائف باشا . كما تميزت بعقودها المزدوجة فلكل قبة عقدين ملتصقين بعقدى القبة التى قبلها والتى بعدها.

ورغم النجاح الباهر الذى وفق إليه محمد رائف باشا فى انجاز هذا العمل[٧]، فإن الخلاف احتدم مرة ثانية بينه وبين خصومه ، لأسباب خفية لم يتضح منها إلا تذرعهم بعدم مشارتهم فيما قام به من توسعة[٨]. ويبدو أن الخلاف كان عميقا حيث أبلغ إلى السلطان عبد المجيد فى بداية سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م[٩]، وقد تبين مدى الخلاف الكبير بين أراء الطرفين ، وأن التوفيق غير ممكن مما أدى إلى تعيين شخص يراعى مشاعر أهل المدينة بدلا من محمد رائف باشا ، الذى كلف بالعودة إلى إستانبول قبل إكمال بناء العقود والقباب المنشأة فى الجانب الشرقى[١٠]، وكذلك الرواق الشمالى[١١]. وقد أشرف حاجى راشد أفندى العضو فى مجلس

(١ ـ ٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٩٧ .

(٥) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٦) يستخدم البرزنجى فى المصدر نفسه ، ص ٣٠ كلمة قرنوا .

(٧) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٧ ، أيوب صبرى : المصدر السابق جـ ٢ ص٧٩٢.

(٨) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ٨ .

(٩ ، ١٠) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(١١) Burton : op. cit., vol. 12 . p. 308 .

الشورى العسكرى فى استلام ما بعهدته[١] .

هذا عن الدور الحازم والمميز الذى قام به محمد رائف باشا ، فى بناء الحرم النبوى الشريف ، من ٢٢ شعبان سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م ، حتى منتصف سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م ، حين كلف السلطان الفريق أبو بكر باشا ناظر دار الهندسة السلطانية[٢] ، بتولى المهام المنوطة بسلفه محمد رائف باشا . فورد المدينة فى ١١ شعبان سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م [٣] ، وبصحبته المدرس بدار الهندسة الحاج محمود أفندى . وشيخ الحرم الجديد عثمان باشا[٤] ، الذى عين بعد موت داود باشا[٥] . وبعد التفقد لأعمال سلفه ، باشر الفريق أبو بكر باشا رسم مخطط جديد ، لما ينوى عمله فى الأجزاء الباقية من أروقة المسجد الشريف[٦] ؛ ولابد كالعادة أن يحظى المخطط المقترح بموافقة السلطان ، قبل إصدار اللائحة التنفيذية إلى ناظر العمارة فى المدينة المنورة[٧] .

وعلى أية حال فقد بدأ بإكمال العقود والقباب، التى أسسها محمد رائف باشا بالرواق الشمالى[٨] ، والجانب الشرقى من مقدم المسجد الشريف[٩] ، ثم نقلت الأعمال إلى الرواق الغربى ، فهدمت المنارة القائمة فى ركنه الشمالى الغربى[٩] ، المعروفة بالشكيلية ثم الخشبية ثم المجيدية فيما بعد، وذلك بعد اطلاع السلطان عبد المجيد على وهنها وطلب الموافقة على تجديدها[١٠] . وعمق أساتها الأول بعد

---

(١) الوثيقة رقم ٤٨١٧٦ K فى ٢٧ صفر سنة ١٢٧٣هـ أرشيف مجلس الوزراء العثمانى تصنيف خط الهمايون .

(٢) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٨ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٤) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ٨ .

(٥) وثيقة رقم ٧٥٩٢ فى ١٩ محرم سنة ١٢٦٨هـ/ أرشيف رئاسة مجلس الوزراء / مجلس الوالا .

(٦) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٨ .

(٧) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٨ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٣ ص٧٩٨ .

(٨) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٨ .

(٩) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٠ والمعمرة من عهد الظاهر بيبرس .

(١٠) وثيقة رقم ٤٨١٧٣ فى الأول من شهر محرم سنة ١٢٧٣ هـ أرشيف رئاسة مجلس الوزراء / خط الهمايون .

السماح بتجديدها بما يزيد على القامة[1] ، ثم زرعت فيه الخوازيق الخشبية[2] ، مما زاد من صلابة الأرض وتماسكها، وحال دون انخفاضها بعد بناء الأساس بقطع ضخمة من الحجر الأسود القوى ، ورفع البناء مربعا بالحجر ذاته حتى استوت بالأرض، وهو ما عبرت عنه بعض المصادر بكرسى المنارة[3] ، وزيادة فى الحيطة أجل البناء فيها حتى تجف المؤنة ويتماسك البناء .

وانتقل البناء بعد ذلك إلى إصلاح الجزء الملاصق للمنارة المذكورة من الجدار الغربى، فهدمت بعض المداميك المتأثرة بميل المنارة وأعيد إصلاحها ، ولم يتعرض لبقية الجدار الممتد من قرب المنارة الجيدية حتى باب الرحمة لمتانة بنائه[4] . وكان قد جدد فى عهد السلطان سليمان سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م[5] . ثم نظمت الأعمدة فى الرواق المذكور فى ثلاثة صفوف، بدلا من الأربعة السابقة ، وإذا كانت كتب التاريخ خصت أبا بكر باشا بهذا العمل وأشادت به[6] ، فإن ذلك جاء نتيجة لوضع الأعمدة فى الرواق الشمالى لا سيما ما يقابلها منه، وهو ما أسس في عهد محمد رائف باشا[7] . إذ لا يعقل أبدا أن تكون أقل أو أكثر من ذلك، كما يتبين من الشكل رقم (٣٨). خاصة وقد أعيدت المساحة المسقوفة من الرواق المذكور كما كانت فى أول الأمر .

وبما أن الجدار الواقع غربى هذا الرواق ، لم يهدم بكامله كما تقدم ، فإن المعمار اتبع الطريقة المستخدمة أولا فى جدار المؤخرة ، فعمد إلى إلصاق عدد مماثل من الأعمدة بأصل الجدار المذكور[8] ، فى محاذاة الصفوف الثلاثة التى تتوسط

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٩٨ .

(٢) البرزنجى ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ص ٣٠ .

(٤) البرنزجي : المصدر نفسه ، ص ٣١ .

(٥) انظر أعلاه ص ٣٢ .

(٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣١ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٩٨ .

(٧) انظر أعلاه ص ١٠٧ وما بعدها .

(٨) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣١ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٩٨ .

الرواق المذكور - آخذة من الرواق الشمالى إلى باب الرحمة - ليتسنى عقد العقود عليها وتخفيف الضغط عن الجدار المذكور . مع ما يمكن أن تضيفه من دعم ومساندة .

وجريا على العادة المتبعة فى نقل الأعمال بعد نصب الأعمدة وعقد العقود إلى مكان آخر . انتقل العمل إلى الجانب الشرقى من السجد الشريف، حيث تقرر هدم الجدار الممتد من المنارة السليمانية إلى باب النساء[١] ، ثم أعيد بناؤه بالحجر الأسود المنحوت فى نهاية سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م[٢] ، مما يحمل على الاعتقاد استخدام كثير من أحجاره السابقة ، للمساعدة في توفير كثير من الجهد والمال والوقت .

ويستدل من إقامة الأعمدة داخل الجدار المجدد كما تقول بعض المصادر[٣] ، اختفاء البروز الناشئ عن إلصاق الأعمدة فى الجدار الغربى والشمالى ، وكان تنظيم الأعمدة فى صفين ، جاء وفق الطريقة المستخدمة فيما يقابلها من الرواق الشمالى . وترتب على ذلك إلغاء بلاطة واحدة ، من أصل البلاطات الثلاث الموجودة به سابقا[٤] ، مع احتفاظ الرواق المذكور بنفس المساحة المسقوفة منه أولا .

وبعد إقامة بعض الأعمدة فى هذا الجزء من المسجد ، قرر أبو بكر باشا التوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج ، فتقدم لشيخ الحرم عثمان باشا بخطاب مؤرخ فى ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م، يطلب فيه الموافقة على اختياره لمدير الحرم النبوى لطيف أفندى ، فى مراقبة الأعمال والإشراف عليها[٥] ، وقد لبى طلبه كما يتبين من خطاب شيخ الحرم الذى تمنى فيه ألا يتسبب المذكور فى تأخير الأعمال أو تعطيلها[٦] ، كما يبدو أن تعيين محاسب لأبنية الحرم النبوى فى أواخر سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م ، كان ذا علاقة وثيقة بالموضوع[٧] .

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ص ٣١ .

(٢) الوثيقة رقم ١٢٦ فى ٤ شوال سنة ١٢٧٠هـ مجلس الوزراء تصنيف إرادة / مجلس الوالا .

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٩٩ .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٥ ، ٦) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٩٩ .

(٧) وثيقة رقم ١٩٣٥٢ فى ٥ ذى القعدة سنة ١٢٧٠ هـ مجلس الوزراء تصنيف إرادة / داخلية .

وعلى أية حال فإن الأعمال سارت حثيثة أثناء موسم الحج، فى نصب الأعمدة وإكمال بناء العقود المتبقية فى الرواق الشرقى ، ويؤيد ذلك ما ذكر من إكمال العقود والقباب فى هذين الرواقين، فى المدة التى أشرف فيها متولى العمارة بعد عودته من الحج ؛ حتى وافاه الأجل فى التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م[١] . وحتى لا تتعطل العمارة قرر محافظ المدينة المنورة، وبقية أعضاء الهيئة المشرفة على بناء الحرم النبوى، تكليف شيخ الحرم الجديد دلاور باشا بالإشراف المؤقت[٢]، ريثما ترد التعليمات من العاصمة إستانبول . وكان المذكور قد باشر إكمال ما تبقى من القباب فى الجهة الشرقية ، وهدم المتبقى من السقوف والأعمدة قرب باب الرحمة [٣]، ثم أعادها على نمط الجزء المعمر من الرواق الغربى وبهذا تكون الأروقة الجانبية اكتملت مع مؤخرة الحرم الشريف، حيث يتبين من المسقط الأفقى للمخطط المنشور فى مرآة الحرمين[٤]، أن البعد بين الأعمدة متساو فى الأروقة الثلاثة ، وأنها وضعت على محور واحد ، رغم اختلاف المشرفين على العمارة[٥] . ونظرا لبعد هذا الجزء من المسجد الشريف عن حدود المسجد الأصلى ، فقد اتيحت للمعماريين فرصة التصرف فى استبعاد بعض الصفوف من الأعمدة واختصار بلاطات الأروقة المذكورة .

وازاء تأخر قدوم متول جديد من العاصمة ، وقلة خبرة شيخ الحرم بالنواحى المعمارية ، وخشية من تعطيل المهندسين وسائر الفعلة ، قرر شيخ الحرم دلاور باشا إقامة بعض المنشآت الإضافية خارج باب جبريل، فبلط ما بين باب النساء وباب

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٠٠ ويخالفه ما ذكره البرزنجى ص ٣١ من أن شيخ الحرم ومحافظ المدينة وغيرهم أقاموا المتولى قبله . وهذا يعنى تكليف مدير الحرم لطيف أفندى الذى تولى الإشراف أثناء سفر أبا بكر باشا للحج سنة ١٢٧٠هـ.

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٤) إبراهيم رفعت : جـ ٢ ص ٤٤٨ ، ٤٤٩

(٥) تولى عبد الحليم أفندى ثم خلفه محمد رائف باشا بعد موته ثم عزل محمد رائف وعين أبو بكر باشا ثم شيخ الحرم دلاور

جبريل[١]، وأحاط مصلى الجنائز الواقع خارج الجدار الشرقى بين المنارة الرئيسية ومدخل باب جبريل، بجدار من الحجر المنحوت ، وحجز ما يلى باب جبريل منه بسياج من الخشب المسقوف، لحماية حراس باب جبريل، من الشمس والمطر . ثم أقام كذلك على يسار الخارج من باب جبريل ، دكة محاطة بسياج وبابا من الخشب[٢]. وتوخى شيخ الحرم النبوى من بناء السياج المذكور بعد بسطه بالرخام والحجر الأسود ، استخدامه للصلاة أيام الجمع والمواسم ، بالإضافة إلى مبيت الفقراء والمقطوعين فيه[٣]، طيلة الأشهر الحارة[٤]. هذا فضلا عن كونه الموضع المخصص لصلاة الجنائز من قبل .

ويعتقد بأن المدخلين المؤديين فى الوقت الحاضر ، إلى المكان المحاط بسور منخفض قرب باب جبريل ، تهذيب لما أقامه شيخ الحرم فى السابق . ولا يتناسب حجم هذه الأعمال مع الزمن الذى استغرقه دلاور آغا فى الإشراف على العمارة، حتى قدوم المتولى الجديد أدهم باشا فى ١٥ صفر ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م. مما يدل على توقف البناء أكثر من ثمانية أشهر ، مما يحمل على الاعتقاد بأن يكون شيخ الحرم دلاور آغا ، وجه اهتمامه خلال المدة المذكورة فى تكسية القباب بالرصاص المرسل من الأستانة سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م[٥]؛ على القباب المعمرة فى مجنبتى المسجد ومؤخرته . كما يؤخذ من ذكر بعض الوثائق العثمانية ، لإرسال النقود فى أوائل سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م[٦]، أن يكون تأخرها عن سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، مما عاق سير العمل أيضا . وبغض النظر عن هذا كله فإن التوفيق الذى صاحب تعيين ناظر مكتب البحرية أدهم باشا[٧]. لتولى الإشراف على ما تبقى من

(١ ، ٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٣) البرزنجى : المصدر نفسه ، ص ٣١ .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٠٠ .

(٥) وثيقة رق ١١٨٠٨ فى ٢٩ ربيع الأول سنة ١٢٧٠هـ مجلس الوزراء تصنيف – إرادة مجلس الوالا .

(٦) وثيقة رقم ١٣٣٣٧ فى شهر محرم سنة ١٢٧١هـ أرشيف مجلس الوزراء . مجلس الوالاة .

(٧) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٨ .

عمارة الحرم النبوى، ساعد فى استئناف العمل بعد تأمين الأموال وإرسال الحجارين الماهرين[١] ، فضلا عن إرسال عشرين عاملا للبناء من مصر، أجرة كل واحد منهم سبعون قرشا ، صرفت كلها من المبالغ المحمولة إلى الصراف المعتمد فى مصر، والمقدرة باثنين وسبعين كيسا من النقود[٢]. لتأمين المبالغ المذكورة وشراء لوازم مبانى الحرم الشريف ، التى كان من أهمها إرسال مائة صندوق من الزجاج [٣].

وبعد تفقد أدهم باشا لأعمال أسلافه ، قرر هدم الجزء المتبقى من السقوف القديمة بين باب النساء وباب جبريل[٤] ، وأعاده بعد أن وسع البعد المتعارف عليه بين الأعمدة السابقة ، فنتج عن ذلك نقص عمود واحد من الصفين[٥] المنتظمين فى بعد واحد من مؤخرة المسجد الشريف حتى باب النساء .

ولهذا فإن الكبر الذى تتميز به القباب الموجودة حاليا عند مدخل البابين الشرقيين ، يشير وبشكل واضح إلى عظم النجاح الذى وفق إليه أدهم باشا[٦] ، فى إخلاء هذا الجزء من المسجد الشريف من تقارب الأعمدة تسهيلا لحركة الدخول والخروج المستمرة . فعمد إلى جانب الحجرة الشمالى، واردف بكل عمود من أعمدتها الثلاثة القديمة عمودا كبيرا من الحجر الأحمر المربع كما يظهر فى الشكل (٣٩) ، وأسند بأوسطها محرابا منحوتا فى قطعة واحدة من الحجر الأحمر، أقامه فى موضع محراب التهجد[٧] ، وظهرت الأعمدة الجديدة فى شكل هندسى متميز بكثرة الزوايا القائمة، كما هى الحال فى الأعمدة المستخدمة من قبل فى عهد محمد رائف باشا فى الجانب الشرقى من الحجرة الشريفة[٨] .

---

(١) وثيقة رقم ١٣٥١٠ فى ٢٥ صفر سنة ١٢٧١ هـ أرشيف مجلس الوزراء ، مجلس الوالاة .

(٢) الكيس يساوى خمسة وعشرين ألف بارة ، والبارة تساوى ربع من القرش . انظر مقدمة ليلى عبد اللطيف لحسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاجة لأحمد الرشيدى ص ١٩ حاشية رقم ١ .

(٣) وثيقة رقم ٢٠٥٣٧ فى ١٨ صفر سنة ١٢٧١ هـ أرشيف رئاسة مجلس الوزراء تصنيف إرادة .

(٤ ، ٥) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٦) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٨ .

(٧) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٥ .

(٨) انظر أعلاه ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

ويبدو أن أدهم باشا حرص على أن يكون شكل القباب المذكورة ، متسقا مع القباب المنشأة سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م بين المنارة الرئيسية وباب جبريل ، فى عهد محمد رائف باشا ، وتبدو جميعا للوهلة الأولى متماثلة فى الحجم ودقة البناء . ولأسباب قد يكون منها الحاح أغوات الحرم النبوى ، فى إعادة المخزن الموجود أولا بين باب النساء وباب جبريل ، فقد أعاده أدهم باشا وبناه بالحجر الأحمر المنحوت وزاد فوقه مخزنا آخر يتوصل إليه عن طريق سلم داخلى[١] . وسقفه جزء من طرف القبة الكبيرة التى تغطى مدخل باب النساء ودكة الأغوات ، أما سقف الطابق الأول من المخزن المذكور فقد تبين لى أنه على شكل قبو نصف إسطوانى .

كما أبقى أدهم باشا على دكة الأغوات بعد بنائها بالحجر الأحمر المنحوت ، ونصب بأركانها أحجارا متوجة بما يشبه كيزان الصنوبر[٢] ، وذلك ليتسنى تثبيت «الدربزينات» بها . وهى مستطيلة الشكل ٨ × ١٢م، وترتفع عن الأرض بحوالى ٥٠ سم[٣] ، كما جدد أيضا الدكة المقابلة لها مما يلى باب الحجرة الشمالى، على نفس الهيئة والبناء[٤] . إلا أنها منخفضة عنها بحوالى ربع المتر . ثم عمد إلى نهاية الرواق الشرقى، فأقام فى موضع مصلى شيوخ الحرم قبل عمارة عبد المجيد[٤] ، حاجزا من الحجر الأحمر بين نهاية الرواق المذكور، والممر المؤدى من باب النساء إلى دكة الأغوات . وأقام كذلك محرابا وخزائن لحوائج الأغوات وأمتعتهم[٥] ، كما يتضح من الجزء المقتطع من مخطط الحرم النبوى المنشور فى مرآة الحرمين[٦] . كما أقام أدهم باشا خارج باب النساء، فى الزاوية الناشئة عن بروز باب جبريل وما يقابله من الجدار الشرقى، سبيلا من الحجر الأحمر المنحوت مزودا بصنابير للوضوء[٧] ،

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ص ٣٥ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٠٩ .

(٣) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٥ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٠٩ .

(٥) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٥ .

(٧) البرزنجى : المصدر نفسه ، ص ٣٥ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨١٠ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧ .

ويظهر من إعادة أدهم باشا لما كان بالمسجد الشريف من مخازن ودكاك، صرامة التعليمات المقدمة من السلطان عبد المجيد فى تجنب ما يثير أهل المدينة أو يغضبهم، ورغبته فى إرجاع ما كان بالمسجد الشريف من المعالم والآثار التى ألفوها . ولذلك أعاد أدهم باشا السياج الخشبى المنشأ سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م ، فى الطرف الجنوبى من الرواق الشرقى، وزاد فى مساحته بحيث أقيم بين ثلاثة أعمدة من الجنوب إلى الشمال باتساع البلاطتين[١]، المنشأتين فى هذا الجانب من المسجد .

ويلاحظ انحصار الأعمال التى قام بها أدهم باشا ، طيلة ١٩ شهرا قضاها فى المدينة المنورة ، فى بناء عدد من القباب والدكاك عند باب جبريل وباب النساء ، مما يحمل على الظن أنه اصطدم بعدد من المعارضين عند بناء القباب المذكورة، خاصة وأن جانبا منها قد لامس من الغرب حدود المسجد القديم . ويرجح هذا الرأى ما ذكرته بعض المصادر من وصول محمد راشد أفندى عضو مجلس الشورى العسكرى[٢] ، موفدا من الباب العالى إلى المدينة المنورة فى سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م[٣] ، للتحقق من إمكانية بناء ما تبقى من المسجد الشريف ، على ضوء المقترحات والخرائط التى أعدها من قبل محمد رائف باشا سنة ٦٧ ـ ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٠ ـ ١٨٥٢م .

واجتمع محمد راشد أفندى بالمسئولين فى المدينة المنورة ، فى الوقت الذى كان فيه أدهم باشا مشغولا بإكمال بعض الأعمال قرب باب الرحمة[٤]. ووقف على موضع النزاع وجمع أراء المعارضين واقتراحاتهم ، ثم عاد إلى دار السلطنة بعد أن أعد لائحة من أحد عشر بندا لتنظيم العمل القائم فى المسجد الشريف، حتى ترد أوامر السلطان وتعليماته[٥].

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٥ .

(٢) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ١٢ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٠٢ .

(٣) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ٨ .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٠٢ .

(٥) الوثيقة رقم ٤٨١٧٦ فى ١١ محرم سنة ١٢٧٣ هـ أرشيف مجلس الوزراء تصنيف خط الهمايون .

ومن المرجح أن تكون العوامل السابقة، مما عاق سير العمل فى عهد أدهم باشا الذى توفى فى أواخر سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م ، ويؤخذ من تكليف شيخ الحرم وبقية أعضاء لجنة الشورى فى المدينة المنورة ، للمعمار صالح أفندى فى شهر شعبان سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، بالشروع بعد موت أدهم باشا فى إضافة بلاطتين بمؤخرة رواق القبلة مما يلى الصحن[١]. أن انتظار موافقة السلطان على هذه الزيادة كان أيضا من العوامل التى أسهمت فى تأخير سير العمل وتقدمه فى عهد أدهم باشا .

وبغض النظر عن هذا كله فإن المعمار صالح أفندى، باشر هدم ما يلى الصحن من البلاطات القديمة، وقرر الاقتداء بما تم فى وضع الأعمدة المتباعدة نسبيا فى نهاية الرواقين الشرقى والغربى عند باب الرحمة وباب النساء[٢]، وتبين لأهل المدينة أن تطبيق هذه الفكرة قد يخرج مستقبلا بعض الأعمدة القديمة من المسجد الشريف[٣] مما حدا بهم فى مجلس عقده شيخ الحرم دلاور آغا لهذا الغرض، إلى معارضة الفكرة والتمسك بالآراء التى نقلها عنهم محمد راشد أفندى من قبل . ولصعوبة تقريب وجهات النظر بين المؤيدين والمعارضين، توقف العمل وقام كل طرف بنقل أفكاره واقتراحاته مرة أخرى إلى السلطان عبد المجيد[٤]، الذى قرر على ما يدور إلحاق مناقشة ماجد من أحداث ، بالآراء التى حملها من قبل محمد راشد أفندى عن أهل المدينة ، والمعروضة على مجلس خاص من العلماء والوزراء لمناقشة الآراء المؤيدة والمعارضة ، ومقارنتها بالخريطة المقدمة من هيئة البناء فى المدينة المنورة، عن موقع الأعمدة القديمة ، مع بحث الآراء والخرائط التى رسمها محمد رائف باشا من قبل .

وبعد مناقشة مستفيضة داخل المجلس المعقود لهذا الغرض، تقرر تجديد عمارة رواق القبلة، مع ضرورة نصب الأعمدة الجديدة فى موضع الأعمدة القديمة ، نظرا

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨١٠ .

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٣) البرزنجى : المصدر نفسه ، ص ٣٦ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨١١ .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٦ .

لوجود ثمانية أعمدة من الآثار النبوية[١] ضمن الأعمدة المزمع تجديدها والمقدرة بـ١٤٣ عمودا[٢]، فضلا عن مجموعة أخرى تنسب لسيدنا عمر وعثمان رضى الله عنهما ، وما عداها فلا حرج من التصرف فيه[٣].

وبناء عليه عمد شيخ الحرم الجديد طوسون باشا[٤]، باعتماد اللائحة التى تحدد أولويات العمارة ، تشكيل مجلس مؤقت من الموظفين المحليين والمهندسين وملاحظى البناء ، للنظر فى تنفيذ ما تضمنته اللائحة المذكورة[٥]. ثم شرع المعمار صالح أفندى بعد ذلك فى وضع القواعد ونصب الأعمدة ، فى البلاطتين المذكورتين على نفس الطريقة التى اعتمدها من قبل ، وريثما ترد التعليمات من العاصمة إستانبول فيمن يخلف أدهم باشا ، وسارت الأعمال حثيثة متقنة وفق أوامر وتعليمات السلطان عبد المجيد .

وبعد تقليب وجهات النظر فيمن يتولى نظارة عمارة المسجد الشريف، وجد من الأفضل تعيين محمد راشد أفندى لما يتمتع به من خبرة معمارية[٦]، ودراية بمطالب ورغبات أهل المدينة المنورة[٧]، وكلف بالعودة مرة ثانية إلى المدينة المنورة لتولى أمانة البناء فيها ، فوصل إليها سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م ومعه عدد من المهندسين والنحاتين[٨]. وبدأ فى إكمال بناء البلاطتين اللتين أسسهما صالح

---

(١) هى إسطوانة المصلى ، عائشة ، التوبة ، السرير ، المحرس ، الوفود ، مقام جبريل مربعة القبر . انظر السمودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٣٩ وما بعدها .

(٢) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٩ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٠٦ ، ٨٠٧ .

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٠٣ .

(٤) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٩ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٠٤ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر نفسه ، جـ ٢ ص ٨٠٤ .

(٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٧ ويخالف ذلك ما ذكره فى ص ٣٦ من موافقة السلطان على إعادة البناء وفق المخطط القديم وفى ذلك إشارة إلى أن الأعمدة كلها أعيدت فى مواقعها .

(٧) كان قد نجح فى المهمة التى كلف بها سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م فى استطلاع أراء أهل المدينة وبحث النزاع القائم فى عهد أدهم باشا ، انظر أعلاه ص ١١٨ .

(٨) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ٩ .

أفندى، حيث قارب العمل فيهما عند وصوله من النصف[١]، ولأسباب مجهولة وجد نفسه مضطرا لإكمال بنائهما وفق القواعد والأسس التى وضعها صالح أفندى، دون أن يفطن إلى ما نشأ مستقبلا من عدم انتظام بعض أعمدتها مما يلى باب النساء[٢] مع رواق القبلة ، من اعتراض أهل المدينة وقدحهم فى إخلاصه وكفاءته . ومن المرجح أن يكون هدم ما يليها من البلاطات التى أضافها مراد الرابع ، قد حال دون اكتشافه لهذا الخلل، فضلا عن تحمسه واندفاعه لإكمال البناء فى أسرع وقت ممكن ، وثقة منه فى أن صالح أفندى توخى الدقة فى وضع الأعمدة الجديدة فى محاذاة القديمة ، لا سيما وأنه حضر النزاع الذى قام بين أهل المدينة وبين أدهم باشا ، واطلع على اللائحة التى رتبها محمد راشد أفندى عقب النزاع المذكور سابقا [٣].

وكما يظهر من المخطط رقم (٣٤) فإن بهاتين البلاطتين ١٨ عمودا فى صفين متوازيين ، من مدخل باب النساء وباب جبريل إلى باب الرحمة ، لا يظهر الخلل المقدر بحوالى ٢٥ سم تقريبا[٤] إلا فى أربع من بداية الجانب الشرقى منها .

وبمقتضى أصول الهندسة والبناء فى ذلك الوقت ، انتقل البناء إلى الجانب الغربى، ريثما تجف مؤنة البناء وتتماسك العقود . فهدمت البلاطات الخارجة عن حدود المسجد الأول مما يلى الجدار الغربى، الممتد من باب الرحمة إلى باب السلام[٥]، وخفض الارتفاع البسيط الذى كان يميز خروج هذا الجزء من رواق القبلة عن حدود المسجد القديم[٦]، وتبين من الفحوص التى أجريت لأختبار قوة ومتانة الجدار المذكور ، صلاحيته للبناء الجديد [٧]. بعد اسناد عشرة أعمدة (*) من الأعمدة المربعة ، فى مقابل الأعمدة المجددة فى البلاطات المذكورة ، كما هو ظاهر به الآن .

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٧ .
(٢) البرزنجى : المصدر نفسه ، ص ٣٧ ، أيوب صبرى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨١٤ .
(٣) انظر أعلاه ص ١١٧ .
(٤) أى حوالى نصف ذراع كما يذكر البرزنجى فى المصدر السابق ، ص ٣٩ .
(٥ ، ٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٧ .
(٧) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٧ .
(*) انظر الخريطة شكل (٣٤) .

ونظرا لاحتواء المساحة المهدمة على خمس بلاطات متعامدة على جدار القبلة، منها ما زيد فى عهد عمر بن الخطاب[١]، وعثمان بن عفان[٢]، والوليد بن عبد الملك[٣]، فإن محمد راشد أفندى كان حذرا جدا فى إعادة الأعمدة فى مواقعها الأصلية . لا سيما البلاطات المنسوبة للراشدين عليهما الرحمة والرضوان ، امتثالا لأوامر وتعليمات السلطان عبد المجيد .

وقد وفق محمد راشد أفندى فى إيجاد طريقة مهذبة ، للدلالة على ما زيد فى المسجد النبوى الشريف بعد رسول الله ﷺ ، بدلا من نتوء الأرض فى حده الغربى، ومن ثم رأى أن يميز أعمدة الصف الخامس مما يلى الجدار الغربى ، بنقش عبارة «هذا حد المسجد النبوى »[٤] بخط عربى واضح فى إطار مزخرف ، محيط بأعلى الأعمدة التى تمتد صفوفها متعامدة على جدار القبلة ، أما حده القبلى فجعل بدل السياج الخشبى الأول فيما يقابل البلاطات المعمرة فى عهده، حجارة مسنمة من الحجر الأحمر النحيت[٥] ، على هيئة الشكل التالى ثم ثبت فى أعلاها سياجا من النحاس الجميل على هيئة عقود متداخلة . معتدلة ومقلوبة ، تلتقى فى دوائر فى منتصف السياج .

ونظرا لعمق رواق القبلة وحاجته إلى الضوء ، والهواء بعد إضافة البلاطتين المذكورتين ، استحدث بأعلى رقاب القباب المنشأة بين باب الرحمة وباب السلام شبابيك علوية[٦] ، تتناوب فى صفين متعاقبين من صفوف البلاطات الخمس[٧] .

---

(١) وهما البلاطتان الخامسة والسادسة من المنبر الشريف .

(٢) فى موضع البلاطة السابعة .

(٣) وهما البلاطتان الثامنة والتاسعة من المنبر الشريف . عن الزيادات المذكورة انظر السمودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٤٥٣ ، ٥٠٦ والشهرى : المرجع السابق ص ٨٦ ، ٩٥ ، ١٠٨ _ ١١٠.

(٤ ، ٥) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٧) انظر الدراسة الوصفية ص ١٩٥ .

ومن خلال المعلومات المتوفرة تبين أن محمد راشد أفندى أكمل بناء البلاطات المذكورة فى أقل من عام[١]، إلا أن خلافات جديدة نشأت بينه وبين أهل المدينة، الذين اعترضوا على تغيير مواقع بعض الأعمدة التى تعود لسيدنا عمر رضى الله عنه[٢] فى البلاطات المذكورة . لا سيما ما كان منها قرب باب السلام، حيث أسند بجدار القبلة أربعة أعمدة لقى عند وضعها معارضة شديدة[*] وقد نقل الخلاف إلى السلطان عبد المجيد، مما دعا محمد راشد أفندى وبقية أعضاء اللجنة المشرفة على بناء الحرم النبوى، إلى الانتقال بالبناء إلى المنارة المجيدية ، لإكمال ما تبقى منها حيث أنها تركت بعد أن وضع أساسها أبو بكر باشا سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م . وقد بدئ بها من كرسيها باستخدام الحجر النحيت والمؤنة الجيدة ، بعد أن اختصر من أساسها بالقدر المتعارف عليه فى ثبات المنارة ومتانتها[٣]، وعليه فقد جاءت على صفة المنائر العثمانية ، بثلاث شرافات وجوسق من الخشب المخروطى، المغطى بالرصاص . وكان ذلك فى سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، كما يتبين من الأبيات الشعرية التى نظمت بعد إكمال البناء فى المنارة المذكورة[٤] .

وحرصا منه على أتباع القاعدة التى سار عليها أسلافه ، انتقل بعد تهيئة الجانب الغربى والجنوبى من رواق القبلة ، إلى بناء واحدة من البلاطات التى أضافها مراد الرابع ، وكان سقفها قد هدم فى عهد المعمار صالح أفندى، عند إضافة البلاطتين اللتين أمر بهما السلطان عبد المجيد ، فوضعت الأعمدة فى مقابل

(١ ، ٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨١٢ ـ ٨١٣ .

(*) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٣) انظر بناء المنارة السليمانية ص ٢٥ .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٨ ونص الأبيات هو :

سلطاننا الملك الغازى المجيد بنى ... فى مسجد الهاشمى المصطفى طه
منارة لم تطاول رفعة وبها ... يحق للدهر فخرا لو بها باها
فريدة ان بدى شكل يماثلها ... فإنما ذاك حقا عكس مرآها
ودت نجوم السما لو أنها انتظمت ... فى جيدها لبة تزهو ثرياها
بغاية الابتهاج الفكر آرخها ... منارة بالبهاء تم مبناها

سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨ م.

المضافة ، دون ملاحظة الانحراف البسيط الذى حدث من قبل فى بداية الجانب الشرقى من البلاطات السابقة ، إلا إقامة الأعمدة ، ولو أمكن إعادة المحرف منها بعد هدم القباب والعقود التى بها الخلل ، نظرا لقلتها وانحصارها فى بداية مؤخرة رواق القبلة مما يلى باب النساء وباب جبريل ، لحال ذلك دون النزاع الذى سببه بعض أهل المدينة لمحمد راشد أفندى .

وبما أن هذا الخلل غير ملفت للنظر فى الوقت الحاضر ، ولا يعتبر عيبا هندسيا على حد قول بعض المصادر[١] ، فلا بد أن هناك أسبابا أخرى كقيام المذكور بتغيير موضع بعض الأعمدة القديمة[٢] ، بالإضافة إلى ما أتهم به من أمور كان سببها فى الغالب حرصه المفرط فى انتظام العمل وسرعة الانجاز[٣] . ويؤيد ذلك إعداده لمعظم ما استخدم بعده فى العمارة المذكورة ، من الأعمدة والتيجان والأحجار المنحوتة والمتطلبات الأخرى[٤] ، كما أن حجم الأعمال التى أنجزها المذكور بين ١٢٧٤ ـ ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨م، يفوق أى إنجاز تم لأسلافه فى مثل هذه المدة أو قريبا منها .

ومهما يكن الأمر فقد رأى السلطان عبد المجيد أن من الحكمة أيضا الاستجابة لآراء أهل المدينة ، فأقال محمد راشد أفندى فى شهر ذى القعدة سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م[٥] ، وبحث عن شخص آخر يراعى مشاعر أهل المدينة ويلاطفهم لئلا تتعطل العمارة ، خاصة وأنها أشرفت على البدء فى الجزء المهم والحساس من المسجد الشريف . ولذلك أوقف العمل فى المسجد قرابة سبعة أشهر[٦] ، مع استمرار صرف المخصصات والمرتبات للمشاركين فى البناء ، من الفعلة والكتبة والمقدمين والحجارين والجباسين والنقاشين والحدادين وغيرهم[٧] ، مما أضاف للخزينة أعباء مالية ثقيلة لم تكن فى الحسبان .

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ص ٣٩ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨١٤ .

(٢) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ١٢ ، البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٣ أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨٣١ .

(٣ ـ ٥) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٦) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨١٣ .

(٧) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٩ .

وكانت تحريات السلطان المكثفة عمن يخلف محمد راشد أفندى، قد توصلت فى أواخـر سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م[١]، إلى اختيار المهندس عمر جمال الدين أفندى[٢]، الذى كلف بالذهاب إلى المدينة لتـولى الإشراف على أعـمـال البناء فيها[٣]، وتهـيـأ لآداء فـريضـة الحج أولا، إلا أن وفـاته فى مكة سنة قـدومـه[٤]، أضاعت الجهود الحثيثة لإكمال البناء المتوقف من عدة أشهر، حتى قال السلطان متحيرا لدى سماعه موت المهندس المذكور « لا بد وأن هناك حكمة خفية فى هذا الأمر. حيث أننا أرسلنا لهـذه المهـمـة من رجـال دولتنا، كـوجك حليم أفندى، ومحمد راشد أفندى وعمر جمال الدين أفندى[٥]، ولم يكمل أحد منهم مهمته. وعينا لهذه المهمة محمد رائف باشا، وأبو بكر باشا، وأدهم باشا، وهـم من قواد جيشنا العارفين بالعلوم الهندسية، ولم يوفق هؤلاء أيضا فى إنجاز تلك المهـمـة. فلنجرب هذه المرة رجلا موثوقا به من حملة العلم الشريف، وليكن أسعد الدين أفندى « عربانى زاده»، المعروف بالصدق وقوة التدين »[٦].

وإضافة لما فى النص السابق من المقـومـات التى أهلت أسعد أفندى المعروف بعربانى زادة، لتولى الإشراف على عمارة المسجد النبوى الشريف، فإن وجوده فى الحجاز آنذاك لآداء مناسك الحج، ساعد أيضا فى ترشيحه لهذا المنصب، لما فى ذلك من مكاسب زمنية ساعدت فى انتقاله من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فور تسلمـه أمر تعيينه فى أوائل شهـر جمـادى الأولى سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م[٧]،

---

(١) محمد كامل المدنى : المصدر السابق، ص ١٢.

(٢) لم أعثر على ما يفيد بمنصبه قبل تعيينه ناظرا للعمارة المذكورة.

(٣) وثيـقـة رقم ٦٠٤ فى شـوال سنة ١٢٧٥ هـ أرشـيف مـجلى الوزراء تصنيف إرادة / المجلس المخصوص.

(٤) محمد كامل المدنى : المصدر السابق، ص ١٢، أيوب صبرى : المصدر السابق، جـ ٢ ص ٨١٨.

(٥) كان هؤلاء جميعا من المهندسين.

(٦) أيوب صبرى : المصدر السابق، جـ ٢ ص ٨١٨، ٨١٩، محمد أمين المكى : المصدر السابق، ص ١٣.

(٧) أيوب صبرى : المصدر السابق، ٨١٩.

حيث أسند له أيضا قضاء المدينة المنورة ، فاعتذر عن مباشرته له وأناب عنه السيد محمد المدنى[١] . وفى هذا إشارة إلى أن الناظر المذكور ركز جل اهتمامه فى إكمال العمارة لتكون عند حسن ظن السلطان وصحة اختياره له .

وكان من الحكمة إسناد السلطان عبد المجيد مهمة الفصل الفورى فى النزاعات المستقبلية ، لأمير مكة الشريف عبد الله باشا[٢]، منعا لإطالة النزاع ، وحرصا على إكمال بناء المسجد النبوى الشريف فى أقرب وقت ممكن .

هذا من حيث العوامل التى ساعدت فى تعيين القاضى أسعد الدين أفندى «عربانى زادة» ، أما هو فقد أحس بعبء المسئولية لافتقاره الخبرة فى الشئون الهندسية من جهة ، ولكون العمارة التى سيشرف عليها فى الجزء القديم من المسجد الشريف الذى كان مصدراً لمتاعب أسلافه من المهندسين ، ولذلك هداه تفكيره إلى التصرف برفق وروية ، فجمع علماء المدينة وساداتها وموظفيها ، وبحث معهم الآراء والمقترحات المطروحة ، كما ناقشهم فى الخرائط التى رسمها أسلافه وطلب منهم العون والمساعدة[٣]. ثم انتخب منهم مجلسا أنيط بأعضائه الحضور عند نزع الأعمدة والأحجار القديمة ، ونصب الجديدة ، وابداء الآراء ومناقشتها مع أهل الخبرة، فى حضور شيخ الحرم الشريف[٤]. مصطفى باشا الأشقودرى، العارف بأصول الفن المعمارى . وقد استطاع محمد أسعد أفندى بتقسيماته المنطقية لسير العمل والمشاركات الجماعية التى استغرق تنظيمها والإعداد لها سبعة أشهر تقريبا، أن يبدأ العمل فى أول ذى الحجة سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩ ، بإشراف المهندس محمود أفندى[٥] المشارك فى عمارة المسجد الشريف من قبل سنة ١٢٦٩هـ/

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٩ أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٤٣ .

(٢) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ١٤ .

(٣) محمد كامل المدنى : المصدر نفسه ، ص ١٥ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٢١ .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٥) ذكر محمد صادق بك فى دليل الحج ص ١١٦ بعض المعلومات التى أخذها مشافهة من المهندس المذكور سنة ١٠٣٢هـ والمتعلقة بظهور الماء عند حفر أساس إسطوانة الوفود مما يؤكد إشرافه على العمل المذكور

١٨٥٢م[١] دون الحاجة إلى استدعاء أمير مكة المكرمة[٢].

وشرع فى هدم السقوف الممتدة من الحدود الغربية للمسجد الأصلى، مما يلى البلاطات التى عمرها محمد راشد أفندى، حتى المنبر الشريف والروضة المطهرة[٣]. ثم أعيدت الأعمدة [illegible] واضعها بإشراف اللجنة المشكلة لهذا الغرض دون حدوث نزاع أو اختلاف فى الرأى ، إذ لم يكن هناك ما يدعو إليه فإن كل شىء أعيد إلى أصله . وبنيت القباب بنفس الطريقة التى بنى بها من قبل محمد راشد أفندى القباب الواقعة غرب رواق القبلة، أى باستخدام الشبابيك المعقودة فى رقاب بعض القباب المرتبة فى صفوف متعاقبة ، وتقتضى الأصول المعمارية ألا تعقد القباب فور إقامة الأعمدة وبناء العقود[٤]، فإن الطريقة التى استخدمت فى هدم بناء سقوف الروضة استغرقت وقتا وجهدا كبيرين . لا سيما من النجارين ومعاونيهم إذ تطلب الأمر ، أن تسقف الروضة الشريفة من أسفل سقفها القائم بأعلى الأعمدة القديمة بألواح من الخشب ، تحول دون سقوط مخلفات الهدم والبناء[٥]، على أرضها المهيأة آنذاك لأداء شعائر العبادة ، إضافة إلى وضع ستارة من القماش السميك، على طول مشبك الحجرة الشريفة المطل على الروضة، لمنع الغبار من الدخول إليها[٦]. ولابد أن يكون إنجاز هذا العمل بالدقة والمهارة المطلوبة، كاف لإكمال بناء البلاطات المبنية أولا ، مما يجعلها مهيأة لأداء شعائر العبادة ، بعد انتقال العمل والبناء فى منطقة الروضة الشريفة .

---

(١) وثيقة رقم ٣٧٨٦ فى جمادى الأولى سنة ١٢٦٥هـ أرشيف رئاسة مجلس الوزراء تصنيف إرادة/ الوالا .

(٢) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ١٥ وقد ورد فى النسخة التى اطلعت عليها من هذا المخطوط سنة ١٢٧٥ هـ وهو خطأ من الناسخ إذ قدوم أسعد أفندى إلى المدينة كان فى جمادى الأولى سنة ١٢٧٦هـ. انظر البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٩ ، أيوب صبرى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٨١٩ .

(٣ ، ٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٥) البرزنجى : المصدر نفسه ، ص ٤١ .

(٦) البرزنجى : المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

ومهما يكن من أمر ، فإن السقف المحدث بقى بعد هدم السقف القديم ونصب الأعمدة الجديدة ، إذ جاء ما يفيد باستمرار الصلاة والعبادة فيها دون التأثير بالأعمال القائمة فوق السقف المذكور [١] .

ويبدو أن استبدال الأعمدة القديمة كان يتم بسهولة ويسر ، فالملاحظ اليوم أن أعمدة الروضة الشريفة مؤلفة من قطعتين أو أكثر ، مما يجعل تثبيتها فى موضع القديمة ميسور وسهل .

أما الرخام الموضوع من قبل على الجزء السفلى من الأعمدة القديمة ، فى عهد السلطان سليم الثالث سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م، فأعيد تركيبه بعد صقله بأعلى الأعمدة الجديدة ، إلا ما كان منها فى شمال الروضة ، إذ استعيض عنه بعد تلفه وتعذر إعادته بنحت رسومات بارزة فى أسفل الأعمدة كما يظهر فى الشكل رقم (٤٨)[٢] . ويؤخذ من إحاطة الرخام المذكور بالأعمدة الجديدة ما يوحى بمساواتها لحجم القديمة ، إلا أن المؤكد عند بعض المصادر اختلاف سماكة الأعمدة القديمة عن الأعمدة الحالية ،كما يلاحظ فى الإسطوانة المتبقية منها بجوار باب المنارة الرئيسية [٣] . مما يجعل فكرة استخدام بعض القطع الرخامية الجديدة فى إكمال النقص أمرا مقبولا . هذا فضلا عن احتمال استخدام بعض القطع المتبقية من الرخام الموضوع من قبل ، فوق الأعمدة الشمالية التى تعذر إعادة الرخام عليها . لا سيما وأن عددها الكبير نسبيا[٤]، كاف لسد النقص المحتمل ؛ فيما تلف من القطع المخصصة لإسطوانات مقدم الروضة الشريفة .

هذا من حيث إقامة الأعمدة وسط الروضة ، وما صاحبها من توفيق وإبداع . إلا أن حرص عربانى زادة على اكتساب مودة أهل المدينة ، حدا به إلى إعادة المسميات القديمة لإسطوانة الروضة المشهورة، دون أن يفطن إلى خطأ الكتابة المحدثة سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م ، فى تجديد موقع إسطوانة الوفود وإسطوانة المحرس

(١، ٢) البرزنجى : المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٤) وعددها خمس إسطوانات ، انظر على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(إسطوانة على بن أبى طالب) . فأعادهما على نحو ما يرى فى الوقت الحاضر ، مع أن الصواب إعادة كتابتهما على الإسطوانتين المحاذيتين لهما من الغرب ، وقد حرص البرزنجى فى سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، على تصحيح هذا الخطأ بعد إقناع شيخ الحرم وقاضى المدينة المنورة آنذاك، بما ذكره الثقاة من مؤرخى المدينة وعلمائها فى هذا الصدد . ولكن الأمر تعذر إنفاذه بعد نقل شيخ الحرم المذكور من المدينة[١] ، فبقى الأمر على ما هو عليه حتى الوقت الحاضر . أما ما كان بالجانب الغربى من الحجرة الشريفة فحفر لأساسها قرابة ثلاثة أمتار تقريبا[٢] ، حتى ظهر الماء فى بعض منها[٣] . ثم دكت بالأحجار والمؤنة الجيدة[٤] ، وبنيت مربعة على هيئة الأعمدة المحدثة سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م وسنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م ، فى الجانب الشرقى والشمالى من الحجرة الشريفة فى عهد محمد رائف بك وأدهم باشا[٥] ؛ ثم بنيت عليها العقود لتخفيف الضغط عن أعمدة قبة الحجرة الشريفة .

وتتميز القباب المنشأة فى الروضة الشريفة بكثرة الشبابيك العلوية ، خلافا لبقية قباب رواق القبلة[٦] . كما تتميز بصغر الحجم وعدم الانتظام الناشىء عن تقارب الأعمدة الشريفة ، تمشيا مع آمال ورغبات أهل المدينة التى أكد السلطان عبد المجيد على ضرورة تحقيقها ، كما يتضح من المنشور الموجه لأسعد أفندى فى بادئ الأمر[٧] . وبمقارنة قباب الروضة الشريفة مع مثيلاتها فى رواق القبلة ، يتضح أثر الجهد المبذول من المهندسين والبناءين فى تطويع القواعد الهندسية للمبادئ والمعتقدات الدينية . كما تتميز أعمدتها بخلوها من القواعد البارزة فى أرض المسجد تجنبا لما يمكن أن يسببه بروزها من إعاقة المصلين ، ولأن فى ذلك ما يوحى

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٥٦ ، ٥٧ .
(٢) أى حوالى ستة أذرع انظر أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٢٤ .
(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤١ .
(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، ص ٨٢٤ .
(٥) انظر أعلاه ص ١٠٩ ، ص ١١٦ .
(٦) انظر الدراسة الوصفية ص ١٩٥ وما بعدها .
(٧) انظر الملحق رقم ٣ .

بقوة ومتانة البناء ، كما يمكن أن يكون معنى الروضة قد أوحى للمعمار بزرع الأعمدة فى الروضة المطهرة ، كما كانت قبل العمارة المجيدية .

ومهما يكن الأمر ، فإن عربانى زادة أكمل بناء الروضة المطهرة ، وما حذاها من البلاطات الغربية لرواق القبلة ، وهيأها جميعا لآداء شعائر العبادة ، ووضع أخشابا بأسفل قباب المواجهة المبنية فى عهد السلطان قايتباى ، على ضوء ما تم فى الروضة المطهرة من قبل ، حماية للحجرة الشريفة من الأتربة والغبار(١) . ثم هدمت سقوف البلاطتين الموازيتين لجدار القبلة ، والممتدة من قرب باب السلام(٢) ، حتى المنارة الرئيسية ، تمهيدا لاختبار قوة ومتانة جدار القبلة ، بعد ظهور الميل والتصدع فى بعض أجزائه(٣) . وتقرر بعد الفحص الدقيق أن يهدم كله إلا موضعين فيه ، الأول ما كان منه شرقى باب السلام فإن محمد راشد أفندى كان جدده سنة ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨م، وأسند به أربعة أعمدة تعذر إزالتها (٤) . والثانى ما فيه المحراب العثمانى فإن بناءه قوى محكم(٥) ، بسبب قرب العهد من التجديد الذى تم فيه سنة ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م(٦) ، وأن الحاجة لم تكن ماسة إلى إتباع الطريقة المفضلة من قبل، فى تدعيم الجدران الشرقية والغربية والشمالية، على ضوء ما يلاحظ الآن فى الأعمدة البارزة بما تبقى من الجدران المذكورة . وتقرر بدلا من ذلك الاكتفاء بعمل أقبية وعقود بأعلى جدار القبلة ، كان أعظمها ما يلى المحراب العثمانى ، لتخفيف الضغط وتوزيع الحمل الناتج عن ضخامة قبة المحراب العثمانى ، وبقية القباب الواقعة فى الجانب الشرقى والغربى منها . وقد ساعد ذلك فى استقامة الصف الأول من المصلين وعدم إعاقته بالأعمدة البارزة ، إضافة إلى ما يحدثه نتوؤها الشاذ من إعاقة انتظام صفوف الكتابات والزخارف المرتبة

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٢) يرجح أن يكون محمد راشد أفندى قد بنى ثمان قباب عند مدخل باب السلام على امتداد البلاطات التى عمرها فى الجانب الغربى من المسجد الشريف . انظر الشكل رقم (٣٦) .

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٤١ .

(٤ ، ٥) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤١ ، ٤٣ .

(٦) انظر أعلاه ص ٦٧ وما بعدها

في صفوف على طول وعرض الجدار المذكور . وعلى ضوء الأسس والمبادئ المذكورة ، أعيد بناء جدار القبلة بنفس الأحجار الموجودة به سابقا ، استنتاجا من سرعة إكماله في زمن قياسي جيد ، ولتوفر أدلة قوية على أن العادة جرت باستخدام الأحجار القديمة السوداء ، في جدران المسجد الشريف نظرا لصلابتها وقوة تحملها[١] .

وقد أعيدت الطاقات المدورة والشبابيك المعقودة بأعلى الجدار المذكور، كأحسن ما يكون[٢] ، فضلا عن إعادة الشباك الكبير الموجود حاليا أمام المواجهة الشريفة . ومنه يتبين سمك جدار القبلة المقدر بحوالي متر ونصف تقريبا ، خلافا لما ذكرته بعض المراجع[٣] . ولابد أن إقامة الأعمدة وعقد القباب أرجىء في البلاطتين اللتين أضافهما عمر وعثمان في مقدم المسجد، والممتدة من باب السلام حتى المنارة الرئيسية ، حتى اكتمل بناء الجدار المذكور . ويلاحظ على الأعمدة القائمة حاليا في صف مواز لجدار القبلة ، انفراجها عن جدار القبلة وعن الصف الذى فيه المحراب النبوى والسليماني ، خلافا لما في الروضة الشريفة وبقية رواق القبلة . وليس من سبب لهذا ، إلا عزوف المهندسين في عهد أسعد الدين أفندى (عرباني زادة) عن متابعة إسناد الأعمدة بجدار القبلة ، على ضوء ما عمل من قبل قرب باب السلام . إضافة إلى عدم استخدام العمود الواقع حاليا يمين باب المنارة الرئيسية، والمتروك من بقايا العمارة المملوكية القديمة[٤] . دونما حاجة ماسة إليه من الناحية

---

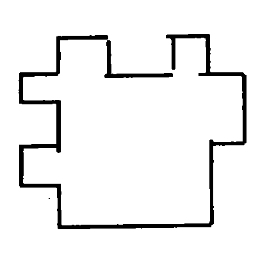
(١) على بن موسى : وصف المدينة المنورة ، ص ٥٨ وقد لاحظ عمال البناء في العمارة السعودية سنة ١٣٧٣هـ وجود بعض الأحجار المنقوشة بخارف أموية أعيد استخدامها أيضا في العمارة العثمانية لبعض جدران المسجد النبوى سة ٩٨٠ هـ . انظر محمد كامل حته : في ظلال الحرمين ، ص ٢٥٠ .

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٣ وكان السلطان محمود الأول أول من استحدثها بهذا الجدر سنة ١١٤٩هـ انظر ص٦٢ .

(٣) ذكر عبد القدوس الأنصارى في آثار المدينة ص ١٠٠ ـ ١٠١ أن سمك جدران المسجد ثلاثة أمتار ولعله قاس مداخل الأبواب ثم عمم سمكها على بقية جدران المسجد .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

المعمارية ، وتشير بعض المصادر[١] إلى استخدام المهندسين للطريقة المتبعة من قبل، فى أنشاء الأعمدة الملاصقة لجدران الحجرة الشرقية والشمالية والغربية، عند بناء الأعمدة الملاصقة لجدار الحجرة الجنوبى، مما يلى المواجهة الشريفة، تدعيما لقباب المواجهة وتخفيفا لأعمدة قبة الحجرة الشريفة[٢] . وفى هذا ما يبرر كثرة الزوايا بالركن الجنوبى الشرقى من الحجرة كما فى الشكل التالى ، فالجزء الشرقى منه بناه محمد رائف باشا سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، والغربى مما أحدث زمن عربانى زادة سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م، وذلك خلافا للركن الجنوبى الغربى المنشأ كله فى عهد عربانى زادة فإن شكله كالتالى :



ومهما يكن من أمر ، فإن قباب هذا الجزء من المسجد الشريف تتميز بتماثل أحجامها وخلوها من الشبابيك العلوية ، إلا ما أحدث بقبة المحراب العثمانى، فقد ساعد على ذلك تميزهتا بالارتفاع ، وكبر الحجم المنشأ على عدد من الأعمدة المنحوتة من كتلة واحدة من الحجر الأحمر ، على هيئة الأعمدة القديمة التى كانت بأصل القبة قبل العمارة المجيدية[٣] .

أما المحراب النبوى والسليمانى فقد اقتصر العمل فيهما على أعمال الزخرفة والتذهيب وتتويج[٤] أعلاهما بمخروطين من الخشب ، بالإضافة إلى وضع سلالم برونزية على جانبى كل منهما ، لايقاد الشمع الكبير[٥] . وإذا كان من الثابت بدء محمد راشد أفندى مما يلى باب السلام، فى وضع الحاجز المشاهد حاليا فى موضع جدار القبلة الأول، فلا بد أن إتمامه قد جاء على

(١ ، ٢) البرزنجى : المصدر نفسه ص ٤٢ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٤) البرزنجى : المصدر نفسه ، ص ٤١ ، ٤٤ .

(٥) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦١

يد عرباني زادة ، إذ لا يعقل أن يكون محمد راشد أفندى قد بناه كله[١] ؛ لوقوع جزء كبير منه تحت البلاطات التى عمرها القاضى المذكور فى الروضة الشريفة وما قابلها من مقدم المسجد الشريف .

وعلى أية حال فمن الأعمال المزامنة لبناء مقدم المسجد الشريف، ما ذكرته بعض المصادر عن هدم الجزء العلوى من منارة باب السلام[٢] ، وإعادته بالشكل الذى نراه اليوم على هيئة بناء المنارة المجيدية، المزالة فى العمارة السعودية، إلا أنها تنقص عنها كما يظهر من بعض الصور القديمة فى الطول وعدد الشرفات[٣] .

ولم تحدد المصادر المتوفرة، المدة التى تم فيها انجاز كل من الأعمال التى أشرف عليها القاضى عرباني زادة ، إلا أنه يؤخذ من احتفاله فى وادى العقيق فى أواخر ربيع الأول سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م[٤]، بقرب انتهاء العمارة. أن ذلك دليل على انتهاء العمل فى المحجر المذكور . والاكتفاء لما تبقى من العمارة بالأحجار المقطوعة والمنحوتة ، فى ساحة دار القضاء شمال المسجد النبوى ، ويدعم ذلك ما نقش بعد الاحتفال المذكور بأعلى الجانب الأيسر من الجبل ، من عبارة تشيد بالمعدن المذكور وتمتدح فوائده ، إضافة إلى تعليق قطعتين من الآلات الحديدية بأعلى اللوح[٥]، دليلا على الانتهاء من العمل فيه .

ومهما يكن من أمر ، فإن قباب البلاطتين لم تكتمل بعد ، وأن الشروع فى بناء مدخل باب السلام بدأ فى اليوم التالى للاحتفال[٦]، بطريقة تختلف تماما عما كان عليه الباب من قبل[٧] . مما جعله أحسن وأجمل أبواب المسجد النبوى على الإطلاق[٨] ، ويحتاج إكمال البناء فى الباب المذكور، وما تبقى من قباب

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٢) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٣) انظر الدراسة الوصفية ص ١٨٣ .

(٤، ٥ ، ٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٧) انظر الدراسة الوصفية ص ١٦٤ .

(٨) البرزنجى : المصدر السابق ص ٤٤ .

المسجد الشريف إلى عدة أشهر أخرى، ليتسنى قبول الرأى القائل بأن عربانى زادة (أسعد أفندى) وفق فى خلال عامين، لاستصدار فرمان بتزيين القباب من باب السلام إلى الحجرة الشريفة ، وتجديد المنارة الرئيسية ومنارة باب الرحمة[1] . هذا خلاف الأعمال المتعلقة بالزخارف والنقوش الكتابية ، والأعمال التكميلية الأخرى، التى استغرقت أكثر من ثلاثة أعوام[2] .

أما اللوحة التأسيسية المثبتة كالعادة فى نهاية كل عمل فى موضع بارز منه، فيذكر أيوب صبرى قيام ناظر العمارة الجديد ، بإرسال بعض الأحجار المنحوتة إلى السلطان عبد المجيد للإطلاع عليها ، ونقش ما يروق له من الأشعار التى نظمها بعض أدباء المدينة ، بإشراف قاضيها السابق عاصم أفندى[3] . إلا أن السلطان عبد المجيد أبى أن يذكر اسمه ممدوحاً بالأشعار فى حرم رسول الله ﷺ ، وأحال ذلك إلى دار الفتوى فى مشيخة الإسلام لاختيار حديث شريف يناسب المقام[4] ، وقد

---

(١) محمد أمين المكى : المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٣) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٢٣ . وكان هذا الموضوع مطروحا للبحث فى العاصمة العثمانية منذ سنة ١٢٧٥هـ أثر إرسال محمد راشد أفندى بعض الأشعار المنتقاه بطلب الموافقة على نقشها فى الحجر المعد لهذا الغرض لتثبيته فى وسط الجدار الشمالى لرواق القبلة . انظر الأبيات المذكورة عند البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

ويبدو أن أيوب صبرى خلط فيما قام به ناظر العمارة الجديد « عربانى زادة » الذى اقتصر طلبه فيما يبدو على معرفة ما استقر عليه الرأى بدار الفتوى عن الأشعار السابقة ، ويدعم هذا الرأى ما جاء فى المصدر نفسه جـ ٢ ص ٨٢٣ من إشراف قاضى المدينة المنورة عاصم أفندى المتولى للقضاء قبل عربانى زاده على نظم القصائد المذكورة . كما لا يعقل أبدا أن تكون اللوحة المثبتة حاليا فوق العقد المطل من وسط رواق القبلة على صحن المسجد والمقدرة بحوالى مترين فى متر ونصف تقريبا ، وكذلك اللوحة التى نقشت عليها القصيدة المذكورة ، قد أرسلت من المدينة المنورة إلى إستانبول بعد كتابة النصوص السابقة عليها لأسباب منها :

ضخامة الأحجار المذكورة ، ولأن الكتابة عليها مرهونة بموافقة السلطان على ما يكتب، مما يبرز القول بأن أبعادها ونوع الزخرفة وطريقة توزيعها هى المرسلة فقط إلى العاصمة فى خارطة أعدت مبدئيا لهذا الغرض .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٨ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨١٦ .

اعتمدت دار الفتوى اقتراح أمينها السابق محمد رفيق أفندى[١] ، لكتابة الحديث الشريف «**صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»[٢] ، على الحجر المهيأ من قبل بأعلى العقود المطلة من رواق القبلة على صحن المسجد الشريف، بدلا من الأشعار التى رفضها السلطان عبد المجيد من قبل ، وتقرر أيضا أن يكتب فى الموضع المعين للطغراء السلطانية كلمة « **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** »[٣] .

أما القصيدة المؤرخة بهذا العمل ، فعهد بتصحيحها للشاعر زيورى أفندى[٤] ، ثم أبلغت هيئة البناء فى المدينة بنقشها فوق باب السلام[٥] ، وقد أزيلت عند إضافة المدخل الموجود حاليا فى عهد السلطان عبد العزيز .

---

(١) ذكر البرزنجى فى المصدر السابق ، ص ٣٨ بأنه تولى مشيخة الإسلام بعد عارف حكمت .

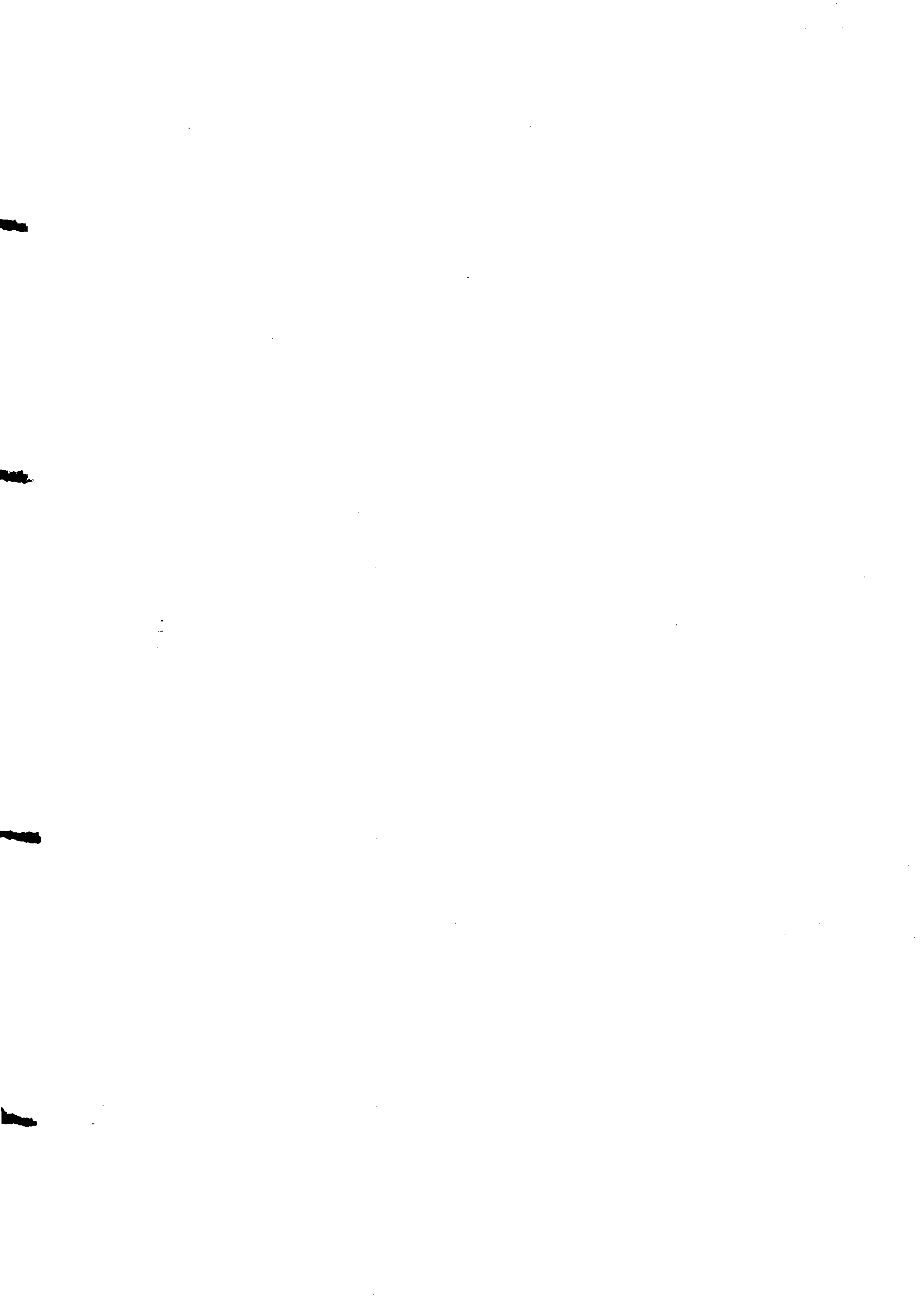
(٢) رواه البخارى فى كتاب التهجد باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة انظر صحيح البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وآخرون ، مطبعة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م جـ ٦ ص ٧٩ .

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٢٣ .

(٤) هو أحد الشعراء البارزين فى عهد السلطان عبد المجيد ، انظر أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٢٣ .

(٥) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ١٨ .

ثانيا : الأعمال المعمارية فى المسجد النبوى آواخر العصر العثمانى ١٢٧٧ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٨٦٠ ـ ١٩١٧م



ثانيا : الأعمال المعمارية فى المسجد النبوى أواخر العصر العثمانى ١٢٧٧ ـ ١٣٣٦هـ ١٨٦٠ ـ ١٩١٧م

تجاوزت عمارة السلطان عبد المجيد كثيرا من العقبات والمعوقات التى أرهقت المشرفين عليها ، وحدت من آمال وطموحات السلطان الذى اكتفى فى سنواتها الأخيرة بانجازها وفق الشروط والمواصفات التى حددها علماء المدينة المنورة وأعيانها. ولهذا فما كادت تتم الأعمال الداخلية حتى سارع ناظرها الأخير أسعد أفندى «عربانى زادة » ، إلى الاحتفال بقرب انتهائها فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م ،دون محاولة تجديد المنارة السليمانية التى أجل البت فى تجديدها، أثر معارضة السلطان عبد المجيد لما أحدث بها من الزينة فى ليالى رمضان فى عهد محمد راشد أفندى سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م، تقليدا لبدعة المحيا[١] المنتشرة آنذاك فى المدن التركية[٢] ، ولا يبدو أن هذا السبب كاف لتعطيل تجديد المنارة المذكورة، ما لم يتأيد بعزوف الناظر الأخير، عن مفاتحة السلطان عبد المجيد فى مشروع كهذا، يمكن أن يطيل أجل العمارة التى يحرص على إنجازها فى أقرب وقت ممكن .

ويتبين من مبادرة السلطان عبد العزيز ١٢٧٧ـ ١٢٩٣هـ/ ١٨٦٠ ـ ١٨٧٦م، لعمارتها فى سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م[٣] ، إلى أنها كانت بحالة سيئة لا تحتمل البقاء ، فقد مال جزؤها العلوى[٤] ، فتقرر بعد فحصها وإجراء المقايسة المعتادة أن يصرف لها مبلغ خمسة وأربعين ألف قرش[٥] . وأن تهدم من فوق

---

(١) تطلق على القناديل المنظومة فى حبال أو سلاسل مربوطة بين منارتين وقد بدأها الصدر الأعظم إبراهيم باشا سنة ١١٣٢هـ فى عهد أحمد الثالث ، انظر أيوب صبرى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٨٠٢ .

(٢) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٣) وثيقة رقم ٢٢١٧٣ فى ٢١ صفر سنة ١٢٨٠هـ أرشيف مجلس الوزراء ، تصنيف إرادة / مجلس الوالا .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ص ١٨ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٠٢ .

شرفتها الأولى، وقد أعيد بناؤها على يد المهندس أحمد بن صالح أفندى، المرسل من الأستانة لعمارتها[١]. وقد نجح فى إعادة بنائها على هيئة المنارة المجيدية حتى صار من الصعب التمييز بينهما (لوحة ٣١) ، مما يبرز طول المدة التى استغرقها المهندس المذكور فى عمارتها ، والممتدة من سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م إلى نهاية سنة ١٣٨٣هـ/ ١٨٦٦م[٢]. خاصة وأن نقض الأساس المبنى فى عهد السلطان سليمان القانونى بالجص والنورة والأحجار الكبيرة، وبعمق أكثر من ثمانية أذرع، يحتاج بالإضافة إلى تعميق الأساس المذكور ، وجفاف المواد المستخدمة فى الجزء السفلى من المنارة المذكورة إلى وقت طويل .

أما المواد اللازمة لبناء المنارة المذكورة فقد أعد أغلبها سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م فى عهد محمد راشد أفندى[٣] ، كما يمكن الاستفادة من أحجارها القديمة، لا سيما الأحجار السوداء المنحوتة بدقة ومهارة، فى عهد السلطان سليمان القانونى. وإذا كان من الثابت إضافة مدخل باب السلام فى عهد السلطان عبد العزيز ، فإن النصوص القائمة حاليا بجدران المدخل[٤]، تخلو تماما من تاريخ يحدد بدء البناء أو انتهاءه رغم تصريح بعضها بسلسلة النسب الطويلة للسلطان عبد العزيز ، مما يحمل على الاعتقاد بأن بناءه مزامن لبناء المنارة المعروفة فيما بعد بالعزيزية[٥]. بدلا من السليمانية ، نظرا لاقتصار العمل المذكور على بناء جدارين يكتنفان باب السلام، ومن فوقهما قبة بعقد على هيئة نصف الدائرة[٦] ولأن البناء استغرق ثلاثة أعوام ، لا يمكن أن تخصص كلها لبناء الجزء العلوى من المنارة المذكورة .

---

(١) وثيقة رقم ٢٤٧٢٨ فى ١٢٨٢/١١/٤ هـ أرشيف مجلس الوزراء ، تصنيف إرادة / مجلس الوالا والبرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٢) البرزنجى : المصدر نفسه ٨٦ ، ٨٧ .

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٠٢ .

(٤) انظر الزخارف الكتابية ص٢٧٢ وما بعدها ، صالح لمعى : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٥) محمد أمين المكى : خلفاوى عظام عثمانية حفرلتنك حرمين شريفينيدك آثار مبرورة ومشكورة هما يونلرندن : باحث تاريخى برائرور : ص ٥٢ .

(٦) قال صالح لمعى فى المرجع السابق ، ص ٩٨ . أنها قريبة من حدوة الفرس .

وليس من تفسير لإضافة المدخل المذكور، إلا ما يضيفه شكله الفخم من هيبة ووقار ، خاصة بعد تحليته بأشرطة من الكتابات والزخارف المماثلة لا فى جدار القبلة، مما ميزه عن بقية أبواب المسجد الشريف .

ولا يعرف على وجه التأكيد ما إذا كان قصد به أيضا حماية المصلين من برودة الشتاء وحرارة الشمس عند الغروب ، بوضع ستارة من القماش المقوى كما هو الآن ، وعلى ضوء ما يلاحظ فى أبواب المساجد الكبيرة بمدينة إستانبول . أم أن ذلك تقليدا لمداخل بعض المساجد القديمة ، خاصة مساجد العصر الفاطمى والمملوكى بمصر ، كجامع الحاكم ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م ومدرسة السلطان حسن بن قلاوون ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م[١]

ومهما يكن من أمر ، فإن ما قام به السلطان عبد العزيز ، لا يخرج عن كونه عمل إضافى ، زاد من وحدة البناء فى المسجد كله ، بتوحيد الطراز المعمارى فى المنارة والمدخل مع بقية العمارة ، نظرا لقرب العهد بها حتى صار من العسير جدا تلمس فوارق جوهرية بينهما .

ومن الأعمال التى تمت فى المسجد الشريف فى هذا الوقت ، ما قام به شيخ الحرم النبوى محمد حافظ باشا سة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، من توسيع السياج المحيط بمصلى النساء فى الرواق الشرقى ، حيث مده شمالا إلى المنارة السليمانية كما يرى فى الشكل رقم (٣٤) . ليسع المصليات اللاتى كن يخرجن قبل ذلك إلى الصحن وبعض الجوانب فى الأروقة المجاورة ، خاصة أيام الجمع والمواسم[٢] . وكانت الأعمال السابقة مصحوبة ببعض الخدمات الصحية[٣]، والعمرانية فى

---

(١) كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ، دار الثقافة العامة ، القاهرة ص ١٧٥ .

(٢) وثيقة رقم ٣٧٦٥٧ فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢هـ، أرشيف مجلس الوزراء تصنيف إرادة / داخلية ، البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٥ ، على بن موسى الأفندى : المصدر السابق ص ٦٥ .

(٣) كانت أم السلطان عبد العزيز برتونيال ، قد أرسلت إلى المدينة عدد من الأطباء والحرمين والصيادلة: انظر محمد أمين المكى : خلفاى عظام ..... أثار مبرورة ومشكورة . ص ٥٢ .

المدينة المنورة ، وقد انجزت جميعا فى سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م وما بعدها، إذ جاء فى إحدى الوثائق العثمانية المؤرخة سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، تعيين المعمار محمد أفندى لوظيفة ترميمات الحجاز[١] ، هذا فضلا عن ترميمات بعض البلاطات الخزفية في الحرم النبوى[٢] ، وما تبع ذلك من نفقات مالية كبيرة[٣]. وعلى أية حال فقد تبين من بعض الوثائق العثمانية المتأخرة ، أن أعمالا هامة تمت داخل المسجد النبوى الشريف ، بعد هذا التاريخ[٤]. خاصة فى المحراب العثمانى[٥] ، وأبواب الحرم[٦].

وقام السلطان عبد الحميد الثانى ١٢٩٣ ـ ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م، فى الفترة الممتدة بين ١٢٩٥ ـ ١٣١٩هـ/ ١٨٧٨م ـ ١٩٠١م، بترميمات وإصلاحات . كان أولها قيام قاضى المدينة محمد عطا الله أفندى، بإصلاح التالف من شبابيك القبة الشريفة سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م،أثر سقوطها فى الريح العاصفة التى تعرضت لها المدينة سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م[٧]. ومنها أيضا إصلاح بعض أعمدة القبة الشريفة وعقودها ، وكان المصروف عليها حوالى ٧٥٫٣٨٠ قرشا[٨]. وكان سياج المواجهة المصنوع من الفضة، فى عهد السلطان أحمد الأول قد أبدل

---

(١) وثيقة رقم ٢٥٧٦٣ فى ٢٩ محرم سنة ١٢٨٤هـ أرشيف الوزراء . تصنيف إرادة / داخلية .

(٢) وثيقة رقم ٢٥٩٤٥ فى ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٢٨٤هـ أرشيف الوزراء ، تصنيف إرادة / داخلية .

(٣) وثيقة رقم ٢٥٨٥٨ فى ٢٧ صفر سنة ١٢٨٤هـ أرشيف الوزراء ، تصنيف إرادة / الوالا ، وثيقة رقم ٢٥٥٨٩ فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٨٣ هـ أرشيف الوزراء تصنيف إرادة / الوالا .

(٤) وثيقة رقم ٦٤٩٠ فى ٢٦ ربيع الأول سنة ١٢٨٧هـ أرشيف مجلس الوزراء ، تصنيف إرادة / داخلية .

(٥) وثيقة رقم ١٦٥١ فى ٧ ذى القعدة سنة ١٢٨٧ هـ أرشيف مجلس الوزراء ، تصنيف إرادة / المجلس المخصوص .

(٦) وثيقة رقم ٤٦٧٣٢ فى ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٩٠هـ أرشيف مجلس الوزراء ، تصنيف إرادة داخلية .

(٧) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٦٩ ، ٧١ ، وقد ذكر أيوب صبرى فى المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٩٠ تعرض المدينة فى هذه السنة لثلاث هزات أرضية .

(٨) محمد أمين المكى : خلفاوى عظام .... ص ١٣ ، وأيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٢٩ .

فى أواخر العصر العثمانى بالموجود حاليا، والمماثل تماما للموضوع حول ضريح أبى ذر الغفارى بمدينة إستنابول[١] ، وتبدو فيه حداثة الصنعة لا سيما المسامير المسننة فى كثير من أجزائه، مما يؤكد صنعها زمن السلطان عبد الحميد الثانى، أثناء تجديد وإصلاح العقود المذكورة . بالإضافة إلى إصلاح رصاص القبة الشريفة، وبعض القباب الأخرى . وتجديد وتذهيب الزخارف والنقوش فى القبة الشريفة، والروضة المطهرة، وسائر قباب الحرم الشريف[٢]. أما الإصلاحات التى أجريت سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، فى جدار القبلة المجاورة للمنارة الرئيسية ، فلم تذكر المصادر التى اطلعت عليها سببها ، بيد أن نقش الطغراء الخاصة بالسلطان عبد الحميد الثانى ، بأعلى النص المؤرخ لها سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م[٣]، دليل كاف على أهميتها كما يتضح من ذكر إحدى الوثائق لها[٤]. ويبدو أن دعم جدار القبلة من الخارج بثلاثة أكتاف بارزة ، جاء أعظمها قرب المنارة الرئيسية ، ذا علاقة وثيقة بهذا النص . ويدعم ذلك خلو المصادر التى أرخت لتجديد جدار القبلة فى عهد السلطان عبد المجيد من ذكرها أو الإشارة إليها .

وفى سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، أعيد بناء الميضأة التى ظهرت سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م فى صحن المسجد ، عند هدم القبة المخصصة آنذاك لشمع المسجد وهداياه[٥] ؛ بالشكل الذى كانت عليه عنتد اكتشافها[٦]، مما ساعد فى زيادة مرافق المسجد .

ومهما يكن من أمر ، فقد تعهد الآتراك أنحاء المسجد المختلفة بالترميم والتجدى،د حتى فى أشد الظروف وأحرج الأوقات ، إذ جاء أن القائد العسكرى

---

(١) مجلة العربى العدد . ١١٠ شوال سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م ص ٥٩ .

(٢) محمد أمين المكى : المصدر السابق ، ص ١٣ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٢٩ .

(٣) قراءة الباحث ، انظر صالح لمعى : المرجع السابق ، ص ٩٨ ، ١٣٤ .

(٤) وثيقة رقم ٧٠٥٨ فى ٨ شوال سنة ١٣٠٩ هـ ، أرشيف مجلس الوزراء / مجلس الشورى .

(٥) انظر أعلاه ص . ١٠٤ .

(٦) إبراهيم رفعت : مرآة المدينة ، جـ ١ ص ٤٣١ .

للمدينة رم فى أواخر العصر العثمانى، كل من المحراب النبوى والسليمانى سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م[١]، ثم اتخذ من المسجد الشريف بعد ذلك ملجأ ، يعتصم به من وطأة الثورة العربية ، التى أحرزت النصر عليه فى جمادى الأولى سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م[٢]. فغادر المدينة المنورة بعد إخراج التحف النادرة والمخطوطات النفيسة منها[٣]، بحجة حمايتها والخوف عليها من التلف والضياع .

---

(١) عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة المنورة ص ١٠٧ وقد ذكر أن اسمه عمر فخرى باشا وأنه كان آخر من حكم المدينة من الأتراك ومن أعماله فتح طريق مستقيمة من الحرم النبوى إلى قبا . وقد غرس بجانبيها عدد من شجر النخل والأثل لحماية الناس من حرارة الشمس .

(٢) على حافظ : فصول من تاريخ المدينة ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٣) انظر مقدمة أسعد طرابزونى لكتاب شمس الدين السخاوى التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة ، تحقيق محمد حامد الفقى : القاهرة ١٩٧٩م ص ك .

الفصل الثالث

الدراسة الوصفية التحليلية



الفصل الثالث

الدراسة الوصفية التحليلة

أولا : الأجزاء المزالة فى التوسعة السعودية الأولى سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م

تميزت المنطقة المحيطة بالحرم النبوى الشريف، إبان العصر العثمانى بضيق المبانى[١] ، وارتفاع الكثافة السكانية فيها ، إذ حتم الوضع الأمنى على العثمانيين إبقاء المخطط العام للمدينة المنورة كما كان عليه فى أواخر العصر المملوكى ، ذلك المخطط المتميز بضيق الأزقة والطرقات وتلاحم البيوت بعضها ببعض ، على ضوء ما كان يلاحظ منذ وقت قصير فى حارة الأغوات ، وبعض الأحياء القديمة ، وساعد الوضع الاجتماعى والسياسى لسكانها فى تجسيد تلك الظاهرة .

ومن المعروف اعتماد سكان المدينة المنورة فى العصر العثمانى، على ما يصلهم من أوقاف الحرمين فى مصر والشام وإستانبول، بالإضافة إلى سائر المعونات والصدقات التى خصصها السلاطين العثمانيون من مصر وسوريا وتركيا[٢]؛ إضافة إلى ما يجود به بعض الأثرياء فى الحواضر الإسلامية الأخرى[٣]. ومن ثم لم تحظ المدينة المنورة بالنشاط التجارى والحركة العمرانية والسكانية، إلا بعد فتح سكة الحجاز فى سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م[٤]، حيث ارتفع عدد السكان فيها من ستة عشر ألف نسمة ، فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى[٥]. حتى زاد على

---

(١) Philby, H. St.J. B. : APILGRIM IN ARABIA. (London 1942) p. 54.

(٢) عبد الحق النقشبندى : من ذاكرتى قبل نصف قرن مقال نشر فى مجلة المنهل عدد ١٣٨٢ ص ٢٨٩ .

(٣) الوثيقة العثمانية رقم ٨٦٨٦ فى جمادى الثانية سنة ١٢٠٤ هـ ، من وثائق الدارة المترجمة برقم ١/ ٢ - ٢٨٥ .

(٤) عبد الحق النقشبندى : المرجع السابق ص ٢٨٩ .

(٥) Burton , op. cit., vol 2.p. 330 .

وانظر صالح لمعى : المدينة المنورة ص ٢١

ثمانين ألف نسمة بموجب إحصاء سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م [١]. ثم تدنى بعد سقوط المدينة فى يد حكومة الأشراف إلى خمسة عشر ألف نسمة[٢]، ولهذا كله خلت المدينة المنورة من فخامة البناء ومظاهر الترف والرخاء إلا ما كان فى بيوت بعض الأشراف القليلة[٣]، وما يتبع الدولة من قلاع وأسوار ومساجد مأثورة . كان أهمها بطبيعة الحال الحرم النبوى الشريف، حيث تركزت فيه الاهتمامات العثمانية، وتجلت الخصائص المعمارية المتنوعة ، إلا أنه كان محاطا طيلة هذا العصر من جميع الجهات بالدور المنخفضة والممرات الضيقة ، فضلا عن منظره العام المتميز بالإنخفاض نسبيا على عكس الجوامع العثمانية المشهورة .

وفضلا عن ذلك لم يكن هناك ميادين فسيحة ، أو شوارع رئيسية ، كما هى الحال بجوار الجوامع الكبيرة فى إستنابول والقاهرة . إلا ما كان مبلطا من باب السلام إلى الباب المصرى فى السور الداخلى للمدينة ، فإنه كان مزحوما بالمنازل والحوانيت المختلفة[٤].

ورغم التوسعة التى تمت فى الساحة الشمالية للمسجد الشريف ، وما يفضى إليها من طرقات أثناء العمارة المجيدية[٥]، إلا أن بناء المكاتب المجيدية بعد ذلك خارج الجدار الشمالى للمسجد الشريف ، قلل من سعة المساحة المذكورة، وعاد بالمسجد إلى الضيق الذى كان يحيط به من هذه الجهة . هذا ويجدر قبل وصف ما يحتفظ به المسجد النبوى الشريف ، من معالم ترجع إلى العصر العثمانى . أن أوضح ما دعت الضرورة إلى إزالته منها فى العمارة السعودية سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م ، وجميعه من العمارة المجيدية التى تمت فى سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م.

---

(١) عبد الحق النقشبندى : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ وانظر على حافظ : فصول من تاريخ المدينة ، ص ٤٣ .

(٢) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٣٩ . Burton , op. cit., vol 2.p. 331

(٣) A, J. B. Wavell , FR. G. S: Modern pligrin in Mecca and ASTEGE in Sanaa. (London 1912) p. 73 .

(٤) على بن موسى ، المصدر السابق ، ص ٨ .

(٥) انظر أعلاه ص ١٠٣ ، ١٠٦ .

أ ـ جدران الأروقة : تقرر فى عهد الملك عبد العزيز رحمه الله ، هدم مؤخرة المسجد الشريف ومجنبتيه ، لظهور علامات التشقق والتآكل فى بعض القباب والأعمدة التى ساء حالها ، بعد ترميمات وإصلاحات غير مجدية[١] . مما يجعل الوصف الكامل لهذا الجزء المقدر بحوالى ٦٢٤٧ مترا مربعا[٢] ، مرهونا بما تمدنا به الوثائق المتوفرة والمصادر والمراجع ، وما يمكن استخلاصه من بعض الصور والمخططات القديمة من حقائق وملاحظات ، إضافة إلى ما يمكن استنتاجه من فصل الأعمال المعمارية وتاريخها .

فمن المعروف أن جدران هذا الجزء من المسجد الشريف ، لم يجدد منها فى العمارة المجيدية ، إلا ما كان ممتدا من الجدار الشرقى من باب النساء حتى المنارة السليمانية (العزيزية فيما بعد) ، وأما الجدار الشمالى الممتدبين المنارة السليمانية والمجيدية ، وكذلك الجدار الغربى من المنارة المجيدية حتى باب الرحمة . فلم تلحقهما أعمال التجديد لإحكام البناء القديم فيها[٣] .

وعلى أية حال فإن تقدير بعض المراجع لعرض الجدران المذكورة بحوالى ثلاثة أمتار[٤] ، أمر يحتاج إلى توضيح ، فمن المستحيل تطبيق ذلك إلا على المداخل الرئيسية ، كما يظهر فيما تبقى منها حاليا فى رواق القبلة ، كباب

---

(١) PHILBY, H. STJ. B. op. cit., p. 57 .
The extenrion of the prophet's Mosque at Medina . Saudi Arabia Islamic REVIEW XL 11 p. 28 - 31 .
وقد ذكر عبد القدوس الأنصارى فى آثار المدينة المنورة ص ١٠٧ قيام الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٨هـ ، ١٣٥٠هـ بترميمات مختلفة ثم قيام الحكومة المصرية سنة ١٣٥٤هـ بترميمات مماثلة.
كما ذكر على حافظ فى فصول من تاريخ المدينة ص ٧٨ ظهور تصدع فى حوالى سنة ١٣٦٥هـ فى بعض العقود الشمالية وتفتت فى بعض حجارة الأعمدة فى تلك الجهة .

(٢) على حافظ : فصول من تاريخ المدينة المنورة ، ص ٨٤ .

(٣) لم يتعرض الجدار الشمالى لأى من أعمال التجديد والترميم فى العصر العثمانى ، أما الجدار الغربى فقد جدد فى عهد السلطان سليمان القانونى سنة ٩٧٤هـ انظر أعلاه ص ٣٢ .

(٤) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ١٠٠ وما بعدها .

الرحمة وباب السلام وباب جبريل وباب النساء . أما السمك الحقيقى لجدران المسجد فيمكن استنتاجه من فتحة الشباك الموجود حاليا بجدار القبلة أمام المواجهة الشريفة ، وكذلك شبابيك الجدار الشرقى من رواق القبلة ، وقد قدرتها بحوالى متر وثلاثين سنتيمترا .

أما نوع الحجارة المستخدمة فى بنائها فقد تأكد من بعض المصادر ومن بعض الصور القديمة استخدام الحجر الأسود النحيت ، سواء ما جدد منها فى العمارة المجيدية ، أو ما كان قبل ذلك نظرا لصلابته وقوة تحمله[1] . وأنها كانت ملبسة من الداخل والخارج بطبقة سميكة من الملاط[2] ، وأن معظمها خلا من الشبابيك الخارجية، مما يقوى الاعتقاد بخلوها تماما من المقرنصات والأفاريز البارزة . التى شاع استخدامها فى العمارة الإسلامية منذ وقت مبكر ، لإزالة الملل الذى تحدثه الجدران الملساء[3] ، بخلاف ما يلاحظ فى الصورة رقم (١٦) ، من إضافة جزء بأعلى الجدار الغربى مقسم بخطوط رأسية كأنها أحجار منحوتة ليست من أصل الجدار الأول، مما يرجح إضافتها فى ارتفاع الجدار المذكور، بسبب علو القباب الجديدة عن السقوف الخشبية الأولى . وهذا فضلا عما يدل عليه الملاط المذكور، من عدم استخدام المداميك الملونة ، على غرار ما يشاهد الآن فى المسجد الحرام، وغيره من المساجد التى استخدم فيها هذا النوع من البناء فى العهد العثمانى . ويعزى عدم التناسق إلى أن المعماريين فى عمارة السلطان عبد المجيد، أبقوا تحت وطأة المعارضة القوية من علماء المدينة وأعيانها ، معظم الجدران القديمة على حالها . الأمر الذى جسد التنافر بين خشونة المظهر الخارجى للبناء ، ودقة الزخرفة وجمالها من الداخل . يزيد من ذلك علو الجدران المقدرة بحوالى ١٢ مترا ، على

---

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٥٨ ، عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص١٠٠ .

(٢) عبد القدوس الأنصارى : المرجع نفسه . ص ١٠٠ .

(٣) صالح لمعى : التراث المعمارى فى مصر ، دار النهضة العربية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ٣٧ .

ضوء ما يلاحظ الآن فى جدران رواق القبلة[١]، خاصة وأنها خالية من الشرفات التى اقتصر وجودها على جدران العقود المطلة على صحن المسجد كما فى الصورة رقم (١٧) .

وعلى هذا فإن طول كل من الجدارين الممتدين من مؤخرة المسجد إلى باب الرحمة وباب النساء حوالى ٥٢ مترا[٢] بارتفع ١٢ مترا تقريبا . ولابد لجدار كهذا أن يخفف مظهره المصمت ، بكثير من اللمسات الفنية ، كالمداميك الملونة والمقرنصات المتكررة ، والأشرطة البارزة والفتحات المعقودة ، واللحامات المتداخلة وغير ذلك من العناصر الفنية ، التى افتقدها كل من الجدارين المذكورين ، فضلا عن الجدار الشمالى أيضا .

أما الدرجات التى كانت تؤدى إلى داخل المسجد ، قبل العمارة المجيدية من باب الرحمة وباب النساء فقد زالت قبل سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٨٤م[٣]. وهو التاريخ الذى زار كين Keane فيه المسجد النبوى الشريف ، ويبدو أنها أزيلت بعد خفض الارتفاع الذى كان بداخل المسجد النبوى سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م وما بعدها[٤] وعلى هذا فإن ملاحظات المستشرق المذكور تصبح ذات دلالة قيمة ، فى استواء أرض المسجد الشريف بالبلاط الخارجى .

ب ـ المكاتب المجيدية ومخازن الزيت : لا سبيل لوصف المكاتب المجيدية إلا بالرجوع إلى المصادر والمراجع ، وما توفر فى بعضها من الصور القديمة والمخططات التى يتبين منها كما فى الشكل رقم (٣٨) أنها بنيت خارج جدار الرواق الشمالى للمسجد الشريف ، وجاءت كما سبق ، نتيجة لفتح باب التوسل المعروف فيما بعد

---

(١) التقرير المقدم من المهندسين الباكستانيين إلى الملك عبد العزيز عن حالة المسجد النبوى قبل هدمه سنة ١٣٧٣هـ.

(٢) قدرت هذا الطول على أساس الأعمدة الممتدة من باب الرحمة وباب النساء إلى ركنى الجدار الشمالى حيث كان فى صف ١١ عمودا بين كل عمود وآخر حوالى أربعة أمتار فجاء ذلك حوالى ٤٨ مترا أضيفت إلى جدار المنارة المقدر بحوالى أربعة أمتار فصار المجموع حوالى ٥٢ مترا.

(٣) John . Keane : SIX Months in the HEJAZ, (London 1886) p. 227 .

(٤) انظر أعلاه ص ١٠٧

بالباب المجيدى ، فى الطرف الشرقى من الجدار المذكور ، عند بدء العمارة المجيدية فى عهد ناظرها الثانى ، محمد رائف باشا [١] . وكما يتضح من الشكل السابق فإن مدخل الباب المذكور لم يتوسط الجدار الشمالى، لأن الغرض منه فى البداية كان إدخال المواد اللازمة للعمارة إلى صحن المسجد الشريف، لوقوعه أمام الباب المحدث آنذاك فى السور الداخلى للمدينة المنورة كما فى المخطط رقم (٣٥) ؛ والمسمى أيضا بالباب المجيدى[٢] . ثم إعجاب السلطان بفكرة المكاتب التى اقترحها محمد رائف باشا ومعارضته لتسمية الباب المحدث فى جدار المسجد بالمجيدى، واستحسانه لإطلاق باب التوسل عليه ، لمقابلته للحجرة الشريفة[٢] .

ويبدو الباب الخارجى المعروف فيما بعد بالباب المجيدى فى الصورة رقم (٣١) ، بعقد على هيئة نصف الدائرة ، يعلوه شرفة محمولة على كوابيل بارزة ، يغلب على الظن أن تكون من الحجر المنحوت، وتحتها لوحة مكتوب فيها آية كريمة مناسبة لاسم الباب الداخلى[٣] . أما مصراعا الباب فجاء أنهما من مخلفات العمارة المملوكية، وأنهما من الخشب الثمين المصفح بالقطع النحاسية والمنقوشة بالزخارف والكتابات الجميلة ، وقد تم نقلهما من باب السلام أثناء العمارة المجيدية .

ومهما يكن من أمر ، فإن مدخل الباب المجيدى كان أشبه بردهة مستطيلة، يكتنفها من الجانبين أربعة مكاتب سفلية ، وأربعة مكاتب علوية ، تفتح فى الردهة التى تعلو مدخل الباب المجيدى[٤] .

وفى الجانب الغربى من الكتاتيب المذكورة ، حنفية وحمام خاص بأغوات الحرم[٥] . وفى الغرب من ذلك أربعة مخازن خالية من نوافذ داخلية أو خارجية، لكون الأشياء المخزونة فيها عرضة للحريق والسلب والنهب ، ولعدم الحاجة إليها فى الإضاءة والتهوية ، لا سيما وأنها تفضى جميعا إلى صالة مكشوفة مزودة بباب

---

(١) انظر أعلاه ص ١٠٦ وما بعدها .

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٣) انظر أدناه ص ٢٧١ .

(٤ ، ٥) انظر مرافق المسجد ص ١٨٦ ، ١٩١ .

خارجى كبير ، وآخر صغير يفضى إلى الرواق الشمالى :.

أما طريقة تسقيف المخازن والمكاتب المذكورة ، فقد ذكر لى بعض الثقاة من أهل المدينة استخدام السقوف المقببة ، فى مدخل الباب المجيدى وبقية المكاتب والمخازن ، وهو ما تؤكده السقوف المسطحة كما فى الرسم رقم (١٧) ، والصورة رقم (٣١) . إلا أنها جميعا خلت من الشرفات كبقية جدران المسجد الخارجية .

ورغم كون المخازن والمكاتب المذكورة حازت آنذاك إعجاب السلطان واغتباط أهل المدينة ، إلا أنها من الناحية الفنية عابت المنظر الخارجى للمسجد الشريف ، فقد تميز شكلها الخارجى بضحالة العناصر المعمارية . بالإضافة إلى أنها حدت من شموخ المنارتين المجيدية والسليمانية (العزيزية فيما بعد)، اللتين أضحتا تبرزان من وسط المبنى ، على عكس ما تميزت به المنارات الإسلامية فى كثير من مراحل تطورها[١] ، خاصة فى العصر العثمانى[٢] .

جـ ـ المنارات : دعت الضرورة عند البدء فى العمارة السعودية إلى إزالة بعض المنارات من هذا الجانب، وهى المجيدية والعزيزية ، ومنارة باب الرحمة، ومن المتعذر معرفة ما كانت عليه هذه المنارات فى ضوء المصادر والمراجع التى أجملت الحديث عنها ، فذكرت أنها كانت على هيئة المنارات العثمانية ، وأن المجيدية والعزيزية كان لهما ثلاث شرافات ، أما منارة باب الرحمة فكان لها شرفتان فقط، وبأعلى كل منارة مخروط نحاسى متوج بهلال مذهب[٣] .

وبما أن بعض المصادر ذكرت أن تجديد المنارة العزيزية كان على غرار المجيدية[٤] ، وهو ما يؤكد الرسم المنقول عن أيوب صبرى فى الشكل رقم (١٧)، فإن الصورة رقم (٣١)، حفظت لنا تفاصيل جيدة عن المنارة العزيزية، كان من

---

(١) كمال الدين سامح : تطور المئذنة فى العمارة الإسلامية ، القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩ م ص ٦ وما بعدها .

(٢) حسين مؤنس : المساجد : سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص ١٣٥ .

(٣) على بن موسى : المصدر السابق ص ٦١ .

(٤) البرزنجى المصدر السابق ، ص ٧٦ وما بعدها .

المتعذر التعرف من دونها على الخصائص المشتركة بين المنارتين ، فمن المقطوع به أن جزأها السفلى، البارز من نقطة التقاء الجدار الشرقى للمكاتب الجيدية ، مع الركن الشمالى الشرقى للمسجد الشريف، مربع القطاع كما هو الحال فى منارة باب السلام والمنارة الرئيسية ومن قبل ذلك فى المنارة السليمانية[١] ويقدر ارتفاعه بحوالى ١٢ مترا [٢].

أما الجزء الثانى من المنارة فمثمن القطاع ، تتوسطه أربع فتحات طويلة، بشرفات بارزة تظهر بالتناوب بين أضلاعه الثمانية . وينتهى هذا الجزء بشرفة مثمنة محمولة على ١٦ فصا ، من الكوابيل المشابهة لما يشاهد الآن فى منارة باب السلام على صفة الشكل التالى :



ويحيط بها سياج من البناء المزخرف بحلية بارزة من عقود الإكليل، ثم جزء ثالث إسطوانى القطاع خال من الفتحات كبقية أجزاء المنارة، وله شرفة محمولة على ١٦ فصا فى هيئة الكوابيل السابقة، يحيط بها سياج من الحديد ثم جزء رابع إسطوانى القطاع أيضا، وله شرفة بها نفس العدد من الكوابيل السابقة . ثم جزء خامس أسطوانى المسقط أيضا، وينتهى بجوسق مخروطى الشكل متوج بهلال يبرز من عدد من «التفافيح» .

أما طولها فلم أجد فى المصادر والمراجع المتوفرة ما يشرح ذلك، سوى أن طولها فى الصورة رقم (٣١) يعادل ضعفين وربع من طول الجدار المقدر بحوالى ١٢ مترا. مما يجعل تقدير ارتفاعها بحوالى خمسين مترا أمرا مقبولا، بعد الأخد بعين الاعتبار اختلاف البعد المتدرج بين قمة المنارة وجزئها القريب من المصور .

أما منارة باب الرحمة فكانت أقصر منارات المسجد ، وقد تعرض جزؤها العلوى للتجديد فى عمارة السلطان عبد المجيد[٣] ، فجاء أسطوانى القطاع، وقلت سماكته

---

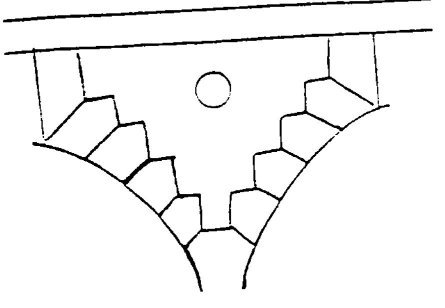
(١) انظر أعلاه ص ٢٥ .

(٢) وهو ارتفاع جميع جدران المسجد . انظر أعلاه ص ١٤٩ .

(٣) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦١ .

عن بدن المنارة المربع القطاع ، ولها شرفتان فقط ؛ إحداهما فوق الجزء المربع والثانية فوق الجزء الأسطوانى الذى يعلوه ، ثم جوسق فى نهاية الجزء الثالث على هيئة بقية المنارات العثمانية . إلا أن تفاصيل شرفتيها لم تتضح من خلال الصور المتوفرة مما يحمل على الظن أن تكون على صفة المنارتين السابقتين .

د - الأروقة : ومما تمت إزالته أيضا فى العمارة السعودية، كل من الرواق الشمالى الشرقى والغربى ، وقد بدأت عمارة السلطان عبد المجيد كما عرفنا فى فصل الأعمال المعمارية من الرواق الشمالى، فدعم جداره من الداخل بإحدى عشرة دعامة لمقاومة الدفع الخارجى للعقود والقباب ، ونظمت الأعمدة فى بائكتين فقط بكل صف أحد عشر عمودا . أما الرواقان الشرقى والغربى فرغم أنهما بنيا بعد الرواق الشمالى[١] ، إلا أن أعمدتهما نظمت جميعا على نسق ما يقابلها من أعمدة الرواق المذكور ، فأقيم فى الرواق الشرقى صفان من الأعمدة ،وفى الغربى ثلاثة صفوف، بكل صف أحد عشر عمودا . أى أن مجموع أعمدة هذا الجانب من المسجد النبوى ٧٧ عموداً ، عدا الأكتاف المسندة فيما يقابل ذلك من الجدران الثلاثة؛ وكلها من الحجر الأحمر المنحوت بارتفاع حوالى خمسة أمتار وربع[٢] بعضها من قطعة واحدة ،وبعضها من قطعتين أو ثلاث[٣] . هذا عدا تيجانها وقواعدها المؤلفة من قطع منفردة[٤] . ولهذا جاء بعد الأعمدة فى جميع الأروقة الثلاثة متماثلا على عكس ما فى رواق القبلة ، مما ساعد على تتبع خصائص ومميزات القباب والعقود التى كانت فى جميع الأروقة ، على هيئة نصف الدائرة استنتاجا مما ظهر فى الصورة رقم (٤٦) من الرواق الشرقى كما ظهر فيها أيضا بروز صنجات العقود المطلة على صحن المسجد على هيئة الشكل التالى :



مع حليات معمارية بارزة تمثلت فى الأفاريز والجامات التى تعلو منطقة التقاء العقدين، ومن فوقها بأعلى الجدار

(١) انظر أعلاه ص ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) أى ١١ ذراعا بذراع اليد : انظر البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٣ ، ٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

شرافات من الحجر الأحمر النحيت ، بينها مشبك الحديد[١]، على هيئة ما يرى الآن فى رواق القبلة . انظر صورة رقم (٣٨) .

أما القباب فكانت فى الصف المطل على صحن المسجد من الرواق الشمالى اثنتا عشرة قبة ، وفى الصف الذى يليه بحذاء الجدار الشمالى عشر قباب فقط، لوجود المنارتين المجيدية والسليمانية (العزيزية فيما بعد) فى ركنى المسجد . وجاءت فى الرواق الشرقى الممتد من أول الرواق الشمالى حتى مدخل باب النساء فى صفين بكل صف إحدى عشرة قبة ، وفى الرواق الغربى الممتد من نهاية الرواق الشمالى حتى مدخل باب الرحمة ثلاثة صفوف، بكل صف إحدى عشرة قبة أيضا .

ولم يتوفر لى معلومات مؤكدة عن شكل قباب الرواق الشمالى والشرقى، إلا ما يؤخذ من الرسم الذى أعده أيوب صبرى فى اللوحة رقم (١٧) فإنها متساوية الحجم على هيئة نصف البرتقالة مكسية بالرصاص ، ليس لها أعلام كما يرى الآن فى بعض قباب الرواق القبلى من المسجد النبوى .

أما قباب الرواق الغربى فتؤكد الصورة رقم (١٦)، تميزها أيضا بالصفات المشتركة بين القباب السابقة، ولم يظهر فى الصور والرسومات المتوفرة ما يفيد بوجود بعض الشبابيك فى القباب المذكورة ، إلا أن أيوب صبرى ذكر أن ببعضها شبابيك مغطاه بالزجاج الملون وبعضها بزجاج أبيض[٢]. فإن صح ذلك فربما تكون فى ركنى الرواق الشمالى، بالقرب من المنارتين السليمانية والمجيدية، لاختلاف العمق فيهما عن بقية أجزاء الأروقة التى تستمد الضوء والهواء من صحن المسجد.

وقد جاء ما يفيد ، بأن جميع القباب المذكورة ، كانت مزخرفة من الداخل برسومات مائية ، لنباتات وأشجار ومناظر طبيعية ، على هيئة تقرب مما يرى الآن فى قباب رواق القبلة ، بيد أنها خلت جميعا من الكتابات[٣]. وكانت جدران الأروقة

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٢) أيوب صبرى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٢٧ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٤ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٠ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٦٨ .

المذكورة خالية من أية زخارف أو كتابات ، وأرضها مفروشة فى بادئ الأمر بأحجار الرخام الأبيض[١] ، ثم جددت فى أواخر العصر العثمانى بوضع الحجر الأسود المنحوت، فى منطقة الروضة وما يقابلها من الحرم القديم ، وأبقى الرخام فى بقية أجزاء الحرم؛ ما عدا مدخل الباب المجيدى وما يليه من حذاء المنارة السليمانية (العزيزية فيما بعد)، فقد رصف بالحجر الأحمر المنحوت[٢] .

وعلى أية حال فليس بداخل الأروقة الثلاثة (الشمالى والشرقى والغربى) دكاك أو بروز كما فى السابق، إلا ما فى الرواق الشرقى، من سياج خشبى محيط بمصلى النساء، فقد وسع سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، حتى وصل المنارة السليمانية (العزيزية).

أما صحن المسجد فأخفض قليلا من أروقة المسجد، وبه بستان صغير[٣] وبئر محاط بسياج من الحديد ، وفى أركان الصحن أعمدة من الرخام الأبيض أعيدت كما كانت فى العصر المملوكى[٤] . وفى نهاية كل منها فانوس كبير من الزجاج وحوله أربعة قناديل صغيرة معلقة بسلاسل من حديد، إلا أنها نقلت فى عهد شيخ الحرم النبوى « حسن خير الله أفندى » فى أواخر سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، إلى داخل الصحن[٥] ثم زيدت بعد ذلك كما يظهر من الشكل رقم (٣٤) إلى تسعة أعمدة ، ثلاثة فى مقدم الصحن ، وثلاثة فى مؤخرته ، وثلاثة فى وسطه .

وتعرف الأعمدة المذكورة فى العصر المملوكى والعثمانى بالمشاعل، وتستخدم لإضاءة الصحن فى ليالى رمضان وأيام المواسم[٦] ، ثم أضيف لها فيما بعد مصباحان كهربائيان كبيران .

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٧ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٦٨ .
(٢) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٥٩ .
(٣) ذكر السمهودى : فى وفاء الوفاء ، جـ٢ ص ٦٨٦ عدم معرفته بأول من أحدثه ويبدو أن ذلك كان قبل القرن السادس الهجرى حيث شاهده ابن جبير سنة ٧٥١ هـ .
(٤) كان استحداثها فى أواخر العصر المملوكى وقد وصفها السمهودى بالمشاعل : المرجع السابق جـ٢ ص ٦٨١ .
(٥) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٨ .
(٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٨ .

ثانيا : الرواق القبلى وعناصره المعمارية :

استغرقت عمارة هذا الرواق الذى يقدر بحوالى ٤٠٥٦ مترا[١]، أكثر من عشرة أعوام[٢] ، وأشرف عليها عدد من النظار والمهندسين، لأسباب كان أهمها معارضة علماء المدينة وأعيانها لإجراء أى تغيير فى مواقع الأعمدة القديمة ؛ لا سيما ما أسس فى عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ، الأمر الذى أدى إلى تعديل المخططات المعتمدة أكثر من مرة ، وسبب التباين فى أجزاء كثيرة من الرواق، حيث يمكن ملاحظة ذلك أثناء وصف العمارة القائمة حاليا فى رواق القبلة . والتى يمكن تقسيمها على ضوء ما تم فى هذا الجزء إلى أربعة أقسام ، تسهيلا لوصفها ولاختلاف خصائص ومميزات كل قسم منها .

(١) جدران رواق القبلة ونوافذه وأبوابه :

أ ـ الجدار الشرقى :

شمل التجديد معظم جدران الرواق القبلى لأسباب أوضحتها فيما سلف[٣] ، حيث كان العمل قد تم أولا فى الجدار الشرقى الممتد بين المنارة الرئيسية وباب جبريل فى حدود سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢ ، بإشراف المهندس محمد رائف باشا ، ثم أكمل باقى الجدار فى عهد أدهم باشا فى حدود سة ١٢٧١ هـ / ١٨٥٤م، من باب جبريل إلى باب النساء . وكان الجزء الأول من الجدار المذكور قد زحزح من موضعه الأول، إلى خارج المسجد بحوالى ثلاثة أمتار ونصف تقريبا[٤] ، فزادت بذلك مساحة الرواق ١٢٠ مترا مربعا تقريبا[٥] . ومن خلال الرسم المنقول من مرآة

---

(١) وزارة الإعلام : توسعة الحرمى الشريفين : ص ٤٢ ، على حافظ : المرجع السابق ص ٨٤ .

(٢) بدأها محمد رائف باشا سنة ١٢٦٨ هـ وختمها أسعد أفندى (عربانى زادة) سنة ١٢٧٨هـ .

(٣) انظر أعلاه ص ١٠٨ ، ١٢٩ وما بعدها .

(٤) أى حوالى خمسة أذرع وربع . انظر أعلاه ص ١٠٩ .

(٥) قدرت هذه الزيادة على ضوء زيادة قايتباى التى كانت حوالى ١٢٠ مترا مربعا . أما الزيادة الإجمالية للسلطان عبد المجيد فتعادل ١٢٩٣م ٢ . انظر وزارة الإعلام : المرجع السابق ص ٣٥ ، وعلى حافظ : المرجع السابق ، ص ٨٦

الحرمين لإبراهيم رفعت يتبين أن مسقط الجدار المذكور، مدعم بالأكتاف البارزة من الداخل والخارج بطريقة تختلف عن بقية جدران المسجد ، فقد وزعت من الخارج بطريقة فنية متساوية تجمع بين المتانة والجمال ، أما من الداخل فجاءت الأكتاف المذكورة تبعا لطريقة توزيع القباب فى هذا الجزء من المسجد الشريف . والمحكومة بما يقابلها من أعمدة الحجرة القديمة ، فلم توضع كلها مقابل الأكتاف الخارجية . كما يظهر بهذا المسقط أيضا عدا الأبواب الرئيسية ثلاث فتحات كبيرة ، موزعة بانتظام فى منتصف الجدار الممتد من باب جبريل إلى المنارة الرئيسية ، وتظهر مرتفعة عن الأرض بحوالى متر تقريبا .

هذا من حيث المسقط وما به من الأكتاف والفتحات ، أما الواجهة الخارجية فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام أفقية ، تبدأ من أسفل الجدار إلى أعلاه على النحو التالى :

القسم السفلى :

ويعدل ارتفاعه القسمين الآخرين معا ، ويفصله عما يعلوه افريز من الحجر الأحمر البارز بحوالى ١٥ سم . يبدأ من ركن المسجد الجنوبى الشرقى بمستوى العتب العلوى لباب جبريل وباب النساء ، وينتهى بالعمارة السعودية الملتحمة مع الجانب الأيمن لمدخل باب النساء .

ويتميز هذا الجزء بالأكتاف الظاهرة فى المسقط والواجهة ، والبالغة حوالى ١٢ كتفا مرتبة على أبعاد متساوية . فتظهر فى الواجهة عن يمين ويسار الشبابيك والأبواب ، بدءا من نهاية الركن الجنوبى الشرقى ، حيث يلاحظ باب كبير بعقد نصف دائرى ، لم يذكره البرزنجى عند وصفه لهذا الجانب من المسجد . ولم يظهر بمسقط الجدار (لوحة رقم ٣٠)، مما يرجح إحداثه فيما بعد، لخدمة المخازن المنشأة بجوار المنارة الرئيسية ، خاصة وأن فتحه فى هذا الموضع لا يؤثر مطلقا على بناء الجدار أو على القبة المجاورة للمنارة الرئيسية ؛ لارتكازها من الداخل على أكتاف قوية وإلى يمينه مما يلى باب جبريل ثلاث فتحات مستطيلة كالأبواب

الكبيرة ؛ بأعتاب مستقيمة لها شرفة بارزة بحوالى ٢٠ سم ، ومسدودة بأعمدة الحديد المصلبة (المصبعات الحديدية) ، ولكل منها مصراعان خاليان من الزخرفة يفتح كل منهما إلى داخل المدماك .

ويتميز الأوسط منها بوجود زخرفة فريدة فوق عتبه الأعلى، فى قطعة من الحجر المدور، عليه قطعة من الخشب على هيئة عرف الهدهد أو ذيل الطاووس[١] . واستنادا إلى البرزنجى فلم يكن بهذا الجدار قبل عمارة عبد المجيد شباك غيره[٢] ، فقد وضع فى العمائر السابقة كعلامة لمكان باب النبى ﷺ ، بناء على ما صرح به السمهودى وغيره من مؤرخى المدينة[٣] .

أما الشباك الواقع فى جانبه الأيمن بجوار باب جبريل عليه السلام فمقابل باب على رضى الله عنه[٤] ، وأما الواقع إلى يساره فلم أجد له أصلا فى العمارة القديمة، إلا ما يعتقد بأن يكون المعمار قد أحدثه لغرض وظيفى وجمالى أيضا . فإنه مقابل الركن الجنوبى الشرقى للحجرة الشريفة ، وهى منطقة مظلمة وقليلة التهوية خاصة بعد إلغاء المنور (الباذهنج) الذى كان بها فى العمارة المملوكية[٥] . هذا فضلا عما يحدثه مظهره الخارجى بجوار باب النبى ﷺ المتميز بالعرف السابق ، من رشاقة وانسجام .

ويظهر فى الطرف الشمالى من الجدار الشرقى باب جبريل عليه السلام ، وهو باب كبير مدعم من الخارج بكتفين بارزين بأصل الجدار ، ويعلوه عتب مستقيم له عقد مصمت على هيئة نصف الدائرة ، تتوسطه منطقة بيضاوية الشكل، مكتوب فى وسطها بالحفر البارز طغراء السلطان عبد المجيد ، على أرضية

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٢) عبد الغنى النابلسى : الحقيقة والمجاز ، جـ ٣ ص ٩٤ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٠ وكان عبد الغنى النابلسى قد ذكره عند زيارته للمدينة سنة ١١٠٦ هـ . انظر مصدره السابق ، جـ ٣ ص ٩٤ .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ص ٣٠ .

(٥) انظر أعلاه ص ١١ ، ٧٥ وانظر الشكل رقم (٣١) .

زرقاء ، وتتقدمه مظلة مستطيلة محلاة ببعض الآيات الكريمة [١] والأفاريز البارزة ، ويحملها من الخارج أربعة أعمدة جميلة ، ترتكز على قاعدتين تحيطان بالمدخل من الجانبين ، فى شكل مستطيل يماثل تماما ما يتقدم باب الرحمة .

أما مصراعا الباب فمن خشب الجوز الثمين، المصفح بالقطع النحاسية المزخرفة برسوم هندسية ونباتية وكتابية جميلة[٢] .

وينكسر الجدار بزاوية قائمة بعد الدعامة الواقعة فى الطرف الأيمن من مدخل الباب بحوالى ٥٠ سم ، ثم يعود فيستقيم مرة ثانية بحوالى مترين أو أكثر ثم يرجع الإنكسار مرة ثانية بحوالى ٢٫٥ متر فى زاوية قائمة يظهر بركنها دعامة بارزة ثم يستقيم مرة ثالثة حيث يظهر فى طرفه الملاصق للعمارة السعودية باب النساء فى حجم باب جبريل أو قريب منه . إلا أن بعتبه العلوى من الخارج واجهة مستطيلة مكتوب فيها البسملة وبعض الآيات الكريمة[٣] ، وتتقدمه كباب جبريل مظلة مزخرفة ببعض الآيات والأفاريز البارزة ولكن زخرفة أعمدتها وتيجانها تقل كثيرا عن مثيلاتها فى باب جبريل . ومصراعا الباب من خشب ثمين أيضا وهما مزخرفان بالقطع النحاسية المنقوش بزخارف متنوعة[٤] .

القسم الأوسط : وينحصر بين أفريزين بأصل الجدار ، ويماثل تماما القسم الأول فى الزوايا والانكسارات المتعددة ، إلا أنه خلا من بروز الدعامات التى اقتصر ظهوورها على الجزء السفلى، وبجزئه الممتد من باب جبريل إلى الركن الجنوبى الشرقى سبع نوافذ مدورة ، تظهر من الخارج على هيئة الشكل التالى فى صف مستقيم. أحداها فوق باب جبريل ، والبقية

(١ ، ٢) انظر أدناه فصل الزخارف ص ٢٣٥ ، ٢٧٨

(٣ ، ٤) انظر أدناه فصل الزخارف ص ٢٣٦ ، ٢٧٨

موزعة بالتساوى على الجدار ، حيث جاءت أربع منها فوق الشبابيك السفلية والباب المجاور لها من الجنوب (لوحة رقم ٣٠) .

وبالجزء المذكور من الجدار الشرقى سبعة ميازيب لتصريف مياه الأمطار، وجميعها من الحجر المنحوت بدقة فائقة ، على غرار الميازيب المطلة من رواق القبلة على صحن المسجد .

القسم العلوى : ورغم اشتراكه مع الجزئين الآخرين فى الانكسارات المتعددة، إلا أنه خال تماما من الفتحات والحليات المعمارية الأخرى، لوقوعه فوق سطح المسجد كستارة محيطة بسقف الرواق من الخارج .

وتظهر بالجدار من الداخل النوافذ الدائرية ، مزخرفة بالحديد المشاجر والكتابات الجميلة كما فى الواجهة . هذا فضلا عن الشبابيك المستطيلة ذات الأعتاب المستقيمة والعقود المرتكزة على الأكتاف البارزة ، وفتحات العقود ملبسة بأنواع مختلفة من البلاطات الخزفية .

وبداخل الجدار بين الشبابيك المستطيلة ١٥ خزانة مستطيلة الشكل، تقدر فتحاتها بحوالى ٦٠ × ٤٠ سم تقريبا ، وبعمق حوالى ٤٠ سم ، محصورة بين أفاريز ودعائم بارزة (الشكل رقم ٤٠) .

وفى الجزء الفاصل بين باب جبريل وباب النساء ، مخزن مستطيل مكون من طابقين ، مخصص لاستراحة المناوبين من أغوات الحرم ، وله باب جنوبى يفضى إلى مدخل باب جبريل[١] .

ب ـ الجدار القبلى :

يشغل هذا الجدار الضلع الجنوبى للمسجد الشريف ، ويمتد من طرف المخزن المجاور للمنارة الرئيسية من الشرق، إلى الركن الغربى لمنارة باب السلام، بطول

---

(١) انظر أعلاه فصل الأعمال المعمارية ص ١١٦

٨٦٫٢٥ مترا تقريبا [١]. وقد أعيد بناء معظمه فى أواخر العمارة المجيدية، إلا ما حاذى المحراب العثمانى[٢]، الذى يقع كما يتبين من مسقط الجدار فى طرف الثلث الشرقى من جدار القبلة تقريبا[٣]، مقابل المحراب النبوى الشريف الذى يتوسط الروضة.

وتخلو الواجهة الخارجية لجدار القبلة فى الوقت الحاضر، من شرافات أو حليات معمارية أخرى ، إلا ما أحدث بالجزء القريب من المنارة الرئيسية من دعائم خارجية فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م[٤]. لوحة رقم (٦٧).

كما يلاحظ فى الوقت الحاضر ، أن بالجزء السفلى من الجدار بالقرب من العتب السفلى للشبابيك ، شطفا ضئيلا يقدر بحوالى ٥٠ سم تقريبا . فى زاوية منفرجة ساعدت كما فى الشكل رقم (٢٨) على إخفاء الإنكسار الذى لم يفطن له أحد ممن أرخ للمسجد أو كتب عنه .

ولا بد أن يكون القصد من إنشاء هذا البروز تدعيم الجدار من الخارج، لمقاومة الضغط الداخلى للعقود والقباب ، مما أغنى عن استخدام الدعائم الساندة التى بدأها محمد راشد أفندى سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م بالقرب من باب السلام . ولأن إكمال الجزء العلوى من الجدار القبلى بنفس السماكة التى بنى بها الأساس غير مجد، خاصة بعد ارتكاز عقود القباب الأمامية على بداية الثلث الأخير من الجدار المذكور.

ويظهر فى بداية الجزء العلوى من جدار القبلة شبابيك مستطيلة فى خط مستقيم، مقاس كل منها ٢٫٤٠ × ٣٫٧٥ مترا [٥]. منها تسع فتحات على يمين المحراب العثمانى، وخمس فتحات بينه وبين المنارة الرئيسية[٦]. ولها جميعا عقود

---

(١) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٤٨ .

(٢) انظر أعلاه فصل الأعمال المعمارية ص ١٢٩ وما بعدها .

(٣) كان هذا المحراب قد أحدث زمن عثمان بن عفان عندما زاد فى مقدم المسجد الشريف بلاطة واحدة .

(٤) انظر أعلاه ص ١٤١ .

(٥) صالح لمعى : المدينة المنورة ، ص ٩٥ .

(٦) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

نصف دائرية ، وأبواب من الزجاج المعشق بنوع واحد من الأطباق النجمية[١] وترتكز الأبواب المذكورة على محورين فى الوسط، بحيث تفتح حسب الرغبة بمجرد ملامستها من الداخل بخطاف أو عصا طويلة . أما واجهتها الخارجية فسدت بسياج حديث من الألمونيوم، ويظهر فوق جدار المحراب العثمانى من الخارج ثلاث فتحات، على هيئة نوافذ الجزء العلوى من الجدار الشرقى (الشكل ٢٨) .

هذا عن الشبابيك العلوية وطريقة توزيعها ، أما الشباك الواقع أسفل الجدار أمام المواجهة الشريفة ، فقد أعيد كما كان فى العمارة القديمة[٢] . إذ أنه كان يطل على الحديقة التى كانت بحوش ديار العشرة[٣] ، وقد أغنت فتحته الكبيرة عن إعادة المنور الذى كان فوق المواجهة الشريفة فى العمارة القديمة ، فصار الهواء والنور يصل إلى هذه المنطقة من ثلاث جهات ، فمنه أولا ، ومن الشباك المقابل له فى الجدار الشرقى ثانيا ، وثالثا من الشبابيك المحيطة برقبة القبة ذات الطمبور الواقعة فوق المواجهة الشريفة مباشرة. ويتميز الشباك المذكور بأعتاب من الحجر الأحمر المزخرف بشكل جيد ، وداخله مسدود بالمصبعات الحديدية ، وبأسفله مما يلى وجه الجدار الداخلى، سياج من أعمدة الصفر المتداخلة على هيئة السياج الموضوع بدكة الأغوات وجدار القبلة الأول . ومصراعاه من الخشب الخالى من الزخرفة مما يوحى بجدتهما ، ويفتح كل منهما داخل المدماك . وفى ضوء ما سلف يتبين أن مجموع فتحات الجدار القبلى ١٩ فتحة متباينة الأحجام والأشكال .

أما وصف الجدار من الداخل فإن معظمه خال من الدعائم البارزة على عكس جدران المسجد الأخرى (الشكل ٣٤)، إلا ما يلاحظ قرب باب السلام من بروز ثلاث دعائم به ، فإن ذلك مما أحدث فى عهد محمد راشد أفندى سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م[٤]، أما الجزء المعمر فى عهد أسعد أفندى (عربانى زادة) سنة

---

(١) انظر فصل الزخارف ص ٢٠٨ .

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٣) انظر المخطط المنشور فى الرحلة الحجازية للبتنونى ، ص ٢٤٤ ، ومشعل الحج لمحمد صادق باشا ، ص ١١٥ .

(٤) انظر أعلاه فصل الأعمال المعمارية ص ١٢٢ .

١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، والممتد من نهاية الدعائم المذكورة إلى المنارة الرئيسية ، فليس به شيء من الدعائم لعدم الحاجة إليها بسبب استحداث الجدار الساند من الخارج، إلا أن بأعلى الجدار فى الوقت الحاضر حلية معمارية متكررة فى نهاية العقود المرتكزة على الجدار من الداخل على هيئة الشكل التالى : مما يحمل على الظن أنها أطراف أكتاف مخفية بأصل الجدار القبلى أو أنها تيجان كبيرة من الحجر المنحوت موضوعة بأعلى الجدار ، لترتكز عليها العقود المذكورة .

والجدار من الداخل مغطى بطبقة سميكة من الملاط، لتثبيت المسطحات المؤلفة من ألواح الرخام المختلفة الأحجام، والبلاطات الخزفية ، والأشرطة الكتابية ، هذا فضلا عن الرسوم المائية التى جاءت فى مستوى الألواح والبلاطات المذكورة [١]؛ مما يؤكد سماكة التكسية المذكورة .

وحنية المحراب ذات عقد مدبب يتناسب مع ارتفاع جدار القبلة ، خلافا لما فى المحراب النبوى والسليمانى . وهى متدرجة من جانبها ، ويتوجها زخارف رخامية جميلة ، ولها كثير من الزوايا والأعمدة الصغيرة . لوحة رقم (٢٦) .

جـ - الجدار الغربى :

ويمتد بطول خمسين مترا تقريبا[٢]، من منارة باب السلام إلى الطرف الأيسر لمدخل باب الرحمة ، ورغم كونه جدد قبل عهد السلطان عبد المجيد، فإن بمسقطه الحالى عددا من الأكتاف البارزة من الداخل، تمت إضافتها فى عهد محمد راشد أفندى سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م[٣]؛ على هيئة الجدار الشرقى من رواق القبلة والجدران المزالة من مؤخرة المسجد الشريف . وقد أضيف له من الخارج فى العمارة السعودية، عدد من الغرف والصالات لشغل الفراغ الناشئ عن المدخل المتقدم لباب

---

(١) انظر أدناه فصل الزخارف ص ٢٢٩ وما بعدها .

(٢) تم هذا التقدير بناء على ما جاء فى المخطط المنشور فى دليل الحج لمحمد صادق باشا بواقع مليمتر لكل متر على الطبيعة .

(٣) انظر أعلاه ص - ١٢١ .

السلام والتوسعة السعودية (لوحة رقم ٦٢) ، مما حال دون معرفة الشكل الخارجي لجدار المسجد الذى كان جزءا من المدرسة المحمودية . وقد أبقى المهندسون فى العمارة المجيدية على الأبواب الثلاثة الموضوعة من قبل بالجدار المذكور[١] .

وعلى أية حال فإن دراسة ما تبقى من واجهتى باب السلام وباب الرحمة ما يفى بالغرض : إذ أنهما العلامة المميزة لهذا الجانب من المسجد الشريف .

باب السلام :

وكان له بالجدار المعمر سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م فى عهد الناظر الأخير للعمارة المجيدية مدخل كبير بعقدين ، قال عنهما البرزنجى إن كل منهما مؤلف من قطعتين من الحجر المنحوت [٢] ، وقد أعيد فوق العقد الخارجى لوح من الرخام المكتوب عليه فى عهد الأشرف قايتباى المملوكى سنة ٨٨٨هـ بخط الثلث، ما يضمن إلغاء المكوس من المدينة فى عهده وفى حوالى سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م أضيف له فى عهد السلطان عبد العزيز مدخل كبير مكون من عقدين على هيئة حدوة الفرس ، وفوقهما بمستوى القباب الداخلية قبة مثمنة ومضلعة بألواح الرصاص ، تحمل فى مجملها طابعا مميزا يشترك مع الطراز الباروكى العثمانى فى كثير من الصفات[٣] . وقد تطلب إنشاؤها تجديد بناء باب السلام ، بدليل اختلاف عدد الصنجات الحالية فى عقد باب السلام ، عن القول السابق للبرزنجى بأن كل عقد مؤلف من قطعتين . أما مصراعا الباب فمن خشب الجوز المزين بقطع البرونز الجميلة .

هذا من حيث التكوين المعمارى لمدخل باب السلام ، أما جدرانه فمحلاة بأنواع مختلفة من البلاطات الخزفية ، والآيات القرآنية والكتابات التأسيسية[٤] .

---

(١) انظر مرافق المسجد ص ١٨٥ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٣) انظر فصل الزخارف ص ٢٢٨ وما بعدها .

(٤) انظر أدناه فصل الزخارف ص ٢٠٩ ، ٢٧٢ وما بعدها .

باب الرحمة :

وله عقد على هيئة العقد الداخلى لباب السلام ، بيد أن الزخارف فى كليهما متباينة لاختلاف النظار على بناء كل منهما . ومصراعاه مزخرفان بالقطع النحاسية الجميلة فى أشكال نباتية وهندسية وكتابية[١] . ويتقدم المدخل مظلة مستطيلة مكتوب فى واجهتها بعض الآيات الكريمة[٢] ، وبأعلاها زخارف نباتية بارزة تفتقر إلى الدقة والجمال . ويحمل المظلة أربعة أعمدة مزخرفة بخطوط رأسية كما فى أعمدة باب النساء وباب جبريل ، إلا أن لها تيجانا أيونية الشكل تشترك فى كثير من الصفات مع النوع الثانى من التيجان السائدة فى رواق القبلة . ويحيط بجانبى المدخل قاعدتان مستطيلتان ترتكز عليهما الأعمدة المذكورة . (لوحة ٢٩) .

أما الجدار من الداخل فخال من الزخارف والحليات المعمارية، إلا أن به عدا الأبواب التى ذكرت فى الواجهة ثلاثة شبابيك مربعة الشكل ، تقدر أبعادها بحوالى ٢ × ٢ مترا مربعا تقريبا . وقد سدت بأعمدة الحديد المصلبة (المصبعات)، والمترابطة بنوعين من البقشات، الأولى منها مدورة وتظهر فى الشباك القريب من باب الرحمة، والثانية مثمنة وتظهر فى الشباكين الواقعين فوق خوخة الصديق رضى الله عنه . وهى نفس الشبابيك التى شاهدها عبد الغنى النابلسى سنة ١١٠٦هـ بمدرسة قايتباى ، وقال أنه يمكن الاقتداء بالإمام ورؤية الحرم من خلالها[٣] . ولم أجد فى الوثائق والمصادر التى تحدثت عن تجديد المدرسة المذكورة فى عهد السلطان محمود الثانى ، ما يفيد بتجديدها أو تغيير موقعها الأول .

د ـ الجدار الشمالى لرواق القبلة :

يطل الرواق القبلى على صحن المسجد المكشوف ، بواجهة غنية بالعناصر المعمارية الزخرفية الجميلة ، والمشتملة على اثنى عشر عقدا مدببا ، تمتد من الرواق الشرقى إلى طرف الرواق الغربى بحوالى ٤٠ مترا[٤] وتظهر بواجهتها الصنجات

(١ ، ٢) انظر أدناه فصل الزخارف ص ٢٠٦ ، ٢٣٧ ، ٢٧٦ .

(٣) المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٧٨ .

(٤) كان هذا التقدير بناء على مخطط الحرم النبوى المنشور فى دليل الحج لمحمد صادق ص ١١٥ بمقياس رسم ١ مليمتر لكل متر على الطبيعة .

المكونة للعقود (انظر لوحة ٤٦) ، وبكوشات العقود إحدى عشرة منطقة مدورة، تظهر الأولى منها وسط الجدار وقد نقش فى وسطها لفظ الجلالة **«الله جل جلاله»** ، واسم الرسول **« محمد »** ﷺ فى الجامة الواقعة على يسارها، وعبارة **« ما شاء الله لا قوة إلا بالله »** فى الجامة الواقعة عن يمينها ، ثم أسماء الخلفاء وبعض الصحابة موزعة بالتساوى بين الطرفين ، وبالواجهة المذكورة ثلاثة ميازيب من الحجر المنحوت بدقة فائقة ، على هيئة ما فى الجدار الشرقى. وبمستواها أفريز من الحجر البارز يعلوه أفريز آخر ، ثم اثنتا عشرة شرافة ، بينها سياج جميل من الحديد (لوحة رقم ٣٨) .ويتوسطها لوحة كبيرة مزخرفة من جوانبها المختلفة بعروق نباتية ملتوية فى أشكال حلزونية على هيئة ما يرى بأعتاب باب السلام[١] . ومكتوب فى أعلاها وسط منطقة مشعة كقرص الشمس أو ذيل الطاووس ، كلمة **« قال رسول الله ﷺ »**[٢] وفى داخلها فى إطار مستطيل ، حديث شريف يحث على الصلاة فى المسجد النبوى ويرغب فيها[٣] .

(٢) الأعمدة والتيجان والعقود :

أولا : الأعمدة : يحتوى رواق القبلة على عدد كبير من الأعمدة، التى فرضتها طبيعة الأبنية التى كانت على عهد الرسول ﷺ وبعض الخلفاء الراشدين، والتى قام من أجل المحافظة على مواقعها جدل كبير بين أهل المدينة المنورة، وبعض المشرفين على العمارة المجيدية[٤] . مما أدى فى النهاية إلى احتفاظ رواق القبلة بنفس العدد من الأعمدة القديمة ، بالإضافة إلى أعمدة البلاطتين اللتين إضافها السلطان عبد المجيد فى الطرف الشمالى لرواق القبلة ، وما ألصق بجدران المسجد وبعض أعمدة الحجرة من الأكتاف ، والتى تربو فى مجملها على مائتين وستة أعمدة وأكتاف طول كل منها حوالى خمسة أمتار[٥] ، وجميع الأعمدة مؤلفة من قطعتين

---

(١) انظر الزخارف النباتية ، ص ٢٢٧ .

(٢) أزيلت هذه العلامة فى الوقت الحاضر بينما تظهر واضحة فى بعض الصور القديمة .

(٣) انظر ص ١٣٣ من فصل الأعمال المعمارية للوقوف على سبب كتابته .

(٤) انظر فصل الأعمال المعمارية ص ١٠٩ ، ١١٧ ١٢٢ .

(٥) أى حوالى ١١ ذراعا .

أو ثلاث من الحجر الأحمر النحيت ، كما هو واضح بأبدانها خلافا لمن قال أنها من قطعة واحدة[١] . وقوامها قاعدة وبدن وتاج[٢] ، فأما أبدانها فملساء لا أثر للزينة فيها ، إلا الرخام الموضوع بالجزء السفلى من إسطوانات الروضة ، وما يقابلها من مقدم المسجد ، وكذلك العصائب أو الأكاليل المنقوشة فى دوائر بأعلى بعض الإسطوانات المشهورة فى الروضة . ويبرز من قواعد بعضها على وجه الأرض حوالى ٥٠ سم تقريبا ، وهى ملبسة بأطواق من الصفر[٣] ، الخالى من الزخارف والنقوش المألوفة فى بعض عمائر العثمانين الدينية[٤] . وذلك عام فى جميع قواعد المسجد، إلا أعمدة الروضة والبلاطتان الممتدتان من المواجهة الشريفة حتى باب السلام. فليس لها قواعد بارزة لما قد يسببه وجودها من إعاقة للمصلين ، فقد اكتفى المهندسون بتضخيم الجزء السفلى من الإسطوانات المذكورة إلى ارتفاع حوالى مترين ، ثم أعادوا تلبيس بعضها بقطع الرخام الجميل .

ولا شك بأن لهذه الأسطوانات قواعد مدفونة فى أرض المسجد الشريف . وبدليل قول مهندس العمارة أن بعض أسطوانات الروضة على عمق ثلاثة أمتار تقريبا[٥] .

وتظهر الأعمدة الواقعة غرب الحجرة الشريفة ، منتظمة فى ثلاثة عشر صفا متعامدة على جدار القبلة (الشكل ٣٤) ، وفى كل صف ١٢ عمودا ، إلا الصف المحاذى للجدار الغربى، فإن به عشرة أعمدة فقط، لوجود منارة باب السلام فيما يقابله من الجنوب؛ وانحراف الصف المقابل له من الرواق الغربى إلى الشرق قليلا .

وذلك لأن المعماريين تصرفوا فى تغيير مواقع الأعمدة فى الرواق المذكور، وكذلك الرواق الشرقى والشمالى، لبعدها عن حدود المسجد القديم ، بينما أعادوا

---

(١) صالح لمعى : المدينة المنورة ص ٩٥ .

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٣) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(٤) هدايت على تيمور : جامع الملكة صفية ، رسالة ماجستير لم تطبع ، مقدمة إلى جامعة القاهرة ، كلية الآثار ـ قسم الآثار الإسلامية ، ١٩٧٧م ، ص٩٢ .

(٥) انظر أعلاه ص ١٢٠ .

جميع أعمدة رواق القبلة فى مواضعها القديمة . كما يتضح عند مقارنة مخطط المسجد فى أواخر العصر المملوكى، بمخططه فى العمارة المجيدية (الشكل ٣١) وجميع الأعمدة فى هذا الجانب من الرواق متساوية الحجم ،إلا ما يحمل قبة المحراب العثمانى، فإنها من كتل ضخمة من الحجر الأحمر المنحوت من جوانبه على هيئة الأعمدة المربوطة (الشكل رقم ٢٩). بعضها مؤلف من تسعة أعمدة كما فى الركنين الشماليين من القبة ، وثلاثة أعمدة فيما يقع خلف المحراب النبوى، وما يقابل المحراب العثمانى فى صف الأعمدة المحاذية لجدار القبلة . كما تتميز أعمدة الروضة الشريفة وما يقابلها من البلاطتين اللتين أضافهما عمر وعثمان رضى الله عنهما ، فى مقدم المنسجد الشريف، وما يحيط بالحجرة الشريفة؛ بزخرفة الجزء السفلى منها بقطع الرخام المحلاة بالنقوش الكتابية والنباتية والهندسية[١] . وعددها ٣١ إسطوانة[٢] ، وتتقوى الأعمدة بالروابط الخشبية الموضوعة بالجزء العلوى منها ، إضافة إلى استخدامها فى تعليق قناديل الزيت ومصابيحه .

أما ما يظهر بجدران الحجرة الشريفة ، وما يحيط بها من الشمال والشرق والجنوب ، فغالبها أكتاف ضخمة ، أسندت بجوار أعمدة الحجرة الشريفة وأكتافها القديمة ؛ لحمل القباب المنشأة فى جوانبها الأربعة . وتتميز هذه الأكتاف بكثرة الزوايا (الشكل رقم ٣٩) التى أحدثت لغرضين ، أحدهما معمارى لتيسير اتجاهات العقود التى أقيمت فى أوقات مختلفة ، والغرض الثانى جمالى لموازنة المنظر المصمت للأكتاف الضخمة الخالية من البروز والحليات المعمارية الأخرى .

هذا من حيث الأعمدة والأكتاف الداخلة فى الجزء المسقوف من رواق القبلة، أما الأعمدة المحيطة ببعض مداخل المسجد (باب جبريل ، النساء ، الرحمة) ، فتمتاز عن سابقتها بقواعدها البارزة بأكثر من متر ، وبنحت كثير من الأضلاع المقعرة على بدن كل منها (لوحة ٢٩) ، كما هو الحال فى الأعمدة الكورنثية

---

(١) انظر فصل الزخارف ص ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٢٥ .

(٢) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ٣١ .

التى أبدع الإغريق فى استخدامها[١] ، مما حدا بالمسلمين إلى استخدام نماذج منها فى بعض عمائرهم[٢] .

كما استخدمت الأعمدة الصغيرة وأنصافها ، بقصد الزخرفة فيظهر منها على جانبى حنية المحراب النبوى ، عمودان جميلان بلون العقيق ، وهما من مخلفات العمارة المملوكية . ومثلهما بلون أبيض على جانبىْ المحراب العثمانى والسليمانى .

ومن أنصاف الأعمدة الصغيرة اثنان بشكل حلزونى ، على جانبى مدخل المنبر الشريف ، وعمودان خلفه ، مزخرفان بخطوط مستقيمة ، وثلاثة أعمدة محلاة بأشكال ورود حول الجانب الداخلى من شباك جدار القبلة ، المقابل للمواجهة الشريفة . وهو تقليد إسلامى استخدم لأول مرة فى قصر الأخيضر ، ثم فى بوابة بغداد فى مدينة الرقة سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م[٣] ، ثم توسع المسلمون فى استخدامه ، لا سيما الاتراك فى مداخل المنابر المصنوعة من الرخام قبل تأثر الفنون العثمانية بالفنون الأوربية .

ثانيا : التيجان :

تنوعت التيجان المستخدمة بأعلى الأعمدة والأكتاف الموجودة حاليا فى رواق القبلة ، ومرد ذلك إلى كثرة العناصر الزخرفية فى الغالب منها ، ويزيد من صعوبة التعرف على أنواعها المتعددة ، تناثرها فى أجزاء مختلفة من الرواق المذكور .

ولا يعرف ما إذا كان لإشراف عدد من النظار ، على المراحل المختلفة من عمارة هذا الرواق دور لإبراز هذا الاختلاف فى أنواع اليتجان المستخدمة فيها ، وقد لجأت عند دراستى للتيجان المذكورة ، إلى حصر ما تبقى من آثار العمارة القديمة فى مشبك الحجرة الشريفة والمكبرية والمنبر الشريف ، لقناعتى بأن العثمانيين

---

(١) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية « عصر الولاة » الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر : القاهرة ١٩٧٠ م ص ٩٣ ، ١١٠ ، توفيق أحمد عبد الجواد : تاريخ العمارة والفنون فى العصور الأولى . الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٠م جـ ١ ص ٢٢٤ .

(٢) كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ص ١٧٣ .

(٣) فريد شافعى : المصدر السابق ، ص ٤٠٧ .

حرصوا منذ البداية على عدم التغيير فى عناصر المسجد المعمارية والزخرفية[١]، ثم حددت الصلة بين التيجان القديمة والمجددة فى العمارة المجيدية على النحو التالى :

١ ـ تيجان الأعمدة القديمة :

أ ـ التاج المقرنص : ويظهر منه تاجان بأعلى العمودين الواقعين حاليا بشبكة المواجهة الشريفة ، وآخر باسطوانة الحرس « المحرس » ، وأربعة تيجان تحت قبة المنبر الشريف ، وجميعها مربعة الشكل ، تحليها المقرنصات المتعاقبة فى ثلاثة صفوف تتدرج فى الأركان الأربعة من تيجان أعمدة الحجرة الشريفة على هيئة خلايا النحل.

أما تيجان قبة المنبر فتنتهى الأركان الأربعة من كل تاج بدلاية مثمنة ، ويعود أساس التاج المقرنص إلى ابتكارات المسلمين المعمارية[٢]. فقد شاع استخدامه بعد نجاح المقرنصات فى عقد قباب الجوسق الخاقانى فى بغداد سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٥م[٣]، وأفاد منه السلاجقة فى بعض الأجزاء الهامة من عمائرهم ، وكذلك المماليك كما فى مدخل مدرسة السلطان حسن بن قلاوون ٧٦٤هـ/١٣٦٢م[٤].

وكان من الطبيعى أيضا أن يتوسع العثمانيون فى استخدام هذا النوع من التيجان، كما يرى فى مسجد السلطان محمد الفاتح بإستانبول ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م، ومسجد السليمانية ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م[٥]، وكذلك فى أجزاء متفرقة من جامع الملكة صفية بالقاهرة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م[٦].

ب ـ التاج الايونى : ويظهر فى الإسطوانة الملاصقة لركن المنارة الرئسيية ، من

---

(١) انظر أعلاه ص ٦٧ ، ٩٣ وما بعدها .

(٢) توفيق أحمد عبد الجواد : المرجع السابق ، جـ ٣ ص ٥٨ .

(٣) فريد شافعى : المرجع السابق ، جـ ١ ص ٢٠٠ ، ٤١٣ .

(٤) صالح لمعى : التراث المعمارى فى مصر : ص ٧٨ .

(٥) Goodwin : op. cit., p. 123 . 234 fig 115 , 224 .

(٦) هدايت على تيمور : جامع الملكة صفية . دراسة معمارية أثرية ، رسالة ماجستير لم تطبع ، القاهرة ١٩٧٧ م ص ٢٢٨ .

بقايا العمارة المملوكية كما يقول البرزنجى[١] . وقوام زخرفته شكل لولبى على هيئة المحارة يبرز من جانبى كل ركن من أركانه الأربعة ، أى أن كل تاج به ثمانية أشكال لولبية . ينتهى كل اثنين منهما بشكل ورقة نباتية تنحدر باتجاه قاعدة العمود (لوحة رقم ٢١)، ويبرز من وسط واجهاته الأربع شكل نباتى بثمانية فصوص تتجه من الأسفل إلى الأعلى .

وقد استخدم هذا النموذج بعد تحسين زخارفه فى كثير من أعمدة الرواق القبلى، فعمم فى تيجان أعمدة البلاطتين الممتدتين من باب السلام إلى المنارة الرئيسية ، واستخدم أيضا فى جميع أعمدة الروضة الشريفة، إلا إسطوانة أبى لبابة فإن لها تاجا مختلفا بعض الشيء فى تفاصيله الزخرفية (الشكل رقم ٤٤). وقد تغيرت المحارة المذكورة فى الجوانب الأربعة من تيجان هذا النوع، إلى أوراق نباتية محورة عن ورقة الاكنتس (الشكل رقم ٤٥) . ومن المعروف أن جميع الأعمدة التى استخدم فيها هذا النوع من اليتجان مما عمر فى المراحل الأخيرة من العمارة المجيدية، بإشراف أسعد أفندى « عربانى زادة » فى حدود سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م.

ويظهر تأثر هذا النوع من التيجان بالطراز الباروكى، عند مقارنته بالنماذج المستخدمة فى كوشك فاتح بإستانبول (لوحة رقم ٦٠)[٢].

جـ ـ التاج الرومانى المركب :

ويظهر منه فى رواق القبلة أربعة تيجان فقط، أحدهما تحت المكبرية بأعلى عمود من الرخام الخالى من الزخرفة ، والثانى والثالث والرابع قرب الطرف الغربى من دكة الأغوات ، وهى متشابهة تماما فى الزخرفة ، فبكل منها ثمانية أشكال لأوراق الاكنتس المتأثرة بالطراز الباروكى ، وهى متطورة دون شك من التيجان المستخدمة بكثرة فى العمائر الإسلامية ؛ لا سيما النماذج الأولى فى الجامع

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٢) Ekrem Hakki AYVERDI : Osmanli Mi'MARINDE, FATIH DEVRI 855 - 886 (1451 - 1481) IV p. 717 .

الأموى بدمشق[١]، ومسجد عمرو بن العاص بالقاهرة[٢]، والصالون الملكى بقصر طويقبى[٣]. أما تيجان الأعمدة المحيطة بمدخل باب الرحمة، فرغم كونها من نوع التيجان السابقة، إلا أنها مشابهة لأصولها، فلم تتأثر كالأعمدة السابقة بفن الباروك (لوحة ٢٩).

د ـ التاج الناقوسى :

يظهر هذا النوع من التيجان الإسلامية الأصيلة[٤]، فوق أعمدة الرخام الصغيرة، على جانبى حنايا المحاريب الثلاثة (النبوى، العثمانى، السليمانى). كما تظهر بطرفى أنصاف الأعمدة المحيطة.بمقدم المنبر ومؤخرته، بالإضافة إلى استخدامها فى عدد من أعمدة المكبرية، ويعود بعضها إلى عهد الأشرف قايتباى، لا سيما أعمدة وتيجان المحراب النبوى وبعض أعمدة المكبرية. والبعض الآخر مما جدد فى عهد السلطان مراد الرابع[٥]، وقد عرف هذا التاج فى العمارة الإسلامية لأول مرة فى مدينة سامرا، وفى مقياس الروضة بمصر، وجامع أحمد بن طولون بالقاهرة[٦]، كما استخدم فى العصر العثمانى فى بعض الأجزاء الداخلية من جامع الملكة صفية بالقاهرة[٧]، وكثير من أجزاء المنابر العثمانية[٨].

هـ ـ التيجان المربعة من أعلاها والمتدرجة من أسفلها أفاريز بارزة قوامها أوراق نباتية على هيئة سعف النخل

ويظهر هذا النوع من التيجان فى الإسطوانات المتبقية من العمارة القديمة فيما

---

(١) فريد شافعى : المرجع السابق، جـ ١ ص ٢١٢ .

(٢) كريزول : الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة عبد الهادى عبلة، تعليق أحمد غسان سبانو، دار قتيبة بدمشق الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م . ص ٣١٩ .

(٣) Metin Sozen : The evolution of turckish Art and Architeeture fig : 78 .

(٤) فريد شافعى : المرجع السابق، جـ ١ ص ٢١٣، ٤١١ .

(٥) انظر أعلاه ص ٥٠ .

(٦) فريد شافعى : المرجع السابق، جـ ١ ص ٤١١ .

(٧) هدايت على تيمور : المرجع السابق، ص ٢٢٧ .

(٨) Goodwin : op. cit., p. 265 , 303 Fig 253 . 292 .

كتب عليه خطأ[١] بجدار الحجرة الشريفة ، إسطوانة السرير وإسطوانة الوفود ، وما يقابلهما من أساطين الجدار الشرقى للحجرة الشريفة . وتظهر التيجان المذكورة بأعلى الأكتاف الملصقة بأعمدة الحجرة الشريفة وأكتافها القديمة .

كما توجد أيضا بجميع الأكتاف المسندة فى العمارة المجيدية ببعض جدران رواق القبلة . ويمكن ملاحظتها بوضوح فى تيجان أعمدة القبتين الواقعتين أمام باب جبريل وباب النساء ، وفى البوائك المطلة على صحن المسجد ، والممتدة من باب النساء إلى باب الرحمة . ولم أعثر لهذا النوع من اليتجان المتطورة بعض الشيء ، على مثيل فى أى من المراحل التى شهدتها العمارة الإسلامية فى تاريخها الطويل ، إلا أن المعماريين فى عمارة السلطان عبد المجيد ، حرصوا على إعادة نماذج التيجان المستخدمة قبل ذلك فى بعض إسطوانات الحجرة ، ثم رأوا من الأنسب تعميمها لسهولة تنفيذها وخلوها من التعقيد ، على جميع تيجان الأكتاف المستخدمة لدعم جدران المسجد والحجرة الشريفة .

٢ ـ تيجان الأعمدة الجديدة :

وهذا النوع ليس له مثيل فى تيجان أعمدة الحجرة الشريفة وأكتافها ، فرغم كونه قريب الشبه من النوع الأخير ، المتمثل فى التيجان المحلاة من أسفلها بأوراق نباتية متعددة ، إلا أنه يتميز عنها بأشكال نباتية لأربع ورقات كبار على هيئة كف الإنسان ، وتظهر بالإضافة إلى أشكال الأوراق الصغيرة فى جوانب التاج الأربعة (لوحة رقم ٢١) ؛ وينتشر هذا النوع خارج الروضة الشريفة من الجهة الغربية والشمالية .

ونظرا لانعدام الأمثلة المشابهة لهذا النوع من التيجان فى العمائر العثمانية القديمة ، فإن الاعتقاد المرجح قيام المعمار التركى بتطويع طريقة نحت التيجان الكونثية ، لفن الباروك العثمانى ، مما أدى إلى ظهور أنواع جديدة من التيجان

---

(١) انظر أعلاه ص ١٢٥ .

المتطورة ، كما هو الحال فى التيجان المذكورة والتى قبلها مباشرة ، ويؤيد ذلك ما يلاحظ ببعض تيجان قصر طولمة باشا ، المبنى تقريبا فى نفس الفترة بمدينة إستانبول[١] .

ثالثا : العقود :

تختلف العقود المتبقية حاليا فى المسجد النبوى الشريف، باختلاف البعد بين أعمدة الرواق القبلى ، وقد جاء ذلك نتيجة لإعادة أعمدة عمارة السلطان عبد المجيد ، فى مواضع الأعمدة القديمة ، ويمكن تقسيمها إلى الأنواع التالية :

١ ـ العقد المدبب البسيط : (ذو المركزين)

ويظهر بكثرة فى جميع بلاطات الرواق القبلى، التى تميزت بتماثل أبعادها إلا ما يحيط بالحجرة الشريفة من الشرق والغرب والشمال ، فإن لها عقودا مختلفة بعض الشىء لاختلاف بعد الأعمدة فيها . وتتساوى صنج هذا النوع من العقود فى العدد والحجم .

وقد عرفت العمارة الإسلامية هذا العقد فى مراحلها الأولى ، كما يظهر من بقايا استخداماته الأولى فى الجامع الأموى بدمشق (٨٦ ـ ٩٧هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م) ، وغيره من العمائر الأموية والعباسية[٢] . ثم شاع بكثرة فى عمائر السلاجقة والأتراك ،كما فى جامع مسجد السليمانية بإستانبول ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م[٣] ، وجامع سنان باشا بالقاهرة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م[٤] ، وجامع الملكة صفية بالقاهرة أيضا ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م[٥] ، وقلعة المويلح بالمنطقة الغربية من

---

(١) Metin Sizen : op. cit., p. 186 fig 86 , 90 .

(٢) فريد شافعى : المرجع السابق ، جـ ١ ص ١٧٣ ، صالح لمعى : التراث المعمارى فى مصر ص٧٩ .

(٣) Goodwin : op. cit., p. 225 .

(٤) صالح لمعى : التراث المعمارى فى مصر ، ص ١٣٣ .

(٥) هدايت على تيمور : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ ، صالح لمعى : التراث المعمارى فى مصر ص١٣٤ .

المملكة العربية السعودية ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م[١].

٢ ـ العقد المدبب الممتد :

ويظهر فقط فى عقود البلاطة المجاورة للحجرة الشريفة من الغرب بطول الروضة المطهرة ، لضيق البعد بين الأعمدة فى هذا الجانب، بعد بناء الأكتاف المحدثة فى العمارة المجيدية ، بجوار أعمدة الحجرة الشريفة وأكتافها القديمة . هذا فضلا عن أن الجزء المذكور مما أضيف إلى المسجد الشريف بعد السنة السابعة من الهجرة الشريفة ، حيث كان قبل ذلك عبارة عن شارع ضيق يفصل الروضة المطهرة ، عن حجرات أمهات المؤمنين[٢] ، لا سيما بيتى عائشة وفاطمة رضى الله عنهما . فلم يكن بالإمكان بعد إدخاله فى المسجد الشريفة مساواته مع بقية البلاطات الواقعة شرق المنبر وغربه ، كما يظهر هذا النوع من العقود فوق المواجهة الشريفة، والإسطوانات الواقعة فى الجانب الشرقى والغربى من الحجرة الشريفة .

وكان استخدامه فى وقت مبكر من تاريخ العمارة الإسلامية ، فاستخدم فى مصر فى القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى[٣] ، ثم استخدم بكثرة فى بعض العمائر العثمانية فى مدينة إستانبول[٤] ، وفى جامع الملكة صفية بمدينة القاهرة ـ ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م[٥].

٣ ـ العقد الدائرى :

استخدم كحلية معمارية بأعلى عتب باب جبريل ، كما ظهر فى قباب الجانب الشرقى من الحجرة الشريفة ، والجانب الشمالى منها ، أمام مدخل باب

---

(١) هشام على محمد عجيمى : قلعة المويلح « دراسة معمارية حضارية » رسالة ماجستير لم تطبع مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٠٤٣ هـ / ١٩٨٣م ص ٨٣ .

(٢) انظر محمد هزاع الشهرى : المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٣) صالح لمعى : التراث المعمارى فى مصر : ص ٨٠ .

(٤) Goodwin : op. cit ., p. 345 . fig 344 , fig 351 .

(٥) هدايت على تيمور : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

النساء، وباب جبريل وكذلك فى عقود مدخل باب السلام[١]، وباب الرحمة (لوحة رقم ٢٩) . وباب المنارة الرئيسية ومنارة باب السلام ومدخل المخزن المجاور لدكة الأغوات ، بالإضافة إلى ظهوره بأعلى شبابيك جدار القبلة الخمسة عشر ، وكذلك شبابيك القباب العالية من ذوات الطمبور كقبة المحراب العثمانى وغيرها .

كما يظهر بأعلى حنايا المحاريب الخمسة (النبوى ، العثمانى ، السليمانى محراب بيت السيدة فاطمة ، محراب مصلى شيوخ الحرم قبل عمارة عبد المجيد) .

وكذلك فى أشكال عقود الرواق الشرقى (لوحة رقم٤٦)، مما يؤكد استخدامه فى جميع العقود المزالة فى التوسعة السعودية من مؤخرة المسجد ومجنبته ، لا سيما وأن البعد بين أعمدتها متماثلة تماما فى الأروقة الثلاثة (المخطط رقم ٣٨) .

أما منشأ هذا النوع من العقود فى العمارة الإسلامية ، فيرجع أقدم أمثلته إلى قبة الصخرة ٧٢هـ/ ٦٩١م[٢]، ثم قصر الحير الشرقى ١١٠هـ/ ٧٢٨-٧٢٩م[٣]، وقد استخدمه الأتراك بكثرة فى عمائرهم[٤]، كما فى بعض العقود الداخلية لمسجد السليمانية بإستانبول ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م[٥]، وفى جامع شهزاده بإستانبول ٩٥٠ - ٩٥٥ هـ/ ١٥٤٣ - ١٥٤٨م[٦]، وفى بعض العمائر العثمانية بمصر[٦]، والجزيرة العربية[٧].

٤ - عقد التخفيف :

وهو عقد على هيئة نصف دائرة استخدم لحمل ثقل القباب المنشأة بالجوانب

---

(١) انظر أعلاه فصل الأعمال المعمارية ص ١٣٢ ، ١٣٩ .
(٢) فريد شافعى : المرجع السابق ، جـ ١ ص ٢٠٣ .
(٣) صالح لمعى : التراث المعمارى فى مصر ، ص ٧٩ .
(٤) كمال الدين سامح : المرجع السابق ، ص ١٧٥ ، صالح لمعى : التراث المعمارى فى مصر ص ٧٩ .
(٥) Goodwin : op. cit., p. 235 fig . 223 , 224 , 225 .
(٦) صالح لمعى : التراث المعمارى فى مصر ، ص ٧٩ .
(٧) انظر هشام عجيمى : المرجع السابق ، ص ٨١ .

الأربعة من الحجرة الشريفة ، بدلا من تركيزها فوق أعمدة وأكتاف قبة الحجرة الشريفة ، وتظهر العقود المذكورة بوضوح فى الجوانب الأربعة من الحجرة الشريفة . وبداخل بعضها عقود مدببة وغير منتظمة ، وخاصة فوق المواجهة الشريفة ، وجدار الحجرة الشمالى والشرقى ، مما يؤكد إضافة بعضها فى وقت متأخر عن العمارة المجيدية ، لا سيما عهد السلطان عبد الحميد الثانى الذى قام ببعض الأعمال المعمارية الهامة داخل الحجرة الشريفة[١] . كما تظهر عقود التخفيف المذكورة فى رواق القبلة ، بأعلى الجدار الشرقى والغربى ، وطرف جدار القبلة مما يلى باب السلام . وكان الهدف من إحداثها حماية الجدران المذكورة من ثقل القباب المجاورة ، كما استخدمت أيضا فى الجدران المزالة فى التوسعة السعودية من مؤخرة المسجد .

وكان العقد المذكور قد استخدم لأول مرة فى العمارة الإسلامية فى قصر الحير الشرقى ١١٠هـ/ ٧٢٨ ـ ٧٢٩م ، وباب النصر بالقاهرة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م ، ومعظم مبانى العصر المملوكى[٢] .

أما فى العصر العثمانى فيمكن ملاحظته فى كثير من المبانى الدينية القديمة، خاصة فوق نوافذ الشبابيك بجامع شهزادة بإستانبول ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م[٣]، وجامع السليمانية ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م[٣] .

٥ ـ العقد المنبعج (عقد ذو أربعة مراكز) :

وينحصر وجوده فى عقود قبة المنبر الشريف الأربعة وعقد مدخل بابه ، وكذلك عقود الفتحات الثلاث الواقعة تحت جلسة الإمام فى مؤخرة المنبر وجانبيه ، وتعود جميعا إلى زمن صنع المنبر فى عهد السلطان مراد الثالث سنة ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م ، وترجع أقدم النماذج الأولى لاستخدام هذا النوع من العقود ، إلى بوابة بغداد فى مدينة الرقة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م[٤]، أما فى العمائر التركية فيظهر كثيرا فى عقود

---

(١) انظر أعلاه ص ١٤١ .

(٢) صالح لمعى : التراث المعمارى فى مصر ، ص ٨١ .

(٣) Goodwin : op. cit., p. 208 . 225 .

(٤) فريد شافعى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، كريزول : الآثار الإسلامية الأولى : ترجمة عبد العادى عبلة ، الطبعة الأولى ـ دار قتيبة بدمشق ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، لوحة ٣٢

المنابر المشابهة لمنبر المسجد النبوى ، كما فى جامع على باشا بمدينة بابسك ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م [١] ، ومنبر جامع سليم الثانى بمدينة أدرنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٥م [٢] ، وجامع الملكة صفية بالقاهرة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م [٣] ، وبعض العمائر العثمانية بالجزيرة العربية [٤] .

٦ ـ العتب المستقيم :

والمكون فى الغالب من قطعة مستطيلة من الحجر الأحمر ، تعلوها قطع صغيرة بأشكال هندسية مختلفة تقيه ضغط ما يعلوه من الجدار ، ويلاحظ هذا النوع من الأعتاب فى مدخل باب جبريل وباب النساء ، وخوخة الصديق والبابان المجاوران لها من الشمال ، وما يعلوهما من شبابيك ، وكذلك شباك جدار القبلة المقابل للمواجهة الشريفة ، وأيضا الشبابيك السفلية من الجدار الشرقى .

٣ ـ القباب وأنواعها :

تنوعت القباب فى هذا الرواق بتنويع البعد بين الأعمدة والأكتاف ، وباختلاف مواقعها من صحن المسجد ـ المصدر الرئيسى للإضاءة والتهوية ـ الأمر الذى أدى إلى وجود أربعة أنواع من القباب ، جاءت على النحو التالى :

١ ـ القبو :

وهى المعروفة بالنصف إسطوانية أو نصف برميلية ، ومنهما قبوان مدعومان بستة أعمدة ، فالأولى منها تظهر عند مدخل باب الرحمة ، والثانية وسط الروضة الشريفة فوق المكبرية تماما .

ومنها ما اقتصر وضعها على خمسة أعمدة فقط ، كما يلاحظ فى القبوين

(١ ، ٢) Goodwin : op. cit., p. 265 , 303 . fig 253 , 292 .

(٣) هدايت على تيمور : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٤) هشام عجيمى : المرجع السابق ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

الواقعين بالقرب من ركن الحجرة الشمالى الغربى ، ودكه الأغوات ، وقد جاء كل قبو من الأقبية المذكورة فى موضع قبتين من القباب العادية .

أما القبتان الواقعتان فى الطرف الشرقى والغربى من القبة الواقعة فوق المكبرية فرغم كونهما من القباب المقببة ، إلا أن كل منهما ترتكز على أربعة أعمدة فقط. ولا شك بأن لكل منها دواعيه وأسبابه ، فقد توخى المعمار من القبة الواقعة عند مدخل باب الرحمة ، إضاءة وتهوية المدخل وما يليه من الرواق القبلى والغربى، خاصة وأن جميع القباب المحيطة بها خلت من النوافذ الجانبية .

كما قصد باختصار عدد الأعمدة فى القبتين الواقعتين قرب دكة الأغوات، إفساح المكان لحركة الدخول والخروج من وإلى البابين الشرقيين (باب جبريل وباب النساء) .

أما قباب وسط الروضة فحوت الوسطى منها عدد كبير من النوافذ ، التى أضاءت الموضع المذكور وزودته بالهواء اللازم ، خاصة وأن جميع القباب المحيطة بها من جميع الجهات خلت أيضا من النوافذ . ومن هذا يتضح بأن المعمار العثمانى وفق فى توظيف هذا النوع من أساليب التسقيف، الذى ترجع أصول استخدامه فى العمارة الإسلامية إلى عمائر الأمويين فى بادية الأردن . كما يتضح من سقف قاعة الاستقبال فى قصير عمرة[١] ، كما ظهرت فى بعض العمائر المملوكية بحلب ومصر [٢] ، وأفاد منه الأتراك فى قلعة المويلح بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية[٣] ، وبعض المساجد الأثرية فى المدينة المنورة [٤] .

٢ ـ أنصاف القباب الكروية :

وينحصر وجود هذا النوع فى موضعين من رواق القبلة ، فتظهر الأولى منهما

---

(١) كريزول : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٢) صالح لمعى : التراث المعمارى فى مصر ، ص ٨٥ .

(٣) هشام عجيمى : المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٤) صالح لمعى : المدينة المنورة ص ١٨٣ .

فى البلاطة المجاورة لجدار الحجرة الغربى ، بسبب تقارب الأعمدة فى هذا الجانب لأسباب أوضحتها عند الحديث عن العقود[١]. وقد جاء محيطا من الشمالى والجنوب بثلاث من القباب العالية ، ومن الملاحظ أن صالح لمعى قصر وجودها فى المسجد النبوى على قبتين فقط ، مع أن الأولى منهما جاءت فى غير موضعها من الطبيعة[٢] ، كما جاء الموضع الآخر فوق المواجهة الشريفة محيطا من الشمال والجنوب بالقبة ذات الطمبور العالى (الشكل ٣٧) .

وقد توسع العثمانيون فى استخدام هذا النوع من القباب خاصة بعد فتح مدينة القسطنطينية ، ثم نقلوها إلى مصر[٣] ، وغيرها من بلاد المشرق العربى[٤] .

٣ ـ الطواجن :

وهى قباب ضحلة ، تقل كتلتها عن نصف الكرة (لوحة ١٦ ، ١٨) وتنتشر فى معظم أنحاء المسجد الشريف ، وتشترك مع أنصاف القباب السابقة ، والأقبية نصف الإسطوانية ، فى أن لها جميعا مثلثات كروية فى أركانها الأربعة ، وهو تقليد عرفته العمارة الإسلامية فى وقت مبكر من تاريخها ، للانتقال بسقف القبة من المربع إلى الدائرة ، كما فى سقف الغرفة الساخنة من قصير عمرا فى بادية الأردن[٥]. وأفاد منه الأتراك فى تسقيف كثير من منشآتهم الدينية والحربية ، كما هو الحال فى بعض عمائر الجزيرة العربية[٦] .

---

(١) انظر أعلاه ص ١٧٥ .

(٢) انظر المخطط رقم ٥٩ المنشور فى كتابه المدينة المنورة ص ٩٤ .

(٣) كمال الدين سامح : المرجع السابق ، ص ٢١٦ ، صالح لمعى : القباب فى العمارة الإسلامية دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ٢١ ، حسن عبد الوهاب : التأثيرات العثمانية على العمارة الإسلامية فى مصر ص ٤٤ .

(٤) عبد القادر الريحاوى : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٥) كريزول : المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٦) هشام عجيمى : المرجع السابق ، ص ٩١ .

٤ - القباب العالية من ذات الطمبور :

وعددها ٣١ قبة بما فيها قبة المحراب العثمانى ، ومعظمها فى الروضة الشريفة وما يقابلها من جهة الغرب ، حيث تقل الإضاءة والتهوية .

ويبدو من الشكل رقم (٣٧) طريقة تنظيمها مع القباب الأخرى ، بحيث جاءت فى صف دون آخر[١]، لتعم الفائدة من وجودها . وتتميز هذه القباب من الداخل بحنيات ركنية[٢]، مما يلى التقاء العقود مع منطقة عقد القبة مباشرة، كما أن لمعظمها رقابا بارزة مثمنة القطاع من الداخل والخارج، إلا القبة التى تتوسط الروضة المطهرة ، فإن شكلها الإسطوانى مخالف لبقية القباب العالية . ولجميعها نوافذ مستطيلة معقودة من أعلاها بعقود نصف دائرية ، ومغشاه بالزجاج الملون ، وتتميز بعض ذوات الطمبور بمظلة خارجية (رفرف) (الشكل ٥٣) . مبنى فوقها قبة صغيرة من الخشب [٣]، كما يتميز بعضها بإضافة فانوس (شخشيخة)، فوق القبة الخشبية المضافة (الشكل ٦٤) بهدف جلب المزيد من الهواء والضوء .

وتذكر بعض المصادر تفضيل العثمانين لهذا الأسلوب فى عمائرهم الأولى بمدن الأناضول ، كما هو الحال فى جامع بايزيد باشا بمدينة أماسيا ٨٢٢ هـ/ ١٤١٩م، وكذلك جامع مراد الثانى بمدينة أدرنة ٨٢٤ هـ/ ١٤٢١م. ثم عزوفهم عن التوسع فى استخدامه بعد فتح مدينة القسطنطينية، إلا ما يلاحظ فى بعض قباب جامع السليمانية[٤]، كما استخدمت أيضا فى جامع الملكة صفية بالقاهرة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م[٥] .

ومهما يكن الأمر فإن جميع قباب الرواق القبلى، مغطاه بشرائح من الرصاص

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٢) صالح لمعى : المدينة المنورة ص ٩٥ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٤) فريد شافعى : العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، جامعة الملك سعود - الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ ، ص ١٩٩ .

(٥) هدايت على تيمور : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

المحكم[١] ، بالإضافة إلى تغطية ما بين القباب من سطح المسجد الشريف بالرصاص أيضا ، لمنع تسرب الماء إلى جدران القباب وعقودها .

هذا من حيث الصفة البنائية لقباب المسجد الشريف ، أما شكلها الخارجى الموحى بالهيبة والوقار ،المستمد من قدسية المكان وروحانيته ، فينقصها الانتظام والتناسق المتأثر طبعا ببعد الأعمدة من الداخل ، وتداخل الأنواع المختلفة من القباب المذكورة أعلاه . وجميعها مزخرف من الداخل بكثير من الآيات الكريمة ، والمدائح النبوية ، هذا فضلا عن الرسومات المائية المتنوعة[٢] .

٥ ـ المنارات :

احتفظ رواق القبلة فى العمارة المجيدية بالمنارات التى كانت به من قبل ، فلم يحاول المهندسون تغيير مواقعها أو هدم ما كان قويا منها ، إلا أنها جميعا تعرضت لبعض أعمال الترميم والتجديد ، فرممت بعض أجزاء المنارة الرئيسية [٣] ، وجدد الجزء العلوى من منارة باب السلام، ومنارة مدرسة قايتباى[٤] . ومن المعروف أن مدرسة قايتباى أزيلت فى التوسعة السعودية، لخروجها عن حدود المسجد النبوى الشريف ، ولأن بقاءها مخل بمظهر الحرم الشريف، لا سيما الجانب الغربى منه .

أما المنارتان المتبقيتان إلى الآن فى رواق القبلة ، فإن أهمها مملوكية البناء ، وتقع فى الركن الجنوبى الشرقى من الحجرة الشريفة ، وتعرف بالرئيسية ، وقد سبقت دراستها ضمن العمارة المملوكية للمسجد النبوى الشريف[٥] .

ولهذا فإن منارة باب السلام ، هى الأثر الوحيد المتبقى من العمارة العثمانية

---

(١) ذكر فريد شافعى فى العمارة العربية الإسلامية ص ١٩٩ طريقة وضع الرصاص على القباب العثمانية وذلك باستخدام عروق خشبية رفيعة طولية وعرضية على مسافات مناسبة ، ثم تثبيت الرصاص عليها .

(٢) انظر أدناه فصل الزخارف ص ٢٣٠ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٤) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٥) انظر محمد هزاع : المرجع السابق ص ٣٥٣ .

وتنتمى فى مجملها إلى عصرين مختلفين[١]، إلا أنها قريبة الشبه فى كثير من تفاصيلها بمنارتى مؤخرة المسجد (المجيدية والعزيزية)[٢]، اللتين أزيلتا فى التوسعة السعودية، ومع ذلك فإن بالإمكان التعرف على هيأتهما المعمارية فى ضوء ما توفر من صورهما .

وتعتبر منارة باب السلام أقصر منارات الحرم النبوى بعد منارة باب الرحمة[٣]، وتقع كما يبدو من مسقط المسجد الشريف داخل رواق القبلة ، فى الركن الجنوبى الغربى منه ، وتتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية (الصورة ١٣) . فجزؤها السفلى مربع القطاع طول كل ضلع منه حوالى أربعة أمتار تقريبا[٤]، ويمتد من الأرض إلى أعلى سطح المسجد بحوالى عشرة أمتار ، أى أن طول هذا الجزء من المنارة المذكورة حوالى ٢٤ مترا تقريبا[٥]. وبكل ضلع منه أربع فتحات مستطيلة لإضاءة السلم الداخلى للمنارة ، وفى نهايته شرفة مربعة الشكل ، محمولة على ثلاثة صفوف من المقرنصات المتدرجة (الشكل ٢٦) ، ويحيط بالشرفة سياج من أعمدة الحديد غير المزخرفة ، ويعلو هذه الشرفة جزء مثمن خال من الفتحات ، يعدل فى ارتفاعه ثلث الجزء السفلى تقريبا . وفى نهايته شرفة مدورة محمولة على ١٦ فصا من الكوابيل المنحوتة بمهارة فائقة ، ثم جزء ثالث إسطوانى الشكل يعدل تقريبا نصف الجزء المثمن ويخلو من الفتحات كسابقه . وفى نهايته جوسق مخروطى الشكل يعدل ارتفاعه ضعفى الجزء الإسطوانى ، وأعلاه متوج بهلال مقفل يبرز من عدد من التفافيح المختلفة الأحجام .

وهكذا يتبين أن المنارة المذكورة تبلغ تقريبا حوالى اثنان وأربعون مترا تقريبا ،

---

(١) كان الجزء المربع من بقايا عمارة السلطان محمد الرابع بن السلطان إبراهيم خان . انظر أعلاه ص٥٣ .

(٢) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٣) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٤) كان ذلك مبنيا على تقديرى لضلعيها المجاورين لباب السلام والمتفق مع مقياس الرسم الذى وضعه محمد باشا صادق فى دليل الحج ص ١١٥ .

(٥) وضعت ذلك أيضا بناء على تقديرى لما برز من الجزء المربع عن سطح المسجد بالإضافة إلى ارتفاع جدار المسجد المقدر ١٢ مترا .

مع أنها كانت أقصر منارات المسجد النبوى بعد منارة باب الرحمة ، وأنها رغم جمال شكلها الحالى غير متناسقة الأجزاء ، بالإضافة إلى تباين الحليات المعمارية التى تحمل شرافاتها ، إذا ما قورنت بمثيلاتها فى المجيدية والعزيزية[١] .

وترجع زخارفها المعمارية إلى فترتين مختلفتين من تاريخ العمارة العثمانية ، فإن ما يحلى الشرفة الأولى من المقرنصات ، ترجع إلى أيام تجديدها فى عهد السلطان محمد الرابع (١٠٥٨ ـ ١٠٩٩هـ / ١٦٤٨ ـ ١٦٨٧م) ، حين كانت السيادة فى تحلية شرفات المآذن العثمانية للمقرنصات الإسلامية ، كما يلاحظ فى جميع مآذن هذا العصر .

أما الكوابيل الموضوعة بشرفتها الثانية ، والبالغ عددها ستة عشر فصا ، والمماثلة تماما لما كان بجميع شرفات المنارتين المزالتين فى التوسعة السعودية (المجيدية والعزيزية) (لوحة ١٥) . فمن ابتكارات المراحل الأخيرة لفن الباروك العثمانى ، كما حدث فى تطور كوابيل شرفات المآذن المنشأة بمدينة إستانبول فى هذه الفترة تقريبا . كجامع أورتوكو ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م ، وجامع طلمة باشا ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م (لوحة رقم ١٤)[٢] .

---

(١) انظر أعلاه ص ١٥٨ وما بعدها .

(٢) Arseven: Celel Esel : TURK SANATI TARIHI . 418 - 422 .

ثالثا : مرافق المسجد النبوى الشريف

أبقى المسئولون عن العمارة التى قام بها السلطان عبد المجيد، فى المسجد النبوى الشريف (١٢٦٥ ـ ١٢٧٧هـ/ ١٨٤٨ ـ ١٨٦٠م)، على بعض مرافق المسجد القديمة ، كالكتاتيب والمخازن والأسبلة ، وبيوت الراحة والوضوء، وذلك بعد تجديد معظم مبانيها بما يتلاءم مع طراز العمارة الجديدة .

كما قام بعض المهندسين فى أوقات مختلفة ، من مراحل العمارة المذكورة باستغلال بعض الأركان الخارجية ، والأماكن المجاورة للحرم الشريف ، فأنشأوا بها مرافق جديدة فى أماكن مختلفة من المسجد الشريف . ونظرا لاختلاف نوعية الخدمات التى تؤديها المرافق المذكورة ، فقد قسمتها إلى ثلاثة أقسام هى : ١ ـ كتاتيب تعليمية ، ٢ ـ مخازن ، ـ ٣ ـ أسبلة وحنفيات وضوء وبيوت خلاء . وفيما يلى تحديد لمواقعها من أبواب المسجد وجهاته الأصلية :

١ ـ الكتاتيب التعليمية :

ويقصد بها المدارس المتصلة بمبنى المسجد الشريف ، من الجهة الغربية والشمالية وتنحصر فى المكاتب المحمودية والمجيدية ، وفيما يلى عرض لتاريخ بناء كل منهما :

أ ـ المكاتب المحمودية :

وكانت فى الأصل مدرسة مملوكية أنشأها الأشرف قايتباى المملوكى سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م ، بجوار الجدار الغربى من رواق القبلة ،على يسار الداخل من باب السلام ، وقد ظلت تؤدى رسالتها التعليمة طوال الجزء الأول من العصر العثمانى، حتى خصصت قبل سنة ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م مسكنا لقاضى المدينة، حيث تمكن النابلسى فى السنة المذكورة من دخولها ووصف بعض معالمها [١] . ثم أعيد بناؤها سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م فى عهد السلطان محمود الثانى، إثر تصدع

---

(١) المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٧٨ .

بعض مبانيها، فهدمت من أساسها وبنيت بإحكام ، بعد تخصيص الجزء المحاذى لباب السلام للموقتين وآلاتهم[١] ، كما بنى بجوارها من الشمال بالقرب من باب الرحمة مسكنا لناظر المدرسة ، وقد زودها السلطان محمود الثانى ، بعد ذلك بالكتب النفيسة والأوقاف السخية[٢] .

ولم يغير منها شيء فى عمارة السلطان عبد المجيد ، بسبب ضيق الوقت وحرص المسئول عن المراحل الأخيرة فى عمارة المسجد ، على تركيز البناء داخل الرواق القبلى ، والابتعاد عما يطيل أمد البناء ، إلا ما جاء من تجديد الجزء العلوى من منارتها[٣] .

أما فى عهد السلطان عبد العزيز ، فقد دب الخلل إلى مبانيها بعد انتهاء العمارة المجيدية بوقت قصير ، فأمر السلطان بتجديدها سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م على يد شيخ الحرم أمين باشا ، الذى قام بإحداث تغييرات جوهرية ، شملت هدم بعض أجزاء المدرسة وإضافة غرف جديدة بأعلى المدرسة وأسفلها[٤] . مما ساعدها على أداء رسالتها حتى أواخر العصر العثمانى، كما يتضح من التقارير الرسمية لولاية الحجاز[٥] .

المكاتب المجيدية :

بنيت خارج الجدار الشمالى للمسجد النبوى فى عهد السلطان عبد المجيد، مع المخازن المخصصة لزيت المسجد وأثاثه ، على يد المهندس محمد رائف باشا سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م[٦] ، وتتكون من طابقين ، بكل منهما أربع غرف مستطيلة،

(١) انظر أعلاه ص ٨٧ .
(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٤ .
(٣) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦١ .
(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٤ .
(٥) سالنامة بالعربى سنة ١٣٠١هـ ص ١٩١ .
(٦) انظر أعلاه ص ١٠٦ والوثيقة رقم ٨٧٥٥ سنة ١٢٦٨هـ أرشيف رئاسة مجلس الوزراء تصنيف إرادة مجلس الوالا .

ولكل من المكتبين الخارجين نافذتان مستطيلتان متجاورتان ، وبكل من المكتبين الداخليين شباك مستطيل أيضا[١] (الشكل رقم ٣٨) ، وتظهر غرف الطابق الأول محيطة بالردهة التى يفضى إليها كل من الباب الخارجى المعروف بالمجيدى ، والباب الداخلى المعروف بباب التوسل .

كما تفضى المكاتب العلوية إلى الردهة المنشأة فوق الردهة الأولى، ويتوصل إليها عن طريق سلمين مجاورين لمدخل باب التوسل، وتظهر فى الصورة رقم (٣١) مطلة على البلاط الخارجى، بأربعة شبابيك مستطيلة ، مسدودة بالمصبعات الحديدية على هيئة شبابيك المكاتب .

وتخلو واجهة المكاتب المذكورة من العقود والحليات المعمارية ، التى كان يجب أن تكثر بغزارة فى هذه الواجهة من المسجد، لبعدها عن جدران المسجد الرئيسية التى تم البناء فيها بحذر شديد ، ولكون المشرف عليها هو المهندس محمد رائف باشا الذى أجاد فى بناء الجدار المقابل للحجرة الشريفة من الشرق .

هذا عن التكوين المعمارى ، لكل من المدرسة المحمودية والمكاتب المجيدية ، أما الرسالة التعليمية فقد أخذت منذ إنشاء المكاتب المجيدية تتدرج نحو الأحسن ، كما يتضح من فصل الوظائف العلمية .

٢ ـ مخازن المسجد :

تميز المسجد النبوى الشريف ، بعد عمارة السلطان عبد المجيد ، بكثرة المخازن المنتشرة فى أماكن مختلفة من المسجد الشريف ، ومرد ذلك كما أعتقد إلى أن المهندسين، حرصوا منذ البداية على استحداث مخازن إضافية ، لتعويض قبة صحن المسجد المزالة مع بقية المخازن الشمالية فى بداية العمارة المجيدية ، وتختلف المخازن المذكورة فى السعة والحجم من مخزن لآخر وذلك لأن استحداث بعضها جاء نتيجة لاستفادة المهندسين من جعل المساحات الناتجة عن بروز بعض جدران المسجد

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ص ٢٧ .

مخازن صغيرة لحفظ بعض الأنواع الثمينة من أثاث المسجد وتحفه ، ويمكن تقسيم المخازن المذكورة تبعا لموقعها من المسجد إلى الأقسام التالية :

أ ـ المخازن الشمالية :

وقد بنيت مع المكاتب المجيدية خارج الجدار الشمالى للمسجد الشريف ، مما يلى المنارة المجيدية ، وتتألف من طابق واحد يضم خمسة مخازن ، يتوصل إلى أربعة منها عن طريق ردهة مكشوفة لها باب خارجى كبير ، تدخل منه الجمال بأحمالها(١) ، وآخر يفضى إلى الرواق الشمالى من المسجد الشريف ، لأخذ ما يلزم من متطلبات الإضاءة ، عند إيقاد القناديل قبل صلاة المغرب وصلاة الصبح(٢) .

أما المخزن الخامس ، فكان الوصول إليه من الرواق الشمالى أيضا ، حيث استغل الباب القديم المجاور للمنارة الخشبية (المجيدية فيما بعد) ، فى تحويل الميضأة القديمة إلى مخزن لآلات المسجد ، مع تزويده بشباك يفتح على البلاط الغربى(٣) .

ب ـ المخازن الغربية :

وأهمها خوخة أبو بكر الصديق، الواقعة فى الطرف الجنوبى من الجدار الغربى قرب باب السلام . وقد سد مدخلها الخارجى عند بناء مدرسة الأشرف قايتباى فى العصر المملوكى ، ثم استخدمت لتخزين بعض الشمعدانات المخصصة لصلاة التراويح(٤) ، وبجوارها من الشمال مخزن ثانى ، ثم باب ثالث بجوار باب الرحمة، يتوصل منه لمنارة المدرسة المذكورة .

جـ ـ المخازن القبلية :

وأهمها المخازن الواقعة خارج الجدار القبلى ، فى موضع الدار المنسوبة لآل عمر والمعروفة بديار العشرة(٥) ، والمجاور للمنارة الرئيسية. وكانت تستخدم لتخزين قناديل

(١ ـ ٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٤) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٥) ذكر السمهودى فى المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٠٦ وما بعدها عدة روايات مفادها أن الدار المذكورة كانت لأم المؤمنين حفصة بنت عمر رضى الله عنهما ثم توارثها إخوانها وأحفادها ولهذا سميت بدار العشرة .

المسجد وشمعداناته قبل احتراقها سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م[١]، ثم استخدمت بعد عمارة السلطان عبد المجيد لعرض نماذج من آلات البناء المستخدمة فى بناء المسجد[٢]. وقد جاء فى وصفها بأنها شبه مدرسة واسعة تطل على المواجهة الشريفة بشباك كبير ، وفى داخلها عدد من الغرف الجانبية المحيطة بصحن مكشوف به بركة صغيرة وشجرة سيسبان كبيرة[٣].

أما المخزن المجاور حاليا للمنارة الرئيسية ، فقد جاء بناؤه نتيجة لتقديم الجدار الشرقى ، فى التوسعة التى أضافها السلطان عبد المجيد فى هذا الجانب من رواق القبلة . وقد وفق المهندس محمد رائف باشا فى استغلال الفراغ الناجم عن زحزحة الجدار المذكور ، عن المنارة الرئيسية بحوالى ثلاثة أمتار ونصف[٤]. فخصص مؤخرة المخزن طريقا لدخول خطيب المسجد الشريف ، إلى موضع جلوسه فى الجزء السفلى من المنارة الرئيسية قبل إلقاء الخطبة[٥]، وجعل ما يلى المسجد الشريف منه مخزنا ، خصص فى حدود سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، لحفظ الشمعدانات الفضية والمباخر الثمينة[٦].

د ـ المخازن الشرقية :

وأغلبها خزائن جدارية صغيرة أحدثها المهندس محمد رائف باشا سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م، بالجدار الشرقى من رواق القبلة بارتفاع متر ونصف تقريبا ، وهى فتحات مستطيلة غير عميقة تقدر أبعادها ٦٠×٤٠×٤٠ سم تقريبا .

---

(١) انظر أعلاه ص ٨٧ .

(٢) ذكر السيد حبيب محمود بأنه أدرك بهذا المخزن ، عدد من البكرات المستخدمة فى رفع الأحجار إلى أعلى المآذن والجدران المرتفعة ، وعدد من الخيوط المبرومة ، والأخشاب المصنوعة خصيصا لتلك الرافعات . بالإضافة إلى الرحى والمساحى والمعاول وما شاكل ذلك من الآلات المستخدمة فى العمارة المجيدية .

(٣) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ص ٣٠ ، ٣١ .

(٤) انظ أعلاه ص ١٠٨ وما بعدها .

(٥) أفادنى بعض المسئولين فى الحرم الشريف بأن الخطيب يصل إلى المنارة من الباب الواقع فى الطرف الجنوبى الشرقى من جدار المسجد الشريف .

(٦) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

ويظهر منها حاليا خمسة عشرة خزانة، موزعة بانتظام بين الجانب الأيمن للخارج من باب جبريل، وبين المخزن المجاور للمنارة الرئيسية . وجميعها محلاة من أعلاها وأسفلها بأشرطة حجرية منحوتة ، ويفصلها عن بعضها عناصر جمالية على هيئة الأعمدة البارزة بكل منها قاعدة وبدن وتاج (الشكل ٤٠) .

كما يظهر بالجدار الجنوبى للمخزن المنشأ بين باب جبريل وباب النساء خزانتان مماثلتان لما يظهر بالجدار المطل من المخزن المذكور على دكة الأغوات، وبه أيضا ست خزائن كبيرة ، موزعة بانتظام فى طبقتين ، ولا يعرف ما إذا كان الهدف من إنشاء الخزائن المذكورة توزيعها بين الأغوات وكبار الذوات كما تذكر بعض المصادر[1] ، أم أن الهدف تخزين تحف المسجد وأثاثه .

هذا من حيث الصفة البنائية والوظيفية للخزائن الجدارية المحدثة فى عهد محمد رائف . أما المخزن الكبير الظاهر حاليا بين باب جبريل وباب النساء ، فقد اضطر المهندس أدهم باشا سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م، إلى إعادته نظرا لاحتياج الأغوات إليه ، ويتألف من طبقتين يتوصل إلى العلوية منها بسلم داخلى ، أما الباب الرئيسى فمعقود من أعلاه ، ويفضى إلى الممر الفاصل بين باب جبريل والحجرة الشريفة .

٣ ـ الأسبلة وحنفيات الوضوء وبيوت الخلاء :

قام المشرفون على عمارة المسجد النبوى الشريف ، فى عهد السلطان عبد المجيد بإصلاح الأسبلة والحنفيات القديمة . بالإضافة إلى حرصهم أثناء العمارة على استغلال الأماكن الناتجة عن بروز بعض جدران المسجد ، فأضافوا حنفيات جديدة أفادت دونما شك زوار المسجد ومرتاديه ، كما ساعدت فى تخفيف الضغط عن المرافق القديمة ، وفيما يلى تحديد لأشهرها تبعا لموقعها من جهات المسجد وجدرانه الأربعة .

أ ـ الجهة الشمالية :

وكان بها ثلاثة مرافق هامة ، أحدها بين المكاتب المجيدية ومخازن الزيت ، وقد

---

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

أعيد تجديد الأولى منها فى عمارة السلطان عبد المجيد ، بالقرب من موضع الميضأة المخصصة من قبل لخدمة الأغوات ، واشتملت إلى جانب حنفية الوضوء على بيت خلاء لا تفتح لأحد غير أغوات الحرم الشريف .

أما المرفقان الآخران فمن بناء السلطان عبد المجيد أيضا ، وهما خارج الجدار الشمالى ، فقد بنى أحدهما بجوار الجدار الشمالى للمكاتب المجيدية ، على يسار الداخل من الباب المجيدى[1] ، وكانت حنفية كبيرة بها عدد من البزابيز المخصصة للوضوء فقط .

أما الثالث فبه إلى جانب حنفية الوضوء ، عدد من المراحيض المبنية أصلا لخدمة رواد المسجد[2] . ثم خصصت فى أواخر العصر العثمانى لخدمة طلاب المكاتب المجيدية[3] . وكانت خارج الساحة الشمالية مقابل الباب المجيدى[4] .

ب ـ الجهة الغربية :

وبها أيضا ثلاثة مرافق هامة ، أكبرها فى زقاق باب الرحمة ، وكان يحتوى على عدد من بيوت الخلاء[5] ، ويقابلها سبيل جميل بنى مع البيوت المذكورة فى عهد السلطان أحمد الأول[6] . أما الحنفية الواقعة على يسار الداخل من باب الرحمة[7] ، فأحدثت فى عهد السلطان عبد المجيد كما يتضح من الأبيات التى نقشت فوق جدارها [8] ، وكانت مخصصة للوضوء فقط .

وكانت الميضأة الواقعة على يمين الداخل من باب السلام، من أنشأها المنصور

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٤ ، على بن موسى : المصدرالسابق ، ص ٥٣ .
(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٤ .
(٣) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٥٣ .
(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٤ .
(٥) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٣ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٥٣ .
(٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٣ .
(٧) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٣ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٥٣ .
(٨) انظر أدناه ص ٢٨٠ ، وانظر إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٧٨ .

قلاوون الصالحى سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م[١]، وقد شاهدها كل من بوركهارد سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٨م، وبيرتون سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م وقالا عنها بأنها حوض رخامى كبير مزود بنافورة جميلة[٢] .

أما بعد عمارة السلطان عبد المجيد، فقد تأثرت بهدم منارة باب السلام، وأنشأ مدخل الباب فى عهد السلطان عبد العزيز ،فقام بشير أغا بإنشاء مدرسة فى موضعها بعد أن تم نقلها إلى الغرب من باب السلام على يسار البلاط المؤدى إليه[٣] . ومن المحتمل أن يكون بناؤها الجديد قد اشتمل على بيوت خلاء نظرا لبعدها عن مدخل المسجد، كما هو الحال فى المرافق المماثلة .

جـ ـ الجهة الشرقية :

لم يكن بها قبل عمارة السلطان عبد المجيد مرفق للوضوء أو غيره، بيد أن المهندس أدهم باشا قرر فى عمارة السلطان عبد المجيد، استغلال الركن الواقع يسار الداخل من باب النساء، والناتج عن تقديم الجدار الشرقى من رواق القبلة ، فأنشأ به حنفية صغيرة للوضوء بها نحو عشرة بزابيز[٤] .

أما صحن المسجد فقد أعيد به سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م[٥]، بناء الميضأة التى ظهرت به سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م عند هدم قبة الصحن ، وكانت عبارة عن نافورة صغيرة تستمد الماء من العين الزرقاء ، وينزل إليها بأربع درجات، فى أعلاها عقد من الحجر[٦] وكان بجانبها من الشمال بئر عذبة الماء[٧]، وحديقة صغيرة بها عدد من شجر النخل[٨] .

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٢) Burckhard , op. cit., p. 341 , Burton. op. cit., vol 2. p. 331 .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٤) انظر أعلاه ص ١١٦ .

(٥) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٣١ .

(٦) انظر أعلاه ص ١٤١ .

(٧) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٦٥ .

(٨) Burton : op. cit., Vol 2. p. 337 ,

وقد ذكر أيوب صبرى فى المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٦٥ أبعاد الحديقة على النحو التالى : طول ٢٣ ذراع وعرض ١٦ ذراع وارتفاع ٣ أذرع

هذا من حيث الوصف العام لمرافق المسجد المزالة فى الوقت الحاضر ، ولا شك بأن تزويدها فى ذلك الوقت ، بالماء أمر فى غاية الصعوبة ، لا سيما وأن منابع العين الزرقاء بعيدة بعض الشيء عن الحرم الشريف ، وكانت تصل إلى المدينة بصفة مستمرة عن طريق قنوات أرضية يغذى بعضها الأسبلة والحنفيات المذكورة ، بالإضافة إلى تزويد المراحيض السابقة بمجارى واسعة ، تصب فى مجمع البالوعات المعمول خصيصا لهذا الغرض قرب الباب المجيدى[١] . ومن ثم يتم دفعها خارج أسوار المدينة ، عن طريق المجارى المنحدرة بالتدرج حيث تدفعها المياه المالحة والمجلوبة من قبا فى قنوات أرضية[٢] ، تصب بغزارة فى المجمع المذكور .

ومهما يكن من أمر ، فقد حرص العثمانيون منذ البداية ، على صيانة العيون والمجارى المذكورة[٣] ، فرصدوا لها الأوقاف الثمينة [٤] ، وخصصوا لخدمتها عدد من العبيد المعروفين طوال العصر العثمانى بعبيد العين الزرقاء[٥] .

---

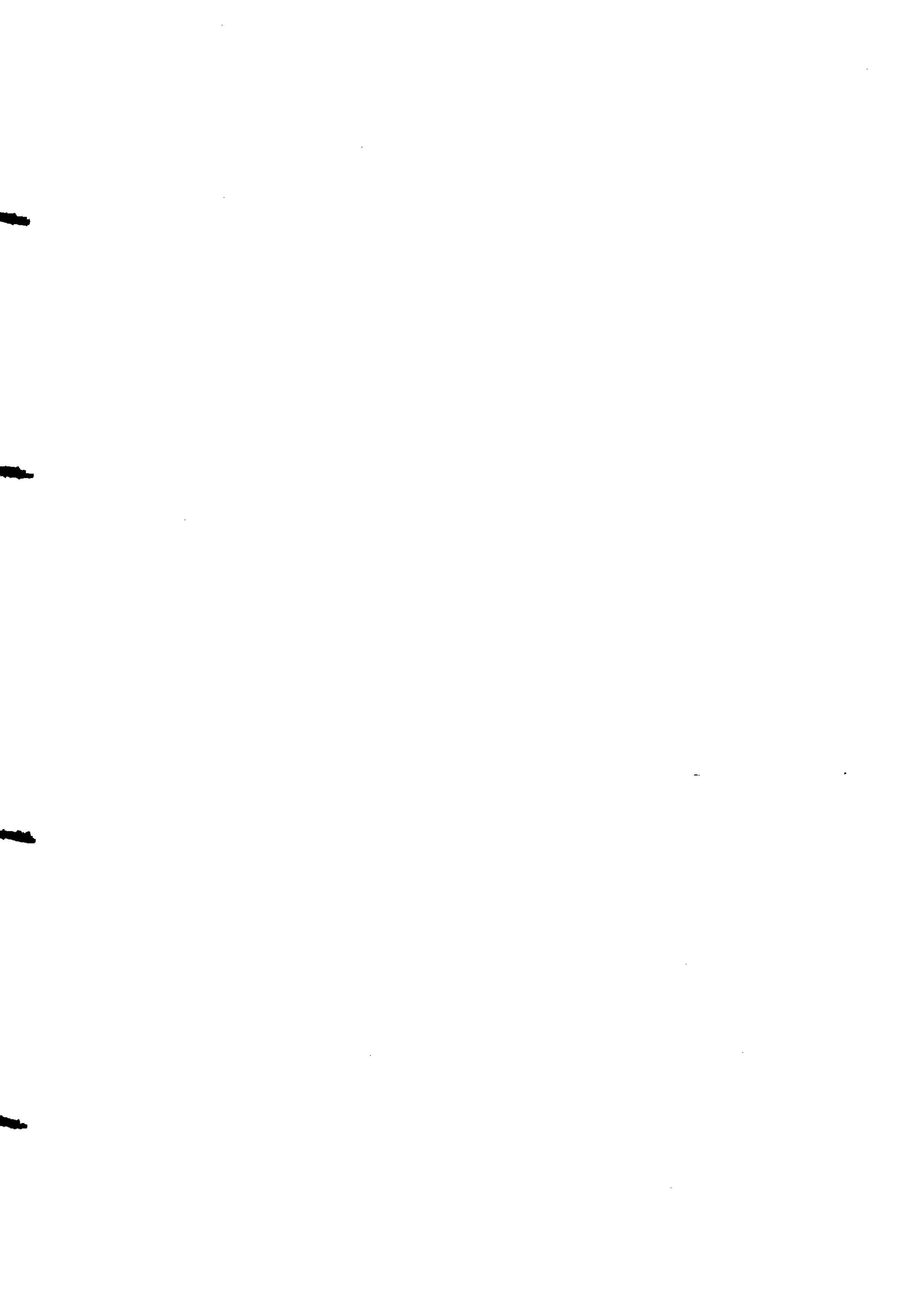
(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٢) الوثيقة رقم ٤٩٩ فى ٢٦ ذى الحجة سنة ١٢٣٥ هـ دفتر ٥ معية تركى / محافظ الحجاز .

(٣) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٤٧ .

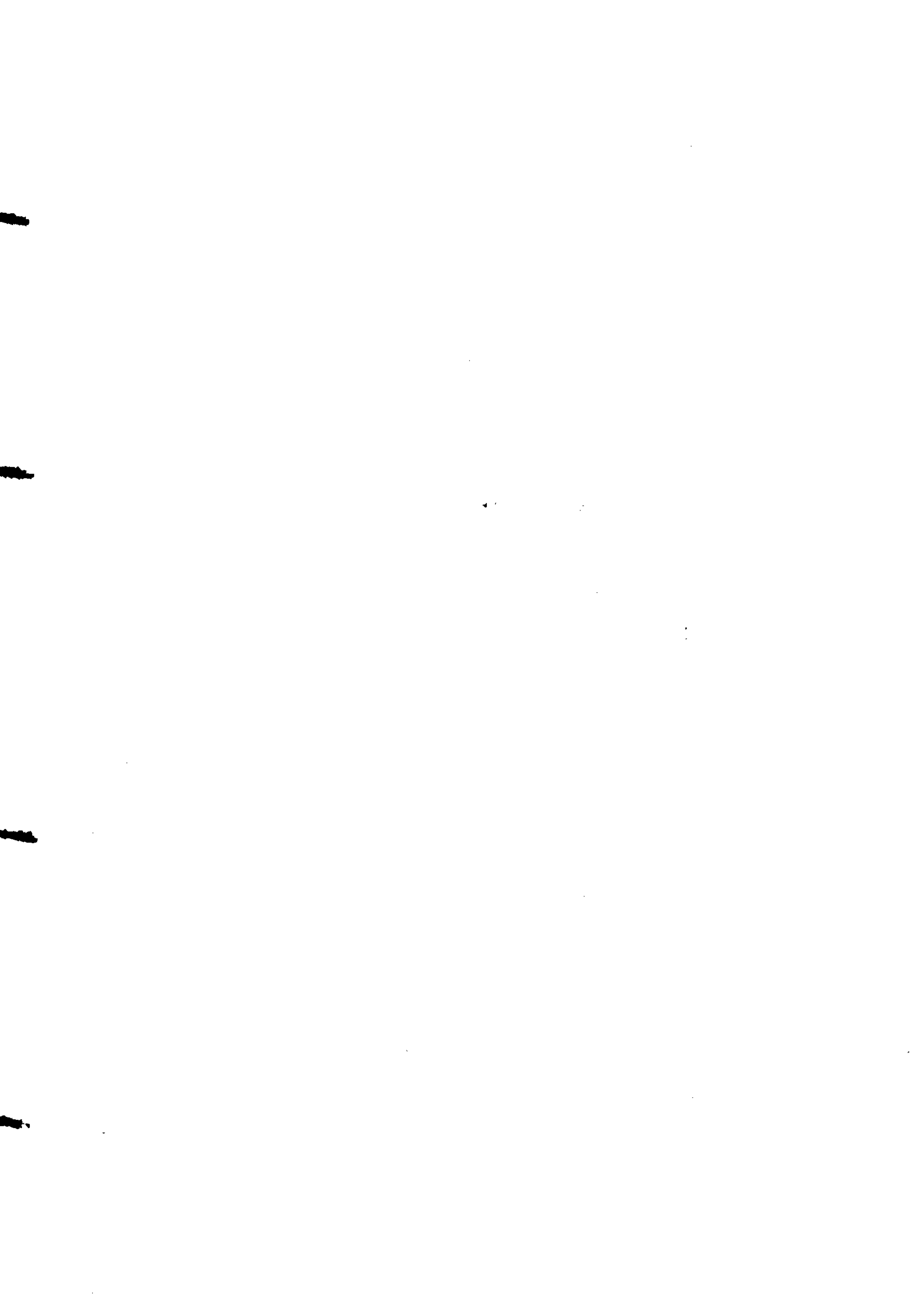
(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٢٤ ، ٧٣١ وانظر البتنونى فى الرحلة الحجازية ص ٢٥٨ .



الباب الثانى

الزخارف المعمارية والكتابات



الفصل الأول

الزخارف الهندسية والنباتية



الباب الثانى : الزخارف المعمارية والكتابية

الفصل الأول : الزخارف الهندسية والنباتية

تتميز زخارف المسجد النبوى الشريف، بخلوها تماما من الزخارف الحيوانية، فضلا عن اتسامها بصفة عامة بالبساطة والوضوح، وبعدها عن استخدام الرموز والمعانى الغامضة .ولا غرو فإن أسلوب الحداثة المتميز فى الباروك العثمانى، طغى على معظم الزخارف المستخدمة فى قباب المسجد وبعض جدرانه ، وقد خلى هذا النوع من الفن من روح الأصالة والابتكار ،وحذا إلى تقليد المناظر الطبيعية، بعد أن أبعد العثمانيون منه ما يشير إلى الإنسان أو الحيوان[١] . وعنوا بصفة خاصة برسم الفاكهة والزهور والستائر والأعمدة والعقود، بالإضافة إلى بعض المناظر البعيدة عن طبيعة المدينة المنورة ، كالمدن الساحلية والأنهار الجارية .

ولا شك بأن الفنان العثمانى سعى إلى توظيف العناصر المذكورة ، فربط بينها وبين المعانى الواردة فى فضل المسجد الشريف[٢]، خاصة تشبيه الرسول ﷺ للجزء المؤسس منه عند بدء الدعوة الإسلامية برياض الجنة[٣] وقد حوى المسجد الشريف إلى جانب ذلك بعض العناصر الفنية المزدوجة الأغراض ، والمتسمة بالأصالة والإبداع ؛ ورغم تعدد هذه العناصر وتداخلها يمكن تصنيفها إلى المجموعات التالية :

---

(١) حسن عبد الوهاب : التأثيرات العثمانية على العمارة الإسلامية فى مصر ص ٥٢ ، بحث بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ـ مكتبة الدكتور مرزوق برقم ١٧٦٢ .

(٢) قال رسولالله ﷺ : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله ، قال حلقات الذكر » ، رواه الترمذى فى كتاب الدعوات ، الحديث رقم ٣٥١٠ انظر سنن الترمذى ، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض جـ ٥ ص ٥٣٢ .

(٣) قال عليه السلام : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » . رواه البخارى فى كتاب التهجد باب فضل ما بين القبر والمنبر . انظر صحيح البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى جـ ٦ ص ٨٤



الفصل الأول
الزخارف الهندسية والنباتية

أولا ـ الزخارف الهندسية :

وتكثر في جدار القبلة لا سيما الأشكال البسيطة منها ، وتتألف من المستطيلات الذهبية [١] ، والمربعات والدوائر المزينة بأنواع مختلفة من الكتابات[٢] ، بالإضافة إلى الرخام المعشق والمنزل بأشكال من التجميعات الهندسية الجيدة ، وتنقسم هذه الأشكال بدورها إلى ما يلي :

أ ـ المستطيلات :

قسم الجزء العلوى من الوجه الداخلى لجدار القبلة، والمغطى بطبقة سميكة من الملاط، إلى عدد من الأشرطة الأفقية بألوان مائية، وذلك بأحجام متفاوتة ونسب جمالية جيدة ، تتراوح بين ٣ : ٢ ، ٢ : ١ وهو ما يتفق ونسب الأبعاد الطولية[٣] كما كسى سفل الجدار بوزرة من الرخام الأبيض ، الموزع بطريقة فنية جيدة ، فأعلاه مقسم إلى عدد من المستطيلات المحصورة بين عضائد من الرخام . يتألف كل مستطيل وعضادة من قطعة واحدة من الرخام (الشكل ٢٣) ، وتليها مثلها ، وهكذا على طول جدار القبلة وجانبى مدخل باب السلام ، بارتفاع القامة المتوسطة؛ وتظهر بالتناوب مع الدوائر التى تتوسط الأكتاف المجاورة لها . ويزيد عددها على حوالى ١٠٥ مستطيلات محلاة بالكتابة ، وحوالى ١٤ مستطيلا كسى بها مدخل باب السلام من الجانبين دون الكتابة عليها . وجميع الأشكال المذكورة مستطيلة، إلا ما يقع بجدارى منارة باب السلام فمربعة . كما يتميز المستطيل الواقع فوق مدخل المنارة المذكورة بالاستطالة المضاعفة نظرا لكبر العبارة المكتوبة عليها[٤] ، أما بقية المستطيلات فطول كل منها ضعفا عرضه[٥] ، وبكل منها لقب

---

(١) يذكر محيى الدين طالو : فى الفنون الزخرفية ، الطبعة الأولى ، دار دمشق ١٤٠٢ هـ ص ٣٩ أن المستطيل الذهبى أكثر الأشكال الهندسية بهجة للنظر ، وذكر طريقة رسمه بما يتفق والمستطيلات المستخدمة فى زخرفة الجدار القبلى .

(٢) انظر فصل الكتابات ص ٢٤٨ وما بعدها .

(٣) عن النسب المثالية ، انظر محيى الدين طالو : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٤) مكتوب فيها « هذه أسماء النبى ﷺ » .

(٥) كان هذا التقدير بناء على ملاحظاتى الخاصة أثناء زياراتى المتكررة للمسجد الشريف .

من ألقاب النبى ﷺ(١).

وتحت كل من المستطيلات المذكورة مستطيلات رأسية ، تعادل كما فى الشكل رقم (٢٣) أربعة أضعاف المستطيلات السابقة . ويحفها من الجانبين أكتاف من الرخام هى فى الواقع امتداد للأكتاف المحيطة بالمستطيلات السابقة، وإن لم تكونا من قطعة واحدة ؛ وأبعادها حوالى ٨٠ × ٤٠ سم تقريبا . وبداخلها مجموعة من البلاطات الخزفية(٢).

أما الجزء السفلى من الوزرة فيشبه تماما الجزء العلوى منها ، إلا أن المستطيلات التى أحيطت بإطار مذهب كما فى سابقتها خلت من الزخارف الكتابية ، كما خلت الأكتاف المحيطة بها من الدوائر أيضا . ومرد ذلك كما اعتقد إلى أن اللجنة التى أشرفت على تنظيم زخارف جدار القبلة(٣)، أخذت بعين الاعتبار انخفاض هذه المستطيلات عن مستوى العين، فلم تظهر بها الكتابة رغم إمكانية تدوين بعض النصوص عليها . كما أن توزيع المستطيلات المذكورة فى هذا الجزء من جدار القبلة ، تم حسب النسب المثالية فى حجم المستطيلات وطريقة وضعها .

هذا عن المستطيلات التى تزين الجزء السفلى من جدار القبلة ، وقد استخدمت طريقة أخرى فى تحلية الجزء العلوى من الجدار الشمالى للمنارة الرئيسية ، بنوعين من الأشرطة المزخرفة بألوان لبعض أنواع الزهور . كما يظهر بواجهة المحراب النبوى والسليمانى أنواع مختلفة من المستطيلات ، وكذلك فى الجزء السفلى من إسطوانات الروضة الملبسة بألواح من الرخام المحلى بأنواع مختلفة من الزخارف الهندسية ، التى كان أهمها المستطيلات الرأسية والأفقية (لوحة ١١). كما تظهر المستطيلات المحلاة بأنواع مختلفة من الكتابات فى أعتاب المداخل الرئيسية للمسجد الشريف (لوحة ٢٩)، وكذلك فى اللوحات المعدنية المنصوبة فوق

---

(١) انظر فصل الكتابات ص٢٤٨ وما بعدها .

(٢) انظر النوع الأول من البلاطات الخزفية . ص ٢٠٩ .

(٣) جاء فى الوثيقة رقم ٥٥٧ فى ٢٥ صفر سنة ١٢٧٥هـ تصنيف إرادة / المجلس المخصوص أن الكتابات القديمة قد دونت بإشراف لجنة فى مضبطة خاصة .

مداخل الروضة وغير ذلك من المستطيلات الظاهرة مع بقية الزخارف التى تحلى أجزاء مختلفة من المنبر الشريف الشكل (١٣) .

أما ما يظهر بالوجه الداخلى لبعض القباب من أشكال هندسية على هيئة المعينات (لوحة رقم ٢٠)، فإن ذلك مقصور على بعض القباب المنخفضة والمقسمة من الداخل إلى ثمانية أقسام ، اختص كل قسم بمنظر طبيعى أو أشكال زهور وورود . أما القباب البرميلية المتميزة بالكبر فبكل منها ١٨ معينا كما فى الشكل (٦٠) .

ب ـ المربعات :

قلل المعمار العثمانى من استخدام المربعات فى زخارف الحرم النبوى الشريف إلا فى حالات نادرة جدا ، عندما ضاقت المساحة عن استيعاب حجم الأشكال المستطيلة، كما هو ظاهر الآن بأول السفل الرخامى مما يلى باب السلام . ومرد ذلك كما اعتقد إلى أن توزيع أسماء النبى ﷺ فى المستطيلات الممتدة على طول جدار القبلة ، اقتضت أن يكون أولها فى المربعات المذكورة، لاتسام كلماتها بالصغر ولوقوعها على جانبى منارة باب السلام البعيدة بعض الشىء عن الأنظار، التى تهتم للوهلة الأولى بتتبع جدار القبلة دون سواه .

كما تظهر المربعات بشكل محدود على جانبى المحراب العثمانى، وبوسطها بعض الآيات الشريفة والأحاديث النبوية[١] .

وفى زخارف باب المنبر كثير من المربعات المتماثلة (لوحة ٧)، فضلا عن المعينات المتداخلة مع بعض الزخارف فى الأجزاء الرخامية من المنبر (الشكل رقم ١١) . كما يمكن اعتبار أنواع التيجان المستخدمة فى رواق القبلة من الأشكال المربعة، وإضافة لما سبق فإن كثيرا من البلاطات الخزفية تميل فى شكلها العام إلى التربيع (لوحة رقم ٣٤) .

---

(١) انظر أدناه فصل الكتابات ص ٢٦٢ وما بعدها .

جـ : الدوائر :

استخدمت أنواع متعددة من أشكال الدائرة باعتبارها الرمز الظاهر للكمال[١] ، في زخرفة أنحاء مختلفة من رواق القبلة ، ومن المفيد تصنيفها تبعا لما نفذت عليه من مواد إلى الأقسام التالية :

١ ـ دوائر فى الرخام :

وتكثر بصفة خاصة فى جدار القبلة، فمنها حوالى مائة دائرة تظهر بأحجام متماثلة تماما وسط الأكتاف المحيطة بالمستطيلات، المدون عليها أسماء النبى ﷺ بأعلى السفل الرخامى، الذى يكسو الجزء السفلى من جدار القبلة . وقطر كل منها حوالى ٢٨ سم تقريبا ، وبها عبارات مكررة فى جميع الدوائر المذكورة[٢] . كما تظهر دوائر أخرى بأحجام مختلفة بعض الشىء فوق طاقية المحراب العثمانى، بداخلها كتابات جميلة[٣] (لوحة ٢٦ ، ٢٧).

أما الدوائر الموجودة بوسط الإسطوانات الملبسة بالرخام ، فى وسط الروضة المطهرة وما يقابلها من مقدم المسجد الشريف ، وما يحيط ببعض جوانب الحجرة الشريفة من الجنوب والشرق والغرب . فأحجامها متشابهة تماما وقطر كل منها حوالى ١٠ سم تقريبا . وتشهد زخرفتها ببراعة المرخمين فى تنزيل ألوان مختلفة من الرخام الأسود والأصفر الداكن والأحمر الوردى ، وسط الدوائر المحفورة بإتقان داخل ألواح الرخام الرقيقة .

ومما يندرج تحت القسم الخاص بالدوائر الرخامية ، ما يلاحظ بجوانب المنبر الشريف ، من الدوائر البارزة والمتداخلة مع الزخارف المفرغة فى جانبى سلم المنبر وأسفل مقعده (الشكل ١٠).

---

(١) مشروع جلالة الملك عبد العزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام ، اتحاد المهندسين الاستشاريين باكستان ـ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م ، جـ ١ ص ٦٣ .

(٢ ، ٣) انظر أدناه فصل الكتابات ص ٢٤٨ ، ٢٦٢ وما بعدها .

٢ ـ دوائر فى الحجر :

وتظهر ببعض الإسطوانات التى خلت فى الروضة المطهرة من الوزرة الرخامية التى استعيض عنها بحفر بارز فى أصل الإسطوانة المنحوتة من الحجر الأحمر ، (الشكل ٤٨) كما تظهر بأعلى العقود المطلة على صحن المسجد ، فوق تيجان الأعمدة مباشرة ، وقد تبقى منها بالرواق القبلى اثنتا عشرة دائرة محفورة بالنحت البارز فى أصل الحجر بأحجام متساوية ، وبها لفظ الجلالة واسم الرسول ﷺ وبعض الصحابة الأجلاء[1]. وكما يتضح من بعض الصور القديمة (لوحة ٣٨)، فقد كان ذلك عاما فى جميع العقود المطلة من جوانب الأروقة المزالة فى التوسعة السعودية ، ويبدو أن ما يقع حاليا فوق العقود المجددة فى التوسعة السعودية تجديد لأثر الدوائر القديمة .

ومن الدوائر الحجرية أيضا ما يلاحظ حاليا من النوافذ الدائرية بجدار المسجد الشرقى ، وحنية المحراب العثمانى من الخارج ، ووسط العقد المصمت فوق باب جبريل ، ويندرج تحت هذا النوع من الدوائر ما وضع برقاب القباب العالية ذوات الطمبور من فتحات دائرية (الشكل ٢٤)، تتفق تماما مع الطريقة المستخدمة فى جميع قباب المساجد العثمانية المشهورة .

٣ ـ دوائر مفصصة :

وتظهر داخل بعض البلاطات الخزفية باثنى عشر فصا (لوحة رقم ٣٦) .

٤ ـ الدوائر المشتركة فى مركز واحد وتظهر مرسومة بالفرسكو داخل القباب :

ويختلف قطرها فى كثير من القباب تبعا لنوع الزخرفة المرسومة داخل القبة (الشكل ٢٥ واللوحة رقم ٢٠)، كما توجد وسط معظم المثلثات الكروية المستخدمة فى زوايا القباب الضحلة ونصف الكروية[2]، لا سيما حول الحجرة

---

(١) انظر أعلاه ص ١٦٦ .

(٢) ليس هذا عاما فى جميع أنحاء الرواق القبلى .

الشريفة والروضة المطهرة ، دوائر صغيرة الحجم نسبيا بها لفظ الجلالة واسم الرسول ﷺ وبعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين : ويقترب من هذا أيضا ما يلاحظ بمعظم الجزء العلوى من جدار القبلة ، وبعض الجدار الشرقى ، لا سيما بطون العقود وما جاورها من الدوائر المنبعجة فى الرسوم المائية ، على غرار النوع الخامس من البلاطات الخزفية .

٥ ـ دوائر البرونز والخشب :

وتتمثل بشكل أساسى فى السياج البرونزى ، الفاصل بين حد المسجد الأول من الجنوب ، وبين الزيادة التى أضافها عمر وعثمان رضوان الله عليهما فى مقدم المسجد . وحول دكة الأغوات ، والدكة المقابلة لها من الجنوب ، وبالجزء السفلى من الشباك الموضوع فى الجدار القبلى ، أمام المواجهة الشريفة (الشكل رقم ٢٧) ؛ وأيضا الدوائر المحدثة فى أواخر العهدالعثمانى أمام المواجهة الشريفة .

أما ما يظهر ببعض الأبواب من الأشكال البيضاوية ، الناتجة عن استخدام القطع البرونزية فى تزيين واجهاتها ، فيمكن إدراجها تحت هذا النوع من الدوائر (الشكل رقم ٥٢) .

د ـ المثلثات والمسدسات وما شابهها :

لم تستخدم الأشكال الثلاثية وما شابهها فى زخارف الحرم النبوى الشريف إلا فى نطاق ضيق جدا ، فلم أعثر فى جدار القبلة إلا على نموذجين قريبين من الشكل الثلاثى ، أحداهما بأعلى المحراب العثمانى من الجانبين ، على هيئة ما يرى فى الصورة رقم (٢٧) . وذلك داخل لوحين من الرخام ، ويتمثل النموذج الآخر فيما يحيط بالشباكين الواقعين فوق المحراب العثمانى ، وفى الجدار الشرقى من رواق القبلة ، فإنها وإن كانت جزءا من دوائر ، إلا أنها إلى التثليث أقرب (الشكل رقم ٦١) ؛ وقد وضع منها بجانبى كل نافذة مدورة قطعتان فقط .

كما يظهر بجانبى المنبر الرخامى عدة مثلثات ، نتجت عن رسم الدائرة الملامسة لأضلاع المثلث القائم الزاوية ، فى الجزء السفلى من المنبر الشريف، وقد

استخدمت أنواع مختلفة من المثلثات الكبيرة والصغيرة ، فى التقسيمات الرخامية المفرغة داخل السياج المحيط بدرج المنبر من الجانبين ، كما تظهر أيضا فى جانبى المنبر تحت جلسة الخطيب (الشكل رقم ١٢)، بالإضافة إلى ملاحظة الأشكال النجمية المستخدمة فى تكوين الشكل السداسى، فى السياج والمربعات المذكورة .

أما جلسة الإمام فيتوسط سقف قبتها حلية معمارية بارزة ، محاطة بترس مؤلف من اثنى عشر سنا على هيئة اللوزة ، ومن وراء ذلك طبق نجمى مؤلف من أعداد مماثلة من الكندات ، ثم أشكال نجمية وسداسية متداخلة بأحجام مختلفة نتجت عن أرباع الأطباق المجاورة[1] (الشكل رقم ٤٢). ومثل ذلك بسقف الجلسة مما يلى أرض المسجد ، وكل ذلك بألوان جذابة تتراوح بين الأحمر والأخضر والأصفر .

ويقترب من هذا ما نراه فى الحشوات الخشبية التى تزين مصراعى باب المنبر . والمؤلفة من أربع لوزات ؛ اثنتان منها متقابلتان واثنتان متدابرتان، وبينهما مربعات أربعة . وبجانبى كل مربع مثلث قائم الزواية ، هو فى الحقيقة نصف لوزة كما يتضح من الصورة السابقة .

وهكذا على طول مصراعى الباب المذكور بحيث يصعب الفصل بين أشكال وحداتها الهندسية .

أما زخرفة الجزء الأوسط من حنية المحراب السليمانى ، فإنها وإن كانت قريبة الشبه من زخرفة المحراب النبوى ، إلا أنها مؤلفة من قطع رخامية ذات ألوان سوداء وحمراء، موزعة بانتظام على أرضية بيضاء بحيث تؤلف أطباقا نجمية تقل فى بهائها وجودتها عما فى المحراب النبوى الشريف . وذلك على عكس ما يقع على جانبى المحراب المذكور من تقسيمات رخامية، على هيئة الطبق النجمى فى أبهى صورة، فبكل منها اثنتا عشرة كندة (الشكل ٤٣). ومرد هذا الاختلاف الظاهر

---

(١) هى ما يعرف بعش الغراب والتاسومة والزقاق ، انظر عبد اللطيف إبراهيم جلدة مصحف بدار الكتب المصرية . مقال فى مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة المجلد العشرين ـ الجزء الأول ١٩٥٨م ص ٩٧ .

فى زخرفة المحراب المذكور بعنصر زخرفى واحد، إلى أن الطبق النجمى الأول قديم جدا ربما يعود إلى زمن السلطان سليمان القانونى ؛ وهو ما دعا المشرفين على عمارة عبد المجيد إلى إبقائه أسوة بزخارف المحراب النبوى. أما الطبقان المرسومان على جانبى المحراب والمتميزان بالوضوح والصفاء، فقد أحدثا كما يبدو فى عمارة السلطان عبد المجيد عند ترميم المحراب المذكور سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م[١].

كما تظهر الأطباق النجمية المؤلفة من اثنتى عشرة كندة، فى زخارف أبواب شبابيك جدار القبلة المصنوعة من الزجاج المعشق (الشكل رقم ٤١) . ونظرا لخلو الزخارف المذكورة من التأثير الباروكى الذى طغى على الزخارف المحدثة فى عمارة السلطان عبد المجيد ، فإن الظن يذهب إلى احتفاظ الشبابيك المذكورة فى عمارة عبد المجيد، بأبوابها المحدثة فى عهد السلطان محمود الأول سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م[٢]، وتظهر مشابهة لبعض النماذج البرونزية فى العصر المملوكى[٣].

وبالإضافة إلى المثلثات ذات الطابع الزخرفى البحت، هناك مثلثات جمعت بين العنصر الزخرفى والمعمارى، كما هى الحال بمثلثات أركان القباب نصف الكروية والقباب الضحلة ، وفى بعض نوافذ الجدار الشرقى وأعلى المحراب العثمانى ، هذا فضلا عن الأشكال الهرمية، التى تحلى الجزء العلوى من المحرابين النبوى[٤] والسليمانى ، وكذلك الشكل المخروطى فوق قبة المنبر الشريف ، وما يتوج أعلى منارة باب السلام وما شاكلها من المنارات القديمة . وقد نجح الفنانون العثمانيون فى المواءمة بين تلك الأشكال المتباينة ، إلا أن دقة الصنعة وجمالها يتجلى بوضوح فيما ينسب منها إلى عهد السلطان مراد الثالث .

---

(١) انظر أعلاه فصل الأعمال المعمارية ، ص ١٣٢ .

(٢) انظر أعلاه ص ٦١ .

(٣) صالح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر . ص ٢٩٥ صورة رقم ٢٣٩ عن شباك المدرسة الطبرسية ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م .

(٤) تجنبت دراسة الزخارف التى تحلى حنية المحراب النبوى واجهة عقده ، لأنها من مخلفات العمارة المملوكية التى حوفظ عليها فى العمارة المجيدية .

ثانيا : الزخارف النباتية :

ويمكن تصنيفها تبعا للمادة المستخدمة فى الزخرفة كما يلى :

أ - الزخارف النباتية على البلاطات الخزفية .

ب الزخارف النباتية على الرخام .

جـ - الزخارف النباتية على الحجر .

د - الزخارف النباتية بالألوان المائية (الفرسكو) فى جدار القبلة وبطون العقود والقباب .

هـ - الزخارف النباتية على المعادن .

أ - الزخارف النباتية على البلاطات الخزفية :

تنحصر البلاطات المتبقية حاليا بجدران رواق القبلة فى ثمانية أنواع ، تمثل فترات مختلفة من تاريخ الفن العثمانى ، وتتسم بالتباين فى الأحجام والزخارف والألوان ، مما يؤكد استخدامها فى أوقات مختلفة من تاريخ الأعمال المعمارية السابقة؛ وفيما يلى تفصيل لخصائص ومميزات كل نوع :

الوع الأول :

ويظهر بكثرة فى جدار القبلة ، وبالتحديد فى الصف الأوسط من المستطيلات المستخدمة فى تحلية الجزء السفلى منه[١] ، والمحاطة من الجانبين بأكتاف رخامية . كما أحيطت المستطيلات من الداخل بإطار ضيق من بقايا الخزف المستخدم قبل عمارة السلطان عبد المجيد ، فى تغطية القبة الشريفة من الخارج[٢] .

ومما يؤكد قدم هذا الإطار اختلاف أبعاد قطعه فبعضها بطول ضلع البلاطة الداخلية ٢٥ سم وبعضها لا يتجاوز نصف البلاطة ، والأكثر منها أقل من ربع الضلع المجاور له . هذا فضلا عن اختلاف ألوانها المتدرجة من الأزرق الغامق إلى الأزرق الفاتح والأخضر الزرعى ، وجميع المستطيلات الممتدة من أول المدخل

---

(١) انظر فصل الزخارف الهندسية - قسم المستطيلات ص ٢٠١ .

(٢) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٦ .

المضاف أمام باب السلام إلى باب المنارة الرئيسية متساوية فى الارتفاع ، إما العرض فمحصور فى ثلاثة نماذج .

أولها صغير جدا بحيث لا يسع فى عرضه بعد الإطار الأزرق إلا بلاطة واحدة ٢٥ × ٢٥ سم تقريبا ، أى أن بكل مستطيل خمس بلاطات فقط ، ويظهر هذا على جانبى منارة باب السلام ، والجانب الأيسر لمستقبل المحراب العثمانى .

وثانيهما متوسط العرض نسبيا ، فليس به فى العرض إلا بلاطتان فقط وخمس بلاطات فى الارتفاع ، أى أن مجموع البلاطات المستخدمة فى هذا النوع من المستطيلات عشر بلاطات فقط ٢٥ × ٢٥ سم تقريبا . ويظهر هذا النوع فى جميع المستطيلات الموجودة بالجزء السفلى من جدار القبلة ، ما عدا المستطيلات المذكورة فى النموذج الأول والثالث .

وثالثها كبير الحجم ، فيه عدا الإطار السابق خمس بلاطات فى الارتفاع وثلاث فى العرض ، أى أن مجموع ما فى هذا الإطار خمس عشرة بلاطة ٢٥ × ٢٥ سم تقريبا ، وذلك على يمين ويسار المحراب العثمانى .

هذا عن تنظيم هذا النوع فى جدار القبلة ، أما الزخرفة فمتشابهة إلى حد كبير، إلا أنها مرسومة على نوعين من الأرضيات ، إحداهما ناصعة البياض والأخرى داكنة، مما يوحى بأن صناعتها ليست من فترة زمنية واحدة . هذا فضلا عن تعرض زخارفها لاختلافات طفيفة، نتيجة قيام صناع الخزف فى ذلك الوقت باستخدام الآلات اليدوية فى جميع مراحل صناعتها[١] .

ومهما يكن الأمر فإن هذا النوع من الخزف شبيه بخزف مدينة أزنيك (Iznik)[٢] ، إبان ازدهار الصناعة الخزفية فيها[٣] . ولا يعرف ما إذا كان قد صنع

---

(١) عن صناعة الخزف ورسمه وحرقه انظر سعاد ماهر : الخزف التركى ، الطبعة الأولى القاهرة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ص ٦٢ .

(٢) هى مدينة يونانية قديمة بأسيا الصغرى كان اسمها نيقيا ، وتقع شرق مدينة بروسة بنحو ثمانين كيلو مترا . وقد اشتهرت أيضا بصناعة السجاد انظر سعاد ماهر . المرجع السابق ص ٣٣ عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية فى العصر العثمانى . القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ص ٧٥ .

(٣) كان ذلك قبل القرن السابع عشر الميلادى ، انظر عبد العزيز محمود الأعرج ، الزليج فى العمارة الإسلامية بالجزائر فى العصر التركى ، رسالة ماجستير لم تطبع ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار الإسلامية سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٢١ .

خصيصا للمسجد النبوى على غرار خزف المدينة المذكورة ، فى مصانع معاصرة لعمارة السلطان عبد المجيد فى الحرم النبوى ، فى مدينة إستانبول أو خارجها . أم أن ذلك جمع من مخلفات بلاط مدينة أزنيك المذكورة ، كما هو الحال فى بعض العمائر العثمانية المتأخرة[١] . لا سيما وأن جدار القبلة زخرف بالخزف عدة مرات قبل ذلك، ومن الملاحظ وجود نماذج مشابهة له فى الجامع الأخضر بمدينة بروسة (BURSA) ٨٢٢هـــ/ ١٤١٩م[٢]، ومسجد السلطان أحمد الأول بمدينة إستانبول ١٠٢٩هـ/ ١٦١٩م[٣]، (لوحة رقم ٣٤) ومثال آخر فى تربة السلطان مصطفى الأول بمدينة بروسة ١٠٤٨ هـ/ ١٦٣٨م[٤]، (لوحة رقم ٣٣) .

وتظهر زخارف هذا النوع من البلاط على قطعتين تكمل إحداهما الآخرى، بحيث يصعب فصلها عن بعضها ، كما يمكن للصورة أن تكتمل إذا وضع بجوارهما بلاطتان مشابهتان لهما ، فإن بكل بلاطة بقايا من أشكال أزهار وورود المجموعة الأولى ، وتتضح الصورة بمقارنتها بالرسم المنقول عن أرسفان ، لما يوجد من هذا النوع فى تربة شهزادة مصطفى الأول ببورصا فى بداية القرن العاشر الهجرى، النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى[٥]، (لوحة رقم ٣٣) والذى قيل بأن زخارفه يمكن أن تشكل منظراً ربيعيا خلابا ، تشغل فيه الزهور أكبر حيز ممكن إذا نظمت فى مستطيلات صغيرة ، أما إذا وسعت المستطيلات فإن عدد الأوراق يفوق عدد الورود المستخدمة[٦] .

ومهما يكن الأمر فإن قوام الزخرفة فى البلاطة الأولى ، كما فى الصورة

---

(١) عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ص ٨١ ، Goodwin : op. cit., p. 399 .

(٢) جاء ذلك فى كرت بوستال حديث .

(٣) TABSIN OZ : TURKICH CERAMICS . p. 35 pi. Iv 11 .

(٤) Celal Esad Arseven : Les Arts Decoratiffe turcs .(Istanbul) p. 68 .

(٥) Celal Esad Arseven : op. cit., p. 68 planche 5 .
Goodwin : op. cit., p 111 fig 102 .

(٦) Phil oktay Aslanph : Osmanlilar Devrinde Kutahya .
Cinileri (Istanbul 1949) p. 10

السابقة شكل وردة محورة[١] ، تبرز محاطة بفصوص زرقاء من أول الثلث الأيمن لضلعها الأسفل ، وعلى يسارها فرع نباتي بلون أزرق يمتد حتى يتوسطها ، ثم يتفرع بثلاثة فروع صغيرة بلون أزرق فاتح أو أخضر زرعي[٢] ؛ وفي نهاية كل فرع زهرة قرنفل صغيرة لم يكتمل تفتحها[٣] .

أما الفرع البارز من وسط زهرة الورد السابقة ، فيميل في التوائه إلى الجانب الأيسر ، ويتداخل مع الفروع الأولى ، ثم ينتهي في وسط الطرف الأيسر من البلاطة بزهرة كبيرة لها عدد من الأوراق النباتية المسننة[٤] . وبداخلها شكل زهرة محورة عن زهرة كف السبع، التي استخدمت بكثرة في أنواع مختلفة من البلاطات الخزفية العثمانية[٥] . ويخرج من أسفل هذه الزهرة فرع نباتي ملون أزرق فاتح ، أخضر زرعي[٦] يمتد إلى أسفل البلاطة بخمس ورقات ، لها بقايا في أعلى منتصف البلاطة ؛ ويمتد إلى أعلاها في ثلاث شعب بأحداها ورقة رمحية مسننة يتجه رأسها الصغير إلى اليسار ، وينتهي الأوسط بأعلى البلاطة، ليكون البرعم المحيط بالجزء السفلي من الوردة البارزة من أسفل الطرف الأيسر من البلاطة الثانية .

---

(١) استخدمت زهرة الورد بأشكال مختلفة في الفنون العثمانية خاصة البلاطات الخزفية انظر :
Celat Esad Arseven : op. cit., p. 64 .

سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٧٣ .

(٢) لاحظت وجود اللونين في نوعين من البلاطات الموضوعة في جدار القبلة .

(٣) عرف العثمانيون زهرة القرنفل في وقت بكر من تاريخهم ، مما حدا بأحد الباحثين إلى إرجاع أصلها إلى إيران أو الصين . وكان شكلها المسنن وتعدد أوراق زهرتها قد ساعد في ظهورها على الأعمال الفنية العثمانية بأحجام وأشكال مختلفة ، وزاد من شهرتها عناية العثمانيين بزراعتها في القرن الثاني عشر الهجرى الثامن عشر الميلادى ، واستحداث أنواع جديدة منها . انظر Celal Esad Areven: op. cit., p. 58 , 61 . وسعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٦٩ ، ٧٥ .

(٤) عن الأوراق النباتية المحورة التي استخدمها العثمانيون في زخارفهم وتطورها انظر : Celat Esad Arseven : op. cit., p. 67 .

سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٥) Celat Esad Arseven : op. cit., p. 65 .

وسعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص ٧٤ ، عبد العزيز محمود الأعرج ، المرجع السابق ، ص ٦١

(٦) انظر اللوحة رقم (٣٣) .

أما الفرع الثالث فيسير إلى جانبه ليكون أساسا للفرع الذى يحمل زهرة القرنفل فى الوردة الثانية .

ويخرج من ركن البلاطة الأيمن ورقة نباتية طويلة، تمتد بالقرب من الوردة الأساسية ، وإلى جانبها الأيمن فرع نباتى بلون الورقة السابقة يحمل فى أعلاه شكل زهرة اللالة ، التى افتتن بها العثمانيون فى عهد السلطان أحمد الثالث ١١١٥ - ١١٤٣هـ/ ١٧٠٣ - ١٧٣٠م[1]؛ والممتدة بلون أحمر طماطمى إلى وسط البلاطة. كما يخرج من أعلى الطرف الأيمن ، جزء بأربع ورقات من رأس الوردة التى تقع فى الجانب الأيسر من البلاطة المجاورة ، ويمتد من وسطها فرع آخر بأوراق زرقاء وأربع وريدات بلون مماثل ، حتى يلامس طرف البلاطة العلوية من وسطها ثم يشرع فيها بثلاثة فروع صغيرة .

أما عناصر البلاطة الثانية والمكملة لزخرفة البلاطة السابقة ، فبطرف الثلث الأيسر من ضلعها الأسفل ، عنصر مكمل للفرع الرئيسى الذى يتوسط البلاطة الأولى ، فمنه يبدأ تكوين زهرة كبيرة محورة عن زهرة الورد ، التى لونت أطرافها بلون أزرق ووسطها بلون أخضر زرعى ، ويخرج من وسطها فرع نباتى يميل فى التوائه إلى اليمين ، ثم يتفرع من منتصف البلاطة إلى فرعين ، يمتد أحدهما إلى

---

(١) أكثر العثمانيون من حبهم لزهرة اللاله (السوسن ، شقائق النعمان) حتى بيعت الزهرة منها بخمسمائة جنيه عثمانى، فى عهد السلطان أحمد الثالث الذى أولاها جل عنايته، فأقام لها الحفلات ونظم المسابقات والجوائز القيمة لزراعة أنواع جديدة منها ، حتى سمى عهده بعصر اللاله.

وقد انعكس حب هذه الزهرة على الأشكال التى أظهرها بها الفنانون العثمانيون على أعمالهم حتى ربت على خمسة عشر شكلا .

ونتيجة لظهورها فى وقت مبكر من تاريخ الأعمال الفنية العثمانية ، فقد أرجعها بعض الباحثين إلى أصول إيرانية ، ويؤيد ذلك ظهورها فى العراق على بعض أعمال الخشب فى العصر العباسى الأول. انظر :

Celal Esad Arseven : op. cit., p. 65

محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثمانى : الكتاب الثانى، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م ص ٦٩ ، سعاد ماهر المرجع السابق ، ص ٧٠ ، ٧٧ - ٧٩ .

طرفها الأيمن حيث ينتهى بزهرة كبيرة محورة عن زهرة الورد المشهورة (لوحة ٣٣). ظهر جزء من رأسها فى الطرف الأيسر للبلاطة المجاورة . وتتداخل أوراقها بين اللون الأزرق والأخضر والأحمر . أما الفرع الثانى فيمتد إلى أعلى البلاطة ليكون بداية للوردة الكبيرة التى تبرز من أسفل البلاطة الأولى .

ويخرج من يمين الوردة الكبيرة البارزة من أسفل البلاطة، فرع نباتى بلون أخضر زرعى، يمتد حتى منتصف البلاطة ثم يتفرع إلى ثلاثة فروع أحدها إلى اليمين والآخر إلى اليسار والثالث إلى الجانب الأعلى من يسار البلاطة . وبكل منها رسم زهرة قرنفل حمراء بفصوص مختلفة العدد ، وإلى يمين الوردة الأساسية وبالقرب من منتصف البلاطة ، نهاية الفرع النباتى الذى امتد من نهاية الوردة التى تقع فى طرف البلاطة الأولى ، وبه ثلاث ورقات بلون أزرق . كما يخرج من طرف البلاطة الأيمن جزء من زهرة اللالة (السوسن) وبجانبها ورقة مسننة بلون أخضر زرعى .

أما أعلى الجانب الأيسر من هذه البلاطة ، فبه جزء من نهاية الوردة الموجودة فى أعلى الجانب الأيمن من البلاطة المجاورة ، وفرع نباتى وورقة خضراء ، هما أساس زهرة السوسن الظاهرة مع الورقة المسننة بأسفل الجانب الأيسر من البلاطة المجاورة فى الصف الثانى ، وهكذا فى جميع البلاطات المشابهة .

ويلاحظ امتداد الفروع النباتية المتداخلة فى جميع البلاطات ، وميلها نحو الجانب الأيمن ، مما زاد فى حسن وجمال منظرها العام . إلا أن ببعض المستطيلات اختلافا فى ترتيب النظام السابق لوصف البلاطات ، مما أدى إلى عدم تطابق الفروع النباتية مع أشكال الورد التى تكون الأساس الثابت للبلاطة المكملة لها ، كما يتضح من اللوحة السابقة .

ومن هذا يتبين أن هذا النوع من البلاطات استخدم على طول الجزء السفلى من جدار القبلة ، وأن ذلك مما تم فى عهد السلطان عبد المجيد ، بناء على ما جاء فى بعض الوثائق ، من أن متطلبات الحرم النبوى الشريف من الخزف والزخارف

الأخرى كانت تصل تباعا إلى المدينة المنورة عند الحاجة إليها[١]. مما يخالف اعتقاد صالح لمعى بأنها من عمل السلطان عبد الحميد الثانى ١٢٩٣ - ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦ - ١٩٠٩م[٢]، إذ من المستحيل ترك جدار القبلة منذ انتهاء العمل فيه سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م إلى سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، دون ترتيب الزخارف الخزفية وفقا لما هى عليه اليوم . ويتأيد هذا الرأى بما ذكره فى موضع آخر من كتابه « المدينة المنورة ... »، أن البلاطات الموجودة حاليا فى مدخل باب السلام من عمل السلطان عبد العزيز ١٢٧٧هـ - ١٨٧٠ - ١٨٧٦م ، مما يضعف احتمال تأخير تكسية جدار القبلة حتى عهد السلطان عبد الحميد .

النوع الثانى :

ويظهر فى جزء ضيق من جدار القبلة ، فقد كسيت به بقية المستطيلات الموضوعة أسفل الجدار الشمالى للمنارة الرئيسية ، وعددها ستة مستطيلات رأسية، بكل منها عشر بلاطات فى صفين فقط ، تتساوى فى الأبعاد مع مثيلاتها الأولى، فقياس كل منها ٢٥ × ٢٥ سم تقريبا[٣]. كما تظهر فى أجزاء من أكتاف الحجرة الشريفة وعقودها الشمالية المواجهة لدكة الأغوات ، ويرجح أن يكون استخدام هذا النوع من البلاطات تم فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى، بعد تعرض الجزء السفلى من المنارة الرئيسية لبعض الاصلاحات فى عهده[٤]. وفى اختلاف الإطار المحيط بالمستطيلات المذكورة عن الإطار السابق ، دليل على عدم مزامنتها لبلاطات النوع الأول . ومما يسترعى الانتباه وجود هذا النوع من البلاطات، على الأكتاف والأعمدة الموجودة داخل الحجرة الشريفة . مما يرجح الاحتمال بأن تكون نفس البلاطات التى اشترك أيوب صبرى فى وضعها بعد انتهاء العمارة المجيدية، وكان قد لاحظ وجود النص التالى : « **كنهكار عبد المجيد** »

---

(١) الوثائق رقم ٢٩١١٧ ، ٢٧٩١٩ ، ٢٧٥٢٩ تصنيف إرادة / داخلية ، أرشيف مجلس الوزراء العثمانى - إستانبول .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(٣) تمكنت من قياس هذا النوع من البلاطات لوقوعه فى مكان بعيد عن ازدحام المصلين .

(٤) انظر أعلاه ص ١٤١

بحروف بارزة فى ظهر كل بلاطة، ومفاده عظم ذنوب السلطان عبد المجيد[١]، مما يؤكد صناعتها فى مصانع البلاط العثمانى آنذاك بطلب من السلطان نفسه .

وقوام الزخرفة فى هذا النوع من البلاطات أوراق نباتية مسننة ودوائر مرسومة ، على أرضية خضراء وبيضاء (لوحة رقم ٣٥)، وقد أحاط بوسط البلاطة شبه دائرة كبيرة لها اثنا عشر فصا ، ويحيط بمركزها زخارف محورة عن زهرة كف السبع، وحولها ثمان أوراق نباتية بثلاثة فصوص ، تظهر بالتبادل مع ثمان ورقات رمحية كما فى الشكل التالى :

وذلك فى شكل يحـيط بالزهرة الأولى بلون أزرق، ويبرز من قمة بعض الأوراق الرمحية السابقة فرعان ، يتجه أحدهما نحو اليمين والآخر نحو اليسار . ثم ينحنى الأول فى شكل نصف دائرة، حـتى يلامس طرف الدائرة التى خرج منها بورقة مسننة من جانب واحد ، تخرج بلون أزرق من وردة ذات فصوص زرقاء وخضراء ولب أحمر .

أما الفرع المتجه يسارا ، فأقصر من الفرع الأول وينتهى بورقة رمحية مسننة من الجانبين بلون أخضر فى وسطها زهرتان بلون أبيض ، كما فى الشكل التالى :



وهكذا تتـداخل الفـروع الزرقـاء مع الورق الأخضـر فى منظر يتـسم بالدقـة والجمال ، وتتلاءم الزخارف المرسومة خارج الدائرة مع ما سبق . ذلك أنها مرسومة على أرضية بلون أخضر زرعى ، وهى تحوير لأوراق نباتية وفروع متداخلة ، تبرز من زوايا البـلاطات الأربع ، التى يظهـر بهـا ربع زهرة بيـضـاء بلب أزرق ، (لوحـة رقم ٣٥) لتكوين شكل متكامل من بلاطتين متجاورتين أو أربع بلاطات متماثلة. ولهذا النوع شكل مماثل تماما فى مسجد السلطان أحمد ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م باستانبول

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٥٤ .

(لوحة ٣٥) . ويؤكد بعض الباحثين على أن البلاطات المستخدمة فى هذا المسجد، من إنتاج مدينة أزنيك[١] .

النوع الثالث :

ويظهر فى جزء من الجدار الشرقى داخل العقد الملاصق لجدار المنارة الرئيسية، ويتداخل فى غير انتظام مع عدد من بلاطات النوع الثانى، مما يرجح أن يكون أيضا من عمل السلطان عبد الحميد الثانى، لانحصاره فى جزء بسيط من جدار المنارة الرئيسية المرم فى عهده سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، بناء الطفراء السلطانية وما حولها من كتابات تأسيسية فى لوح من الرخام فوق مدخل المنارة بالجدار الغربى .

ولا تعنى مخالفته للنوع الثانى المستخدم فى عهد السلطان عبد الحميد أيضا، عدم نسبته لغير السلطان عبد الحميد ، فالواقع أن المصانع الخزفية كانت قد أغلقت أبوابها فى نهاية القرن السابع عشر الميلادى[٢]، وأن كل النماذج المستخدمة بعد هذا التاريخ هى فى الواقع تجميع لمخلفات وبقايا من أنواع قديمة[٣] ، أو من إنتاج المصنع المنشأ فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى فى مدينة إستانبول، بدعم من البلاط العثمانى[٤].

أما العناصر الزخرفية فى هذا النوع ، فمتشابهة إلى حد كبير مع الزخرفة فى النوع الثانى ، إلا أن الدائرة المفصصة أبدلت بنجمة مثمنة بخط أحمر ، على أرضية بيضاء ، وبمركزها زهرة بعدة فصوص حمراء ، محورة عن زهرة كف السبع المشهورة . ويخرج من أطراف بعض الفصوص المذكورة ، أربعة فروع فى نهاية كل منها وردة بلون أزرق ، وأربع ورقات بلون أخضر ، حيث يتجه كل اثنتين منهما فى اتجاه معاكس، على هيئة ما رأينا فى النموذج الثانى من البلاطات ، أما أركان

---

(١) عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٢ ، ٣) عبد العزيز محمود الأعرج : المرجع السابق ، ص ٢١ ، عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق، ص ٨٠ ، ٨١ .

(٤) سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٤٤ وكان السلطان أحمد الثالث قد قام بمثل هذه المحاولة بعد تدهور خزف مدينة أزنك ، انظر سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٤٣ وعبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

البلاطة وبقية أطرافها فتماثل تماما الزخرفة فى النوع الثانى . وقد رأيت من هذا النوع عددا كبيرا فى مسجد السلطان أحمد باستانبول ، فى الطابق العلوى من مصلى النساء (لوحة رقم ٣٦).

النوع الرابع :

ويختلف عن الأنواع السابقة فى كونه مستطيل الشكل ١٠ × ٢٥ سم تقريبا، ويظهر فى أجزاء متفرقة من الرواق القبلى، كإطار لبعض أجزاء النوع الثالث ، وذلك بجوار شباك ديار العشرة المقابل للمواجهة الشريفة . وفى الجانب الشمالى من الحجرة الشريفة ومدخل باب السلام، ويبدو أن استخدام الأشرطة المزخرفة بألوان مائية ، فى إطار ضيق بجدار القبلة تقليد لعناصره الزخرفية ، المؤلفة من أشكال ورود وأزهار وفروع نباتية متداخلة بألوان بيضاء وحمراء وخضراء ، على أرضية زرقاء (لوحة رقم ٦٣).

وتمتد الزخرفة الرئيسية فى هذا النوع ، على طول المستطيل من اليسار إلى اليمين ، وهى عبارة عن ثلاثة فروع نباتية جاءت على النحو التالى :

الفرع الأول يبرز من أعلى الضلع الأيسر للجانب الضيق فى هذا المستطيل، ويمتد نحو الوسط بورقتين صغيرتين ، من تحت زهرة الرمان التى تتوسط البلاطة حيث ينتهى بالقرب من الطرف الأسفل للضلع المقابل من البلاطة بزهرة محورة عن كف السبع ، ثم يمتد ليشرع فى الجزء السفلى من البلاطة الثانية ؛ مكونا أساسا للفرع رقم ثلاثة من هذه البلاطة .

والفرع الثانى يتوسط الضلع الأيسر منه ، نصف وردة صغيرة ، محورة عن زهرة كف السبع بثلاثة فصوص بيضاء ، ثم نصف آخر لوردة أكبر تحيط بالأولى، ولها خمسة فصوص خضراء . ومن وراء ذلك كله نصف ثالث لوردة بيضاء بستة فصوص ، فى وسطها حبيبات حمراء ، كما يخرج من الطرف الأسفل لهذه الزهرة، فرع نباتى ينتهى فى وسط البلاطة بزهرة رمان محورة، بلب أخضر وأوراق بيضاء وحبيبات حمراء ، ثم يمتد من نهايتها فرع آخر ، بوسطه زهرة محورة عن

كف السبع ، وينتهى فى أعلى الجانب المقابل من المستطيل ، ليبدأ فى تكوين عنصر زخرفى آخر بأعلى الضلع المقابل من البلاطة المجاورة ، هو فى الحقيقة الفرع الأول من هذه البلاطة .

والفرع الثالث يخرج من أسفل هذا الضلع ، وبه ورقة رمحية مسننة من جانب واحد ، بلونين يتقاسمان الورقة ، أحدهما أحمر والآخر أبيض ، وتلتف على هيئة نصف دائرة ، تحيط بالنصف الظاهر من الزهرة الرئيسية فى هذا المستطيل .

ويمتد الفرع إلى وسط الدائرة فيخرج منه زهرة محورة عن كف السبع، ثم يتجه نحو النصف الأعلى من المستطيل بورقة رمحية وزهرة كف السبع ،ثم ينحنى نحو الوسط ، فيخرج منه ورقة رمحية مسننة من الجانبين ، تتجه على شكل نصف دائرة فى اتجاه معاكس لانحناء الورقة التى ظهرت فى البداية من أول هذا الفرع . أما الفرع الأساسى فينتهى بالقرب من الضلع المقابل للبلاطة ، حيث يتكون النصف الأول من الزهرة الكبيرة ، التى ظهرت فى الوسط الأول من الضلع المقابل أى الفرع الثانى (الشكل رقم ٦٢) .

ومن هذا يتبين اتصال الفروع المذكورة بمكملاتها فى البلاطة الثانية وفق الترتيب التالى :

١ ـ ٣

٢ ـ ١

٣ ـ ٢

هذا عن التكوين الزخرفى لهذا النوع من البلاطات ، ومن الملاحظ وجود نماذج كثيرة للبلاطات المذكورة فى الجزء الخاص بمصلى النساء، بجامع السلطان أحمد الأول ١٠٢٧هـ/ ١٦١٧م باستانبول. وجميع بلاطاته من إنتاج مدينة أزنيك [١] ، وفى بعضها يكون هذا الإطار جزءا من بلاطة كاملة. (لوحة

---

(١) انظر أعلاه ص ٢١١ حاشية رقم ٣ .

رقم ٦٤) إلا أن اللوحة رقم (٦٣) هى أقرب الأنواع المذكورة إلى النوع المستخدم فى الحرم النبوى الشريف .

النوع الخامس :

مربع الشكل تقريبا ١٢ × ١٢ سم، وتظهر آثار القدم على ما تبقى منه فى أجزاء متفرقة من جدار القبلة، ويظهر منه فى الوقت الحاضر خمس بلاطات متجاورة فى شكل شبه مستطيل، على يمين باب منارة باب السلام، بالجزء السفلى من عتب باب السلام حول خزانة صغيرة ، وكذلك ست بلاطات داخل مستطيل رأسى ، محفوف بإطار من بلاطات النوع الرابع ، فى الجانب المقابل من العتب الخارجى لباب السلام ومثلها على يساره ، ومن هذا النوع أيضا ست عشرة بلاطة فى شكل مستطيل ، داخل إطار بأعلى الجانب الأيمن من المحراب العثمانى . وعدد آخر من البلاطات بأعلى الجدار الشرقى ، داخل عقد القبة الواقعة فوق باب جبريل من الداخل .

وقوام الزخرفة فى كل منها وردة مرسومة بلون أزرق ، على أرضية بيضاء يخرج من أعلاها فرعان نباتيان ينحنيان فى اتجاه معاكس نحو جانبى الوردة . ومن أسفلها مثل ذلك مما يشكل مع البلاطات المجاورة فروع نباتية متداخلة (لوحة رقم٣٧) . وليس فى هذا النوع فن أو دقة صنعة ، مما يؤيد قدمها الذى لم أتمكن من العثور على شبيه له فى آثار أخرى سواء فى تركيا أو سوريا أو مصر . وتتماثل زخارف هذا النوع من البلاطات ، مع بعض الرسوم المائية التى تحلى الجزء العلوى من جدار القبلة ، وبعض الأشرطة العلوية فى مدخل باب السلام العقود الملاصقة للجدار الشرقى ، مما يوحى بأنها تقليد لهذا النوع المتميز بسهولة الرسم وقلة الألوان ، وهى طريقة استخدمها العثمانيون فى زخرفة الجدران عند عدم توفر الخزف المطلوب [١] نتيجة غلاء ثمنه أو صعوبة نقله .

---

(١) هدايت على تيمور : المرجع السابق ، ص ١٠٠

النوع السادس :

وتتراوح ألوانه بين الأزرق والأخضر الزرعى ، بألوان متداخلة نتيجة تزحزحها عن مواضعها الأصلية أثناء عملية الحرق [1] ، مما أدى إلى اختفاء الأرضية البيضاء أثر تسرب بعض الألوان إليها ، وصعوبة التعرف على عناصرها الزخرفية . وانعدام الأمثلة المشابهة له فى الخزف المؤرخ ، وينحصر هذا النوع فى أجزاء قليلة من رواق القبلة ، فقد كسى به جزء من الجدار الشرقى لرواق القبلة ، داخل العقد المجاور للجانب الشمالى من المنارة الرئيسية ، كما يظهر داخل العقود المحيطة بالحجرة الشريفة من جميع الجهات ، وكذلك فى الأجزاء الخارجية من أكتاف الحجرة الشريفة ، مما يلى الروضة المطهرة والجدار الشرقى .

ونظرا لظهوره فى المواجهة الشريفة محيطا بطغراء السلطان محمود الثانى ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م ، فإن الأمر يتأكد بنسبته إلى خزف الشام ، بناء على ما صرح به أيوب صبرى من استخدام الخزف الشامى عند تجديد قبة الحجرة الشريفة سنة ١٢٣٣هـ فى عهد السلطان المذكور [2] . ويتأكد ذلك بعدم عثورى فى المساجد التى زرتها أو المصادر التى اطلعت عليها ، على ما يماثله من الخزف العثمانى .

وقد ميزت من هذا النوع بين ثلاثة نماذج متشابهة ، فى عدم ثبوت الألوان وتداخلها ، وفيما يلى وصف لأهم عناصرها الزخرفية .

النموذج الأول :

مربع الشكل ٢٠ × ٢٠ سم تقريبا ، ومن الصعب جدا التعرف على جميع عناصره الزخرفية . لبعدها من جهة وتداخل ألوان فروعها وأوراقها الكثيرة من جهة ثانية ، إلا أن بوسط ضلعه الأسفل شكلا كأسيا بلون أزرق ، يبرز من وسطه شكل وردة كبيرة بأوراق زرقاء قاتمة ولب أخضر . كما يبرز من طرف الكأس فرعان يلتقيان مع الفروع البارزة من أركان البلاطة ، وينتهى أوسطها بشكل وردة تقترب

---

(١) سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٦٢

من نهاية الضلع الأعلى للبلاطة ، ويحيط بها بقية الفروع المتداخلة ، كما يتضح من تتبعى لبعض التفاصيل (الشكل رقم ١٦) :

والنموذج الثانى :

مستطيل الشكل ١٥ × ٢٠ سم تقريبا ، وزخارفه بسيطة جدا . قوامها شكل هندسى مرسوم بخط أخضر زرعى ، على أرضية بيضاء داكنة تتوسطها نقطة زرقاء يتفرع منها أربعة سيقان فى اتجاه معاكس ، وينتهى كل واحد منها بشكل زهرة محورة عن زهرة اللاله (السوسن ، شقائق النعمان) ، ويحيط بالشكل الهندسى من الجانبين أوراق نباتية وزهور صغيرة من المتعذر تبين بعض تفاصيلها . إلا أن من الملاحظ خروج ساقين نباتيين بلون أزرق ، من أحد الضلعين الكبيرين من كل بلاطة ، وانتهاء كل واحدة منهما فى ركن الضلع المقابل ، بثلاث ورقات كبيرة تتقابل اثنتان منهما فى وسط الضلع المذكور من كل بلاطة (الشكل رقم ١٧) .

أما النموذج الثالث :

فلم أجد منه إلا بضع بلاطات بأعلى المواجهة الشريفة ٢٠ × ٢٠ سم تقريبا . وتتميز عناصره الزخرفية بالتنويع والوضوح . فإن زخارف كل بلاطة تظهر مستقلة بذاتها ، كما يمكن أن تشكل منظرا مترابطا مع البلاطات المجاورة لها من جميع الجهات . وتظهر فيه زهرة اللاله (السوسن ، شقائق النعمان) ، وكذلك زهرة القرنفل التى تتكرر أربع مرات ، فى كل بلاطة بلون أزرق غامق ، على عكس ألوانها المشهورة (الأحمر الطماطمى) فى بلاطات الخزف العثمانى ؛ من إنتاج الجزء الثانى من القرن السادس عشر الميلادى[1] .

أما زهرة الرمان والورقة الرمحية المسننة من جانب واحد ، فتظهر محيطة بكل بلاطة من الجانبين (لوحة رقم ٦٣) . وألوانها مماثلة للون السائد فى جميع زخارف البلاطة .

---

(١) سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

النوع السابع :

وبلاطاته مستطيلة الشكل ١٠ × ١٥ سم تقريبا ، وينحصر وجوده فى جدار القبلة فى عدد من البلاطات بأعلى الجانب الأيمن من المحراب العثمانى ، فقد ظهر فى هذا الموضع كإطار لعدد من بلاطات النوع الخامس[1] مكونا من تجميعاته المؤلفة من أربع بلاطات ، شكلا للزخرفة المعروفة بجلدة المصحف بلون أخضر غامق (الشكل الرقم ١٩).

كما تظهر أعداد أخرى من هذا النوع ، كإطار لعدد من بلاطات النوع الخامس الموضوعة داخل العقد الواقع فوق مدخل باب جبريل عليه السلام . ونظرا لظهور القسم الأول منها بالجانب الأيمن من المحراب العثمانى ، المؤكد عدم تعرضه لأعمال الهدم والبناء فى العمارة المجيدية ، سوى ما جاء من إعادة زخارفه على ما كانت عليه قبل العمارة المذكورة[2]. فإن الأمر يتأكد بنسبته إلى أحد الأعمال السابقة لعهد السلطان عبد المجيد ، لا سيما أعمال السلطان محمود الأول سنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م، أو أعمال السلطان عبد الحميد الأول سنة ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م [3] .

ويتأكد ذلك بقلتها من جهة ، وخلوها من الزهور المعروفة فى البلاطات العثمانية المشهورة من جهة ثانية ، مما يدعو إلى الاحتمال بأن تكون من خزف الشام أو مصر .

النوع الثامن :

ويتألف من قطعتين من البلاط فى شكل ثلاثى، اقتصر استخدامها على موضعين صغيرين من أعلى الجدار الشمالى للمنارة الرئيسية، داخل المثلثين المحيطين بالشباك الدائرى (الشكل رقم ٢٠) . وتنحصر زخارفهما فى ثلاثة فروع نباتية تخرج من زوايا المثلثين، بعدة أوراق ذات تأثير باروكى، بلون أزرق على أرضية

---

(١) انظر أعلاه ص ٢٢٠ .

(٢) انظر أعلاه ص ١٢٩ ، وانظر البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٣) انظر أعلاه تاريخ الأعمال المعمارية ، ص ٦٦

بيضاء صافية ، فتحيط بالوردة الظاهرة فى وسط المثلث من جميع الجهات، وتتمشى زخارفها مع أشكال المصبعات المعدنية ، الموضوعة داخل الشبابيك المماثلة فى الجدار الشرقى من رواق القبلة .

ولا يعرف على وجه التأكيد ما إذا كانت البلاطات المذكورة قد وضعت فى عهد السلطان عبد المجيد ، أم أن ذلك تم عند تعرض المنارة الرئيسية لبعض أعمال الترميم ، فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م [١].

ب : الزخارف النباتية على الرخام :

تعود الزخارف النباتية المحفورة فى الرخام، إلى عهد سابق لعمارة السلطان عبد المجيد ، ولذا فإن بها من الأصالة والإبداع ما يميزها عن الزخارف المحدثة فى عهد السلطان عبد المجيد .

وتنحصر فى بعض الأجزاء الجانبية من المنبر المهدى من قبل السلطان مراد الثالث سنة ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م، وفى أجزاء محدودة من بعض الإسطوانات الملبسة بالرخام ، فى وسط الروضة الشريفة ومقدمها وما يحيط بجدران الحجرة منها ، والموضوعة فى عهد السلطان سليم الثالث سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١م .

فأما زخارف المنبر ، فتعد أدق وأحسن الزخارف المستخدمة فى المسجد النبوى الشريف على الإطلاق ، وهى منحوتة بالحفر الغائر والمفرغ على أجزاء مختلفة من المنبر ، وبخاصة فى أجزاء المثلث الواقع تحت درج المنبر ، وفى كوشات العقود الواقعة فى المدخل ، وتحت جلسة الإمام وعقود مظلته .

وقوام الزخرفة فروع نباتية وأوراق متداخلة ، على هيئة الطراز المعروف بالأرابيسك المتطور أو الرومى (الشكل رقم ٧)، والمستخدم بكثرة فى الزخارف الرخامية داخل عقود بعض شبابيك الجامع الأخضر ببروسة سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م (الشكل رقم ٦)[٢]. كما يميل بعضها إلى محاكاة الطبيعة، لا سيما ما يقع

---

(١) انظر أعلاه ص ١٤١ .

(٢) Yildiz Deminiz: Osmanli Mimarisi'nde 1 Erken Devin (1300 - 1453) (Istanbul 1979) p. 98 , 343 , 384 .

بجانبى العقدين الجانبيين من المنبر الشريف (الشكل رقم ٥)، إذ يحتوى كل من العقدين المذكورين على وردتين متقابلتين .

أما الأزهار المحفورة على بعض الأجزاء من الرخام الملبس بالجزء السفلى من بعض إسطوانات الروضة ، وما جاورها من مقدم المسجد الشريف. فتخرج من مزهريات بأوراق وسيقان مستقيمة (الشكل رقم ٤٨) بالإضافة إلى ظهور وردتين من كل جانب أحداهما فى بداية التكوين، والأخرى مزهرة، وذلك بلون مذهب على أرضية خضراء. وقد حرص النقاش على أن تتقابل كل وردتين متماثلتين من ورود المزهريات المتجاورة ، ولا يعرف على وجه التأكيد السبب فى اقتصار نقش المزهريات المذكورة على بعض الأعمدة دون البعض الآخر ، فإن ذلك ليس عاما فى جميع الأعمدة الملبسة بالرخام ، إلا أنها تكثر بشكل ملحوظ فى أعمدة قبة المحراب العثمانى وأعمدة الحجرة الشريفة ، وقد تأكد لى استخدام اللون الفضى فى رسم بعض المزهريات ، فى أجزاء مختلفة من الأعمدة الواقعة على يسار مستقبل المحراب العثمانى وأن ذلك تقليد لما نقش فى الأعمدة الواقعة على يمين المحراب ، وأن الإسطوانات التسع المقرونة تحت قبة المحراب العثمانى من اليسار ، لم ينقش عليها إلا حوالى خمس مزهريات ، وأما الباقى فمرسوم باللون الذهبى .

أما الإسطوانات الثلاث ، وكذلك التسع المقرونة والواقعة يمين المحراب العثمانى، فنقش المزهريات بارز فيها . ومن المعروف أن قطع الرخام المذكورة، مما وضع على إسطوانات الروضة المطهرة فى عهد السلطان سليم الثالث[1] وأن المرخمين فى عمارة السلطان عبد المجيد أعادوا ما تبقى منها بعناية فائقة[2] .

ومما يميز الألواح المضافة فى عمارة السلطان عبد المجيد ، ما يتضح من عدم الدقة فى رسم المزهريات السابقة . وظهورها فى بعض القطع الرخامية من الإسطوانة الواحدة دون البعض الآخر ، وعدم تعميمها فى جميع الإسطوانات الملبسة بالرخام المذكور، بالإضافة إلى ظهورها بأعلى بعض الإسطوانات وفى البعض الآخر بأسفلها .

---

(١) انظر أعلاه ص ٧٢ وما بعدها .

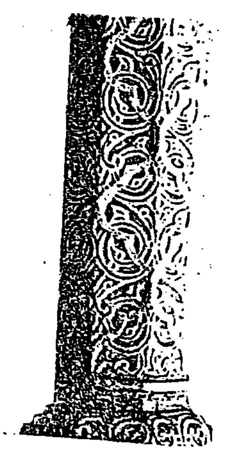
(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٠ .

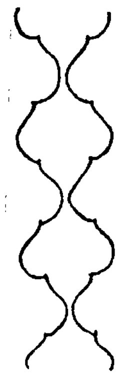
وقد دعت الضرورة فى عمارة السلطان عبد المجيد ، إلى إضافة بعض ألواح الرخام ، لاختلاف سماكة الأعمدة الحالية عن الأعمدة المستخدمة فى رواق القبلة من قبل[(١)] . كما أدى تعرض بعض القطع الرخامية للتلف ، أثناء تغيير الأعمدة القديمة إلى بقاء بعض أعمدة الروضة دون ترخيم[(٢)] .

أما الزخارف النباتية على أعمدة المكبرية وأطرافها الخارجية ، فتتمثل فى مجملها حقبتين من الزمن :

أحداهما مملوكية الطراز ، وتظهر فى الوقت الحاضر مرسومة فوق عمود رخامى مثمن بتاج ناقوسى ، ومعظمها زخارف نباتية بارزة تمثل أوراق نباتية متداخلة وفروع تخرج من أشكال القلوب، المرسومة بدقة فى أجزاء متفرقة من بدن العمود . وتشبه الزخارف المذكورة، بعض الزخارف الرخامية فى وكالة الأشرف قايتباى فى القاهرة[(٣)] .

أما بقية الأعمدة وعددها ثمانية ، فمنها خمسة مثمنة ، وثلاثة إسطوانية ، ويختلف رخامها وطريقة زخرفتها عن العمود الأول ، مع أنها مشابهة له فى الطول والسماكة . وقوام الزخرفة فيها أوراق وفروع نباتية بأشكال حلزونية داخل أشكال هندسية على النحو التالى :





(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٠٦ ، ٨٠٨ .

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٣) Jean Claude : Palais et Maisons du Caire (I Epoque Mamelouke) Paris 1982 . p. 135 , fig 103 .

أما أطراف المكبرية فبها تكوين آخر من الزخارف النباتية ، المرسومة بالحفر البارز خارج وداخل أشكال هندسية قريبة من الشكل السابق[١] . ويمكن إرجاع الزخارف المذكورة إلى عهد السلطان مراد الثالث ، بناء على عدة احتمالات ذكرتها من قبل[٢] . إلا أنها تعرضت أثناء العمارة المجيدية إلى التجديد ، حتى خلت بعض جوانبها من الزخرفة ، مما يدل على أنها مغايرة للأصل المنقوش فى عهد السلطان مراد الثالث .

أما ما يمكن إرجاعه من الرخام المزخرف بالفروع النباتية إلى عهد السلطان عبد المجيد ، فيظهر بأعلى المحراب العثمانى ، داخل أربعة ألواح من الرخام ، بكل منها جزء من آية شريفة[٣] ، والزخرفة فيها متشابهة فقوامها فروع وأوراق نباتية محورة ، عليها مسحة من التأثير الباروكى (لوحة رقم ٢٧) . كما فى بقية الزخارف المحدثة فى العمارة المجيدية ، وكذلك التعشيقات المنحوتة من الرخام على هيئة أوراق نباتية (الشكل رقم ٢٤٥) .

جـ : الزخارف النباتية على الحجر :

ينتشر هذا النوع من الزخرفة فى أنحاء متفرقة من الرواق القبلى، فيظهر محيطا بوسط أعمدة الروضة فوق السفل الرخامى ، على شكل أوراق الاكنتس المقوسة من أعلاها ، أو على هيئة كف الإنسان المضمومة كما يقول البرزنجى[٤] . وهى فى الواقع قريبة من الاثنين ، وطول كل منها حوالى ١٥ سم تقريبا ، وعددها فى الأعمدة المقرونة تحت قبة المحراب العثمانى ، ٣٢ فى الحجم الكبير ، ٣٠ فى الحجم الصغير، أما بقية الأعمدة فى مقدم المسجد ، وبعض جوانب الحجرة والروضة الشريفة فبكل منها ٢٥ ورقة على هيئة طوق يحيط بالإسطوانات من

---

(١) انظر الشكل رقم ٨ .

(٢) انظر فصل الأعمال المعمارية ص ٤٢ .

(٣) انظر فصل الكتابات ص ٢٦٣

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٤ .

جميع الجهات ، وكل ذلك بلون مذهب جميل (لوحة ١٢) .

أما الأشكال النباتية البارزة بالجزء السفلى من إسطوانات مؤخرة الروضة وطرفها الغربى، والتى قصرت عنها التكسية الرخامية ، فبكل منها أربع زهرات بستة فصوص ، محاطة بثمان ورقات مقوسة من أعلاها ، على هيئة ما يرى فى الشكل رقم (٤٨) .

وذلك داخل خطوط مستقيمة بارزة ، وأربعة مستطيلات خالية من الزخرفة. تبرز بعض الشيء عن موضع الزخرفة السابقة ، تبعا لطريقة وضع الرخام السابق على بقية أعمدة الروضة .

ويقرب من ذلك ما يظهر بأسفل التيجان ، المستخدمة فى جميع الأكتاف والأعمدة المتبقية حاليا فى رواق القبلة ، وما كان مشابها لها فى الأروقة المزالة فى التوسعة السعودية . إلا أنها جميعا تتميز عن سابقتها بوجود تسنين فى أطراف الورقة ووسطها ، سواء كانت الورقة متجهة إلى أعلى ، كما فى الأكتاف والتيجان أو منحدرة إلى أسفل ، كما يظهر برؤوس العقود المرتكزة على جدار القبلة (لوحة رقم ٢٢) .

أما الزخارف المحورة بأشكال معقدة ، فتظهر بشكل بارز على أكتاف باب السلام وكوشة عقده ، والأطراف الخارجية لقبلة المدخل التى أنشأها السلطان عبد العزيز (لوحة رقم ٢٣) . وكذلك بأعلى باب الرحمة والمظلة التى تتقدمه (لوحة رقم ٢٩) ،وأطراف اللوحة الموضوعة وسط الشرافات المطلة من رواق القبلة على صحن المسجد[1] (لوحة رقم ٢٤) وقريبا من ذلك عتبة باب المنارة الرئيسية، وكذلك الوجه الداخلى لعتب الشباك الواقع فى جدار القبلة أمام المواجهة الشريفة، ومثل ذلك ما يعلو العتب الخارجى للشباك المحدث فى موضع باب النبى ﷺ بالجدار الشرقى (الشكل رقم ٤٧) . وكل ذلك بحفر بارز فوق قطع من الحجر الأحمر لفروع ملتوية ، على هيئة المحارة وأوراق مسننة وزهور متفتحة وأخرى متداخلة ، بما يشبه أكليل الغار ، وسهام مربوطة ومتفرقة ، ولقد تجلى فى هذا

---

(١) عن سبب أحداث هذه اللوحة وتاريخها . انظر أعلاه ص ١٣٣ وما بعدها .

النوع من الزخرفة تأثير قوى لفن الباروك العثمانى ، الذى امتد من أوربا إلى تركيا فى عهد السلطان أحمد الثالث المتوفى سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م وصار من سمات الفن فى عهده[١].

وبإمعان النظر فى زخارف المواضع المذكورة ، يتبين أن ما يعلو مدخل المنارة الرئيسية أشد تحويرا من بقية الزخارف المحفورة على الحجر . فقد أحاطت تلك الزخرفة بمستطيل كبير يقدر بحوالى ٥٠ × ١٢٠ سم تقريبا ، أعد لكتابة اختفت فى الوقت الحاضر تحت طبقة سميكة من الطلاء الأخضر[٢]، وبناء على وجود الطغراء السلطانية لعبد الحميد الثانى مع نص مؤرخ سنة ١٣٠٧هـ، على جدار المنارة الرئيسية فى موضعين قريبين من هذه الزخرفة ، يمكن إرجاعها إلى عهده ، لا سيما وأن الزخرفة المحيطة بالطغراء نفسها مشابهة لها تماما .

وليس من تفسير لاختلاف الزخرفة المذكورة ، عن مثيلاتها من الزخارف النباتية المحفورة على الحجر ، إلا تأخرها عنها بحوالى ثلاثين عاما ، كان فيها فن الباروك العثمانى على وشك الذبول والانتهاء[٣].

د : الزخارف النباتية بالألوان المائية : (الفرسكو)

ويكثر هذا النوع فى الأجزاء العلوية من جدار القبلة ، وبعض من الجدار الشرقى الممتد من المنارة الرئيسية إلى باب جبريل وباب النساء . وتتسم الزخرفة المذكورة فى هذين الجدارين بتقليد النوع الأول والرابع والخامس[٤]، من البلاطات الخزفية المستخدمة فى تكسية بعض الأشرطة والمستطيلات من جدار القبلة ، مما يجعل الأمر قابلا لاحتمالات عدة منها :

---

(١) Ameven Celal Esad : Sanat Ansik Lopedisi cilt : 1(Istanbul 1966) p. 176 .
Goodwin : op. cit., p. 381 , Michael levey : The World of othaman art (London 1976) p. 116 .

(٢) يحتمل أن يكون قد كتب فيها ما يخالف العقيدة من الأحاديث الموضوعة أو المدائح المبالغة .

(٣) Goodwin : op. cit., p. 427 , Michael levey : op. cit., p. 117 .

(٤) انظر أعلاه ، ص ٢١٨ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

(١) أن تكون قد كسيت بأنواع من البلاطات التى أعيد رسمها باللون المائى ، أما قبل عمارة السلطان عبد المجيد أو بعدها ، لا سيما وأن هناك بقايا من البلاطات المذكورة ، فى أجزاء متفرقة من المساحات التى شملتها الرسومات المائية . وتبدو على بعضها آثار التلف من جراء الحرارة الشديدة ، والرطوبة العالية التى لاحظها أيوب صبرى أثناء زيارته للمسجد النبوى الشريف[١] .

(٢) أما الاحتمال بنقش الزخرفة المائية أثناء عمارة السلطان عبد المجيد ، فمبنى على لجوء العثمانيين إلى هذه الطريقة بوصفها بديلا رخيصا للبلاطات الخزفية[٢] . لا سيما وأن مصانع الخزف فى مدينة أزنيك ، كانت قد أغلقت أبوابها فى نهاية القرن السابع عشر الميلادى[٣] ، وإذا كان لهذا الاحتمال نصيب من الصحة ، فيمكن أن يكون فقط فى المساحات الكبيرة التى غطاها الرسم المشابه للنوع الخامس من البلاطات المذكورة ، لاحتياجها إلى أعداد كبيرة من البلاطات التى قد يصعب توفرها .

أما الزخارف المرسومة من الداخل ، بمعظم القباب الموجودة حاليا برواق القبلة، فتظهر داخل أشكال المعينات الناتجة عن تقسيم القبة إلى أعداد مختلفة، تتقابل أضلاعها الصغيرة حول عدد من الدوائر المحيطة بصرة القبة . وتتفاوت هذه الأشكال من قبة لأخرى ، فى القباب الصغيرة ثمانية أشكال فقط ،وفى المتوسطة اثنا عشر شكلا وفى بعض القباب البرميلية ستة عشر شكلا (لوحة رقم ٢٠) .

وعناصرها الزخرفية متماثلة فى جميع أشكال القبة الواحدة ، بل يمكن أن تتشابه فى قبتين أو أكثر ، وتتألف من مجموعة من الستائر والورود والأزهار[٤] والفروع النباتية المتداخلة بأشكال مختلفة ، والسلال المملوءة بأنواع مختلفة من

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص ٧١٩ .

(٢) هدايت على تيمور : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٣) عبد العزيز محمود الأعرج : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٤) الأنصارى : المرجع السابق ، ص ٩٣ . وانظر حسن الباشا : الحرم النبوى فى عهد العثمانيين ص ١٩٧ .

الفاكهة ، بل أن من القباب ما حوى داخل أشكال المعينات، مناظر طبيعية لسواحل وجبال وأودية وبساتين وأشجار ونخيل وسرو (لوحة رقم ٢٠) . وليس هذا عاما فى جميع القباب الموجودة حاليا برواق القبلة ، فهناك مجموعة كبيرة خلت من المعينات المذكورة، وتمتد من باب الرحمة حتى دكة الأغوات فى صفين متوازيين، وعددها حوالى خمسة وعشرين قبة، تتماثل الزخرفة فيها جميعا. وتحوى أوراقا نباتية ودوائر متعددة وأكاليل من الأزهار المتشابكة المحيطة بصرة القبة ثم مجموعة أخرى من الأوراق والأزهار المحيطة بأطراف القبة ، فى أربعة أشرطة متوازية. ومن وراء ذلك كله شريط أسود محلى بالكتابات المنقوشة بالدهان الأبيض [١].

أما المثلثات الكروية فى هذا النوع من القباب فقد زخرفت بعنصر موحد يتكرر بانتظام، ويتألف من أوراق بفروع ملتوية يبدو عليها مسحة خفيفة من التأثير الباروكى (شكل رقم ٤٦) . ومن الجدير بالذكر أن هاتين البلاطتين مما عمر قبل سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، بإشراف المهندس عمر جمال الدين ومحمد راشد أفندى ، وربما كان توحيد الزخرفة فى قبابها المتعددة علامة فارقة، للزيادة التى أضافها السلطان عبد المجيد فى رواق القبلة مما يلى صحن المسجد[٢].

ومعظم قباب رواق القبلة محلاة بزخارف مماثلة لما سبق، إلا قبة المحراب العثمانى وبعض القباب التى حالت رقابها الطويلة (ذوات الطمبور)، دون رسم الزخارف المذكورة على جوانبها الداخلية أو فى حناياها الركنية ، كما أن جميع القباب التى زالت فى التوسعة السعودية ، كانت مزخرفة بأنواع قريبة من زخارف قباب رواق القبلة ، إلا الكتابات التى تميز بها رواق القبلة دون بقية الأروقة[٣].

ومما يلفت النظر ما ذكرته بعض المصادر من أن زخرفة القباب كانت تتم فور الانتهاء من بنائها ، مما يجعل إعداد الشريط المخصص لما دون بها من الكتابات بعد انتهاء العمارة ، مزامنا لرسم الزخرفة المذكورة . مما يؤيد القول بأن الزخارف

---

(١) انظر فصل الكتابات ص ٢٦٥ وما بعدها .

(٢) انظر تاريخ الأعمال المعمارية ص ١١٨ وما بعدها

(٣) إبراهيم رفعت ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٦٨ .

المذكورة أعدت ورتبت فى مواضعها قبل الشروع فى تنفيذها . ومما يجدر ذكره استخدام سلال الفاكهة والأزهار ، بكثرة فى عهد السلطان أحمد الثالث ١١١٥ - ١١٤٣هـ/ ١٧٠٣ - ١٧٣٠م، فى سقوف المنازل وجدرانها كما فى سبيل طوبقى المنشأ فى عهد السلطان المذكور[١] . ثم توسع العثمانيون بعد ذلك فى استخدامها فظهرت فى قباب جامع دلة باشا بمدينة إستانبول، وسقوف القصر المنشأ بجواره فى عهد السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م[٢] . كما استخدمت فى مبانى الولايات العثمانية ، فظهرت فى قباب جامع محمد على المنشأ سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م فى مدينة القاهرة[٣] . وعلى أية حال فقد صار من المألوف فى عمائر العصر العثمانى المتأخر ، رسم المدن الشهيرة والمناظر الطبيعية على القباب أو السقوف الخشبية . بالإضافة إلى الأوانى المملؤة بالفاكهة والأزهار ، محاطة بالآيات الكريمة والأشعار المنتقاة[٤] .

هـ : الزخارف النباتية على الأخشاب والمعادن :

تنحصر الزخرفة النباتية على الخشب فى الأشكال المتوجة للمحرابين النبوى والسليمانى من جميع الجهات ، وكذلك ما يحلى الواجهة الأمامية للهرمين الذين يعلوانهما ، ولعدم عثورى على ما يفيد بأصل المادة التى فرغت عليها هذه الزخرفة ولاستحالة اختبار بعض أجزائها ، فإن الأمر يبقى عرضة لعدة احتمالات حول أصل المادة المذكورة ، هل هى من الرخام أو البرونز أو الخشب أم من الجص؟ إلا أن نسبة الاحتمال الأول والثانى ضعيفة جدا لتعذر تفريغ تلك الأشكال المعقدة على الرخام والبرونز ، فضلا عن صعوبة تثبيتها بالواجهات العليا للمحرابين ، إذ لم أشاهد ما يدعمها من الخلف وهو أمر لابد منه فى مثل هذه الحالة ، فارتفاعها من وسطها يزيد على نصف المتر تقريبا ، وسماكتها تزيد عن أربعة سنتميترات . أما الاحتمال الثالث والرابع فيمكن قبولهما بعد ملاحظتى لانفصال جزء بسيط من

---

(١) Michael Levey : op. cit., p. 114 - 119 .

(٢) Metin Sozen : op. cit., p. 197 . 198 .

(٣) كمال الدين سامح : الموجز السابق ، ص ٢١٦ .

(٤) عبد القادر الريحاوى : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

الزخرفة الموضوعة بأعلى المحراب العثمانى من الغرب، عن الشرفات البارزة بأعلاه. الأمر الذى يؤكد تنفيذ الزخرفة المذكورة بتثبيت الجبس فوق قطع من الخشب الموضوع بعناية .

ومهما يكن الأمر ، فإن الزخرفة وإن كانت مضاعفة بأعلى المحراب النبوى إلا أن العناصر فى كليهما متشابهة تماما ، مما يؤكد إضافتها مع الشكل الهرمى الذى يتوج كلا منهما فى عمارة السلطان عبد المجيد[١] . بالإضافة إلى وضوح التأثير الباروكى فى عناصرهما الزخرفية، التى تبدو متقاربة مع الزخارف المنقوشة على أعتاب باب السلام وباب الرحمة وبعض المواضع الأخرى من المسجد الشريف[٢] . وقوام الزخرفة فى هذا النوع من الحلية أوراق طويلة ومسننة من جانب واحد ، وفروع ملتوية بأشكال حلزونية ، تخرج من ثلاثة أشكال محورة عن قرون الرخاء المستخدمة بكثرة فى الفن الإسلامى منذ نشأته[٣] . ويرتبط القرنان الجانبيان من أسفلهما بطوق يجمعهما مع شكل القرن البارز بينهما بعدة أوراق وزهور، أهمها ورقتان مسننتان على هيئة الجناحين الممتديت نحو الجانب الأيمن والأيسر فى الجزء العلوى من المحراب النبوى والسليمانى . كما يظهر بوسط القرن الأوسط ثلاث زهرات متفتحة بكل منها عشرة فصوص ، وعدة أوراق قصيرة تبرز مسننة ومقوسة من أعلاها .

أما القرنان الجانبيان، فيبرز منهما ورقتان مسننتان من جانب واحد وتمتدان نحو الجانبين على هيئة ما خرج من القرن الأوسط ، كما يخرج من وسط كل منهما أوراق أخرى وفروع متداخلة فى أشكال حلزونية جذابة (لوحة رقم ٢٥) ؛ ومثل ذلك على جانبى المحراب وظهره .

أما ما يحيط بالدائرة الزرقاء ، التى تلامس أضلاع الهرمين المبنيين على هيئة مثلث متساوى الأضلاع مما يلى وجهيهما فإن زخارفهما متشابهة إلى حد كبير

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ص ٤١ ، ٤٤ .

(٢) انظر الزخارف النباتية على الحجر ص ٢٢٧ .

(٣) Creswell. K. A. C. : Early Muslim Architecture vol 11 (New York 1979) p. 130 .

وهما فى الواقع أوراق من نوع الزخرفة الأولى، وأفرع ملتوية تتجه إلى أعلى الهرم بلون مذهب على أرضية حمراء، وفى نهاية كل فرع شكل محور لزهرة اللاله (السوسن شقائق النعمان)، وتبدو الزخرفة المذكورة بارزة مما يقوى الاحتمال بكونها من الخشب المثبت على واجهة كل من الهرمين المذكورين .

هذا من حيث الزخرفة النباتية المرجح صنعها من الجبس المثبت فوق الخشب . أما المعادن فلم تظهر الزخرفة النباتية عليها ، إلا فى إطار ضيق تمثل بوضوح فى الزخارف المحيطة بالدائرة ، التى تتوج أعلى المداخل الأربعة الواقعة عن يمين ويسار المحرابين النبوى والسليمانى . وهى من البرونز المخرم وقوام الزخرفة فيها أوراق مسننة وفروع ملتوية تحيط بمعظم الدوائر المذكورة (لوحة رقم ٤٥) .

أما ما يحلى التحف المهداة إلى المسجد النبوى ، فنماذج متعددة من الزخارف النباتية المحورة ، التى كان أهمها النخلتان المصنوعتان من مادة البرونز والموضوعتان فى أواخر العصر العثمانى بجانبى المنبر ، « ولكل منهما جذر وجذع وساق وغصون وهما ذواتا أكمام مشمرة ، أكمامها المصابيح الزجاجية الملونة ، وثمرها قطع البلور الأبيض الصافى الشفيف »[١] (لوحة رقم ٤٠).

ولم أجد للحديد استخداما إلا فى بعض النوافذ الدائرية بأعلى الجدار الشرقى ، وتظهر الزخرفة النباتية بوجه الجدار وخارجه، ويتحد شكلها فى جميع النوافذ. فقد صنعت من الحديد على هيئة الأوراق النباتية بلون أخضر ، يظهر بالتبادل مع عناصر نباتية أخرى على هيئة الأوراق الكأسية ، وتبرز جميعا من أطراف الدائرة التى تتوسط الفتحة الرئيسية المنقوش بها بعض أسماء الملائكة رضوان الله عليهم[٢] (لوحة رقم ٤٧) أما أطرافها المثلثة فبكل منها ثلاث ورقات متقابلة .

وقد استعيض عن الزخرفة المألوفة فى الأبواب الرئيسية فى الرواق القبلى، بقطع كثيرة من المشغولات البرونزية المختلفة الأحجام والأشكال ، ولعل ذلك جاء تقليدا لما تبقى من أبواب المسجد فى العصر المملوكى ، حيث أفادت بعض المصادر بنقل

---

(١) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ١٠٢

(٢) انظر فصل الكتابات ص ٢٨٣

المصراعين اللذين كانا على باب السلام ، من بقايا عمارة الأشرف قايتباى أثناء العمارة المجيدية إلى باب التوسل - المحدث فى عهد السلطان عبد المجيد فى مؤخرة المسجد - وهما (من الخشب الثمين المغطى بالقطع النحاسية المنقوشة أو المكتوبة)[1] . وتتقارب عناصر الزخرفة فى الأبواب المتبقية حاليا برواق القبلة إلى حد ما . بيد أن كلا منها ينفرد بتركيبة لا تتكرر فى غيره من الأبواب ، وقد أفردت لكل منها وصفا مستقلا ليسهل تتبع عناصره الزخرفية وذلك على النحو التالى :

١ - باب جبريل :

وتتألف عناصره الزخرفية الرئيسية المنقوشة بقطع برونزية مثبتة على مصراعيه من وردة صغيرة ، يخرج من أحد جوانبها ورقتان مجنحتان ، يبرز من وسطهما سنبلة بسبعة براعم ، وفى الجانب المقابل زخرفة مماثلة ، وينتج من هذا أربع ورقات مجنحة بينهما سنبلتان متدابرتان ، كما فى الشكل التالى :



ويتكرر هذا الشكل فى اثنى عشر موضعا من المصراع الواحد، كإطار يحيط بها من جميع الجهات ، وجميعها متشابهة تماما . غير أن الشكل الذى وضع بأسفل المصراع وأعلاه يتميز بأربع ورقات طويلة ، اثنتان منهما فوق الشكل السابق واثنتان تحته . وقد وضعت مطرقة الباب وسط الزخرفة الخامسة، التى تحلى إحدى الأضلاع الطويلة فى كل مصراع . كما قسم كل مصراع بثلاثة أشرطة عريضة من البرونز إلى أربعة أقسام ، اتسم الأعلى والأسفل منها بالاستطالة ، أما القسمان الأوسطان فأقرب إلى التربيع ، كما تميزا عن المستطيلين السابقين بزخرفة نباتية تحيط بأطرافهما على شكل دائرة ، وتتألف من فرعين نباتيين ، بكل منهما عدة

---

(١) البتنونى : الرحلة الحجازية ص ٢٤٤ وانظر أيضا :

Burton : op. cit., vol 2, p. 332 .

أوراق متماثلة ، ويخرجان فى اتجاه مضاد من أعلى المربع . ويتقابلان فى وسطى الضلعين الجانبيين ، مع ما يماثلهما من الفرعين البارزين من وسط الضلع الأسفل، كما فى الشكل التالى :

ويتميز المربع الأسفل بمثلث متساوى الأضلاع، يبرز من وسطه وردة بستة فصوص، وخارج كل ضلع من أضلاعه وردتان : أحداهما نجمية والأخرى عادية . كما يظهر بأعلى المربع المذكور فى كلا المصراعين، كتابة تأسيسية مؤرخة سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م[1] ، بحروف من نفس المعدن الذى زخرف به الباب ، أما الجزء الذى يعلو سماعة الباب فمكتوب داخل الأكليل الذى يتوسطه جزء من آية شريفة بحروف من البرونز . تتكرر أيضا فى المصراع الآخر من باب جبريل .

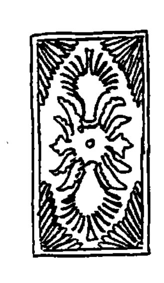
٣ ـ باب النساء :

ويمتاز عن باب جبريل بكثرة الزخارف النباتية التى تبدو للوهلة الأولى وحدة متجانسة ، تجلت فيها المهارة والدقة الفائقة ، إلا أنها فى واقع الأمر مؤلفة من عناصر متكررة فى كل من المصراعين ، كما أنها متماثلة تماما مما يسهل إبراز العناصر المشتركة بينهما ، فقد أحيط كل مصراع بأربعة فروع نباتية يخرج كل اثنتين منهما من أشكال كاسية ، أحدهما بأعلى الباب والآخر بأسفله ، وتلتقى فى منتصفه على مستوى سماعة الباب ، ويظهر بجميع الفروع المذكورة أوراق نباتية متماثلة تلتف فى اتجاه معاكس من الجانبين ، على هيئة المحارة كما فى الشكل التالى :

---

(١) انظر فصل الكتابات ، ص ٢٧٩ .

أما وسط المصراع فبالجزء العلوى منه مستطيل مزخرف من أركانه الداخلية بما يشبه سعف النخل كما فى الشكل التالى :



كما يتوسط المصراع مساحة بيضاوية عليها كتابة بالحروف البرونزية المفرغة ، تشتمل على بعض الأدعية المأثورة[١] ، كما أن مطرقة الباب التى تقع فى مستواها أعدت على هيئة مزهرية جميلة بوسطها كتابات مشابهة لما سبق ذكره[٢] .

وبالجزء السفلى من مصراع باب النساء مستطيل أكبر من سابقه ، وبداخله أيضا إطار من الأوراق والفروع المتداخلة المحيطة بمستطيل ثالث ، يماثل تماماً زخرفة وتكوين المستطيل العلوى ، إلا أنه أصغر منه ، وقد ثبتت هذه الزخرفة بالمسامير المكوبجة من نفس المعدن على مصراعى باب النساء ، ويبدو عليها التأثير الباروكى الذى استخدم بكثرة فى الرسوم النباتية المختلفة التى تحلى جوانب متعددة من المسجد الشريف .

٣ ـ باب الرحمة :

ينفرد باب الرحمة عن سائر الأبواب المتبقية من العمارة المجيدية بعقد نصف دائرى ، ترتب عليه اعداد مصراعى الباب وزخرفتهما من أعلاهما بشكل دائرى أيضا ، مما ساعد فى تميزه عن بقية الأبواب بمسحة جمالية أخاذة ، ومن الملاحظ وجود إطار ضيق يحيط بكل مصراع من جميع جوانبه، وتتمثل زخارفه فى الفروع والأوراق النباتية المتداخلة (لوحة رقم ٢٩) . كما يتميز كل مصراع بوجود ثلاثة أشكال هندسية ، جاء أسفلها مستطيل الشكل بوسطه زخرفة لزهرة بعدة فصوص،

(١ ، ٢) انظر فصل الكتابات ص ٢٨٢٧ .

يخرج من أطرافها أوراق طويلة قريبة الشبه بما فى المستطيلات التى بباب النساء . وبوسط المصراع مربع ملىء بحروف برونزية لأدعية مأثورة[1] ، ويحيط بها فروع نباتية تبرز من وسط الضلع الأسفل للمربع المذكور .

أما الشكل الهندسى الذى يشغل الجزء الأعلى من الورقة ، فيتوسطه عنصر مماثل تماما لما ذكرته بالمستطيل الأول ؛ كما يتضح من الصورة السابقة . ومن هذا يتبين أن الزخرفة المذكورة متأثرة كسابقتها بالطراز الباروكى المتميز بالخطوط المنحنية والأشكال الحلزونية ، من فروع وأوراق وسيقان وزهور[2] ، بالإضافة إلى تداخل الحروف الكتابية وعدم وضوحها .

٤ ـ باب السلام :

يتجلى أثر فن الباروك العثمانى ، فى التكوين الزخرفى لقطع البرونز المثبتة بإحكام فوق مصراعى باب السلام من الخارج ، فى إطار عام يحيط بأضلاع كل مصراع ، كما تظهر بانتظام داخل الأشكال الهندسية التى تزين واجهة كل منهما. وقد تتبعت أشكالها فوجدتها محصورة فى أربعة نماذج ، تتكرر بانتظام فى كل من المصراعين وأهمها شكل نباتى محور ، يتكون من أربع ورقات متماثلة تخرج كل ثنتين منهما فى تدابر من شكل نباتى محور يتوسطهما ، وتلتف كل ورقتين حول ورقة ثلاثية تخرج من وسط الشكل الذى خرجت منه الأوراق المحورة (الشكل رقم ٥٠) . ويتكرر هذا الشكل سبع مرات فى أطوال أضلاع المصراع الواحد ، كما يظهر منه شكل مماثل فى أعلى المصراع ، وآخر فى أسفله واثنان فى وسطه . أحدهما فوق المستطيل الذى يتوسط المصراع والآخر تحته ؛ ويحيط بكل من الأشكال التى تتوسط المصراع أنصاف غير كاملة من الشكل نفسه . وعلى هذا فعدد الأشكال التى تحيط بالمصراع الواحد ثمانية عشر شكلا، منها أربعة عشر فى الجانبين وأربعة تحيط بالأشكال الهندسية التى تتوسطه .

---

(١) انظر فصل الكتابات ص ٢٧٨ .

(٢) سعاد ماهر : المصدر السابق ، ص ٧٩ ، عبد العزيز مرزوق : المصدر السابق ص ٥٥ .

أما المربعان اللذان يقعان أعلى الدرفة وأسفلها ، فيخرج من ركن كل منهما ثلاثة فروع بأوراق محورة تشبه سعف النخل ، وتظهر مرتبطة من أسفلها بحزام يجمع بين الفروع الثلاثة كما فى الشكل السابق .

كما يظهر بحواف المستطيل الذى يتوسط المربعين السابقين ، أوراق بثلاثة فصوص تتدلى بانتظام نحو الداخل ، لتكون إطارا يحيط بما يظهر بالمستطيل من كتابات[١] .

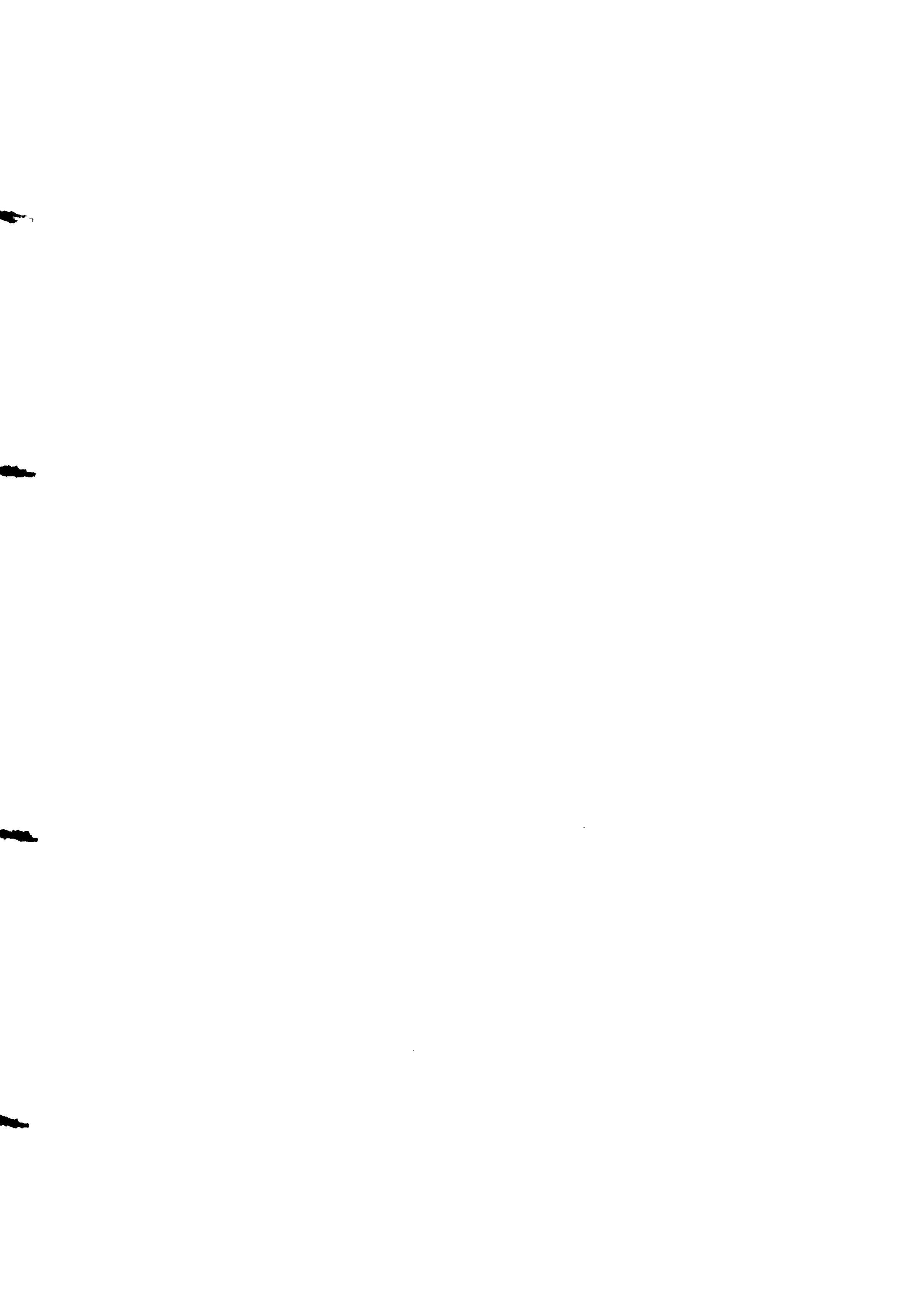
---

(١) انظر فصل الكتابات ص ٢٧٣ .



الفصل الثانى

الكتـــابـــات



الفصل الثاني : الكتابات

يزهو المسجد النبوى الشريف على غيره من المساجد المشهورة فى العصر العثمانى، بما يتميز به جدار القبلة فى الوقت الحاضر من الكتابات المنقوشة بماء الذهب تارة، وبالحفر البارز تارة أخرى. وقد قصرت الحديث فى هذا الفصل عليها مع الإشارة إلى ما يحلى معظم القباب الموجودة حاليا برواق القبلة من الآيات الشريفة والمدائح المشهورة ، منفذة ومتسقة حسب أجمل النسب فى أشرطة أفقية على الجدار القبلى .

فمن الملاحظ أن جدار القبلة قسم إلى اثنى عشر شريطا أفقيا ، لم تشغل الكتابات منها إلا أربعة فقط . جاءت نسبتها إلى بعضها بدءا من أسفل الجدار كما يلى : (١ : ١) ، (١ : ٢) ، (٢ : ١) وهى نسب مرضية للعين والحس السليم ، كما أنها تتفق تماما مع نسب الأبعاد الطولية المحصورة عادة بين (١ : ١)، (٢ : ١) ، (٣ : ٢)[١] .

أما الأشرطة المزخرفة بالألوان المائية ، والموضوعة كإطار يحيط بالأشرطة الكتابية من أعلاها وأسفلها ، فقد أخذت بعدا واحدا لم يتأثر بكبر أو صغر الأشرطة الكتابية، كما أنها فى مجملها لا تشغل من جدار القبلة إلا حيزا محدودا يعادل (١ : ٣) بالنسبة لما تشغله الأشرطة الكتابية[٢] . الأمر الذى أراح العين وساعد على إبراز الأشرطة الكتابية ، لا سيما وقد اختلفت ألوانها عن بقية الأشرطة المزخرفة بالرسوم النباتية .

ومن الملاحظ أن ما أضيف فى عهد السلطان عبد العزيز ، من الأشرطة التى تكتنف جانبى مدخل باب السلام ، لم تتقيد بالنسب السابقة ولم تجىء فى محاذاة أشرطة جدار القبلة ، كما كبرت فيه المساحات التى تغطيها الأشرطة الخزفية وتعددت ألوانها بشكل مختلف عما فى جدار القبلة . ولعل بروز عضدى الباب

---

(١) محيى الدين طالو : المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٢) تقدر مساحة الأشرطة الكتابية مجتمعة بحوالى ٢٢٥ سم والزخرفية بحوالى ٩٠ سم تقريبا .

واختلاف زخارفهما ، ساعد القائمين على عمارة هذا المدخل فى تغيير مساحات الأشرطة الكتابية ، مع الإبقاء على النسب القديمة حيث جاءت على النحو التالى : (١ : ١) ، (١ : ٢) وقد نقل أعرض الأشرطة إلى أعلى جدار المدخل، بعد أن كان فى جدار القبلة متوسطا للشريطين المتماثلين (الصورة رقم ٣). ويحظى هذا التنوع فى مساحات الأشرطة المذكورة ـ لا سيما فى جدار القبلة ـ واختلاف الكتابة فيها ، من الحفر البارز إلى استخدام التذهيب فى كتابة أسماء الرسول ﷺ وصفاته على الرخام بالجزء السفلى من جدار القبلة ، برضى العين التى تستطيع أن تتبين بوضوح نسب التصميم بكاملها . وساعد خلو معظم الجزء السفلى من جدار القبلة من الأبواب والشبابيك، فى امتداد الأشرطة المذكورة أفقيا ، وعدم انقطاعها إلا عند المحراب العثمانى والشباك المقابل للمواجهة الشريفة ، وكذلك عند باب المنارة الرئيسية . فإن الهيئة القائمة على تنظيم هذه الكتابات قد وفقت فى المواءمة بين تجديد النصوص التى كانت حول المحراب العثمانى ، وبين الأشرطة التى بدأت من باب السلام فى أربعة صفوف أفقية متوازية . انقطع اثنان منها عند الجانب الأيمن للمحراب هما الرابع والثالث ، أما الثانى فقد التف حول المحراب بزوايا قائمة، ثم عاد إلى مستواه السابق ليسير مواكبا بقية الأشرطة التى سارت على نفس المستوى الأول، حتى وصل الشباك المقابل للحجرة الشريفة ، فالتف حوله بنفس الطريقة التى تمت حول المحراب النبوى؛ ومثل ذلك أيضا عند باب المنارة الرئيسية ، (الشكل رقم ٢٧). كما انحنى الشريط الأول داخل حنية المحراب، والتف حول الشباك المذكور على هيئة الشريط الأول، ثم سار كالعادة فى بقية الجدار المذكور .

وخلافا لما جرت به العادة فى معظم العمائر التى شهدها المسجد النبوى الشريف، بدءا من عمارة الوليد بن عبد الملك حتى اصلاحات السلطان محمود الثانى[١] . فإن جدار القبلة خلا فى عمارة السلطان عبد المجيد من نصوص تأسيسية تشيد بفضل السلطان عبد المجيد أو تمجد أسلافه من آل عثمان ، وقد جاء ذلك تحقيقا لرغبته التى أبت فى بادئ الأمر أن يكتب اسمه مع الطغراء السلطانية وسط

---

(١) انظر النصوص العثمانية فى فصل الأعمال المعمارية ص ١٧ ـ ٨٧ .

اللوح الذى أعد لهذا الغرض، منذ بداية العمارة بأعلى العقود المطلة من رواق القبلة على صحن المسجد، وفضل بدلا من ذلك اختيار آية من القرآن الكريم أو حديث نبوى شريف يتناسب وموضوع العمارة بعد أن قال كلمته المشهورة « من أنا حتى يذكر اسمى ممدوحا بالأشعار فى مسجد رسول الله »[١] .

ولا يخالف هذا العرف ما يلاحظ حاليا بمدخل باب السلام من سلسلة النسب التى أضافها السلطان عبد العزيز عند بناء المدخل المذكور ، فإن ذلك خارجا عن جدار القبلة ، ولا اسم السلطان عبد الحميد الثانى المنقوش مع طغرائه فوق مدخل باب المنارة الرئيسية سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، بالقرب من اسم الخطاط عبد الله زهدى بخط دقيق فى أعلى الجدار الغربى من المنارة المذكورة. بحيث يتعذر رؤيتها إلا للممعن النظر بحرص شديد . ومن هذا يتبين أن ما دون بالأشرطة التى تحلى جدار القبلة ، لم يخرج عن فحوى التوجيهات التى أدلى بها السلطان عبد المجيد فى بادئ الأمر ، إذ اقتصر الأمر كما سيتضح عند تدوين النصوص على اختيار بعض السور الكريمة، والآيات الشريفة ، وأسماء الرسول ﷺ وصفاته ، وبعض المدائح المشهورة ، مع إعادة ما كان حول المحراب العثمانى من الآيات والأحاديث الشريفة[٢].

وبما أن غالب ما يحلى جدار القبلة من الكتابات، منقوش بالحفر البارز على ألواح يغلب على الظن أنها من الخشب ، وهو عمل يحتاج الاعداد له إلى جهد وزمن لا تفى به الأعوام الثلاثة ، التى قضاها عبد الله زهدى فى كتابة خطوط الحرم النبوى[٣] ، فلا بد إذن أن تكون الاحتياطات اللازمة لإعداد الألواح المذكورة وتهيئتها للكتابة، تمت قبل مجىء الخطاط المذكور إلى المدينة بعد سنة ١٢٧٧ هـ/ ١٨٦٠م[٤]، إذ جاء فى بعض أقوال البرزنجى، أن الخطاط المذكور باشر فور

---

(١) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٢) انظر أعلاه ص ٦٧ وما بعدها .

(٣) البرزنجى المصدر السابق ، ص ٤٤ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٦٨ ، ويخالفه ما ذكره البتنونى من جلوسه فى المدينة لهذا الغرض بضعا وعشر سنين . انظر الرحلة الحجازية ، ص ٢٤٥٠

(٤) انظر أعلاه ص ١٣٢

وصوله المدينة المنورة كتابة خطوط جدار القبلة[١] مما يفيد بأن أعمال النقش تمت فى المدينة المنورة بعد قيام الخطاط بالعمل السابق ، ويؤيد ذلك ما جاء فى بعض الوثائق والمصادر العثمانية[٢] ، من أن المسئولين عن عمارة الحرم النبوى الشريف قاموا فى سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، بتدوين جميع الكتابات التى كانت بجدار القبلة قبل تجديده ، فى محضر أرسل إلى إستنابول؛ بقصد المواءمة بينها وبين النصوص المقترحة ؛ويبدو أن مناقشة هذا الأمر والوصول فيه إلى رأى حاسم استغرق قرابة سنة وثمانية أشهر تقريبا . فقد جاء فى بعض الوثائق المؤرخة فى ١٢ شوال سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م[٣] ما يفيد الوصول إلى صيغة لكتابة خطوط الحرم النبوى وتنظيمها ، وأن الأحاديث الشريفة والآيات الكريمة أرسلت إلى المدينة المنورة لكتابتها فى الحرم النبوى الشريف، بعد الموافقة عليها من الجهات العليا فى إستانبول[٤] . ومن هذا يتبين أن الهيئة المشرفه على البناء ، وكذلك الفريق الذى رأسه عبد الله زهدى بعد انتهاء العمارة لم تكن فى مجموعها إلا جهة تنفيذها لما أقر سلفًا من الزخارف والنقوش ، وفق نسب وأبعاد مدروسة ، ولا يمكن تجاوزها بشىء من التصرف المخل. ولهذا يمكن القول فى ضوء ما تقدم أن إعداد جدار القبلة ، لهذا الحشد من الزخارف المتنوعة ، ظل قائما طيلة الأعوام التى قضاها الخطاط عبد الله زهدى فى المدينة ، بعد موت السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م. لا سيما تثبيت ألواح الخشب والرخام وملء الفراغ المخصص للأشرطة الزخرفية الفاصلة بين الكتابات بطبقة سميكة من الملاط ، حتى أنه ليلاحظ فى الوقت الحاضر بأعلى جدار القبلة شطف بسيط يستدل منه بوضوح على سماكة التكسية التى احتاجها معظم جدار القبلة .

هذا من حيث الوضع العام للكتابات التى تحلى جدار القبلة ، وطريقة إعدادها مما أضفى على شكلها العام مسحة قوية من الهيبة والوقار ، وزاد من أثر وقعها فى النفس، خلوها من البهرجة والمغالاة فى تنوع الزخارف. هذا فضلا عن التوفيق

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٢) الوثيقة رقم ٥٥٧ فى ٢٥ صفر سنة ١٢٧٥هـ تصنيف إرادة / المجلس المخصوص .

(٣) الوثيقة رقم ٧٥٩ فى ١٢ شوال سنة ١٢٧٦هـ تصنيف إرادة / المجلس المخصوص .

(٤) محمد كامل المدنى : المصدر السابق ، ص ١٤ .

الذى صاحب اختيار ما يناسب المقام من آيات القرآن الكريم وسوره، كما ساعد على ذلك أيضا وضع الأشرطة المذكورة فى مستوى النظر، ليتسنى لمرتادى المسجد النبوى متابعتها والتعبد بتلاوتها ، فقد ظهرت الكتابة المنقوشة بالحفر البارز على لوح عريض من الخشب، بين صفين متماثلين من الكتابة البارزة على ألواح من الخشب تعدل فى مجموعها عرض الشريط الأوسط، ثم جاء بالشريط السفلى ترتيب بارع لأسماء الرسول ﷺ مع تكرار الصلاة والسلام عليه فى جميع الأكتاف المحيطة بأسمائه وصفاته الشريفة البالغة مائتين وواحد [1] ؛ فى تناسق عجيب يريح النظر ويحث المصلين على مداومة الصلاة والسلام على رسول الله عملا بقوله تعالى : «**إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**»[2]. وكل ذلك بخط الثلث الإسلامبولى، الذى احتل أقصى مراتب النضوج ، على يد أشهر الخطاطين العثمانيين الذى انتدب لهذا العمل بمرتب شهرى يقدر بحوالى ٧٥٠٠ قرش[3].

وتسهيلا لمعرفة مافى رواق القبلة من الكتابات فقد قسمتها إلى خمسة أقسام هى :

أولا : الأشرطة الممتدة بشكل أفقى على طول جدار القبلة .

ثانيا : الكتابات المحيطة بحنية المحراب العثمانى .

ثالثا : الكتابات المحيطة ببعض القباب من الداخل .

رابعا : كتابات مداخل الحرم وأبوابه ونوافذه .

خامسا : الكتابات المحيطة من الخارج بالحجرة الشريفة وإسطوانات الرواق القبلى وبعض الأثاث الثابت فيه .

---

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٥٦ .

(٣) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٥٩ وهو ما يعادل ٧٥٠ جنيه . انظر عبد الفتاح حسن أبو عليه : المرجع السابق ، ص ١١

أولا : الأشرطة الممتدة على طول جدار القبلة :

وعددها أربعة أشرطة ، تبدأ من أسفل الجدار إلى أعلى من منتصفه . وترتيبها كما يظهر فى اللوحة رقم (٤) كالتالى :

١ ـ الشريط الأول :

وموضعه الجزء السفلى من جدار القبلة ، بأعلى الأزار الرخامى الذى يحيط بالبلاطات ، داخل مستطيلات تقدر بحوالى مائة وسبعة ، ومثلها من الدوائر التى تظهر بالتناوب على امتداد جدار القبلة بدءا من أعلى مدخل منارة باب السلام، حيث يظهر فوق عقد بابها عبارة « **هذة أسماء النبى صلى الله عليه وسلم**»[١]. داخل مستطيل بخط مذهب على أرضية يغلب عليها فى الوقت الحاضر اللون الأحمر الفاتح، وذلك بدلا من اللون الأخضر المستخدم قبل حوالى خمسة عشر عاما [٢]. ثم تتلوها بقية الأسماء التى تزيد على مائتى اسم وصفة ، جاء بكل مستطيل أكثر من مسمى ، منها ما يختص به ﷺ ، ومنها ما يشترك فيه مع سائر الأنبياء والمرسلين وترتيبها كما يلى :

١ ـ أحمد محمد .

٢ ـ حامد محمود[١] .

٣ ـ أحيد وحيد[٤] .

٤ ـ ماح حاشر عاقب[٥] .

---

(١) هى فى الحقيقة أسماء وصفات .

(٢) يظهر هذا فى صور الحرمين الشريفين التى صورها عظمت شيخ سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م وطبعت فى إيطاليا سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٢م.

(٣) جاءت عند لمعى طه ومحمود .

(٤) جاءت عند لمعى حيد وأحيد .

(٥) قال رسول الله ﷺ لى خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب . رواه البخارى فى كتاب المناقب باب ما جاء فى أسماء رسول الله ﷺ . انظر صحيح البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى . تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وآخرون ـ مطبعة الكليات الأزهرية القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م جـ ١٤ ص ٣٩

٥ - يس طه طاهر[١] .
٦ - سيد طيب مطهر .
٧ - نبى رسول الرحمة[٢] .
٨ - جامع قيم مقتف .
٩ - مقفى .
١٠ - رسول الملاحم .
١١ - رسول الرحمة .
١٢ - كامل أكليلى .
١٣ - مدثر مزمل .
١٤ - عبد الله حبيب الله[٣] .
١٥ - صفى الله ، نجى الله .
١٦ - كليم الله .
١٧ - خاتم الأنبياء .
١٨ - خاتم الرسل .
١٩ - رسول الثقلين .
٢٠ - مذكر ناصر .
٢١ - منصور نبى الرحمة .
٢٢ - نبى التوبة .
٢٣ - حريص عليكم[٤] .
٢٤ - معلوم شهير .
٢٥ - شاهد شهيد .

---

(١) جاءت عند لمعى سيد طاهر مطهر
(٢) جاءت عند لمعى رسول نبى رسول الرحمة
(٣) جاءت عند لمعى حبيب الله عبد الله
(٤) جاءت عند لمعى سليم حريص

٢٦ ـ مشهود بشير مبشر نذير[١] .
٢٧ ـ منذر نور سراج .
٢٨ ـ مصباح هدى .
٢٩ ـ مهدى داع منير .
٣٠ ـ ابن عبد المطلب .
٣١ ـ حفى عفو ولى حق .
٣٢ ـ قوى أمين مأمون .
٣٣ ـ كريم مكرم مكين[٢] .
٣٤ ـ مبين مبيّن مؤمل[٣] .
٣٥ ـ وصول ذو قوة .
٣٦ ـ ذو مكانة ، ذو حرمة .
٣٧ ـ ذو فضل ، ذو عز .
٣٨ ـ مطاع[٤] .
٣٩ ـ مطيع قدم صدق .
٤٠ ـ بشرى ورحمة للمؤمنين .
٤١ ـ منة الله نعمة الله .
٤٢ ـ هداية الله عروة وثقى .
٤٣ ـ صراط الله صراط مستقيم .
٤٤ ـ ذكر الله سيف الله .
٤٥ ـ حزب الله النجم الثاقب .
٤٦ ـ مجتبى مصطفى منتقى أمى[٥] .

---

(١) جاءت عند لمعى بشير مبشر مشهور نذير .
(٢) جاءت عند لمعى كريم مكين مكرم .
(٣) جاءت عند لمعى مبين متين مؤمل .
(٤) ذكرها لمعى مع الأسماء التى تليها .
(٥) لم ترد عند لمعى كلمة امى .

٤٧ - أجير مختار خيار .

٤٨ - أبو القاسم ، أبو الطاهر .

٤٩ - أبو الطيب أبو إبراهيم .

٥٠ - شفيع مشفع صالح(١) .

٥١ - مهيمن مصلح .

٥٢ - صادق مصدق صدوق(٢) .

٥٣ - سيد المرسلين .

٥٤ - أمام المتقين .

٥٥ - قائد الغر المحجلين .

٥٦ - خليل الرحمن وجيه بر مبّر .

وفى داخل حنية المحراب ما يلى :

٥٧ - ناصح نصيح(٣) .

٥٨ - وكيل كفيل .

٥٩ - مقيم السنة شفيق مقدس .

٦٠ - روح القدس .

٦١ - روح القسط .

وعلى يسار المحراب العثمانى ما يلى :

٦٢ - مكتف بالغ مبلغ .

٦٣ - واصل(٤) موصول .

٦٤ - سابق سائق هاد .

٦٥ - مقدم مهد عزيز(٥) .

---

(١) جاءت عند لمعى شفيع متنفع صالح .

(٢) جاءت عند لمعى صادق صدق مصدق .

(٣) جاءت عند لمعى ناصح صحح .

(٤) جاءت عند لمعى وصل

(٥) لم ترد عند لمعى

٦٦ ـ مفضل فاضل فاتح .

٦٧ ـ مفتاح الرحمة[١] .

٦٨ ـ مفتاح الجنة .

٦٩ ـ علم الإيمان .

٧٠ ـ علم اليقين دليل الخيرات[٢] .

٧١ ـ صاحب الكوثر .

٧٢ ـ صاحب المعجزات .

٧٣ ـ صفوح عن الزلات .

٧٤ ـ صاحب الشفاعة .

٧٥ ـ صاحب المقام صاحب القدم .

٧٦ ـ مخصوص بالعز[٣] .

٧٧ ـ مخصوص بالمجد .

٧٨ ـ مخصوص بالشرف .

٧٩ ـ صاحب الوسيلة .

٨٠ ـ صاحب السيف .

ويحيط بالشباك المقابل للحجرة الشريفة خمسة مستطيلات ، اثنان منها على الجانبين وثلاثة فوق العتب العلوى ونصها ما يلى :

٨١ ـ صاحب الفضيلة صاحب الإزار .

٨٢ ـ صاحب الحجة .

٨٣ ـ صاحب السلطان .

٨٤ ـ صاحب الرداء .

---

(١) جاءت عند لمعى مفيح مفتاح الجنة .

(٢) جاءت عند لمعى ناقصة .

(٣) جاءت عند لمعى مخصوص بالعن وهو لفظ لا يتفق مع أسماء رسول الله وصفاته الشريفة .

٨٥ - صاحب الدرجة الرفيعة .

٨٦ - صاحب التاج .

٨٧ - صاحب المغفر[١] .

٨٨ - صاحب اللواء .

٨٩ - صاحب المعراج .

٩٠ - صاحب القضيب .

٩١ - صاحب البراق .

٩٢ - صاحب الخاتم صاحب العلامة .

٩٣ - صاحب الرهان .

٩٤ - صاحب البيان .

٩٥ - فصيح اللسان[٢] .

٩٦ - مطهر الجنان .

٩٧ - رحيم رؤوف .

٩٨ - أذن خير .

٩٩ - صحيح الإسلام[٣] .

١٠٠ - سيد الكونين .

١٠١ - عين النعم عين العز[٤].

١٠٢ - سعد الله سعد الخلق .

١٠٣ - خطيب علم الأمم الهدى[٥] .

١٠٤ - صاحب الخصائص[٦] .

---

(١) جاءت عند لمعى المغفرة .

(٢) جاءت عند لمعى فصوح اللسان .

(٣) جاءت عند لمعى صبح الإسلام .

(٤) جاءت عند لمعى عين العز .

(٥) جاءت عند لمعى خطيب الأمم علم الهدى

(٦) لم ترد عند لمعى

١٠٥ـ رفيع الرتب عز العرب[١] .

١٠٦ ـ سيد ولد آدم[٢] .

١٠٧ ـ صلى الله عليه وعلى آله[٣] .

٢ ـ الشريط الثاني :

ويعلو الشريط الأول، ويمتد من حذاء العتب الداخلى لباب السلام منقوشا بالحفر البارز على ألواح خشبية، فى شريط أفقى بلون أخضر يمتد على طول جدار القبلة بعرض حوالى ٣٠ سم تقريبا. وبأوله كلمة « **بسم الله الرحمن الرحيم** » ثم تبدأ الآيات الكريمة من التقاء الجدار الشمالى لمنارة باب السلام مع عتب الباب المذكور كما يلى : « **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ... تتقلب فيه القلوب** »[٤]. ثم ينقطع الشريط لاعتراض مساره بالكتف البارز بركن جدار المنارة ، ويعود مرة أخرى ليظهر على وجه الكتف، بما يلى من الآية السابقة «**والأبصار ليجزيهم الله**»[٤] ثم ينقطع فى الجانب الآخر من الكتف المذكورة ويعود ليظهر بتكملة الآية السابقة مرة ثانية ، على وجه الكتف المجاورة « **أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله** »[٤]. ثم يبدأ الشريط مرة أخرى على الجدار الشرقى من منارة باب السلام بما يلى :

« قال الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم ،فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم .... وعلى ربهم يتوكلون »[٥].

ثم يبدأ الشريط مرة أخرى ، من التقاء الجدار الشرقى لمنارة باب السلام مع جدار القبلة . بالبسملة وجزء من سورة الفتح ، مع ملاحظة انقطاعها فى جانبى

---

(١) لم ترد عند لمعى .

(٢) جاءت عند لمعى سيد ولد عدنان .

(٣) زاد لمعى وصحبه .

(٤) سورة النور : آية ٣٦ ـ ٣٧ .

(٥) سورة النحل آية ٩٨ ، ٩٩ .

الأكتاف الثلاثة البارزة بأول الجانب الغربى من جدار القبلة ، وعودتها للظهور فى الوجه المقابل من الأكتاف المذكورة[١] . وذلك على نسق الشريط الذى يمتد حتى الطرف الأيمن للمحراب العثمانى بما تبقى من سورة الفتح ثم يلتف حول حنية المحراب من قوله تعالى : « **وكف أيدى الناس عنكم .... لولوا الأدبار** »[٢] . ثم يعود بزاوية قائمة بما تبقى من الآية السابقة فى شريط مستقيم يعلو حنية المحراب العثمانى من قوله تعالى : « **ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا .... مؤمنات** »[٣] . حيث يهبط الشريط مرة ثانية بزاوية قائمة فى الجانب الأيسر من المحراب من قوله تعالى : « **لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة .... فى قلوبهم الحمية**»[٤] ثم ينكسر الشريط مرة أخرى ليسير موازيا لبقية الأشرطة، مبتدئا بما تبقى من الآية السابقة من قوله تعالى : « **حمية الجاهلية .... أجرا عظيما** »[٥] . ويظهر بهذا الشريط بعد نهاية سورة الفتح العبارة التالية « **صدق الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين أجمعين** » ثم يلتف الشريط حول الشباك المقابل للمواجهة الشريفة بنفس الطريقة التى سار بها حول حنية المحراب العثمانى، إلا أن الكتابة التى التفت حول الشباك المذكور عبارة عن أبيات من قصيدة الإمام الوترى[٦] ، داخل عدة مستطيلات بالجزء العلوى من الشباك. فجاء بالجانب الأيمن مستطيلان بكل منهما شطر من مطلع القصيدة على النحو التالى:

بنور رسول الله أشرقت الدنـا ... ففى نوره كل يجيئ ويذهب

وبأعلى عتب الشباك المذكور خمسة مستطيلات بها ما يلى من القصيدة :

براه جلال الحق للخلق رحمة ... فكل الورى فى بره يتقلب

---

(١) جاء على وجه الكتف الأولى قوله تعالى : « أنزل السكينة فى قلوب » وعلى الثانية : « ويعذب المنافقين والمنافقات » وعلى الثالثة « ورسوله وتعزروه وتوقروه » .

(٢ ـ ٥) سورة الفتح من الآية ٢٠ ـ ٢٩

(٦) انظر ترجمته فى ص ٦٩ من تاريخ الأعمال المعمارية

بدا مجده من قبل نشأة آدم　　وأسماؤه فى اللوح من قبل تكتب[١]

بمبعثه كل النبيين بشرت

ثم ينكسر الشريط ليعود مرة ثانية بالجانب الأيسر من الشباك فى مستطيلين بهما بقية البيت السابق وشطر من بيت آخر ونصهما كما يلى :

فلا مرسل إلا له كان يخطب

بتوراة موسى نعته وصفاته

ثم يعود الشريط ليسير موازيا لبقية أشرطة جدار القبلة بالشطر الثانى من البيت السابق ونصه :

وانجيل عيسى بالمدائح يطنب

بشير نذير مشفق منعطف　　رؤوف رحيم محسن لا يثرب

بأقدامه فى حضرة القدس قد سعى　　رسول له فوق المناصب منصب

بأعلى السماء أمسى يكلم ربه　　وجبريل ناء والحبيب مقرب

بعزته سدنا على كل أمة　　وملتنا فيها النبيون ترغب

به مكة تحمى به البيت قبلة

ثم يلتف الشريط مرة ثالثة حول باب المنارة الرئيسية ، بنفس الطريقة التى سار بها من قبل حول المحراب والشباك المقابل للمواجهة ، فيبدأ بالشطر الثانى من البيت السابق :

به عرفات نحوها النجب تحدب

برياه[١] طابت طيبة ونسيمها

---

(١) خلط لمعى بين الأبيات الثلاثة وبين ما نقله من مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت جـ ١ ص ٤٥٨ من قصيدة البردة للبوصيرى ويبدو أن ذلك لتعذر نقل بقية الأبيات التى استطعت قراءتها كاملة من جدار القبلة . انظر صالح لمعى : المدينة المنورة ، ص ١٣١

(٢) الريا : الرائحة الزكية .

وبأعلى عتب باب المنارة الرئيسية أربعة أشطر ، من أبيات القصيدة المذكورة أولها هو الشطر الثانى من البيت السابق ونصه :

فما المسك ما الكافور رياه[١] طيب

بهى جميل الوجـه بـدر متمـم صباح الظـلاح للظلالـة مذهـب

من أنت يا حادى الركاب مزمزم

ثم ينكسر الشريط ليعود بالجانب الأيسر من أعلى الباب، بالنصف الثانى من البيت السابق :

أرى القوم سكرى والغياهب تذهب

بدور بدت لا يلاج وجه محمد درت صهباء وابل حديثك مطرب[٢]

وفى نهاية الشريط فى منطقة بيضاوية توقيع كاتب الخطوط عبد الله زهدى بخط دقيق ونصه :

اللهم شـفع هذا النبى الكريم لكاتب الحـرم

النبـــوى الشـــريف الفـــقـــيـــر

عـــبـــد الله زهـدى من ســـلالة

تميـم الـدارى رضـى عـنـه ربه البـــارى

ومن الملاحظ خلو النص من التاريخ على غير المألوف[٣]، ثم يظهر الشريط على نفس المستوى الأول وبحجم مماثل تقريبا على الجدار الشمالى للمنارة الرئيسية مبتدئا بـ « **بسم الله الرحمن الرحيم ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ..... من أثر السجود[٤] صدق الله العظيم** » .

---

(١) الريا : الرائحة الزكية .

(٢) جاء الشطر الثانى من البيت بهذه الصيغة رغم غموض معناه .

(٣) تشير اللوحة المعلقة على جدار الحجرة الغربى مما يلى الروضة الشريفة بأن الخطاط عبد الله زهدى فرغ من كتابة الخطوط فى سنة ١٢٧٩ هـ، وهو التاريخ المدون فى الجزء السفلى من اللوحة المذكورة .

(٤) سورة الفتح آية رقم ٢٨ وجزء من آية رقم ٢٩ .

٣ ـ الشريط الثالث :

وهو أعرض أشرطة جدار القبلة وحروفه بارزة بخط أبيض على أرضية حمراء ويبتدئ من عتب العقد الداخلى لباب السلام من جانبه الأيمن بعبارة « : قال الله تعالى ، « **وما تفعلوا من خير يعلمه الله ... يا أولى الألباب** »[1] وتنقطع الكتابة على الجانب الغربى من الكتف التى تقع فى الركن الشمالى الشرقى من منارة باب السلام ، ويظهر على وجهها عبارة « **صدق الله** » ثم تنقطع مرة ثانية بزخارف نباتية بلون مذهب وبالطراز الرومى ، على الجانب الشرقى للدعامة السابقة وما يقابله من الدعامة المجاورة لها من الشرق . حيث يظهر على وجهها المتجه إلى الشرق تكملة العبارة السابقة « **ربنا العظيم** » ثم ينقطع الشريط فى الطرف الجنوبى من الدعامة المذكورة بزخرفة مشابهة لما سبق ، ويعود فيظهر مرة أخرى على الجدار الشرقى لمنارة باب السلام بالنص التالى : « **قال سبحانه وتعالى أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون** »[2] . ثم ينقطع مرة أخرى بسبب وجود الدعامتين الواقعتين عند التقاء الجدار الشرقى لمنارة باب السلام مع الركن الغربى لجدار القبلة، فلا يظهر كالعادة على جوانبهما إلا زخرفة نباتية بطراز رومى، ولكن الشريط يعود ليظهر مرة أخرى بالعبارة التالية : « **بسم الله الرحمن الرحيم . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله ... الفاسقين** »[3]، دون أن ينقطع كبقية الأشرطة بسبب بروز الدعامات الثلاث الموجودة فى الطرف الغربى من جدار القبلة . ويظهر فى نهايته عبارة تنتهى عند الطرف الأيمن للمحراب العثمانى ونصها : « **صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، ورضى الله تعالى عنهم أجمعين** ». ثم ينقطع الشريط فلا يظهر داخل حنية المحراب كما تم فى الشريط الأول ، ولا يلتف حولها كما فى الشريط الثانى، وإنما يعود ليظهر مرة ثانية فى نفس المستوى من الجانب الأيسر بما يلى : « **بسم الله الرحمن الرحيم مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله .... خير من**

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٩٧ .

(٢) سورة المؤمنون ، آية ٦١ .

(٣) سورة التوبة ، آية ١٨ إلى نهاية ٢٤ .

صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم[١] **صدق الله العظيم »** .

وينقطع الشريط مرة ثانية عند الشباك المطل على ديار العشرة ،فلا يلتف حوله كما فى الشريط الأول والثانى، بل يظهر فى الجانب الأيسر من الشباك فى نفس المستوى والحجم ، بآية تتناسب مع عظمة المكان وجلال الموقف، إذ أنها فى محاذاة الوجه الشريف فيبدأ بما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »[٢] **صدق الله ربنا العظيم »** .

ومن الملاحظ توقف هذا الشريط عند التقاء الطرف الشرقى لجدار القبلة مع الجانب الغربى لجدار المنارة الرئيسية .

٤ ـ الشريط الرابع :

ويشبه تماما فى اللون والحجم والشريط الثانى، ويفصله عن الشريط السابق إطار ضيق مدهون فى الوقت الحاضر بألوان مائية. ويبدأ بحروف بارزة على أرضية خضراء من نفس المستوى الذى بدأت به الأشرطة السابقة، فيظهر بأعلى العتب الداخلى لباب السلام بكلمة **« بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .... دعوة الداع إذا دعان »**[٣]. ثم ينقطع كبقية الأشرطة السابقة فلا يظهر منه شىء إلا على وجه الدعامة الأولى من قوله تعالى : **«فليستجيبوا لى وليؤمنوا»**[٤]، وعلى وجه الكتف الثانية **« بى لعلهم يرشدون»**[٥]. ثم ينقطع بزخرفة مشابهة فى الجانب الجنوبى من هذا الكتف، ويعود ليظهر فى نفس المستوى من الجدار الشرقى لمنارة باب السلام بالعبارة التالية : **« قال الله تعالى فى كتابه العزيز ـ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦١ إلى ٢٦٣ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٥٦

(٣ ـ ٥) سورة البقرة جزء من آخر آية ١٨٥ ، ١٨٦ .

تنزيل من حكيم حميد »[١] ، **« قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد »**[٢].

وبنهاية الآية السابقة ينقطع الشريط بزخارف نباتية بالطراز الرومى، وتظهر على الدعامتين الواقعتين عند التقاء جدار المنارة بالطرف الغربى لجدار القبلة، ثم يعود بعدها الشريط المذكور فى الظهور فى نفس المستوى؛ على أول جدار القبلة بالحجم السابق مع تأثره كالشريط الثانى ببروز الدعامات الثلاث، الظاهرة فى الطرف الغربى من جدار القبلة، فلا يظهر إلا على وجوهها ويبدأ بالعبارة التالية : **« بسم الله الرحمن الرحيم وإذ ابتلى إبراهيم ربه ..... إنك أنت العزيز الحكيم »**[٣] ويظهر ببقية الشريط آيات من سورة آل عمران، فتبدأ بـ **« بسم الله الرحمن الرحيم إذ قالت امرأة عمران .... وما كنت لديهم إذ يختصمون »**[٤]. وببقية الشريط الذى ينتهى كسابقه فى الطرف الأيمن للمحراب العثمانى العبارة التالية :

« صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ورضى الله تعالى عن صحابة سيدنا رسول الله أجمعين » .

أما بقية الشريط الذى يظهر مرة أخرى فى الطرف الأيسر من المحراب العثمانى، حتى الجانب الأيمن من الشباك المقابل للحجرة الشريفة ، فبأوله ما يلى : **« بسم الله الرحمن الرحيم ما كان على النبى من حرج .... وكفى بالله وكيلا »**[٥] . وفى ذيله **« اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين »** ، ثم ينقطع الشريط عند الطرف الأيمن للشباك المذكور كما انقطع الشريط الذى قبله، ثم يعود إلى الظهور ، كما عاد الشريط السابق فى الجانب الأيسر من الشباك

---

(١) سورة فصلت آية ٤٢ .

(٢) سورة هود آية ٧٣ .

(٣) سورة البقرة آية ١٢٤ إلى آخر ١٢٩ وقد ظهر على وجه الكتف الأولى قوله تعالى « وإذ جعلنا البيت مثابة » وعلى الكتف الثانية « ومن كفر فامتعه قليلا ثم » وعلى الثالثة قوله تعالى « رسول منهم يتلوا عليهم » .

(٤) سورة آل عمران آية ٣٥ ـ ٤٤ .

(٥) الأحزاب آية ٣٨ ـ ٤٨ .

السابق الذكر فى نفس المستوى وبنفس الحجم أيضا ، بآية كريمة تناسب الموقف وتتمشى مع فحوى ما يوازيها من الأشرطة السابقة ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »[١] وفى نهايتها قال الله تعالى «وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »[٢] وبنهاية هذه الآية الشريفة يتوقف الشريط عند التقاء جدار القبلة بالجدار الغربى للمنارة الرئيسية ، على غرار الشريط السابق .

---

(١) سورة النساء آية ٦٤ ــ ٦٥ .

(٢) سورة الحشر جزء من آية ٧ .

ثانيا : الكتابات المحيطة بحنية المحراب العثمانى :

تبين مما سبق فى تاريخ الأعمال المعمارية ، أن المحراب العثمانى لم يتعرض فى العمارة المجيدية للهدم والتجديد كبقية جدار القبلة[١] . ولهذا أقر المشرفون على ترتيب وتنظيم كتابات جدار القبلة ، الإبقاء على بعض ما كان يحيط بالمحراب من الآيات والأحاديث الشريفة ، التى تعود فى الغالب إلى زمن تجديد المحراب فى عهد السلطان عبد الحميد الأول سنة ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م[٢] .

وكان لوجودها داخل الشريط الذى يلتف حول حنية المحراب ، أثر قيم فى إبراز ضخامته ، وتعويض ما نتج عن انقطاع الشريط الثالث والرابع من أشرطة جدار القبلة عند طرفى المحراب المذكور (لوحة رقم ٢٨). ومنه يتبين طريقة وضع النصوص التى نظمت على النحو التالى :

١ ـ فى وسط طاقية المحراب من الداخل كلمة **العزة لله** بخط متقابل، وفوقها بأعلى العقد كلمة « الله ». وعلى يمينها منطقة كبيرة يظهر فى وسطها بحروف مذهبة على أرضية حمراء كلمة « **الله جل جلاله** » ، ويقابلها فى الجانب الآخر منطقة مماثلة مكتوب فيها « **محمد عليه السلام** » .

٢ ـ جاء بأعلى الجانب الأيمن لطاقية المحراب، جزء من آية شريفة فى سطرين، داخل لوح رخام مربع بخط كوفى جميل نصها :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » [٣] .

٣ ـ وفى الجانب المقابل من أعلى طاقية المحراب، وعلى لوح رخام مماثل للأول، آية شريفة بخط كوفى ، جاءت فى نفس الموضع الذى كان به بعد ترميمه سنة ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م[٤] ونصها :

---

(١) انظر أعلاه ص ١٢٩ .

(٢) انظر تاريخ الأعمال المعمارية ص ٦٧ وما بعدها .

(٣) سورة التوبة آية ١٢٨ .

(٤) انظر أعلاه ص ٦٨ .

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما »[١].

٤ - وعلى يمين المحراب أسفل النص رقم واحد، بخط الثلث المذهب على لوح مستطيل، من الرخام المزخرف من أطرافه بأوراق وفروع نباتية (الصورة رقم ٢٨) وهو جزء مما كان مكتوبا على يمين المحراب بعد ترميمه سنة ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م، ونصه : **« قد نرى تقلب وجهك في السماء »**[٢].

٥ - ويقابله في الجانب الآخر من المحراب، جزء من بقية الآية السابقة على لوح رخام مماثل للأول : **« فلنولينك قبلة ترضاها »**[٢].

٦ - وعلى الجانب الأيمن أسفل النص الثالث ، جزء آخر من بقية الآية السابقة داخل دائرة مكتوبة بحروف مذهبة ، على أرضية حمراء ونصه : **« فول وجهك شطر المسجد الحرام »**[٢].

٧ - ويقابله في الجانب الآخر من المحراب ، تكملة الآية السابقة على حجم مماثل لما سبق ونصها : **« وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره »**[٣].

٨ - نص في وسط الجانب الأيمن من حنية المحراب العثماني ،في مستوى الشريط الثالث من أشرطة جدار القبلة الكتابية ، في نفس الموضع الذى كان فيه بعد ترميم المحراب العثماني سنة ١١٩٨هـ/ ١٨٧٣م وهو في ثلاثة أسطر على لوح من الرخام ، بخط بارز مذهب على أرضية حمراء ونصه :

قال النبي صلوات الله وسلامه عليه إن سركم أن تقبل صلواتكم فليؤمكم علماؤكم فإنهم وفدكم عند ربكم[٤]**. وفي رواية فليؤمكم خياركم**[٥] **اللهم**

---

(١) الأحزاب آية ٤٠ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٤ .

(٣) سورة البقرة آخر الآية رقم ١٤٤ .

(٤) رواه الطبراني عن مرثد الغنوي وقال عنه حديث ضعيف . انظر محمد ناصر الدين الألباني ، ضعيف الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، جـ ٢ ص ٤ ، الحديث رقم ١٣٩٠.

(٥) رواه ابن عساكر عن أبي أمامه وهو حديث ضعيف ، انظر محمد ناصر الدين الألباني ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤ الحديث رقم ١٣٨٩ .

صل وسلم على أشرف الخلق محمد وآله وصحبه أجمعين .

٩ ـ والنص الأخير فى الجانب الأيسر من المحراب العثمانى ، فى مستوى النص السابق وفى ثلاثة أسطر على لوح مماثل للأول أيضا ونصه :

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقيموا صفوفكم فإنما تصفون بصفوف الملائكة وحاذوا بين المناكب ولينوا[(١)] بأيدى إخوانكم وسدوا الخلل ولا تجعلوا للشياطين فرجة فمن وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله عز وجل[(٢)] .

هذا عن الآيات والأحاديث المحيطة فى الوقت الحاضر بحنية المحراب العثمانى ، ويتبين منها بعد مقارنتها بما كان عليه من النصوص فى عهد السلطان عبد الحميد الأول، أنها تجديد وتنظيم لبعض الآيات والأحاديث الشريفة، بما يوافق أسلوب الزخرفة المحدثة فى العمارة المجيدية على طول جدار القبلة . مما يؤكد حرص العثمانيين على بقاء النصوص القديمة ، كما هو الحال فيما يعود منها إلى الأشرف قايتباى ، وسليمان القانونى ، ومراد الثالث ، وسليم الثالث .

---

(١) جاء فى لسان العرب لابن منظور جـ ١٣ ص ٣٩٥ أنها جمع الين وهو بمعنى السكون والوقار .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف ولم يذكر فيه « فإنما تصفون بصفوف الملائكة » انظر سنن أبى داود إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد دار الحديث بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م جـ ١ ص ٤٣٣ الحديث رقم ٦٦٦ .

ثالثا : الكتابات المحيطة ببعض القباب من الداخل :

خلت جميع القباب التى أزيلت فى التوسعة السعودية من الرواق الشمالى والشرقى والغربى من الكتابات[١] ، لأسباب يمكن استنتاجها من تاريخ الأعمال المعمارية السابقة لعهد السلطان عبد المجيد ، فلم أجد فى المصادر التى اطلعت عليها على كثرتها ، ما يفيد باستخدام الكتابات فى جدران الأروقة المذكورة أو ما أنشىء بها من قباب[٢] ، فى أى من الأعمال التى شهدها المسجد النبوى قبل عمارة السلطان عبد المجيد . ومرد ذلك كما اعتقد إلى بعد هذه الأروقة عن حدود المسجد الأول، الذى تركزت فيه أعمال الزخرفة والكتابة منذ عهد الوليد عبد الملك. وتمشيا مع النهج الذى سار عليه العثمانيون ، فى ترميم الحرم النبوى وإصلاحه منذ عهد السلطان سليمان القانونى . فلم يسمحوا بتعميم النقوش والزخارف فى جميع جدران المسجد وسقوفه ، إلا عندما تدعو الضرورة لإبراز أعمال التجديد أو الترميم ، بتثبيت نصوص تأسيسية على ألواح من الرخام ، تبين تاريخ الإنشاء ومموله ومباشره[٣] (لوحة رقم ٢) .

أما قباب الجزء المتبقى من عمارة السلطان عبد المجيد فى رواق القبلة، فبمعظمها كثير من الآيات الشريفة ،والأدعية وأبيات من أشهر المدائح النبوية المكتوبة بخط الثلث المنقوش بالدهان الأبيض، داخل شريط أسود عرضه حوالى ٣٠ سم تقريبا . يحيط بجميع القباب المنخفضة من أعلى المثلثات الكروية (لوحة رقم ١٩) ولم يخل منه إلا القباب العالية ذوات الطمبور، المرتكزة على حنايا ركنية حالت دون التفاف الشريط المذكور بالجزء السفلى من هذه القباب .

ولا يوجد فى الوقت الحاضر بقباب البلاطتين اللتين تتقدمان رواق القبلة ، أى من الأبيات التى سطرت آنذاك من قصيدة البردة، على القباب المنخفضة فى هذا الجزء من المسجد، بدءا من باب السلام حتى المنارة الرئيسية[٤] . وذلك لاحتوائها

---

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٢) استخدمت القباب الخشبية فى الأروقة المذكورة أواسط العصر العثمانى . انظر أعلاه ص ٩٦ .

(٣) انظر أعلاه ص ١٧ ـ ٨٧ .

(٤) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٧٨ .

على بعض الغلو فى مدح الرسول ﷺ ، ونعته بصفات لا يوافق عليها أهل السنة والجماعة[١] .

أما بقية قباب رواق القبلة فقد استقصيت ما بها من كتابات ، فوجدتها محصورة فى بعض السور والآيات المناسبة للمقام ، بالإضافة إلى بعض الأدعية والمدائح النبوية وترتيبها كما يلى :

أ ـ السور الطويلة :

١ ـ سورة الكهف وعدد آياتها ١١٠ كتبت على ٢٦ قبة ، تظهر بالتتابع فى ثلاثة صفوف موازية للبلاطتين السابقتين (الجدول رقم ٦٣) .

٢ ـ سورة الفتح وهى ٢٩ آية تظهر فقط على سبع من قباب الروضة ، وتوازى الجدار الغربى للحجرة الشريفة .

٣ ـ سورة المنافقون وعدد آياتها ١١ آية ، اقتصر نقشها على أربع قباب من قباب الروضة .

٤ ـ سورة الملك وتظهر آياتها الثلاثون على ست قباب ، تمتد من الشرق إلى الغرب ، فى نفس الصف الذى ظهرت به سورة المنافقين .

٥ ـ سورة المزمل وتظهر آياتها العشرون على أربع قباب ، من الطرف الشمالى للروضة وتمتد من الغرب إلى الشرق ، فى صف موازى لجدار القبلة .

٦ ـ سورة المدثر وهى خمس وخمسون آية ، تظهر على خمس قباب ، تمتد من الشرق إلى الغرب فى الطرف الشمالى للروضة .

٧ ـ سورة يس وقد نقشت آياتها على أربعة عشرة قبة ، تمتد فى الناحية الشمالية للروضة المطهرة، فى موازاة جدار القبلة فى صف ونصف، يظهر أولها فى بقية الصف الذى ظهرت به سورة المدثر، والممتد من الشرق إلى

---

(١) كان ذلك قد تم حديثا بعد إفتاء هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية بإزالة القصيدة بكاملها من جميع القباب المذكورة .

الغرب ، ثم تعود فى الصف الذى يليه من الغرب إلى الشرق .

٨ ـ سورة النجم وتظهر آياتها كاملة (٦٢ آية)، على ست قباب فى صف موازى لجدار القبلة .

٩ ـ سورة مريم وآياتها (٩٨ آية)، موزعة على ١٨ قبة ، فى صفين موازيين لجدار القبلة ، فيظهر أولها فى الصف الذى بدأت فيه سورة النجم والممتد من الشرق إلى الغرب ، ثم ترجع من أول الصف الثانى الممتد من الغرب إلى الشرق .

١٠ ـ سورة محمد وآياتها (٣٨ آية) ، موزعة على عشرة قباب ، منها قبة فى آخر الصف السابق ، وتسع فى صف موازى لجدار القبلة ، يمتد من الشرق إلى الغرب .

١١ ـ سورة البقرة . ولا يظهر منها إلا بعض الآيات التى منها آية الكرسى ، على قبة بجوار الجدار الغربى شمال خوخة أبى بكر الصديق، (الجدول رقم ٦٣) . وكذلك خمس آيات من أول السورة وآيتان من آخرها ، تظهر مع سورة الفاتحة والمعوذتين ، على أربع قباب برميلية تتقدم باب الرحمة .

١٢ ـ سورة الرحمن وقد كتب من آياتها (٧٢ آية) ، على أربع قباب كبيرة، فوق الجزء الممتد بين المنارة الرئيسية وباب جبريل .

ب : السور القصيرة :

ويقتصر ظهور بعضها على القباب الواقعة ، فوق مدخلى باب جبريل وباب النساء ، وعددها سبع قباب فقط. يظهر بها إلى جانب السور القصيرة آيات من بعض السور الطويلة ، والأدعية والمناسبة للدخول من البابين المذكورين، وترتيبها بدءا من باب جبريل كما يلى :

١ ـ قبة باب جبريل ، ويظهر بها بقية آيات من سورة الرحمن[1] . التى ظهرت

---

(١) من الآية ٧٣ ـ ٧٨ .

في جميع القباب الممتدة من المنارة الرئيسية إلى القبة المذكورة، وفي آخرها ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم » إنا أعطيناك الكوثر »[(١)] وبسم الله الرحمن الرحيم « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ... »[(٢)] ثم صدق الله ربنا خالقنا العظيم وصدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين ورضى الله تعالى عن آله وأصحابه إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

٢ ـ القبة التي تتقدمها من ناحية الغرب . بسم الله الرحمن الرحيم « والتين والزيتون »[(٣)] ثم صدق الله ربنا وخالقنا العظيم . « فينبئكم بما كنتم .... وأنت خير الرازقين »[(٤)].

٣ ـ القبة التي تليها ، وهي مجاورة لطرف الحجرة الشمالي وبها « بسم الله الرحمن الرحيم » « يسبح لله ما في السموات وما في الأرض ... عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم »[(٥)].

٤ ـ القبة التي تليها إلى الغرب، وهي على شكل قبو مستطيل وبها « سبح اسم ربك الأعلى .... صحف إبراهيم وموسى »[(٦)] وفي ذيلها « صدق الله ربنا وخالقنا العظيم وصدق نبينا محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين ورضى الله تعالى عن آله وأصحابه المجتبين المنتخبين إلى يوم الدين » .

٥ ـ وبالقبة الواقعة شمالها والمماثلة لها في التكوين والزخرفة ، سورة اقرأ بكاملها « اقرأ باسم ربك .... واسجد واقترب »[(٧)].

---

(١) سورة الكوثر آية ١ ـ ٣ .
(٢) سورة الفتح آية ١ ـ ٢٩ .
(٣) سورة التين آية ١ ـ ٨ .
(٤) سورة المائدة آية ١٠٥ ـ ١١٤ .
(٥) سورة التغابن آية ١ ـ ١٨ .
(٦) سورة سبح آية ١ ـ ١٩ .
(٧) سورة العلق آية ١ ـ ١٩ .

٦ - ويظهر على القبة التى تليها من ناحية الشرق ثلاث سور قصار هى : «والضحى .... إلخ »[١] « ألم نشرح لك صدرك ..... إلخ »[٢] « قل هو الله أحد ... إلخ »[٣] وفى آخرها العبارة التالية : « صدق الله ربنا وخالقنا العظيم وصدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين ورضى الله تعالى عن آله وأصحابه المجتبين المنتخبين إلى يوم الدين » .

٧ - أما القبة الواقعة أمام مدخل باب النساء ، فبها سورة واحدة هى « والليل إذا يغشى ... »[٤] وفى آخرها عبارة « صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ورضى الله تعالى عن أصحاب سيدنا رسول الله أجمعين » . (الجدول رقم ٦٣).

جـ : الأدعية والأشعار :

انفردت القبة الثالثة من الصف السادس الممتد من الجدار الغربى إلى الحجرة الشريفة ، فى موازاة جدار القبلة بالدعاء التالى : « الحمد لله الذى قدر فى قدر الآجال والذى خصنا بشفاعة سيدنا محمد حبيب الله ﷺ اللهم صل على سيدنا محمد نور الأنوار وسر الأسرار وسيد الأبرار وزين المرسلين الأخيار وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار- اللهم صل على سيدنا محمد الذى ملأت قلبه من جمالك وعينيه من حلالك وعلى آله وأصحابه كذلك والحمد لله على ذلك » . (الجدول رقم ٦٣) .

ولا يعرف على وجه التأكيد سبب اختصاص هذه القبة بالدعاء المذكور دون بقية القباب المحيطة بها ، إلا إذا كان له قبل عمارة السلطان عبد المجيد أساس، أعيد الدعاء بموجبه .

---

(١) سورة الضحى آية ١ ـ ١١ .
(٢) سورة الأنشراح آية ١ ـ ٨ .
(٣) سورة الإخلاص آية ١ ـ ٤ .
(٤) سورة الليل آية ١ ـ ٢١

أما الشعر فيظهر منه فى الروضة المطهرة أربعة عشر بيتا من قصيدة الإمام الوترى، التى سبق ذكرها فى جدار القبلة أمام الحجرة الشريفة[١] ، وذلك فى شريط أسود يحيط بثلاث قباب ونصف قبة عمودية على جدار القبلة . وليس من تفسير لإقحام هذه الأبيات بين السور والآيات السابقة، إلا إذا كان لها هى الأخرى أصل قبل عمارة السلطان عبد المجيد . وهو أمر لم أقف على ما يؤيده إلا ما جاء من وجود أبيات من الشعر مخالفة للأبيات السابقة بسقف الروضة فى حدود سنة ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م[٢] . ومن المعروف تعرض سقف الروضة الشريفة قبل عمارة السلطان عبد المجيد لعدة اصلاحات ، ربما كان للقصيدة المذكورة أساس فى إحداها.

رابعا : كتابات مداخل الحرم النبوى وأبوابه ونوافذه :

استخدمت الكتابات بكثرة فى تحلية مداخل المسجد النبوى وأبوابه ، وهى فى مجملها أدعية وأحاديث وآيات شريفة ، تتناسب وما لهذه الأبواب من مسميات وذكريات قديمة ؛ بالإضافة إلى بعض النصوص التأسيسية التى تعود إلى أزمنة مختلفة .

وتحتفظ الأبواب المؤدية إلى رواق القبلة، فى الوقت الحاضر بمعظم الكتابات التى جدد بعضها فى العمارة المجيدية، وأضيف البعض الآخر فى عهد السلطان عبد العزيز ١٢٧٧ ـ ١٢٩٣هـ/ ١٨٦٠ ـ ١٨٧٦م. بيد أن ما كان من الكتابات على الأبواب والمرافق التى زالت فى التوسعة السعودية، قد حفظ نصه لحسن الحظ فى بعض الكتب والرحلات، مما يعطى فى النهاية صورة متكاملة عن الكتابات التى كانت تحلى جميع مداخل المسجد النبوى الشريف بعد العمارة المجيدية، وترتيبها كما يلى :

---

(١) انظر أعلاه ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) ابن مليح : المصدر السابق ص ١٠٠ .

١ - الباب المجيدى :

وقد أزيل فى التوسعة السعودية ولم يظهر على ما حفظ له من صور ورسومات (لوحة رقم ٣١) شىء من الأشرطة الكتابية، التى تزين حاليا مداخل بعض أبواب الرواق القبلى كباب الرحمة وجبريل النساء ، ومرد ذلك كما اعتقد إلى كون هذا الباب محدث بالرواق الشمالى من المسجد الشريف ، مما يجعله أقل زينة وضخامة من بقية الأبواب المشهورة ، هذا فضلا عن كونه يؤدى أولا إلى بهو يخدم فى المقام الأول المكاتب المجيدية ، ثم ينفذ بعد ذلك إلى الرواق الشمالى من المسجد الشريف .

ولهذا فلا يعرف على وجه التأكيد، ما إذا كانت الآية الكريمة التى قيل أنها فوق باب التوسل ، كتبت بأعلى الباب المؤدى إلى المكاتب المجيدية أم بأعلى الباب المؤدى إلى الرواق الشمالى ، بيد أن الاحتمال الأول أرجح. لا سيما وأن الصورة السابقة تسمح بقبول هذا الاحتمال .

أما الآية المذكورة فقد روعى فى اختيارها ملاءمتها للاسم الذى اختاره السلطان عبد المجيد لهذا الباب ، بعد رفضه لتسمية بالباب المجيدى[١] ونصها : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون**[٢] »[٣] .

ولا يعرف ما إذا كانت الاقتراحات التى قدمها محمد رائف باشا سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م، إلى السلطان عبد المجيد بنقش الطفراء المجيدية ، مع إحدى القصائد المناسبة وتاريخ انتهاء العمارة من الرواق الشمالى فوق الباب المذكور[٤] ، قد نفذت أم أن اختيار الآية السابقة أغنى عن هذا كله .

أما الباب المؤدى من بهو المكاتب المجيدية إلى الرواق الشمالى، فيحتمل أن

---

(١) انظر أعلاه ص ١٥٠ .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٣٥ .

(٣) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٨٠ ، أيوب صبرى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٨١ .

(٤) الوثيقة ٨٧٥٥ سنة ١٢٦٨ هـ أرشيف مجلس الوزراء تصنيف إرادة مجلس الوالا .

تكون الصورة التى رآها البتنونى فى مصر ، عند الخطاط مصطفى الحريرى ، من أبيات الشعر المناسبة لباب التوسل مما كتب فى عهد السلطان عبد العزيز بخط عبد الله زهدى .

ولعل فى عدم ذكر أيوب صبرى أو إبراهيم رفعت لها ما يشير إلى أنها نقشت أو علقت فى مكان غير بارز ، فوق هذا الباب من داخل الرواق أو مما يلى بهو المكاتب المجيدية . لا سيما وأن عمارة هذا الجزء من المسجد النبوى الشريف، اكتملت قبل تولى السلطان عبد العزيز ١٢٧٧ - ١٢٩٣هـ/ ١٨٦٠ - ١٨٧٦م الحكم بزمن طويلا فضلا عن كونها لا تشتمل على تاريخ محدد كبقية النصوص.

ومهما يكن من أمر فإن فيها من المبالغة فى مدح الرسول ﷺ ، ما يدعو إلى عدم ذكرها ولعل هذا السبب هو ما دعا المؤرخين إلى إغفالها .

٢ - باب السلام :

احتفظ باب السلام حتى الوقت الحاضر بمعظم الكتابات التى أضافها السلطان عبد العزيز ١٢٧٧ - ١٢٩٣هـ/ ١٨٦١ - ١٨٧٦م ،على جانبى المدخل الذى يتقدمه(١) . حتى أنها طغت وبشكل واضح على ما كتب بقطع النحاس فى صرعتى الباب فى عهد السلطان عبد الحميد ، مع ما أعيد من النصوص المملوكية بأعلى العقد الخارجى للباب الرئيسى . وتسهيلا لتتبع النصوص المذكورة فقد قسمتها إلى جزأين هما .

الجزء الأول :

النصوص المدونة فى عهد السلطان عبد المجيد ، وأهمها إعادة النص المملوكى المتضمن إلغاء السلطان قايتباى المكوس من المدينة المنورة سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م وهو فى ثلاثة أسطر بخط الثلث المملوكى البارز ، على لوح من الرخام مثبت فوق العقد الخارجى لباب السلام ، وسط تكسية خزفية من النوع الخامس المذكور فى فصل الزخارف النباتية(٢) ، ونصه كما قرأه لمعى :

---

(١) انظر أعلاه ص ١٣٩

(٢) انظر أعلاه ص ٢١٧

هذا ما رسم به مولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى خلد الله ملكه بإبطال المكوس كلها من المدينة الشريفة والحدائق والشوانى وعوض أمير المدينة عن ناحية ظهر توت وبالبهنساية وكان ذلك فى شهر شوال سنة ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة[1] .

أما عتب الباب وكوشة عقده فقد حالت الزخارف البارزة بوجهه دون ظهور أى من الكتابات عليه ، بيد أن بوسط مصراعى الباب آيتين من سورة الحجر منقوشة بحروف من البرونز المسمر فى الخشب ونصهما :

على المصراع الأيمن : « **إن المتقين فى جنات وعيون** »

وعلى المصراع الأيسر « **ادخلوها بسلام آمنين** »[2] .

الجزء الثانى :

نصوص السلطان عبد العزيز : وتقتصر على المدخل الذى يتقدم باب السلام، ولا يظهر منها فى الوقت الحاضر إلا ثلاثة أشرطة فقط، مع أن بعض المصادر أشارت إلى أنها كانت حتى سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م أربعة أشرطة[3] . وبمراجعة محتوى النصوص القائمة حاليا على جانبى المدخل، مع ما جاء فى المصادر المذكورة . تبين لى اختفاء أحد الأشرطة المذكورة . مما يدعو إلى الاحتمال أن تكون إزالته تمت فى أول العهد السعودى، لاحتوائه على تسعة أبيات من قصيدة لشاعر غير معروف تضمنت بعض الغلو فى مدح الرسول ﷺ . ولم أجد فى جانبى المدخل مكانا يحتمل وجود النص الذى كان يضم الأبيات المذكورة إلا بين الشريط الأوسط والأسفل ، حيث يرى فى الوقت الحاضر بمكانه صفان من البلاطات الخزفية من جنس النوع الخامس المستخدم داخل الرواق القبلى. بالإضافة إلى ما يحيط بها من أشرطة خزفية ، استخدمت فى جدار القبلة كإطار للأشرطة الكتابية (لوحة رقم ٣٧).

---

(١) صالح لمعى : المدينة المنورة ٠٠٠٠ ص ١٢٠

(٢) آية ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) على بن موسى المصدر السابق ، ص ٧٩ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٥٨

وكـان العـثور على مثل هذا النوع من البـلاطات الخـزفـيـة فى أوائل العـهـد السعودى أمرا ميسورا ، فإن بعض مخازن المسجد النبوى كانت تضم عدة صناديق احتيـاطية من الخزف العثمـانى ، كمـا يذكر أحد المسئولين عن خدمة الحرم الشريف فى أوائل العهد السعودى [١].

هذا عن الشريط المفقود ، أما الكتابات المتبقية فهى بخط الثلث البارز فى ثلاثة أشرطة تشبه تمامًا أشرطة جدار القبلة فى الحجم ونوع الخط ، وقد جاء الشريط الأول والثانى من الجانب الأيمن فى مستوى ما يقابله من أشرطة جدار القبلة . بيد أن الشريط الثالث وهو أعرض من سابقيه ، ارتفع عـمـا يماثله من أشرطة جدار القـبلة ، فلم يجىء فى مـسـتـواه الذى كـان يجب أن يكون فى مـوضع الزخـرفـة الخزفية، التى وضعت مكان الشريط المفقود، ليتسق مع أشرطة جدار القبلة (لوحة رقم ٤).

ومـهـمـا يكن من أمر فإن ما تضـمـنته هذه الكتـابات آيات شريفة ، جاءت فى سطرين هما على النحو التالى :

السطر العلوى :

بدءا من اليـمين حيث يتجه الشريط من الغرب إلى الشرق ، بحروف بارزة مذهبة على ألواح من الخشب المدون باللون البنى الغامق ونصه : **قال الله تعالى : « ومن أصـدق من الله حديثا »**[٢] **« وقل رب أدخلنى مـدخل صـدق وأخـرجنى مـخــرج صـدق واجـعل لى من لدنك سلطانا نصـيـرا وقل جـاء الحق وزهق الباطل»**[٣] ويظهـر آخـر الشـريط فى الجـانب الأيسـر من من المدخل، فى نفس المستوى بما تبقى من الآية السابقة من قوله تعالى : **« إن الباطل كان زهوقا .**

(١) معلومات شفوية من السيد حبيب محمود ، أمين الأوقاف بالمدينة المنورة والمسئول عن الحرم النبوى قبل إسناد إدارته إلى الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين .

(٢) سورة النسـاء ، آخر الآية ٨٧

(٣) سورة الإسراء آية ٨٠ جزء من آية ٨١

ونتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونئا بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوسا »[١].

السطر الأوسط :

ويسير بنفس الطريقة التى سار بها الشريط السابق من اليمين ، فيبدأ من الشرق إلى الغرب ، بحروف بارزة مذهبة على ألواح من الخشب المدهون باللون الأخضر ونصه : « **بسم الله الرحمن الرحيم لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ... ومنهم من ينتظر وما بدلوا »[٢].**

وفى الجانب الأيسر من المدخل تكملة الآية السابقة فى نفس المستوى من قوله تعالى : « **تبديلا . ليجزى الله الصادقين .... وكان الله قويا عزيزا »[٣]**. وفى آخرها العبارة التالية : « **صدق الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم سلام عليكم .... »[٤]** .

السطر الأسفل :

ويبدأ من اليمين بحروف بارزة ، على أرضية ذات لون أخضر كسابقه ، وقد اختفى أول النص تحت التكسية المضافة على جانبى المدخل فى التوسعة السعودية الأولى ونصها : « **فداك أبى وأمى يا رسول الله . اللهم أيد بالنصر والعز »[٥]** ثم يظهر بقية النص على النحو التالى : « **مولانا السلطان عبد العزيز خان بن السلطان عبد المجيد خان بن السلطان محمود خان بن السلطان مصطفى خان بن السلطان سليم خان بن السلطان عبد الحميد خان بن السلطان مصطفى خان بن السلطان عثمان خان بن السلطان محمود خان بن السلطان أحمد**

---

(١) سورة الإسراء النصف التالى من آية ٨١ ـ ٨٣ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٢١ ـ آخر آية ٢٣ .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) قراءة الباحث وانظر صالح لمعى : المدينة المنورة ، ص ١٣٣ .

(٥) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٤٧ .

خان بن السلطان مصطفى خان بن السلطان أحمد خان بن السلطان سليمان خان بن السلطان محمد خان بن السلطان إبراهيم خان بن السلطان مراد خان»[١].

وفى الجانب الأيسر بقية النص، الذى يبدأ من الشرق إلى الغرب فى نفس المستوى بما تبقى من سلسلة النسب السابقة : **« بن السلطان عثمان خان بن السلطان مصطفى خان بن السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان أورخان بن السلطان عثمان أيد الله ملكه »**[٢]. ثم يختفى بقية النص تحت التكسية السعودية ، فى الجانب الأيسر من المدخل ونصه : **« إلى آخر الزمان ونهاية الدوران »**[٣].

أما ما يظهر فوق عقد المدخل الذى أضافه السلطان عبد العزيز فى مقدمة باب السلام ، فحوالى ٢٧ بيتا من قصيدة عثمانية ، منقوشة بخط الثلث البارز داخل إطارات مستطيلة رتبت فى ثلاثة صفوف متوازية (اللوحة رقم ٣٢) . ولم أتبين منها سوى ما جاء فى بعض الأبيات مما ترجمته « تشرف السلطان عبد العزيز بإكمال العمارة التى قام بها السلطان عبد المجيد فى الحرم النبوى، وذلك فى سنة ثلاثة وثمانين ومائتين وألف[٤] .

٣ ـ باب الرحمة :

يحتفظ باب الرحمة حتى الوقت الحاضر، بالمظلة التى أعدت لمدخله فى عمارة السلطان عبد المجيد ، فلم تؤثر عليها الإضافة التى زيدت فى العمارة السعودية الأولى بالجانب الغربى من رواق القبلة ، بل حمت زخارفه وكتاباته من وهج

---

(١) قراءة الباحث : وانظر صالح لمعى : المدينة المنورة ، ص ١٣٣ .

(٢) قراءة الباحث ، وانظر صالح لمعى : المدينة المنورة ص ١٣٤ .

(٣) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٤٧ ، صالح لمعى : المدينة المنورة ، ص ١٣٤ .

(٤) لا بد أن يكون كذلك نظرا لما جاء فى بعض المصادر من قيام السلطان المذكور بتجديد المنارة العزيزية من سنة ١٢٨٠ ـ ١٢٨٣هـ . وهو زمن طويل لا يمكن أن يخصص كله لبناء المنارة المذكورة .

الشمس ورطوبة المطر ، كما يظهر من الكتابات المحيطة بأعلى عتب المدخل الذى يتقدمه ، بخط مذهب على أرضية زرقاء فى شريط يقدر عرضه بحوالى ثلاثين سنتيمترا . وهى الآية المتضمنة لمعنى الرحمة الإلهية فى أوسع صورها مما يتمشى مع الاسم المعروف لهذا الباب من عهد الرسول ﷺ[١] ، ونصها ، « **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** [٢] »[٣] .

وبأعلى العتب من الداخل فى شريط مماثل جزء من آية ثانية بها صورة أخرى لمعنى الرحمة ونصها : « **إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة** » [٤]. وتحتها طغراء السلطان عبد المجيد .

وعلى مصراعى الباب مكتوب فى وسط الصرعة دعاء يبين أهمية هذا الباب ونصه : « **يا مفتح الأبواب** » ، وعلى اليسرى فى كتابة معاكسة « **أفتح لنا خير باب** » [٥] .

وفيما يتعلق بالأبيات الشعرية الموضوعة سنة ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م. فى عهد السلطان عبد المجيد على جدار الحنفية المخصصة للوضوء بين باب الرحمة وباب السلام ، فلم أعثر على صورة لها أو إيضاح للطريقة التى كتبت بها ، مما دعا إلى الاعتقاد بأن تكون قد نفذت بالحفر البارز أو الغائر على ألواح من الرخام ، لوجودها كما يذكر إبراهيم رفعت على جدار الحنفية الموضوعة أصلا لخدمة المصلين، مما يعرضها للتلف المبكر لو كتبت بغير الطريقة السابقة . وبغض النظر عما يعتور هذه الأبيات من خلل فى تركيبها الفنى ، فلا بد من ذكرها كنص

---

(١) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٩٧ .
(٢) سورة الزمر ، آية ٥٣ .
(٣) قراءة الباحث : انظر على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٨٠ ، إبراهيم رفعت ، المصدر السابق، جـ١ ، ص ٤٧٧ ، ولمعى : المدينة ..... ص ١٢٦ .
(٤) سورة الأنعام ، آية ٥٤ .
(٥) قراءة الباحث

تاريخى لعمل أزيل فى الوقت الحاضر ونصه :

أعظم بخيـر خليفـــة سلطاننـا عبد المجيد المجد ذى الأمر الرشـــد
المغدق الحرمين جـارى فضلـــه من فيض عين خزائن دوما يمـــد
من هــذه بعـــض أوقـاف لـــه تجرى معينـــا بالظهـــور لمـن ورد
تاريخها بحريم أرفـع مسجـــد حنفية يبقـى بهـا النفـع الأبـــد
سنـة ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م[1]

٢٦٠ + ٣٥١ + ١٠٧ + ١٥٣ + ١١٣ + ٨ + ٢٣١ + ٨ = ١٢٦١هـ

٤ ـ خوخة أبو بكر الصديق :

وتظهر حاليا فى الطرف الجنوبى من الجدار الغربى قرب باب السلام، وقد كتب اسمها بخط الثلث المنقوش بماء الذهب، داخل إطار مستطيل تحت العتب السفلى من شباك المدرسة المحمودية الواقع فوق عتبها المستقيم ونصه : « **هذه خوخة أبى بكر الصديق رضى الله عنه** »[2].

٥ ـ باب جبريل :

يظهر بأعلى المظلة التى يحتفظ بها باب جبريل، فى مقدمه كباب الرحمة وباب النساء منذ عمارة السلطان عبد المجيد حتى الوقت الحاضر ، شريط كتابى مماثل لما فى بقية الأبواب ، بخط مذهب على أرضية زرقاء ، فيه جزء من الآية الكريمة التى تبين دور جبريل عليه السلام فى العناية بالرسول ﷺ ، ونصها مع الدعاء المكتوب فى أولها وآخرها : « **قال الله العليم الخبير فى كتابه العزيز : «فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير »[3] صدق الله خالقنا رب العالمين** »[4] .

---

(١) إبراهيم رفعت ، المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٨ .

(٢) قراءة الباحث .

(٣) سورة التحريم ، آية رقم ٤ .

(٤) قراءة الباحث ، وانظر على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٨٠ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٦٩ ، لمعى : المدينة ، ص ١٢٥

أما مصراعا الباب فيتوسط كل منها جامة بيضاوية محاطة بزخرفة نباتية[١] مكتوب فيها بحروف من البرونز المفرغة ، جزء من آية بها معنى ضمنى لتشبيه هذا الباب بأبواب الجنة ونصها :

« **جنات عدن مفتحة لهم الأبواب** [٢]» [٣]. كما يظهر تحت مطرقتى الباب بحروف من البرونز المفرغة نص مكرر فى صرعتى الباب يشير إلى تجديده فى عهد السلطان عبد المجيد ونصه : « **عمره السلطان عبد المجيد خان سنة ١٢٧١هـ**»[٤].

ويتميز باب جبريل عن بقية أبواب الرواق القبلى ، بإعادة استخدام بعض ما كان بالباب القديم من ألواح البرونز المنقوشة بنصوص مملوكية ، تشير فقط إلى أعمال السلطان قايتباى فى المسجد النبوى ، دون تحديد التاريخ الذى يجب أن يكون فى سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م[٥]. وهى ست قطع متساوية الحجم والشكل (الشكل رقم ٥١) رتبت بالتساوى فوق المصراعين على النحو التالى :

المصرع الأيمن بدءا من أعلاه :

١ - أمر بعمارة هذا المسجد المبارك

٢ - على صاحبه أفضل الصلاة والسلام

٣ - مولانا العبد الفقير إلى الله تعالى

المصراع الأيسر بدءا من أعلاه :

١ - السلطان الملك الأشرف أبو النصر

٢ - قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين

---

(١) انظر أعلاه ص ١٣٣ .

(٢) سورة ص ، آية رقم ٥٠ .

(٣) قراءة الباحث : وانظر إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٩ ، صالح لمعى : المدينة المنورة ، ص ١١٩ .

(٤) قراءة الباحث ، انظر صالح لمعى : المدينة المنورة ص ١٢٥ .

(٥) وهى السنة التى تمت فيها عمارة المسجد النبوى فى عهد السلطان قايتباى ، انظر أعلاه ص ١١

٣ ـ خادم الحرمين الشريفين [١].

كما أعيد استخدام سماعتي الباب المصنوعتان من البرونز بطراز يختلف عن بقية سماعات أبواب الرواق القبلي، ومكتوب في أسفلها بالحروف البرونزية المفرغة لفظتا الشهادتان فباليمنى كلمة « **لا اله الا الله** » وباليسرى « **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم** » [٢].

هذا عن الكتابات الظاهرة بمصراعي الباب ومدخله من الخارج، أما أعلى الباب من الداخل، فتظهر البسملة داخل العقد الذى يعلو عتبة المستقيم، مع جزء من آية شريفة بخط الثلث المكتوب بماء الذهب ونصها : « **بسم الله الرحمن الرحيم** « **وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا** » [٣] صدق الله العظيم » .

ويبدو أن الآية المذكورة، حلت في موضع بيت الشعر الذى كان مكتوبا في هذا الجزء من الباب في سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م [٤]، بعد إزالته في وقت تال لذكر على بن موسى له . لاحتوائه على بعض المبالغة في مدح الرسول ﷺ، بدليل عدم وروده في رحلة إبراهيم رفعت المطبوعة سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، أو رحلة البتنوني الذى زار المدينة المنورة بعده، مع حرصهما الشديد في استقصاء ما في المسجد النبوي من كتابات .

٦ ـ باب النساء :

ويتقدم مدخله مظلة بأعلاها شريط مشابه لما يزين واجهة مدخل جبريل وباب الرحمة، وذلك بخط مذهب على أرضية زرقاء، لآية شريفة تحت النساء ـ اللاتي خصص الباب لدخولهن من عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه [٥] ـ على

---

(١) قراءة الباحث، انظر صالح لمعي : المدينة المنورة ص ١١٩ .

(٢) قراءة الباحث : انظر صالح لمعي : المدينة المنورة ص ١١٩ .

(٣) سورة الجن آية رقم ١٨ .

(٤) على بن موسى : المصدر السابق، ص ٨٠ .

(٥) السمهودى : المصدر السابق، جـ٣ ص ٦٩٢ .

الطاعة لله ولرسوله وآداء الواجبات ، ونصها مع بعض الأدعية التى اختفت فى الوقت الحاضر بسبب مجاورة التوسعة السعودية من الشمال لباب النساء ، « الله ولى التوفيق ، قال الله تبارك وتعالى جل وتقدس [١]: **وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** [٢]»[٣] .

وبأعلى العتب المستقيم لباب النساء ، شريط مماثل للأول يزيد طوله عن فتحة الباب بشئ يسير ، وبه آية أخرى من السورة السابقة تحث النساء على العمل بآيات القرآن الكريم وحكمه ونصها : « **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة أن الله كان لطيفا خبيرا** [٤]» [٥]. وفوق ذلك نص قرآنى فى شريط ضيق، لم أجد له ذكر فى الكتب التى اطلعت عليها ، وفيه إشارة إلى أنه تجديد لبعض أعمال السلطان سليمان القانونى فى حدود سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م [٦] ونصه : « **إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم** [٧]» [٨].

أما مصراعا الباب فيتوسطهما جامتان بيضاويتان، بهما أربع عبارات لدعاء متكرر، مكتوب بحروف من البرونز المفرغ، فيظهر القسم الأول من الدعاء على المصراع الأول مكررا فى تقابل فريد من نوعه فى المسجد الشريف (الشكل رقم ٣) ونصه : « **يا مفتح الأبواب** » .

ويظهر على المصراع الأيسر ، جزء آخر من الدعاء المكرر فى تقابل مشابه

---

(١) التكملة من إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٨ .

(٢) سورة الأحزاب . آية رقم ٣٣ .

(٣) قراءة الباحث : انظر إبراهيم رفعت ، المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٨ ، صالح لمعى : المدينة المنورة ص ١٢٥ .

(٤) الأحزاب ، آية رقم ٣٤ .

(٥) قراءة الباحث وانظر على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٨ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٤٧٨ ولم يذكرها صالح لمعى فى كتابه المدينة المنورة ...

(٦) انظر أعلاه ص ٢٧ .

(٧) سورة النمل ، آية رقم ٣٠

(٨) قراءة الباحث.

للأول ونصه : « **افتح لنا خير باب** » [١].

وفي وسط كل من الدعاءين، نص تأسيسي مكرر بحروف برونزية دقيقة، لم أجد لها ذكر في الكتب التي اطلعت عليها ونصها : «**عمر السلطان عبد المجيد**»[٢].

ووسط سماعتي الباب حروف برونزية مفرغة، باليمنى منها عبارة « **لا إله إلا الله** » وعلى اليسرى « **محمد رسول الله** » [٣].

هذا عما يزين مصراعي باب النساء ومدخله من الخارج ، أما الكتابات من الداخل فيظهر منها فوق عتب الباب، نص قرآني يحث النساء على إخلاص الطاعة لله ولرسوله ونصه : « **ومن يقنت منكن لله ولرسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما** [٤]» [٥].

وفوق عقد الباب نص قرآني آخر ، مكتوب بخط مذهب في شريط مماثل يحث النساء على العمل وطلب المعونة من الله تعالى ونصه : « **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله أن الله كان بكل شيء عليما** [٦]» [٧].

هذا عن الكتابات التي تزين مدخل باب النساء ومصراعاه ، أما ما يزين بعض نوافذ الجدار الشرقي الممتد من المنارة الرئيسية حتى باب النساء من الكتابات ، فغالبها أسماء لبعض الملائكة المقربين . مع بعض الأدعية والآيات الشريفة المناسبة

---

(١) قراءة الباحث : انظر إبراهيم رفعت المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٨ ، صالح لمعي : المدينة المنورة ، ص ١٢٥ .

(٢ ، ٣) قراءة الباحث .

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٣١ .

(٥) قراءة الباحث وانظر علي بن موسى : المصدر السابق ، ص ٨٠ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق، جـ١ ، ص ٤٧٩ ، صالح لمعي : المدينة المنورة ، ص ١٢٦ .

(٦) سورة النساء ، آية رقم ٣٢ .

(٧) قراءة الباحث : إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٩ ، صالح لمعي : المدينة المنورة ، ص ١٢٥ .

لمسمياتها القديمة وترتيبها كالتالى :

١ - « **جبريل عليه السلام** » وذلك بخط مذهب وسط جامة دائرية ، تتوسط الحلية المعدنية الظاهرة من الخارج والداخل بالشباك الدائرى الواقع فى الطرف الجنوبى ، من أعلى الجدار الشرقى بجوار المنارة الرئيسية .

٢ - « **ميكائيل عليه السلام** » وتظهر من الداخل والخارج كسابقتها ، وسط الحلية المعدنية الظاهرة بوسط الفتحة الدائرية الواقعة فوق الشباك المستطيل الواقع جنوب شباك النبى ﷺ [١] .

٣ - « **عزرائيل عليه السلام** » وذلك وسط الفتحة الدائرية الظاهرة فوق شباك النبى عليه الصلاة والسلام ، من الداخل والخارج أيضاً .

أما شباك النبى المستطيل[١] ، فبأعلاه زخرفة نباتية بارزة يتوجها جامة بيضاوية ، مكتوب فيها بخط مذهب على أرضية زرقاء كلمة « **بسم الله الرحمن الرحيم** » . وفوق عتب الشباك المذكور شريط أزرق، به آية بخط مذهب تحث المؤمنين على الصلاة على النبى ﷺ ونصها : « **إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**[٢] » [٣] .

٤ - « **اسرافيل عليه السلام** » : وتظهر فى الداخل والخارج ، وسط الفتحة الدائرية الواقعة فوق الشباك المجاور من الشمال لشباك النبى عليه السلام .

٥ - « **رضوان عليه السلام** » : وتظهر كسابقتها من الداخل والخارج، وسط الحلية المعدنية الظاهرة بالفتحة الدائرية الواقعة بين الشباك السابق وباب جبريل عليه السلام .

٦ - « **الله جل جلاله** » : ويقتصر ظهورها وسط الفتحة الدائرية الواقعة فوق

---

(١) عن سبب تسمية هذا الباب . انظر أعلاه ص ١٥٧ ، البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٥٦

(٣) قراءة الباحث : انظر البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٠

باب جبريل من الداخل والخارج أيضاً .

٧ ـ « **النجاة فى الصدق** » : وتظهر هذه العبارة وسط الحلية المشابهة لبقية الفتحات السابقة ، بشباك مخزن الأغوات المطل من الجدار الشمالى لباب جبريل ، على الساحة أمام مدخل باب النساء . ولا يعرف ما إذا كانت هذه العبارة تتكرر كسابقتها بالوجه الداخلى للشباك المذكور أم لا ؟ .

٨ ـ أما الشباك الواقع فى الجزء العلوى من الجدار الشمالى للمنارة الرئيسية ، فرغم تماثله مع الشبابيك السابقة . إلا أن به ستة ألفاظ من أسماء الله الحسنى ونصها : « **يا رحمان ، يا حنان ، يا منان ، يا ديان ، يا سبحان، يا برهان** » .

خامسًا : الكتابات المحيطة من الخارج بالحجرة الشريفة واسطوانات الرواق القبلى وبعض الأثاث الثابت فيه

أ- الكتابات المحيطة بالحجرة الشريفة :

احتفظ مشبك الحجرة الشريفة بعد العمارة المجيدية ، بالكتابات المنقوشة عليه من عهد السلطان المملوكى قايتباى، وتظهر فى موضعين منه ، فالأول منهما يؤرخ لبناء المقصورة الشريفة فى عهده سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م، وقد نقش فى الجانب الغربى من الحجرة الشريفة بين الاسطوانتين اللتين كتب عليهما خطأ اسطوانة الوفود واسطوانةالحرس[١] . والثانى فوق الباب الشمالى للمقصورة الشريفة ويتضمن تاريخ بناءها فى عهد الأشرف قايتباى سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م [٢].

ولا يظهر فى الوقت الحاضر، من القصيدة المنقوشة بأعلى المشبك المذكور فى عهد السلطان عبد الحميد الأول سنة ١١٩١هـ / ١٧٧٧م ، إلا عدة أبيات خلت من المغالاة التى أضفاها الشاعر فى مدحه للرسول ﷺ فى بقية أبيات القصيدة ، وقد أشرت إلى خصائص خطها عند الحديث عن أعمال السلطان المذكور [٣].

وتعود كتابات المواجهة الشريفة، إلى فترات مختلفة من العصر العثمانى، وأقدمها الدعاء المنقوش سنة ١٠٢٧هـ / ١٦١٧م، فوق اللوح الفضى باسم السلطان أحمد الأول، مع بعض الآيات المناسبة للمقام الشريف [٤].

أما الشهادتان المنقوشتان بالحروف المفرغة ، فى عدة مواضع من مشبك المواجهة الشريفة فى أواخر العصر العثمانى، فإن لهما أصل فى المشبك الفضى الذى أهداه السلطان أحمد الأول سنة ١٠٢٦هـ / ١٦١٦م[٥]، بدلا من السياج الموضوع من النحاس فى عهد السلطان المملوكى قايتباى سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م.

---

(١) عن الموضع الصحيح للاسطوانتين المذكورتين انظر أعلاه ص ١٢٨ ، وانظر البرزنجى المصدر السابق ص ٥٧ .

(٢) انظر محمد هزاع الشهرى : المرجع السابق ، ص ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٣) انظر أعلاه ص ٧٣ .

(٤) انظر أعلاه ص ٦٦ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٥٨٤ .

كما تظهر طغراء السلطان محمود الثانى بأعلى المواجهة الشريفة للدلالة على ما قام به السلطان المذكور سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م من أعمال [١].

أما الكتابات المحدثة فى عهد السلطان عبد المجيد فى أماكن مختلفة من جدار الحجرة ، فتظهر فى خمسة مواضع وترتيبها كما يلى :

النص الأول :

ويظهر مكتوبا بخط الثلث البارز ، فى الطرف الغربى من المواجهة الشريفة ، لى ارتفاع يقارب المترين من الكتف الجنوبية الغربية . وقد اختفى الجزء الأول منه تحت طبقة من الدهان لاحتوائه كما يبدو على بعض المغالاة ، أما بقية النص فتظهر عباراته الدعائية متداخلة فى قسمين ، بحيث يتعذر قراءته إلا بعد تأن ومثابرة مضنية ونصه :

« ..... استجب لقانا عساك تمح بفضلك عن كل خطئه وصل على النبى الهادى محمد وآله وصحبه كل وقت ولحظة » .

« محمد رسول رب العالمين من أخجل نوره الشمس المنيرة صلى عليه وآله والصحب ذو الجلالة ما أبدا الزمان سرورا » .

النص الثانى :

ويظهر مكتوبا بخط الثلث البارز ، فى الجانب الغربى من الكتف السابقة، فى مستوى النص السابق . وهو حديث شريف يبين فضل الروضة المطهرة والمنبر الشريف ونصه :

« ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على ترعة من ترع الجنة » [٢].

---

(١) عن الأعمال المذكورة انظر أعلاه ص ٧٧ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب التهجد باب فضل ما بين القبر والمنبر ، انظر صحيح البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى جـ٦ ص ٨٤ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وآخرون ـ مطبعة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

النص الثالث :

وهو جزء من آية شريفة كتبت بحروف مربعة وكلمات متداخلة، على هيئة الخط الكوفى وأسلوب الزخرفة المعقلية، بأعلى الكتف الشمالية الغربية من الحجرة الشريفة ونصها :

« نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين »[١] « يا محمد » [٢].

النص الرابع :

وهو بأعلى المشبك الشمالى من الحجرة الشريفة، فوق الباب المؤدى إلى الحجرة الشريفة من هذه الجهة . وهو جزء من آية شريفة كتبت بخط الثلث المذهب فوق قطعة من الخشب ونصها :

« وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين »[٣]، (لوحة رقم ٥) .

النص الخامس :

وهو جزء من آية شريفة، تحث المؤمنين على مداومة الصلاة والسلام على الرسول ﷺ . وتظهر فوق الكتف الشمالية الشرقية من الحجرة الشريفة، وتشبه خط وزخرفة الآية المكتوبة فوق الكتف الشمالية الغربية ونصها :

« أن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه » [٤].

ب - الكتابات المنقوشة فوق بعض أسطوانات الرواق القبلى :

تعود الكتابات المنقوشة على بدن بعض أسطوانات الرواق القبلى ، إلى أزمنة

---

(١) سورة الصف جزء من آية رقم ١٣ .

(٢) ليست من الآية .

(٣) سورة الزمر آية رقم ٧٣ .

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٥٦

مختلفة من العصر العثماني ، وأقدمها القصيدة المكتوبة باللغة العثمانية ، في الجزء العلوى من الرخام الموضوع سنة ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م في عهد السلطان سليم الثالث ، فوق أعمدة الروضة المطهرة[١] . وتنفيذا للتعليمات التي أمر بها السلطان عبد المجيد، أبقى المسئولون عن العمارة المجيدية على نص الأبيات المذكورة[٢] . إلا أن الملاحظ في الوقت الحاضر خلو الرخام في بعض اسطوانات الروضة الشريفة من إعادة ما كان بها من أبيات القصيدة، فقد تبين بعد ترجمتها مغالاة الأوصاف التي أضافها السلطان الشاعر، في معظم الأبيات التي وصف بها الرسول ﷺ من قصيدته المذكورة، وتنافيها مع روح الإسلام الصحيح .

أما الكتابات المجددة في العمارة المجيدية، في الجزء العلوى من بعض الأسطوانات المشهورة في الروضة المطهرة ،بخط الثلث المنقوش بالحفر البارز وسط دائرة مزخرفة من أطرافها بما يشبه الأكليل ، فقد ذكرها بعض المؤرخين عند حديثه عن المسجد النبوى سنة ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م[٣] . وكان ما شاهده المؤلف مطابقا لما في المصادر القديمة ، إلا أن خطأ حدث فيما بعد في مسمى اثنين منهما ، هما اسطوانة الوفود واسطوانة المحرس ، فإن المقصود بهما الأسطوانتان المقابلتان لهما من الغرب ، والواقعتان خلف اسطوانة التوبة مما يلي الشمال . ولا بد أن يكون هذا الخطأ قد حدث عندما قام السلطان سليم الثالث سنة ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م ، بزخرفة اسطوانات الروضة بالرخام .

ومهما يكن الأمر ، فإن الكتابات المذكورة جاءت على النحو التالي :

١ ـ هذه اسطوانة المصلى .

٢ ـ هذه اسطوانة السيدة عائشة .

٣ ـ هذه اسطوانة أبي لبابة .

---

(١) تنظر أعلاه ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) عن الأبيات المذكورة وطريقة توزيعها ، انظر أيوب صبرى : المصدر السابق جـ١ ص ٤٤٤ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٥٦ نقلا عن كتاب مفقود بعنوان الذخر النافع لمحمد ابن سليمان الكردى .

٤ ـ هذه اسطوانة السرير .
٥ ـ هذه اسطوانة المحرس .
٦ ـ هذه اسطوانة الوفود .

كما تظهر الكتابات الدالة على حد المسجد النبوى الشريف فى عهد الرسول ﷺ مما يلى الغرب ، والمحدثة فوق إحدى عشرة اسطوانة فى العمارة المجيدية سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م ، فى عهد محمد راشد أفندى ، مكررة فى العمود الواحد أربع مرات وسط حلية نباتية مذهبة ، مما يلى تيجان الأعمدة المذكورة ونصها :

« هذا حد المسجد النبوى » [١] .

جـ ـ الكتابات المنقوشة فى واجهة المنبر الشريف والمحرابان النبوى والسليمانى وما يحيط بهما من المداخل :

احتفظ المنبر الشريف فى العمارة المجيدية ، بالكتابات المنقوشة من عهد السلطان مراد الثالث سنة ٩٩٨هـ / ١٥٨٩م ، فى واجهة العتب الخارجى لمدخل المنبر والجزء العلوى من مصراعيه [٢] .

ورغم التجديد الذى طرأ منذ بضعة أعوام على مصراعى المنبر ، فإن الكتابات المنقوشة بأعلاها أعيدت كما كانت فى المصراعين القديمين ، حتى صار من المتعذر ملاحظة أدنى الفوارق بينهما .

أما واجهة المحراب النبوى والسليمانى، فتتميز بالآيات المنقوشة بخط الثلث البارز فى الجزء العلوى من حنيتهما ، وقد أبقى المسئولون عن العمارة المجيدية على

---

(١) حذر البرزنجى فى المصدر السابق ص٣٧ من كون المعنى القريب لهذه العبارة يدل على أن ما خرج عن هذا الحد ليس من المسجد النبوى ، واقترح أبدال كلمة النبوى بلفظ القديم ، ودفعا للإلتباس فإننى أقترح إضافة كلمة القديم لتصبح العبارة على النحو التالى : « هذا حد المسجد النبوى القديم » .

(٢) انظر أعلاه ص ٣٥ وما بعدها .

الكتابات المنقوشة فى العصر المملوكى سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م، خلف المحراب النبوى وواجهته [١]. وكذلك الكتابات المنقوشة فى عهد السلطان سليمان القانونى سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م، خلف المحراب السليمانى وواجهته [٢].

وتتميز الكتابات المنقوشة فى عهد السلطان عبد المجيد بأعلى الهرمين المضافين فوق كل منهما، بجودة الخط ومشابهتها لخطوط جدار القبلة وقبابه ، فبأعلى المحراب النبوى جزء من آية ، تظهر مكتوبة داخل دائرة كبيرة بخط الثلث البارز والمذهب ، على أرضية زرقاء ونصها :

« كلما دخل عليها زكريا المحراب » [٣].

وبأعلى الهرم ، قرص من النحاس المنقوش بعدد من الكتابات المفرغة ، فبأعلاه كلمة **« يا نور الله »** داخل شكل ورقة نباتية بثلاثة فصوص . ثم الشهادتان وسط القرص أو العلم المذكور على النحو التالى :

« لا إله إلا الله »

« محمد رسول الله »

ويحيط بها كتابة لم أتبين منها إلا ما يلى : **« ..... جدد ... محمد المقاسى علم على محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم »** .

وقد أعيد بأعلى المحراب السليمانى نقش الآية السابقة ، فى دائرة مماثلة لما فى المحراب النبوى [٤]. كما نقش فى العلم (القرص) الذى يتوج أعلاه، عبارات مشابهة لما فى علم المحراب النبوى فتظهر كلمة **« يا نور الله »** داخل شكل ورقة نباتية بثلاثة فصوص ثم الشهادتان فى وسط العلم (القرص) ومن ورائها نص لم أتبين منه إلا ما يفيد بأنه **« علم على المحراب السليمانى »** ، **« محراب السلطان سليمان »** .

---

(١) انظر محمد هزاع الشهرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .

(٢) انظر أعلاه ص ٢٨ وما بعدها .

(٣) سورة آل عمران جزء من آية رقم ٣٧ .

(٤) سورة آل عمران جزء من آية رقم ٣٧ .

أما كتابات المداخل الواقعة على جانبى المحراب النبوى والسليمانى ، فقد أشارت بعض المصادر إلى بعض الكتابات الموجودة حاليا فوق المداخل المذكورة قبل عمارة السلطان عبد المجيد[1] . الأمر الذى أدى بالقائمين على عمارة السلطان عبد المجيد إلى تجديد المداخل المذكورة ، وإعادة ما كان بها من الأحاديث ، دون الاكتراث بما فى بعضها من الضعف والتأويل .

وتظهر الكتابات المذكورة بخط الثلث المنقوش بالحفر البارز فى وجه وظهر قطع الخشب المستديرة والمستطيلة والموضوعة داخل إطارات من البرونز (لوحة رقم٤٥) وترتيبها كما يلى :

١ ـ المدخل الواقع على يمين مستقبل المحراب النبوى :

وبأعلاه مما يلى الروضة المطهرة داخل دائرة يقدر قطرها بحوالى ٣٠ سم تقريبا عبارة : « **قال النبى صلى الله عليه وسلم** » ثم الحديث التالى داخل لوحة مستطيلة ٤٠ × ١٥٠ سم تقريبا ونصه : « **إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها** »[2].

أما الوجه الآخر فقد أشارت بعض المصادر إلى نص الكتابة المنقوشة فيه بعد العمارة المجيدية[3] ، والمتضمنة بعض الأحاديث الضعيفة . وتظهر بأعلاه فى الوقت الحاضر كلمة : « **قال النبى صلى الله عليه وسلم** » على الوجه الآخر من القطعة السابقة . ثم نص الحديث المكتوب فى الوجه المقابل للروضة الشريفة فوق قطعة من البلاستيك الأخضر وبخط الثلث المشابه تماما للخط الأصلى .

---

(١) أحمد بشكارى زاده : المصدر السابق ، ص ٢ ، أيوب صبرى : المصدر السابق جـ١ ص ٤٧٩
Burton : op. cit., vo l. 2, P. 310 .
وانظر أعلاه ص ٣١ ، ٩٥ .

(٢) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٨١ وقد رواه البخارى فى كتاب فضائل المدينة باب الإيمان يأرز إلى المدينة . انظر صحيح البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى ، جـ٨ ص ٢٢٣ .

(٣) أحمد بشكارى زاده : المصدر السابق ، ص ٢ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

٢ ـ المدخل الواقع على يسار مستقبل المحراب النبوى :

ويظهر بأعلاه مما يلى الروضة المطهرة ، داخل دائرة مشابهة لما فى المدخل الأول عبارة : « **قال النبى صلى الله عليه وسلم** » ثم الحديث التالى داخل لوحة مستطيلة ٤٠ × ١٥٠ سم تقريبا ونصه : « **ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة** »[١].

أما الوجه المقابل لجدار القبلة من هذا المدخل، فقد أشارت بعض المصادر إلى النص المكتوب فيه بعد العمارة المجيدية[٢]. والمستورة فى الوقت الحاضر بقطعة من البلاستيك الأخضر ، أعيد عليها كتابة الحديث الظاهر فى وجهها المقابل للروضة المطهرة بخط الثلث المشابه تماما لخطها الأول .

٣ ـ المدخل الواقع على يمين مستقبل المحراب السليمانى :

ويظهر بأعلاه مما يلى وجه المحراب ، داخل دائرة مماثلة لما فى المدخلين السابقين عبارة « **الله عز وجل** » ثم كلمة « **لا إله إلا الله الملك الحق المبين** » ، على قطعة من الخشب داخل إطار مستطيل من البرونز ٤٠ × ١٥ سم تقريبا .

وبأعلى الوجه المقابل لجدار القبلة فى الوجه الآخر من الدائرة السابقة ، عبارة «**قال النبى صلى الله عليه وسلم**» ثم الحديث الدال على مستحقى الشفاعة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فى ظهر اللوحة المستطيلة السابقة ونصه : «**شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى**»[٣].

٤ ـ المدخل الواقع على يسار مستقبل المحراب السليمانى :

وبأعلاه مما يلى وجه المحراب ، داخل دائرة مماثلة لما سبق عبارة « **محمد عليه**

---

(١) أحمد بشكارى زاده : المصدر السابق ، ص ٢ ، وعلى بن موسى : المصدر السابق ، ص٨٠ . وقد رواه البخارى فى كتاب التهجد باب فضل ما بين القبر والمنبر . انظر صحيح البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى جـ٦ ص ٨٤ .

(٢) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٨٠ وما بعدها .

(٣) على بن موسى : المصدر نفسه ، ص ٨١ وإبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٥٨ وقد رواه أبو داود فى كتاب السنة باب الشفاعة . انظر سنن أبى داود جـ٥ ص ١٠٦ إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس ، الطبعة الأولى ، دار الحديث حمص ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

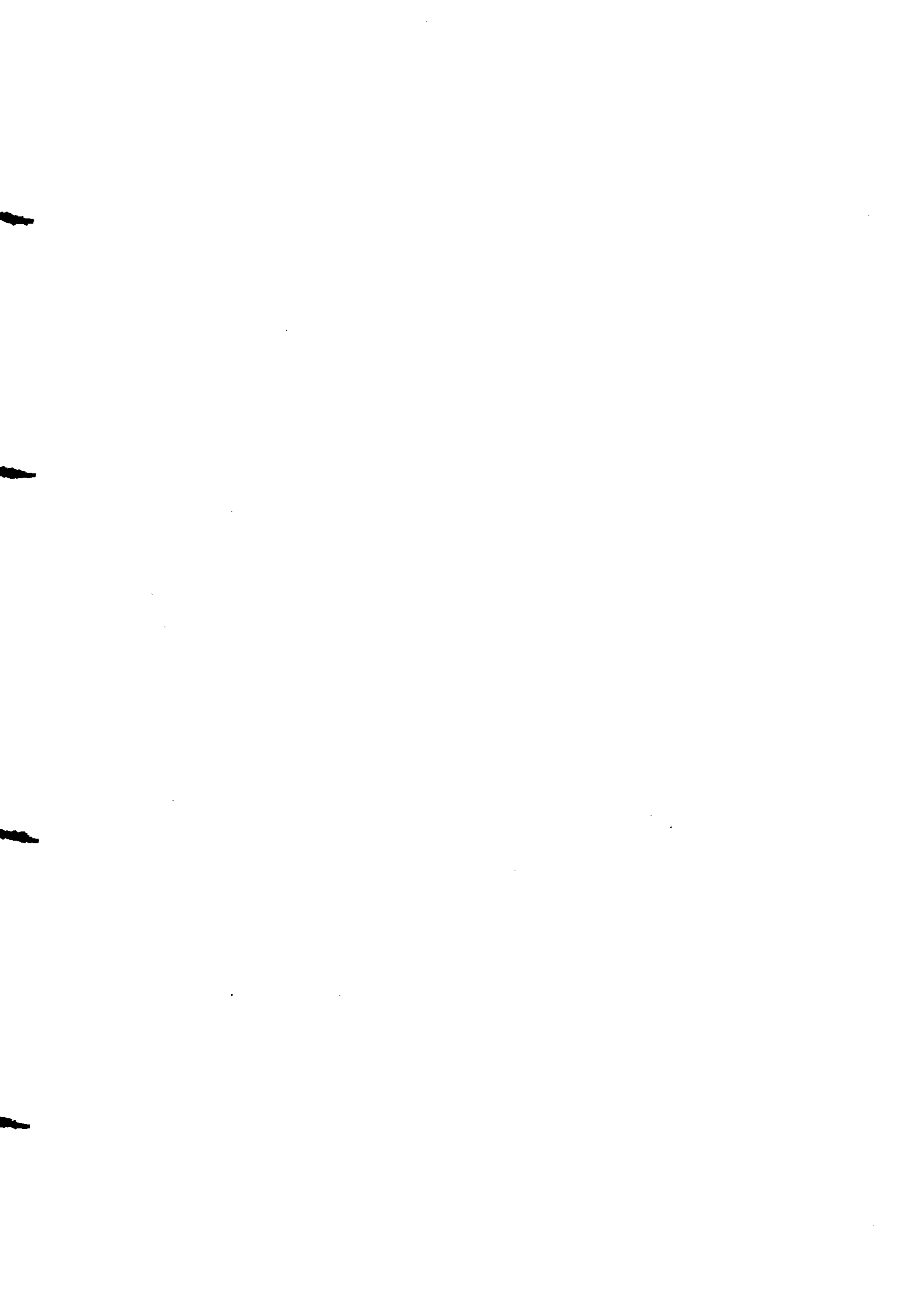
السلام » ثم العبارة التالية « **محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين** » على قطعة من الخشب داخل إطار مستطيل من البرونز ٤٠ × ١٥٠ سم تقريبا .

وبأعلى الوجه المقابل لجدار القبلة فى الوجه الأخر من الدائرة السابقة عبارة «**قال النبى صلى الله عليه وسلم**» ثم الحديث الدال على ثبوت الشفاعة للرسول ﷺ يوم القيامة ومستحقها من أمته ونصه :

« **شفاعتى يوم القيامة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها** » [١] .

---

(١) على بن موسى . المصدر السابق ، ص٨١ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق جـ١ ص ٤٥٨ ، وقد رواه أبو داود فى المصدر السابق كتاب السنة باب فى الشفاعة جـ٥ ، ص ١٠٦



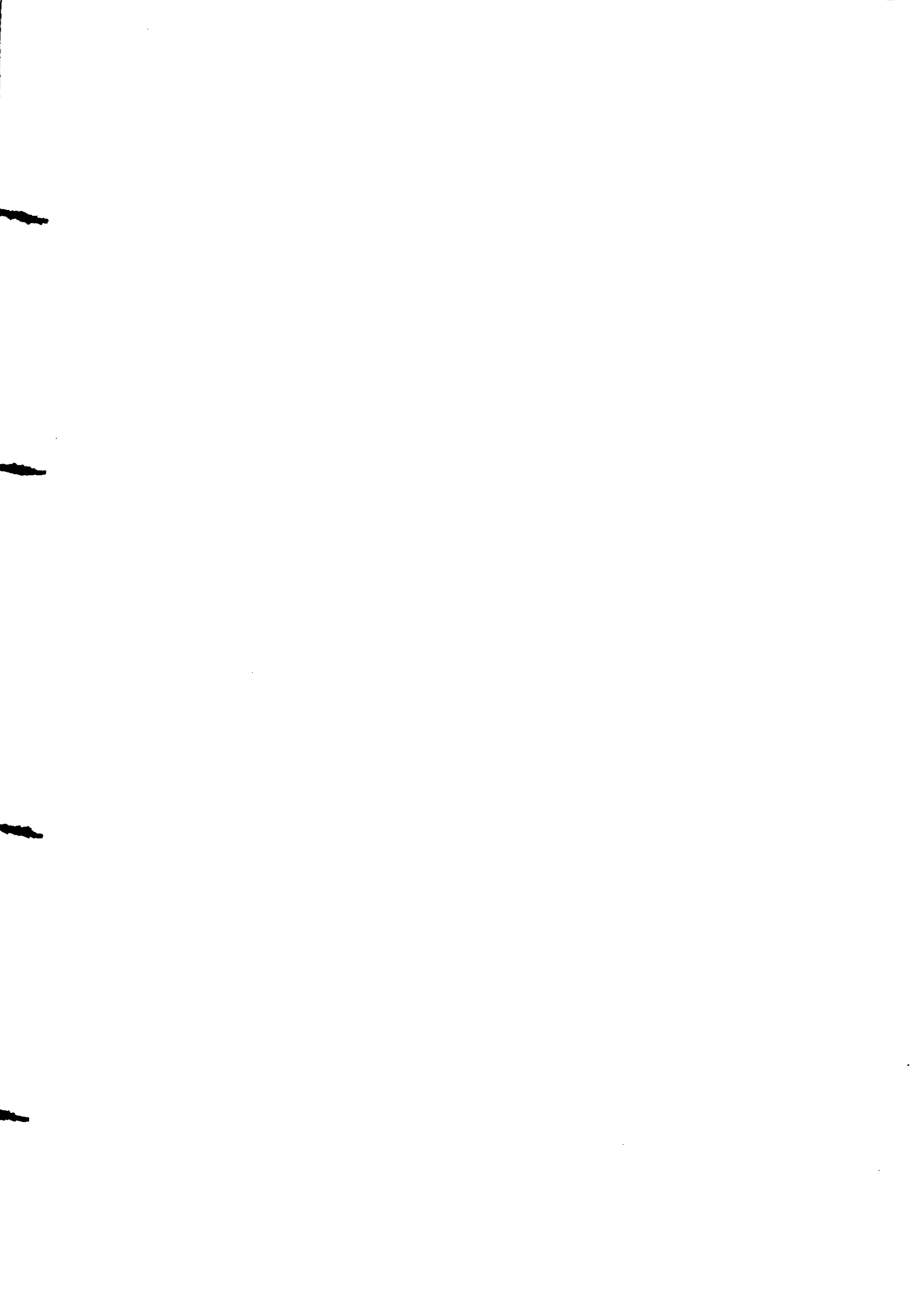
الباب الثالث

أثاث المسجد النبوى وتحفه



الفصل الأول

الأثـــــــــاث



الباب الثالث : أثاث المسجد النبوى وتحفه

الفصل الأول : الأثاث

وجد العثمانيون من أسلاف السلطان عبد المجيد فى أثاث المسجد وتحفه ، ما يفى برغبتهم فى خدمة الحرم النبوى الشريف، لا سيما وأن التقاليد الموروثة حدت من رغبة بعضهم فى تجديد بناء الحرم الشريف، وقصرت ذلك على الترميم والتجديد عند الضرورة القصوى [(١)]، وإذا كان ما حفظ من هدايا المسجد وأثاثه قبل عهد السلطان عبد المجيد يعد لسوء الحظ فى حكم الندرة ، فإن التاريخ حفظ لنا أوصاف بعض المفقود منها ؛ مما ساعد فى التعرف على بعض خصائصها الفنية، ولأن غالب ما كان يهدى للمسجد النبوى من أثاث، قد صار فى الوقت الحاضر من التحف النادرة نظرا لقدمه، فمن الصعوبة بمكان فصل الأثاث عن التحف ، إلا إذا قصرنا التحف على ما كان يهدى للمسجد النبوى والحجرة الشريفة طيلة هذا العصر من ثمين الجواهر وغالى النذور وما شاكلها .

أما الأثاث فيمكن تقسيمه إلى قسمين هما :

أولا : الأثاث الثابت .

ثانياً : الأثاث المنقول .

أولاً : الأثاث الثابت :

ويشتمل على ما كان يخدم المسجد النبوى من الأشياء الثابتة ذات الصفة البنائية ، كالمحاريب والمنبر والمكبريتان وما يلحقهما من آلات التوقيت ، وفيما يلى عرض موجز لتاريخ وخصائص كل منها :

(١) المحاريب :

كان للمسجد النبوى الشريف ستة محاريب، يعود معظمها إلى ما قبل العصر

---

(١) انظر أعلاه ص ٨٦ ، ٨٧ .

العثماني وأهمها :

أ ـ المحراب النبوى : ويظهر فى موضع مصلى النبى عليه الصلاة والسلام بالقرب من جدار القبلة الأول ، وقد أحدث فى عمارة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٧هـ / ٧١٥م[١] ، ثم جدد فى العمائر التى شهدها المسجد النبوى الشريف قبل عمارة الأشرف قايتباى الثانية سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م [٢] ، ولا زال يحتفظ حتى الوقت الحاضر بما أحدث به فى تلك العمارة من كتابات وزخارف، تتسم فى غالبها بالطراز المملوكى الأصيل، إلا ما أحدث بأعلاه فى العمارة المجيدية سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م[٣] ، من شراريف مذهبة يغلب على زخارفها الطراز الباروكى[٤] ، وتحيط بالمخروط الذى أحدث أيضًا بأعلاه من جميع الجهات . وكتابات المحراب فى مجملها آيات قرآنية ونقش تأسيسى لم يطرأ عليها فى العصر العثمانى أى تغيير يذكر ، إلا ما قام به فخرى باشا سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م من أعمال الترميم[٥] ، التى روعى فيها إعادة كل شئ لأصله .

ب ـ المحراب العثمانى : وينسب إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، الذى اتخذ فى موضعه مصلى يسامت مصلى النبى ﷺ ، بعد إضافته للبلاطة الثانية فى مقدم الرواق القبلى . أما حنية المحراب فلم تحدث إلا فى عمارة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٧هـ / ٧١٥م ، ونظرا لتعرض جدار القبلة للهدم والتجديد عدة مرات فى العصر العثمانى[٦] ، فقد انعكس ذلك على نوع الزخرفة فيه ، حيث خلت كما يبدو من أعمال الفسيفساء الدقيقة ، إلا ما يظهر من الزخرفة المشعة بأعلاه، وما يتصل بها من تعشيقات رخامية على هيئة أوراق النبات الثلاثية [٧] .

---

(١) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٥٢٥ .
(٢) انظر أعلاه ص ٧ ـ ١٢ .
(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(٤) انظر أعلاه فصل الزخارف ص ٢٣٠ .
(٥) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .
(٦) انظر أعلاه ص ١١ ، ٦٢ ، ١٣٠ .
(٧) انظر فصل الزخارف النباتية ص ٢٢٣ .

ومهما يكن من أمر فإن هذا المحراب يتميز بعمق حنيته وارتفاعها ، فضلا عن تنوع الكتابات المحيطة بجزئه العلوى من جميع الجهات ، مما أضفى على مظهره المتميز بالعمق وضخامة البناء ، دقة التصميم وجمال فى توزيع النسب . وهو ما تفتقده المحاريب الأخرى رغم كثرة زخارفها وتنوعها .

جـ - المحراب الحنفى (السليمانى) : ويعود تاريخ أحداثه إلى سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م [١] ، وقد أوضحت فيما سبق سبب تقديمه فى محاذاة المحراب النبوى عند الحديث عن أعمال السلطان سليمان القانونى سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م، مع ذكر النصوص القرآنية المنقوشة فى شريط يحيط بحنية المحراب على هيئة ما يحلى واجهة المحراب النبوى ، وذلك بخط بارز تغلب عليه سمات خط الثلث المملوكى [٢] .

أما زخارف المحراب فتنتمى إلى فترتين مختلفتين من تاريخ الفن العثمانى، فتعود الأولى منها إلى سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م، أثناء بناء المحراب فى عهد السلطان سليمان القانونى، وهى السنوات الأولى من ذلك العهد الذى اصطلح على تسميته بقرن الأصالة والابتكار [٣] ، وكان يمكن أن تظهر عليه سمات الزخرفة العثمانية

---

(١) انظر أعلاه ص ١٠ .

(٢) يؤكد ربيع حامد خليفة فى كتابه فنون القاهرة فى العهد العثمانى ، ص ١٦ وما بعدها أن التأثير المملوكى تجلى بوضوح فى مختلف الفنون العثمانية حتى أواخر القرن العاشر، ويتأيد هذا الرأى بما ظهر فى الخط المذكور من سمات مملوكية . كذلك ما شاهدته بالحجرة الشريفة من نقش يعود إلى سنة ٩٥٠هـ . انظر أعلاه ص ٣٠ .

(٣) قالت سعاد ماهر فى كتابها الخزف العثمانى ص ٧ : أنه تقسيم تاريخ الفن العثمانى إلى مرحلتين:

١ - الفترة الأولى من سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م إلى سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م، عندما كانت مدينة قونية عاصمة للأتراك السلاجقة فى آسيا الصغرى، والفترة الثانية تشمل مدة حكم الأتراك التى زادت على ستة قرون ، إلا أن بعض الكتب الأخرى تؤيد التقسيم التالى :

١ - ما قبل فتح القسطنطينية نة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م، عندما كانت العاصمة مدينة قونية أولا ثم بروسة ثانيا وكانت فنونهم خليطا من الفن السلجوقى المتأثر بالفنون الإيرانية والصينية .

٢ - ما بعد الفتح ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م إلى حوالى سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م، وقد تأثر فى بدايته بالعمارة البيزنطية ، ثم اتضحت شخصيته فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وهى الفترة المعروفة بعصر الأصالة والإبداع . =

المتميزة فى هذا العصر بالاتجاه نحو ابراز الذات ، لولا مراعاة القائمين على نقله وتجديده ضرورة ملاءمة زخارفه الرخامية ، لما يحلى حنية المحراب النبوى من زخارف هندسية [(١)].

أما الزخارف الموضوعة بأعلاه فى العمارة المجيدية على غرار المحراب النبوى، فتنتمى كما أوضحت من قبل إلى فترة الذبول والاضمحلال، عندما انتشر التأثير الباروكى فى جميع أنحاء تركيا ، وطغى على الفنون التركية الأصيلة، فى عهد السلطان أحمد الثالث حوالى سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م [(٢)]. ويبدو أن الترميمات التى قام بها فخرى باشا فى سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م لم تغير شيئا من صفات زخارفه أو نقوشه .

د ـ محراب التهجد : ويظهر فى المخططات المنشورة عن الحجرة الشريفة خارج جدارها الشمالى (الشكل رقم ٣٩)، بجوار الدعامة المقابلة لدكة الأغوات وسط المشبك المحيط بالجانب الشمالى من الحجرة الشريفة[(٣)]، وفى المصادر ما يفيد بأن موضعه كان متهجداً لرسول الله ﷺ فى غير شهر رمضان[(٤)]. وقد أزيل فى الوقت الحاضر قبل سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م[(٥)]، لأسباب قد يكون منها مغالاة المصلين فى تفضيل موضعه ، وشهد فى العصر المملوكى عمارة حسنة قام بها الأشرف قايتباى سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م ، استخدمت فيها الفسيفساء المملوكية

= ٣ ـ عصر الباروك والركوكو ، وكانا قد بدأ فى عهد السلطان أحمد الثالث حوالى سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م، وطغيا بشكل ملحوظ على فنون القرن التاسع عشر . انظر عبد العزيز مرزوق : المصدر السابق ، ص ٢١ ـ ٥٩ ، ٢٢٨ ، عبد القادر الريحانى : المرجع السابق ، ص ٢١٣ وما بعدها ، هدايت على تيمور : المرجع السابق ، ص ٤٢ ، كمال الدين سامح : المرجع السابق ، ص ١٠٧ ـ ١٠٩ .

(١) انظر اعلاه ، ص ٢٠٥ .

Michael Levey : op. cit., p. 112 - 130 .

(٢) عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ٥٧ ،

Michael Levey : op. cit., p. 130 .

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٥٨٦

(٤) انظر السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٤٥٠ ـ ٤٥٣

(٥) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ٩٧

فى رسم الأطباق النجمية داخل حنيته ، وسطر حولها بخط الثلث المملوكى آية شريفة تحث على التهجد ومضاعفة العبادة[١] ، ثم جدد فى العمارة العثمانية التى قام بها السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م ، فنحت المحراب من قطعة واحدة من الحجر ألصقت بالدعامة المذكورة ، ثم أعيد عليها بالحفر البارز كتابة ما كان فى المحراب الأول من قوله تعالى : « **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** [٢]» [٣] ، وعلى جانبه الأيمن بخط كوفى قوله تعالى: « **نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** » [٤].

« **يا محمد** [٥]»[٦] ، وعلى الجانب الأيسر بخط مماثل قوله تعالى : « **أن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**[٧]»[٨] ، ولعل فى إعادة الخط الكوفى فى عمارة السلطان عبد المجيد، ما يفيد بأن له أصل يعود إلى عصر استخدام الكتابة الكوفية فى عهد الوليد بن عبد الملك.

ومهما يكن من أمر فإن المحراب المذكور لم يكن له طيلة العصر العثمانى أى دور فى تنظيم الصلاة، التى كان يؤديها أتباع المذاهب الأربعة فى أوقات مختلفة، داخل المسجد النبوى . وإنما أقيم بقصد الذكرى والمحافظة على موضع مصلى النبى ﷺ [٩].

هـ - محراب بيت السيدة فاطمة رضى الله عنها : ويظهر فى الوقت

---

(١) انظر السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٤٥٢ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٧٩ .

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٥٨٦ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧٠ .

(٤) سورة الصف آية رقم ١٣ .

(٥) ليست من الآية وإنما أضيفت فى نهاية النص .

(٦) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٨٥٦ .

(٧) سورة الأحزاب ، آية رقم ٥٦ .

(٨) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٨٥٦ .

(٩) هيأت ازالته فى الوقت الحاضر موضعه لإعداد المصلين ، وقضت على خطورة الافتتان بأعمال العوام وبدعهم .

الحاضر وسط الجزء الشمالى من الحجرة الشريفة فى سمت الموضع القديم لمحراب التهجد تقريبا ، بجوار الدعامة الظاهرة وسط هذا الجزء من الحجرة الشريفة. وهو محراب صغير يقل ارتفاعه عن المحراب النبوى والسليمانى، وبالجزء العلوى من حنيته زخارف رخامية لم أتبين تفاصيلها ، كما لم أستطيع تدوين ما عليه من كتابات ، ولم أجد فى المصادر التى أطلعت عليها وصفا دقيقا لزخارفه وكتاباته التى يبدو أنها مملوكية الطراز، لعدم وصول الأعمال فى عمارة السلطان عبد المجيد إلى هذا الجزء من الحجرة الشريفة . ويظهر المحراب المذكور فى المخطط الذى أعده الأتراك عن عمارة المسجد النبوى فى عهد السلطان عبد المجيد ، كما يظهر بتفصيل أكثر فيما نشره إبراهيم العياشى حيث يرى مكتوبا حوله « **معرس على بفاطمة** » وإلى جنوبه محراب آخر مكتوبا أمامه « **محراب بيت فاطمة** » .

ومن هذا يتبين أنهما بنيا للذكرى ، ولم تقم فيهما طيلة العصر العثمانى صلاة جماعة أو يعتكف فيهما أحد .

و- محراب مصلى شيوخ الحرم قبل عمارة السلطان عبد المجيد :

وكان فى الطرف الجنوبى من الرواق الشرقى بجوار مدخل باب النساء ، ولا يعرف على وجه التحديد متى أحدث ، إلا ما جاء فى بعض المصادر من أنه كان مخصصا قبل عمارة السلطان عبد المجيد لصلاة شيوخ الحرم(١) . وقد جدد فى العمارة المجيدية سنة ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م، ولا زال حتى الوقت الحاضر فى الجزء المخصص حاليا لصلاة النساء . وبأعلاه زخارف نباتية بارزة على هيئة ما يرى فى عتب باب السلام وباب الرحمة .

ومن هذا يتبين أن له دورا فى إقامة الصلاة داخل المسجد الشريف، خلافا لمحاريب الحجرة الشريفة ، فقد جاء ما يفيد بأن شيخ الحرم الشريف، كان يصلى فيه التراويح فى حدود سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م(٢).

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٢) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٧١ .

(٢) المنبر :

أبقى العثمانيون فى بداية حكمهم للحجاز على المنبر المملوكى المهدى للمسجد النبوى الشريف سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م من الأشرف قايتباى[1] ، وقد ظل قرابة خمس وسبعين سنة، حتى أمر السلطان مراد الثالث سنة ٩٩٨هـ / ١٥٨٩م ، بإرسال منبر من الرخام الجيد تجلت فيه لأول مرة فى تاريخ المسجد النبوى مقدرة الفنان العثمانى، فى إبراز السمات الفنية الأصيلة فى زخارف المنبر المتنوعة . فضلا عن الدقة المتناهية فى تركيب أجزائه المؤلف من عدد من القطع المركبة بطريقة التعشيق[2] (الشكل رقم ٤)، والتى يمكن تتبعها فى الوقت الحاضر عن قرب بسهولة ويسر .

ورغم وفرة المزايا التى يحظى بها هذا المنبر ، فإن مشكلة الإرتقاء إلى أعلاه تكمن فى ارتفاع درجاته، التى جاءت نتيجة حتمية لعدم السماح بامتداد المنبر، لكى لا يتجاوز الموضع المتعارف عليه فى جميع المنابر التى حلت فى موضع المنبر الذى كان على عهد الرسول ﷺ ، وما زيد فيه فى العصر الأموى [3] .

أما ارتفاعه فيزيد عن سبعة أمتار تقريبا ، خلافا لمنبر الأشرف قايتباى ، الذى كان دون ذلك بكثير ، وفى ذلك ما يفيد بارتفاع سقف المسجد الشريف قبل عمارة السلطان عبد المجيد ، مما سمح بإطالة المخروط الذى يتوج المنبر من أعلاه حتى الوقت الحاضر .

(٣) المكبريتان :

ظل المسجد النبوى حتى عمارة السلطان عبد المجيد ، معتمدا فى تبليغ صوت الإمام إلى المصلين على المكبرية ، التى أنشأها السلطان قايتباى المملوكى فى العمارة التى قام بها سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨٣م . وكانت آنذاك من رخام مشوب

---

(١) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٤٢ .

(٢) انظر أعلاه ص ٣٩ .

(٣) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٣٩٩ .

بنوع من السواد ، كما يلاحظ حاليا بالعمود المتبقى منها ، وقد قارنت ذلك برخام المنبر المنقول من المسجد النبوى الشريف إلى مسجد قباء سنة ٩٩٨هـ / ١٥٨٩[١] ، فتأكد لى تماثل الرخام فى كليهما .

وبالتدقيق فى زخارف أعمدة المكبرة الحالية ، يتبين بوضوح وجود أربعة أعمدة مثمنة تتماثل تماما فى الزخرفة النباتية والهندسية ، فضلاً عن مشاركتها لمعظم أعمدة دكة المبلغين فى التيجان الناقوسية، إلا أنها من نوعين من الرخام. فأحدهما من جنس رخام منبر الأشرف قايتباى، ويظهر على زخارفه الغائرة آثار دهان أحمر[٢] . وثلاثة من رخام ناصع البياض ، يغلب على الظن بأنها مجددة من وقت قريب . مع مراعاة شكل الأعمدة القديمة ونوع زخارفها ، وبناء على هذه المعطيات يمكن القول بأن المكبرية الأولى ، كانت محمولة على أربعة أعمدة، لا زال أحدها ماثلا للعيان حتى الوقت الحاضر ، وأن حجمها نصف حجم المكبرية الحالية ، استنتاجا من وجود الأعمدة المشابهة للعمود المملوكى ، فى مواضع مختلفة من الجزء الشمالى للمكبرية ، مما يحمل على الاعتقاد بأنها أعيدت فى الأركان الأربعة فى موضع الأعمدة القديمة (الشكل رقم ٣٠) . ويؤيد ذلك حرص المسئولين طيلة العصر العثمانى، على إرجاع كل شيء يجدد أو يرمم فى المسجد النبوى الشريف إلى أصله [٣] .

وعلى هذا الأساس بقيت المكبرية بأربعة أعمدة فقط ، حتى أرسل السلطان مراد الثالث سنة ٩٩٨هـ / ١٥٨٩م المنبر الحالى ، فقام المشرفون على تركيبه بإصلاح المكبرية ، ولم تفصح المصادر عن كيفية التركيب، مما يدعو إلى الاعتقاد بنسبة أربعة من الأعمدة الثمانية التى شاهدها أولياء جلبى سنة ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م[٤] ، تحت المكبرية إلى عهد السلطان مراد الثالث، لأسباب منها تصريح

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٢٥ .

(٢) ذكر عبد القدوس الأنصارى فى المرجع السابق ، ص ٩٥ : أن أعمدة المكبرة فى عهده كانت ثمانية فقط منها ستة عليها دهان أحمر .

(٣) انظر أعلاه ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٩٠ .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٢٦ .

بعض المصادر ترميمها عند تركيب المنبر[١] . ولعدم توفر ما يدل على قيام غيره بإصلاحها قبل زيارة أولياء جلبى للمدينة المنورة [٢]، هذا فضلا عن وجود صفات فنية مشتركة بين زخارف الأعمدة القديمة الموجودة حاليا بكثرة تحت المكبرية ، سواء منها المجددة أو القديمة . وبين الزخارف الظاهرة بجوانب المكبرية ، وتلك الزخارف الظاهرة بالمنبر الشريف حتى صار بالإمكان إرجاع الزخارف المذكورة إلى عهد الأصالة والإبداع فى تاريخ الفن العثمانى [٣].

ورغم كثرة الأعمدة الظاهرة حاليا بالمكبرية بعد توسعتها منذ عدة سنوات خلت[٤]، والبالغة كما فى المسقط رقم (٣٠) سبعة عشر عمودا . فإن ستة منها فقط هى التى شاهدها اولياء جلبى سنة ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م، أما العمودان اللذان قال عنهما عبد القدوس الأنصارى سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م أنهما ناصعا البياض[٥]، فما زالا حتى الوقت الحاضر فى وسط المكبرية ، وليس لهما أضلاع كبقية الأعمدة ، ويتحلى تاجاهما بورق الأكنتس البارز (الشكل ٩) .

وفى وجودهما فى هذا الوضع ما يثير التساؤل ، لا سيما وأن أولياء جلبى لم يصف لنا الأعمدة الثمانية التى شاهدها تحت المكبرية سنة ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م ، فهل جددت فى عهد السلطان عبد المجيد ، بعد أن صار من الصعب فى عهده المتسم بضعف الفن العثمانى الأصيل ، إعداد أعمدة مشابهة لما تلف من الأعمدة القديمة ؟

إن ذلك ممكن لا سيما وأن ورق الأكنتس المذكور ظهر بكثرة على جميع الأعمدة ، فيما تبقى حاليا من عمارة السلطان عبد المجيد بالحرم النبوى الشريف، ويتأيد ذلك أن بيرتون لم يشاهد سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م، من الأعمدة المذكورة إلا أربعة فقط. قال أنها من عمل الأشرف قايتباى[٦]، أما بقية الأعمدة الأخرى

---

(١) المصدر السابق : جلد ١٣ ص ٦٥ .

(٢) انظر أعلاه فصل الزخارف ص٢٢١ وما بعدها .

(٣) ربما كان ذلك فى سنة ١٤٠٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٥) Burton, op. cit., vol 2 . p. 311 .

فقد نزعت بقصد الإصلاح[١] ، الذى كان من نتيجته ظهور العمودين المتميزين بالطراز الكورنثى .

هذا عن المكبرية الرخامية ، أما المكبرية المحدثة فى عمارة السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م، فكانت من الخشب [٢] ، وتظهر فى المخطط رقم (٣٤) بالقرب من صحن المسجد الشريف، فى موازاة الدكة الحالية مرتكزة على أربعة أعمدة من رواق القبلة . ولها سلم فى ركنها الشمالى الغربى ، وقد دعت إليها الضرورة لتبليغ المصلين فى صحن المسجد وأروقته الجانبية والشمالية ، بعد تعميق رواق القبلة بما زاده السلطان عبد المجيد من بلاطات فى الطرف الشمالى من رواق القبلة ، وهدم المكبرية التى أحدثها السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٤هـ / ١٦٣٤م[٣]، وقد جاء ما يفيد بأن العمل كان عليها فى بقية أيام السنة [٤] .

ومهما يكن من أمر فقد أزيلت تلك المكبرية من المسجد النبوى، إلا أنه لا يعرف تاريخ محدد لازالتها ، لأن عبد القدوس الأنصارى أشار فى كتابه المطبوع سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م، إلى أزالتها قبل تأليف الكتاب، مما يفيد بإزالتها بعد تعميم مكبرات الصوت فى أول العهد السعودى سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م [٥] .

(٤) ميزان الشمس :

مما لا شك فيه أن المسجد النبوى الشريف اعتمد فى التوقيت على ميزان الشمس، المعروف بالمزولة والمصنوع من قطعة كبيرة من الرخام المقسم بخطوط أفقية ورأسية تحدد زوال الشمس وغروبها [٦] ، وتشير بعض المصادر إلى أنه كان

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٢٦ .

(٢) ذكر أيوب صبرى فى المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٢٧ : أنها أحدثت سنة ١٢٦٧هـ وهو خطأ، لأن الأعمال فى رواق القبلة لم تكتمل إلا بعد سنة ١٢٧٧هـ ، ١٨٦٠م انظر أعلاه ص ١٣٢ .

(٣) انظر أعلاه ص ٤١ .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٢٦ .

(٥) عبد الله فيلبى : اليوبيل العربى ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٦) أشار عبد العزيز مرزوق فى كتابه الفنون الزخرفية فى العصر العثمانى ص ٥٦ إلى إحدى المزاول التى يحتفظ بها متحف الفن الإسلامى بالقاهرة والمصنوعة أصلا لإحدى المساجد العثمانية فقال: إنها « لوح من الحجر مقسم إلى أقسام مختلفة تمثل الساعات وأنصاف الساعات من الخامسة صباحا إلى السابعة مساءا (غروبى) وبها شاخص من الحديد يحدد به ظل الشمس »

بالطرف الجنوبى الشرقى من صحن المسجد النبوى[١] وهو موضع تصله عند الشروق وعند الغروب ، ويستنتج من كثرة الأسماء التى عملت بدار التوقيت فى هذا العصر أن له هيئة خاصة[٢] ، يتناوب موظفوها فى مراقبة حركة الشمس والأشعار بحلول مواقيت الصلاة المختلفة نسبيا بالنسبة لأتباع المذاهب الأربعة .

أما اختراع الساعة الميكانيكية التى تحدد ساعات الليل والنهار بدقة متناهية، فكان السلطان محمود الثانى ١٢٢٣ ـ ١٢٥٥هـ / ١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م، أول من زود المسجد الشريف بساعة فى سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م ، وقد خصص لها مبنى بجوار باب السلام [٣] . ثم تتابع إرسال الساعات إلى المسجد النبوى الشريف ، ففى سنة ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م أضيفت ساعة أخرى[٤] ، فى موضع لم يتحدد ذكره فى المصادر ، ثم أرسلت ساعة أخرى سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م [٥] . كما تم إرسال ساعات إضافية فى عمارة السلطان عبد المجيد سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م[٦] .

وقد تعددت الساعات المرسلة للحرم النبوى فى أواخر العصر العثمانى، حتى لم يعد من الضرورى تخصيص مبنى مستقل لها ، ففى عهد السلطان عبد العزيز وضعت ساعة فى جانب دكة الأغوات ، وأخرى مهداة من والدته بجوار محراب التهجد [٧] .

ومهما يكن من أمر فإن كثرة الساعات فى المسجد النبوى أواخر العصر العثمانى ، لم ينه عمل المؤقتين الذين تصدروا قائمة الموظفين بعد ذلك .

---

(١) على القارى الهروى : زيارة النبى وفضائل المدينة المنورة مخطوط بمكتبة الأوقاف بحلب رقم ٢٤ أ .

(٢) انظر فصل الوظائف ص ٣٩٧ .

(٣) انظر أعلاه تاريخ الأعمال المعمارية ص ٨٧ .

(٤) وثيقة رقم ٣٧٥٥ فى ٢٨ رجب سنة ١٢٥٩هـ تصنيف إرادة / داخلية . أرشيف الوزراء .

(٥) وثيقة رقم ١١٣٥٢ فى ٥ شعبان سنة ١٢٦٥هـ تصنيف إرادة / داخلية . أرشيف الوزراء .

(٦) وثيقة رقم ١٤٠٣٣ فى ١٣ جمادى الأولى سنة ١٢٦٧هـ تصنيف إرادة / داخلية. أرشيف الوزراء .

(٧) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٦٣

ثانياً : الأثاث المنقول :

ويقصد به كل شئ استخدم فى إنارة المسجد النبوى الشريف أو نظافته أو فرشه، مما يعنى بالضرورة تصنيف هذا النوع من الأثاث تبعا لما صنع منه ، فمنه ما هو من النسيج أو المعادن أو الفخار أو الخشب وفيما يلى تفصيل لكل منها :

١ ـ السجاد والستائر :

أ ـ السجاد : ويشتمل على سجاد المسجد وحصره وستائره وأعلامه ، فأما السجاد فلم يتبق منه فى الوقت الحاضر شئ يمكن أن يعين فى تتبع خصائصه الفنية ، ولذا فلا بد من الاعتماد فى الوصول إلى صورة تقريبية له ، على ما ورد فى بعض الرحلات من إشارات ، يتبين منها اقتصاره فى النصف الأول من العصر العثمانى على الرواق القبلى[١] . ولا بد أيضًا أن ما كان به فى أواخر العصر المملوكى من فرش ، ظل مستخدما لفترة طويلة من الزمن ، إذ لم يرد فى المصادر التى اطلعت عليها ، ما يفيد بقيام أى من السلاطين الأوائل بفرش المسجد كله ، إلا ما جاء من أن السلطان محمد الثالث ، أهدى إلى الروضة المطهرة فى حدود سنة ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م ، سجادة منسوجة من الحرير الإبريسم ، وأخرى للمحراب النبوى وصفت بأنها غالية الثمن [٢].

أما بقية سجاجيده فكانت تصل من بعض ملوك الهند فى الفترة الأولى من دخول الحجاز تحت الحكم العثمانى ، وكان معظمها من النوع الجيد المنسوج سداه[٣] من الحرير الخالص وطعمه[٤] من جيد الصوف الملون[٥] . وقد تأكد هذا الوصف لسجاد الحرم النبوى سنة ١٠٧٣هـ / ١٦٦٢م بما شاهده أولياء جلبى

---

(١) العياشى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٢٨٤ .

(٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٧٣٣ .

(٣ ، ٤) السدا : هى الخيوط المتداخلة فى طول قطعة النسيج ، وعرضها . أما الطعم فهى العقد المتداخلة مع خيوط الطول والعرض . انظر زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، دار الرائد بيروت ١٤٠٢هـ ، ص ٣٧٢ ، ٣٩٧ . Areseven : op. cit., p. 285 .

(٥) العياشى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٢٨٤ .

بعد ذلك بتسع سنوات ، من السجاد الفاخر المفروش فى أروقة الحرم ، والمهدى من مصادر متعددة[١] .

وعلى هذا فقد ظلت الهند عدة سنوات مصدرا لسجاد الحرم النبوى ، مع ما يصله من السلاطين والوزراء العثمانيين حتى سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م . حين أرسل السلطان محمود الأول ١١٤٣ ـ ١١٦٨هـ / ١٧٣٠ ـ ١٧٥٤م، أكثر من ثمانين سجادة مختلفة الأحجام وبألوان ونقوش بديعة من أفخر الأنتاج العثمانى، وأوصى بفرشها فى الروضة المطهرة[٢] . ثم قام السلطان سليم الثالث ١٢٠٣ ـ ١٢٢٢هـ / ١٧٨٨ ـ ١٨٠٧م ،بشراء ثمانين سجادة أخرى من النوع الذى اشتهرت به مدينة عشاق فى العصر العثمانى[٣] ، وذلك بمبلغ ٨٥٧٥ قرشا[٤] ، لفرشها أيضاً فى الروضة المطهرة[٥] .

أما السلطان محمود الثانى ١٢٢٣ ـ ١٢٥٥هـ / ١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م ، فقد شملت الإصلاحات التى قام بها فى المدينة المنورة[٦] ، والمتفقة مع عصر الإصلاح الذى بدأه بإرسال مجموعة من أرقى أنواع السجاد التركى، لفرشها فى الروضة المطهرة[٧] .

ولعل الترتيبات المذكورة ، أوحت لمن جاء بعده من السلاطين بضرورة إرسال النسيج اللازم لفرش الحرم النبوى من خزينة العاصمة . ويتأيد ذلك بما ذكره البرزنجى عن اختصاص مصر فى زمنه بإرسال « ما يفوق عن أربعمائة قطعة من

---

(١) أولياء جلبى : المصدر السابق ، جـ١٣ ص ٦٥ .
(٢) محمد أفندى : رسالة فى تحف وهدايا المسجد النبوى ص ٨ .
(٣) عن موقع هذه المدينة ومميزات سجادها انظر : عبد العزيز مرزوق : المرجع الساق ص ١٢٧ .
(٤) أى ٨٥٠ جنيه و ٧٥ قرشا باعتبار الجنيه يساوى ١٠٠ قرش . انظر عبد الفتاح أبو عليه : المرجع السابق ، ص ١٠ .
(٥) الوثيقة رقم ٥٦٦٦٧ فى سنة ١٢٠٨هـ أرشيف مجلس الوزراء تصنيف خط الهمايون .
(٦) انظر أدناه ص ٤٠٢ .
(٧) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٧٦٤ .

الحصير[١] وإرسال الاستانة للمفارش الثمينة عندما تبلى القديمة »[٢].

ويستنتج من أراء البرزنجى وملاحظاته عن فرش المسجد النبوى ، أن السجاد لم يعد قاصرا على رواق القبلة كما كان من قبل ، بل عمت الحصر جميع أروقة المسجد ومن فوقها قطع السجاد الثمينة ، أما صحن المسجد فبقى مفروشا بالرمل كما كان من قبل[٣].

وقد أعد السلطان عبد المجيد ما يلزم لفرش المسجد الشريف بعد انتهاء العمارة التى تكفل بها ، فتذكر إحدى الوثائق العثمانية أن المسئولين فى المدينة المنورة، أعدوا قائمة بما يحتاجه المسجد الشريف بعد هذه العمارة من أثاث[٤]. فقد أجاز مجلس الشورى[٥] نموذج السجاد المطلوب ، وأوصى بصناعته فى مدينة جوردز[٦] ، وكلف والى أزمير بعقد مجلس للتأكد قبل ارساله إلى المدينة المنورة من مطابقته للمواصفات المطلوبة[٧] .

وتم إرسال هذا النوع من السجاجيد وفق مراحل قبل اتمام العمارة ، فوصل منها فى سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م مجموعة كبيرة[٨] ، تلاها مجموعة أخرى فى

---

(١) عن حصر المسجد النبوى سنة ١٢٣٨هـ انظر الوثيقة رقم ١٠٢ دفتر رقم ١٤ معيه تركى محافظ الحجاز ، وعن إرسال ٢٠٠ قطعة من الحصير فى سنة ١٢٤٣هـ انظر الوثيقة رقم ٥٠٥ دفتر ٧٣٧ ديوان خديوى تركى ص ١٢٥ ، محافظ الحجاز . وعن عدم وصولها سنة ١٢٥٣هـ انظر الوثيقة رقم ٩٨ حمراء دفتر ٢٦١ عابدين ، محافظ الحجاز ، وكذلك عن عدم وصول مخصصات سنة ١٢٥٦هـ انظر وثيقة ٨٣ حمراء محفظة ٢٤٩ عابدين ، محافظ الحجاز .

(٢ ، ٣) المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٤) وثيقة رقم ٤٨١٦٥ سنة ١٢٧٣هـ خط الهمايون . أرشيف مجلس الوزراء العثمانى .

(٥) ذكر محمد عبد اللطيف البحراوى فى المرجع السابق ، ص ٢١٧ أن السلطان محمود الثانى كان يعقد فى الأحوال الهامة مجلسا عموميا للشورى ثم يأخذ بأغلبية الآراء . وقد زاد عدد أعضاءه عن خمسة عشر شخصاً .

(٦) ذكر عبد العزيز مرزوق فى مصدره السابق ص ١٢٧ إنها إحدى المراكز المتخصصة فى صناعة السجاد العثمانى وأنها تقع شمالى مدينة عاق القرية من أزمير .

(٧) وثيقة رقم ١٨٠٧٤ غرة شعبان سنة ١٢٧٥هـ . مترجم / الدارة .

(٨) وثيقة رقم ٢٨٩٢٥ فى ١٨ ذى الحجة ١٢٧٥هـ / ارادة / داخلية ، مجلس الوزراء العثمانى .

سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩ [١]. ثم جدد ذلك كله سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م فى عهد السلطان عبد العزيز [٢]، كما تم فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ١٢٩٥ - ١٣١٩هـ / ١٨٧٨ - ١٩٠١م، ارسال سبع وعشرين قطعة من السجاد النفيس المصنوع فى مصانع استانبول إلى الحرم النبوى الشريف [٣]. وكما يتضح من قلة العدد فإن ذلك على ما يبدو كان مقصورا على الروضة المطهرة . لا سيما وقد شاهد بها البتنونى سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م، بعض من السجاجيد العثمانية الشهيرة المعروفة باسم هركة [٤]، أما بقية المسجد الشريف فبه أنواع أخرى من السجاد الثمين[٥]، قال فى وصفه إبراهيم رفعت إنها جميلة وكل منها مقسم « بالرسم إلى سجادات صغيرة، الواحدة منها تكفى المصلى وترشده إلى القبلة »[٦] وينطبق هذا الوصف لسجاجيد المسجد الشريف سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، مع السمات المميزة لسجاجيد الصلاة التركية [٧]. وقد ظل هذا النوع من السجاد المعروف باسم هركة فى المسجد النبوى الشريف حتى أمر الملك عبد العزيز بتغييره لقدمه [٨].

ولا بد مع هذا من إشارة إلى طريقة فرش المسجد الشريف بهذا النوع من الحصر والسجاجيد ، ففى وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م، ما يفيد

---

(١) وثيقة رقم ٢٩٣٣٦ فى ٧ ربيع الأول سنة ١٢٧٦هـ / ارادة / داخلية ، مجلس الوزراء العثمانى. وثيقة رقم ٣٠٠٩٢ فى ٢٥ شعبان ١٢٧٦هـ / ارادة / داخلية ، مجلس الوزراء العثمانى .

(٢) وثيقة رقم ٤٦٣٩١ فى ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٩٠هـ / ارادة / داخلية ، مجلس الوزراء العثمانى .

(٣) محمد الأمين : خلفاى عظام ص ١٠ .

(٤) نسبة إلى مصنع السجاد الذى أنشأه البلاط العثمانى فى مدينة هركة القريبة من مدينة استانبول انظر : Good Win : op. cit., p. 423 .

(٥) الرحلة الحجازية ، ص ٢٤٢ ، انظر محمد بن سليم الشهابى المخزومى : الرحلة الحجازية ص ٩، رسالة أحمد بن زين دخلان الملحقة بسالنامة سنة ١٣٠٣هـ ، ص ١٦٤ .

(٦) إبراهيم رفعت المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٥٩ .

(٧) انظر عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ١٢٨ وما بعدها ، محمد مصطفى : سجاجيد الصلاة التركية (مجموعات متحف الفن الإسلامى) القاهرة ١٩٥٣م ، ص ١٧ وما بعدها .

(٨) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

بأن الحصر المقرر إرسالها سنويا من مصر بمعدل ٤٠٠ قطعة، كانت تفرش فى جميع أروقة المسجد الشريف طيلة فصل الصيف، ثم أضيف لها فيما بعد مفارش قطنية بلون أزرق من صنع الهند [١]، أما فصل الشتاء فتبسط فيه الزرابى الكبيرة فى جميع أنحاء المسجد[٢]، ولا يعرف ما إذا كان هذا النظام المخالف للعادة متبعا طيلة العصر العثمانى أم أن ذلك كان مقصورا على ظروف طارئة، قد يكون منها حلول مواسم الزيارة فى فصل الصيف أثناء كتابة المؤلف لرسالته التى تضمنت هذا الوصف ، فإن صح هذا الفرض فأمر معهود من أول العهد العثمانى، حيث كان خدام الحرم الشريف وموظفوه، يقومون فى السابع عشر من ذى القعدة برفع كامل أثاث المسجد النبوى الشريف من سجاد وكتب ورحلات[٣]، إلى المخازن خوفا من تلوثها أو ضياعها عند قدوم أفواج الزوار ، ثم ترد فى أول شهر ربيع الثانى بعد غسل الحرم الشريف وتنظيفه[٤].

ب ـ الستائر :

وتشمل كسوة الحجرة الشريفة وستائر أبواب الحرم النبوى ومنبره ومحاريبه ، ولا بد من التنويه فى بداية الأمر ، إلى أن دراسة هذا النوع من الأثاث لا تعنى بأى حال من الأحوال الإعجاب بفكرة تزويق المساجد وزخرفتها ، لا سيما كسوة الحجرة الشريفة ، التى تبين أنها أحدثت فى وقت خبت فيه روح الإسلام الصحيح[٥] مما ساعد على قبول هذه البدعة المنكرة وتخصيص الأوقاف لها .

ولسوء الحظ فقد ورثها العثمانيون عن أسلافهم المماليك ، ووجدوا لها فى مصر أوقافا كثيرة. أقرها السلطان سليم الأول سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م مع ما أقر

---

(١) قال أن واضعها هو عبد اللطيف الميمنى .

(٢) على بن موسى الأفندى : المصدر السابق ، سنة ١٣٠٣هـ ص ٦٥ .

(٣) الرحلة هى كرسى المصحف . انظر أدناه ص ٣٤١ وما بعدها .

(٤) محمد كبريت : المصدر السابق ، ص ١٥٥ ، ١٦٨ ، العياشى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٥) كان الحسين بن أبى الهيجاء أول من كسى الحجرة الشريفة فى عهد الخليفة العباسى ، المستضيء بأمر الله (٥٦٦ ـ ٥٧٥هـ) انظر السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٥٨٢ .

من نظم الحرمين وحكمهما [١]. ولهذا ظلت تنسج بمصر قرابة ١٢٨ سنة ، إلا أنها لا تصل سنويا ككسوة الكعبة بل كانت محكومة بعدة عوامل ، من بينها ما نص عليه الواقف من إرسالها كل ١٥ سنة [٢] وكان السلطان سليم الأول ٩١٨ - ٩٢٧هـ / ١٥١٢ - ١٥١٩م أول من كساها سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م[٣]، ثم أقر السلطان سليمان القانونى ٩٢٦ - ٩٧٤هـ / ١٥١٩ - ١٥٦٦م إرسالها على عوايدها السابقة[٤]. فكسيت فى عهده مرتين[٥]، إحداهما فى حدود سنة ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م[٦] من وقف خصصه فى تلك السنة لها ولكسوة الكعبة المشرفة[٧] ، ونص فيه على أن تكسى كل خمس عشرة سنة [٨]، ثم كساها السلطان محمد الثالث سنة ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م[٩]، ومن بعده السلطان أحمد الأول سنة ١٠١٢هـ / ١٦٠٣م [١٠] ثم السلطان محمد الرابع فى حدود سنة ١٠٩٦هـ / ١٦٨٤م[١١].

وفى سنة ١١١١هـ / ١٦٩٩م ، قام السلطان مصطفى الثانى بكسوتها كالعادة عن طريق مصر ، وعلى هذا ظلت ترسل كسوة الحجرة الشريفة من مصر، وفق شروط الوقف الذى خصصه السلطان سليم الأول وابنه السلطان سليمان . إلا عند وصول أحد من السلاطين إلى الحكم قبل حلول الأجل المحدد فى الوقف المذكور، فكان يعمد كالعادة فى الأمر بإرسال كسوة جديدة[١٢] ولكن الأمر تغير بوصول السلطان أحمد الثالث إلى الحكم ١١١٥ ١١٤٣هـ / ١٧٠٣ -

---

(١) القطبى : المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(٢) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٨٩ .

(٣ ، ٤) القطبى : المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(٥) محمد كبريت : المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٦) الجزيرى : المصدر السابق ، ص ٦٣٧ وما بعدها .

(٧) محمد بن أسعد الحنفى : الدرة البهية فى كسوة الحجرة . مخطوط بمكتبة بشير آغا الملحقة بمكتبة السليمانية باستانبول برقم ٤٧٦ ص ٨ .

(٨) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٢٨٥ - ٢٩٠ .

(٩ ، ١٠) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٣٣ - ٧٣٧ .

(١١) محمد بن أسعد الحنفى : المصدر السابق ، ص ٩ .

(١٢) محمد كبريت : المصدر السابق ص ٤٩ ، عبد الغنى النابلسى : المصدر السابق جـ٣ ص١٠٠.

١٧٣٠م ، فقد حرص على نسجها فى استانبول ، وكلف محافظ مصر الوزير محمد باشا بإرسال قياس دقيق لأضلاع الحجرة وارتفاعها تم بموجبه إرسال كسوة فى حدود سنة ١١٣٧هـ / ١٧٢٤م[١]؛ لم تختلف فى اللون عما كان يبعث به أسلافه من السلاطين ، ثم تتابع وصول هذا النوع من النسيج الفاخر عن طريق المحمل الشامى[٢] ، فوصل منه سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م كسوة من الحرير الفاخر المرسل من قبل السلطان محمود الأول ، جاء فى وصفها بأن لها نطاقاً طوله حوالى ٣٣ مترا[٣] منقوشا بسورة الفتح [٤].

وفى سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م بعث السلطان محمود الثانى بكسوة مماثلة[٥] ، ثم تلاها فى سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م بكسوة ثانية[٦] ، يغلب على الظن بأن الداعى لها حلول الوقت المحدد فى شروط الوقف السابق [٧]. أما فى عهد السلطان عبد المجيد فلم تصل الكسوة التى أمر بها إلا سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م[٨] ، فى عهد السلطان عبد العزيز ١٢٧٧ ـ ١٢٩٣هـ / ١٨٦١ ـ ١٨٧٦م، ومرد ذلك أن الحجرة الشريفة تعرضت أثناء العمارة التى قام بها فى المسجد الشريف لبعض الاصلاحات والترميمات، فلم يأمر بنسج الكسوة إلا بعد إتمام البناء. وكان يمكن

---

(١) قال محمد أسعد الحنفى فى المصدر السابق ص ٥ أن ذلك تم فى عهد شيخ الحرم محمد أغا وكان المذكور قد تولى مشيخة الحرم النبوى سنة ١٢٣٦ ـ ١١٤٢هـ . انظر : عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٣) أى ٦٠ ذراع والنطاق ما يربط حول الوسط من قماش أو نحوه ، ومنه الزنار الذى يربط على وسط المجوس بقصد تمييزهم فى المجتمع الإسلامى . انظر لسان العرب جـ٥ ص ٤١٩ .

(٤) محمد أفندى (درون رسالة وتفصيل وبيان أولنان تحف وهدايا ...) رسالة فى تحف المسجد وهداياه . مخطوط باللغة العثمانية فى مكتبة استانبول برقم ٢٥٠٥ تاريخ تركى ص ٨ .

(٥) وثيقة رقم ١٩٦٩٩ فى ١٥ محرم سنة ١٢٣٠هـ مجموعة الوثائق التركية المترجمة فى الدارة برقم ٨/٢ ـ ١٩ .

(٦) وثيقة رقم ١١٨ حمراء محفظة رقم ٢٦٣ عابدين تركى / محافظ الحجاز .

(٧) انظر أعلاه ص ٣١٥ .

(٨) البرزنجى : المصدر السابق ص ٩٤ ، البتنونى : المصدر السابق ٢٤٧ .

لهذه الكسوة أن تدوم عدة أعوام، إلا أن السلطان عبد العزيز قام سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م جريا على العادة القديمة بإرسال كسوة جديدة [١].

ولا بد فى نهاية هذا العرض الموجز من التعرف على خصائص ومميزات هذا النوع من النسيج ، فقد تبين بعد تطبيق أوصاف ما أرسله السلاطين من ستائر ، على الرسومات والصور المتوفرة عن كسوة الحجرة الشريفة ، أنها تعرضت لعدة تغييرات لا سيما الكتابات المنفذة بالقصب المطرز ، فى أشرطة وجامات تختلف من وقت لآخر .

ففى الرسم الذى أعده أيوب صبرى عن ستارة الجدار الجنوبى من الحجرة الشريفة ، كتابات كثيرة بخط الثلث الاستانبولى ، داخل أشكال هندسية متكررة وغالبها شهادة « لا اله الا الله محمد رسول الله » « وأسماء النبى صلى الله عليه وسلم » ثم أول سورة الفتح حتى قوله تعالى : ليزدادوا » [٢].

كما يظهر بأسفلها كتابات تبين ترتيب القبور الشريفة (لوحة رقم ٥١)، وليس فيما تقدم من نصوص ما يذكر كتابة سورة الفتح على ستارة الحجرة الشريفة، إلا ما جاء عن الستارة المرسلة من السلطان محمود الأول سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م [٣].

أما ما ذكره بوركهارت عن ستارة الحجرة سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م، والمشغولة بزهور وأرابيسك من الفضة وشريط من الكتابة [٤]. فإجمال لما فصله البرزنجى عن كسوة سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م، حيث قال أنها « من الديباج الأخضر، وكلها مطرزة مكتوبة ، وعليها زنار [٥] من الأطلس الأحمر، مكتوب فيها بالقصب اسم النبى ﷺ واسم صاحبيه [٦] فعلقت على الكسوة أمام القبور الشريفة » [٧].

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٢٩ .

(٢) الجزء الزول من آية رقم ٤ .

(٣) انظر أعلاه ص ٣١٦ .

(٤) op. cit., p. 332 .

(٥) الزنار هو : شريطأحمر يلف حول الوسط . انظر أعلاه ص ٣١٦ حاشية رقم ٣ .

(٦) قال النابلسى : فى المصدر السابق جـ٣ ص ١٠٠ أن بها سنة ١١٠٦هـ جامات بالأولى منها «هذا قبر النبى ﷺ وبجانبه من الشرق هذا قبر أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وبجانبه هذا قبر عمر رضى الله عنه .

(٧) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٤ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٧ .

أما الصورة المنشورة فى مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت (لوحة رقم ٥٣) والمماثلة تماما للقطعة الموجودة حاليا بمتحف الفن الإسلامى برقم ١١٩٧٤[١]، فإن الكتابة المنفذة فيها بخط الثلث الإسلامبولى فى شريطين أحدهما أكبر من الأخر ، بالأول كلمة « **لا اله الا الله محمد رسول الله** » وبالثانى الآية الشريفة التالية : « **إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** »[٢] ـ تختلف عن الاسلوب المتبع فى الرسم الذى نقل أيوب صبرى . أما القطعتان اللتان يحتفظ بهما قصر المنيل بالقاهرة[٣] تحت رقم ١٤٣ ، فبهما من الكتابات ما يخالف الأشكال السابقة . فرغم تكرار كلمة «**الصلاة والسلام عليك يا رسول الله**» بخط النسخ فى الشريطين المحيطين بالشريط الأوسط، فبالأعلى منهما عبارة « **اللهم صل وسلم على أشرف جميع الأنبياء والمرسلين** » ، وبالسفلى عبارة « **ورضى الله تعالى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعن بقية الصحابة أجمعين** » . ومن هذا يتبين أن الكتابات المطرزة على القطع السابقة مختلفة الأحجام والأشكال ، مما يدعو إلى الاعتقاد بأنها قطع متفرقة من ستائر مختلفة ، خاصة وأن الأوصاف التى ذكرها البتنونى عن الستارة التى أرسلها السلطان عبد الحميد الثانى بعد إعلان الدستور، لا ينطبق كله على ما بالأشكال السابقة من كتابات ، فقد ذكر أن بها لفظتا الشهادتين وقوله تعالى : «**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**»[٤] ثم دوائر مكتوب فيها أسماء النبى ﷺ .

وبأعلى الستارة على ارتفاع مترين ونصف حزام من الحرير الأحمر بعرض ٣٠ سم تقريبا ، مكتوب فيه اسم السلطان الحاكم [٥]. ويتضح من هذا تعرض كسوة

---

(١) على أحمد الطايش : المنسوجات فى مصر العثمانية ، رسالة ماجستير لم تطبع جامعة القاهرة كلية الآثار الإسلامية ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م ص ٣٤٥ .

(٢) سورة الأحزاب ية رقم ٥٦ .

(٣) على أحمد الطايش : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٤٠ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .

الحجرة الشريفة فى العصر العثمانى لكثير من التغيير والتبديل فى زخرفتها ونوع الكتابة عليها . ومهما يكن من أمر فإن جميع الستائر المذكورة ، من حرير اختار له العثمانيون منذ البداية اللون الأخضر[١] ، وكان يصل مجزءا إلى ثمانى قطع متساوية، ثم يخاط لكل جانب منها قطعتان تعلق بمسامير مثبتة فى أعلى جدران القبة .

هذا عن كسوة الحجرة الشريفة وما طرأ على زخرفتها من تغيير ، أما الستائر المخصصة لمحاريب الحرم النبوى وأبوابه ومنبره ، فإنها موروثة هى الأخرى عن العصر العباسى وما أقره المماليك من نظمه[٢] . وقد نصت الوقفية التى بموجبها ضم السلطان سليمان القانونى سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م ، ريع عدة قرى شراها فى مصر إلى ما كان موقوفا من قبل الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر ابن قلاوون سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٨م ، على الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة وكسوة الجدار الخارجى للحجرة الشريفة ، والمنبر والمحراب النبوى ، وكذلك محراب التهجد وأستار الأبواب الأربعة للمسجد الشريف[٣] . وقد تم تزويد المسجد النبوى طيلة العصر العثمانى بهذا النوع من النسيج، وفق الشروط التى حددتها وقفية السلطان سليمان القانونى ، ولكن ذلك لم يدم فقد عمد السلاطين فى أواخر الدولة العثمانية، إلى تغييرها مع ستارة الحجرة الشريفة عند وصول أحدهم إلى سدة الحكم[٤] . فوصل للمنبر فى عهد السلطان محمود الثانى ستارتان ، ومثل ذلك فى عهد السلطان عبد الحميد الأول[٥] . ويفهم من الوثيقة التى فصلت طريقة إرسال ستارة باب النساء سنة ١١٢٨هـ / ١٧١٥م[٦] ، أن ما يحلى الستائر القديمة من قصب يباع بثمن يزاد عليه لنسج الستائر الجديدة من الأموال المخصصة للحرمين الشريفين .

---

(١) محمد أسعد الحنفى : المصدر السابق ، ص ٦ .

(٢) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٣١٢ وما بعدها .

(٣) انظر نص الوقفية فى مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت : جـ١ ص ٢٨٤ وما بعدها .

(٤ ، ٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٢٨ .

(٦) وثيقة ٤٦٩٨ سنة ١١٢٧هـ ـ ١١٢٨هـ مترجمة فى الدارة برقم ٣/٢م ـ ٢٤ .

وكانت تكلفة الستارة المذكورة ٧٧٨/٥ قرشا ولمن قصب القديمة ٤٩٧ قرشا و ٩٣ أقجة ولهذا فلا بد من تسديد المتبقى وقدره ٢٩١ قرشا ، ٢٥ أقجة .

ولم يتوفر من المعلومات ما يكفى لمعرفة تفاصيل الستائر السابقة لعهد السلطان عبد المجيد، إلا أنها جميعا من الحرير المطرز بالقصب[١]. وكان تعليقها مقصورا على المواسم فى كل سنة[٢]، ثم تحفظ بقية السنة فى دواليب داخل الحجرة . إلا ستارة باب المنبر الشريف وعلماه وفرشه، فإنها توضع قبل الصلاة ثم ترفع فى مخزن باب جبريل[٣]. وقد جاء فى وصف هذا النوع من النسيج الخاص بالمنبر ، ا يفيد بأن ستارة الباب والعلمين الموضوعين على جانبى درجه من الحرير المموه بالذهب، أما فرش جلسة الإمام ودرجه فمن الجوخ الأحمر المموه بالذهب[٤].

ومن الجدير بالذكر أنه قد خصص فى أواخر العصر العثمانى لمشبك الحجرة الشريفة ستائر من الخارج،وذلك بعد إعجاب السلطان عبد العزيز بالاقتراح المقدم من شيخ الحرم النبوى محمد حافظ باشا ، حماية للحجرة الشريفة من الغبار والأتربة ، وقد وصلت هذه الستر سنة ١٢٨٢هـ /. ١٨٦٥م مع العدد المطلوب من قبل، بأمر السلطان عبد المجيد للمنبر الشريف وأبواب الحرم ومحاريبه وبعض نوافذه، فعلقت الأولى بأطراف المشبك الخارجى للحجرة الشريفة، وعددها ثمان عشرة قطعة بعد تثبيتها بمسامير دقت فى أعلى العقود المحيطة بالحجرة الشريفة من جميع الجهات .

ولحسن الحظ فلا زالت جميع الستائر المذكورة بحالة جيدة، وقد اهتمت بها مصلحة الأوقاف بالمدينة، حين كان لها الإشراف على إدارة الحرم المدنى، فخصصت لها أطر محمية بالزجاج الشفاف، وعرضت معظمها فى ردهات مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ، وعلقت بعضها بالجدار الشرقى والغربى من رواق

---

(١) عبد الحميد العباسى : المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٦ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٤) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٢ ، وقد ذكر ابن منظور فى لسان العرب جـ٢ ص ١٦٨ بأن القصب كل ما يتخذ من الفضة ونحوها . وفى المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٩٢هـ جـ٢ ص ٧٣٧ أنها شرائط مذهبة أو مفضضة تحلى بها الثياب .

القبلة فى المسجد النبوى الشريف . وجميعها من الأطلس الأخضر المزركش بالخز[١] فى طراز يغلب عليه أثر الباروك العثمانى المتأخر ، فلكل منها إطار جميل بداخله أوراق نباتية محورة وفروع ملتوية، على هيئة سعف النخيل وسنابل القمح وأطراف الستائر وغير ذلك من الأشكال النباتية المتكررة .

أما الكتابات المطرزة كبقية الزخارف النباتية بالقصب الحر المموه بالذهب الخالص[٢]، فتظهر فى جميع الستائر داخل مساحات مختلفة بخط الثلث الإسلامبولى الجيد ، وغالبها آيات قرآنية والشهادتان ودعاء بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسماء الخلفاء الراشدين مع إبراز ذكر الموضع الذى خصصت له بعض الستائر بعبارة تتوسطها من أعلاها . ويستنتج مما ذكره البرزنجى عن هذه الكتابات أن لها أصلا فى الستائر القديمة[٣]. وفى متحف طوب قابى بمدينة استانبول نموذج مماثل لها [٤].

أما ما يخص المشبك الخارجى للحجرة الشريفة من الستائر المنسوجة بأمر السلطان عبد العزيز[٥]، فبأعلى كل منها عبارات دعائية تتضمن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . ويفهم من ملاحظة أحد زوار المدينة فى حدود سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م، أن هذا النوع من الستائر كان مسدولا على جدران الحجرة الشريفة إلى الأرض[٦]. وتوجد الستائر المذكورة حاليا فى موضعين مختلفين من المدينة المنورة ، مما يعنى بالضرورة تقسيم دراستها إلى قسمين هما الستائر المعلقة

---

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٦ ، ويذكر على بن موسى فى المصدر السابق ص ٦٨ ، بأنها من الأطلس الأخضر المزركش بالخز المموه بالذهب .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٤) مجلة العربى العدد ـ ١١٠ شوال ١٣٨٧هـ ص ٥٢ .

(٥) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٥ ، ويخالف ذلك ما ذكره محمد الحضراوى فى مقال نشره بمجلة الفيصل العدد الثانى السنة الأولى شعبان سنة ١٣٩٧هـ ص ١٥ عن مكتبة المصحف من أن الستائر المذكورة صنعت سنة ١٢٣٥هـ .

(١) محمد صادق بك : مشعل المحمل ، مطبعة وادى النيل القاهرة ، ١٢٩٨هـ ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

بجدران المسجد النبوى الشريف ، والستائر المحفوظة لدى مصلحة الأوقاف بالمدينة المنورة .

أولاً : الستائر المعلقة بجدران الحرم النبوى فى جانبين مختلفين من رواق القبلة ، هما الجدار الغربى والجدار الشرقى .

١ ـ الجدار الغربى الممتد من باب السلام حتى باب الرحمة ، وعليه فى الوقت الحاضر ثلاث ستائر ، معلقة داخل إطار جميل من الألمنيوم المزخرف بزخارف حديثة وترتيبها كالتالى :

أ ـ الستارة المعلقة على الجدار المذكور قرب باب السلام ، وتبدو فى حجم وشكل مماثل تماما لما تبقى من الستائر فى مكتبة الملك عبد العزيز التابعة لوزارة الحج والأوقاف بالمدينة المنورة ، ويظهر من الكتابة المطرزة بأعلاها أنها من الستائر المخصصة لمشبك الحجرة الخارجى ، فبالجزء العلوى منها شريط مستطيل ٩٥× ٢٧ سم تقريبا ، مكتوب عليه فى سطر واحد بخط الثلث الاستانبولى « **الصلاة والسلام عليك يا من كرمه الله** » وفى وسط الستارة تقريبا دائرتان باليمنى منهما شهادة التوحيد « **لا اله الا الله** » وباليسرى منها شهادة « **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم** » .

ب ـ الستارة المعلقة فى إطار بالقرب من خوخة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، إلى الشمال من الستارة السابقة ، وهى فى حجم مماثل للأولى. كما أن كتابات الجزء العلوى منها تماثل تماما الكتابات الموجودة على الستارة السابقة، مما يدل على أنهما من ستائر المشبك الخارجى للحجرة الشريفة ، بيد أن بجزئها السفلى بعض الآيات الكريمة فى ثلاثة أسطر بخط الثلث أيضاً وهى :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم .

٢ ـ هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون .

٣ ـ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (١).

جـ ـ وتظهر معلقة فى إطار كسابقتها بالطرف الشمالى من الجدار الغربى لرواق القبلة ، على يسار الخارج من باب الرحمة ، وذلك فى حجم وطراز مشابه لما سبق ويستنتج مما كتب بأعلاها فى شريط مستطيل أنها من ستائر مشبك الحجرة الشريفة الغربى المقابل للروضة المطهرة ونص ما فيه :

« أن المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين » (٢)، أما وسط الستارة فبه كالعادة شهادة **« لا اله الا الله ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم »** فى دائرتين متماثلتين . كما أن بالجزء السفلى من الستارة آية كريمة فى ثلاثة أسطر هى :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات

٢ ـ وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خافهم ولا يحيطون بشئ من

٣ ـ علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم (٣).

٢ ـ الجدار الشرقى الممتد من المنارة الرئيسية إلى باب النساء، وعليه فى الوقت الحاضر ثمانى قطع من الستائر المعلقة داخل إطار مغلف بنوع من البلاستيك الشفاف، ولكون زخارفها النباتية مماثلة لسائر الستائر فقد رأيت من الأجدى قصر الحديث على ما بها من كتابات لمعرفة موضعها من مشبك الحجرة الشريفة .

---

(١) سورة الحشر آية ٢٢ ـ ٢٤ .

(٢) سورة الحجر آية ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) سورة البقرة ، آية رقم ٢٥٥ .

أ - وتظهر الستارة الأولى معلقة فى نهاية الطرف الجنوبى من الجدار الشرقى قرب المنارة الرئيسية . وتماثل تماما أولى الستائر المعلقة على الجدار الغربى ، لا سيما الدعاء الدال على أنهما لأحد جوانب مشبك الحجرة الشريفة . ونصه : « **الصلاة والسلام عليك يا رسول الله** » . وتحت ذلك مساحتان بالأولى « **لا اله الا الله** » وبالثانية « **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم** » .

ب - أما الستارة الثانية، فثبتت فى الجانب الشمالى من الستارة السابقة إلا أن الدعاء بالصلاة على رسول الله جاء على النحو التالى : « **الصلاة والسلام عليك يا رحمة للمؤمنين** » ثم الشهادتان على نحو ما سلف .

جـ - كما وضعت الستارة الثالثة أيضًا إلى الشمال من الستارة السابقة ، إلا أنه جاء فى هذه الستارة جزء من آية شريفة تتدرج فى معناها مع الأدعية السابقة ونصها : « **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** »[1]، ثم الشهادتان على غرار ما سلف .

د - جاءت الستارة الرابعة إلى الشمال من الستارة السابقة، ونص ما فيها بعد الشهادتين « **الصلاة والسلام عليك يا خليل الله** » .

هـ - وعلقت الستارة الخامسة على يمين الخارج من باب جبريل إلى الشمال من الستارة السابقة، ونص ما فيها من الكتابات بعد الشهادتين : « **إن لله ملائكة فى الأرض يبلغوننى من أمتى السلام** »[2].

و - وتظهر الستارة السادسة بالجانب الأيسر من باب جبريل، وعليها بعد الشهادتين دعاء بالصلاة على رسول الله ﷺ نصه :

« **الصلاة والسلام عليك يا من علمه الله** » .

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٧ .

(٢) رواه الدارمى فى كتاب الرقاق بزيادة (سياحين) انظر سنن الدارمى ، دار الفكر ، القاهرة ١٣٩٨هـ جـ١ ص ٣٨٧ .

ز - وثبتت الستارة السابعة على الجدار الجنوبى من المخزن المجاور لباب النساء وهى من ستائر مشبك الحجرة الشريفة، فنص الدعاء المكتوب عليها مع الشهادتين : « **الصلاة والسلام عليك يا صفى الله** » .

حـ - وعلقت الستارة الثامنة وسط جدار المخزن المذكور، ونص الدعاء المكتوب عليها : « **الصلاة والسلام عليك يا صفى الله** » ثم الشهادتان .

ط - أما الستارة التاسعة فعلقت بالطرف الغربى من جدار المخزن بالقرب من دكة الأغوات، وهى آخر الستائر المعلقة فى المسجد النبوى الشريف ونص ما بها من دعاء بعد الشهادتين « **الصلاة والسلام عليك يا من شرفه الله** » .

ومن هذا يتبين أن جميع الستائر الموجودة حاليا بالمسجد الشريف مما خصص لمشبك الحجرة الشريفة . وكان اختيار تعليقها مبنى كما يبدو على هذا الأساس .

ثانيا - الستائر المحفوظة فى مكتبة الملك عبد العزيز التابعة لوزارة الحج والأوقاف بالمدينة المنورة، وعددها ثمانى عشرة ستارة تشبه إلى حد كبير الستائر المحفوظة فى الحرم النبوى من حيث الزخرفة النباتية وطريقة توزيعها إلا أنها مختلفة بعض الشئ فى الأبيات والأدعية الملائمة للمكان الذى خصصت له وقد تيسر لحسن الحظ أخذ القياسات اللازمة لأبعادها وموضع كتاباتها المتعددة ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام هى :

١ - ستائر المحاريب .   ٢ (ستائر الأبواب .   ٣ - ستائر الحجرة الشريفة .

وفيما يلى تفصيل لكل منها .

ا - ستائر المحاريب :

وعددها ثلاثة ستائر ليس فيها ما صرح باسمه إلا ستارة المحراب النبوى، ونظرا إلى كون الاختلاف بين أبعاد الستارتين المتبقيتين ذو مدلول جيد، فقد أمكن الاعتماد عليه فى تحديد موقع كل ستارة، كما يتبين من الجدول التالى :

اسم الستارة	الارتفاع	العرض	عرض الشريط الجانبى
ستارة المحراب النبوى	٣٠٠ ×	٢٢٥	١٦ سم
ستارة المحراب العثمانى	٣٤٤ ×	٢٩٨	١٧٫٥سم
ستارة محراب التهجد	٣٠٦ ×	٢٠٨	١٧٫٥سم

أ ـ ستارة المحراب النبوى :

وتعتبر نموذجا لستائر المحاريب الأخرى، خاصة فى الكتابات المنقوشة فى مواضع مختلفة منها ، فبأعلاها داخل مساحة بيضاوية ما يؤكد اختصاص المحراب النبوى بهـا، وذلك فـى سطـرين هما « **كلما دخل عليها زكريا المحراب** »[1] ، « **هذا محراب النبى صلى الله عليه وسلم**». كما كتب تحت ذلك أسماء بعض الصحابة داخل أربع مساحات أفقية ترتيبها على النحو التالى :

عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه، عثمان رضى الله عنه ، على رضى الله عنه ، حسين رضى الله عنه » .

أما وسط الستارة فتظهر بها « **البسملة وآية الكرسى بكاملها** » [2].

ب ـ ستارة المحراب العثمانى :

وتعد أطول الستائر المحفوظة فى مكتبة الأوقاف وأعرضها، كما يظهر من الجدول السابق ، وتخلو من دلالة واضحة على تخصيصها للمحراب العثمانى ، فلم تحدد المصادر أوصافها، وليس فى العبارات المنقوشة عليها أية إشارة إلى موضعها الأساسى

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٣٧ .

(٢) انظر ص ٢٣٤ .

إلا معنى العموم المأخوذ من قوله تعالى : **« كلما دخل عليها زكريا المحراب »** وهى الآية المنقوشة بأعلاها داخل مساحة كروية . ونظرا لوضوح الدلالة على ستارة المحراب النبوى ، ولأن المحرابين النبوى والسليمانى متساويان فى الارتفاع، فقد تبين بعد مقاومة أبعاد الستارة المذكورة مع ستارة المحراب النبوى، وجود فارق كبير بينهما يقدر بـ ٤٤ سم فى الارتفاع ، ٧٣سم فى العرض، مما يرجح احتمال تخصيص الستارة المذكورة للمحراب العثمانى، المتميز بين محاريب المسجد الشريف بالارتفاع وعرض فتحة الحنية .

أما بقية الكتابات المنقوشة فى بقية الستارة فتنحصر فى أسماء الخلفاء الراشدين والحسن والحسين رضى الله عنهم جميعا، داخل ست دوائر تظهر أفقية فى الجزء العلوى من الستارة ، كما كتبت البسملة فى وسط الستارة مع قوله تعالى : **« هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ... وهو العزيز الحكيم »**[١] **صدق الله العظيم »** . وذلك فى خمسة أسطر مشابهة لما فى الستائر السابقة .

جـ ـ ستارة محراب التهجد :

وتشبه الستارة السابقة فى غموض الدلالة على نسبتها إلى المحراب السليمانى أو محراب التهجد ، وذلك لأن معنى الآية المكتوبة فى الجزء العلوى منها داخل مساحة بيضاوية، تضمنت الإشارة إلى معنى التهجد، وذلك من قوله تعالى : **«فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب»**[٢] .

ولأن محراب التهجد أولى بتدوين الآية المذكورة على ستارته من المحراب السليمانى المنشأ فى أواخر العصر المملوكى ، فلا مجال للشك فى اختصاصها بالمحراب المذكور، لا سيما وأنه قد ذكر بين المواضع المعتاد تعليق الستائر عليها فى أول العصر العثمانى وآخره[٣] . ويتقوى هذا الرأى بوجود تباين واضح بين أبعاد

---

(١) سورة الحشر آية رقم ٢٢ ـ ٢٤ .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٣٩ .

(٣) انظر وقفية السلطان سليم الأول الخاصة بكسوة الكعبة والحجرة الشريفة وأبواب المسجد ومحاريبه. إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ص ٢٨٩ ، ٤٦٠ .

الستارة المذكورة وأبعاد ستارة المحراب النبوى المساوى تماما للمحراب السليمانى فى العرض والارتفاع .

أما بقية الكتابات فتكرار لما كتب فى ستارتى المحرابين النبوى والعثمانى (لوحة رقم ٥٤) وبناء على ما تقدم فلا وجود لستارة المحراب السليمانى مع أن بعض المصادر أكدت على وجودها فى حدود سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م [(١)] .

٢ ـ ستائر الأبواب :

تبقى من ستائر أبواب الحرم الشريف خمس ستائر فقط، هى ستارة باب جبريل وباب النساء وباب التوسل والباب المجيدى ، وباب المنارة الرئيسية ، وتتماثل جميعا فى توزيع الأشكال الزخرفية والأشرطة الكتابية .

أما الأبعاد فتبدو الفوارق بينها متباينة كما يتبين من الجدول التالى :

موضع الستارة	الارتفاع	العرض	عرض الشريط الدائرى
ستارة باب جبريل	٣٢٢ ×	٢٠٤ سم	١٦ سم
ستارة باب النساء	٣٤٣ ×	٢٧٧ سم	١٧سم
ستارة باب التوسل	٣٢٦ ×	٢٥٦ سم	١٧سم
ستارة الباب الشامى	٣٢٢ ×	٢٣٩ سم	١٦سم
ستارة باب المنارة الرئيسية	٢٣٢ ×	١٤٦ سم	١٧٫٥سم

أما الكتابات فيظهر فوق كل ستارة ما يناسبها من الأدعية والآيات الشريفة وموضع تعليقها ، وقد جاء توزيعها على النحو التالى :

أ ـ ستارة باب جبريل :

كتب فى أعلاها داخل مساحة بيضاوية «هذه الستارة الشريفة لباب جبريل»

(١) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٦٠ .

وكتب تحتها داخل شريط مستطيل جزء من آية شريفة هى قوله تعالى : « **نزل به الروح الأمين ... بلسان عربى مبين** »[١] ثم « **الشهادتان** » داخل جامتان كرويتان ، كما كتب فى وسط الستارة أربعة أسطر فيها « **البسملة وآية الكرسى** »[٢] .

ب - ستارة باب النساء :

ويظهر اسمها مكتوبا فى أعلاها داخل جامة بيضاوية على النحو التالى : «**هذه الستارة الشريفة لباب النساء**» ، كما كتب تحتها داخل شريط مستطيل طوله ١٤٨×٢٣ سم جزء من آية شريفة هى قوله تعالى : « **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** » ثم كتبت « **الشهادتان** » تحتها داخل مساحتين كرويتين قطر كل منها ٢٥ سم ، أما وسط الستارة فقد كتب فيها ثلاثة أسطر تبدأ « **بالبسملة** » وقوله تعالى : « **هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة وهو العزيز الحكيم** »[٣] .

كما كتب على يمين السطور المذكورة فى ثلاث مساحات بيضاوية وفى وضع رأسى : فى الأول منها « **أبو بكر الصديق رضى الله عنه** » وفى الثانية «**عثمان رضى الله عنه**» ، وفى الثالثة « **حسن رضى الله عنه** » ، وعلى يسارها ثلاث جامات مماثلة فى الأولى « **عمر الفاروق رضى الله عنه** » ، وفى الثانية «**على رضى الله عنه**» وفى الثالثة « **حسين رضى الله عنه** » .

جـ - ستارة باب التوسل :

ويظهر اسمها فى أعلاها كما فى الستارة السابقة على النحو التالى : « **هذه الستارة الشريفة لباب التوسل** » ، كما كتب تحتها جزء من آية شريفة داخل شريط مماثل لما فى الستارة السابقة ونصها : « **قال الله تعالى وتزودوا فإن خير**

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ١٩٣ - ١٩٥ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٥ .

(٣) سورة الحشر آية رقم ٢٢ - ٢٤ .

الزاد التقوى »[١] كما كتبت « **الشهادتان** » فى وضع مماثل لما سبق .

وكتبت « **البسملة** » وسط الستارة مع الآيات المكتوبة على ستارة باب النساء[٢] وكذلك أسماء الخلفاء الراشدين وسبطى رسول الله رضى الله عنهما فى وضع مماثل تماما لما فى الستارة السابقة .

د ـ ستارة الباب الشامى :

انفردت هذه الستارة بإضافة مسمى جديد إلى الباب المجيدى ، الواقع فى الجدار الخارجى للمكاتب المجيدية ، ولكون الستائر المتبقية خلت من تصريح بنسبة إحداها إلى الباب المجيدى فلا بد أن يكون الباب المذكور هو المعنى بهذا الاسم، لأن بعض المصادر نصت على تعليق إحدى الستائر المرسلة فى أواخر العصر العثمانى إلى الحرم النبوى على الباب المجيدى[٣]، ويتأكد ذلك باقتراب أبعادها من أبعاد الستارة السابقة المخصصة لباب المدخل المؤدى إلى الرواق الشمالى .

هذا من حيث الدلالة على موضع تعليق الستارة ، أما الكتابات فيظهر منها بأعلاها داخل مساحة بيضاوية العبارة التالية : « **هذه الستارة الشريفة للباب الشامى** » .

ومن الملاحظ افتقار كاتبها إلى إجادة اللغة العربية ، فقد أغفل إضافة لام التعريف إلى كلمة الباب . كما كتب تحتها داخل شريط مستطيل جزء من آية شريفة فى أولها « **قال الله تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** » [٤]، أما وسط الستارة فتماثل كتاباتها الستارة السابقة .

هـ ـ ستارة باب المنارة الرئيسية :

ويظهر اسمها فى أعلاها داخل مساحة مماثلة لما سبق، وذلك على النحو التالى : « **هذه الستارة الشريفة لباب المنارة الرئيسية** » . وتحتها داخل إطار مستطيل

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٩٧ .

(٢) سورة الحشر آية رقم ٢٢ ـ ٢٤ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٦ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٤) سورة آل عمران آية رقم ١٣٢ .

مماثل للأول ، جزء من آية شريفة هى قوله تعالى : « **جنات عدن مفتحة لهم الأبواب**»[1] ، ثم « **الشهادتان** » وجزء من « **آية الكرسى** » [2] وأسماء « **الخلفاء الراشدين** » و « **ابنى فاطمة** » الزهراء رضوان الله عليهم أجمعين ، على هيئة مماثلة لما فى الستارة السابقة .

٣ ـ ستائر مشبك الحجرة الشريفة :

تظهر بقية الستائر المخصصة لمشبك الحجرة الشريفة محفوظة فى أماكن مختلفة من قاعات المكتبة المذكورة، وتشبه بقية الستائر السابقة فى نوع الزخرفة وطريقة النصوص القرآنية والأدعية المناسبة لمقام الرسول عليه أفضل السلاة والسلام .

وقد تبين بعد قياس أبعادها وجود فوارق مختلفة فيما بينها ، لا سيما فى الارتفاع مما يدل على وجود تباين فى مستوى الحوامل المثبتة فى أعلى مشبك الحجرة الشريفة لتعليقها ، أما مستواها من الأسفل فقد جاء ما يفيد بأنها كانت تلامس أرض الحرم . وأبعادها كالتالى :

	الارتفاع		العرض	عرض الشريط الدائرى
١	٢٦٨ سم	×	٣٠٠ سم	٢٢ سم
٢	٣٣٦	×	١٨٢	١٩
٣	٢٧٨	×	٢٥٠	١٨
٤	٢٧٨	×	٢٤٧	١٧
٥	٣١٢	×	٢٢٥	١٧,٥
٦	٣١٠	×	٢٠٨	١٧,٥
٧	٣١٠	×	٢٠٨	١٧,٥
٨	٣١٢	×	٢٢٤	١٧,٥
٩	٣٤٠	×	٢٣٨	١٧,٥
١٠	٣٣٨	×	٢٤٠	١٦

---

(١) سورة ص آية رقم ٥٠ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٥ .

أما الكتابات فقد جاء توزيعها فى تسع ستائر متماثلا تماما ، مع اختلافات بسيطة فى محتوى إطار الموضوع بأعلاها على شكل مستطيل طوله ٩٥ × ٢٧ سم والمرتبة على النحو التالى :

١ ـ الصلاة والسلام عليك يا نور عرش الله

٢ ـ الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله

٣ ـ الصلاة والسلام عليك يا رسول الله

٤ ـ الصلاة والسلام عليك يا نبى الله

٥ ـ الصلاة والسلام عليك يا إمام المتقين

٦ ـ الصلاة والسلام عليك يا شفيع المذنبين

٧ ـ الصلاة والسلام عليك يا خاتم النبيين

٨ ـ الصلاة والسلام عليك يا جمال ملك الله

٩ ـ الصلاة والسلام عليك يا خير خلق الله

كما كتبت الشهادتان تحت الأشرطة المذكورة فى دوائر تتوسط الستارة قطر كل منها ٢٨ سم، فى الأولى منها كلمة « **لا اله الا الله** » وفى الثانية « **محمد رسول الله ﷺ** » .

أما الستارة العاشرة والمخصصة فيما يبدو للمواجهة الشريفة ، فقد اختلفت من حيث الشكل والمحتوى ، فكتب بأعلاها حديث يحث على زيارة مثواه عليه الصلاة والسلام[١] ، وذلك داخل شريط مستطيل ٦٢×٢٧ سم٢ ، محاط من الجانبين بدوائر قطر كل منهما ٢٠ سم ، بالأولى عبارة « **قال عليه السلام** » وبالثانية « **صدق رسول الله** » .

كما كتب تحتهما فى طرفى الستارة داخل دائرتين بحجم أكبر من السابقتين

---

(١) لم يذكره البخارى فى صحيحه ولا مسلم أيضًا كما أن كتب السنن الأربعة قد أغفلته مما يدل على ضعفه وتأويله . انظر مثيله فى ص ٢١ حاشية رقم ٢ وكذلك ص ٢٩١ .

قطر كل منهما ٣١ سم، وبالأولى كلمة « لولاك لولاك » وبالثانية « لما خلقت الأفلاك » .

أما وسط الستارة فبها جزء من آية شريفة هى قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض »[1] مكررة وفى وضعين متقابلين .

هذا من حيث الكتابات التى ظهرت بالجزء العلوى من الستارة ، داخل أشكال هندسية مختلفة . وبالجزء السفلى من الستارة ثلاثة أبيات من قصيدة تركية ، كتبت داخل أشرطة مقوسة ، أحاطت بوسط الستارة من أسفلها ويمينها ويسارها (لوحة رقم ٥٥) وفيما يلى ترجمة لمعانيها :

هو الرسـول المجـتـبى ورحـمـة للعـالمين
والأرض تفخر على الأفلاك بدفن جسده فيها
وان جـبـريل الأمين زار روضـتـه وقـال
هذه جنات عـدن فـادخلوها خـالدين
لو لـم تطأ قـدمك الأرض لما اسـتطاع
التـراب أن يطهـر أحـدا بالتـيـمم

٢ ـ خزائن الكتب :

احتفظ المسجد النبوى الشريف فى العصر العثمانى ، بمعظم الكتب والخزائن المهداة من الأشرف قايتباى فى أواخر العصر المملوكى[2] ، مع إضافة المزيد من الهدايا التى كانت تصل تباعا من أقطار العالم الإسلامى طوال هذا العصر . وقد أشار ابن مليح الذى زار المسجد النبوى الشريف سنة ١٠٤٢هـ / ١٦٣٢م، إلى وجود خزانتين كبيرتين فى مقدم الروضة المطهرة ، بين الحجرة الشريفة والمحراب

---

(١) سورة النور آية رقم ٢٥ .

(٢) تعرض المسجد الشريف لحريقين أحدهما سنة ٦٥٤هـ والثانى ٨٨٦هـ وقد تلفت فيهما محتويات المسجد الشريف إلا ما كان مخزونا فى قبة الصحن .

النبوى ، تحتوى كل منهما على كتب علمية ومصاحف شريفة [١] ، وأشار العياشى سنة ١٠٦٤هـ / ١٦٥٣م إلى طريقة تخزين الكتب عند قدوم الزوار وإخراجها بعد ذهابهم ، بما يفيد أنها كانت فى خزائن مصفوفة فى موضع جدار القبلة الأول، وأن لكل خزانة ناظر يحفظ الكتب ويعير بعضها لطلاب العلم وبعض الذوات[٢] . ثم زادت الخزائن سنة ١٢١٥هـ /١٨٠٠م، عندما أبدل السياج الذى كان يفصل البلاطتين اللتين أضافهما عمر وعثمان رضى الله عنهما عن المسجد القديم ، بعدد من الخزائن الممتدة من جدار الحجرة الشريفة إلى قرب باب السلام، بارتفاع القامة المتوسطة [٣] .

كما أشارت بعض الوثائق العثمانية إلى إدخال خزانتين من الكتب الموقوفة إلى الحجرة الشريفة سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م، بعد ضياع بعض محتوياتها [٤] .

ومن هذا يتبين أن المسجد الشريف كان قبل عمارة السلطان عبد المجيد، مليئا بالخزائن التى لا بد أن تكون قد أعدت بعناية فائقة، لا سيما وأن معظمها كان فى مقدم الروضة الشريفة وما حاذاها من مقدم المسجد .

أما بعد إتمام العمارة المذكورة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م، فقد حال الفاصل المبنى من الحجر المنحوت وما علاه من سياج نحاسى، دون إعادة الخزائن القديمة . مما أدى إلى ترتيب مصاحف الروضة وكتبها بجوار الحاجز المذكور ، وحفظ الثمين منها فى خوخة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بجوار باب السلام ، كما استحدث بجوار الجدار الغربى الممتد من باب السلام حتى المنارة المجيدية، قرابة أربعمائة خزانة. بكل منها ثلاثة رفوف، خصصت لكتب بعض الذوات وحوائجهم[٥] . كما أحدث فى العمارة المجيدية بالجدار الشرقى، الممتد من المنارة الرئيسية حتى الطرف الشمالى لدكة الأغوات تسع وعشرون خزانة صغيرة، مبنية فى أصل الجدار على

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠١ .

(٢) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٨٤ .

(٣) انظر أعلاه ص ٧٤ .

(٤) مكاتبة رقم ٥٩٤ فى ٩ ربيع الثانى سنة ١٢٤٠هـ دفتر معينة تركى / محافظ الحجاز .

(٥) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

ارتفاع القامة المتوسطة ، منها تسع خزائن تظهر فى طبقتين من الجانب الشرقى لدكة الأغوات ، بالسفلى منها ثلاث خزائن فى حجم الشباك المتوسط، وبالعلوى ست خزائن صغيرة كبقية خزائن الجدار الشرقى ، وقد خصصت لأغراض الأغوات وبعض الأعيان من أهل المدينة [(١)] .

ويبدو أن ما كان بالمسجد الشريف من الخزائن المتنقلة، أزيل فى أوائل العهد السعودى لا سيما ما كان بجوار الجدار الغربى ، فإن ما أدركه الأنصارى فى سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م بهذا الجدار لم يزد عن ثمانى خزائن كبيرة ، بينها خوخة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وست وثلاثون خزانة بلون أخضر هى ما أحدث بعد سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م بالجدار الشرقى، الممتد من المنارة الرئيسية حتى باب جبريل [(٢)] .

هذا عن خزائن أروقة المسجد الشريف ، أما الحجرة الشريفة فكان بها من الخزائن صندوق خصص لحفظ المصحف العثمانى [(٣)] ، وآخر لوضع الصندل عند رأس قبر النبى ﷺ[(٤)] ودواليب فى حجرة فاطمة رضى الله عنها ، خصصت لحفظ بعض أنواع ريش النعام المرصع بالجواهر [(٥)] .

أما التحف والهدايا ، فقد أرسل لها من مصر سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م خزائن خشبية مهداة من والدة الخديوى عباس حلمى الثانى [(٦)] ، ولا تزال حتى الوقت الحاضر بحالة جيدة مما ساعد على تتبع زخارفها وخصائصها الفنية .

٣ ـ خزائن التحف :

تحظى مكتبة الملك عبد العزيز التابعة لأوقاف المدينة ، بامتلاك سبع خزائن من

---

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٢) آثار المدينة المنورة ، ص ١٠٠ .

(٣) رحلة الغيفاى الذى زار المدينة سنة ١٢٧٤هـ ص ٣٠٣ .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٣ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧١ وما بعدها .

(٥) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٦) البتنونى : المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

الخشب الأسمر الفاخر ،والمهداة من والدة خديوى مصر عباس حلمى الثانى سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م، إلى الحجرة الشريفة بقصد تخزين بعض التحف الثمينة فيها[١] . وقد أخرجت فى أول العهد السعودى من الحجرة الشريفة، وصفت بجانب الجدار الغربى بين باب السلام وباب الرحمة، ثم نقلت إلى قاعة عرض المصاحف القديمة فى المكتبة المذكورة أعلاه، بعد ترميمها وإصلاح التالف منها [٢] . ويتماثل معظمها فى الطول والعرض ونوع الزخرفة وبعض النصوص الكتابية ، ولست خزائن منها ثلاثة دواليب ، يتميز أوسطها بالبروز والارتفاع وفيما يلى بعض القياسات المفيدة فى معرفة أبعاد كل منها :

رقم الخزانة	ارتفاع الجانبين	ارتفاع الوسط	العرض	عمق الجانبين	عمق الوسط
١، ٢، ٣، ٤، ٥	٢٣٤	٢٦٤	٢٨٠	٥٩	٧٢
٦	٢١٨	٢٥٠	١٩٣	٥٩	٧٠
٧	١٦٧	٢٥٠	٣٤	٢٦	٧٠

أما زخارفها فيقتصر ظهورها على الواجهة من كل خزانة، وتشمل أنواع الزخرفة التقليدية ، وهى الأشكال الهندسية والنباتية والكتابية ، وذلك بمعدن الفضة وقطع العاج الأبيض[٣] وفيما يلى عرض لخصائص كل منها :

أ ـ الزخارف الهندسية :

وتشمل المربعات والمستطيلات والمسدسات وأنصاف الدوائر ، والأطباق النجمية وبعض أنواع المقرنصات ، وأهمها عقدان نصف دائريين بالجزء العلوى من

(١) البتنونى : المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(٢) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

المصراعين الجانبيين ، وعقد مدائنى بثلاثة فصوص فوق مصراع الجزء الأوسط من الخزانة ، وعقدان مدببان على المصراعين الجانبيين ، من إحدى الخزائن المتميزة بضيق العرض (لوحة رقم ٤٩). أما صرعة الدولاب الأوسط فينتهى جزؤها العلوى بما يشبه الزخرفة الخارجية لجلدة المصحف، وتتكون من عقدين نصف دائريين ، بينهما مساحة دائرية ينتهى طرفاها بورقة نباتية بثلاثة فصوص ، ثم طبق نجمى بثمانى كندات فى أسفل المصراع ، كما تظهر بعض الزخارف المعقلية بالجزء السفلى من المصراعين الجانبيين ، وتتألف من مربعات ومستطيلات أفقية وعمودية .

كما يتوسط المصراعين الجانبيين من كل خزانة ، أشكال نجمية مؤلفة من ترس وست كندات مسدسة [1] ، أما المقرنصات فتظهر بالجزء العلوى من الأقسام الثلاثة لكل خزانة ، وكذلك داخل العقد المدائنى ، وتتكون من الأشكال الحلبية والبلدية[2] . (لوحة رقم ٤٨) .

ب ـ الزخارف النباتية :

وتنحصر فى نوعين ، هما الأوراق النباتية الظاهرة بأعلى دواليب كل خزانة ، على هيئة شرافات متجاورة . وتتألف من ثلاث ورقات نفذت بطريقة التفريغ على هيئة مراوح نخيلية . كما يتضح من اللوحة السابقة .

أما النوع الآخر فيعتبر من جنس الزخارف الرومية ، المنفذة بطريقة تطعيم الخشب بمعدن الفضة ، وتظهر فى كوشات العقود والأشرطة الكتابية ، وزخرفة الجزء العلوى من المصراع الأوسط ، والمشابهة لجلدة المصحف .

جـ ـ النقوش الكتابية :

وتظهر بالقسم العلوى من الخزائن المذكورة ، بخط الثلث المنقوش بحروف من

(١) قبل أن اسم هذا النوع من الأطباق النجمية مسدس خاتم ، انظر عبد اللطيف إبراهيم : التصحيحات والتعليقات العلمية على الوثيقة رقم ٨٨٣ ص ٨١٠ .

(٢) عن هذا النوع من الزخارف انظر : صالح لمعى ، التراث المعمارى فى مصر . ص ١٧١ .

فضة على طريقة التطعيم ، وتشمل بعض الآيات الكريمة ، والأشعار المناسبة للمقام، ثم نص يبين موضع الإهداء واسم المهدية وتاريخ الإهداء ، ونظرا لكون بعضها قد تكرر بانتظام فى نفس الموضع من الخزائن المذكورة فمن الأجدى إبرازه تحت عنوان مستقل لتجنب تكراره عند وصف كل ستارة .

النصوص المشتركة :

وهما نصان بارزان فى أعلى الجزء الأوسط من كل خزانة ، وذلك فوق عتب الباب . ويتوسط إحداهما المقرنصات الظاهرة وسط العقد المدائنى داخل مساحة مجانسة لما حولها ونصه « **الله جل جلاله** » كما يظهر النص الآخر ، داخل شريط مشابه للزخرفة المميزة لفواصل سور المصحف ، وذلك فوق عتب الباب الأوسط من كل خزانة ، ويحوى سطرين بحروف دقيقة جاءت على النحو التالى :

« **هدية للحجرة الشريفة من الأميرة أمينة هانم كريمة خنتكار الهامى باشا مصر وحرم المرحوم توفيق باشا** » .

« **خديو مصر كان ووالدة سمو خديو مصر عباس باشا حلمى الثانى سنة ١٣٢٨ هجرية** » .

أما بقية النصوص ، فتختلف من ستارة لأخرى ، وقد رتبتها تبعا لموضوع الأبيات المكتوبة عليها من أبيات قصيدة البردة ، وذلك على النحو التالى :

(١) الخزانة الأولى :

وبأعلى جزئها الأوسط إطار مستطيل ، على هيئة الإطار السابق بين قمة العقد المفصص ، وصف المقرنصات العلوية ، وبداخله جزء من آية شريفة هى قوله تعالى: « **إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا** »[١] . كما يظهر فى نفس الموضع من الجانب

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١١٩ .

الأيمن والأيسر للخزانة المذكورة ، شطران من بيت شعر هو :

محمد سيد الكونين والثقلين

خير الفريقين من عرب ومن عجم[١]

(٢) الخزانة الثانية :

ومكتوب بأعلاها داخل شريط مماثل ، جزء من آية شريفة هى قوله تعالى : **« وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم »** [٢].

كما يظهر بأعلى الجانبين داخل أشرطة مماثلة ، بيتان من الشعر كتب أحدهما فوق الدولاب الأيمن ، والآخر فوق الدولاب الأيسر :

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة

تمشى إليه على ساق بلا قدم [٣]

كأنما سطرت سطرا لما كتبت

فروعها من بديع الخط فى القلم [٤]

(٣) الخزانة الثالثة :

وتشبه بقية الخزائن فبأعلى جزئها الأوسط ، جزء من آية شريفة هى قوله تعالى: **« أنا فتحنا لك فتحا مبينا »** [٥]، ثم بيتان من الشعر يظهر أحدهما فوق الجانب الأيمن والآخر فوق الجانب الأيسر ونصهما :

مثل الغمامة أنى سار سائره

تقيه حر وطيس للهجير حمى[٦]

أقسمت بالقمر المنشق أن له

من قلبه نسبة مبرورة القسم[٧]

---

(١) هو البيت رقم ٣٤ من قصيدة البردة ، انظر بدر الدين محمد الغزى ، المصدر السابق ص ٦٥ .

(٢) سورة فاطر آية رقم ٢ .

(٣ ، ٤) هما البيتان رقم ٧٤ ، ٧٥ من قصيدة البردة ، انظر الغزى ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٥) سورة الفتح آية رقم ١ .

(٦ ، ٧) البيتان رقم ٧٦ ، ٧٧ من قصيدة البردة ، انظر الغزى ، المصدر السابق ، ص ٩٤

(٤) الخزانة الرابعة :

وبالجزء العلوى من وسطها قوله تعالى : **« ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها »**[(١)] وفى أعلى الجانبين بيتان من الشعر هما :

ماسامنى الدهر ضيما واستجرت بـه
إلا ونلـت جـوارا منـه لم يضـم[(٢)]

وما حوى الغار من خير ومن كـرم
وكل طرف من الكفار عنه حمى[(٣)]

(٥) الخزانة الخامسة :

وبأعلى وسطها جزء من آية كريمة ، هى قوله تعالى : **« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »**[(٤)] . كما كتب فى أعلى الجانبين بيتان من الشعر هما :

ولا التمست غنـى الدارين مـن يـده
الا استلمت الندى من خير مستلم[(٥)]

تبـارك اللـه مـا وحـى بمكتسـب
ولا نبى علـى غيـب بمتهـم[(٦)]

(٦) الخزانة السادسة :

وبأعلى وسطها جزء من آية شريفة هى قوله تعالى :

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »[(٧)] ،

---

(١) سورة فاطر آية رقم ٢ .
(٢) البيت رقم ٨٢ من قصيدة البردة .
(٣) البيت رقم ٧٨ من قصيدة البردة . انظر الغزى : المصدر السابق ، ص ٩٨ و ٩٥ .
(٤) سورة الفتح آية رقم ٩ .
(٥) البيت رقم ٨٣ .
(٦) البيت رقم ٨٦ .
(٧) سورة الأحزاب آية رقم ٤٠ .

كما كتب أيضاً بأعلى الجانبين بيتان من الشعر هما :

لا تنكـر الوحـى مـن رؤيـاه أن لـه
قلبا إذا نامـت العينـان لـم ينـم[(١)]

يا أكرم الخلق[(٢)] مالى من ألـوذ بـه
سواك عند حلول الحـادث العمم[(٣)]

(٧) الخزانة السابعة :

وهى أصغر الخزائن ، كما يتبين من الجدول السابق لأبعاد الخزائن المذكورة ، وقد خلت من النقوش الكتابية والزخارف النباتية ، واقتصرت زخارفها على بعض الأشكال الهندسية كما يرى فى اللوحة رقم (٦١) .

هذا عن خزائن الكتب وطريقة توزيعها فى المسجد الشريف ، أما الكراسى المعروفة فى العصر العباسى بالرحلة[(٤)]، والمصنوعة من الخشب الفاخر، بقصد اراحة القارئ من حمل الكتب والمصاحف الكبيرة ، وحفظها من التلف الناجم عن كثرة الاستخدام ، فكانت عناية المسلمين بها كبيرة جدا لارتباطها بالمصحف الشريف وقراءاته[(٥)] . وتنحصر الزخرفة فى هذا النوع من التحف ، بين ثلاثة طرق هى التخريم[(٦)] والحز[(٧)] والتطعيم[(٨)] .

ولكون غالب الرحال الموجودة فى الوقت الحاضر بالمسجد الشريف من صنع

---

(١) البيت رقم ٨٤ .

(٢) جاءت فى المصدر السابق « الرسل » .

(٣) البيت رقم ١٥٤ . انظر الغزى : المصدر السابق ، ص ١٥١ . وقد حوى هذا البيت غلواً فى مدح الرسول واللجوء إليه ، بدلا من الاتجاه إلى الله تعالى فى كل الأحوال .

(٤) عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ، ص ١٦٤ .

(٥) حسن الباشا : الفن عند الشعوب الإسلامية ، مقال بمجلة الدارة العدد ٣ ، ٤ السنة الثانية ، شوال سنة ١٣٩٦هـ ص ١٦٨ .

(٦) هو تخريم الخشب وتكوين عناصر زخرفية مفرغة . انظر عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٧) هو الحفر البارز أو المائل فى الخشب لتكوين عناصر زخرفية : انظر عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

(٨) هو وضع مادة أغلى فى مادة أرخص وذلك باستخدام العاج أو الصدف أو الأبنوس ، انظر عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

حديث ، فإنها لا تفى بإعطاء صورة واضحة عما كانت عليه الرحال القديمة من دقة فى الصنعة وجمال فى الزخرفة ، ولذلك فلا بد من الاعتماد على ما جاء فى وصف بعض النماذج المصنوعة فى هذا العصر ، والمحفوظة حاليا فى بعض المتاحف التركية ، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن المسجد الشريف ، تلقى فى هذا العصر هداياه من أقطار إسلامية مختلفة ، لم يشمل بعضها النفوذ العثمانى كالهند وإيران والمغرب الأقصى، إلا أن فى إبراز ما تميزت به التحف العثمانية من زخرفة، ما يخدم الهدف المقصود من وراء هذه الدراسة، فقد تبين أن هناك نوعين من الرجال:

الأول : على هيئة صندوق مستطيل من الخشب الثمين ، وبسطحه العلوى بروز من الجانبين ، بحيث ترتكز عليهما المصاحف الكبيرة عند فتحها للقراءة . ولهذا النوع نموذج من الخشب المطعم بالعاج محفوظ بمتحف الفن الإسلامى باستانبول[١] ، ويبدو أنه مخصص لحمل المصاحف الكبيرة .

الثانية : مصنوع من قطعة الخشب المقسوم بآلة المنشار إلى لوحين متداخلين على هيئة حرف X، وهو محفوظ بمتحف الفن الإسلامى باستانبول، وقد طعمت جوانبه بالعاج والأبنوس ، هذا فضلا عن الزخارف الهندسية والنباتية الجميلة ، كما أن من هذا النوع نموذجا آخر فى متحف أنقرة الاثنجرافى، تزدان جوانبه بزخارف هندسية ونباتية محفورة حفرا عميقا، وأخرى مفرغة قوامها أوراق نباتية بطراز رومى منظور[٢] . (لوحة رقم٥٠) .

وتأكيدا لما سبق فإن ما ذكره أيوب صبرى عن بعض النماذج التى أدركها بالمسجد الشريف سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م، ما يفيد باستخدام المعادن الثمينة فى تلبيس هذا النوع من الكراسى ، فقد أفاد بأن إحدى الرحال الصغيرة أهديت إلى الحرم النبوى سنة ١٢٣١هـ / ١٨١٥م، وكانت مغطاة بالفضة الخالصة ولها محفظة مصقولة . كما أفاد بوجود نوع آخر مغطى بالقطيفة ، وجوانبه من الفضة المنقوشة بزخارف جميلة[٣]، لم يذكر نوعها ولا طريقة تنفيذها . إلا أن المرجح أن

(١ ، ٢) عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ١٦٤ ، ١٦٨ .

(٣) المصدر السابق ، جـ١ ص ٦١٩ .

إهدائها إلى الحرم النبوى الشريف ، جاء نتيجة لما تمتاز به من دقة الصنعة وجمال فى الشكل .

٤ ـ أزيار الماء ودوارقه :

ظلت طريقة تزويد المسجد النبوى بالماء البارد طوال العصر العثمانى ، كما كانت عليه من قبل مقتصرة على الأوانى الفخارية المزودة بالماء من الأسبلة المبنية عند بعض المداخل الرئيسية من المسجد الشريف ، والمتصلة بالعين الزرقاء عن طريق قنوات تجرى تحت الأرض [١]. وقد أشارت بعض المصادر إلى تبريد الماء داخل المسجد النبوى فى فترتين مختلفتين ، الأولى سنة ١٠٤٢هـ / ١٦٣٢م حيث لوحظ وجود أزيار كبيرة بمؤخرة الرواق الشمالى [٢] ، أما الثانية فقد شاهدها إبراهيم رفعت سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، وكان الشرب فيها يتم عن طريق الدوارق الفخارية وقال عنها بعد أن وصفها بالكثرة « ويشرب منها الناس ويطوف ببعضها طائفون »[٣] . وظل هذا الأمر متبعا فى الحرمين حتى وقت قريب . وقد جاء هذا التطور نتيجة الأوقاف المخصصة من بعض المحسنين على القائمين بهذا العمل ، ففى الوقفية الصادرة من حاكم مصر عباس باشا الأول سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م، ما يفيد بتخصيص ٣٠٠ ريال فرانسة[٤] ، منها ١٥٠ ريال مرتب السقائين المكلفين بتوزيع خمسين دورقا على المصلين فى كل صلاة و ١٥٠ ريال لتعويض ما يتلف من الدوارق[٥] . (الوثيقة رقم ٥٨) كما ذكر بيرتون سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م، أن بخارج باب السلام أناسا يحملون جرارا كبيرة يتوضأ منها بعض الناس مقابل جعل بسيط[٦] ، وليس من تفسير لوضوئهم من الدوارق المذكورة ، مع إمكانية الوضوء

---

(١) Burchardt : op. cit., p. 328 .

(٢) أولياء جلبى : المصدر السابق ، جـ١٣ ، ص ٦٤ .

(٣) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٣٢ .

(٤) أى حوالى ٦٠ جنيه عثمانى . انظر إبراهيم رفعت : جـ٢ ص ٣٥٢ .

(٥) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٣٥٢ .

(٦) Burton : op. cit., vol 2 . p. 332 .

من السبيل المجاور لباب السلام وغيره من الأسبلة ، إلا الرغبة فى برودة ماء الدوارق المذكورة ، خاصة فى فصل الصيف وشهر الصوم ، فضلا عن تجنب الزحام الشديد فى مواسم الزيارة .

ومهما يكن من أمر فقد حفظ لنا إبراهيم رفعت رسما لهذا النوع من الدوارق، ورغم قربه من شكل الدوارق التى أدركت بعضها فى الحرمين الشريفين، إلا أن ما به من زخارف هندسية ونباتية ذات قيمة عالية (الشكل ٥٨)، ربما لاعتناء الدولة ونظار الأوقاف بصنعها وتزويد الحرمين بها .

هـ ـ مضخات الحريق :

كان الخوف من حدوث حريق فى الحرم النبوى الشريف، مصدر إزعاج للقائمين على إدارته قبل عمارة السلطان عبد المجيد، لوجود الخشب بكثرة فى أجزاء كثيرة من سقفه ، مما قد يعرضه لدمار مماثل لما حدث فى سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م و٨٨٦هـ / ١٤٨١م ، ولذلك فقد وصل إلى المدينة المنورة سنة ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م مضخة خاصة بإطفاء الحريق[١] . وقد أعد لها شيخ الحرم النبوى على الفور مكانا لا بد أن يكون قريبا من البئر التى كانت بالطرف الجنوبى من صحن المسجد الشريف ، وقد كان دورها فعالا على الأقل فى تهدئة الخواطر التى زال عنها هاجس الحريق تماما ، بعد تعميم بناء القباب فى عمارة السلطان عبد المجيد .

٧ ـ مولد الكهرباء :

بقى الشمع وزيت الزيتون ، مصدرا أساسيا لإضاءة المسجد النبوى الشريف معظم العصر العثمانى ، حتى أرسل السلطان عبد الحميد الثانى ١٢٩٣ ـ ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م مولدا كهربائيا ، ترتب عليه تمديد الأسلاك داخل أروقة المسجد الشريف ، وإقامة أعمدة حديدية بأطراف صحن المسجد ،

---

(١) وثيقة رقم ١١٥ فى ١٦ رمضان سنة ١٢٤٦هـ محفظة رقم ١ ذوات تركى / محافظ الحجاز .

بأعـلاها مصابيح كبيرة (لوحة رقم ٣٨) . وكانت الاستفادة من ذلك المولد ، في نفس اليوم الذى افتتحت فيه رسميا سكة الحجاز الحديدية فى ٢٥ شعبان سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م[١] . ثم تعطلت هذه الآلة سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م[٢] ، فعاد المسجد إلى وسائل الإضاءة القديمة فترة من الزمن ، حتى جددت الآلة بعد سقوط الدولة العثمانية من قبل أحد الأثرياء الجزائريين قبل سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م [٣] . وقد ترتب على ذلك ضياع كثير من قناديل المسجد وشمعداناته .

---

(١) البتنونى : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ ، عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

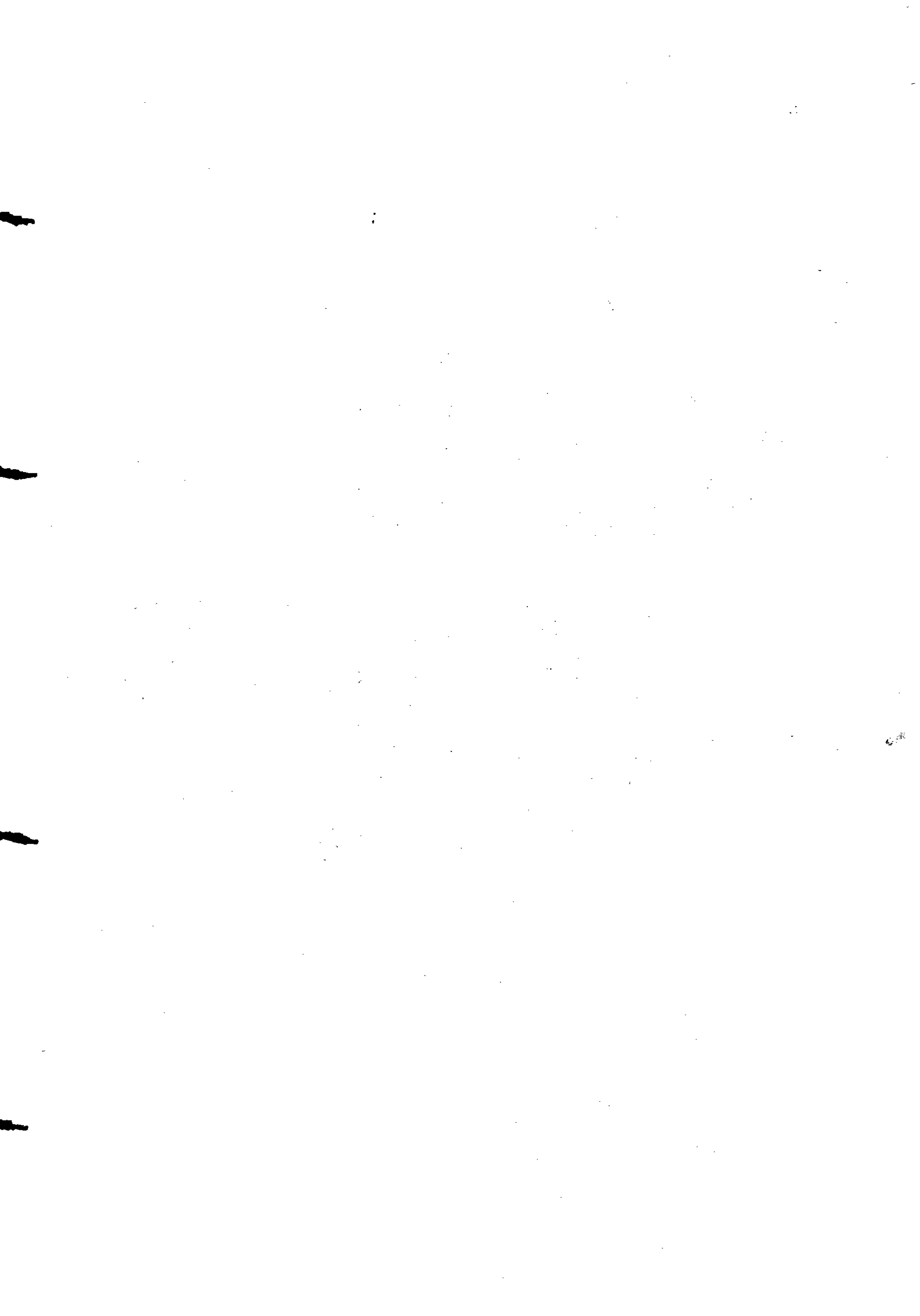
(٢) البتنونى : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

(٣) عبد القدوس الأنصارى : المصدر السابق ، ص ١٠١ .



الفصل الثانى

تحف المسجد النبوى و هداياه



الفصل الثاني : تحف المسجد النبوى وهداياه

أولا : عرض تاريخى للتحف المهداة فى العصر العثمانى :

لا بد من الإشادة فى بداية هذا الفصل بالموقف المتميز للمؤرخ الجبرتى، عن رأيه المتمثل فى التأكيد على حرمة إرسال التحف والهدايا الثمينة إلى الحجرة الشريفة[١]. بما يتفق مع المبادئ السمحة لتعاليم الدين الإسلامى، الذى حرم اتخاذ البنيان على القبور وإنارتها بمختلف أنواع الإضاءة، ناهيك عن سترها بالحرير المطرز بالقصب، وتحبيس الجواهر والمعادن الثمينة فى خزائنها، بقصد التبرك وطلب المثوبة. ولذلك فلا بد من إغفال الإشارة إلى ما أهدى من هذه التحف بقصد التبرك، والإكتفاء بعرض ما توفر فى المصادر عن صفاتها وصفات شمعدانات المسجد الشريف وقناديله ، من معلومات يمكن أن تفيد فى طريقة صناعتها ومصادرها المختلفة ، ثم اتباع ذلك بدراسة مفصلة عن خصائص ومميزات ما تبقى منها فى الوقت الحاضر بالرواق القبلى من المسجد الشريف ، وما تمتلكه أوقاف المدينة المنورة من التحف النحاسية والبرونزية .

ولا شك فى أن كثيرا من أدوات الإضاءة المستخدمة فى إنازة المسجد النبوى الشريف أواخر العصر المملوكى ، ظلت لفترة طويلة من بداية العصر العثمانى فى خدمة المسجد الشريف كبقية أنواع الأثاث ، ثم توالت عليه بعد ذلك أنواع مختلفة من هبات السلاطين والأمراء والأثرياء[٢]. مما يعكس حالة الثراء التى عاشتها الامبراطورية العثمانية، لا سيما عصرها الذهبى المتوج بالفتوحات والانتصارات

---

(١) تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار : الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٨م جـ٣ ص ٢٤٨ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٥٤ .

(٢) لاحظ بوركهارت انخفاض مستوى التحف المخصصة لإضاءة المسجد النبوى، عند زيارته للمدينة المنورة سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م، وقال أن أى كنيسة كاثوليكية فى أوربا تبدو أجمل وأفخم منه. ثم أرجع هذا القصور من المسلمين فى تقديم التحف الثمينة إلى المسجد الشريف إلى عدم التضحية بأموالهم فى هذا الخصوص . انظر op. cit., p. 335 .

المذهلة [١]. وكــان السلطان سليـمــان القـانونى (٩٢٦ - ٩٧٤هـ / ١٥١٩ - ١٥٦٦م)، قد أرسل من استانبول قبل سنة٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م عدة شمعدانات من النحاس المطلى بالذهب [٢]. وفى سنة ٩٨٥هـ/١٥٧٧م أرسل السلطان مراد الثالث (٩٨٢ - ١٠٠٣هـ / ١٥٧٤ - ١٥٩٤م)، قـنـديـلا مـن الـذهـب المـرصـع بالجواهر [٣]. وكان حفظ مثل هذا النوع من القناديل الثمينة فى حاصل صحن الحرم الشريف يشكل قبل سنة ٩٩٥هـ/١٥٨٦م، مشكلة رئيسية بالنسبة لأغوات الحرم الذين تشددوا فى منع المصلين من الاقتراب منه أو الاعتكاف فيما جاوره من الروضة المطهرة ، الأمر الذى دعا شيخ الحرم الشريف فى ذلك الوقت إلى صهر عدد كبير من الأوانى الذهبية [٤]. وصرف ما تحصل منها على بعض التجديدات فى سنة ٩٩٥هـ/١٥٨٦م [٥]، ويبدو أن التحف المصهورة مما أهدى للمسجد الشريف فى العصر المملوكى وما قبله ، بحيث كان الاعتماد عليها فى الإنارة زائدا عن حاجة المسجد الشريف .

ومن الملاحظ توقف عملية الإهداء إلى الحرم النبوى الشريف بعد هذا التاريخ فترة من الزمن لأسباب منها ، اقتناع المسئولين فى استانبول بعدم حاجة المسجد إلى شىء من القناديل أو الشمعدانات ، وتخوف بعض المتحمسين للإهداء من صهر هداياهم وصرفها فى غير ما خصصت له ، كما فعل المسئولون عن الحرم النبوى بالتحف المذكورة سابقا .

ومهما يكن الأمر ، فإن عملية الإهداء نشطت مرة ثانية فى عهد السلطان

---

(١) بدأ هذا العصر من سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م وانتهى فى عهد مراد الرابع ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م . انظر برنارد لويس : استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية . ترجمة سيد رضوان على - الطبعة الثانية - الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٤٨ وما بعدها ، عبد العزيز مرزوق ، المصدر السابق ، ٣١ - ٥١ .

(٢) عبد الحميد العباسى : المصدر السابق ، ص ٤١٨ .

(٣) أحمد زينى دحلان : المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٤) ملا أحمد أفندى الأنصارى : المصدر السابق ص ١٢٦ وما بعدها .

(٥) انظر أعلاه ص ٣٦ .

أحـمـد الأول (١٠١٢ ـ ١٠٢٦هـ / ١٦٠٣ ـ ١٧١٦م)، الذى اهتم بصـفـة خاصة بارسال الأشياء الثمينة إلى الحرم الشريف . ففى السنة الأولى من سلطنته أرسل الجوهرة الثمينة التى اشتراها والده بخمسين ألف جنيه[١] ، وأمر بوضعها على جدار الحجرة الشريفة الجنوبى للدلالة على محيا رسول الله ﷺ ، بدلا من الكوكب الدرى[٢] ، الموضوع تجاه الوجه الشريف فى عهد الظاهر بيبرس وسط رخامة حمراء[٣] . وقد جاء فى وصفها أنها مكفتة بالذهب والفضة[٤] ، وأن وزنها ٢٢٧ قيراط[٥]؛ وأنها من أكبر الجواهر المعروفة فى العالم آنذاك [٦] . كما أرسل أيضًا ثلاثة قناديل من الذهب المرصع بالجواهر[٧] ، بالإضافة إلى وضع سياج من الفضة الخالصة أمام المواجهة الشريفة ، مع تثبيت لوح من الفضة فى وسطه، بعد نقشه ببعض الآيات الكريمة والأدعية المتضمنة طلب المغفرة للسلطان المذكور [٨] .

هذا عن أهم التحف التى قدمها السلطان أحمد الأول حتى سنة ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م ، أما ما وصل الحرم النبوى فى هذا العصر من هدايا بعض الدول الإسلامية ، فإن أهمها ما بعثه سلطان المغرب الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور الحسينى سنة ١٠٤٢هـ/١٦٣٢م، من الشمعدانات المستخدمة فى إضاءة المسجد الشريف، وقد جاء فى وصفها أن منها اثنان من الذهب المرصع بالياقوت والزبرجد،

---

(١) ذكر أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٥٧٢ ما يفيد بأنها مؤلفة من قطعتين أحداهما أكبر من الأخرى . وأن ثمن أكبرهما قدر بثمانين ألف جنيه بينما يذكر محمد أمين المكى فى المصدر السابق ، ص ٣٣ أن والده شراها بخمسين ألف جنيه .

(٢) جمال الدين المطرى : التعريف بما أنست الهجرة من معالم الهجرة ، دمشق ١٣٧٢هـ ، ص٢٢.

(٣ ، ٤) محمد كبريت المدنى : المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٥٧٢ .

(٦) أسعد طرابزونى : مقدمة التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة المنورة لشمس الدين السخاوى ، جـ١ صفحة ك .

(٧) محمد أمين المكى : المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٨) انظر أعلاه ص ٤٧ .

زنة كل قنديل أربعة أرطال، وحول بدنهما بيتان من الشعر المنقوش بالحفر الغائر[١] أما الآخران فمن الفضة المرصعة بنفس النوع من الجواهر، وزن كل واحد منها عشرة أرطال، ومعهما ما يلزمهما من شمع العنبر[٢]. وفي سنة ١٠٤٧هـ / ١٦٣٧م، أرسل السلطان مراد الرابع ١٠٣٢ ـ ١٠٤٩هـ / ١٦٢٢ ـ ١٦٣٩م، قطعة من الألماس الموضوعة وسط لوح مربع من الذهب، المحاط من جوانبه بعدد كبير من الجواهر الثمينة[٣]. ومما يجدر ذكره أن الحرم الشريف ضم في سنة ١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م حوالى سبعة آلاف قنديل[٤]. وهو عدد كبير يشتمل كما يبدو ، على القناديل الزجاجية والفخارية والمعدنية بما في ذلك المخزون منها .

وفي سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م، أرسل السلطان محمود الأول ١١٤٣ ـ ١١٦٨هـ / ١٧٣٠ ـ ١٧٥٤م شمعدانين من الذهب الخالص، لإنارة جانبي المحراب النبوى[٥] وخصص لهما أوقافا ثمينة[٦]؛ كما أمر بتعليق تحفة تزدان بعدد كبير من الجواهر وسط القبة الشريفة[٧]. وعلى هذا فمن الملاحظ وجود نموا متزايدا في عدد قناديل المسجد وشمعداناته ، إلا أن هذا العدد ولأسباب غير معروفة نقص في سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م إلى ٦٣٧ قنديلا، ليس منها ما يستخدم في الإنارة إلا ٢٢٦ قنديلا[٨].

أما بعد انتهاء الصراع بين الدولة العثمانية ودعاة الإصلاح الديني من آل

---

(١) البيتان هما : متع لحاظك في محاسن منظرى ... لترى عجائب مثلها لم يعهد
قمر على غصن الزبرجد جاثم ... ينبيك عن حب الوليد لأحمد

(٢) ابن مليح : المصدر السابق ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣) البرزنجي : المصدر السابق ، ص ٧٢ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٧٣٩ .

(٤) أولياء جلبي ، المصدر السابق ، جـ١٣ ص ٦٧ .

(٥) محمد أفندى : المصدر السابق ، ص ٨ ـ ٩ ، وانظر : محمد أمين مكى : المصدر السابق ص٤ .

(٦) دفتر ٧ معينة تركى ١١ صفر ١٢٣٦هـ محافظ الحجاز ، الوثيقة رقم ٢٥١ في ٤ رجب سنة ١٢٤٤هـ دفتر ٧٣٩ ديوان خديوى .

(٧) محمد أفندى : المصدر السابق ، ص ٣ ، محمد أمين المكى : المصدر السابق ، ص ٤ .

(٨) درويش أحمد بشكارى زادة : مخطوط باللغة العثمانية في مكتبة بشير أغا بالمدينة المنورة برقم ، ص ٢ .

سعود فى وسط الجزيرة العربية ، فقد اهتم السلطان محمود الثانى (١٢٢٣ - ١٢٥٥هـ/ ١٨١٧ - ١٨٣٩م) بتزويد المسجد النبوى بعدد من الشمعدانات والقناديل ، فأرسل فى سنة ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م عشرة شمعدانات[١] مع طبلاتها[٢] ، بناء على التماس تقدم به شيخ الحرم النبوى الشريف . كما وصل فى سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م من أوقاف السلطان محمود الأول[٣] ، عدة شمعدانات وزن كل منها ١٦٠ أقة ، لوضعها على جانبى المحراب النبوى[٤] . وتمشيا مع ذلك فقد ظل اهتمام السلطان محمود الثانى بإرسال قناديل المسجد وشمعداناته دون انقطاع ، ففى إحدى الوثائق العثمانية الموجهة من الديوان الخديوى بمصر إلى ناظر الخزينة[٥] ، والمؤرخة سنة ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م ما يفيد بحرص والى مصر على معرفة المقرر سنويا لمكة والمدينة من القناديل وزيتها وشمع العسل وطريقة ارسالها منذ سنة ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م إلى ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م، ومعرفة السنوات التى انقطع فيها[٦] ، ولا بد أن هذه المتابعة الفريدة من والى مصر بصفة خاصة، ناجمة عن نقد شديد من السلطان محمود الثانى للوالى المذكور أو لشكوى مريرة من المسئولين فى المدينة المنورة ، وهو ما يتضح من الإسراع فى تعويض النقص الحاصل فى سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م، بناء على استجابة السلطان لطلب شيخ الحرم النبوى وتكليف والى مصر بارسال ٣٢٠ قنديلا من الحجم الكبير، ومثلها من الحجم الصغير[٧] . وكان ذلك قد تلف فى الحريق الذى شب سنة ١٢٥٣هـ/

---

(١) وثيقة رقم ٩ فى ١٧ محرم سنة ١٢٣٤هـ محفظة ٦ بحرير / محافظ الحجاز .

(٢) الطبلة صحن كبير مثقوف من الوسط لتركيبه فى عنق الشمعدان لمنع الشمع المذاب من السقوطعلى الأثاث .

(٣) انظر أدناه ص ٣٦٧ .

(٤) دفتر رقم ٧ معية تركى . محافظ الحجاز .

(٥) وتعرف بالكيلارية .

(٦) وثيقة رقم ١٤٩ فى ٨ جمادى الأولى سنة ١٢٤٣هـ دفتر رقم ٧٣٧ ديوان خديوى تركى . محافظ الحجاز . وانظر الوثيقة رقم ٤٢ فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٤٣هـ دفتر ٣١ معية تركى .

(٧) وثيقة رقم ٣٦ فى ١٧ شعبان سنة ١٢٤٧هـ محفظة رقم ١٧ معية تركى / محافظ الحجاز .

١٨٣٧م في مخازن ديار العشرة المجاورة لمقدم المسجد الشريف[١]، ويبدو أن هذا العدد الكبير في عهد السلطان محمود الثاني، قد عوض كما يتبين من قوائم التحف المهداة في عهده[٢]. كما قدم والي مصر الخديوي عباس باشا ١٢٦٥ - ١٢٧٠هـ / ١٨٤٨ - ١٨٥٤م، هدايا قيمة من بينها نجفتان من البلور احداهما أكبر من الأخرى، وبأطراف كل منهما تنانير لتثبيت الشمع وايقاده، فعلقت أكبرهما في شمال الروضة المطهرة، وعلقت الصغرى في موضع غير معروف من المسجد، كما أهدى الخديوي المذكور أربع شجرات من البلور، بأعلاها تنانير لإيقاد الشمع المصنوع من الكافور الأبيض، فوضعت في مقدم الروضة في صف امتد حتى المحراب السليماني[٣]، وقد وصفها بيرتون سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م بالرشاقة مع اعتقاده بأنها من صنع شركة في لندن[٤]. كما أهدى إلى جانب ذلك شمعدانين كبيرين من الفضة[٥]، وإضافة لما سبق قدم السلطان محمود الثاني في سنة ١٢٥٣هـ/١٨٢٧م، ٧٥ سلسلة ذهبية لتعليق القناديل المخصصة للحجرة الشريفة، و ٥٩٧ سلسلة ذهبية لحمل بقية قناديل المسجد الشريف، وقد استخدم منها ٣٣٣ سلسلة وحفظ ٢٦٤ سلسلة. ويؤكد نسبتها إليه وجود طفراه السلطانية «محمود عدلي» على جانب مقبض كل منها، وعلى الجانب الآخر «خادم الحرمين الشريفين ١٢٥٣هـ» ١٨٣٧م[٦].

أما في عهد السلطان عبد المجيد ١٢٥٥ - ١٢٧٧هـ / ١٨٣٩ - ١٨٦٠م، فقد حصرت قناديل المسجد الشريف عند بدء العمارة[٧]، وتقرر بعد ذلك زيادة شمعدانات الروضة المطهرة[٨]، فوصل في أواخر سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م

---

(١) وثيقة رقم ٩٨ حمراء في ١٥ صفر سنة ١٢٥٣هـ، محفظة رقم ٢٦١ عابدين.

(٢) انظر محمد أمين المكي: المصدر، جـ ص ٥٢، ٥٣، أيوب صبري: المصدر السابق، جـ٢، ص ٦٤٧.

(٣) البرزنجي: المصدر السابق، ص ٥٩، ٦٠، علي بن موسى: المصدر السابق، ص ٦٧.

(٤) op. cit., vol, 2. p. 312.

(٥، ٦) أيوب صبري: المصدر السابق، جـ٢، ص ٦٤٧.

(٧) وثيقة ١٥٨١١ في ٢ ذي القعدة سنة ١٢٦٨هـ إردة / داخلية.

(٨) وثيقة ٤٠٧ في ٢٢ شوال سنة ١٢٧٣هـ تصنيف ارادة / المجلس المخصوص.

شمعدانان كبيران من الذهب ، وآخران فى أول سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م بطول القامة المتوسطة ، وجوانبهما مرصعة بعدد كبير من قطع الالماس الفاخرة[١] ، مما زاد فى قيمتها المقدرة بحوالى خمسين ألف جنيه [٢] . ومن هذا يتبين أن ما قدمه السلطان محمود وابنه السلطان عبد المجيد يتفق مع القائمة المقدمة من محمد أمين المكى عن التحف المذكورة والمحتوية على ٢٤ شمعدانا ، ١٠١٢ قنديلا . منها ٨٤ قنديلا من الذهب الخالص بأحجام مدورة ، وغالب هذه القناديل محمول بسلاسل فضية وقليل منها ذهبية [٣] .

وقد أضاف السلطان عبد العزيز إلى ما سبق ، شمعدانين من الفضة بطبلاتهما فى حــدود سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م[٤] . كمـا أهدى قائد البحرية فى عهده شمعدانين من الفضة فى حجم متوسط[٥] ، وإلى جانب ذلك أسهـمت والدة السلطان وبعض نسائه بمباخر فضية ذات قيمة عالية [٦] ، ثم توالت بعــد ذلك الهدايا فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ، فقدم إلى الروضة المطهرة بين سنة ١٢٩٥ـ ١٣١٩هـ / ١٨٧٨ ـ ١٩٠١م ، عـددا من القناديل والشـمعـدانات مع بعض الشمع المخصص لإنارة الحجرة الشريفة[٧] . ثم استبدل ذلك كله بالمصابيح الكهربائية على إثر إنارة المسجد الشريف بالكهرباء سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .

ومهما يكن من أمر هذا النوع من التحف ، فمن المفيد التعرف قبل دراسة ما تبقى منها فى الوقت الحاضر ، على طريقة توزيعها فى أروقة المسجد الشريف بعد عمارة السلطان عبد المجيد ، حسب ما ورد فى الكتب والرحلات المعاصرة لأواخر

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٢) محمد سليم الشهابى المخزومى : الرحلة الحجازية ، ص ٨ ويخالف ذلك ما ذكره أيوب صبرى فى المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٥١ من أنها كلفت ثلاثمائة ألف جنيه .

(٣) محمد أمين المكى : المصدر السابق ، ص ٥٣ وقد ذكر بأن منها ٧٢٩ قنديل بسلاسل فضة و ١٩٩ بسلاسل من الذهب والفضة .

(٤ ـ ٦) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٢٤٦ ، ٦٥١ وما بعدها .

(٧) محـمـد أمين المكى : المصـدر السـابق ، ص ٩ ، وقـد ذكـر بأن ثمن القناديل والشـمعـدانات ٣٨٤٠٤ قرشا ، وثمن الشمع لوحده ٦٣٢٢٥ قرشا .

العصر العثمانى . فقد جاء ما يفيد بأن جميع القباب الممتدة من باب السلام حتى المواجهة الشريفة ، كانت تضاء فى كل ليلة بثمان وعشرين نجفة من البلور الأبيض، المتدلى من صرر القباب المذكورة بسلاسل فضية ، وبكل نجفة خمس شمعات ومثلها من القناديل [١].

أما النجف الفضى المهدى سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م، من والى مصر عباس باشا ، فقد علقت أكبرها فى قبة المحراب العثمانى ، وكانت بأربعين شمعة فى طبقات متدرجة ، وعلقت مثيلتها بالقبة العالية ذات الطمبور ، الواقعة فوق المواجهة الشريفة ، وكانت بثلاثين شمعة . كما علقت الثالثة بالقبة الواقعة خارج مشبك الحجرة الشرقى، مقابل قدم النبى الشريفة فى المكان المعروف بموضع الملائكة، وكانت بأربع وعشرين شمعة . وعلقت النجفة الرابعة فى الطرف الشمالى من الروضة المطهرة [٢].

أما النجف البلورى المهدى من أحد التجار الهنود ، فى وقت قريب من الإهداء السابق ، فقد علقت إحداها فوق باب السلام من الخارج ، وكانت بسبع شمعات أو ثمان .كما علقت الثانية فوق المحراب العثمانى مباشرة ، وكانت فى شكل مدور ولها سبع شمعات وفانوس فى أسفلها[٣] . وعلقت الثالثة فوق باب المنارة الرئيسية ، وكانت بثمانى شمعات . أما الرابعة وكانت باثنتى عشرة شمعة، فعلقت وسط القبة الواقعة خارج باب فاطمة . كما علقت مثيلتها فوق دكة الأغوات مباشرة ، وقد تميزت عن سابقتها بفانوس ، على غرار المعلقة فوق حنية المحراب العثمانى[٤] أما بقية أجزاء الحرم المختلفة فعلق فى بعضها ستة عشر نجفة بها ٨٦ قنديلا بلوريا ، من هدايا التاجر المذكور [٥].

---

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٦١ .

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٦٢ ، وانظر على بن موسى : المصدر السابق ، ص٦٤ .

(٤ ، ٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٦٢ .

وتميزت الروضة المطهرة بقناديلها الفضية ونجفها البلورى ، لا سيما النجفة الكبيرة الموضوعة بمؤخرة الروضة المطهرة ، والمضاءة بسبعين شمعة فى طبقات متدرجة [(١)] . هذا من حيث اضاءة الرواق القبلى بالنجف المزود بأكثر من ثلاثمائة شمعة[(٢)] ، وقد تجلى ذلك فى بعض الصور القديمة [(٣)] . أما القناديل المضاءة بالزيت والمقدرة بحوالى ٦٢٠ قنديلا ، فقد شملت أروقة المسجد الشريف ، ويتدلى كل ثلاثة منها بسلاسل فضية من العوارض الخشبية الممتدة بين فتحات العقود[(٤)] ، على هيئة ما تبقى منها فى الوقت الحاضر .

ذلك عن نجف المسجد وقناديله وطريقة توزيعه ، أما الشمعدانات الموضوعة على جانبى المحاريب الثلاثة (النبوى والعثمانى والسليمانى) ، فكان على جانب كل منها شمعدانان أحدهما يكبر الآخر ، ولهما جميعا نوعان من الشمع ، أحدهما كافورى ذو رائحة طيبة ، مخصص للمشعدانات الصغيرة ولا يوقد إلا قبل الصلاة ، والآخر كبير الحجم من دهن الحوت أو شمع العسل ، بطول القامة الفارعة ، كما هو واضح فى الصورة التى أخذها البتنونى للمحراب السليمانى فى سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م[(٥)] . وكما يرى حاليا فى بعض مساجد استانبول ، ويوقد الشمع المذكور عند دخول المغرب وبدء صلاة الفجر[(٦)] ، وإضافة إلى الشمعدانات المذكورة فإن الرواق القبلى ، كان يضاء بعدد من الشمعات المثبتة فى الفوانيس الملاصقة للسياج الممتد على طول جدار القبلة الأول ، ومثل ذلك ما خصص لقراء الروضة وسائر الرواق القبلى من الشمعات المماثلة [(٧)] .

هذا عن إضاءة أروقة المسجد الشريف ، أما الصحن المكشوف فلكون ما يصله

(١ ، ٢) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٤ وما بعدها .

(٣) انظر البتنونى : الرحلة الحجازية ص ٢٤١ .

(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٥٩ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٤ وفيهما ما يفيد بأن سلاسل قناديل الرواق الشمالى والشرقى والغربى ، أبدلت فيما بعد بسلاسل برونزية خوفا من ضياع الفضية .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

(٦) انظر أدناه فصل الوظائف ، ص ٣٨٧ .

(٧) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

من ضوء الشمع والقناديل المضاءة فى أروقة المسجد قليل جدا ، ولأن الحاجة إليه تزداد فى فصل الصيف وأيام المواسم ، فقد ظل طوال العصر العثمانى مضاء بالقناديل المعلقة بأعمدة الرخام، الموضوعة من قبل بأركان الصحن الأربعة[١] . ثم نصب بعد ذلك بأطراف الصحن عدد كبير من الأعمدة الكهربائية (لوحة رقم ٣٨) ، بعد تزويد المسجد الشريف بالكهرباء سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .

وخصص للحجرة الشريفة أفضل أنواع الهدايا ، لا سيما القناديل والشمعدانات المرصعة بأفخر أنواع الجواهر ، والموضوعة فى الممر الضيق المحيط بالحجرة الشريفة، مع اختصاص المواجهة الشريفة بالأنواع الجيدة منها ، فمن الشمعدانات الثمينة ما أهداه السلطان محمود الثانى وعبد المجيد[٢] ، وقد أحصيت سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م فكانت أربعة عشر شمعدانا من الذهب [٣] . أما القناديل فقد جاء بأن المعلق منها فى هذا الجزء من الحجرة الشريفة ، يزيد عن ٣١ قنديلا من الذهب المرصع بالجواهر[٤] ، هذا عدا الشمعات الموضوعة تجاه الوجه الشريف، فى أطباق وأشجار فضية[٥] ؛ وما شاكلها من القناديل الصغيرة المعروفة بالبراقات [٦] .

أما بقية القناديل المخصصة للحجرة الشريفة وعددها ٧٥ قنديلا، فتقل فى الجودة عن القناديل السابقة، وتشبه إلى حد كبير بقية قناديل المسجد الشريف[٧] . وليس من تفسير لوجود هذا العدد الكبير، من الشمعدانات والقناديل الفاخرة فى هذا الموضع البعيد عن أداء شعائر العبادة ، إلا احترام شروط الموقفين لها ، فضلا عن كون العادة جرت بإضاءة الحجرة الشريفة، منذ ادخالها فى بناء الحرم النبوى الشريف فى عهد الوليد بن عبد الملك .

---

(١) انظر السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٨١ حيث قال أنه لا يعرف شئ عن أول من أحدثها ، وانظر البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٧ وما بعدها .
(٢) انظر أعلاه ص ٣٤٩ وما بعدها .
(٣) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٤٤ .
(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٦٠ ، البتنونى : المصدر السابق ،ص ٢٤٨ .
(٥) على بن موسى : المصدر السابق ، ص٦٣ .
(٦) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٦٠ ، والبراقات قناديل صغيرة من الزجاج . ذكر السمهودى فى المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٨١ أنها تعرف بفرخات القناديل .
(٧) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٦٠ .

ثانيا : ما تبقى فى الرواق القبلى من تحف المسجد وهداياه :

لم تنل العناية جميع الأدوات المستخدمة فى إضاءة المسجد الشريف طوال العصر العثمانى ، وبالتالى فلم يصلنا منها إلا النذر اليسير لأسباب منها :

١ ـ تصرف بعض شيوخ الحرم النبوى وأغواته فى بيع وسبك ما قدم من الأوانى الذهبية والفضية ، والاستعانة بذلك فى تجديد بعض الأجزاء من الحرم الشريف تارة[١] ، وتارة أخرى لقضاء الديون ، ورفع مستوى معيشتهم بموجب أوامر سلطانية[٢] .

٢ ـ ضياع معظمها وإتلاف البعض الآخر ، خاصة بعد توفر الكهرباء وهجر وسائل الإضاءة القديمة .

٣ ـ تعرض المدينة فى أواخر هذا العصر للصراع الناشئ عن قيام الثورة العربية وإخراج الاتراك من الجزيرة العربية ، مما دعا حاكم المدينة المنورة آنذاك إلى إخراج بعض المخطوطات والتحف الثمينة ، بدعوى المحافظة عليها وإنقاذها من التلف والضياع [٣] .

ولهذا فمن المجدى تقسيم ما تبقى من أثاث المسجد وتحفه ، إلى ثلاثة أقسام رئيسية حسب مكان وجودها ومسئولية الإشراف عليها وهى :

١ ـ ما يحتفظ به المتحف المنشأ حديثا لتحف الحجرة وهداياها .

٢ ـ ما تبقى فى الرواق القبلى من تحف المسجد وهداياه .

٣ ـ ما يحتفظ به فرع وزارة الحج والأوقاف ، بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة .

---

(١) انظر أعلاه ص ٣٦ ، ٣٥٠ .

(٢) جاء فى وثيقة مؤرخة فى ٢٥ ذى القعدة سنة ٩٦٧هـ مسجلة فى دارة الملك عبد العزيز برقم د ٢٣/٣ .

(٣) انظر أعلاه ص ١٤٢ حاشية رقم ٣ .

(١) أما التحف المعروضة حاليا فى إحدى القاعات الموجودة بالدور الثانى من مؤخرة الحرم الشريف ، فتحتوى على بعض الأوانى الذهبية والفضية مما أهدى للمسجد الشريف فى أواخر العصر العثمانى ، وغالبها متأثر بالطراز الباروكى ، الذى شاع فى أواخر عهدهم ، أو أنها من أنتاج أوربى صميم . ونظرا لعدم تمكنى من تتبع خصائصها وزخارفها الفنية ، فقد قصرت الحديث فى هذا المبحث على ما تبقى حاليا فى الرواق القبلى من القناديل والنجف ، وعلى بعض الشمعدانات المحفوظة فى مكتبة الأوقاف بالمدينة .

(٢) أما المتبقى حاليا فى الرواق القبلى من تحف المسجد الشريف وهداياه فيمكن تقسيمه إلى نوعين هما قناديل الزيت ، النجف الكهربائى ، وفيما يلى عرض لخصائص كل نوع .

القسم الأول : قناديل الزيت :

وهى برم كروية الشكل من زجاج أبيض ، مثبت بجزئها العلوى ثلاثة مقابض قوية ، بها خطافات السلاسل المتدلية من بعض العوارض الممتدة بين فتحات العقود والموازية لجدار القبلة ، وعددها فى الوقت الحاضر ١٥٩ قنديلا ، موزعة فى أماكن مختلفة من الرواق القبلى (الشكل رقم ٥٤). وتتدلى من سلاسل فضية بنوعين من الخطافات (الشكل رقم ٥٦)، وحوالى ٤٦ سلسلة مماثلة ليس بها شئ من القناديل المذكورة ، وكان فى إبقاء القناديل والسلاسل المذكورة معلقة فى الرواق القبلى حتى الوقت الحاضر ، تذكير بما كان عليه الحال فى الماضى القريب[١] ويحتاج هذا النوع من القناديل إلى فتايل من الكتان أو القنب، لامتصاص الزيت من قعر القناديل ورفعه إلى موضع الإسراج فى كل قنديل .

---

(١) عبد القدوس الأنصارى : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

وبعد مقارنة هذا النوع من القناديل بصور المشكاوات الزجاجية والخزفية ، تبين أنها نوع جديد امتاز بصفاء معدنه ودقة صناعته واتحاد أشكاله ، خلافا لما كان بالمسجد الشريف فى حدود سنة ١٠٧٣هـ/١٦٦٢م من القناديل المربعة والمدورة[١] مما يرجح نسبة هذا النوع من القناديل لعهد السلطان عبد المجيد أو من جاء بعده من السلاطين .

ويدعم هذا الرأى شمول القناديل المذكورة جميع أروقة المسجد الشريف[٢] ، أما القناديل المعلقة داخل مشبك الحجرة الشريفة[٣] ، فقد لاحظت أنها تمثل أنواعا متعددة الأحجام والأشكال ، خاصة ما تبين منها فى حجرة السيدة فاطمة رضى الله عنها[٤] .

القسم الثانى : النجف الكهربائى :

ويحتوى المسجد الشريف على نحو مائة نجفة ، ما بين صغيرة وكبيرة . وتظهر على كثير منها حداثة الصنعة ودقة التركيب ، مما يساعد على الاعتقاد بأنها مما أهدى إلى المسجد الشريف فى عهد الملك فيصل رحمه الله[٥] ويتدلى هذا النوع من قباب البلاطتين اللتين أضافهما عمر وعثمان رضى الله عنهما فى مقدم المسجد ، وما يلى المواجهة الشريفة ، وما بين المنارة الرئيسية ودكة الأغوات ، وأيضاً فى بعض قباب الروضة المطهرة .

أما بقية النجف المتميز بقدم الصنعة ، فليس منه ما يمكن تأريخه إلا النجفة المعلقة بسلسلة كبيرة ، تتدلى من عارضة مثبتة فى طرف القبة الواقعة فى الطرف

---

(١) العياشى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٢) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٣) لم أتمكن من دراستها لصرامة المسئولين عن حراسة الحجرة الشريفة فى عدم تمكين المشاهد إليها من الرسم أو الكتابة أو التصوير .

(٤) لعل الظروف تساعد غيرى فى الكشف عن خصائصها ومميزاتها الفنية .

(٥) ذكر عبد القدوس الأنصارى فى مرجعه السابق ، ص ١٠١ أن الملك فيصل زود الحرم النبوى بأربعين ثريا .

الشمالى الغربى من الروضة المطهرة ، عند التقاء الصف السادس من البلاطات الموازية لجدار القبلة مع الصف الثامن الممتد عموديا على جدار القبلة (الشكل رقم ٥٤) . وتتكون هذه النجفة من قطع الكريستال الأبيض، المثبت بعدد من العوارض المعدنية والمتفرعة من قضيب كبير يتدلى من طرف السلسلة المذكورة ، وتكون قطع الكريستال المتماثلة والمنظومة باحكام فى أسلاك معدنية قوية هيكل النجفة ، فتمتد على شكل وتر القوس من أول العمود إلى آخره ، مرورا بأطراف العوارض البارزة من وسط العمود الرئيسى (لوحة رقم ٣٩) .

ويبرز من وسط هذا الشكل ثمانى برم زجاجية بحجم كبير ولون أبيض ، ويظهر فوق كل منها كتابة بالميناء البيضاء لطغراء السلطان عبد الحميد الثانى، وبجانبها كلمة « الغازى » وهى العبارة المستخدمة بكثرة فى بعض ما اطلعت عليه من توقيعاته [1]، وتعتبر هذه النجفة أهم ما تبقى فى الحرم الشريف، لوضوح القرائن الدالة على نسبتها للسلطان الذى أدخل الكهرباء لأول مرة فى إنارة المسجد سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، مما يقوى الاحتمال بإرسالها إلى المسجد الشريف عند بدء الاستفادة من وسيلة الإضاءة الجديدة .

أما النجف المتميز بلونه الأحمر الوردى ، فيحتفظ المسجد الشريف فى الوقت الحاضر بأربع قطع منها نادرة المثال : اثنتان منها فى طرفى الدكة الواقعة خارج مشبك الحجرة الشريفة من الشمال والمقابلة لدكة الأغوات ، وهما متماثلتان تماما، فلكل منهما بدن اسطوانى متدرج من الأسفل إلى الأعلى ، على هيئة بعض الشمعدانات (لوحة رقم ٤١)، وقد ثبت بدنهما على قاعدتين مثمنتين من الخشب ، ويزيد ارتفاع كل منهما عن المترين .

ويتميز بدنهما الاسطوانى بتعدد الزخارف النباتية المرسومة بطبقة سميكة من المينا على السطح الخارجى ، وقوامها أوراق العنب وعناقيده ، وبعض الفروع والأزهار المتنوعة (الشكل رقم ٥٧) .

---

(١) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٣٧ ، ناجى زين الدين : الخط العربى : مكتبة النهضة بغداد ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ص ٢٦١ .

أما أعلى البدن فيبرز منه أربعة فروع محلاة بقطع صغيرة من الكريستال الأحمر ، وفى نهاية كل فرع قاعدة لمصباح كهربائى صغير مغطى بأنبوبة من الزجاج الأبيض ، على شكل الشمعة الصغيرة .

هذا عن النجفتين الصغيرتين ، أما الكبيرتان فهما أيضًا متماثلتين تماما ، وتظهران فى الوقت الحاضر فى الصف الذى علقت فيه النجفة المنسوبة إلى السلطان عبد الحميد الثانى ، وتتدلى الأولى من القبة الواقعة بالقرب من الجدار الغربى ، عند التقاء الصف السادس الموازى لجدار القبلة مع الصف الرابع الممتد عموديا عليه .

أما الثانية فتظهر معلقة بالقبة الواقعة فى نهاية الصف السادس الموازى لجدار القبلة ، مما يلى الطرف الشمالى للروضة المطهرة ، وبتحديد أدق عند التقاء الصف السادس مع الصف الثانى عشر ، الممتد عموديا على جدار القبلة (الشكل رقم ٥٤) .

وتتألف كل منهما من قضيب محورى مثبت بخطاف فى السلسلة المعلقة بعارضة فى طرفى القبة ، ويحيط به أربعة قضبان دائرية تتدرج نحو الكبر من الأعلى إلى الأسفل (الشكل رقم ٥٥) . ففى الطبقة الصغرى خمسة مصابيح مثبتة بأحكام فى قواعد من الكريستال الأحمر ، ترتكز على الدائرة المعدنية المذكورة، وتتساوى الطبقتان الواقعتان أسفل منها فى الحجم وعدد المصابيح ، فبكل منهما عشرة مصابيح على قواعد متماثلة ، أما الطبقة الأخيرة فهى أكبر الدوائر وبها أربعون مصباحا ، محمولة على نوعين من القواعد . وتنتهى حوامل جميع المصابيح المستخدمة فى هذا النوع من النجف بقواعد وردية الشكل ، ثبتت فيها المصابيح الصغيرة ، ومن حولها أنابيب زجاجية مستطيلة ومفتوحة الجانبين ، رسم على بعضها ثمر التفاح والكمثرى وبعض الزهور ، بشكل واضح فى النجفة المعلقة فى الروضة المطهرة .

هذا من حيث الشكل العام لبدن النجفتين ، أما الدوائر المذكورة فترتبط فيما بينها بقلائد من قطع الكريستال الأحمر .

هذا عن النجف (الثريات) الموجود حاليا برواق القبلة فى المسجد النبوى ، ولم أجد للنجفة المنسوبة للسلطان عبد الحميد الثانى ، مثيلا فى مساجد استانبول المشهورة ، أو أيا من الكتب التى اطلعت عليها ، أما النوع الآخر من النجف المتميز بلونه الوردى فقد وجد فى بعض المساجد والقصور العثمانية ، ما يماثله فى كثير من الصفات ، فإن.ما يزين الضريح الملحق بالجامع الأخضر ببورصة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م[١] ، قريب جدا من النجفتين الظاهرتين حاليا برواق القبلة .

أما قصر دلمة باشا المنشأ فى مدينة استانبول ١٢٥٩ ـ ١٢٧٣هـ / ١٨٤٣ - ١٨٥٦م ، فقد حوت بعض كتب العمارة العثمانية صورا لبعض ما يزينه من تحف ونقوش ، كان من بينها عدة نجفات مشابهة لما يزين طرفى الدكة الموضوعة خارج جدار الحجرة الشمالى ، كما علق فى بعض قاعات القصر وغرفه ، عدة نجفات (ثريات) مماثلة للنوع المعلق فى رواق القبلة ، بيد أنها جميعا تميزت بتداخل اللونين الأبيض والأزرق[٢] تمشيا مع الألوان السائدة فى جدار القصر وسقوفه وأثاثه ونجفه.

(١ ، ٢) Metin Sozen : op. cit., p. 78, 191, 193, 197 fig 31 .

ثالثا : محفوظات أوقاف المدينة :

يمتلك فرع وزارة الحج والأوقاف في المدينة المنورة ، بعضا مما كان بالمسجد النبوى الشريف فى أواخر العصر العثمانى ، من التحف النحاسية والبرونزية القيمة ، والمحتوية على عدد كبير من الشمعدانات، المرسلة إلى الحرم النبوى الشريف فى أزمنة مختلفة من تاريخ الدولة العثمانية ، وقد تم انتقال التحف المذكورة إلى فرع الوزارة المذكورة حينما كانت إدارة الحرم النبوى الشريف، منوطة بالمسئولين عن فروعها فى المدينة . ولا غرو فقد جاء هذا الإجراء بمثابة إنقاذ وحفظ لهذا النوع من التحف ، لا سيما وأن هذا النوع من التحف، قد حظى بعرض جيد داخل أروقة مكتبة الملك عبد العزيز ، مع بعض الستائر المخصصة لأبواب الحرم الشريف ، مما مكن رواد المكتبة من الباحثين والزوار من الوقوف على تفاصيلها واستجلاء بعض خصائصها الفنية .

وقد خلت معظم الشمعدانات المذكورة من قرائن منقوشة على بعض أجزائها، الأمر الذى دعانى إلى قصر الدراسة على ما نص صراحة إلى الحرم الشريف، بنقش مؤرخ أو دلائل قوية تؤكد بعض الأوصاف المذكورة عن إهدائه فى بعض المصادر ، أو قيام بعض الأعمال المعمارية داخل أروقة المسجد النبوى الشريف، فى وقت قريب من التاريخ المدون على بدن الشمعدان ، لا سيما وأن عملية الأهداء ارتبطت فى الغالب بما تم فى المسجد من أعمال الترميم والتجديد فى العصر العثمانى .

وعلى هذا فسوف تقتصر دراستى على إبراز خصائص ومميزات خمسة شمعدانات ، موثوق بنسبتها إلى الحرم الشريف، فقد نقش على بدن بعضها اسم المهدى وتاريخ الإهداء وأهمها ما يلى :

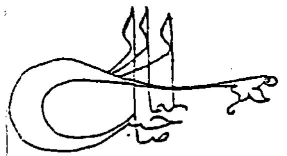
١ ـ شمعدانا الوزير سليمان باشا الخادم سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م :

وهما أقدم الشمعدانات المؤرخة فى المجموعة المذكورة ، ويتفقان تماما فى الطول ونوع الزخرفة ، ويعود تاريخهما إلى سنة ٩٤٧هـ. كما جاء فى الكتابة المنقوشة بالحفر الغائر البسيط ، فى الجزء العلوى من أعلى بدنهما مما يلى بداية عنق الشمعدانات المذكورين، داخل شريط ضيق عرضه خمسة سنتيمترات فقط .

ويحتوى النقش المذكور اقتباسات من بعض الآيات الكريمة ، واسم المهدى وتاريخ الإهداء، وذلك على النحو التالى :

« الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح »[١]. « جاعل الشمس ضياء والقمر نورا[٢] وفالق الاصباح [٣] وأرسل إلينا رسولا بشيرا ورحمة من الله وسراجا منيرا ، وقف هذا الشمعدان بالمدينة السنية والحضرة الشريفة النبوية وجعل مستقره روضة سيد الأنام ومصباح الظلام عليه من الله الصلاة والسلام ، راجيا العفو الملك القدير سليمان الوزير بتاريخ أول الجمادين سنة سبع وأربعين وتسعمائة من هجرته[٤] نبوته » .

كما نقش فى وسط البدن من الخارج توقيع غير مقروء جاء على النحو التالى :



ونظر لاختلاف التوقيع المذكور عن النماذج العروفة من طغراء السلطان سليمان القانونى، قبل توليه السلطنة وبعد توليه لها (لوحة رقم ٥٩)، فلا مجال للشك من أن المعنى بهذا النص أحد الوزراء المشهورين فى عهده؛ خاصة وأنه قد تضمن كلمة « الوزير » . مما يرجح نسبة الشمعدانين المذكورين إلى وزيره المشهور سليمان باشا الخادم، القائم بأعمال الصدارة العظمى ٩٤٨ ـ ٩٦٠هـ / ١٥٤١ ـ ١٥٥٢م . والمعين قبل ذلك فى عدة مناصب منها تولية باشوية مصر فى فترتين من الزمن امتدت ٩٣١ ـ ٩٤١هـ/ ١٥٢٤ ـ ١٥٣٤م ، ٩٤٣ ـ ٩٤٥هـ / ١٥٣٦ ـ ١٥٣٨م [٥].

---

(١) سورة النور آية رقم ٣٥ .

(٢) سورة يونس جزء من آية رقم ٥ .

(٣) سورة الأنعام جزء من آية رقم ٩٦ .

(٤) صحتها هجرة .

(٥) زامباور : المرجع السابق ، جـ١ ص ٢٤١ . ٢٥٠ ويخالفه ما ذكره صالح لمعى فى المدينة المنورة ... ص ٢٨٣ من أن وفاته كانت سنة ٩٥٥هـ. ولعله المقصود بما ذكره عبد المعطى السخاوى فى مخطوطه الدر الثمين فى وصف طيبة دار الوحى والتمكين لوحة ١٤٧ أ . من أن شخصا يدعى سليمان الخادم قدم المدينة سنة ٩٥٦هـ لإنشاء تكية لزوجة السلطان سليمان القانونى .

ومهما يكن من أمر ، فلكل من الشمعدانين المذكورين قاعدة وبدن ورقبة . وهما من معدن النحاس الخالى تماما من الزخرفة النباتية والهندسية ، إلا ما يظهر من الانتفاخات البارزة حول أجزاء مختلفة من بدنهما الهرميين ، ورقبتهما الاسطوانيتين (لوحة رقم ٤٢) .

٢ ـ شمعدان السلطان محمود الأول ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م :

الارتفاع	٥١ سم
قطر القاعدة	٨٦ سم
قطر فتحة الرقبة	١٤ سم
نوع المعدن	نحاس
التاريخ	١١٦٢هـ

يتميز هذا الشمعدان بوضوح الدلالة على نسبته إلى السلطان محمود الأول (١١٤٣ ـ ١١٦٨هـ) ، وذلك بتضمين اسمه وطغراه النص المكتوب بالحفر الغا البسيط ، على بدن الشمعدان باللغة العثمانية فى سبعة اسطر والمؤرخ سـ ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م :

١ ـ الطغراء (محمود الأول) .

٢ ـ مدينة منورة نورها الله تعالى إلى يوم الاخرة ده حرم شر يفده .

٣ ـ رافع محراب شريف جناجينه شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو نادشاه .

٤ ـ عالميناه سلطان محمود خان غازى خلد الله خلافته إلى آخر الزمان .

٥ ـ أفند من حضر تلرينك طرف هما يونلرندن تجديد واحياه .

٦ ـ بيوزيلان شمعدانلردن.

٧ ـ سنة ١١٦٢هـ .

وفيما يلى ترجمته :

١ ـ الطغراء السلطانية (السلطان محمود الأول) .

٢ ـ إلى الحرم الشريف فى المدينة المنورة نورها الله إلى يوم الآخرة .
٣ ـ من جناب رافع المحراب الشريف صاحب الشوكة والمهابة والقدرة السلطان.
٤ ـ مالك العالم السلطان الغازى محمود خان خلد الله خلافته إلى آخر الزمان .
٥ ـ ٦ ـ شمعدان من الشمعدانات المجددة من قبل سيدنا صاحب العظمة.
٧ ـ سنة ١١٦٢ هـ .

ورغم اتفاق التاريخ المذكور مع ما ذكرته بعض المصادر، عن قيام السلطان المذكور بإرسال شمعدانين من الذهب سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م لوضعهما على جانبى المحراب النبوى[١] . فإن معدن الشمعدان الموجود حاليا من النحاس الخالص ، مما يطعن فى صحة جانب من الرواية السابقة . إلا أن تكون الرواية اهتمت بذكر شمعدانى الذهب المفقودين فى الوقت الحاضر ، وأهملت ما صنع من النحاس لرخص معدنه وسذاجة شكله ، لا سيما وأن هذا الشمعدان قصير نسبيا فلا يتجاوز طوله واحد وخمسين سنتيمترا . وليس له رقبة طويلة كبقية الشمعدانات ، إلا أن بدنه الهرمى كبير نسبيا ، فقطر قاعدته حوالى ٨٦ سم ، ويخلو تماما من أية مميزات فنية ، إلا بعض الانتفاخات المحيطة بأسفله وأعلاه (لوحة رقم ٤٣) ، كدوائر جمالية لا يخلو منها أدنى الشمعدانات قيمة .

٣ ـ الشمعدان المطعم بالأحجار الكريمة :

الارتفاع	١١٧ سم
قطر القاعدة	٨٩ سم
قطر فتحة الرقبة	٢٠ سم
نوع المعدن	نحاس
التاريخ	بدون

(١) انظر أعلاه ص ٣٥٢ .

وهو من النحاس المطعم بالجواهر ، ويعد من أطول الشمعدانات المذكورة وأجملها على الإطلاق ، فقد تجلت فيه العناية فى تثبيت ما يربو على مائتى قطعة من الأحجار الكريمة ، موزعة بإحكام فى مواضع مختلفة من قاعدته وبدنه وعنقه ، ويزيد من فداحة التجاسر على نهب جواهره عدم بقاء شيء منها فى الوقت الحاضر، فقد أدى ضيق الوقت بالمتآمرين إلى استئصال بعض المجموعات الملحمة بأكملها فلم يبق منها فى الوقت الحاضر إلا مواضعها .

وتظهر بعض الزخارف النباتية على ما تبقى من الصرر الملحقة بجسم الشمعدان، وتتسم فى مجملها بالحداثة الظاهرة، على معظم زخارف المسجد الشريف فى الوقت الحاضر .

أما الكتابات فقليلة جدا حيث اقتصر وجودها على الشريط المثبت بأعلى بدن الشمعدان مما يلى الرقبة ، وقد زال معظمها عند اقتلاع ما بها من جواهر ، فلم يبق إلا العبارتان التاليتان باللغة العثمانية : « **حضرت لولاك لولاك ...... مقام جنت فردوس** » وذلك بحروف مفرغة بخط التعليق . (لوحة رقم ٦٥) .

أما القرائن الدالة على استخدام هذا الشمعدان فى إنارة الحرم الشريف فتتلخص فيما يلى :

١ ـ تأكيد بعض المصادر على إرسال أربعة شمعدانات مطعمة بعدد كبير من الجواهر ، فى عهد السلطان عبد المجيد ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م ، ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م[١] . مما يقوى الاعتقاد بكون الشمعدان المذكور أحدها لاتفاق طوله البالغ ١١٧ سم ، مع الأوصاف المقدمة عن الشمعدانات المرسلة .

٢ ـ دلالة مضمون العبارة المتبقية بأعلى بدنه ، وأنه مما أهدى إلى الحجرة الشريفة أو الروضة المطهرة .

٣ ـ دقة العناية به وتطعيمه بعدد كبير من الجواهر ، مما يجعل استحالة تخصيصه لغير الحرم النبوى الشريف .

---

(١) انظر أعلاه ص ٣٥٤ وما بعدها .

٤ - إتصاف السمات التى نفذ بها الخط وبعض الزخارف المتبقية على بدن الشمعدان ، مع الطراز الفنى الذى نفذت به زخارف المسجد النبوى فى عهد السلطان عبد المجيد . خاصة ما ظهر من الكتابات فوق بعض الستائر[١] .

ولهذا كله فلا مجال للشك ، فى أن الشمعدان المذكور مما أهدى إلى الحرم الشريف فى عهد السلطان عبد المجيد ، وقد تسبب رخص معدنه فى إنقاذه من عبث الطامعين بعد أن جردوه من جواهره المتعددة .

٤ - شمعدان الحاج على فخرى المؤرخ سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م :

الارتفاع	١١٨ سم
قطر فتحة القاعدة	٣٢
قطر فتحة الرقبة	١٠
نوع المعدن	برونز
تاريخ الإهداء	١٣٢١ هـ

وهو شمعدان برونزى فريد فى حجمه وخصائصه الفنية الحديثة ، ويتكون من قاعدة مربعة وبدن إسطوانى طويل ، به كثير من الانتفاخات البارزة خاصة فى أسفله وأعلاه ، أما وسطه فيظهر به عدد من الأضلاع المثمنة (لوحة رقم ٦٦) ويخلو من أيه زخارف نباتية أو كتابية ، إلا ما خط باللغة العثمانية على السطح الخارجى لقاعدته العريضة فقد تضمن اسم المهدى وتاريخ الإهداء إلى الحرم الشريف سنة ١٣٢١ هـ.

٥ - شجرتا النخل البرونزيتان :

أشار عبد القدوس الأنصارى إلى وجود النخلتين المذكورتين على جانبى المنبر الشريف قبل سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م ، حين تم نقلهما إلى مكتبة المصحف

---

(١) انظر أعلاه ص ٣٣٢ الستارة رقم ١٠ .

الشريف، لحفظهما والعناية بعرضهما مع التحف النحاسية السابقة .

وهما فى الوقت الحاضر من أهم مقتنيات مكتبة الملك عبد العزيز التابعة لأوقاف المدينة ، وتبدو عليهما آثار الحداثة ، لا سيما وأنهما معدتان للإضاءة بالكهرباء التى استخدمت لأول مرة بأمر السلطان عبد الحميد الثانى فى سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م . ويبلغ ارتفاع كل منهما ثلاثة أمتار وتتكون من قاعدة وجذع وسعف .

أما القاعدة فسمكها حوالى عشرة سنتيمترات، وهى من الخشب المغطى بصفائح البرونز المنقوش بزخارف نباتية غائرة (لوحة رقم ٤٤) ، ويبرز من وسطها جذع يستند فى وقوفه إلى أربعة فروع صغيرة ، تخرج من جانبه وترتكز على أطراف القاعدة . أما الجذع فيبلغ ارتفاعه ١٧٥سم ومحيطه ٢٩ سم ، وبه ما يزيد على عشرين طبقة من بقايا السعف المقطوعة ، وفى أعلاه صنفين من فروع السعف إحداهما يكبر الآخر ، فبجزئه السفلى اثنا عشر فرعا صغيرا فى طبقتين متماثلتين ، وفوقهما طبقة ثالثة بستة فروع كبيرة ثم طبقة رابعة .

أما الجزء العلوى فيحوى طبقتين بكل منها ست سعفات، يخرج من كل سعفة قاعدة لمصباح كهربائى ، ويخرج من أعلى النخلة فرع نباتى ينتهى بما يشبه زهرة الرمان ، ويحتاج الأمر فى إعداد هاتين النخلتين إلى إلمام بخصائص ومميزات النخل، وليس بين البلاد العربية قطر ترشحه مقوماته الصناعية فى ذلك الوقت وفق الاعتبارات السابقة إلا مصر ، التى تبارى ولاتها كما رأينا من قبل فى تقديم التحف والهدايا إلى المسجد النبوى الشريف .

هذا من حيث الشكل العام للنخلتين ، أما قطع البلور التى شاهدها الأنصارى متدلية بكثرة من بين السعف فلم يتبق منها فى الوقت الحاضر إلا النذر اليسير كما يتبين من اللوحة رقم (٤٠) ، كما زالت أيضا المصابيح الملونة ، وما عدا ذلك فلا زالت النخلتان بحالة جيدة .

٦ ـ عصا الخطيب :

هى قطعة خشب طويلة (١٥٠ سم تقريبا) ، مخروطية الشكل يتدرج سمكها من الأسفل إلى الأعلى (لوحة رقم ٥٦)،وقد حلى جزؤها الأوسط بأشرطة حلزونية من صفائح الذهب والفضة ، كما حلى الجزء العلوى منها بصفائح الفضة المطعمة بعدد من الجواهر الثمينة فى أشرطة حلزونية مماثلة .

وليس عليها ما يفيد بشىء عن تاريخ صنعها وإهدائها ، إلا أن زخارف النبات الظاهرة فوق الجزء الأوسط منها ، خلت من الأصالة والابتكار مما يؤكد صنعها فى أواخر العصر العثمانى ، أثر شيوع فن الباروك العثمانى .

الباب الرابع

وظائف المسجد النبوى

الفصل الأول

الوائف الإدارية والتنظيمية



الباب الرابع : وظائف المسجد النبوي :

أقر العثمانيون نظام الهيئة المشرفة فى العصر المملوكى على الحرم النبوى الشريف ، والمختصة بالنواحى الإدارية والدينية والعلمية ، ولم ينقصوا شيئا من مرتباتها وأوقافها القديمة ، بل أضافوا لها أوقافا واسعة وخصصوا مبالغ إضافية، تمثلت فيما يصل سنويا عن طريق المحمل الشامى من مبالغ نقدية تعرف بالصرة الرومية .

وتتداخل وظائف بعض هذه الهيئات مع غيرها فى أداء عمل أو أكثر ، ومن ثم كان من الضرورى إبراز دور كل هيئة على حدة وتحديد مسئولية أفرادها ، مما يعنى بالضرورة تقسيم وظائف المسجد النبوى الشريف إلى الفصول التالية : الإدارية ، الدينية ، والعلمية :

الفصل الأول : الوظائف الإدارية والتنظيمية :

وهى المكلفة بالإشراف على نظام المسجد وترتيب وظائفه ، وتعتبر بحق أكثر الهيئات عددا وأوسعها نفوذا ، ولا يعرف على وجه التأكيد تأريخ نشوء هذا الجهاز المتكامل ، إلا أن من المعروف أن المسجد الشريف احتاج فى عهد الخلفاء الراشدين لبعض الوظائف ، كتجمير المسجد وإنارته فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه[١] . ثم زادت حاجته إلى بعض الوظائف المختلفة فى عهد الدولة الأموية والعباسية ، وكان تصريف ذلك من مهام والى المدينة المكلف آنذاك بإمامة الناس تأسيا برسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين ، ثم أضيف إلى ذلك عدد من الخصيان فى أوائل الدولة الأيوبية لحراسة الحجرة الشريفة من مكائد بعض الشيعة[٢]، فنالوا

---

(١) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٦٢ ، ٦٧٠ .

(٢) نقل البرزنجى فى كتابه السابق ، ص ٩٠ عدة روايات من كتب مفقودة من بينها قيام نور الدين زنكى بتخصيص اثنا عشر أغا ، بينما تذكر روايات أخرى حدوث ذلك فى عهد صلاح الدين ولعل محاولة أرناط صاحب الكرك غزو المدينة المنورة فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وما تردد عن قيام بعض النصارى بحفر نفق فى الأرض بقصد الوصول إلى جسد النبى ﷺ . أدت فى النهاية إلى توظيف الأغوات المذكورين سواء كان ذلك فى عهد نور الدين أو صلاح ، الدين خوفا من عبث بعض الغلاة المفسدين بالقبور الشريفة . فضلا عما شاع فى ذلك الوقت من البدع المنكرة فى تعظيم القبور بالبناء ، وإسراجها بقناديل الذهب والفضة وخدمتها بالكنس ورش العطور .

بذلك عطف الناس وتقديرهم ، الأمر الذى أعان كبيرهم على التدرج فى الوصول إلى مركز قيادى فى إدارة الحرم النبوى الشريف ، حتى تبوء فى النهاية قمة الهرم الوظيفى طيلة العصر المملوكى ومعظم العصر العثمانى .

هذا عن منشأ الهيئة الإدارية وطريقة تكوين قيادتها ، أما أقسامها الإدارية واختصاص كل منها فتتضح عند الحديث عن أهم الفئات المكلفة بإدارة المسجد ونظافته ، وهم : الأغوات ، الفراشون ، الكناسون ، البوابون ، السقاؤون وفيما يلى بيان للدور المنوط بكل فئة .

أولا : تنظيمات الأغوات :

وهم فئة من الخصيان المبعوثين من أقطار مختلفة بقصد المشاركة فى خدمة المسجد الشريف وحراسة الحجرة الشريفة ، وكان قبولهم فى بداية الأمر مشروطا بحفظهم لكتاب الله وربع العبادات[١]، وضرورة اختيارهم من الأحباش والأروام والتكارنة والهنود ، على أن حرية الاختيار كانت مشروطة آنذاك بعدم توفر المطلوب فى الجنس الأول[٢]، ثم خفف هذا الشرط فى بداية العصر العثمانى حيث تمكن سلاطين المغرب والسودان من إرسال بعضهم[٣]، كما أتيحت الفرصة فى حدود سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣ لكل مقتدر من أغنياء المسلمين وحكامهم[٤]. حتى زاد عددهم فى أواخر هذا العصر إلى ضعف ما كانوا عليه فى حدود سنة ٩٩١هـ / ١٥٨٣م، وقد أسهموا بفعالية قوية فى بعض أحداث المدينة فى العصر العثمانى،

---

(١) يقسم علماء الفقه والأصول العبادات إلى أربعة أقسام الأول منها يشمل الصلاة والصوم والحج وما يتعلق بها وهو المقصود بالربع الأول من العبادات ، والربع الثانى يتعلق بالمعاملات والثالث بالجنايات والرابع بالنكاح وما يتعلق بالأسرة : انظر عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه . الطبعة العاشرة ، الكويت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٩٠ نقلا عن كتاب مفقود لمحمد بن سليمان الكردى بعنوان «الذخر النافع» .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٤) قال البرزنجى فى المصدر السابق ص ٩٠ : أن عددهم فى زمنه زاد على المائة وأن عبيدهم وتابعيهم أكثر من مائتين .

مثل الفتنة التى وقعت سنة ١١١١هـ / ١٦٩٩م بين أهل المدينة وبنى على[١]، وكذلك فتنة الشمامة سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٦م[٢]، وفتنة العهد سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م[٣]، وفتنة بشير أغا سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م[٤]، وفتنة عبد الرحمن آغا الكبير سنة ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م[٥]، وفتنة سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م[٦]، وفتنة سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م[٧].

ومهما يكن من أمر ، فقد ظلوا فى بداية العصر العثمانى محتفظين بتنظيماتهم السابقة ، حتى أضاف لهم السلطان سليمان القانونى فى القرن العاشر الهجرى عدد من التنظيمات الإدارية[٨]، التى زادت من انضباطهم وتحديد مسئولية أفرادهم[٩]. على أن ذلك لم ينقص شيئا من مسئوليات شيخ الحرم الشريف، ولم يؤثر مطلقا على نظم حياتهم الخاصة وأملاكهم الكثيرة ، واحتكامهم فى ذلك إلى الأعراف والتقاليد المرعية بينهم منذ أمد بعيد . ولم أعثر فيما اطلعت عليه من المصادر والوثائق العثمانية على تفصيل واف لأنظمة السلطان سليمان المذكورة ، إلا أن المرجح بأن ذلك قد تمثل فى تقسيم الأغوات إلى طائفتين هما الخبزية والبطالون ، ثم تقسيم كل طائفة إلى مجموعات متعددة مع تميزهم جميعا بلبس موحد[١٠]، ويتأكد ذلك بعدم ورود شىء من هذه المسميات فى كتب العصر المملوكى[١١]. وفيما يلى بيان باختصاص كل طائفة :

---

(١) انظر جعفر الحسينى : الأخبار الغريبة فى ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة ، مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ١٤٦ تاريخ . ص ٣ .

(٢) هى من الهدايا المغشوشة المرسلة للحجرة الشريفة من أحد الحكام الإيرانيين ، وكانت من الذهب المرصع بالجواهر وبداخلها ما يشبه العنبر المصنوع من مواد نتنه . مما دعا أحد علماء المدينة فى ذلك الوقت إلى تأليف رسالة بعنوان « كسر الشمامة للشيخين كرامة » انظر : جعفر الحسينى ، المصدر السابق ، ص ٥ .

(٣) جعفر الحسينى : المصدر السابق ، ص ٥ ـ ٢٠ .

(٤ ـ ٧) جعفر الحسينى : المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٨) كان عصر هذا السلطان قد شهد مجموعة من التنظيمات الإدارية والمالية حتى عرف بالقانونى .

(٩ ، ١٠) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧١ .

(١١) أشار السخاوى فى كتابه التحفة اللطيفة ، جـ ١ ص ٦٣ إلى أن عددهم فى عهده حوالى أربعين آغا فقط دون ذكر للتقسيمات المذكورة أعلاه .

أ - الخبزيون :

هم قدماء الأغوات وأهل الحل والعقد منهم ، وسموا بذلك لارتزاقهم من بيت مال المسلمين[١] ، وهم حوالى أربعون آغا لا يحق لأحد من البطالين الانضمام لطائفتهم، إلا فى حالات نادرة كموت أحدهم أو نفيه[٢] ، وهم على درجات ومراتب يعرفون بها عند الدولة وولاتها فى المدينة وأهمها ما يلى :

١ - شيخ الحرم الشريف :

وكان فى بداية الأمر من كبار الأغوات ، ثم صار إرساله فى أواخر العصر المملوكى مبنيا فى بعض الأوقات على النفى والتأديب[٣] ، ولسوء الحظ فقد حافظ العثمانيون على هذا التقليد السيء[٤] ، فاقتصر إرسال شيخ الحرم النبوى فى معظم هذا العصر على أغوات السلاطين كل عام أو عامين أو ما يقارب ذلك[٥] . على أن طول مدة الولاية أو قصرها ، مرهون بكفاءته فى إدارة الأمور وخلو المدينة فى عهده من الفتن والاضطرابات ، وقد حفظ لنا مؤرخوا العصر العثمانى أسماء بعض شيوخ الحرم النبوى على مدى ٢٧٢ سنة (٩٢٣ - ١١٩٥هـ / ١٥١٧ - ١٧٨٠م) ، حيث تبين أن عددهم قد زاد على اثنين وأربعين شيخا[٦] .

وكان لمعظمهم تصرف تام فى كثير من قضايا المدينة[٧] ، إلا فيما يتعلق بأمور

---

(١) العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ ١ ص ٣٠٥ ، درويش أحمد بشكاريزادة : المصدر السابق ، ص ٧ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، جـ ٢ ص ١١٩ ، ١٦٥ ، السخاوى : التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة جـ ١ ص ٦١ ، ٣٧٦ ، الضوء اللامع لأهل القرن العاشر ، جـ ٦ ص ٨٢ ، ١٧٦ .

(٤) Burckhardt : op. cit., p. 251 .

(٥) العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٥ .

(٦) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٥٨ وما بعدها .

(٧) الحسينى بن محمد الورثلانى : الرحلة الورثلانية ١١٧٩ - ١١٨٠ هـ المعروفة (نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ، ص ٥٢٢ ، عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٦٢ .

الشرع الشريف وبعض الأمور العسكرية ، فإنها من اختصاص قاضى المدينة ومحافظها . أما الألقاب التى خوطب بها شيوخ الحرم النبوى فى الرسائل الشخصية والفرامانات الرسمية ، فتعتبر من أفخر الألقاب فى الدولة العثمانية . كسيادتكم أسوة بالباشوات من أمراء مكة وغيرهم[١] ، وصاحب الدولة ، العطوفة أو صاحب الجناب العالى، كما فى المخاطبات الموجهة له من خديوى مصر سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م[٢] . ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م[٣] .

ومن هذا يتبين أن مكانته أعلى من مكانة رئيس الأغوات فى الحرم المكى، لا سيما وأن له فى ذلك الوقت ديوانا ، يضاهى بتشكيلاته المختلفة ديوان والى جدة[٤] ، كما أن كسوته المخصصة فى كل عام من فرو السمور ، تماثل تماما كسوة أمير مكة ووالى جدة ، ومحافظ المدينة [٥] .

ومهما يكن من أمر ، فإن انفراد الباب العالى بتعيين صاحب هذا المنصب ، قد تلاشى أواخر العصر العثمانى ، إذ تطلب الوضع الأمنى فى المدينة المنورة وضع حد للتداخل بين سلطات شيخ الحرم النبوى ومحافظ المدينة المنورة . وتعيين قائد عسكرى برتبة مشير أو فريق للإمساك بزمام السلطتين معا[٦] . ورغم تأكيد بيرتون على أن شيخ الحرم النبوى أثناء زيارته للمدينة سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م، قائد من باشوات الأتراك يدعى عثمان باشا[٧] . فإن دمج المنصبين (مشيخة الحرم ، ومحافظ المدينة) لم يتأكد رسميا إلا فى سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٦٢م[٨]، بيد أن

---

(١) Burckhardt : op. cit., p. 251 .

(٢) وثيقة رقم ٩٦ ووثيقة رقم ١٨٩ سنة ١٢٣٦هـ. دفتر ٧ معية تركى ، محافظ الحجاز القاهرة .

(٣) إبراهيم رفعت ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٠٦ .

(٤) Burckhardt : op. cit., p. 251 .

(٥) وثيقة رقم ١٦٠ فى ٩ شعبان سنة ١٢٣٩هـ دفتر ١٥ معية تركى .

(٦) الوثيقة رقم ٥٤ فى ١٩ جمادى الأولى سنة ١٢٤٤هـ. دفتر ٤٠ معية تركى والوثيقة رقم ١٢٥ فى ١٦ صفر ١٢٤٩هـ دفتر ٥٤ معية تركى ، الوثيقة رقم ١٥ فى ٥ شوال سنة ١٢٥٤هـ محفظة رقم ٢٦٣ عابدين .

(٧) Burton : op. cit.,vol,2 p. 277 .

(٨) وثيقة رقم ١١٠ فى ٢٢ شعبان ١٢٧٩هـ دفتر ٥٢٥ معية تركى .

تلك المعالجة لتجنب مخاطر الازدواجية فى مهام المنصبين لم تحقق الهدف منها ، فقد أعاد العثمانيون فصل المنصبين مرة ثانية فى حدود سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م[١] ، ثم دمجوهما مرة أخرى فى وقت قريب من التاريخ السابق . ورغم ذلك كله فقد تعرضت المدينة المنورة لعدد من الثورات والفتن التى كان منشؤها بعض شيوخ الحرم من الباشوات[٢] .

أما الأعمال التى يشارك فيها شيخ الحرم بقية الأغوات ، فتنحصر فى اشتراكه مع نائب الحرم الشريف كل يوم ، فى إدخال الشمعدانين المخصصين لإضاءة المواجهة إلى الحجرة الشريفة ، وقت دخول المغرف وإخراجهما بعد الشروق[٣] ، هذا فضلا عن تميزه بالإشراف على جميع شئون المسجد ، وعقد اجتماع لمجلس إدارة المدينة المنورة فى نهاية كل أسبوع ، لدراسة أوضاع المدينة الأمنية[٤] ، ومخاطبة والى مصر أو الصدر الأعظم فيما يخص المسجد الشريف مباشرة . وقد فرض له من بيت المال لقاء خدماته تلك مرتب شهرى قدر فى حدود سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م بثلاثين ألف قرش[٥] ، بالإضافة إلى عدد من الهبات النقدية والعينية من مصادر مختلفة ، كما خصص لمن يلى هذا المنصب دار بجوار رواق القبلة من الشرق[٦] ، وكان الانفاق على تعمير الدار المذكورة مع أربعين بيتا من بيوت الأغوات من خزينة الدولة فى المدينة المنورة ، وعد ذلك جزءا لا يتجزأ من عمارة الحرم الشريف[٧] .

---

(١) البتنونى : المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .

(٢) انظر ما ذكره على حافظ فى المرجع السابق ، ص ٣٥ عن دور عثمان فريد باشا فى إذكاء فتن المدينة المنورة بعد أن جمع له بين مشيخة الحرم ومحافظ المدينة .

(٣) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٤) جاء فى سالنامة بالعربى سنة ١٣٠٣هـ ص ٩١ أن هذا المجلس مؤلف من خمسة أعضاء طبيعيين هم قاضى المدينة ، مفتى الأحناف ، مدير الحرم الشريف ، المحاسب ، مدير التحريرات ، وأربعة أعضاء منتخبين . كما ذكر عبد السلام هاشم فى كتاب المدينة فى التاريخ ص ١٤٨ أن هذا المجلس كان يتألف من محافظ المدينة وقائد البوليس والمحتسب ومفتى المذاهب الأربعة .

(٥) Burton : op. cit., vol, 2 P. 275 .

(٦) أحمد زينى دحلان : المصدر السابق ص ١٧٤ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٧) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧١ .

ومن هذا كله يتبين أن شيخ الحرم النبوى الشريف، شخص آخر غير شيخ الأغوات خلافا لما ذهب إليه عبد القدوس الأنصارى من أنهما مسميان لمنصب واحد[١]. فقد تبين بعد بحث دقيق أن للأغوات أربعة شيوخ بمناصب مختلفة[٢]، وجميعهم تحت إدارة من يعين رسميا فى منصب شيخ الحرم من الأغوات أو الباشوات .

٢ ـ نائب الحرم الشريف :

وهو الشخص الثانى فى التسلسل الوظيفى لأغوات الحرم النبوى ، ويرسل فى العادة من أغوات الباب العالى[٣]، برتبة عسكرية كبيرة[٤]. وتنحصر مهمته فى القيام بتكليف من قاضى المدينة المنورة بمهام منصب شيخ الحرم الشريف، عند موته أو نفيه ريثما تصل أوامر السلطان بتعيين شيخ جديد[٥]، كما له الحق فى الإشراف على بعض أوقاف المدينة المنورة[٦]، هذا فضلا عن اشتراكه كل ليلة مع شيخ الحرم الشريف فى إيقاد شمعدانى المواجهة الشريفة، لا سيما اختصاصه بالشمعدان الشرقى[٧].

وتذكر بعض المصادر بأن المرتب الشهرى لهذه الوظيفة فى حدود سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م حوالى خمسة آلاف قرش[٨]. بالإضافة إلى بعض المخصصات

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٢) هم شيخ النظاميين ، المستلم ، شيخ البطالين ، شيخ حارة الأغوات .

(٣) عبد الرحمن الأنصارى : تحفة المحبين والأصحاب ، ص ٦٥ ، على بن موسى : المصدر السابق، ص ٧١ .

(٤) جاء فى سالنامة لعام ١٣٠٣هـ أن نائب الحرم فى تلك السنة كان برتبة من الدرجة الأولى ووسام من الدرجة الثانية . أما سنة ١٣١٨هـ فكان برتبة مشير .

(٥) وثيقة رقم ٧١ حمراء فى ٢٨ شعبان سنة ١٢٥٣هـ محفظة ٢٦١ عابدين بدون نمرة /

(٦) عبد الرحمن الأنصارى : تحفة المحبين والأصحاب ، ص ٥٦ .

(٧) انظر أدناه ص٣٩٠ .

(٨) وثيقة رقم ٧٠ حمراء سنة ١٢٥٣هـ محفظة ٢٦١ عابدين ،
Burton : op. cit., vol, 2 . P. 275 .

العينية من الحبوب[١] ، وهو مبلغ يتفق مع المذكور فى إحدى الوثائق المؤرخة سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م[٢] ، حينما كلف مدير الحرم بالقيام بمهام هذا المنصب نظير المبلغ المذكور .

٣ ـ خزندار الحرم :

وهو المسئول الثالث فى الحرم الشريف ، ويرسل فى العادة من أغوات الباب العالى[٣] ، بعد منحه رتبة عسكرية عالية[٤] ، بمرتب قدر سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م بألف وخمسمائة قرش ، لقاء الإشراف على خزينة الحرم النبوى (الخزنة دار ، الخزينة الجليلة) وشئون العين الزرقاء[٥] ، بمساعدة ضابط آخر يتولى منصب نقيب الحرم الشريف[٦] .

أما نصيبه من خدمات المسجد فقد أشرك مع مدير الحرم وقاضى المدينة فى إدخال المبخرة إلى الحجرة الشريفة بالمناوبة ، وقت إسراج القناديل والشمعدانات كل ليلة[٧] ، هذا فضلا عن قيامه بتسجيل اشتراك وكلاء السلاطين والأمراء وكبار الأعيان فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، والبالغ عددهم حوالى ألف شخص[٨] ، لأداء خدمات ما تحصلوا عليه من أجزاء الفراشة الشريفة[٩] ، بموجب

---

(١) جاء فى الوثيقة المؤرخة فى ٢٩ رمضان سنة ١٢٥٦هـ برقم ٢٦٩ عابدين ثمرة حمراء ، أن المخصصات المذكورة تصرف كل شهر ومقدارها أردبان ونصف من القمح ومثلها من الشعير .

(٢) وثيقة رقم ٧١ حمراء فى ٢٨ شعبان سنة ١٢٥٣هـ محفظة ٢٦١ عابدين بدون نمرة / محافظ الحجاز .

(٣) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٥٦ ، على بن موسى : المصدر السابق ص ٧١ .

(٤) جاء فى سالنامة بالعربى لسنة ١٣٠٣هـ ص ٩٢ أنه كان برتبة أولى صنف ثانى ووسام عثمانى من الدرجة الرابعة .

(٥) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(٦) Burton : op. cit., vol, 2. p. 275 .

(٧ ، ٨) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٩) الفراشة الشريفة : هى خدمة الحجرة الشريفة وقد قسمت إلى ١٤٠ وظيفة واعتبرت كل وظيفة ٢٤ قسم (قيراط) وزعت بين عدد كبير من أعيان الدولة وموظفيها بقصد اشراك أكبر عدد ممكن فى خدمة الحجرة الشريفة . وقد بلغ عدد هذه الوظائف أكثر من خمسة آلاف وظيفة . أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٧٩ ـ ٨٢ .

أوامر سلطانية تجيز قيامهم نيابة عن موكلهم بإيقاد قناديل الحجرة الشريفة وبعض شمعداناتها بالإضافة إلى اشتراكهم مع الأغوات ، في إيقاد بقية قناديل المسجد الشريف .

٤ ـ متسلم الحرم الشريف :

وهو شيخ الأغوات المسجلين رسميا في ديوان بيت المال ، والمعروفين بالخبزيين[١] ، ويعتبر منصبه رابع منصب قيادى فى الحرم الشريف[٢] ، فبيده مفاتيح الحجرة الشريفة ، وحواصل الزيت والشمع وسائر مصالح المسجد الشريف . بالإضافة إلى اختصاصه بالإشراف على أوقاف الأغوات فى المدينة المنورة ، واستلام ما يهدى لهم أو للمسجد الشريف من مبالغ نقدية وعينية[٣] ، وإبلاغ مرسلها بتسلمه لها[٤] . وليس من تفسير لاختصاصه بالمفاتيح المذكورة والإشراف على الأوقاف الثمينة ، إلا كونه قد تدرج فى مناصب الأغوات المقيمين فى المدينة (أهل الوجاق) حتى تسلم هذا المنصب ، بحيث صار من المتعذر تخليه عنه إلا لموت أو نفى مؤبد ، وقد تبين أن بعض المعينين فى هذا المنصب سافروا إلى مصر سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م لملاقاة خديوى مصر وعادوا بجوائز ثمينة[٥] . مما يعنى احتفاظهم بمنصبهم فى السفر القصير مع جواز الإنابة فيما كلفوا به من أعمال .

٥ ـ نقيب الحرم :

ويعرف فى بعض المصادر بمدير الحرم[٦] ، ويأتى فى الدرجة الخامسة من مناصب المسجد الشريف[٧] ، ويؤخذ من ورود ذكره فى وثائق تعود إلى سنة

---

(١) انظر أعلاه ص ٣٨٠ وما بعدها .

(٢) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٣) العياشي : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٥ ، البرزنجى : المصدر السابق ص ٩٠ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٤) وثيقة رقم ٩١١٨ سنة ١٢٦١هـ مسجلة فى الدارة برقم ٢/ ٨ ـ ٢٢ .

(٥) وثيقة رقم ٢٣٨ فى ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٤٣ هـ دفتر ٧٣٧ معية تركى ص ٥٧ محافظ الحجاز / القاهرة .

(٦) محمد أمين المكى : المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٧) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧١ .

١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م[١]. قدم هذا المنصب عن اصلاحات السلطان محمود الثانى، مما يرجح استحداثه فى التنظيمات التى أحدثت فى عهد السلطان سليمان القانونى، ويؤيد ذلك تأكيد على بن موسى عند حديثه عن التزام الأغوات باللبس المقرر لهم من ذلك العهد[٢].

أما عمله الإدارى فتذكر بعض المصادر بأنه محصور فى مساعدة خزندار الحرم الشريف، فى أداء بعض أعماله بمرتب قدر سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م بألف قرش فى الشهر[٣] كما يحق له فى الظروف الطارئة القيام بمهام نائب الحرم الشريف[٤]، ويشترك إلى جانب ذلك مع الخزندار وقاضى المدينة ، فى إدخال مبخرة الحجرة الشريفة بالمناوبة، كل ليلة عند حلول وقت المغرب[٥].

٦ - رئيس بوابى الحجرة الشريفة :

وهو المنصب السادس فى التسلسل الوظيفى لأغوات الحرم الشريف، وتنحصر مهمته فى الإشراف على تنظيم مناوبة الأغوات، المكلفين بحراسة الحجرة الشريفة وعددهم ستة عشر آغا ، بما فيهم شيخ الحرم وأربعة ضباط آخرون، هم نائب الحرم وخزنداره ونقيبه[٦]. ويشترك منهم فى حراسة الحجرة الشريفة كل ليلة أربعة أغوات بإشراف ضابط يتولى معالجة الأمور فور حدوثها[٧]، ويعتبر هذا الرئيس فى قمة الهرم الوظيفى لمرؤوسيه الأغوات ، حيث يتدرج بعده بقية الأغوات البوابين، ثم

---

(١) وثيقة رقم ٢٠٣ فى ٢١ شوال سنة ١٢٤٢ هـ دفتر ٧٣٣ خديوى تركى / محافظ الحجاز .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٣) Burton : op. cit., vol, 2. p. 275 .

(٤) وثيقة ٧١ حمراء ٢٨ شعبان سنة ١٢٥٣هـ محفظة ٢٦١ عابدين بدون نمرة / محافظ الحجاز وانظر أيضا الأمر المؤرخ فى ٩ ذى القعدة سنة ١٢٥٦هـ محفظة ٢٦٩ عابدين .

(٥) انظر أعلاه ص ٣٨٤ .

(٦) درويش أحمد بشكارى زاده : المصدر السابق ، ص ٧ وقد قال على بن موسى فى المصدر السابق، ص ٧١ أنهم أربعة عشر فقط .

(٧) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧١ .

بقية الأغوات النظاميين ، المعروفين بالخبزيين وعددهم أربعة عشر آغا ؛ ثم أربعة عشر آغا من البطالين ، وبعد ذلك كله يأتى الملازمون من غير النظاميين ، (البطالين ، العجميين)[١] . هذا عن الهيكل الإدارى للنظاميين من الأغوات .

ب ـ **البطالون** : وهم المستجدون من الأغوات ، وقد تبين مما سبق أن أحدا من غير النظاميين لم يتول أى منصب قيادى ، إلا عندما تحين الفرصة لشيخ البطالين فى الالتحاق بمؤخرة الوظائف الخاصة بالنظاميين ، بعد موت أحدهم أو نفيه . وعلى هذا فإن أعمالهم كانت محصورة فى حدود سة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م، فى الأعمال الممتهنة خارج المسجد والحجرة الشريفة[٢] . حتى يمكن اعتبارهم آنذاك بمثابة خدام أو مساعدين لفرقة النظاميين ، إلا أن بعض المصادر المتأخرة أفادت باشتراك بعض الأغوات غير النظاميين فى الجلوس مع كبار الأغوات فى الدكة المخصصة لهم ، واشتراكهم مع النظامين فى أداء بعض الأعمال المتعلقة بخدمة المسجد الشريف وإنارته والمتمثلة فيما يلى :

أ ـ مرابطة عدد من البوابين فى كل ليلة لحراسة الحجرة الشريفة خاصة والمسجد عامة[٣] ، وقيامهم وقت السحر بعد فتح باب النساء للمؤذن الأول ، بإسراج ما يلزم من قناديل المسجد وشمعداناته[٤] . ولا بد لمثل هذا العمل من جهد كبير ، مما يبرز قيام جميع الأغوات النظاميين فى حدود سة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م، بالمرابطة فى المسجد الشريف لهذا الغرض ماعدا النقيب وشيخ الحرم[٥] . ويقترب من هذا العدد ما ذكره على بن موسى فى حدود سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م، من مرابطة اثنين من البوابين، وأربعة من النظاميين، وبصحبتهم عشرة من غير

---

(١) العياشى : المصدر السابق ، جـ١ ص ٣٠٥ .

(٢) درويش أحمد بشكارى زادة : المصدر السابق ، ص ٧ ، أيوب صبرى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٦ .

(٣) انظر مهمة رئيس البوابين ، ص ٣٨٥ وما بعدها .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٨ وما بعدها .

(٥) العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

النظاميين، وكذلك عشرون شخصا من الأغوات الملازمين ، وبعض غلمانهم ومواليدهم[١] .

أما بعد صلاة الفجر فيشترك بعض الأغوات مع المناوبين من وكلاء الفراشين، فى إطفاء القناديل وتزويدها بالزيت والفتايل[٢] . كما يقومون عند حلول أذان وقت المغرب أيضا ، بإيقاد جميع آلات الإضاءة بدءا بالحجرة الشريفة[٣] ، ثم تنحصر مهمتهم بعد ذلك فى إخراج الناس من المسجد بعد صلاة العشاء ، فيدورون بين الصفوف بفوانيس صغيرة لتذكير الناس بموعد إغلاق أبواب المسجد[٤] ، ثم يتولون إطفاء معظم قناديل المسجد وشمعداناته[٥] . وينقسم الأغوات فى القيم بهذه الخدمة إلى قسمين :

(١) قسم يختص بالرواق القبلى ويعرف أفراده بطائفة السندييس .

(٢) وقسم آخر لهم حق الإشراف على بقية الأروقة ويعرفون بطائفة «المكادة» ، ولا يحق لأحد الفريقين إصلاح أى من القناديل فى غير الموضع المخصص لطائفته[٦] .

ب - غسيل الحجرة الشريفة : ويشترك فيه الأغوات بقسميهم، ثلاث مرات فى السنة ، فالمرة الأولى فى التاسع من شهر ربيع الأول ، والثانية فى الأول من رجب والثالثة فى الثامن عشر من ذى القعدة . وكانوا فى البداية يحتاجون إلى يوم واحد ، ثم أضافوا فى نهاية العصر العثمانى يوما آخر لتنظيف القناديل وجليها[٧] . ويصحب

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٢) ذكر درويش أحمد بشكارى زادة فى المصدر السابق ، ص ٣ صفة اجتماعهم سنة ١٢٠٦هـ عند حاصل الزيت فى صحن المسجد ثم توزيع أباريق الزيت وفتايل القناديل على الفراشين والزام كل أربعة منهم بالذهاب مع أحد الأغوات إلى أحد جوانب المسجد لتعمير القناديل وتغيير فتايلها بعد إنزالها بخطاف طويل من قبل الآغا المذكور .

(٣) درويش أحمد بشكارى زادة : المصدر السابق ، ص ٤ .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٧ .

(٥) ويستثنى من ذلك قناديل الحجرة وشمعداناتها وقناديل الأبواب الخارجية .

(٦) أحمد بشكارى زادة : المصدر السابق ، ص ٤ .

(٧) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨١ وما بعدها

غسيل الحجرة فى نهاية كل عام، استبدال الصندل القديم بنوع آخر معجون بماء الورد والعنبر وعطر الورد، ووضعه فى الصندوق المحاذى لرأس القبر الشريف بموجب أصول مرعية وتقاليد موروثة[١]. لاسيما ارتداء اللبس المخصص لفرقة النظاميين ، والمرسل عادة من مصر فى كل سنة مرة ، حيث كان من المقرر لكل أغا من الأربعين ، سبعة أذرع من الجوخ وثوب قطنى أبيض وغطاء للرأس (أحمدية)[٢]، ويعتبر تقيد الأغوات بهذا النوع من اللبس قديم جدا خاصة بعد تنظيمات السلطان سليمان العظيم لطائفة الأغوات ، وإلزامهم بلبس القاووق فوق الرؤوس[٣].

أما الأجور الشهرية لفرقة النظاميين من الأغوات ، فتنحصر بناء على المعلومات التى أمدنا بها بيرتون سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م، بين ٢٥٠و ٥٠٠ قرش فى الشهر، كما تتدرج مرتبات شيوخهم (شيخ البوابين ، المستلم ، شيخ البطالين) بين سبعمائة إلى ألف قرش فى الشهر[٤].

أما الشيخ المكلف مع نقيب حارة الأغوات بحفظ النظام فيها وإدارة شئون الأغوات العامة[٥] ، فلم أقف على ما يبين مصدر رزقه إلا أن من غير الجائز حرمانه من المرتب ، خاصة وقد تبين مما سبق بأن الدولة فرضت لشيوخ الأغوات والفراشين مرتب يغرى أتباعهم بالتنافس فى الوصول إليه .

---

(١) زالت هذه البدع بحمد الله وفضله ، بعد خروج الأتراك من المدينة فى الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجرى .

(٢) وثيقة رقم ١٦ فى ٩ رجب سنة ١٢٣٨هـ دفتر ١٤ معية تركى / محافظ الحجاز .

(٣) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧١ والقاووق هو غطاء الرأس عند الأتراك والبكوات وهو مستدير الشكل ومرتفع بعض الشيء ويتدرج اتساعه من القاعدة إلى القمة ، ويغطى جزؤه السفلى بشال ملفوف بعناية فائقة . انظر وصف مصر لعلماء الحملة الفرنسية ترجمة زهير الشايب الطبعة الأولى ، القاهرة ، جـ ١ ، ص ٩٩ .

(٤) Burton : op. cit., vol, 2. p. 275 .

(٥) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧١ .

ثانيا : الوظائف الجماعية :

١ - الفراشون : يشترك فى خدمة الحرم النبوى الشريف ، عدد كبير من الفراشين المتخصصين بإنارة قناديل المسجد وشمعداناته بالتعاون مع أغوات الحرم النبوى الشريف ، لا سيما وكلاء الفراشة الشريفة ، البالغ عددهم أكثر من ألف شخص ، والمنتظمين تحت إدارة شيخ واحد يقوم بتنظيم مناوبة هذا العدد الكبير من الوكلاء وتسجيل أسمائهم . هذا فضلا عن قيامه بإحضار شمعدانى الحجرة الشريفة ومساعدة شيخ الحرم ونائبه فى إدخالهما كل يوم وقت الغروب وإخراجهما بعد الشروق[١] ، وقد منح متولى هذا المنصب فى حدود سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م رتبة « بالا » المعادلة لرتبة « لواء »[٢] .

ومن الجدير بالذكر أن الدولة حينما أرادت اشراك عدد كبير من الأمراء والأعيان، فى خدمة الحجرة والمسجد الشريف من مختلف أنحاء العالم الإسلامى . أفادت دونما قصد ، عددا كبيرا من سكان المدينة المنورة ، خاصة العلماء والمدرسين والخطباء والأئمة والمؤذنين وأشراف البلدة وبعض الحكام فيها[٣] . إذ جمع لبعضهم بين عشر وكالات أو أكثر[٤] ، على أن دور بعضهم فى أداء هذه الخدمة لا يصل إلا بعد خمسة عشر أو عشرين يوما[٥] . ولأصحاب الوظائف الحق فى مباشرة الخدمة بمعية وكلائهم عند حضورهم إلى المدينة المنورة[٦] ، على أن كل منهم يعرف موعد إيقاد قنديله أو شمعته ، بناء على ما دون فى البداية عند حصوله على الوظيفة[٧] .

---

(١) انظر أعلاه ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(٢) إبراهيم رفعت ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٠٨ .

(٣) أحمد بشكاريزادة : المصدرالسابق ، ص ١٤ .

(٤) جاء فى بعض الوثائق العثمانية أن إلياس زادة استحق سنة ١٢٢٥هـ مبلغ ١٤٥١٤٠ بارة عن خدمته لحصة محمد على من الفراشة عن سنة ٢١ ، ١٢٢٢هـ وهو مبلغ كبير نسبيا إذا ما قورن بمرتب بعض الوظائف الحكومية فى ذلك الوقت انظر : محافظ الحجاز الوثيقة رقم ٩٥ فى ٩ جمادى الأولى سنة ١٢٢٥ هـ محفظة رقم ١ ذوات تركى .

(٥ ، ٦) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٠ ، ٨٧ ، وعن اللبس المقرر بهذه الوظيفة انظر أحمد بشكارى زادة : المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٧) أحمد بشكارى زادة : المصدر السابق ، ص ١٥ .

ومن هذا يتبين أن عدد القائمين على خدمة قناديل المسجد وشمعداناته، زاد بشكل ملحوظ على بقية عدد موظفى الحرم الشريف ، ومرد ذلك كما اعتقد لاقتضاء الأعداد الكبيرة من قناديل المسجد إلى الإضاءة والإطفاء مرتين فى اليوم ، وتزويدها بالزيت والفتايل، خاصة وأن ما يستخدم منها فى الأيام العادية حوالى ٦٢٠ قنديلا[١] ، يتضاعف عددها مرتين أو ثلاث مرات فى أيام المواسم المشهورة ، فمنائر المسجد وحدها تضاء فى ليالى رمضان وبعض المواسم الأخرى بثمانمائة قنديل[٢] . ولابد لهذا العدد الكبير من سرعة فى الإضاءة ودقة فى العمل ، مما يبرر توظيف هذا العدد الكبير لمساعدة الأغوات فى القيام بهذه المهمة .

وعلى أية حال فقد ظل هؤلاء حتى سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م ، دون مرتب حكومى إلا ما يصلهم من هدايا موكليهم وهباتهم[٣]، الأمر الذى عرض كثيرا منهم إلى العوز والفاقة ، نتيجة موت موكليهم أو عزلهم أو إفلاسهم ، إلا أن عهد الإصلاح الذى قام به السلطان محمود الثانى[٤]، أقر لبعضهم فيما قام به من تنظيم فى أجهزة الدولة فى المدينة المنورة، مرتبات رمزية وذلك بعد تقسيمهم إلى عشر مجموعات، تتبع عشرة شيوخ يتلقون أوامرهم من شيخهم الأول[٥]. ويقوم كل ثلاثين منهم بخدمة المسجد الشريف لمدة أسبوع كامل[٦]، نظير ثلاثين قرشا لشيخهم وخمسة وعشرين لكل فرد منهم، مع حرمان المتخلفين من أجورهم[٧]

---

(١) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٥٩ . وعن الشمع المستخدم فى رواق القبلة انظر أعلاه ص٣٥٧.

(٢) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٣) عن المبلغ الذى تحصل عليه بعضهم لقاء الأعمال التى قام بها فى الحرم النبوى نيابة عن محمد على سنة ٢١ ، ١٢٢٢ هـ انظر أعلاه ص ٣٨٥ حاشية رقم ٤ .

(٤) عن إصلاحات السلطان محمود الثانى ، انظر محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م) الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ص ١٦٩ ـ ٢٣٤ .

(٥) عن شيخ الفراشين . انظر أعلاه ص ٣٩٠ .

(٦) ذكر بيرتون فى ص ٢٧٦ من كتابه السابق أن مهمتهم محصورة فى مسح الأرض وإزالة التراب عنها ، وفرش السجاد وملء المصابيح بالزيت بعد إنزال الأغوات لها من سقف المسجد.

(٧) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٦٧

الأمر الذى عرض كثيرا منهم إلى العوز والفاقة ، فإن الحل المذكور لم ينه مشكلة الفقراء منهم ، وإنما كان بقصد الترضية فقط . فخمسة وعشرون قرشا بعد عشرة أسابيع من الانتظار الطويل ، غير كافية لسداد الديون التى ازدادت فى حدود سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥م ، حيث جاء ما يفيد بأن معظمهم حرموا من المرتبات[١] ، إلا ما يصلهم من هبات موكليهم وهداياهم .

٢ ـ الكناسون :

تؤكد بعض المصادر على وجود منظمة مستقلة لفراشى الحرم النبوى الشريف فى حدود سنة ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م ، تخضع فى إدارتها لشيخ ينظم أداء ما كلف به مرؤسيه من خدمة الحرم الشريف[٢] ، ومن الطبيعى أن يكون ذلك امتدادا طبيعيا للنظام المعمول به من قبل فى العصر المملوكى .

وتذكر بعض المصادر بأن عددهم وصل فى أواخر العصر العثمانى إلى واحد وخمسين فراشا[٣] ، بما فيهم شيخ الفراشين ونقيبهم ، والمختص بتنظيف رخام المسجد ، وثمانية وأربعون كناسا[٤] . ويقتصر عملهم على كنس الحجرة الشريفة وسائر أروقة المسجد الشريف[٥] ، بالمكانس المصنوعة من سعف النخل[٦] ؛ وكذلك

---

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٢) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٣) محمد صادق بك : دليل الحج ، ص ١١٦ ، كوكب الحج ، ص ٥١ ، سالنامة بالعربى لسنة ١٣٠٢هـ ، ١٣٠٣هـ ص ١٨٠ ، والبتنونى : الرحلة الحجازية ، وعند على بن موسى فى المصدر السابق ص ٧٢ حوالى ستين شخصا فلعله أضاف لهم من خصصهم فى ص ٧٣ لتنظيف الستائر .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٥) أحمد بشكارى زادة : المصدر السابق ، ص ٣ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٣.

(٦) ذكر محمد كبريت الحسينى فى المصدر السابق ، ص ١٦٧ ما يفيد بخروج خدام الحرم الشريف فى الثامن عشر من شهر شوال إلى بساتين النخل فى قبا لجمع ما يلزم لكنيس المسجد من سعف النخل المذكور ، ثم يعودون بها إلى المدينة لاستخدامها فى كنس الحجرة الشريفة

تنظيف السجاجيد والحصر ، وحفظها فى المخازن عند قدوم الزوار وإعادة فرشها بعد خروجهم من المدينة المنورة .

وليس فيما اطلعت عليه من مصادر ذكر لمرتباتهم أو طريقة تعيينهم ، مما يحمل على الاعتقاد بأن مهمة النقيب محصورة فى تسجيل أسمائهم ، ومساعدة شيخ الكناسين فى متابعة المناوبين منهم . ويبدو أن طريقتهم فى العمل مشابهة إلى حد كبير لما كان متبعا فى الحرمين الشريفين إلى وقت قريب ، حيث ينتظم الكناسون بالوقوف فى صف واحد بعد صلاة الصبح ، ثم يشرعون فى تنظيف الأروقة بالمكانس المصنوعة من سعف النخل .

٣ ـ البوابون :

وهم أهل وظائف قديمة ، تعود فى أساسها إلى ما أحدثه عمر بن عبد العزيز فى عهد الوليد بن عبد الملك[١] ، ويناط بأصحابها حفظ الأمن ومنع الدواب من دخول المسجد وتنظيم السير فى مداخل أبواب الحرم الشريف . وتشير بعض المصادر إلى أن الحصول عليها فى بداية العصر العثمانى ، كان يتم فى الغالب بالوراثة أو التنازل بالبيع أو الهبة كما حدث فى حدود سنة ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م[٢]. ولم يتغير دور المكلفين بها فى هذا العصر عما كان عليه فى أواخر العصر المملوكى ، إلا أن عددهم زاد باستحداث باب خامس فى عمارة السلطان عبد المجيد ، حيث أشارت بعض مصادر هذا العصر إلى قيام أحد عشر بوابا[٣] ، ومثلهم من الملازمين[٤] ، بالمرابطة فى أبواب المسجد الشريف ، فيتعهد كل اثنين منهما أحد الأبواب الرئيسية فى المسجد الشريف بالمناوبة ، مع ملازميهم من الصباح حتى وقت إغلاق المسجد بعد صلاة العشاء .

---

(١) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٥٣١ .

(٢) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٢٧٥

(٣) محمد صادق بك : دليل الحج ، ص ١١٦ ، سالنامة بالغربى لسنة ١٣٠٣هـ ، ص ١٨٢ ، محمد لبيب البتنونى : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

(٤) على بن موسى المصدر السابق ، ص ٧٢

أما البواب الحادى عشر فتنحصر مهمته فى الوقوف بباب الحوش[١] ، المخصص للجنائز بجوار الجدار الشرقى من مقدم المسجد الشريف[٢] .

هذا عن مهام البوابين فى الحرم النبوى ، أما إدارتهم فلم أعثر فى المصادر التى اطلعت عليها على ما يفيد بوجود مشرف مسئول عنهم أسوة ببقية الموظفين الآخرين ، الأمر الذى يدعو إلى الاعتقاد بأن مهمة تدوين أسمائهم وتنظيم مناوبتهم مرهونة بإحدى الجهات المشرفة على نظام المسجد ، كديوان شيخ الحرم ، أو إدارة الخزينة الجليلة ، ويؤيد افتقار هذه المنظمة إلى شيخ أو نقيب قلة عدد أفرادها ووضوح مهامها .

٤ ـ السقاءون :

وهم فئة من خدام المسجد ، تعنى بجلب الماء وتبريده، والطواف به على المصلين . وفى مصادر العصر المملوكى ما يفيد بوجود مثل هذا النوع من الوظائف فى حدود سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م[٣] . أما فى العصر العثمانى فتعود المعلومات المتوفرة عنها إلى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى، حينما أشار أولياء جلبى فى حدود سنة ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م، إلى وجود أزيار الماء البارد فى مؤخرة الحرم الشريف[٤]، دون أن يشير إلى طريقة الاستفادة منها . إلا أن ملأها بالماء يتطلب عددا كبيرا من السقائين، يمكن أن يقوموا إلى جانب ذلك بتوزيع دوارق الماء البارد على المحتاجين من المصلين . وقد أشارت بعض المصادر إلى عدد من هؤلاء السقائين فى حدود سنة ١١٠٠ ـ ١١٤٠هـ/ ١٦٨٨ ـ ١٧٢٧م[٥]، كما أشارت بعض الوثائق العثمانية إلى رفع مرتب بعض السقائين فى حدود سنة

---

(١) أيوب صبرى : المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٢) عن موقع الحوش المذكور : انظر أعلاه ص ١١٤ وما بعدها .

(٣) ابن فرحون : نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ٥١ تاريخ ص١٩٥ ، ١٩٦ البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٤) اولياء جلبى : المصدر السابق ، جـ ١٣ ص ٦٤ .

(٥) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ، ٣٦٩

١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م بمقدار ٣٥٠ قرشا فى الشهر[١]، مما يفيد بأن المرتب الأساسى لبقية السقائين قريب جدا من هذا المبلغ إن لم يكن أعلى منه .

أما أواخر العصر العثمانى ، فقد تبينت مهام هذا العمل وعدد المعنيين به ، فقد أفادت بعض المصادر بأنهم حوالى ١١ شخصا[٢]. منهم من يختص بملء الدوارق وهم حوالى أربعة ملائين[٣]، ومنهم من يدور بالدوارق على المصلين فى أروقة المسجد ومداخله ، وهم حوالى سبعة أنفار[٤]. جاء ترتيبهم فى بعض المصادر على النحو التالى :

١ - فى باب الرحمة .

١ - فى ديار العشرة .

١ - فى رباط العجم .

١ - فى باب التوسل .

١ - فى صفة الباب المجيدى .

١ - فى سبيل البقيع .

١ - فى سبيل المناخة .

وكانت عوائد السقائين من أوقاف مصر الأهلية ، فقد ذكرت بعض المصادر ما يفيد بإيقاف عباس باشا الأول سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، ثلاثين جنيها لملء ٢٥٠ دورقا فى السنة[٥]. وثلاثين جنيها لمن يطوف بخمسين دورقا على المصلين فى كل صلاة ، وثلاثين جنيها لشراء ما يتلف من الدوارق[٦]. كما جاء بأن بعض المحسنين أوقفوا ٣٨٥ مليما ، على ملء الدوارق بالحرم النبوى فى حدود سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م[٧].

---

(١) وثيقة ٣٠٩ فى ١٩ شوال سنة ١٢٣٧هـ دفتر ١٠ معية تركى / محافظ الحجاز القاهرة .

(٢) محمد صادق بك : كوكب الحج ، ص ٥١ ، البتنونى : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ، وقال على بن موسى : أنهم عشرة أشخاص فقط ، انظر المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٣) البتنونى : المصدر السابق ص ٢٤٢ .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٩٤ .

(٥ - ٧) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٢٠ ، ٣٥٢ .

ولا شك بأن المبالغ المذكورة . أسهمت رغم ضآلتها فى رفع مستوى الحياة لبعض الأسر فى المدينة ، سواء سلمت للموظفين من السقائين أو لغيرهم من المتكسبين بهذه المهنة . كما أنها طورت نظم المسجد وأراحت العطشى من المصلين من صعوبة البحث عن ماء بارد ، لا سيما فى الصيف وشهر الصوم .

٥ ـ منظفوا الستائر :

وليس لهم علاقة بأعمال الكناسين[١] ، ففى المصادر ما يفيد بأن عملهم منحصر فى تنظيف جميع الستائر ، المخصصة لبعض الأماكن المختلفة من المسجد النبوى بمكانس السمور[٢] ، بما فى ذلك الستائر المحدثة فى أواخر العصر العثمانى على المشبك الخارجى للحجرة الشريفة ، ولابد أن تشمل أعمالهم أيضا تعليق الستائر المذكورة ، وإعادتها إلى مخازنها بعد انتهاء الفترة المخصصة لتزيين المسجد النبوى الشريف بها . من الفترة الممتدة من ٢٠ رجب إلى نهايته ومن ٢٠ ذى القعدة إلى العاشر من شهر محرم[٣] .

ثالثا : الوظائف الفردية :

ويقصد بها ما لا يخضع فى عمله لشيخ أو نقيب ، فغالبها من الوظائف المهنية التى يكفى لخدمتها شخص واحد، ممن أجاد حرفة أو برع فى فن من الفنون، وتتعلق بعضها بالصيانة العامة لمبنى المسجد الشريف ، وبعض الأنواع الثمينة من التحف والأثاث . هذا فضلا عن أداء الخدمات المتعلقة براحة المصلين ، وفى اقتصار بعض المصادر المعاصرة لأواخر العصر العثمانى على ذكرها بالتفصيل، ما

---

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٢) جاءت عند بن موسى دون شرح لمعناها وقد جاء فى بعض الوثائق بأن شيخ الحرم النبوى كان يكسى كل سنة حلة من فرو السمور ويتضح من هذا أنه فرو ثمين ، وأن المكانس المذكرة صنعت من ذيل هذا الحيوان لكى لا تخدش الستائر المذكورة والمصنوعة من الحرير المطرز بالقصب . انظر أعلاه ص ٣٨١ .

(٣) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٥٧ .

يفيد بحداثة بعضها على الأقل . وكان يمكن اعتبار بعضها وظائف مؤقتة أو بأجور مقطوعة ، لولا تصريح على بن موسى باستلام أصحابها لمرتباتهم فى نهاية كل شهر[١].

وبغض النظر عن تاريخ حدوث كل وظيفة ، إلا أن فى عرض ما توفر عن بعضها من معلومات ، ما يفيد فى معرفة تكوين الجهاز الوظيفى للحرم الشريف فى أواخر العصر العثمانى ، حيث بدأ الإصلاح الذى قام به السلطان محمود بأخذ طريقه إلى أجهزة الدولة فى المدينة المنورة ، وأهم هذه الوظائف ما يلى :

١ ـ **أمناء خزائن الكتب الموضوعة بجوار باب السلام**[١] وكذلك حافظ كتب الروضة المطهرة[٢] . أما الخزائن الموضوعة قبل العمارة المجيدية فى أماكن مختلفة من الرواق القبلى[٣] ، فيغلب على الظن بأن الإشراف عليها قد أسند إلى الناظرين المذكورين .

٢ ـ **ساعتجى الحرم الشريف**[٤] : وهو المسئول عن إصلاح الساعات ومراقبة توقيتها ، وكان متولى هذه الوظيفة مسئولا قبل عهد السلطان محمود الثانى عن ميزان الشمس[٥] ، ثم صار بعد بناء السلطان المذكور لدار التوقيت بجوار باب السلام مسئولا عن الساعات الميكانيكية، التى زود بها المسجد سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م وما بعدها[٦] . مما يجعل من الضرورى إلمام هذا الموظف بمواعيد التوقيت والإصلاح الهندسى لما يطرأ عليها من عطب .

٣ ـ **الجواهرجى** : ويكلف بإصلاح القناديل والشمعدانات المرصعة بالجواهر

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٢) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٩٤ .

(٣) انظر أعلاه ص ٩٥ .

(٤) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٥) انظر أعلاه ص ٣٠٨ .

(٦) انظر أعلاه ص ٣٠٩ .

الثمينة ، كالتلحيم والجلى وما يتعلق بهما ، ولكون هذا النوع من التحف قليل الاستخدام إلا فى الحجرة الشريفة ، فإن الحاجة لإصلاحه نادرة جدا ، مما يعنى عدم توفر العمل لمثل هذه الوظيفة معظم أيام السنة .

٤ ـ الصائغ : ويختص بجلى قناديل الفضة وتنانيرها المصنوعة على هيئة أشجار كبيرة[١] ، والمستخدمة فى أماكن مختلفة من الرواق القبلى ، كقبة المحراب العثمانى والمواجهة الشريفة ، ودكة الأغوات ، وبعض الأجزاء من الروضة الشريفة .

٥ ـ الخياط : ويعنى بخياطة كسوة الحجرة الشريفة عند تجديدها ، وقد عرف متوليها فى العصر العثمانى بالكسوجى[٢] .كما جاء ما يفيد بقيامه عند الحاجة برقع فتوق الستائر[٣] ، وعلى هذا فإن مهمته تشمل إصلاح وترميم مختلف أنواع النسيج ، المستخدم فى الحرم الشريف من بسط وستائر وأعلام .

٦ ـ جباد الماء : وهو الشخص المكلف بإخراج الماء من البئر التى كانت فى صحن المسجد ، ويعنى صاحب الوظيفة المذكورة بسقى أشجار الحديقة المذكورة والمحافظة عليها ، لا سيما وأن بعض ثمار نخلها كانت تهدى إلى سلاطين الدولة العثمانية[٤] .

٧ ـ الوظائف الخاصة بصيانة المبنى والمحافظة عليه : ويقوم بالعمل فيها عدة أشخاص ، يختص كل واحد منهم بالعناية بنوع معين من حرف البناء وما يتعلق به، فمنهم المهندس المختص بمراقبة المبنى العام للمسجد الشريف[٥] ، ويتبعه بعض

---

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٢) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٤١٧ .

(٣) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٣ ، وكان محمد أسعد الحنفى قد ذكر فى المصدر السابق ص ٧ احتياج كسوة الحجرة الشريفة فى بعض السنوات إلى الإصلاح الأمر الذى دعا إلى ضرورة تخصيص شخص ماهر بالحياكة .

(٤) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٥) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٩٣ .

المساعدين، كالحجار[١] والمنور[٢] والمرمرجى[٣] والدكمجى[٤] والقورشنجى[٥]، أما النجار[٦] والنقاش[٧]، فيجب أن تخضع أعمالهما لآراء المهندس واقتراحاته . ويعنى الأول بإصلاح الأبواب والشبابيك وخزائن الكتب وما يتعلق بالخشب من أعمال ، والثانى بزخارف المسجد وإعادة دهنها ، كلما دعت الحاجة إلى تجديدها .

٨ ـ مجوزجى : انفرد على بن موسى بذكر الوظيفة المذكورة ، وعدها من الوظائف الثابتة فى أواخر العصر العثمانى[٨] ، دون تحديد مسئولية متوليها إلا أنها تتعلق كما يتضح من مسماها بالأنكحة وعقد القِرَانْ ، وهو أمر اعتاده المدنيون من بداية العصر العثمانى ، فقد جاء فى رحلة العياشى ما يفيد بعقد الأنكحة فى حدود سنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م، بالنسبة لوجهاء البلد والموسوين منهم داخل المسجد الشريف ، وفق مراسيم وبروتوكولات خاصة[٩] .

---

(١) هو الشخص المتمرس فى قطع الأحجار ونحتها وقطعها . انظر حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥م جـ ١ ص ٤١٧ .

(٢) ذكرها على بن موسى فى المصدر السابق ، ص ٧٢ بلفظ « النوار » المشتقة من كلة النورة وهى المادة المستخلصة من الجير بعد حرقه وتستخدم فى تغطية الجدران وبطون القباب سواء بعد عملية الإنشاء أو عند إعادة تجديدها نتيجة تأثرها بالرطوبة .

(٣) أوردها على بن موسى فى المصدر السابق ، ص ٧٢ بهذا اللفظ ، وعدها أيوب صبرى فى المصدر السابق جـ ١ ص ٩٢ ضمن وظائف الكناسين وينحصر عمل هذه الوظيفة فى تنظيف المرمر وإعادة تثبيت ما تساقط منه . ويعرف محترفها بالمرخم . انظر حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ ٣ ص ١٠٧٥ .

(٤) هى كلمة تركية ذكرها على بن موسى فى المصدر السابق ، ص ٧٢ بهذا اللفظ وتعنى الشخص المسئول عن سبك المعادن وتشكيلها بعد صهرها ووضعها فى قوالب خاصة .

(٥) كلمة تركية ذكرها على بن موسى فى المصدر السابق ، ص ٧٢ بهذا اللفظ وتعنى عمل الشخص المسئول عن تلحيم الرصاص وتثبيته فوق قباب المسجد وجواسق المنارات .

(٦) ذكرها أيوب صبرى فى المصدر السابق ، جـ ١ ص ٩٣ بهذا اللفظ بينما ذكرها على بن موسى فى المصدر السابق ، ص ٧٢ بلفظها التركى « مرنقوز » .

(٧ ، ٨) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٢

(٩) العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

رابعا : الوظائف الخاصة بخزينة الحرم النبوى :

أبقى العثمانيون فترة من الزمن على الوسيلة القديمة فى صرف مرتبات وهبات سكان الحرمين الشريفين ، إذ كان من المعتاد قيام المحمل المصرى فى العصر المملوكى بصرف المرتبات السنوية فى موسم الحج ، ثم أضاف العثمانيون بعد سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، مبالغ نقدية ترسل من الأستانة عن طريق الشام مع المحمل الشامى ، وتعرف بالصرة الرومية ، لاختصاص العاصمة العثمانية بإرسالها . وتقل فى مجملها عما ترسله مصر من النقود والحبوب(١) .

أما توزيعها فيتم بعد تسلم حكام المدينة للمبالغ النقدية ، المخصصة لأهل الوظائف، من أمراء الركبين فوق دكة الأغوات بموجب سجلات رسمية(٢) . وتسلم الهبات والصدقات المخصصة لبعض سكان المدينة ، من غير الموظفين الرسيين من قبل أمراء الركبين مباشرة . وتخزن الحبوب بعد وصولها عن طريق البحر الأحمر فى شونة ينبع(٣) ، ثم تنقل بالجمال إلى مخازن الوكالة السلطانية فى المدينة المنورة، حيث يقوم قاضى المدينة وشيخ الحرم النبوى، بمساعدة بعض الكتبة بالإشراف على توزيعها ، فيعطى لكل شخص ثلاثة أمداد مدنية فى الشهر ، عند وصول المخصصات كاملة ، ومد ونصف عند حدوث قحط أو نحوه(٤) . ولأسباب عديدة فقد حرصت الدولة فى حدود سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م ، على إرسال شخص برتبة عالية لتحقيق العدالة عند توزيع الحبوب المذكورة(٥) ؛ ووضع حد لأعمال الغش التى حذر منها محمد كبريت الحسينى فى حدود سنة ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م(٦) .

---

(١) وثيقة تركية تعود إلى سنة ١٢١٤ ، ١٢١٥هـ مترجمة فى الدارة ومسجلة برقم ١/ ٢ ـ ٥ فقرة ١٠ .

(٢) محمد كبريت الحسينى : المصدر السابق ، ص ١٥١ ، ١٦٩ .

(٣) كان السلطان مراد الثالث أول من استحدث بناء المخزن المذكور فى أول سلطنته انظر القطبى : المصدر السابق ، ص ٤٣٢ .

(٤) محمد كبريت الحسينى ، المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٥) وثيقة رقم ١٣٨ فى ١٩ ذى الحجة سنة ١٢٥١ هـ دفتر ٤ عابدين / محافظ الحجاز .

(٦) المصدر السابق ، ص ٦١ وما بعدها .

وبما أن منشأ الخزينة المذكورة غير محدد في المصادر التي اطلعت عليها، فإن الأغلب على الظن بأن المبلغ الذى خصصه السلطان سليمان القانونى فى حدود سنة ١٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، لاقراض المحتاجين من موظفى المدينة[١] ، كان بمثابة حجر الأساس فى إنشاء الخزينة المذكورة . فلا بد لهذا المبلغ المقدر بألفين وخمسمائة دينار ، من أمين وسجلات رسمية تبين المبالغ المقترضة وموعد سدادها وأسماء مقترضيها ونحو ذلك من المعلومات اللازمة . ثم دعت الحاجة إلى التوسع فى إنشاء الخزينة المذكورة ، عند إيداع المبالغ اللازمة للصرف على الترميمات والتجديدات المتعددة فى الحرم الشريف ، قبل عمارة السلطان عبد المجيد ، لا سيما بعد الأخذ بنظام المقايسة المبنى على رصد المبالغ اللازمة لكل مشروع قبل البدء فيه[٢] . وفى الوثائق العثمانية ما يشير إلى وجود أمين لهذه الخزينة فى حدود سة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م وما بعدها[٣] . إلا أن دفع المرتبات ظل مرتبطا بمجىء وقت الحج ، الأمر الذى الجأ بعض موظفى الحرم النبوى، إلى مخالفة قانون الوظائف والتنازل عن مخصصاتهم السنوية لبعض التجار فى مصر والمدينة المنورة، فى أوقات مختلفة من العام، نظير مبالغ عينية أو نقدية معجلة ،كما حدث فى سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م ، ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م[٤] .

ويبدو أن هذا وما شاكله من أنواع الخلل الإدارى فى المدينة المنورة، كان وراء الدوافع التى حدت بالسلطان محمود الثانى، فى إجراء بعض الإصلاحات على نظام الخزينة . فتقرر أن تسلم المرتبات فى نهاية كل شهر ، بدءا من أول سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م ، إلا أن صعوبة توفر النقد الكافى ، عاد بالخزينة إلى سابق عهدها فى أواخر سنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م[٥] .

(١ ، ٢) انظر أعلاه ص ١٨ ، ٢٣ ، ٩٨ .

(٣) وثيقة تركية مؤرخة فى ٢٥ ربيع الأول سنة ١٢٠٨هـ مترجمة فى الدارة تحت رقم ١/ ٢ ـ ١ ، ووثيقة رقم ٤٩٥٧ فى سنة ١٢١٢هـ مسجلة ومترجمة فى الدارة برقم ٢/ ٨ ـ ٣ ، ووثيقة رقم ١٩١ فى ١٥ شعبان ١٢٣٦ هـ دفتر رقم ٧ معية تركى / محافظ الحجاز القاهرة .

(٤) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ١٩٠ ، وانظر مقدمة ليلى عبد اللطيف لكتاب حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امرة الحاج ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) وثيقة رقم ١٥١ حمراء فى ٢٥ رجب سنة ١٢٥٤هـ محفظة رقم ٢٦٣ عابدين تركى / محافظ الحجاز .

ومهما يكن من أمر ، فمن المفيد بعد هذا العرض السريع لنشأة الخزينة وتطورها ، التعرف على نوع الإدارة القائمة بأمور الخزينة فى حدود سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، إذ جاء ما يفيد بأن لها مبنى فسيحا بالقرب من باب الرحمة ، كان يعرف آنذاك بالمديرية أو دائرة الخزينة الجليلة النبوية[1] . ويقوم بالعمل فيها عدد من الكتاب والمأمورين[2] ، ولمديرها الحق فى الإشراف مع شيخ الحرم النبوى على حفظ بعض تحف المسجد[3]، فضلا عن إشرافه على بئر أريس المشهورة[4]، وفيما يلى بيان بتسلسل جهازها الإدارى ، كما جاء فى التقرير السنوى لولاية الحجاز سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م[5].

أولا : الإدارة (المديرية)

١ ـ مدير الخزينة النبوية (الروزنامجى) :

طاهر بك برتبة متمايز ، ووسام مجيدى من الدرجة الثالثة .

٢ ـ المميز :

عبد الجليل أفندى ـ برتبة ثالثة .

٣ ـ مقيدو المصروفات :

١ ـ نافع أفندى ـ برتبة ثالثة .
٢ ـ نشأت أفندى ـ برتبة رابعة .
٣ ـ عارف أفندى ـ برتبة رابعة .
٤ ـ فائق أفندى ـ بدون .
٥ ـ مصطفى أفندى ـ بدون

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٥١ .
(٢) زينى دحلان : المصدر السابق ، ص ١٧٤ .
(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٢ .
(٤) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٩٨ .
(٥) حجاز ولاية سالنامة (التقرير السنوى لولاية الحجاز) لعام ١٣٠٣هـ ص ٩٠ وما بعدها .

٤ ـ مقيد الواردات :

١ ـ عبد الرحمن أفندى ـ برتبة ثالثة ووسام عثمانى من الدرجة الرابعة.

٥ ـ مقيد الأوامر :

١ ـ راشد أفندى برتبة رابعة . فقط

٦ ـ كاتب القضاء :

١ ـ على رياض أفندى .

٧ ـ كاتب الجراية :

١ ـ أمين أفندى .

٢ ـ ممتاز أفندى .

٨ ـ كاتب المخزن :

١ ـ حسين مراد أفندى .

٩ ـ كاتب التركة :

١ ـ شكرى أفندى .

ثانيا : تحريرات المديرية :

١ ـ رئيس الكتاب : ١ ـ صدق أفندى ـ برتبة متمايز ، ووسام من الدرجة الرابعة ، ومجيدى من الدرجة الثالثة ـ

٢ ـ المبيض : ١ ـ أشرف أفندى برتبة ثانية

٢ ـ مقصود أفندى بدون

٣ ـ نجيب أفندى بدون

ثالثا : ميزان المديرية :

١ ـ أمين الصندوق : ١ ـ إسماعيل أفندى وسام مجيدى من الدرجة الرابعة .

٢ ـ الكاتب : ١ ـ درويش أفندى .

٣ ـ أمين السجلات : ١ ـ حسين أفندى .



الفصل الثانى

الوظائف الدينية



الفصل الثانى : الوظائف الدينية

لا يتناسب مطلقا عدد الأشخاص المكلفين بمهام الوظائف الدينية فى الحرم النبوى الشريف طوال العصر العثمانى، مع نوع الوظائف المحصورة فى الإمامة والخطابة والأذان وما يتبعها من الوظائف المستحدثة ، وليس من تفسير لتجزئة هذا النوع من الوظائف المحدودة، بين عدد كبير من سكان المدينة المنورة إلا رغبة الدولة العثمانية ،فى الإبقاء على النظام المعمول به من قبل فى المسجد النبوى الشريف ، وإيجاد مصادر رزق ثابتة تكفيهم العوز والمؤنة، وتضمن قيامهم بإخلاص فى أداء وظائفهم المتعلقة بأداء الشعائر الدينية المقدسة .

ولولا الأثر السيء الذى أحدثه نظام توريث الوظائف، فى العصر العثمانى لأكثر من شخص، نظير دفع ما يعرف بمحلول الوظيفة [١]. لعد هذا الأمر بمثابة حلول عملية، لتمكين الأئمة والخطباء من أداء الرسالة المنوطة بهم . إلا أن من أبرز مساوئ هذا النظام حرمان أهل الكفاءات العالية، من تقديم ما لديهم من خبرات ومواهب ، بسبب الاحتكار المفروض على الوظائف المذكورة[٢] . وتوزيع مرتب الوظيفة الواحدة بين عدد من الورثة ، لقاء قيامهم بالتناوب فى أداء المهام المنوطة بمتوليها الأساسى ، ولا يخفى ما لهذا النظام من أثر فى تقاعس الورثة عن أداء واجباتهم، التى يمكن اعتبارها فى ذلك الوقت أهم وسيلة لتثقيف الأغلبية العظمى من المسلمين وتبصيرهم بأمور دينهم . وفيما يلى عرض لوظائف المسجد الدينية وطريقة الإشراف الإدارى على كل منها :

---

(١) محلول الوظيفة : من الاصطلاحات الشائعة فى العصر العثمانى وتعنى حصة الالتزام المفروضة على ورثة المتوفى نظير السماح لهم بالعودة إلى ممارسة الوظيفة . انظر : شفيق غربال : مصر عند مفترق الطرق (شرح مقالة حسين الرزنامجى) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد ٤ جـ ١ ص ٤٩ .

(٢) انظر ملخص رحلتى ابن عبد السلام الدرعى لحمد الجاسر ، الطبعة الأولى الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ١٥٥ .

أولا : الإمامة :

ويقوم بها في هذا العصر عدد من الأئمة المختلفين في القلة والكثرة من مذهب لآخر ، إلا أن المذهب الرسمى للدولة يحظى كما هى العادة بأوفر نصيب من عددها ، فمن المعروف انتشار المذهب الشافعى بين سكان المدينة المنورة إلى جانب المذهب المالكى، بعد أن سعى سلاطين المماليك في أواخر القرن السابع الهجرى، إلى الحد من سلطة المذهب الشيعى ،وتمكين أتباع المذهب الرسمى للدولة المملوكية من أهم الوظائف الدينية فى الحرم النبوى الشريف(١) . ونتيجة لهذا الاتجاه حرص بعض الأمراء المماليك من أتباع المذهب الحنفى، فى حدود سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م على استحداث محراب ثالث فى مؤخرة الجانب الغربى من الروضة المطهرة(٢) ، الأمر الذى حدا بالدولة العثمانية فى عهد السلطان سليمان القانونى، إلى نقل المحراب المذكور إلى موضعه الحالى، بمحاذاة المحراب النبوى وتسميته بالمحراب السليمانى(٣) . ثم اتباع ذلك بتدعيم المذهب الرسمى للدولة العثمانية، فجعلت وظيفة القضاء الرسمى فى المدينة المنورة فى أتباع المذهب الحنفى(٤) ، وأشركت فى وظائف الحرم النبوى الشريف عدد كبير من الأئمة والخطباء الأحناف (٥) .

ومن هذا العرض السريع، يتبين أن أتباع المذاهب الثلاثة (المالكى والشافعى والحنفى) قاموا طوال العصر العثمانى بأداء شعائر العبادة فى الحرم الشريف فى ثلاث جماعات ، فيصلى إمام الأحناف بأتباع مذهبه فى المحراب النبوى خمسة فروض ، تبدأ من صلاة الظهر وتنتهى بصلاة الصبح فى اليوم التالى ، ثم يعود بعد ذلك إلى المحراب السليمانى لأداء فروض اليوم التالى حيث يقوم الشوافع فى نفس

---

(١) شمس الدين السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ص ٥٢ ـ ٥٤ .

(٢) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٨٣ .

(٣) انظر أعلاه ص ٢٩ .

(٤) كان يساعد هذا القاضى أربعة مفتين من أتباع المذاهب التالية (الشافعى ، الحنفى ، المالكى ، الحنبلى) انظر عبد السلام هاشم : المرجع السابق ، ص ١٠٣ وما بعدها .

(٥) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٢ .

اليوم بأداء الفروض المذكورة فى المحراب النبوى[١] .

أما أتباع المذهب المالكى، فقد انفردوا بالصلاة فى المحراب العثمانى معظم أيام السنة ، ما عدا أيام المواسم فينتقل فيها أئمة الأحناف إلى الصلاة فيه ، لكثرة الوافدين من أتباع مذهبهم[٢] ويعود أئمة المالكية إلى المحراب السليمانى ، بينما يبقى الشوافع ملازمون للصلاة فى المحراب النبوى حتى ينتهى الموسم[٣] ، ثم يعود كل إلى مكانه.

هذا عن طريقة تنظيم صلاة الأئمة فى المحاريب الثلاثة ، أما وقت صلاة كل منهم ، فقد أشارت بعض مصادر القرن الثانى عشر الهجرى، إلى احتفاظ الشوافع بتقديم إمامهم فى جميع الفروض ما عدا صلاة المغرب ، فيتقدم إمام الأحناف لكراهية تأخر المغرب عندهم ، ثم يتبعه المالكى[٤]، وقد ظل هذا الأمر مرعيا حتى قيام محمد على باشا ، بالسعى لدى السلطان محمود الثانى فى حدود سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م، فى أتباع المذهب الحنفى ، فقدموا على الشوافع فى جميع الأوقات إلا صلاة الصبح[٥] ، « فالأول جماعة الشافعى ثم المالكى ثم الحنفى بإقامة مخصوصة »[٦]. ويتجلى هذا الاختلاف بين أتباع المذاهب المذكورة أوضح ما يكون ، فى أداء صلاة التراويح حيث تقام بعد انتهاء أئمة المذاهب الأربعة من أداء صلاة العشاء[٧] ، فى أكثر من خمسين جماعة ،تتوزع فى أنحاء مختلفة من

---

(١) النابلسى : المصدر السابق : جـ ٣ ص ٩٦ .

(٢) أولياء جلبى : المصدر السابق ، ص ٦٥ ، أحمد بشكارى زادة : المصدر السابق ، ص ٦ .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٩ ـ ٥٠ ، وقد ذكر على بن موسى فى المصدر السابق ص ٧٣ أن المالكية والشوافع يتناوبون فى المحرابين مما يدل على أن الأمر قد تغير فى أواخر العصر العثمانى عما أدركه البرزنجى .

(٤) الورثلانى : المصدر السابق ، ص ٥٠٩ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٥) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٩ ، إبراهيم رفعت ، جـ ١ ص ٤٧٠ ، وقد ذكر الورثلانى فى المصدر السابق ، ص ٥٠٩ أن الأحناف يؤخرون صلاة الصبح حتى يقترب وقت الإشراق .

(٦) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٧) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٣ وما بعدها

أروقة الحرم الشريف[١]. حتى جاء ما يفيد بقيام بعض الأسر بأداء الصلاة منفردة خلف إمام مخصوص[٢]، الأمر الذى أفقد الجماعة مزية الخشوع والانتظام، إلا أن مما يشفع لهذا التعدد من الجماعات، حرص بعض الجماعات على تقديم الابن الذى أتم حفظ كتاب الله، للصلاة بهم فى جماعة صغيرة يحضرها معلمه، للتأكد من قدرته على اتمام الحفظ والتجويد فى المدة المذكورة[٣]. وقد ساعد على هذا التعدد تأكيد بعض المصادر العثمانية المتأخرة، على أن الدولة العثمانية كانت تقوم فى نهاية شهر رمضان بدفع مكافآت مغرية، لجميع المشاركين من الأئمة المذكورين[٤].

أما صلاة العيدين فتنقسم فيها الجماعات المذكورة إلى جماعتين كبيرتين، إحداهما للأحناف والأخرى للشوافع[٥]. هذا من حيث تنظيم الجماعات فى الحرم النبوى الشريف خلال شهر الصوم والأيام العادية، ويتضح منها تميز الأحناف عن بقية المذاهب الأخرى. كما يلاحظ وجود زيادة ملحوظة فى عدد الأئمة الأحناف فى سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م، حيث ارتفع عددهم حوالى خمسة وعشرين إماما، بينما انخفض عدد أئمة الشوافع إلى حوالى اثنى عشر إماما[٦]، ويتأكد هذا التحول بمطالعة الجدول رقم (٥٩)، فقد ثبت فيه العدد المخصص لائمة الأحناف والشوافع، بينما انعدمت وظائف المالكية والأحناف، بالإضافة إلى تغير ملحوظ فى عدد المساعدين للأئمة، مما يدعو إلى الاعتقاد بأن منشأ هذا التغير فى عدد المساعدين، ناجم عن تساهل نظام الوظائف فى العصر العثمانى فى قيام

---

(١) على بن موسى: المصدر نفسه، ص ٧٣، إبراهيم رفعت: المصدر السابق، جـ ١ ص ٤٤٤، البتونى: المصدر السابق، ص ٢٦١.

(٢) عطية محمد سالم: التراويح أكثر من ألف عام فى مسجد النبى عليه السلام، الطبعة الثانية، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ص ٩٣ ـ ٩٧.

(٣) عطية محمد سالم: المرجع السابق، ص ٩٣ ـ ٩٧.

(٤) إبراهيم رفعت: المصدر السابق، جـ ١ ص ٢٤٤.

(٥) البتنونى: المصدر السابق، ص ٢٦١.

(٦) أحمد بشكارى: المصدر السابق، ص ٦

الورثة باقتسام مرتب متوليها ، وتناوبهم في القيام بدوره في الخطابة[١]. إلا أن عجز بعضهم عن أداء مهام الوظيفة لصغر أو نحوه ، يجعل من الضرورى إلحاقهم كمساعدين أوليين أو ثانويين لبقية الأئمة .

ورغم ما فى هذا النظام من مساوئ إدارية ، إلا أنه انفرد بحفظ حق الأسر فى الحياة بعد موت المسئولين عنها أو غيابهم ، فقد نصت بعض الوثائق المؤرخة سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م، على التزام الدولة بصرف مرتب الموظفين الغائبين عن المدينة، شريطة بقاء أسرهم فى المدينة ، مع التأكيد على حقهم فى الحصول على وظائفهم عند العودة إلى المدينة المنورة[٢]، مع هذا فإن الحاجة ألجأت بعض الأئمة إلى بيع وظائفهم[٣]، أو التنازل بها أو بجزء منها لأحد الأقارب[٤]، أو الإنابة لعذر قاهر كالسفر أو المرض[٥]، ويتطلب مثل هذا النوع من الإجراء فيما يبدو إلى موافقة نقيب الأئمة أو علمه على الأقل بما تم .

نقيب الأئمة :

اقتصرت رئاسة الأئمة فى الحرم النبوى الشريف طوال العصر العثمانى، على

(١) العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٨٨ ، البتنونى : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ، وقال عبد الرحمن الأنصارى فى المصدر السابق ، ص ١٠١ عند ترجمته لأحد أعيان المدينة فى حدود سنة ١١٨٢ هـ أن له نصف وظيفة الامامة ، كما جاء فى ص ١٦٨ ، ٤٥٥ ما يفيد بتوريث الإمامة وصدر أمر سلطانى فى سنة ١١٦٩ هـ، بانتقال الوظيفة إلى ابن العم إذا لم يكن للمتوفى وريث شرعى أقرب منه .

كما ورد فى هذا المعنى عدة وثائق ، انظر مثلا الوثيقة رقم ٢٥٧ سنة ١٢٤١هـ دفتر ٢٢ معية تركى محافظ الحجاز / القاهرة ، وثيقة رقم ٣٥٤ فى ٢٠ ذى الحجة سنة ١٢٥٣هـ دفتر ٢٦١ عابدين / محافظ الحجاز ، القاهرة .

(٢) وثيقة رقم ٢٤٥ فى ٢٩ رجب ١٢٥١هـ دفتر ٦٧ معية تركى / محافظ الحجاز .

(٣) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، ٢٥٥ ، ٣٧٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ ، ٣٣٦ .

(٥) العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٩٠ ، عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٦٦ ، ٢٨٩ ، ٣١٤ ، ٣٦١ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ .

نقيب واحد[١] ، فلم يرد فى المصادر التى اطلعت عليها مسمى آخر لهذه الوظيفة أو بيان واضح لما يقوم به من أعمال ، إلا أن فى اجماع المصادر على ذكر شيخ لطائفة الأئمة، ما يفيد بوجود روابط قوية بين الوظيفتين ، فقد تبين من الوظائف الإدارية بأن نقيب الحرم أقل مرتبة من شيخه. ولذا فلابد لنقيب الأئمة من مراجعة شيخ الخطباء عند حدوث طارئ يستدعي اطلاعه عليه ،كالتعيينات الجديدة أو الإنابة ، ويؤيد ذلك أن كثير من الأئمة حازوا إلى جانب حصتهم من الإمامة، على وظيفة واحدة أو أكثر، من وظائف الخطابة والفراشة والتدريس[٢] .

ثانيا : الخطابة :

وهى الوظائف الخاصة بصلاة الجمعة ، وتقارب عدد وظائف الإمامة إلا أن الأحناف يحظون أيضا بمعظمها كما يتبين من الجدول (٥٩) . وتتميز هذه الوظائف بعدم التداخل فى أدائها بين أتباع المذاهب الأربعة ، لأدائها فى جماعة واحدة، خلف من تحين عليه النوبة من الخطباء بغض النظر عن مذهبه[٣] . وكان يرجى لو طبق هذا العمل فى أداء جميع الفروض، لعاد الأمر إلى ما كان عليه فى فجر الإسلام وصدره .

ويؤخذ من تأكيد بعض المصادر على اقتصار بعض الأئمة على وظيفة واحدة[٤] ، استقلال وظائف الخطابة فى بادئ الأمر عن وظائف الإمامة ، إلا أن بعض الوجهاء والمقتدرين من سكان المدينة، قاموا أكثر من مرة بالجمع بين الإمامة والخطابة[٥] كما استطاع البعض الآخر، تولى عدة مناصب من وظائف الخطابة

---

(١) محمد أمين المكى : المصدر السابق ، ص ٥٥ ، أيوب صبرى : المصدر السابق جـ ١ ص ٩١ .
(٢) انظر أعلاه ص ٤٢٢ وأدناه ص ٤٤٦ ، ٤٦٢ .
(٣) العياشي : المصدر السابق ، ص ١٨٨ ، حمد الجاسر : ملخص رحلتى ابن عبد السلام الدرعى : ص ١٥٥ .
(٤) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ١٩ ، ٤٩ ، ٢٧٣ .
(٥) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٢٨ ، عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ١٧ ، ١٠٠ ، ٢٥٥ .

بطريق الشراء أو البذل أو البرطلة[١]. الأمر الذى يفسر قول العياشى فى حدود سنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م، « بأن منهم من تدور نوبته فى كل شهر مرة ومنهم من لا تصل إليه النوبة إلا مرة فى السنة، ومنهم بين ذلك »[٢].

ومهما يكن الأمر ، فقد وجد من تولى نصف وظيفة الخطابة فى حدود سنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م[٣]، مما يعنى الأخذ بنظام توريث الخطابة أيضا فى وقت مبكر من العصر العثمانى أو التنازل عنها[٤]، أو السماح لمن أراد أن يشارك فيها دون مرتب، شريطة أن يكون ذا علم وفصاحة مؤثرة[٥].

أما المرتب السنوى للوظيفة الواحدة من الإمامة أو الخطابة ،فيقارب ألف وخمسمائة قرش فى السنة ، كما جاء فى إحدى الوثائق المؤرخة سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م[٦]، وهو نفس المبلغ الذى ذكره بيرتون سنة ١٣٦٨هـ/ ١٨٥١م[٧]، مما يدل على عدم حدوث تغير ملحوظ، فى معدل الرواتب لأكثر من ربع قرن من الزمن، وكانوا يلزمون بالظهور فى زى موحد (لوحة رقم ٥٧)، والإرتكاز على عصا خاصة بخطيب المسجد النبوى (لوحة رقم ٥٦) .

شيخ الخطباء :

ويعنى بالإشراف على الأئمة والخطباء فى آن واحد[٨]، ولم أجد فى المصادر والوثائق التى اطلعت عليها، ما يبرر اختصاصه بهذا المنصب ، إلا أن تراجم بعض هؤلاء الشيوخ، أفادت بحصوله على منصب الإمامة والخطابة ، قبل وصوله إلى مشيخة الأئمة[٩] مما يؤكد تمرسه فى هذا العمل لفترة طويلة، حتى صار عامل

(١ ، ٢) العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٨٨ .

(٣ ، ٤ ، ٥) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠٠ .

(٦) وثيقة رقم ٦٢٩ فى ١٦ شوال سنة ١٢٣٧هـ دفتر رقم ٩ معية تركى / محافظ الحجاز / القاهرة .

(٧) Burton : op. cit., vol, 2. p. 278 .

(٨) انظر أعلاه ص ٤١٢ .

(٩) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٣٠٢ .

السن والخبرة بمثابة بمثابة الموجه الأول لأفراد طائفته . ولا بد من حصوله إلى جانب ذلك على مميزات مالية لم أقف على تفصيل واف لها ، إلا أن مرتبه لابد أن يزيد عن مرتب أى من الأئمة أو الخطباء(٥) ، أما الرتب والأوسمة المعتاد منحها له، ففى التقرير السنوى لولاية الحجاز سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، حصول متوليها فى تلك السنة على لقب الصدر الأعظم بوسام مجيدى من الدرجة الأولى(٢) ، وكذلك متوليها سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م(٣).

أما الكسوة المخصصة له فى كل عام ، فكانت فى حدود سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م من فرو السمور(٤) ، المشابهة تماما لكسوة شيخ الحرم النبوى وسائر الباشاوات .

ثالثا : الوظائف الملازمة للإمامة والخطابة :

اهتم العثمانيون بالوظائف المتعلقة بالإمامة والخطابة فى المسجد النبوى الشريف، كالمجمر والمرقى والمبلغ وحامل العلم وفارش سجادة المحراب النبوى، وليس لمعظم هذه الوظائف صفة دينية ، إلا أن قدم بعضها حتم على العثمانيين إبقائها ، ففى بعض المصادر المملوكية ما يفيد بقيام المرقى والمبلغ بمساعدة الخطيب فى الوصول إلى المنبر الشريف لأسباب أمنية ، والتقديم لمجيئه ببعض الأدعية المختارة(٥) ، وقد أقر العثمانيون هذا الإجراء كما فعلوا بمعظم الوظائف القديمة ، وأضافوا لها بعض الوظائف المساعدة ، وفى عرض ما توفر عنها من معلومات ما يفيد فى بيان دور كل منها وأسباب حدوثها .

١ - المجمّر :

وهو الشخص المكلف بتبخير المسجد بالعود والند أيام الجمع(٦) ، واختصاص

---

(١) انظر أعلاه ص ٤١٣ .

(٢، ٣) سالنامة بالعربى سنة ١٣٠٣هـ ص ٩٢ . وما بعدها .

(٤) إبراهيم رفعت المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٣٣ .

(٥) انظر أدناه ص ٤١٦ .

(٦) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٧٩ .

الحجرة الشريفة كل يوم بنصيب وافر من البخور المذكور ، مع إضافة المزيد من دهن العود وماء الورد(٥) ، وتعود هذه الوظيفة إلى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، الأمر الذى أدى بالعثمانيون فيما يبدو إلى إبقائها والمبالغة فى رفع مرتبها . حتى قيل أن المخصص لمتوليها خمسمائة قرش فى كل شهر(٢) ، وهو مبلغ كبير جدا إذا قيس بمعدل مرتبات الأئمة والخطباء أو غيرهم من موظفى الحرم الشريف . إلا أن ذلك مبنى كما يبدو على طبيعة عمله المضنى، خاصة فيما يتعلق بإعداد الفحم وتهيئته لإحراق البخور فى الأوقات المذكورة أعلاه، بالإضافة إلى تكليفه بحفظ العود وماء الورد، المرسل فى كل سنة من الإستانة والشام وجدة(٣) . بالإضافة إلى أنه من المحتمل أن يكون جزء من هذا المبلغ ، من حصيلة الأحباس المرصدة فى الاستانة سنة ١٢٣٥هـ(٤) ، لهذا الغرض .

٢ ـ المرقى :

ويعنى بتذكير الخطيب بموعد وقت الخطبة ، فقد جرت العادة من بداية العصر المملوكى على جلوس الخطيب عند باب المنارة الرئيسية ، حتى يحين موعد إلقاء الخطبة(٥) ، فيقف المرقى حينئذ أمام المواجهة الشريفة، ويقرأ بصوت جهورى الآيات الواردة فى حق المصطفى عليه الصلاة والسلام(٦) ، ويختمها بقراءة الفاتحة

---

(١) أحمد زينى دحلان : المصدر السابق ، ص ١٦٤ على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٥.

(٢) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٨٨ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٧٩ .

(٣) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٤) وثيقة رقم ٣٢ سنة ١٢٣٥هـ محفظة رقم ٧ بحرير / محافظ الحجاز القاهرة .

(٥) النابلسى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٩٦ ، البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٦) ذكر النابلسى فى رحلته ١١٠٦هـ جـ ٣ ص ٩٦ أن الآيات التى تقرأ فى زمه هى :

« أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ... الآية » « بسم الله الرحمن الرحيم . لهم ما يشاؤن عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون . بسم الله الرحمن الرحيم . سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . بسم الله الرحمن الرحيم . أنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله متا تقدم من ذنبك ما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما. وينصرك الله نصرا=

فيقوم بعدها الإمام بالوقوف أمام المواجهة الشريفة، حتى يفرغ المرقى من قراءة قوله تعالى « إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »[(١)(٢)] ، ثم يتجه الإمام مع المرقى وشخص آخر متمنطق بالسيف بقصد إفساح الطريق بين الصفوف[(٣)]، حتى يتمكن الخطيب من صعود المنبر . ويمكن إرجاع السبب فى استحداث وظيفة المرقى فى بداية الأمر إلى وجود المنبر وسط المسجد وصعوبة الوصول إليه دون مساعدة ، لاسيما أيام المواسم الكبيرة . كما يمكن أن يضاف إلى ما تقدم وجود دوافع أمنية، لاستحكام العداء فى بداية العصر المملوكى عند استحداث وظيفة المرقى بين خطيب المسجد النبوى وأتباع المذهب الشيعى ، اثر إرغامهم على ترك وظيفة الخطابة للقضاة من أهل السنة[(٤)] سنة ٦٨٢هـ.

= عزيزا . بسم الله الرحمن الرحيم . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . ثم يقرأ الفاتحة ويقوم الخطيب فيقول المرقى : « إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلما تسليماً » .
وليس من الآيات السابقة ما يتعلق بأبى بكر وعمر رضى الله عنهما كما يذكر على بن موسى فى المصدر السابق ، ص ٧٦ مما يدل على حدوث تغيير فى قراءة الآيات المذكرة فى حدد سنة ١٣٠٣ هـ .
أما مصطفى الراعى فقد أورد فى رحلته إلى الأرض المقدسة سنة ١٣٤٩هـ ص ١٧٨ بعض الآيات التى سمعها فى أواخر العصر العثمانى ومنها قوله تعالى : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار . سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . الذين آمنوا وعملا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » .

(١) سورة الأحزاب ، آية رقم ٥٦ .

(٢) النابلسى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٩٦ وما بعدها .

(٣) قال درويش أحمد بشكارى زادة فى المصدر السابق ، ص ٨ فى وصفه للمسجد الشريف سنة ١٢٠٦ هـ أن المتقدم للامام يدعى الشورباجى وبيده عصا وأما الآخر فيمشى وراء الإمام ويدعى المنبرجى وبيده سيف ، وقد أشار البتنونى إلى ذلك النوع من البروتوكول فى حدود سنة ١٣٢٨هـ دون أن يذكر العصا أو السيف فلعل ذلك قد اختفى فى زمانه . انظر الرحلة الحجازية ، ص ٢٤٠ وما بعدها.

(٤) ذكر ابن فرحون فى نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، مخطوط بمكتبة الحرم المكى رقم ٥١ تاريخ ص٢٠٧ ما يلى: « فلما قرر القاضى سراج الدين بالمدينة خطيبا عملوا معه من القبائح والأذى =

٣ - البيرقدار ، السنجقدار ، حامل العلم[١]:

وهو شخص من الأغوات[٢] ، خصص فى العصر العثمانى لفرش درج المنبر وتعليق الستارة على بابه ، ونشر العلمين اللذين اعتاد العثمانيون تعليقهما على جانبى المنبر أيام الجمع والمواسم[٣] . كما يقوم بعد نزول الإمام من المنبر، بإعادة نشر الستارة ثم طيها مع بقية أثاث المنبر وإعادته، بعد انتهاء الصلاة إلى الأغا المناوب على باب الحجرة الشريفة[٤] . لحفظها مع ستائر الأبواب داخل الحجرة الشريفة حتى يحين موعد استخدامها فى نهاية الأسبوع .

٤ - المبلغ :

ويعنى بنقل حركات الإمام فى الركوع والسجود وإنهاء الصلاة، إلى بقية المصلين فى الأماكن البعيدة عن الإمام، ويقوم بها أحد المؤذنين فى الأيام العادية من فوق المكبرية المجاورة للروضة المطهرة ، ويساعده فى أيام الجمع والاحتفالات مبلغ آخر من فوق المكبرية المجددة[٥] ، فى عمارة السلطان عبد المجيد بالقرب من صحن المسجد الشريف .

٥ - حامل سجادة إمام المحراب الشريف :

وتعود المعلومات المتوفرة عن هذه الوظيفة، إلى النصف الثانى من القرن الحادى

= ما لا يصبر عليه غيره فصبر واحتسب وأدركت من أذاهم له أنهم كانوا يرجمونه بالحصبا وهو يخطب على المنبر فلما كثر ذلك منهم تقدم الخدام وجلسوا بين يديه كذلك هو السبب فى إقامة صف الخدام يوم الجمعة قبالة الخطيب وخلفهم غلمانهم وعبيدهم خدمة وحماية للقضاة وتكثير القلة ونصر الشريعة . وانظر السخاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٢ وما بعدها .

(١) انظر عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ١١٢ حاشية رقم ١ .

(٢) أحمد بشكارى زادة : المصدر السابق ، ص ٨ .

(٣) انظـر أعلاه ص ٣١٤ وما بعدها .

(٤) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٥) سبق للسلطان مراد الرابع أن قام باستحداث المكبرية المذكورة بعد إكمال البلاطات التى زادها فى مؤخرة الرواق القبلى . انظر أعلاه ص ٥٠ ، ٥١ .

عشر الهجرى ، فقد وردت ضمن ترجمة أحد الأتراك الذين استوطنوا سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م[١] . ثم جاء فى الترجمة المذكورة ما يؤكد بقاء الوظيفة متوارثة بين أبنائه حتى زمن المؤلف المتوفى سنة ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م . كما أشار إليها أيوب صبرى فى حدود سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م[٢]، مما يدل على بقائها حتى نهاية العصر العثمانى ، إلا أن الدور المنوط بمتولى هذه الوظيفة غامض بعض الشيء . فلم يتوفر لدينا معلومات عن موعد فرش السجادة المذكورة، ولا موضع تخزينها بعد الانتهاء من الصلاة . وهل هذا خاص بصلاة الجمعة ؟، أم بالفروض كلها ؟، كما نفتقر إلى معرفة عطائه الشهرى أو السنوى .

رابعا : المؤذنون :

ويعرفون أحيانا بالرؤساء[٣] ، وقد نما عددهم فى بداية القرن الثالث عشر الهجرى نموا مضطردا ، فقد ذكرت بعض المصادر الخاصة بهذا العصر بأن عددهم فى سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م كان خمسة وثلاثين مؤذنا[٤] . ثم زاد فى حدود سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، إلى حوالى خمسين مؤذنا، وستة وعشرين مساعدا[٥] . ويعود السبب فى هذه الزيادة كما اعتقد إلى تجزئة الوظائف، فبإمعان النظر فيما جاء فى إحدى المصادر التركية، من اختصاص كل سبعة مؤذنين بواحدة من منارات المسجد

(١) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٩٨ ، ٤٥١ .

(٢) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٩٥ ، ٩٦ -

(٣) Burton : op. cit., vol. 2, p. 278 .

وانظر على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٤) أحمد بشكارى زادة : المصدر السابق ، ص ٦ .

(٥) تقرير حكومى عن المدينة المنورة ملحق بسالنامة بالعربى سنة ١٣٠٣هـ ص ١٨٠ ، ومحمد صادق بك ، دليل الحج ، ص ١١٦ ، كوكب الحج ص ٥١ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٥٩ ، البتنونى ، ص ٢٤٢ . وقد اقتصر أيوب صبرى فى المصدر السابق ، جـ ١ ص ٩١ على ذكر ٣٨ مؤذنا وشيخ واحد ، وخالفه على بن موسى فى المصدر السابق ، ص ٧٢ فقال إنهم حوالى مائة نفر بشيخ مخصوص ونقيب .

الخمس[١] . فإن العدد يقترب حينئذ من المذكور فى بعض المصادر التركية[٢] ، ويقترب أكثر مما ذكرته المصادر العربية ، بإضافة ستة رؤساء قال بيرتون إنهم يشرفون على المؤذنين ، ويعودون فى نظامهم إلى الرئيس الأعلى، الذى اختص برئاسة الآذان من فوق المنارة الرئيسية[٣] .

أما المكبرون ، فقد نصت بعض المصادر على أن لهم رئيسا ، يعرف بشيخ المحفل[٤] . وهو السادس بين الرؤساء المذكورين فى رحلة بيرتون ، ولا بد بأن له أعوانا لا يقلون عن المكلفين بالأذان من فوق كل منارة[٥] . وإجمالا لما ذكر فإن المسجد الشريف احتفظ فى حدود سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م بستة رؤساء يتبع كل واحد منهم سبعة مؤذنين ، فيكون المجموع بعد إضافة شيخ الرؤساء ونقيبهم[٦] حوالى خمسين مؤذنا . أما المساعدون فقد يكون عملهم بقصد التمرين، ليخلفوا أباءهم عند السفر أو حلول الأجل . وهو ما يسمح به قانون الوظائف فى العصر العثمانى .

هذا من حيث التوفيق بين اختلاف المصادر فى ذكر عدد المؤذنين ، أما مرتباتهم فيؤخذ من المعلومات التى جمعها بيرتون فى حدود سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م، بأن الدولة خصصت لكل شخص من الرؤساء حوالى مائة قرش فى الشهر الواحد ، أما المؤذنون فلكل واحد منهم ستون قرشا[٧] .

---

(١) انظر حرم شريفك أوصافى (أوصاف الحرم الشريف) لمجهول مخطوط بمكتبة جامعة إستانبول برقم ٦٧٠٦ تاريخ تركى لوحة رقم ٩ ب .

(٢) انظر حاشية رقم ٤ من الصفحة السابقة .

(٣) Burton : op. cit., vol, 2. p. w78 .

(٤) أحمد بشكارى زادة : المصدر السابق ، ص٩ ، على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٥) قال على بن موسى فى المصدر السابق ، ص ٧٢ بأن المكبرين سبعة ، وأن شيخ المحفل وخدمه المخزن الذى فيه لوازم المسجد عشرة .

(٦) انفرد على بن موسى فى المصدر السابق ، ص ٧٢ بذكر وظيفة النقيب وتبعه التقرير الرسمى الملحق بسالنامة بالعربى عن سنة ١٣٠٣ هـ ، ص ٩٢ .

(٧) Burton : op. cit., vol, 2. p. w78

أما طريقتهم فى الآذان فتعتمد على ترديد ما يقوله مؤذن المنارة الرئيسية[١] ، وكان الداعى إلى استخدام هذا النوع من الآذان فى بداية الأمر، الرغبة فى إبلاغ نداء الحق إلى جميع أطراف المدينة ، وقد ظل هذا التقليد متبعا فى الحرمين الشريفين حتى وقت قريب ، فأبطل لاعتبارات أهمها عدم الحاجة إلى هذا النوع من التكرار فى الآذان ، خاصة بعد تكفل مكبرات الصوت باسماع الآذان إلى جميع الأحياء المحيطة بالحرم النبوى الشريف .

١ ـ نقيب المؤذنين :

اقتصر ذكر هذه الوظيفة على بعض مصادر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى[٢] ، دون الإشارة إلى مميزاتها المالية ونوع الخدمات المنوطة بمتوليها ، إلا أن هذه الأعمال لن تخرج عن نطاق ما يقوم به بقية النقباء فى الحرم الشريف[٣] ، كتدوين أسماء المؤذنى وموعد قيامهم بحصصهم من الأذان ، ومعرفة المتأخرين منهم ، وتنفيذ ما يتقرر فى حقهم من عقوبات أدبية أو مالية .

٢ ـ شيخ المؤذنين :

تشير المعلومات المتوفرة عن مشيخة الرؤساء فى العصر العثمانى، إلى اختفاظ بعض المدنيين بمباشرتها عن طريق الوراثة من أسلافهم لأعوام عديدة[٤] . وانتقالها أيضا إلى أشخاص آخرين ، مع وجود بعض الأشخاص من نفس الأسر التى تولتها قبل ذلك على قيد الحياة[١] ، مما يوضح عدة أمور أهمها :

---

(١) عن طريقة الأذان : انظر العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٨٧ ، النابلسى المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٩٥ وما بعدها ، أحمد بشكارى زادة : المصدر السابق ص ٥ ، أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٦٣ ، ٩٥ .

(٢) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٢ ، التقرير السنوى لولاية الحجاز (سالنامة سنة ١٣٠٣هـ ص ٩٢).

(٣) انظر أعلاه ص ٣٨٥ ـ ٤١١

(٤) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٧٨

١ ـ عدم توفر الشروط المطلوبة فيهم ، كجودة الصوت أو إتقان علم الميقات .

٢ ـ عجزهم عن دفع محلول الوظيفة بعد موت متوليها الأساسى .

كما جاء فى بعض التراجم ما يفيد بقيام بعض الأحناف بمباشرتها فى حدود سنة ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م، إلى جانب الخطابة والإفتاء الحنفى[١] .

أما الأعمال المنوطة بشيخ المؤذنين ، فلا يعرف ما إذا كان له نوبة فى الأذان أم لا . إلا أن نقيب المؤذنين يقوم باطلاعه على مختلف الأمور المتعلقة بالمؤذنين، ويحصل بالطبع على موافقته عند إجراء أى تعديل أو تبديل فى نظام عملهم . هذا فضلا عن توليه حبس المذنبين منهم فى داره[٢] .

أما مرتبه فيفوق بالطبع مرتب مرؤسيه ، ويقدر بحوالى مائة وخمسين قرشا فى الشهر[٣] . هذا عدا ما يصله من الوظائف الأخرى أن قدر له توليها .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .

(٢) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٣) Burton : op. cit., vol, 2 , p. 278 .



الفصل الثالث

الوظائف العلمية



الفصل الثالث: الوظائف العلمية

أبقى العثمانيون على طرق التعليم القديمة فى إلقاء الدروس داخل أروقة الحرم النبوى الشريف، دون محاولة تحسينها أو تحديد برامج زمنية لها ، أو تخصيص مناهج علمية يتقيد بها المدرسون ويسيرون على نهجها ، فقد ظلت حلقات التدريس التى يعقدها بعض العلماء والفقهاء فى العصر العثمانى، فى أماكن مختلفة من أروقة المسجد النبوى الشريف؛ أهم وسيلة لتثقيف الناس فى الأمور الشرعية والعربية وما يتعلق بهما من علوم وفنون .

ويعود السبب فى بقاء التدريس مقصورا داخل الحرم النبوى الشريف على المعارف المذكورة ، إلى عدة أسباب منها :

١ - حب الناس وألفهم لهذا النوع من العطاء ، المتميز بالأصالة والإخلاص لرسالة المسجد الأولى فى الإسلام .

٢ - قصر الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ فى الحث على طلب العلم داخل مسجده الشريف على المعارف المذكورة[١]، وقد بلغ الأمر بأحد علماء المدينة إلى اعتبار عدم الاعتناء بعلوم الفلسفة والرياضة وكتب الكلام والجدل من محاسن المدينة[٢].

٣ - حرص الدولة على عدم إجراء تغيير مخالف لأنظمة الحرم القديمة ، وافتقار السلطة العليا لإدارة الحرم الشريف إلى قوة التأثير فى نقل نظم العاصمة وفنونها إلى المدينة المنورة .

---

(١) ذكر محمد كبريت فى المصدر السابق : ص ٤٧ ما يلى : قال رسول الله ﷺ « من دخل مسجدى يتعلم خيرا أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ، ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذى يرى ما يعجبه وهو لغيره » ثم أورد تفسير بعض العلماء لقول الرسول بأن ما بين حجرته ومنبره من رياض الجنة لأخذ الصحابة العلم عن رسول الله من هذا الموضوع واستدل بقوله عليه الصلاة والسلام « ان حلق الذكر من رياض الجنة » .

(٢) محمد كبريت : المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

٤ - قصر وظائف التدريس على بعض العلماء من سكان المدينة المنورة، جريا على العادة فى توريث الوظائف ، الأمر الذى حال دون مشاركة بعض المقتدرين من أبناء العالم الإسلامى فى هذا المجال[١] ، هذا فضلا عن استحواذ بعض المدرسين على وظائف جانبية فى الإمامة والخطابة والفراشة .

٥ - تأخر الدولة العثمانية فى الأخذ بوسائل التعليم الحديثة، حتى مجىء الإصلاح فى عهد السلطان محمود الثانى[٢] .

هذا من حيث الأسس والقواعد التى قام عليها نظام التعليم فى الحرم النبوى الشريف فى هذا العصر ، وبغض النظر عن مساوئ هذا النظام أو محاسنه، فلا بد من عرض المعلومات المتوفرة عن تعيين المدرسين والاشراف عليهم ونوع الدروس المقدمة فى كل فن ، مع الأخذ بعين الاعتبار حدوث تغيير طفيف فى نوع المواد التى أدخلت بعد إعلان الدستور سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م ، على بعض المكاتب الملحقة بالحرم النبوى الشريف .

أما وقت الدراسة فيمتد على مدار السنة، من بعد صلاة الصبح حتى وقت الضحى[٣] ، ومن بعد العصر حتى أذان العشاء[٤] ، فيما عدا أيام المواسم الممتدة من سبعة عشر ذى القعدة حتى نهاية شهر ذى الحجة ، وكذلك يومى الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع[٥] . ومن الجدير بالذكر إجماع بعض مصادر العصر العثمانى على توفر عدة طرق للدراسة والتذكير داخل أروقة الحرم النبوى الشريف ، وقد أمكن

---

(١) ذكر العياشى فى المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٥ ، خوف أحد علماء المالكية فى عهده من إقبال طلاب العلم عليه عندما بدأ يدرس بعض كتب المذهب المالكى داخل المسجد الشريف .

(٢) عن الإصلاحات المذكورة انظر : محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق ، ص ١٦٩ وما بعدها .

(٣) العياشى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٧٦ ، أحمد بشكارى زادة : المصدر السابق ، ص ٥ ، رفيع الدين المرابادى : الرحلة الحجازية ، تحقيق وترجمة يوسف حسين أحمد (تحت الطبع) ص ٥٩ ، أيوب صبرى : المصدر السابق جـ ١ ص ٩٠ .

(٤) العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٧٦ ، المرابادى : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٥) العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٨٩ .

استخلاصها وترتيبها على النحو التالى :

تعليم الأطفال ، الدروس المنظمة ، مجالس الوعظ والتذكير ، قراءة الكتب الموقوفة ، وفيما يلى عرض موجز لكل منها على حدة :

(١) تعليم الأطفال :

اعتاد أطفال المدينة دراسة حروف الهجاء، وحفظ القرآن الكريم، فى الكتاتيب المنشأة خارج أسوار الحرم الشريف، أو عند معلم الصبيان فى مؤخرة الرواق الشمالى[١] . وتفيد المعلومات المقدمة عن هذا العمل إلى أنها خارجة عن وظائف الحرم الرسمية، وأن بعض العلماء قام بتدريسها فى حدود سنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م، « دون مشارطة على أمر معلوم، فمن دفع له شيئا أخذه، ومن أبى لم يطالبه »[٢]، ويتأكد ذلك بما جاء فى تراجم بعض المحترفين لهذا العمل ، فى أواخر القرن الحادى عشر والثانى عشر الهجريين، وغالبيتهم من المجاورين[٣] . ويؤخذ من تأكيد المعلومات المذكورة على قيام بعض أبناء المعلمين، باحتراف العمل نفسه بعد وفاة آبائهم ثبات الدخل وقيامه بسد الحاجة[٤]؛ خاصة عندما يثق آباء الطلبة بالمعلم ويلمسوا نتائج جهده ومعرفته .

ومن الجدير بالذكر ، تسبب هذا النوع من الدراسة قبل عمارة السلطان عبد المجيد ، فى إحداث بعض الحرج لإدارة المسجد الشريف ، خاصة عندما يزداد عدد

---

(١) على حافظ : المرجع السابق ص ٤٨ .

(٢) العياشى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٦ .

(٣) عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٤٦ ، ٣٣١ ، ٣٦٧ ، ٣٩٣ .

(٤) نقل محمد عبد الرحمن الشامخ فى كتابه التعليم فى مكة والمدينة آخر العهد العثمانى الطبعة الثانية ، دار العلم ، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٩٥ ، ما ذكره أحد الرحالة الأوربيين عن الرسوم المطلوب دفعها عند دخول التلميذ فى أحد الكتاتيب المنشأة فى مكة وعند تخرجه منه فإنها تتراوح بين ربع دولار ودولارين وحوالى ربع بنس فى نهاية كل أسبوع ، ثم حوالى دولار أو ثلاثة دولارات عندما يختم الطالب نصف القرآن أو ثلثيه ، وحوالى ثلاثين دولارا عندما يتم حفظ القرآن كاملا . وانظر ص ٩٥ ـ ٩٦ ما حدده الكتاب المنشأ فى مكة سنة ١٣١٦هـ .

الطلاب ويحتاج الأمر إلى ترديد الآيات والسور الكريمة بصوت عال[١]. الأمر الذى حدا بالقائمين على أمر العمارة المذكورة ، إلى التفكير فى إيجاد بديل لموضع الدروس المذكورة ، فكان إنشاء المكاتب المجيدية بجوار الجدار الشمالى للمسجد الشريف ، محققا لبعض آمال وتطلعات أهل المدينة ، خاصة وقد تكفلت الدولة العثمانية ولأول مرة بتخصيص مرتبات لفقهاء المكاتب المذكورة[٢]؛ مما ساعد فى تخفيف العبء عن الآباء ومكن الفقراء من تعليم أبنائهم ، فقد زاد عدد الطلاب من حين لآخر ، حتى جاء ما يفيد بتعاقب أربعة عشر حصة للدراسة اليومية فى حدود سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م[٣] ، فى ثمانى غرف من المكاتب المجيدية .

أما طريقة تحفيظ القرآن الكريم داخل المكاتب المذكورة ، فقد سار على نفس النهج الذى كان عليه من قبل ، وهى طريقة وصفها البتنونى سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م ، بالتأخر وعدم مجاراة العصر ، وقال أيضا أن المنتظمين فيها لم يعنوا بحفظ القرآن كاملا[٤]. مما يدل على اقتصار التدريس فيها على معرفة التجويد وحفظ بعض الأجزاء والسور القصيرة .

(٢) الدروس المنظمة :

وهى الدروس المقامة داخل أروقة المسجد النبوى الشريف، على شكل حلقات مختلفة، لتدريس بعض العلوم الشرعية والعربية وما يتعلق بها من علوم، وتعود بعض وظائفها إلى ما قبل العصر العثمانى ، خاصة عندما فرضت الدولة المملوكية بعض الجوامك السخية لعدد من مدرسى الحرم الشريف[٥]، وقد أسهم بعض السلاطين الأول من آل عثمان ووزرائهم، بقسط وافر منها قبل انقضاء الدولة المملوكية بوقت

---

(١) محمد الأمين المكى : تجديد حرم محبوب يزدان ، ص ٥ .

(٢) أحمد زينى دحلان : المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

(٣) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧ ، ٥٢ .

(٤) الرحلة الحجازية : ص ٢٣٩ ، عبد القدوس الأنصارى : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٥) السخاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٠ ، ٦٤ ، ابن فرحون : المصدر السابق ، ص ٧٧.

طويل[١] . ثم أقرها أحفادهم عندما استولوا على الحرمين، وزادوا عليها بعض الوظائف الخاصة بتدريس المذهب الحنفي . وقد وصف أولياء جلبي هذه الدروس في حدود سنة ١٠٨٢ هـ، فقال أنها على « هيئة حلقات لأرباب العلم والعرفان»[٢]، مما يؤكد تقيدها بالنظام الأول للتعليم الإسلامي[٣].

وليس لهؤلاء المدرسين خصائص علمية مميزة عن بقية علماء المدينة، فقد جرى العرف بين علمائها على نبذ علوم الفلسفة والتنجيم والرياضة وعلم الكلام ، وقصر الاهتمام على العلوم الشرعية والعربية وما يتعلق بها[٤]. ولا غرو فمعظمهم من المشاركين في وظائف الخطابة والإمامة والفراشة[٥] بل جاء في تراجم بعضهم ما يؤكد حق المقتدر من الأقارب ،في القيام بالتدريس عند وفاة صاحب الوظيفة أو سفره[٦]، ولا يخفى ما لهذا العرف من أثر سيء على مستوى التحصيل الدراسي، خاصة عندما يترك الأمر دون تحديد بعض الضوابط التي توضح الشروط اللازم توفرها في المدرس . أما الدروس المقررة وطريقة عرضها فتشير المعلومات الواردة في تراجم بعض العلماء إلى قيامه في حدود سنة ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م، بالتدريس في معظم العلوم المألوفة « كالفقه والحديث والنحو والمنطق والمعاني والبيان والبديع »[٧] ويتأكد ذلك بقيام مدرس آخر بالتدريس في حدود سنة ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م، في جميع العلوم « من منطوق ومفهوم »[٨] ولابد لهذا النوع من المدرسين من تنظيم

---

(١) السخاوي : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٦٤ ، وانظر أعلاه ص ١٧ وما بعدها .

(٢) سياحتنامة سي جـ ١٣ ، ص ٦٧ .

(٣) أحمد شلبي : التربية الإسلامية نظمها وفلسفتها وتاريخها ، الطبعة السادسة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٨ ص ٤٩ وما بعدها .

(٤) انظر أعلاه ص ٤٢٥ .

(٥) عبد الرحمن الأنصاري : المصدر السابق ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٣٥ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٤٤٦ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٨٤ .

(٦) عبد الرحمن الأنصاري : المصدر السابق ، ص ٣٧٥ ، ٣٧٧ .

(٧) عبد الرحمن الأنصاري : المصدر نفسه ، ص ٣٣٥ .

(٨) عبد الرحمن الأنصاري : المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ ، ٣٦٤ .

حصص الدراسة ومواعيدها ، مما يفيد باستغناء طلابه عن متابعة الدروس المشابهة فى بقية حلقات المسجد ، ولكن هذا النوع من الدراسة نادر الوجود ، فقد وجد إلى جانب ذلك من قام بالتدريس فى فن معين كعلم الفقه[١] والحديث[٢] ، أو التفسير[٣] أو هما معا[٤] . ومن هذا يتضح أن الأمر كان مرهونا فيما يتعلق بإلقاء الدروس بمقدرة المدرس وأمانته .

أما فيما يتعلق بدروس الفقه وأحكام العبادات[٥] ، فقد خصص لكل مذهب من المذاهب الأربعة من يقوم بتدريسه وشرح الكتب المعتمدة فيه[٦] ، ولابد أن يكون لكل مفت دور فى الإشراف على أتباع مذهبه . ويمكن الوقوف بجلاء على نوع الدراسة اليومية فى الحرم النبوى الشريف فى حدود سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م، بناء على الملاحظات التى ذكرها أحد علماء الهند، فى رحلته إلى المدينة المنورة فى بداية تلك السنة لعدد من أبرز المدرسين فى الحرم الشريف ، فقد لاحظ قيام أحدهم بإلقاء دروس فى صحيحى البخارى ومسلم بعد صلاة الفجر فى حشد كبير من الناس ، كما يقوم بين العشاءين بتدريس شرح ابن حجر على أحاديث الأمام النووى ، كما ذكر قيام أحد علماء المالكية، بتدريس التفسير وصحيح البخارى وبعض كتب الفقه المالكى، وذلك بعض صلاة الصبح والظهر . أما بعد المغرب فيقوم المدرس بتدريس بعض الطلاب، شرح الخصائص الكبرى للسيوطى وقد أثنى

---

(١) العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٧٦ ، وانظر عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ١٨٢ ، ٣٧٦ ، ٤٦٠ .

(٢) ورد هذا اللفظ فى وثيقة عثمانية مترجمة فى دارة الملك عبد العزيز تحت رقم ٣/٢م – ٧ ، وانظر عبد الرحمن الأنصارى فى المصدر السابق ، ص ٤٧٠ ، فقد ذكر قيام أحد المدرسين بتدريس صحيح البخارى نظير استغلاله لأحد البساتين الموقوفة فى المدينة المنورة لهذا الغرض .

(٣) العياشى : المصدر السابق ، جـ ٢ س ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) وثيقة رقم ٦٩ سنة ١٢٣٧هـ محفظة رقم ٨ بحرير / محافظ الحجاز القاهرة .

(٥) عن أقسام العبادات انظر أعلاه ص ٣٧٨ حاشية رقم ١ .

(٦) العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٧٦ ، جـ ٢ ص ٤٥ ، عبد الرحمن الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٩٢ .

على بعض المدرسين ، لما لمسه فيه من استعداد كامل لتدريس كتب مذهبه ، كما حدد موضع دروس أحد العلماء البارزين ووقتها ، فذكر بأنها تلقى بجوار حجرة السيدة فاطمة رضى الله عنها بعد طلوع الشمس ، وقال أيضا عن بعض علماء الهند الذين استوطنوا المدينة ودرسوا فى مسجدها ، بأن له حظ وافر فى جميع العلوم لا سيما البديع والبيان والعروض والحساب والنجوم واستخراج التقويم ، ثم ذكر اختصاص أحد المدرسين بشرح صحيح الإمام مسلم، بعد صلاة المغرب فى المحراب النبوى الشريف . كما أشار فى موضع آخر إلى قيام أحد العلماء بشرح وترجمة كتاب مشارق الأنوار باللغة التركية لبعض الأتراك[١]. وقد ظلت طريقة ختم الدروس التى شاهدها العياشى سنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م، وقال إنها منتشرة فى مصر والروم والشام والحجاز[٢]، ولا شك بأن الملاحظات المذكورة قد أشارت إلى عدة حقائق يمكن إيجازها فيما يلى :

١ ـ اتفاق بدء الدراسة مع الأوقات التى ذكرها العياشى فى حدود سنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م.

٢ ـ حرية المدرسين فى الانتقال من فن لآخر .

٣ ـ قيامهم بالوعظ والتذكير إلى جانب إلقاء الدروس المنظمة .

٤ ـ اقتصار الدروس على العلوم الشرعية والعربية .

ورغم تأكيد بعض مصادر العصر العثمانى المتأخرة ،على بقاء الوضع التعليمى داخل أروقة الحرم الشريف، مشابهة لما رسمه الرحالة المذكور . فإن من الحقائق ما يفيد بحدوث تحسن فى المستوى الاجتماعى لعامة مدرسى الحرم وطلبته ، فقد أشارت بعض وثائق هذا العصر ، إلى إرسال مرتباتهم عن طريق جمرك جده فى

---

(١) رفيع الدين المرادبادى : المصدر السابق ، ص ٥٩ ـ ٦٢ .

(٢) ذكر فى المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٧٧ اعتيادهم على تكرار الدعاء التالى بعد كل درس ثلاث مرات لا سيما دروس الحديث ونصه : « اللهم صل أفضل صلاة على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدة معلوماتك ومراد كلماتك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون »

حدود سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م[١]، ويبدو أن بعض هذه المرتبات مما فرضه طوسون باشا أثناء ولايته لجدة، إذ جاء في وثيقة مؤرخة سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م، مطالبة أحد مدرسى التفسير والحديث الشريف بصرف الأجرة التى كان يدفعها له الوالى المذكور[٢]، وفى هذا ما ينفى ما ذهب إليه بعض الباحثين المتأخرين من أن مرتبات المدرسين فى الحرم المكى الشريف لم تفرض إلا فى حدود سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م[٣]. فمن المؤكد أن نظام التوظيف فى الحرمين الشريفين متشابه إلى حد كبير[٤]، إلا أن حرم المدينة يتميز بكثرة الأوقاف المخصصة لجميع الأغوات والعلماء والفراشين[٥]، وقد أشار العياشى فى حدود سنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م، إلى وجود مرتب مقرر لأحد مدرسى المذهب المالكى فى الحرم النبوى الشريف. كما جاء فى بعض التقارير الرسمية لولاية الحجاز، ما يفيد بتخصيص وظائف تدريس لأتباع المذهب الحنفى والشافعى والمالكى، وأن عددهم فى سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م. وما بعدها بلغ ثمانية عشر مدرسا[٦]، كما ذكر بعض المعمرين من أهل المدينة أسماء حوالى ستين مدرسا، قاموا بالتدريس فى الحرم الشريف خلال هذه الفترة[٧]، من تاريخ الوجود العثمانى فى الحجاز.

أما المرتب السنوى لكل مدرس، فلم يتوفر ذكر مبلغ محدد، إلا أن قول بيرتون بأن الدولة فرضت لكل مفت حوالى مائتين وخمسين قرشا فى الشهر[٨]،

(١) وثيقة رقم ٣٠٧ فى ٦ محرم سنة ١٢٤٩هـ دفتر ٤٧ معية تركى. محافظ الحجاز.

(٢) وثيقة رقم ٦٩ فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٣٧هـ محفظة رقم ٨ بحرير / محافظ الحجاز القاهرة.

(٣) محمد عبد الرحمن الشامخ: المرجع السابق، ص ١٤.

(٤) انظر الجدول الذى أعده محمد أمين المكى فى كتابه خلفاوى عظام .. ص ٥٥ عن كادر الموظفين فى الحرمين خلال العصر العثمانى.

(٥) Burckhardt : op. cit., p. 348 .

(٦) سالنامة ١٣٠١ ص ١٥١، ١٣٠٣، ص ١٨٣.

(٧) انظر ما نقله الشامخ فى المرجع السابق، ص ٦٢ وما بعدها عن تقرير الشيخ جعفر فقيه عن ماضى التعليم فى المدينة المنورة، وانظر مقال عبد الحق نقشبندى «من ذاكرتى قبل نصف قرن» مجلة المنهل عدد ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٨٢هـ.

(٨) Burton : op. cit., vol , 2. p. 278 .

ما يفيد باقتراب المرتب الشهرى للمدرسين من هذا المبلغ ، ويؤيد ذلك ما ذكره الأستاذ جعفر فقيه فى تقريره عن ماضى التعليم فى المدينة المنورة ، من حصول شيوخ الكتاتيب المنتشرة فى بعض أنحاء المدينة على مائتى قرش فى الشهر[١].

هذا من حيث الوضع العام للنظام التعليمى ، داخل أرقة الحرم النبوى الشريف فى العصر العثمانى ، وتظهر فيه الأمور مرهونة بكفاءة الطالب وأمانة المدرس، فليس له كما قال أحد المعاصرين : « نظام يحكمه أو إدارة مسئولة أو مراقبة أو اختبارات منظمة »[٢]، ومما يسترعى الانتباه عدم أخذ المسئولين فى الحرم النبوى بالإصلاحات الإيجابية ، التى تضمنها النظام الذى أدخله الحسين بن على سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م، على نظام التعليم فى المسجد الحرام . خاصة وأنه قد انطوى على بعض الشروط والمواصفات، المطلوبة فى المدرسين والطلاب على حد سواء . كما حدد نوع الدراسة وزمنها وشكلت لجان منظمة لإجازة المتخرجين ، وقبول الراغبين فى مواصلة الدراسة[٣].

وليس من مسوغ لهجر الأسس والمبادىء الجديدة ، إلا إذا اعتبرت الإصلاحات التى سبق الأخذ بها عند إنشاء المكاتب المجيدية كافية ، لا سيما وأن الإقبال عليها قد تزايد فىّ حدود سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م ، كما يظهر من الجدول التالى: [٤]

---

(١) الشامخ : المرجع السابق ، ص ٧١ ، ٩٧ نقلا عن تقرير الأستاذ جعفر فقيه عن « ماضى التعليم فى المدينة المنورة » .

(٢) عبد الحق نقشبندى : مقال بعنوان « من ذاكراتى قبل نصف قرن » مجلة المنهل عدد ٥ جمادىالأولى سنة ١٣٨٢ هـ ص ٢٨٠ .

(٣) الطوالع السنية فى نظام التدريس الجديد بمسجد مكة المحمية ، المطبعة الماجدية بمكة سنة ١٣٣٢هـ .

(٤) نقلا عن محمد عبد الرحمن الشامخ : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

عام	عدد الكتاتيب	عدد المدرسين	عدد العرفاء	عدد التلاميذ
١٣٠١	١٣	١٢	١٢	٢٥٠
١٣٠٣	١٣	١٢	١٢	٢٥٠
١٣٠٥	١٣	١٢	١٢	٣٦٠
١٣٠٦	١٣	١٢	١٢	٣٦٠
١٣٠٩	١٣	١٢	١٢	٣٦٠

وقد زادت العناية بالمكاتب المذكورة ، عندما أضيف لها فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ، بعض الفصول المتقدمة والمعروفة « بالرشيدية » ، والمكلفة بتدريس نحو اللغة العربية وصرفها ، وتعليم اللغة التركية، إلى جانب إعطاء دروس فى الرسم المساحى[(١)] ، ويتضح من الإحصاء التالى عدد طلابها ومدرسيها من سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م إلى ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م كما فى الجدول التالى[(٢)] :

عام	عدد المدرسين	عدد التلاميذ
١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م	-	٢٥
١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م	٣	٢٥
١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م	٣	٥٥
١٣٠٦/ ١٨٨٨م	٤	٥٥
١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م	٤	٥٥

٣ ـ الوعاظ والمذكرون :

ويعنون بتوضيح أمور الدين الحنيف ، وخاصة ما يتعلق بالأوامر والنواهى التى

---

(١) على بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧ ، ٥٢ ، ويقصد بالرسم هنا الرسم المساحى نظرا لتدريس هذه المادة فى بعض مدارس مكة سنة ١٣٣٠هـ . انظر الشامخ : المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٢) انظر عبد الرحمن الشامخ ، المرجع السابق ، ص ٦٩ .

يجب توضيحها لعامة المصلين ، ويقوم بها في الغالب بعض علماء المدينة من المقيمين والمجاورين[١] ، وكان يمكن اعتبار هذا العمل من أهم مسئوليات المدرسين، لولا تصريح بعض المصادر بحصول أحد المدنيين في حدود سنة ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م على وظيفة وعظ على الكرسي[٢] . وفي هذا ما يدل على قيام عدد من الوعاظ بإلقاء النصح والإرشاد من فوق مقعد أو أكثر ، من أمثال المقاعد الموجودة حاليا في بعض مساجد إستانبول ، أو على هيئة بعض الكراسي الموضوعة منذ عدة سنوات ، في بعض أروقة الحرم الشريف للغرض ذاته .وقد أكد رفيع الدين المرابادي على وجود هذا النوع من المجالس في سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م[٣] . كما تبين من تراجم مدرسي الحرم الشريف في تلك السنة قيام بعضهم بهذا العمل، خاصة بين العشاءين[٤] ، كما اعتبرت بعض المصادر المتأخرة وظيفة شيخ الروضة المطهرة ومساعده ، ضمن وظائف الحرم النبوي الشريف[٥] ، ومن المحتمل أن يكون عمل هذا الشيخ محصورا في الوعظ والإرشاد .

أما طريقة الوعظ فقد أفاد المرابادي باعتمادها على قراءة كتب الحديث المشهورة ، وبعض أنواع التفاسير ، هذا فضلا عن قيام بعضهم بقراءة كتب التصوف وأحوال المشايخ بصوت مرتفع بعض الشيء . ولكون الوعاظ يستخدمون اللغة العربية فنادرا ما يحتاج الأمر إلى شرح بعض العبارات الصعبة، أو ترجيح بعض الأحاديث والاجتهادات المتعارضة . فغالب المستفيدين من هذه الدروس من عامة العرب في المدينة المنورة، ممن يشتغل بالتجارة وبعض الحرف الأخرى[٦] ، أما غير

---

(١) عبد الحق نقشبندى : من ذاكرتي قبل ربع قرن ، المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .
(٢) عبد الرحمن الأنصاري : المصدر السابق ، ص ٣٠١ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٥٨ .
(٤) انظر أعلاه ص ٤٢٩ .
(٥) علي بن موسى : المصدر السابق ، ص ٧٢ .
(٦) المرابادي : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

العرب من الترك فقد عين لهم من يحدثهم بلغتهم[١]، ويتدرج تحت هذا النوع من التعليم قيام بعض الأتراك بقراءة بعض الكتب الدينية، لمواطنيهم فى موسم الزيارة التى قام بها بوركهارد إلى المدينة المنورة بعد موسم حج سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م ، مقابل أجور رمزية يدفعها بعض المستمعين بعد انتهاء دروس الوعظ[٢]. وبغض النظر عن عدم نقاء الدروس المقدمة فى بعض الحلقات المذكورة، وتأثرها بما ساد المدينة المنورة فى هذا العصر ، من التعاليم الصوفية وبعض البدع المنكرة ، فقد ساعدوا بقية العلماء فى إذكاء الروح العلمية داخل الحرم الشريف، وتثقيف الناس فى أمور دينهم لأكثر من أربعمائة سنة .

٤ ـ قراء الكتب الموقوفة :

استحدث بعض السلاطين العثمانيين، عدة طرق فى التعبير عن حبهم للحرم النبوى الشريف، وعجزهم عن أداء مناسك الحج والزيارة[٣]. فخصصوا بعض الأوقاف السخية لمن يقوم بتلاوة القرآن الكريم وكتب الصحاح، بالإضافة إلى بعض الكتب الأخرى، داخل أروقة الحرم الشريف، رجاء المثوبة وطلب النصر على الأعداء من الله تعالى . وقد اقتدى بهم بعض الوزراء والباشوات، فنتج عن ذلك استحداث مصادر رزق جديدة لبعض علماء المدينة مجاوريها .

فعلى سبيل المثال ، قام الوزير سنان باشا سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م، بتوظيف ثلاثين شخصا لختم أجزاء القرآن الكريم كل يوم فى الروضة المطهرة، وخصص

---

(١) العياشى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٨٣ ، جـ ٢ ص ٥٧ .

(٢) op. cit., p. 211

(٣) أدى انشغال عظماء السلاطين بالفتوحات والحروب المتصلة إلى عدم قدرتهم على أداء فريضة الحج ، كما تسبب الخوف من الثورات والاستيلاء على السلطة، إلى عجز بقية السلاطين عن أداء الفريضة المذكورة

لكل واحـد منهم تسعـة دنانيـر فى السنة[١]، وعين لهم شيخا وداعيا ومفـرقا للأجزاء[٢] . ثم تبعـه السلطان مـراد الثـالث فـعين سنة ٩٨٨هـ / ١٥٨٩م ،مائة شخص من القراء وستة من المساعدين، لقـراء سورة الأنعـام وختم القرآن الكريم مرتين فى اليوم، وخصص لكل قارئ حوالى اثنى عشر دينارا[٣] .

أما السلطان محمود الثانى، فقـد أوقف عددا من نسخ القـرآن الكريم وكتب الحديث[٤]، وأحال قراءتها كل يوم إلى تسعة وثلاثين قارئا[٥] بأجور مماثلة. كما قام والى مصر عباس باشا الأول، فى ٢٤ من شهر شوال سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م، بتخصيص بعض المبالغ لعدد من قراء صحيح البخارى وبعض الكتب الأخرى ، وقد اقتدى به خادماه فأوقف إبراهيم الهامى ومحمد صديق بك، مبالغ مماثلة فى ١٥ صفر سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م[٦] .

أما فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى، فكانوا مائة وسبعة وخمسين شخصا بأجور غير معروفة ، لقـراءة أشيـاء مماثلة لما فى وقف السلطان محـمود . وأضـافت والدته ثمانية قراء آخرين لذات الغرض[٧] . ومن هذا يتبين حصـول عدد كبير من سكان المدينة المنورة على مصادر رزق ثابتة ، من الأوقاف المذكورة . مما ساعد فى تأمين بعض مطالب الحياة لعدد من الأسر المدنية .

---

(١) أى حوالى تسعمائة قرش ، فالدينار يساوى مائة قرش : انظر عبد الفتاح أبو عليه المرجع السابق ص ١١ .

(٢ ، ٣) القطبى : المصدر السابق ، ص ٣٦٩ ، أما السلطان مراد فقد قسمهم إلى ثلاث فرق منهم أربعون شيخا لقراءة سورة الأنعام كل يوم فى الروضة بطلب النصر على الأعداء ولهم اثنا عشر دينارا ، ثم أضـاف ثلاثين مقـرئا لقراءة ثلاثين جزءا فى اليوم وجعل لهـم من يقـوم بتسجيل أسمائهم ومن يوزع عليهم الأجزاء ومن يتلو لهم الدعاء بدوام السلطنة ونصرتها ، ولكل مقرئ اثنا عشر دينتارا . ثم أضاف بعد ذلك ثلاثين مقرئا ، لتلاوة جميع الأجزاء السابقة يوميا ، وعين لهم كاتب غيبة ومفرق أجزاء وقارئ الدعاء ، ولكل منهم ثلاثة عشر دينار ونصف .

(٤) أيوب صبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٦٧ ، ٧٦٨ .

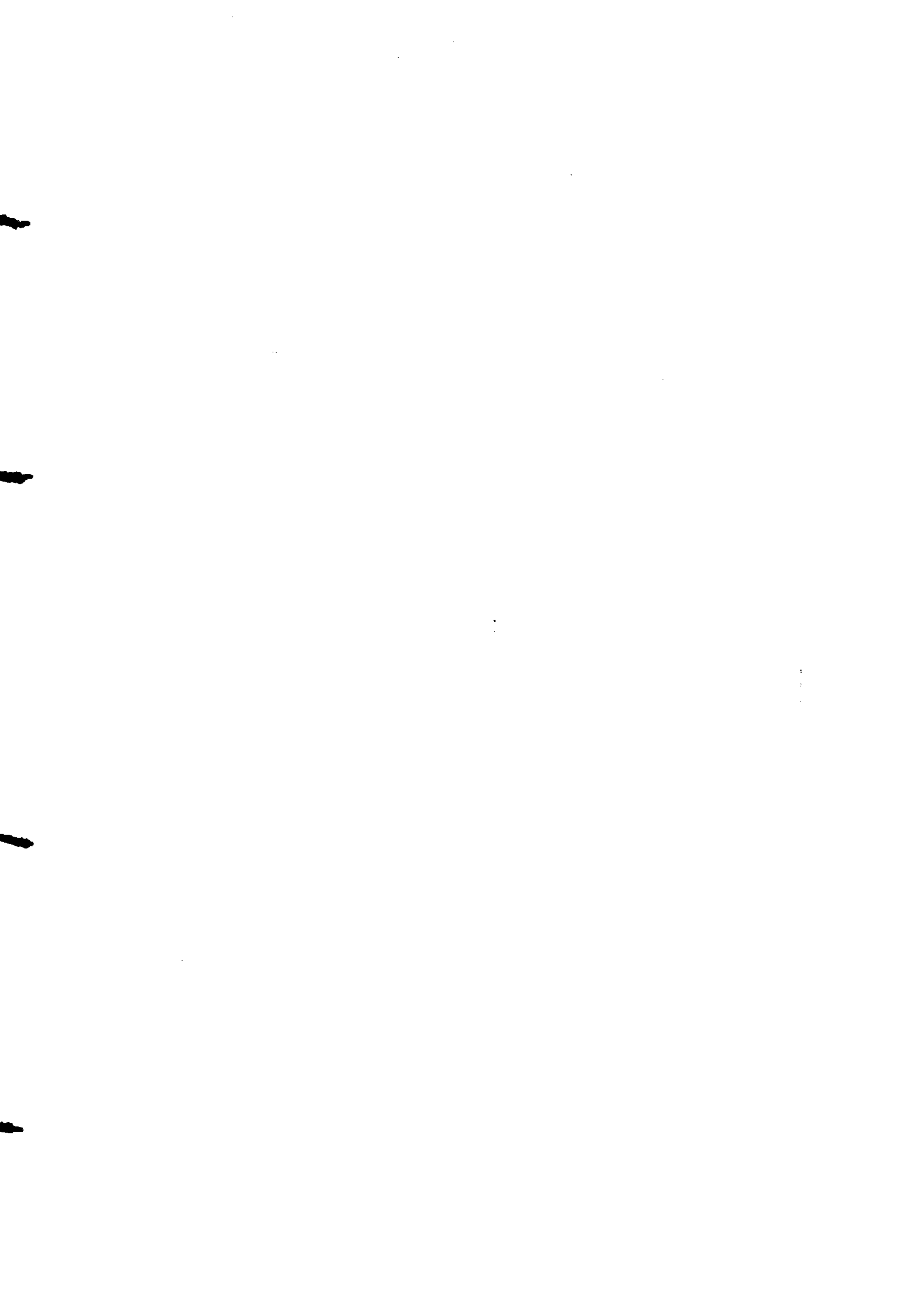
(٥) سالنامة بالغربى لسنة ١٣٠٣هـ ص ١٨٣ .

(٦) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٧) سالنامة بالغربى لسنة ١٣٠٣هـ ص ١٨٣ .



الخاتمة



النتائج العلمية للبحث:

تنوعت النتائج العلمية لهذا البحث بتنوع المواضيع التى شملتها الدراسة ، فمنها ما يخص النواحى المعمارية والزخرفية، ومنها ما يبين النظم الإدارية والتعليمية، ومنها ما يتعلق بأثاث المسجد وتحفه .

* فمن النتائج الأولية لهذا البحث اكتفاء العثمانيون بالمحافظة منذ السنوات الأولى، لدخول الحجاز فى كنف الدولة العثمانية ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، على مبنى المسجد المجدد فى أواخر العصر المملوكى ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م ، والحرص بقدر المستطاع على طبع الأعمال المجددة بخصائص ومميزات العمارة العثمانية وفنونها ، فاستخدم المخروط (الجوسق) المميز للمنائر العثمانية بأعلى المنارة السنجارية (الشمالية الشرقية) والمعروفة فيما بعد بالسليمانية عند تجديدها سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م. واقترنت أعمال الترميم والتجديد المختلفة، بتثبيت عدد من النصوص فى مواضع مختلفة من المسجد الشريف، للدلالة على موضع البناء ومموله وناظره وتاريخ الانتهاء منه . ولم يثبت أن أحد منهم سعى فى تحريف النقوش المملوكية أو استئصالها ، كما فعل بعض العباسيين بالنقوش الأموية فى المسجد النبوى وقبة الصخرة فى القرن الثانى الهجرى . فقد أبقى السلطان سليمان القانونى، ومن جاء بعده من السلاطين ، على النقوش المكتوبة فى عهد السلطان المملوكى قايتباى، والمنتشرة فى مواضع مختلفة من المسجد الشريف، ولازال بعضها ماثلا للعيان حتى الوقت الحاضر . مما دل على مرونة العثمانيين وبعدهم عن التعصب ضد الآثار التى خلفها المماليك .

* عاقت سياسة المحافظة على المبنى القديم للمسجد الشريف ، والمبنية على بعض الفتاوى الشرعية ، رغبة بعض السلاطين من أسلاف السلطان عبد المجيد من تجديد مبنى المسجد النبوى الشريف ، وفق الطراز العثمانى وتعميم القباب فوق الجزء المتبقى من سقفه القديم .

* أوضحت معظم عمال الترميم والتجديد التى قام بها أسلاف السلطان عبد المجيد ، الأخذ بنظام « المقايسة » ، والمبنى على الدراسة المبدئية لأى من الأعمال

المعمارية ، ورصد الأموال اللازمة لأجور العمال وشراء المواد اللازمة لتنفيذها ، قبل الشروع فى البناء والتجديد ، إلا بعض الأعمال العاجلة فإن تموينها كان يتم بالاقتراض من خزينة المدينة ، أو ولاية مصر ، حتى ترد تعليمات السلطان العثمانى من إستانبول .

* اتضح من الوثائق والكتب المعاصرة لمعظم الأعمال التى شاركت فيها ولاية مصر ، بمواد بناء أو مبالغ نقدية ، أو عمال ومهندسين ، بقصد النفقة على بعض أعمال الترميم والتجديد فى الحرم النبوى الشريف ، ضعف المزاعم التى رددها بعض الكتاب المحدثين من أن مصر كانت تتولى فى العصر العثمانى النفقة على أعمال الحرمين، فقد تبين بما لا يدع مجالا للشك ، من أن جميع الإسهامات المصرية كانت تخصم من الخراج المقرر للدولة العثمانية ، على ولاية مصر والمعروف « بالخزينة الإرسالية » .

* تبين من ظهور الماء عند حفر الأساس ، لما جدد من مآذن المسجد الشريف فى العصر العثمانى ، وحفر بعض أساطين الروضة فى العمارة المجيدية ، أن السبب الرئيسى فى الميل المتكرر لجدران المسجد ومآذنه ، رخاوة الأرض التى بنى فوقها المسجد وتشبعها بالماء ، مما يؤكد قول بعض الروايات القديمة بأن المسجد الشريف بنى فى عهد الرسول ﷺ فى طرف أحد الأودية القديمة فى المدينة المنورة .

* قيام الدليل المقنع على أن الشبابيك الموضوعة قبل عمارة السلطان عبد المجيد ، بأعلى جدار القبلة والمسدودة بالزجاج الملون ، من تجديد السلطان محمود الأول سنة ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م ، عند تعرض الجزء العلوى من جدار القبلة فى عهده للهدم والتجديد ، واحتياج رواق القبلة إلى الإضاءة والتهوية ، بعد إضافة السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م ، لثلاث بلاطات فى مؤخرته مما يلى الصحن .

* أوضحت الوثائق والمصادر المعاصرة لتجديد القبة الشريفة ، فى عهد السلطان محمود الثانى سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م ، اقتصار أعمال التجديد التى أمر بها السلطان المذكور على الجزء العلوى منها ، واحتفاظ أعمدتها وأكتافها وعقودها ومعظم الجزء العلوى من رقبتها بالعمارة المملوكية ، الأمر الذى أنهى اللبس القائم

حول أصل البناء القائم حاليا فوق الحجرة الشريفة .

* أدت سياسة المحافظة على زخارف المسجد النبوى ، ونقوشه القديمة قبل عمارة السلطان عبد المجيد ، إلى تباين البلاطات الخزفية والخطوط المنقوشة فى الجزء العلوى من جدار القبلة ، وبعض الأماكن المختلفة من المسجد الشريف . مما أثار استغراب بعض الزوار من المستشرقين الذين جهلوا أسباب ودواعى التباين المذكور .. وبقدر ما كان غامضا فى الزخرفة الداخلية للمبنى فإنه قد تجلى فى الشكل الخارجى له . لا سيما العمارة المملوكية ، والتجديدات العثمانية ، التى مايزال فيها ماثلا للعين حتى الوقت الحاضر .

* لم تبلغ زخارف المسجد وعمارته قبل العمارة المجيدية وبعدها ، المستوى الموجود حاليا فى بعض المساجد المشهورة فى المدن العثمانية الكبيرة. ومرد ذلك كما اتضح من الأعمال السابقة لعهد السلطان عبد المجيد، أنها كانت مجرد ترميمات اختيرت نقوشها وزخارفها المجددة فى أوقات مختلفة ، وبمعرفة والى مصر أو والى الشام . دون الاكتراث بتلاؤمها مع النقوش والزخارف القديمة .

* وعند بدء العمارة المجيدية ، عارض علماء الدين فى عهده ، رغبة السلطان فى بناء المسجد الشريف على هيئة مساجد العاصمة . بأربعة أعمدة وقبة كبيرة، كما أن فنون العمارة العثمانية ضعفت وطغى عليها بشكل ملحوظ فن الباروك العثمانى ، مما زاد فى التنافر بين المتبقى من الزخارف القديمة ، وما رسم منها فى العمارة المجيدية .

* استنتج العثمانيون فى وقت مبكر من تاريخ الأعمال التى قام بها السلاطين العثمانيون ، فى المسجد النبوى الشريف ، جدوى القباب المنشأة فى مواضع محددة من سقف الرواق القبلى فى أواخر العصر المملوكى ، وسلامتها من التصدع والإنهيار ، الأمر الذى أدى بهم إلى استخدام القباب الخشبية ، فى جميع السقوف المجددة قبل عمارة السلطان عبد المجيد .

* أبقى العثمانيون على البلاط الضيق والمحيط بالمسجد الشريف من جميع الجهات ، مما حد من شموخ المظهر الخارجى للمسجد الشريف ، فلم يسع أحد منهم استحداث ميادين واسعة ، أو فتح شوارع كبيرة بقصد التخفيف من حركة الدخول والخروج من المسجد الشريف وإليه ، عند قدوم المحمل المصرى والشامى

بعد أداء فريضة الحج من كل عام .

* كما أبقى العثمانين قبل العمارة المجيدية ؛ على الأبواب الرئيسية للمسجد الشريف ، رغم عجزها آنذاك عن تسهيل حركة الدخول والخروج أيام الجمع والمواسم المشهورة .

* يعزى الفضل فى تشجيع السلطان عبد المجيد ، على التغلب على العقبات التى عاقت غيره من السلاطين فى تجديد المبنى القديم للمسجد الشريف ، إلى حماس وبعد نظر داود باشا والى بغداد السابق والمعين آنذاك فى منصب شيخ الحرم النبوى الشريف ، بعد انهاء التمرد الذى قام به فى العراق ضد الدولة العثمانية. فقد سعى منذ السنة الأولى لتعيينه بما له من قوة التأثير والإقناع ، إلى مفاتحة السلطان بما آلت إليه مبانى المسجد من تصدع ، وتغلب على المعارضة التى نشأت فى المدينة المنورة ، وسعت فى بداية الأمر إلى الاكتفاء بأعمال التجديد والترميم ، أسوة بما فعل أسلافه من السلاطين .

* أدى بناء المكاتب المجيدية ومخازن الزيت ، فى بداية العمارة المجيدية خارج الجدار الشمالى للمسجد الشريف ، إلى إطالة أمد العمارة . فقد امتصت حماس وجهد المهندس محمد رائف باشا ، خاصة وأن جدرانها بتقسيماتها المختلفة تعدل بالتقريب طول جدران المسجد الأربعة .

* اكتفى المهندسون فى العمارة المجيدية بهدم وبناء جدار القبلة ، وجزء من الجدار الشرقى - من باب النساء إلى المنارة الرئيسية - ودعم الجدار الشمالى والغربى ومعظم الجدار الشرقى بعدد من الأكتاف البارزة بقصد حمل القباب المجاورة لكل جدار ، وتخفيف ضغط السقف الذى تسبب من قبل فى ميل بعضها أكثر من مرة .

* تسببت معارضة أهل المدينة للمهندس محمد رائف باشا ، ومن جاء بعده من المهندسين ، ومسايرة السلطان عبد المجيد لبعض آرائهم ، إلى تعثر العمارة فى مراحلها الأولى ؛ وإطالة أمدها إلى أكثر من عشرة أعوام . وهو زمن لم تبلغه أى من العمائر التى شهدها المسجد النبوى الشريف فى تاريخه الطويل . الأمر الذى حد من طموح المهندسين، ودعا ناظرها الأخير (أسعد عربانى زادة) إلى مسايرة أهل

المدينة ، وتركيز الأعمال فى إتمام بناء رواق القبلة فى أقصر وقت ممكن .

* اقتصرت زيادة السلطان عبد المجيد فى المسجد الشريف ، على زحزحة الجدار الشرقى من رواق القبلة بضعة أمتار ، وزيادة المسقوف منه مما يلى الصحن بإضافة بلاطتين موازيتين لجدار القبلة .

* اهتم المشرفون على العمارة المجيدية ، بحصر النقوش الكتابية فى رواق القبلة قبل هدمه ، وإرسالها إلى المسئولين فى العاصمة بقصد المواءمة بينها وبين الآيات والأحاديث المزمع إضافتها . وقد تمت الموافقة على تجديد النقوش المحيطة بالجزء العلوى من حنية المحراب العثمانى ، وإعادتها كما كانت ، واستبقاء الأحاديث المنقوشة فوق مداخل الروضة المطهرة ، وكذلك الآيات الشريفة والمدائح المنقوشة فى جدار القبلة ، مما يلى المواجهة الشريفة .

* يعود السبب فى التنوع الملاحظ حاليا فى البلاطات الخزفية الموجودة فى أماكن مختلفة من رواق القبلة ، ومحيط الحجرة الشريفة ، إلى اهتمام المسئولين عن العمارة المجيدية بالمحافظة على ما كان فى المسجد قبل العمارة المذكورة من أنواع الخزف ، خاصة وأن كل نوع واكب تجديد أو بناء ، تم فى وقت لم يعد بالإمكان فيه تأمين النوع المستخدم من قبل فى زخرفة المسجد الشريف .

* تمثل الزخارف النباتية المنقوشة بالحفر البارز حول العتب الخارجى والداخلى لباب السلام وباب الرحمة ، والمرسومة بالألوان المائية فى بطون القباب ومثلثاتها الكروية ، إحدى المراحل المتقدمة فى فن الباروك الذى امتد من أوربا إلى تركيا فى عهد السلطان أحمد الثالث حوالى سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م، وطغى بشكل ملحوظ على الزخارف العثمانية الأصلية .

* أتم السلطان عبد العزيز ١٢٧٧ـ ١٢٩٣هـ/ ١٨٦٠ ـ ١٨٧٦م، ما تبقى من العمارة المجيدية ، خاصة كتابة خطوط جدار القبلة وقبابه بعدد من الآيات المناسبة للمقام ، والتى بدأ العمل فيها فى السنة التى توفى فيها السلطان عبد المجيد ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م .

* احتفظ العثمانون فى مخازن المسجد الجنوبية والشمالية، بعدة نماذج لما استخدم فى المسجد الشريف، من روافع وأدوات بناء ونجارة وحدادة ونحت، أثناء

العمارة المجيدية وما تلاها من أعمال، بالإضافة إلى كمية كبيرة من الدهان والخزف العثمانى . وأنواع متعددة من النماذج الأصلية (الكليشيات) لزخارف المسجد وخطوطه الكتابية ، بقصد المساعدة فى حث القائمين على صيانة المبنى من إعادة الأشياء المجددة إلى ما كنت عليه بقدر الإمكان .

* نفذت جميع النصوص المكتوبة بالخط البارز فوق جدار القبلة ، بطريقة إلصاق الحروف المنحوتة من الخشب فوق ألواح كبيرة من الخشب أيضا ، فقد تبين لى زوال مؤخرة إحدى الحروف المنفصلة ، وبروز ما جاورها من الحروف .

* شملت القوانين التى فرضها السلطان سليمان القانونى ، والإصلاحات التى أدخلها السلطان محمود الثانى ، على نظم الدولة ووظائف المسجد النبوى الشريف ونظمه ، فألزم السلطان سليمان أغوات الحرم بارتداء لبس مميز ، ورصد مبلغا من المال لإقراض المحتاجين من موظفى الحرم الشريف . كما نظم السلطان محمود الثانى خزينة المدينة المنورة (الخزينة النبوية)، وكلفها بصرف الاستحقاقات الشهرية لموظفى الحرم الشريف ، إلا أن ذلك لم يدم إلا بضعة أشهر ، لتعذر توفير المبالغ النقدية وصعوبة توصيلها إلى المدينة كل شهر .

* اهتم العثمانيون بحق أسر الموظفين فى الحياة ، فى حال سفر والدهم أو موته، فأجازوا صرف مرتبه لأسرته .

* أقر العثمانيون تعدد الأئمة ، وتعاقبهم فى أداء الفريضة الواحدة بين المحاريب الثلاثة (النبوى والعثمانى والسليمانى) ، الأمر الذى أربك زوار المسجد وأفقد الجماعة معنى الخشوع والطمأنينة ، خاصة فى صلاة التراويح التى كانت تقام فى وقت واحد فى أكثر من ثلاثين جماعة . ولا شك بأن الوحشة والتنافر قد أخذت مأخذها تجاه الأحناف، خاصة بعد تقديم المحراب السليمانى ووضعه فى محاذاة المحراب النبوى سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م ، وتخصيص معظم وظائف الإمامة والخطابة لاتباعه باعتباره المذهب الرسمى للدولة .

* أجازت قوانين التوظيف فى العصر العثمانى معاقبة المذنب أو المقصر من موظفى الحرم الشريف ، فى دار رئيس الطائفة التى ينتمى إليها ، إلا الأغوات فإن

تأديب المقصر منهم كان يتم فى المسجد الشريف وعلى مشهد من رواد المسجد ، الأمر الذى حمى موظفى المسجد من تدخلات محافظ المدينة ومحتسبها .

* أبقى العثمانيون على الدور الثقافى للمسجد النبوى الشريف، كما كان فى العصر المملوكى وما قبله . فلم يسعوا إلى تغيير الطرق التقليدية للتدريس، ولا المواد المعتاد تدريسها . إلا أنهم أدخلوا فى أواخر العصر العثمانى، بعض النظم الحديثة على طريقة التدريس فى المكاتب المجيدية ، فأقروا نظام المراحل التعليمية المتعاقبة، فدرسوا فى المرحلة الثالثة المعروفة بالرشدية نحو اللغة العربية وصرفها ، ودرسوا اللغة العثمانية والفارسية . بالإضافة إلى الرسم المساحى ، وبعض العلوم الشرعية ، وأجازوا طلابها بشهادات مختومة ومعتمدة .

* أفادت نوعيات بعض التحف والهدايا المقدمة من أنحاء العالم الإسلامى إلى الحجرة الشريفة ، كالأقراط والأساور والعقود والجواهر والمناخل وأوانى الأكل والشرب ، بقصد التبرك وطلب المثوبة ، عدم وضوح التعاليم الإسلامية السمحة، عند كثير من أثرياء العالم الإسلامى وأغنياءه فى ذلك الوقت .

* زود السلطان محمود الثانى المسجد النبوى الشريف بوسائل التوقيت الحديثة وأجهزة أطفاء الحريق، فور تعميم الاستفادة منها فى العاصمة إستانبول .

* أدى استخدام الكهرباء فى المسجد الشريف أواخر العصر العثمانى ، إلى ضياع كثير من وسائل الإضاءة القديمة ، لا سيما ما كان مصنوعا منها من الذهب أو الفضة ، أو مطعما بالأحجار الكريمة .

التوصيات :

لا بد من الإشادة فى بداية الأمر بالأعمال الدقيقة ، التى أشرفت رئاسة الحرمين الشريفين على تنفيذها ، فى تصنيع نماذج مشابهة لبعض البلاطات الخزفية التى تآكلت بفعل عوامل الرطوبة والتعرية ، والموجودة حاليا فى مدخل باب السلام وما يليه من جدار منارته .

كما أن الدقة فى تنفيذ الزخارف المجددة حاليا فى بعض أعمدة الروضة وأعمدة المكبرية وما يعلوها من الرخام، تنتزع الإعجاب بمهارة المنفذين، وحرص المسئولين على إبقاء الرواق القبلى محتفظا بزخارفه ونقوشه القديمة، وطمعا فى الوصول بتلك الأعمال إلى غايتها ، فلابد من ذكر الملاحظات التالية :

أولا : تبقى فى الوقت الحاضر بعض القطع الثمينة من تحف المسجد وهداياه وأثاثه ، ما يمكن أن يشكل نواة طيبة لمتحف يخصص لآثار المدينة وتراثها ، تعرض فيه التحف المذكورة بعد جمعها من أماكنها المختلفة، مع قناديل المسجد وثرياته النادرة وما جدد من خزف المسجد ورخامه ، فإن الأمم اليوم تفاخر غيرها بما لديها من التحف والآثار ، لا سيما وأننا أمة واحدة ذات تراث مشترك .

ثانيا : لاحظت قيام بعض العمال بتجديد بعض النقوش والزخارف دون مراعاة لأصولها وألوانها الأصلية ، الأمر الذى سيفقد زخارف المسجد المرسومة بالألوان المائية ، فى جدار القبلة وبطون القباب رونقها وجمال منظرها عند إعادة الدهان بالطريقة المستخدمة فى الوقت الحاضر ، فلا بد من أخذ الحيطة عند إعادة رسم أى عنصر ، وذلك بتصوير الجزء المراد تجديده وتكبيره ثم إلزام النقاش الذى يجب أن يكون على علم بعناصر الفن العثمانى، بتتبع تفاصيله وإعادة رسمها كما كانت .

أما جدار القبلة فإن الغالب على زخارفه تقليد لعينات من البلاطات الخزفية مازال بعضها موجود فى أماكن مختلفة من الجدار الشرقى ، وبعض جوانب الحجرة الشريفة، ومدخل باب السلام، وبالإمكان تتبع عناصرها الزخرفية عند تجديد ألوانها.

ثالثا : أشار البرزنجى إلى خطأ الكتابة المنقوشة حاليا فوق ما سمى خطأ إسطوانة المحرس والوفود . ولأن ما نبه إليه مدعم بالأدلة والبراهين التى ثبت لى صحتها ، فإن الأمر جدير بنقل الكتابة الموجودة فى الوقت الحاضر بجوار مشبك الحجرة الشريفة إلى ما يحاذيهما من الجانب الغربى .

المصادر والمراجع



أولاً: الوثائق:

١ ـ الوثائق العثمانية المصورة من أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ إستانبول:

١ ـ الوثيقة رقم ٧٠٥٨ فى ٨ شوال سنة ١٣٠٩هـ تصنيف إرادة / مجلس الشورى .

٢ ـ الوثيقة رقم ٥٥٧ فى ٢٥ صفر سنة ١٢٧٥ هـ. تصنيف إرادة / المجلس المخصوص .

٣ ـ الوثيقة رقم ٦٠٤ فى ٢٢ شوال سنة ١٢٧٥ هـ تصنيف إرادة / المجلس المخصوص .

٤ ـ الوثيقة رقم ٧٥٩ فى ١٢ شوال سنة ١٢٧٦هـ تصنيف إرادة / المجلس المخصوص .

٥ ـ الوثيقة رقم ١٦٥١ فى ٧ ذى القعدة سنة ١٢٨٧هـ تصنيف إرادة / المجلس المخصوص.

٦ ـ الوثيقة رقم ١٢٦ فى شوال سنة ١٢٧٠ هـ تصنيف إرادة / مجلس الوالا .

٧ ـ الوثيقة رقم ٣٧٨٦ فى سنة ١٢٦٥هـ تصنيف إرادة / مجلس الوالا .

٨ ـ الوثيقة رقم ٧٥٩٢ فى ١٩ محرم سنة ١٢٦٨هـ تصنيف إرادة / مجلس الوالا .

٩ ـ الوثيقة رقم ١٠٨٦٩ فى ١٩ شوال سنة ١٢٦٩هـ تصنيف إرادة / مجلس الوالا .

١٠ ـ الوثيقة رقم ١١٨٠٨ فى ٢٩ ربيع الأول سنة ١٢٧٠هـ تصنيف إرادة/ مجلس الوالا.

١١ ـ الوثيقة رقم ١٣٣٣٧ فى شهر محرم سنة ١٢٧١هـ تصنيف إرادة / مجلس الوالا .

١٢ ـ الوثيقة رقم ١٣٥١٠ فى ٢٥ صفر سنة ١٢٧١ هـ تصنيف إرادة / مجلس الوالا .

١٣ ـ الوثيقة رقم ٢٥٥٨٩ فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٨٣هـ تصنيف إرادة/ مجلس الوالا.

١٤ ـ الوثيقة رقم ٢٥٨٥٨ فى ٢٧ صفر سنة ١٢٨٤ هـ تصنيف إرادة / مجلس الوالا .

١٤ ـ مكرر الوثيقة رقم ١٨٠٧٤ فى غرة شعبان سنة ١٢٧٥هـ تصنيف إرادة / مجلس الوالا.

١٥ ـ الوثيقة رقم ٢٦٩٧٩ فى سنة ١٢٣٢ هـ تصنيف خط الهمايون

١٦ ـ الوثيقة رقم ٢٦٩٨٨ فى سنة ١٢٣٢هـ تصنيف خط الهمايون .

١٧ ـ الوثيقة رقم ٢٧٠٩٢ فى سنة ١٢٣٢ هـ تصنيف خط الهمايون .

١٨ ـ الوثيقة رقم ٤٨١٧٣ فى سنة ١٢٧٣ هـ تصنيف خط الهمايون

١٩ ـ الوثيقة رقم ٤٨١٧٦ فى ١١ محرم سنة ١٢٧٣ هـ تصنيف خط الهمايون .

٢٠ ـ الوثيقة رقم ٤٨١٧٦ L فى أول محرم سنة ١٢٧٣هـ تصنيف خط الهمايون .

٢١ ـ الوثيقة رقم ٤٨١٧٦ K فى ٢٧ صفر سنة ١٢٧٣هـ تصنيف خط الهمايون .

٢٢ ـ الوثيقة رقم ٥٦٦٦٧ سنة ١٢٠٨هـ تصنيف خط الهمايون .

٢٣ ـ الوثيقة رقم ٣٧٥٥ فى ٢٨ رجب سنة ١٢٥٩هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٢٤ ـ الوثيقة رقم ٤٧٦١ فى ١٧ ذى القعدة سنة ١٢٦٠هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٢٥ ـ وثيقة رقم ٦٤٩٠ فى ٢٦ ربيع الأول سنة ١٢٨٧هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٢٦ ـ وثيقة رقم ٨٧٥٥ فى سنة ١٢٦٨هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٢٧ ـ وثيقة رقم ١١٣٥٢ فى ٥ شعبان سنة ١٢٦٥هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٢٨ ـ وثيقة رقم ١٤٠٣٣ فى ١٣ جمادى الأولى سنة ١٢٦٧هـ تصنيف إرادة/ داخلية.

٢٩ ـ الوثيقة رقم ١٥٨١١ فى ٢ ذى القعدة سنة ١٢٦٨هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٣٠ ـ الوثيقة رقم ٢٠٥٣٧ فى ١٨ صفر سنة ١٢٧١هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٣١ ـ الوثيقة رقم ٢٥٧٦٣ فى ٢٩ محرم سنة ١٢٨٤ تصنيف إرادة / داخلية .

٣٢ ـ الوثيقة رقم ٢٥٩٤٥ فى جمادى الأولى سنة ١٢٨٤هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٣٣ ـ الوثيقة رقم ٢٦٩٩٦ سنة ١٢٣٢هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٣٤ ـ الوثيقة رقم ٢٧٥٢٩ تصنيف إرادة / داخلية .

٣٥ ـ الوثيقة رقم ٢٧٩١٩ تصنيف إرادة / داخلية .

٣٦ ـ الوثيقة رقم ٢٨٩٢٥ فى ١٨ ذى الحجة سنة ١٢٧٥هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٣٧ ـ الوثيقة رقم ٢٩١١٧ تصنيف إرادة / داخلية .

٣٨ ـ الوثيقة رقم ٢٩٣٣٦ فى ٧ ربيع الأول سنة ١٢٧٦هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٣٩ ـ الوثيقة رقم ٣٠٠٩٢ فى ٢٥ شعبان سنة ١٢٧٦هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٤٠ ـ الوثيقة رقم ٣٧٦٥٧ فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢هـ تصنيف إرادة/ داخلية.

٤١ ـ الوثيقة رقم ٤٦٣٩١ فى ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٩٠هـ تصنيف إرادة / داخلية .

٤٢ ـ الوثيقة رقم ٤٦٧٣٢ فى ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٩٠هـ تصنيف إرادة / داخلية.

٢ ـ الوثائق العثمانية المترجمة إلى اللغة العربية والمحفوظة فى دار الوثائق القومية بجمهورية مصر العربية بمدينة القاهرة تحت اسم « محافظ الحجاز » .

١ ـ وثيقة رقم ٩٥ فى ٩ جمادى الأولى سنة ١٢٢٥هـ محفظة رقم ١ ذوات .

٢ - وثيقة رقم ١١٥ فى ١٦ رمضان سنة ١٢٤٦ هـ محفظة رقم ١ ذوات .

٣ - وثيقة بدون رقم حمراء فى ٢٩ رمضان سنة ١٢٥٦هـ محفظة رقم ٢٦٩ عابدين .

٤ - وثيقة رقم ١٥ فى ٥ شوال سنة ١٢٥٤هـ محفظة رقم ٢٦٣ عابدين .

٥ - وثيقة رقم ٧١ حمراء فى ٢٨ شعبان سنة ١٢٥٣هـ محفظة رقم ٢٦١ عابدين .

٦ - وثيقة رقم ٨٣ حمراء سنة ١٢٥٦هـ محفظة رقم ٢٦١ عابدين .

٧ - وثيقة رقم ٩٨ فى ١٥ صفر سنة ١٢٥٣هـ محفظة رقم ٢٦١ عابدين .

٨ - وثيقة رقم ١١٨ حمراء فى سنة ١٢٥٦هـ محفظة رقم ٢٦٣ عابدين .

٩ - وثيقة رقم ١٣٨ فى ١٩ ذى الحجة سنة ١٢٥١هـ دفتر رقم ٤ عابدين .

١٠ - وثيقة رقم ١٥١ حمراء فى ٢٥ رجب سنة ١٢٥٤هـ محفظة رقم ٢٦٣ عابدين

١١ - وثيقة رقم ٢٤٧ فى ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٥٢هـ دفتر ٤ عابدين .

١٢ - وثيقة رقم ٩ فى ١٧ محرم سنة ١٢٣٤هـ محفظة رقم ٦ بحربر .

١٣ - وثيقة رقم ٩ فى ٢١ صفر سنة ١٢٤٧هـ محفظة رقم ١٧ بحربر .

١٤ - الوثيقة رقم ١٢ فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٣٣هـ محفظة رقم ٤ بحربر

١٥ - الوثيقة رقم ٢٤ فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٣٥هـ محفظة رقم ٧ بحربر

١٦ - الوثيقة رقم ٣٢ سنة ١٢٣٥هـ محفظة رقم ٧ بحربر

١٧ - الوثيقة رقم ٦٩ سنة ١٢٣٧هـ محفظة رقم ٨ بحربر

١٨ - الوثيقة رقم ٩١ فى ٢٩ شعبان سنة ١٢٣٣هـ محفظة رقم ٥ بحربر

١٩ - الوثيقة رقم ١٠٦ فى ٢٧ شوال سنة ١٢٣٤هـ محفظة رقم ٦ بحربر

٢٠ - الوثيقة رقم ١١٢ فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٣٣هـ محفظة رقم ٥ بحربر

٢١ - الوثيقة رقم ١٣٣ فى ٢٩ ذى القعدة سنة ١٢٣٦هـ محفظة رقم ٧ بحربر

٢٢ - الوثيقة رقم ١٥٠ فى ٣ جمادى الأولى سنة ١٢٣١هـ محفظة رقم ٤ بحربر

٢٣ - الوثيقة رقم ١٤٩ فى ٨ جمادى الأولى سنة ١٢٤٣هـ دفتر رقم ٧٣٧ ديوان خديوى

٢٤ - الوثيقة رقم ٢٠٣ فى ٢١ شوال سنة ١٢٤٢هـ دفتر رقم ٧٣٣ ديوان خديوى

٢٥ - الوثيقة رقم ٢٥١ فى ٤ رجب سنة ١٢٤٤هـ دفتر رقم ٧٣٩ ديوان خديوى

٢٦ - الوثيقة رقم ٥٠٥ فى سنة ١٢٤٣هـ دفتر رقم ٧٣٧ ديوان خديوى

٢٧ ـ الوثيقة رقم ٢ فى ١١ صفر سنة ١٢٣٦هـ محفظة رقم ٧ معية تركى
٢٨ ـ الوثيقة رقم ٨ فى ١٣ محرم سنة ١٢٣٦هـ دفتر رقم ٨ معية تركى
٢٩ ـ الوثيقة رقم ١٦ فى ٩ رجب سنة ١٢٣٨هـ دفتر رقم ١٤ معية تركى
٣٠ ـ الوثيقة رقم ٤٢ فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٤٣هـ دفتر رقم ٣١ معية تركى
٣١ ـ الوثيقة رقم ٣٦ فى ١٧ شعبان سنة ١٢٤٧هـ محفظة رقم ١٧. معية تركى
٣٢ ـ الوثيقة رقم ٥٤ فى ١٩ جمادى الأولى سنة ١٢٤٤هـ دفتر رقم ٤٠ معية تركى
٣٣ ـ الوثيقة رقم ٩٥ فى ١٦ ربيع الأول سنة ١٢٣٦هـ دفتر رقم ٧ معية تركى
٣٤ ـ الوثيقة رقم ٩٦ سنة ١٢٣٦هـ دفتر رقم ٧ معية تركى
٣٥ ـ الوثيقة رقم ٩٧ فى ١٦ ربيع الأول سنة ١٢٣٦هـ دفتر رقم ٧ معية تركى
٣٦ ـ الوثيقة رقم ١٠٢ سنة ١٢٣٨هـ دفتر رقم ١٤ معية تركى
٣٧ ـ الوثيقة رقم ١١٠ فى ١٣ محرم سنة ١٢٣٦هـ دفتر رقم ١٤ معية تركى
٣٨ ـ الوثيقة رقم ١١٠ فى ٢٢ شعبان سنة ١٢٧٩هـ دفتر رقم ٢٢٥ معية تركى .
٣٩ ـ الوثيقة رقم ١٢٥ فى ١٦ صفر سنة ١٢٤٩هـ دفتر رقم ٥٤ معية تركى
٤٠ ـ الوثيقة رقم ١٦٠ فى ٩ شعبان سنة ١٢٣٩هـ دفتر رقم ١٥ معية تركى
٤١ ـ الوثيقة رقم ١٨٩ سنة ١٢٣٦هـ دفتر رقم ٧ معية تركى
٤٢ ـ الوثيقة رقم ١٩١ فى ١٥ شعبان سنة ١٢٣٦هـ دفتر رقم ٧ معية تركى
٤٣ ـ الوثيقة رقم ١٩٤ فى ٨ رجب سنة ١٢٣٧هـ دفتر رقم ١٠ معية تركى
٤٤ ـ الوثيقة رقم ٢١٨ فى ٤ صفر سنة ١٢٣٩هـ دفتر رقم ١٤ معية تركى
٤٥ ـ الوثيقة رقم ٢٣٧ فى ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٤٣هـ دفتر رقم ٧٣٧ معية تركى
٤٦ ـ الوثيقة رقم ٢٥٧ سنة ١٢٤١هـ دفتر رقم ٢٢ معية تركى
٤٧ ـ الوثيقة رقم ٣٠٧ فى ٦ محرم سنة ١٢٤٩هـ دفتر رقم ٤٧ معية تركى
٤٨ ـ الوثيقة رقم ٣٠٩ فى ١١ محرم سنة ١٢٣٧هـ دفتر رقم ١٠ معية تركى
٤٩ ـ الوثيقة رقم ٣٨٣ فى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٢٤٥هـ دفتر رقم ١٠ معية تركى
٥٠ ـ الوثيقة رقم ٤٩٩ فى ٢٦ ذى الحجة سنة ١٢٣٥هـ دفتر رقم ٥ معية تركى
٥١ ـ الوثيقة رقم ٥٩٤ فى ٩ ربيع الثانى سنة ١٢٤٠هـ دفتر رقم ٥ معية تركى
٥٢ ـ الوثيقة رقم ٦٢٩ فى ١٦ شوال سنة ١٢٣٧هـ دفتر رقم ٩ معية تركى

٣ ـ الوثائق العثمانية المترجمة فى دارة الملك عبد العزيز . بالرياض :

١ ـ الوثيقة بدون رقم غير معروفة التاريخ ٢/٣م ـ ٧

٢ ـ الوثيقة رقم فى ٢٥ ذى القعدة سنة ٩٦٧هـ د ٣ / ٢٣ .

٣ ـ الوثيقة رقم فى ٢٥ ربيع الأول سنة ١٢٠٨هـ ١/ ٢ ـ ١

٤ ـ الوثيقة رقم فى سنة ١٢١٢هـ ٢/٨ ـ ٣

٥ ـ الوثيقة رقم فى سنة ١٢١٤هـ ، ١٢١٥هـ ١/ ٢ ـ ٥

٦ ـ الوثيقة رقم ١٩٨ / ٦٥ سنة ١٢٠٦هـ د ١٦ / ١

٧ ـ الوثيقة رقم ٢٢٠٥ غير معروفة التاريخ ٢/ ٩ ـ ٩

٨ ـ الوثيقة رقم ٤٣٣١ غير معروفة التاريخ ٢/ ٨ ـ ١٠

٩ ـ الوثيقة رقم ٤٣٣٨ غير معروفة التاريخ ١/ ٢ ـ ٥

١٠ ـ الوثيقة رقم ٤٦٢٨ غير معروفة التاريخ ٢/ ٣م ـ ١٧

١١ ـ الوثيقة رقم ٨٥٤٤ غير معروفة التاريخ ٢/ ٨ ـ ٢٧

١٢ ـ الوثيقة رقم ٨٦٨٦ غير معروفة التاريخ ١/ ٢ ـ ٢٨٥

١٣ ـ الوثيقة رقم ٩١١٨ سنة ١٢٦١هـ ٢/ ٨ ـ ٢٢

١٤ ـ الوثيقة رقم ١٩٦٩٩ فى ١٥ محرم سنة ١٢٣٠هـ ٢/ ٨ ـ ١٩

١٥ ـ الوثيقة رقم ٤٦٩٨ فى سنة ١١٢٧ ، ١١٢٨هـ ٢/ ٣م ـ ٣٤ .

ثانيا : المخطوطات العربية :

ابن فرحون ، أبو محمد عبد الله بن محمد اليعمرى المالكى (ت ٧٦٩هـ) .

١ ـ نصيحة المشاور وتعزية المجاور

مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٥١ تاريخ

أبو الفتوح ، محمد بن محمد بن صالح الشافعى الكنانى (عاش فى القرن العاشر الهجرى)

٢ ـ بغية الطالبين وإجابة السائلين عن أخبار دار سيد المرسلين

مخطوط بمكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم ٣٤٧٧٤ .

أحمد بن حجر الهيثمى (ت ٩٧٤ هـ)

٣ ـ تحفة الزوار إلى قبر النبى المختار

مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ١٣٣ تاريخ

جعفر بن حسين بن على بن إبراهيم بن هاشم الحسينى (ت ١٣٤٥هـ)

٤ ـ الأخبار الغريبة فى ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة

مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ١٤٦ تاريخ دهلوى

عبد الله بن السيد أسعد الحنفى (عاش فى القرن الثانى عشر الهجرى)

٥ ـ رسالة الدرة البهية فى كسوة الحجرة النبوية

مخطوط بمكتبة بشير أغا الملحقة بمكتبة السليمانية بإستانبول برقم ٤٧٦ .

عبد الغنى النابلسى (عاش فى القرن الحادى عشر الهجرى)

٦ ـ الرحلة النابلسية المعروفة « بالحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز »

مخطوط بمكتبة الحرم المكى فى ثلاثة أجزاء برقم ١١٢ تاريخ .

عبد المعلى بن أحمد المالكى السخاوى (عاش فى القرن العاشر الهجرى) .

٧ ـ الدر الثمين فى وصف دار الوحى والتمكين

مخطوط بالخزانة الملكية بالمغرب برقم ٨١٢٦

محمد كبريت بن عبد الله الحسينى المدنى الموسوى (ت ١٠٧٠هـ)

٨ ـ الجواهر الثمينة فى محاسن المدينة

مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ٢٤ تاريخ .

ملا أحمد أفندى الأنصارى (عاش فى القرن العاشر الهجرى)

٩ ـ رسالة فى عمارة الجدار الشرقى من المسجد النبوى سنة ٩٩٥هـ

مخطوط ضمن مجموع فى مكتبة مصطفى عاشر أفندى الملحقة بمكتبة السليمانية بمدينة إستانبول برقم ١١٥٧ رسائل .

ثالثا : المخطوطات والكتب التركية القديمة :

أحمد بشكارى زاده

١ ـ حرم نبوى شريف رسالة سى « رسالة فى الحرم النبوى الشريف »

مخطوط بمكتبة عاشر أفندى بالمدينة المنورة برقم ٢١٦ تاريخ

محمد ظلى أوغلى أوليا جلبى

٢ ـ أوليا جلبى سيا حتنامة سى جلد ١٣

ترجمة الدكتور الصفصافى أحمد المرسى « مخطوط معدة للنشر » .

أيوب صبرى باشا

٣ ـ مرآة الحرمين جـ ١ ، ٢ (مرآة مدينة)

الطبعة الأولى ، القسطنطينية ، ١٣٠٤هـ

درويش عشقى المعروف بمصطفى بن عمر الكلسى

٤ ـ الموارد المجيدية فى تاريخ بلد خير البرية (ألف سنة ١٣٦٢هـ)

ميكروفلم مصور عن نسخة المكتبة الأهلية بباريس برقم ١٠٣٩ تاريخ تركى

شاكر الترجمان الفارسى

٥ ـ « قبة سعادة تعميرنه دائر رسالة » (رسالة فى تعمير قبة الروضة المطهرة)

« الفت سنة ١٢٣٣هـ »

مخطوط بمكتبة جامعة إستانبول برق ٦٦٨٤ تاريخ تركى

محمد أمين المكى

٦ ـ « خلفـاى عظام عثـمـانيـة حظرتنك حـرمين شـريفنيـدكى اثار مـبـرورة ومـشكـورة همـايونلرندن» (الآثار المبرورة والمشكورة للخلفاء العثمانيين فى الحرمين الشريفين) المطبعة العثمانية ، إستانبول ، ١٣١٨هـ

محمد كامل المدنى

٧ ـ « تجديد حرم محبوب يزدان در عهد سلطان عبد المجيد خان » (تجديد الحرم المحبوب فى عهد السلطان عبد المجيد خان) .

« ألف فى محرم سنة ١٢٩٩هـ)

مخطوط بمكتبة جامعة إستانبول برقم ٦١٢٨ تاريخ تركى .

نعمت

٨ ـ « سلطان محمود أولك روضة مطهرة يه كوندر ديكي مجوهرات » (المجوهرات التى أرسلها السلطان محمود الأول إلى الروضة المطهرة) . مخطوط بمكتبة جامعة إستانبول برقم ٢٥٠٥ تاريخ تركى

٩ ـ حجاز ولاية سالنامة (التقرير السنوى لولاية الحجاز) لعام ١٣٠٣هـ .

مجهول

١٠ ـ حرم شريفك أوصافى (أوصاف الحرم الشريف) مخطوط بمكتبة جامعة إستانبول برقم ٦٧٠٦ تاريخ تركى .

رابعا : الكتب التركية الحديثة :

ARSEVEN : Celal Esad .

1 - Sanat Ansiklopedis . cild . 5 .

Milli Egitim Basimevi, Istanbul , 1966 .

2 - Turk Sanati Tarihi :

Cild I Maarif Basimevi

Cild VI' Milli Egitim Basimevi istanbul .

Aslanapa' phil oktay :

3 - Osmanlilar DEVRINDE Kutahya ; Cinileri Istanbul , 1949 .

Ekrem Hakki Ayverdi :

4 - Osmanli Mimarisinde . IV

" Fatih Devri " 855 - 886 (1451 - 1481) Istanbul 1974 .

Ferid Devellioglu

5 - Osmanlica - Turkce Ansiklopedik lugat

Aydin Kitabevi Ankaro . 1982 .

Yildiz Demiriz :

6 - Osmanli Mimarisi , Nde :

Susleme 1 .

Erkén Devir (1300 - 1433)

Kultur Bakanligi istanbul - 1979 .

خامسا : المصادر العربية المطبوعة :

إبراهيم رفعت باشا

١ ـ مرآة الحرمين ، جـ ١ ، ٢ .

الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م .

أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن عمر (ت ٢٧٥ هـ)

٢ ـ سنن أبي داود جـ ١

إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد .

الطبعة الأولى ، دار الحديث ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

البخارى ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)

٣ ـ صحيح البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى ، جـ ٦ ، ١٤

تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وآخرون .

مطبعة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

الترمذى ، أبو عيسي محمد بن عيسي بن سورة (ت ٢٧٩ هـ)

٤ ـ سنن الترمذى جـ ٥

تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض

الطبعة الثانية ، مصطفى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م.

الدارمى ، عبد الله بن عبد الرحمن ابن الفضل (ت ٢٥٥ هـ)

٥ ـ سنن الدرامى جـ ٢

دار الفكر ، القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م.

ابن عبد السلام الدرعى

٦ ـ ملخص رحلتى ابن عبد السلام الدرعى (المتوفى سنة ١٢٣٩هـ)

إعداد وتعليق حمد الجاسر

الطبعة الأولى ، دار الرفاعى للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

ابن مليح ، أبى عبد الله محمد بن أحمد القيسى (الحادى عشر الهجرى)

٧ ـ أنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب .

تحقيق محمد الفاسى .

نشر وزارة الدولة للشئون الثقافية والتعليم الأصلى بالمملكة المغربية ، فارس ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

ابن منظور ، أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم

٨ ـ لسان العرب ، جـ ٢ ، ٤ ، ٥

الطبعة الأولى ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

أبو سالم عبد الله بن محمد العياشى (ت ١٠٩٠هـ)

٩ ـ الرحلة العياشية (ماء الموائد) جـ ١ ، ٢

صورة بالأفست عن مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

أحمد الرشيدى « المتوفى فى حدد سنة ١١٨٧ هـ »

١٠ ـ حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج .

تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد

مكتبة الخانجى بمصر ، القاهرة ١٩٨٠ م.

أحمد زينى دحلان

١١ ـ رسائل فى فضائل العثمانيين وحسناتهم وعمائرهم

ملحقة بالتقرير السنوى المقدم عن ولاية الحجاز سنة ١٣٠٣هـ .

الطبعة الثانية ، المطبعة الميرية بمكة المكرمة .

أحمد عبد الحميد العباسى (عاش فى القرن العاشر الهجرى)

١٢ ـ عمدة الأخبار فى مدينة المختار

تصحيح محمد الطيب الأنصارى

الطبعة الثالثة مطبعة المدنى ، القاهرة .

نشر أسعد طرابزونى الحسينى .

إمارة مكة المكرمة

١٣ ـ الطوالع السنية فى نظام التدريس الجديد بمسجد مكة المحمية .

المطبعة الماجدية ، مكة المكرمة ١٣٣٢هـ / ١٩٠٣م

بدر الدين محمد الغزى

١٤ ـ الزبدة فى شرح البردة (٩٠٤ ـ ٩٨٤هـ)

تحقيق عمر موسى باشا

الطبعة الأولى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م .

جعفر بن السيد إسماعيل البرزنجي (ت ١٣١٧هـ)

١٥ ـ نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين

الطبعة الأولى ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م

الحسيني بن محمد الورثلاني

١٦ ـ الرحلة الورثلانية ١١٧٩ ـ ١١٨٠هـ المعروفة (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار).

الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

رفيع الدين بن فريد الدين الفاروقي المرابادي (١١٣٢ ـ ١٢٢٣هـ)

١٧ ـ الرحلة الحجازية

ترجمة يوسف حسين أحمد

مخطط معدة للنشر .

شمس الدين بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)

١٨ ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، جـ ١

تحقيق محمد حامد الفقي

مطبعة دار نشر الثقافة ، القاهرة ١٩٧٩م

نشر أسعد طرابزوني الحسيني .

عبد الرحمن الجبرتي

١٩ ـ تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار جـ ١ ـ ٣ .

الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٨م.

عبد الرحمن الأنصاري (١١٢٤ ـ ١١٩٥هـ)

٢٠ ـ تحفة المحببين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب

تحقيق محمد العروسي المطوي

الطبعة الأولى ، المكتبة العتيقة ، تونس ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م

عبد القادر بن محمد الجزيري (٩١١ ـ ٩٧٤ هـ)

٢١ ـ درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة .

المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ١٣٨٤م.

على بن موسى الأفندى (أوائل القرن الرابع عشر الهجرى)
٢٢ - وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م
رسائل فى تاريخ المدينة المنورة ، الرسالة الأولى .
منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
قطب الدين الحنفى النهروالى (ت ٩٩٠هـ)
٢٣ - الإعلام بأعلام بيت الله الحرام
طبعة غتنغة سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م.
مجهول
٢٤ - وضع الأهلة فوق القبة ومنائر الحرم المدنى .
رسائل فى تاريخ المدينة المنورة ، الرسالة السادسة .
منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)
٢٥ - انظر البخارى
محمد بن خضر الرومى
٢٦ - التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة .
رسائل فى تاريخ المدينة المنورة ، الرسالة الثانية .
منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م .
محمد شفيق غربال
٢٧ - مصر عند مفترق الطرق « شرح وتعليقات على أجوبة حسين أفندى الروزنامجى »
الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٩م المجلد رقم ٤ من مجلة كلية الآداب ، مايو ١٩٣٦م.
محمد صادق باشا
٢٨ - دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج
الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق ، القاهرة ١٣١٣هـ .
محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ)
٢٩ - انظر الترمذى

محمد لبيب البتنونى

٣٠ ـ الرحلة الحجازية

الطبعة الثانية ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

محمد ناصر الدين الألبانى

٣١ ـ ضعيف الجامع الصغير جـ ٢ .

الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامى دمشق ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

نور الدين على بن أحمد السمهودى (ت ٩١١ هـ).

٣٢ ـ وفاء الوفا جـ ١ ، ٢

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد

الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧١م

سادسا : المراجع العربية الحديثة :

أحمد شلبى

١ ـ التربية الإسلامية نظمها وفلسفتها وتاريخها .

الطبعة السادسة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٨م.

توفيق أحمد عبد الجواد

٢ ـ تاريخ العمارة الفنون فى العصور الأولى ، جـ ١

الطبعة الثانية ، دار وهدان للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٠م

حسن الباشا

٣ ـ الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار

دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٨م.

حسن عبد الوهاب

٤ ـ التأثيرات العثمانية على العمارة الإسلامية فى مصر

بحث مستل من إحدى المجلات منه نسخة فى مكتبة متحف الفن الإسلامى

مكتبة الدكتور مرزوق برقم ١٧٦٢

حسين مؤنس

٥ ـ المساجد

عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

ربيع حامد خليفة

٦ ـ فنون القاهرة فى العهد العثمانى (١٥١٧ ـ ١٨٠٥م)

مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ١٩٨٤م.

زكى محمد حسن

٧ ـ فنون الإسلام

دار الرائد العربى ، بيروت .

زمباور

٨ ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، جـ ١

ترجمة ونشر زكى محمد حسن وآخرون .

مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ١٩٥١م.

سعاد ماهر

٩ ـ الخزف التركى

الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، القاهرة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

صالح لمعى

١٠ ـ التراث المعمارى الإسلامى فى مصر

الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية للطباعة النشر ، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

١١ ـ المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمارى

الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

عبد الفتاح حسن أبو عليه

١٢ ـ النقود والموازين والمقاييس فى سنجق الحسا فى العهد العثمانى (١٨٧١ـ ١٩١٣م)

دار المريخ ، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

عبد السلام هاشم حافظ

١٣ ـ المدينة المنورة فى التاريخ

الطبعة الثانية ، دار التراث ، القاهرة ١٣٩٢هـ

عبد العزيز محمود الأعرج

١٤ ـ الزليج فى العمارة الإسلامية بالجزائر فى العصر التركى

رسالة ماجستير لم تطبع ، مقدمة إلى جامعة القاهرة ، كلية الآثار ـ قسم الآثار الإسلامية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

عبد القادر الريحاوى

١٥ ـ العمارة العربية الإسلامية (فى سوريا)

طبع ونشر وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، دمشق ١٩٧٩م.

عبد القدوس الأنصارى

١٦ ـ آثار المدينة المنورة

الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

عبد الوهاب خلاف

١٧ ـ علم أصول الفقه

الطبعة العاشرة ، الكويت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

عطية محمد سالم

١٨ ـ التراويح أكثر من ألف عام فى مسجد النبى عليه السلام

الطبعة الثانية ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

على أحمد الطايش

١٩ ـ المنسوجات فى مصر العثمانية

رسالة ماجستير لم تطبع ، جامعة القاهرة كلية الآثار ـ قسم الآثار الإسلامية ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

فالترهنتس

٢٠ ـ المكاييل والأوزان الإسلامية

ترجمة كامل العسلى

منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ١٩٧٠م

فريد شافعى

٢١ ـ العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة)

الطبعة الأولى ، المطبعة الثقافية ، القاهرة ١٩٧٠م

نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

٢٢ ـ العمارة العربية الإسلامية (ماضيها وحاضرها ومستقبلها)

الطبعة الأولى ، شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة) الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م نشر عمادة شئون المكتبات ـ جامعة الملك سعود .

كريزول

٢٣ ـ الآثار الإسلامية الأولى

ترجمة عبد الهادى عبلة ، تعليق أحمد غسان سبانو

الطبعة الأولى ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

نشر دار قتيبة .

كمال الدين سامح

٢٤ ـ العمارة الإسلامية فى مصر

مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (سلسلة الألف كتاب ، رقم ٢٥٣)

٢٥ ـ تطور المئذنة فى العمارة الإسلامية

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

محمد عبد العزيز مرزوق

٢٦ ـ الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤م.

محمد عبد الرحمن الشامخ

٢٧ ـ التعليم فى مكة والمدينة آخر العهد العثمانى

الطبعة الثانية ، دار العلم ، الرياض ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

محمد عبد اللطيف البحراوى

٢٨ ـ حركة الإصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م)

الطبعة الأولى ، مطابع المختار الإسلامى ، دار السلام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

محمد مصطفى

٢٩ ـ سجاجيد الصلاة التركية

(مجموعة متحف الفن الإسلامى) القاهرة ١٩٥٣م.

محمد ناصر الدين الألبانى

٣٠ ـ ضعيف الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)

الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامى ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

محمد هزاع الشهرى

٣١ ـ عمارة المسجد النبوى فى العصر المملوكى

الطبعة الأولى ، دار القاهرة للكتاب ، مكتبة القاهرة للكتاب ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

محيى الدين طالو

٣٢ ـ الفنون الزخرفية

الطبعة الأولى ، دار دمشق ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

هدايت على تيمور

٣٣ ـ جامع الملكة صفية

رسالة ماجستير لم تطبع ، مقدمة إلى جامعة القاهرة كلية الآثار ـ قسم الآثار الإسلامية ـ سنة ١٩٧٧م.

وزارة الإعلام

٣٤ ـ توسعة الحرمين الشريفين .

هشام على عجيمى

٣٥ ـ قلعة المويلح

رسالة ماجستير لم تطبع مقدمة إلى جامعة أم القرى بمكة ، كلية الشريعة الدراسات الإسلامية ـ قسم الحضارة والنظم الإسلامية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

يوسف إسماعيل النبهانى

٣٦ ـ المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية

الطبعة الأولى ، القاهرة .

سابعا : الدوريات :

حسن الباشا

١ ـ الفن عند الشعوب الإسلامية ، مجلة الدارة ، العدد ٣ ، ٤ السنة الثانية شوال سنة ١٣٩٦هـ .

٢ ـ عمارة المسجد (الحرم النبوى الشريف فى عهد العثمانيين) منبر الإسلام العدد ٧ السنة ٢٦ رجب ١٣٨٨هـ .

عبد الحق النقشبندى

٣ ـ من ذاكراتى قبل نصف قرن ، مجلة المنهل عدد ٥ سنة ١٣٨٢هـ.

عبد اللطيف إبراهيم

٤ ـ جلدة مصحف بدار الكتب المصرية

كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد العشرون ، الجزء الأول سنة ١٩٥٨م.

عظمت شيخ

٥ ـ البوم صور عن الحرمين الشريفين طبع فى إيطاليا سنة ١٩٨٣م.

مجلة العربى

- استطلاع عن مدينة إستنابول العدد ١١٠ شوال سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م.
- صورة لبعض الأنواع القديمة من وسائل الإضاءة فى الحرم النبوى العدد ١٥١ ربيع الثانى ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

- استطلاع عن مكة المكرمة المدينة المنورة العدد ١٥٨ ذو القعدة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٣م .
- استطلاع عن المدينة المنورة العدد ٢٥٢ ذو القعدة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

محمد العيد الخطراوى

٦ - المدينة المنورة مهاجر الرسول ومدفنه ومبعثه ، مجلة الفيصل العدد السادس السنة الأولى ذى الحجة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- مكتبة المصحف ، مجلة الفيصل العدد الثانى السنة الأولى شعبان ١٣٧٧هـ/ ١٩٧٧م.

ثامنا : المراجع الأجنبية :

1 - Arseven, Celal Isad : les Arts Decoratife Turcs Milli Egitim Basimevi istanbul .

2 - Burckhard , J.; Travels in Arabia (London 1968) .

3 - Burton, R. Personal Narrative of a pilgrimage to Al-Madinah Maccah. 2 vol (New York) .

4 - Garcin, J. and (Maury , Revault, Zakariya). : Palais El Maisons ou Caire 1. Epoque Mamelouke (XIII - XVI siecles) .

5 - Islamic Review : The extension of the prophets Mosque at Medina , Saudi Arabia , XIII No. 10 (1954) 28 - 9.

6 - Goodwin, G.: A history of Ottoman Architecture The Johns Hopkins press . Baltimore .

7 - Kean, J. F. : Six Months in the Hejaz (London 1887) .

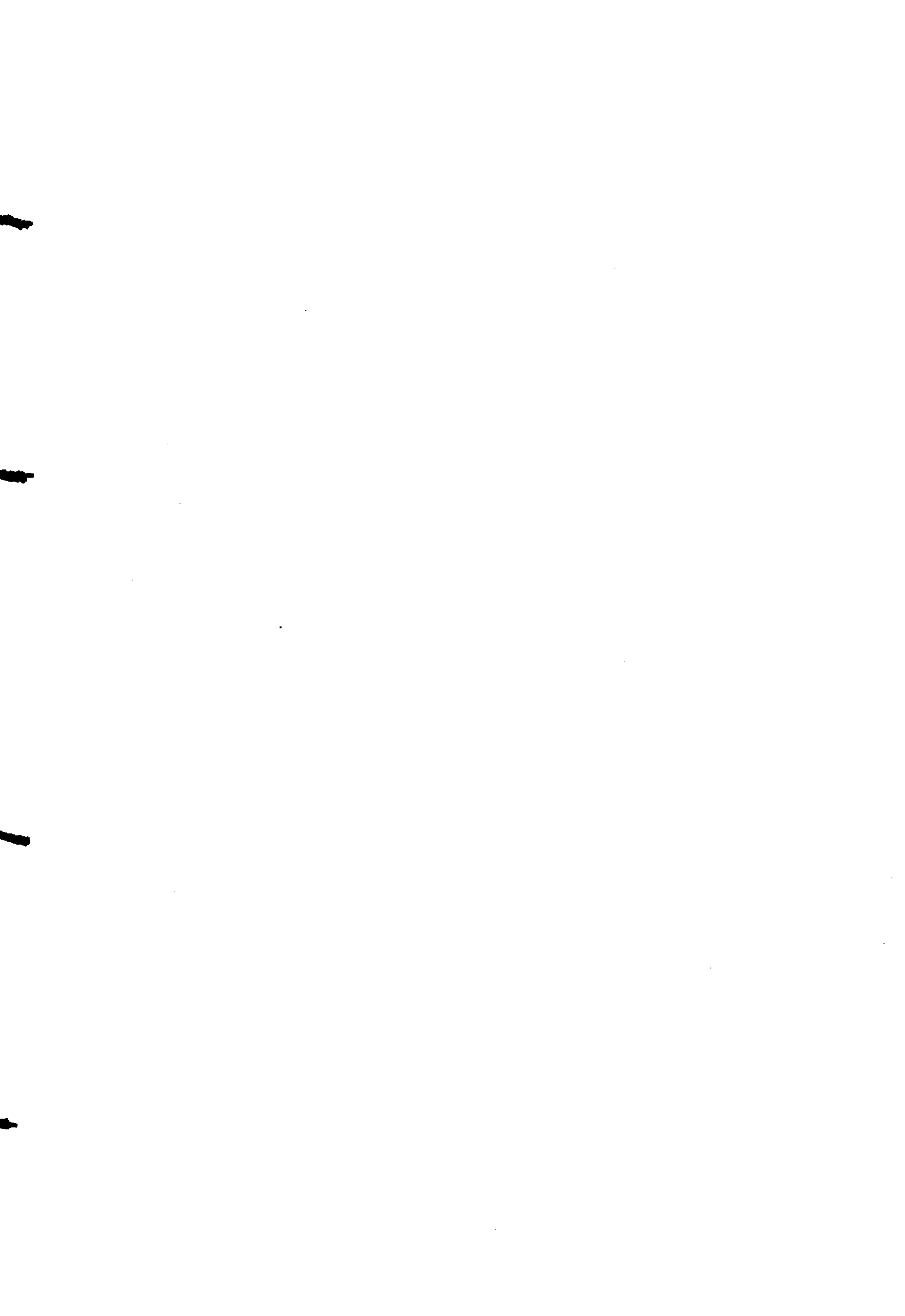
8 - Levey , Michael . : The world of Ottoman art, Thames and Hudson (L ondon 1976) .

9 - Metin Sozen. : The evolution of Turkish art and Architecture . Haset Kitabevi A. S. Istanbul, Turkey .

10 - Philby , H. St J. B. : Apilgrim in Arabia (London 1946) .

11 - Tahisin OZ. : Turkish Ceramics (istanbul) .

الملاحق



الملحق الأول

نص الرسالة التى بعث بها أبو بكر باشا إلى عثمان باشا شيخ الحرم النبوى سنة ١٢٧٠هـ.

فليكن معلوما لمعاليكم ، بأننى قد عزمت على الذهاب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج الشريف ، ويلزم وكيلا ينوب عنى فى وظيفتى ، خلال فترة ذهابى وإيابى من الحج، فهل يمكن أن يكون صاحب العزة لطيف أفندى ، مدير الحرم الشريف وكيلا بالنيابة عنى، أو أنكم تختارون شخصا آخر ولكم مطلق الخيار، والأمر والفرمان لحضرة من له الأمر » .

فى ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٧٠هـ.

عن أيوب صبرى : مرآة المدينة ، جـ ٢ ص ٧٩٩ _ ٨٠٠

الملحق الثاني

صورة من الأمر العالي الصادر بخصوص تعمير وإنشاء الأبنية الرفيعة

« المشير المفخم ، نظام العالم ، مدبر الأمور ومهام الآنام بالرأى الصائب ، والممهد بنيان الدولة والإقبال ، مشير أركان العادة والإجلال المحفوف بصفوف عواطف الملك الأعلى، وزيرى طوسون باشا المشير بالجيش السلطانى، والحامل والحائز لقلادة السلطنة من المرتبة الأولى أدام الله تعالى إجلاله ، وافتخار الأعالى والأعاظم شيخ الحرم النبوى الشريف، وكنعان الحائز والحامل لقلادة السلطنة من المرتبة الثانية، مدير المدينة المنورة ومن رجال الدولة العلية الأكفاء والمختص بمزيد من عناية الملك الدائم ، أدام الله إجلاله وافتخار الأعالى والأعاظم ، وأدهم باشا المشرف على الأبنية الرفيعة أمير الأمراء ، وفخر الأمراء الكرام ومعتمد الكبار الفخام ، ذو القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام، المختص بمزيد من عناية الملك الأعلى، ومولانا قاضى المدينة المنورة وأقضى قضاة المسلمين الأولين ، وولاة الموحدين معدن الفضل واليقين، ورافع الأعلام الشريفة والدين ، ووارث علوم الأنبياء المرسلين ، المختص بمزيد من عناية الملك المعين . ليكن معلوما ، بأن المعلومات الجديدة التى أحضرها الحاج محمد راشد دام علوه ، وهو من رجال الدولة العلية ، وعضو بمجلس الشورى العسكرى، وهو افتخار الأعالى والأعاظم، والذى أرسل من قبل السلطنة للتحقيق والتفتيش، على عملية التعمير فى مبانى صاحب الرسالة . والمطالعات المحلية والمضابط المدونة والخرائط وسائر الأوراق المتعلقة بموضوع التعمير ، عرضت على المختصين لدراستها ، وأن الرأى فيها وبناء على هذا صدر الفرمان الخاص بهذا الموضوع . أن التعميرات الجليلة تنقسم إلى قسمين : القسم الأول خاص بتعمير نهاية الحرم النبوى الشريف وكل متعلقاته ، والقسم الثانى خاص بتعمير داخل الحرم النبوى الشريف وكل مشتملاته . والجزء الخاص بنهاية الحرم تمت الاصلاحات والتعميرات الخاصة به ، أما الجزء الخاص بداخل الحرم النبوى، تقرر تجديد الأبنية التى بناها قايتباى والملاصقة لباب الرحمة ـ والقضية التى تأتى بعد ذلك هى مسألة الأعمدة الموجودة داخل الحرم النبوى،والمقامة تحت الأسقف والقباب التى تحتاج إلى تعمير، فبعد الكشف عليها اتضح أن الأسقف التى فوقها مصنوعة من الأخشاب ،والأعمدة التى

تحتها مبنية من قطع متفرقة من الأحجار ، وبليت بمرور الزمن وأصبحت مربوطة بالحديد للمحافظة عليها من السقوط، كما أنه أصبح بعضها مائلا . واتفقت الآراء على تجديدها وتعميرها ، ولكن الذى يثير الجدل فى هذا الموضوع ، هو إمكانية احداث تغيير فى شكلها القديم من عدمه ، وكان لزاما الأخذ بالفتوى الشرعية فى هذا الموضوع، وبعد التدقيق والدراسة لرأى أهل التعمير وأهل الفتوى الشرعية، وذلك بمعرفة العلماء الكرام العظام والنواب الفخام ، فى اجتماعهم بالمجلس الخاص لبحث هذا الموضوع بدار الافتاء بالسلطنة، حيث بحثوا أيضا فى الأوراق المضابط والخرائط الواردة . وتبين لهم بأنه من بين الأعمدة التى تحتاج إلى التعمير ، الأعمدة الثمان المباركة التى خلفها الرسول (ﷺ)، ولكن على حسب الفتوى الشرعية يجب إبقاء تلك الأعمدة على حالها دون تغيير ، ووجدوا أنه لكى يمكن توسيع مكان الصلاة بالمسجد يجب تقليل عدد الأعمدة الأخرى، وتغيير أماكن بعضها وتجديدها وتغيير شكلها ، حتى تتناسب مع الطراز الجديد الذى تم عمله فى مؤخرة المسجد النبوى ، علما بأن أهل الفتوى اعتبروا أن الأعمدة التى بناها عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما ، من الآثار المباركة وتعامل معاملة أعمدة الرسول الكريم. وعلى ذلك فإنها لم يحدث لها أى تغيير أو تجديد حتى ذلك الوقت ، وأجازت الفتوى الشرعية التجديد التغيير والتقليل فى الأعمدة التى شيدها السلطان مراد الرابع والسلطان قايتباى ـ وبما أنه لا يوجد اعتراض على تجديد الأعمدة القديمة التى بنى فوقها السلطان مراد الرابع القباب التى أنشأها ، مرت بتجديد وتغيير أماكن تلك الأعمدة، جنبا إلى جنب مع القباب والأعمدة ، التى تنشأ لأول مرة فى المسجد النبوى. وتم إصلاح الأعمدة المائلة والأعمدة التى تحتاج إلى بعض التعمير ، واستخدام الحجر الأسود فى بنائها لكى تشبه الأعمدة القديمة الأخرى المبنية بالحجر الأسود . كما تم غطاء الأعمدة القديمة بالرخام من جديد لكى تبدو كما كانت فى وضعها السابق ، ومعظم القباب التى بناها مراد الرابع فى حالة جيدة ، ولا يحتاج سوى ثمانية أعمدة فقط من بين الأعمدة التى تحملها إلى التعمير والإصلاح . وتقرر إنشاء قباب حجرية بدلا من الأسقف الخشبية الكثيرة الموجودة فى المسجد النبوى ، وذلك للمحافظة على المسجد من حدوث حريق وخلافه ـ وتقرر أن تبدأ الإصلاحات والتعميرات بين باب الرحمة ، وباب السلام ، وكذلك بين باب السلام وبين المئذنة الرئيسية ، وتجديد المحراب العثمانى وسقفه ، والقبة العثمانية وإنشاء القباب الجديدة التى بيں دكة الأغوات وبيں باب الرحمة ، مما يجعل المبانى المباركة متينة محكمة ذات

اتساع مناسب ، وتم هدم الجزء المائل من الحائط الكبير الذى يبدأ من المئذنة الرئيسية وينتهى عند باب السلام ، كما تم تجديده . وتمت الاستفادة من الأحجار المكسرة التى خلفتها عمليات الهدم ، ووضعت من جديد فى عمليات بناء جديدة ، وحتى لا تترك وتكون سببا فى الإزعاج . وتم إعادة الأحجار التى تحركت من مكانها فى المنطقة الكريمة الواقعة بين شبكة الحجرة الشريفة وستارتها ، دون المساس بأى جزء منها أو إحداث تغيير أو تبديل فى أى مكان منها ، مع مراعاة كل أنواع الاحترام والإجلال فى تنفيذ كل ذلك. وأثناء هذه التعميرات والإصلاحات الجليلة تم التنبيه مرات ومرات باحترام المكان المقدس وعدم رفع الأصوات فيه وعدم اقتراف أى أعمال منافية للآداب، وروعيت حرمة المكان بكل احترام وتعظيم يمكن لإنسان أن يقدمه فى ذلك المكان المقدس . ودونت كل هذه الملاحظات فى مضبطة المجلس المذكور ، وشكل مجلس مخصوص ومؤقت من الموظفين والمهندسين وملاحظى البناء ،وذلك لرعاية الدقة فى عدم التغيير أو التبديل فى أشكال الآثار النبوية القديمة ، ولرعاية المتانة والرصانة فى الإنشاءات ، ولوقاية الأشياء المخصصة للمبانى الرفيعة من التلف والسرقة ، ولملاحظة سير العمال على أحسن وجه ، ولملاحظة مراحل الإنشاء بدقة . ووضع المجلس الخاص المشار إليه آنفا اللائحة التنفيذية لذلك المجلس المؤقت، وتمت موافقتى السلطانية على ذلك؛ وتم إعلام هذا الأمر الجليل لمختلف الجهات المختصة بواسطة الديوان السلطانى، وعلى شيخ الحرم ، ومديره وحضرات المشار إليهم سابقا، الالتزام باتباع هذه التعليمات وتنفيذ العمل الموكل إليهم بدقة. مراعين متانة ورصانة اتساع المبانى الشريفة، وعدم المساس بأى حال من الأحوال فى الأشكال القديمة للأعمدة الشريفة المباركة المشار إليها ، أو فى هيئتها أو إجراء أى تعديل أو تغيير فى مكانها . وغايتنا هو تقديم أقصى ما فى وسعنا كبشر من التعظيم والإحترام ، فقوموا بالتعمير والإصلاح بناءعلى القرار الصادر بعاليه، وبناء على اللائحة التنفيذية السالفة الذكر، وابتعدوا تماما عما يخالف ذلك. وإذا خالفتم أى شيء من هذه الأمور فسوف تكون مسئوليتكم أمام الله والرسول، وستندمون على أى عمل مخالف، ويجب عليكم التصرف حسب ارادتنا السلطانية، وابذلوا أقصى ما فى وسعكم واسعوا جاهدين على إتمام وإكمال هذه الإصلاحات الجليلة قبل موعدها المحدد.

حرر فى أوائل ذى الحجة الشريفة سنة ١٢٧٣ هـ

عن أيوب صبرى : مرآة المدينة ، جـ ٢ ص ٨٣٧ ـ ٨٤٢

الملحق الثالث

« صورة الفرمان الصادر بخصوص تعيين عربالى زادة أحمد أسعد ابن محمد سعيد أفندى أمينا للأبنية المباركة »

وزيرى مصطفى باشا ـ أدام الله تعالى إجلاله ـ شيخ الحرم النبوى والحاصل على قلادة السلطنة من الدرجة الأولى ، الدستور المكرم ، والمشير المفخم ، ومدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب ، ومتمم مهام الأنام بالرأى الصائب ، وممهد بناء الدولة والإقبال ، ومشيد أركان السعادة والجلال ، والمحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى وأقضى قضاة المسلمين ، وأولى ولاة الموحدين ، معدن الفضل واليقين ورافع أعلام الشريعة والدين ، ووارث علوم الأنبياء والمرسلين ، والمختص بمزيد عناية الملك المعين ، مولانا أسعد زيدت فضائله قاضى المدينة المنورة ، وأحيلت إليه أيضا مهمة الأبنية السعيدة الشريفة، عندما يصل إليكم أمرى السامى فليكن معلوما لديكم، بأنه على أثر وفاة أمين المبانى الشريفة عمر جمال، ولزم تعيين شخصا آخر أهل لذلك ومناسبا ، وأنت يا مولانا نظرا لأنك تتصف بالعفة والاستقامة والرؤية الثاقبة ومناسبا لتولى مهام الأبتية الشريفة ، صدر أمرنا الهمايونى بتعيينك فى هذه المهمة لإتمام تعمير المبانى الشريفة ، وللثقة فى أنك سوف تكمل هذا العمل على أكمل وجه ، فاسرع فى تزويد وزارة المالية بكشف موضح به المصروفات والمأخوذات ، التى صرفت على المبانى الشريفة من الذين سبقوك ، سواء كانوا موظفين مستقلين أو قائم مقام أو وكيل . يجب أن تحافظ على الأشياء المصروفة للأبنية الشريفة من التلف والأسراف ، وأن تحسن فى استقدام الموظفين والعمالة المستخدمة فى التعمير . وأن تعطيهم رواتبهم فى أوقاتها وزمانها المحدد ، على أن يعملوا بخضوع وخشوع وبأدب جم وتعظيم .

وأن يؤدوا صلاة الظهر والعصر جماعة ، ويجب ألا يقترفوا أعمالا تخالف الشرع ، وألا يؤخروا المصلحة العامة .

ومن المنتظر والمأمول منك أن تؤدى وظيفتك بالاتفاق ، والتشاور مع شيخ الحرم المشار

إليه ومع الموظفين القادمين إليك من قبل المجلس المخصوص ، أو القادمين فى مهمة رسمية . وأنت يا شيخ الحرم عليك تنفيذ ما جاء بأمرى السامى هذا وعليك بالاجتهاد .

وقد أرسل أمرى السامى الجليل ، الصادر بخصوص وظيفة هذا المشار إليه . وعند وصوله إليكم عليكم بالعمل والحركة ، على حسب التعليمات متحدين باذلين الجهد .

حرر فى اليوم الخامس عشر من شهر صفر الخير سنة ست وسبعين ومائتين وألف . فى سنة ١٢٦٧ .

عن أيوب صبرى : مرآة المدينة ، جـ ٢ ص ٨٣٨ ـ ٨٤٢ .

الملحق الرابع

بنو عثمان منذ نشأة الدولة حتى سقوطها

١ ـ	عثمان بن طغرل	٦٨٠-٧٢٦هـ/١٢٨١ـ ١٣٣٦م
٢ ـ	أورخان غازى بن عثمان	٧٢٦-٧٦٠هـ/١٣٣٦ـ١٣٥٩م
٣ ـ	مراد الأول بن أورخان	٧٦١-٧٩١هـ/١٣٥٩-١٣٨٩م
٤ ـ	بايزيد الأول (يلدرم بن مراد الأول)	٧٩١-٨٠٤هـ/١٣٨٩-١٤٠٢م
٥ ـ	محمد الأول بن بايزيد الأول	٨١٦-٨٢٤هـ/١٤١٣-١٤٢١م
٦ ـ	مراد الثانى بن محمد الأول	٨٢٤-٨٥٥هـ/١٤٢١-١٤٥١م
٧ ـ	محمد الثانى بن مراد الثانى (محمد الفاتح)	٨٥٥-٨٨٦هـ/١٤٥١-١٤٨١م
٨ ـ	بايزيد الثانى	٨٨٦-٩١٨هـ/١٤٨١-١٥١٢م
٩ ـ	سليم الأول بن بايزيد الثانى	٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠م
١٠ ـ	سليمان الأول بن سليم الأول (سليمان القانونى)	٩٢٦-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م
١١ ـ	سليم الثانى بن سليمان الأول	٩٧٤-٩٨٢هـ/١٥٦٦-١٥٧٤م
١٢ ـ	مراد الثالث بن سليم الثانى	٩٨٢-١٠٠٣هـ/١٥٧٤-١٥٩٥م
١٣ ـ	محمد الثالث بن مراد الثالث	١٠٠٣-١٠١٢هـ/١٥٩٥-١٦٠٣م
١٤ ـ	أحمد الأول بن محمد الثالث	١٠١٢-١٠٢٦هـ/١٦٠٣-١٦١٧م
١٥ ـ	مصطفى الأول بن محمد الثالث	١٠٢٦-١٠٢٧هـ/١٦١٧-١٦١٨م
		١٠٣١-١٠٣٢هـ/١٦٢٢-١٦٢٣م
١٦ ـ	عثمان الثانى بن أحمد الأول	١٠٢٧-١٠٣١هـ/١٦١٨-١٦٢٢م
١٧ ـ	مراد الرابع بن أحمد الأول	١٠٣٢-١٠٤٩هـ/١٦٢٣-١٦٤٠م
١٨ ـ	إبراهيم الأول بن أحمد الأول	١٠٤٩-١٠٥٨هـ/١٦٤٠-١٦٤٨م
١٩ ـ	محمد الرابع بن إبراهيم الأول	١٠٥٨-١٠٩٩هـ/١٦٤٨-١٦٨٧م
٢٠ ـ	سليمان الثانى بن إبراهيم الأول	١٠٩٩-١١٠٢هـ/١٦٨٧-١٦٩١م

٢١ -	أحمد الثانى بن إبراهيم الأول	١١٠٢-١١٠٦هـ/١٦٩١-١٦٩٥م
٢٢ -	مصطفى الثانى بن محمد الرابع	١١٠٦-١١١٥هـ/١٦٩٥-١٧٠٣م
٢٣ -	أحمد الثالث بن محمد الرابع	١١١٥-١١٤٣هـ/١٧٠٣-١٧٣٠م
٢٤ -	محمود الأول بن مصطفى الثانى	١١٤٣-١١٦٨هـ/١٧٣٠-١٧٥٤م
٢٥ -	عثمان الثالث بن مصطفى الثانى	١١٦٨-١١٧١هـ/١٧٥٤-١٧٥٧م
٢٦ -	مصطفى الثالث بن أحمد الثالث	١١٧١-١١٨٧هـ/١٧٥٧-١٧٧٣م
٢٧ -	عبد الحميد الأول بن أحمد الثالث	١١٨٧-١٢٠٣هـ/١٧٧٤-١٧٨٩م
٢٨ -	سليم الثالث بن مصطفى الثالث	١٢٠٣-١٢٢٢هـ/١٧٨٩-١٨٠٧م
٢٩ -	مصطفى الرابع بن عبد الحميد الأول	١٢٢٢-١٢٢٣هـ/١٨٠٧-١٨٠٨م
٣٠ -	محمود الثانى بن عبد الحميد الأول	١٢٢٣-١٢٥٥هـ/١٨٠٨-١٨٣٩م
٣١ -	عبد المجيد الأول بن محمود الثانى	١٢٥٥-١٢٧٧هـ/١٨٣٩-١٨٦١م
٣٢ -	عبد العزيز بن محمود الثانى	١٢٧٧-١٢٩٣هـ/١٨٦١-١٨٧٦م
٣٣ -	مراد الخامس بن عبد المجيد الأول	١٢٩٣-١٢٩٣هـ/١٨٧٦-١٨٧٦م
٣٤ -	عبد الحميد الثانى بن عبد المجيد الأول	١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م
٣٥ -	رشاد (محمد الخامس) بن عبد المجيد الأول	١٣٢٧-١٣٣٦هـ/١٩٠٩-١٩١٨م
٣٦ -	محمد السادس بن عبد المجيد الأول	١٣٣٦-١٣٤١هـ/١٩١٨-١٩٢٢م
٣٧ -	عبد المجيد الثانى بن عبد العزيز	١٣٤١-١٣٤٢هـ/١٩٢٢-١٩٢٣م

عن زمباور فى معجم الأسرات الحاكمة جـ١ ص ٢٣٩ .

ومحمد عبد اللطيف البحراوى فى حركة الإصلاح العثمانى ص ٢٨٨ .

وصالح لمعى فى المدينة المنورة ... ص ١١٣ وما بعدها .

فهرس الأشكـال

(الشكل رقم ٩) أحد تيجان الأعمدة الواقعة تحت المكبرية وقد تميز عن بقية تيجانها بثمانية أشكال لأوراق الأكنتس المنقوشة بالحفر البارز على جوانبه الأربعة .

(الشكل رقم ١٠) تفاصيل بعض الزخارف الهندسية المفرغة فى بعض الأجزاء الرخامية من المنبر المهدى إلى الحرم النبوى الشريف فى عهد السلطان مراد الرابع سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م .

(الشكل رقم ١١) نموذج آخر لبعض الزخارف الهندسية المفرغة فى الرخام فى بعض أجزاء المنبر الواقعة تحت جلسة الإمام وعلى جوانبها . ويتبين منها استخدام الأشكال السداسية والمعينية .

(الشكل رقم ١٢) تفاصيل بعض الزخارف الهندسية المفرغة فى رخام المنبر الشريف تحت جلسة الإمام وعلى جوانبها وأهمها المثلثات المتساوية الأضلاع والأشكال التى تولف المسدسات المعروفة باللوزة .

(الشكل رقم ١٣) أنواع المستطيلات المستخدمة فى زخرفة أجزاء المنبر الشريف وتفصيل موضع بعضها من الأجزاء المفرغة تحت جلسة الإمام وما تحتها .

(الشكل رقم ١٤) تفاصيل جانب من الرخام المنحوتة من الرخام على هيئة أوراق ثلاثية لتزيين قبة المنبر المهدى من السلطان مراد الثالث إلى الحرم النبوى سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م ويتبين منها ظهور تسع شرافات على هيئة ورقة كاملة واقتصار كل من الجانبين على نصف شرافة فقط .

(الشكل رقم ١٥) أشكال الدوائر المتداخلة فى الجزء المفرغ من السياج الرخامى الموضوع على جانبى درج المنبر المهدى إلى الحرم النبوى فى عهد السلطان مراد الرابع سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م .

(الشكل رقم ١٦) تفاصيل الزخارف المرسومة بالأخضر الغامق على النموذج الأل من الخزف الموجودة فوق جدران الحجرة الشريفة من الخارج وقد تميز هذا النوع بتداخل الألوان وتزحزحها عن أماكنها الأصلية بالإضافة إلى عدم ظهور أى من زهرة القرنفل أو السوسن اللتان تميزان الخزف التركى أبان ازدهاره .

(الشكل رقم ١٧) أهم العناصر التى أمكن تحديدها من زخارف النموذج الثانى من البلاط الذى يزين بعض الأماكن المحدودة من جدران المواجهة من الخارج ويتضح من الزهور التى أشتهر بها الخزف العثمانى كالسوسن والقرنفل .

(الشكل رقم ١٨) تفاصيل ما اتضح من العناصر الخزفية التى تزين النموذج الثالث من الخزف الموجود حاليا فوق بعض الأجزاء المحددة من جدار الحجرة الشريفة مما يلى المواجهة . ويتيمز بوجود نماذج جيدة لزهرتى الاله والقرنفل والأوراق المسننة .

(الشكل رقم ١٩) تفاصيل أحدى الأشكال التى يتألف منها النموذج السابع من الخزف التركى فى الحرم النبوى ويلاحظ مماثلتها لبعض الأشكال المألوفة فى تحلية جلدة المصحف وقد انتصرت ألوانها على الأخضر الغامق فى وسط الشكل والأخضر الفاتح فى الأركان والأطراف .

(الشكل رقم ٢٠) تفاصيل النوع الثامن من الخزف المستخدم فى الرواق القبلى من الحرم النبوى وقد اقتصر استخدامه فى تزيين الشكلين المحيطين بالنافذة الموضوعة بأعلى الجدار الشمالى من المنارة الرئيسية مما يلى الركن الجنوبى الشرقى للحجرة الشريفة .

(الشكل رقم ٢١) موقع الأسطوانات التى أعيد تلبيسها فى العمارة المجيدية بالرخام الذى كان يزينها من عهد السلطان سليم الثالث ١٢٠٦هـ/١٧٩١م .

+ موقع الأسطوانات التى لم يشملها الرخام فى العمارة المجيدية وقدميزت بخطوط مستقيمة وأفاريز بارزة وورود كبيرة للدلالة على أنها كانت مزينة بالرخام من عهد السلطان سليم الثالث .

(الشكل رقم ٢٢) نماذج لأجزاء الرخام الذى يكسو الجزء السفلى من اسطوانات الروضة المطهرة وما يليها من مقدم المسجد . ويتألف الرخام الذى يكسو كل اسطوانة من أربعة ألواح متماثلة فى الحجم والزخرفة .

أما الأسطوانات التى تحمل قبة المحراب العثمانى فيتألف الرخام الموضوع على ثلاث منها من ثمان قطع وعشر قطع فوق الأسطوانتين الكبيرتين .

(الشكل رقم ٢٣) تفاصيل جزء من الكسوة الرخامية التى تحلى الجزء السفلى من جدار القبلة ومدخل باب السلام وقد ظهر فيها موضع المربعات الخزفية بين ثلاث قطع من الرخام تميز منها الجزء العلوى والسفلى بكونهما من قطعة رخامية واحدة . أما الكتف الواقعة يمين المربعات الخزفية فمن قطعة منفصلة أحكم ربطها بالجزء العلوى والسفلى حتى غدت كأنها جزء واحد من الرخام .

(الشكل رقم ٢٤) نموذج بعض الشبابيك الدائرية بأعلى رقبة المحراب العثمانى وقد جاءت فوق شباكين معقودين بعقد نصف دائرى وسدت من الخارج بستة ألواح من الزجاج ومن الداخل بنوع من التعشيقات الرخامية .

(الشكل رقم ٢٥) تفاصيل بعض الأشكال الهندسية المرسومة بالألوان المائية (الفرسكو) داخل بعض قباب الرواق القبلى من المسجد النبوى وأهمها عدد من الدوائر المختلفة الأحجام وتظهر مشتركة فى مركز واحد هو صرة القبة .

(الشكل رقم ٢٦) تفاصيل من المقرنصات التى تحمل الشرفة الأولى من منارة باب السلام وقد ظهرت فى ثلاثة صفوف تميز العلوى منها بحفر عميقة بينما جاء الأوسط منها والسفلى متشابهان فى المثلثات والحفر المائلة .

(الشكل رقم ٢٧) تفاصيل الواجهة الداخلية لجدار القبلة من المنارة الرئيسية إلى منارة باب السلام ويتبين منها طريقة ترتيب الأشرطة الكتابية وما يفصلها من أشرطة زخرفية بالإضافة إلى الدعائم البارزة قرب منارة باب السلام وما يزين الجزء العلوى من رسوم مائية ونوافذ وعقود .

(الشكل رقم ٢٨) جدار القبلة من الخارج وما به من النوافذ والانكسارات والدعائم البارزة فى جزءه السفلى مما يلى الحجرة والمنارة الرئيسية. كما يتبين منه خلوه من الشرافات والحليات المعمارية التى اتسم بها الجدار الشرقى من رواق القبلة .

(الشكل رقم ٢٩) مسقط أعمدة قبة المحراب العثمانى ويتبين منها ضخامة الأعمدة الموضوعة فى طرفيها الشماليين والمؤلفة من تسعة أعمدة ، أما الأعمدة الواقعة خلف المحراب النبوى وكذلك القريبة من المحراب العثمانى فقد اقتصر كل منها على ثلاثة أعمدة .

(الشكل رقم ٣٠) مسقط أعمدة المكبرية بوضعها الحالى ويتضح منه وجود العمود المملوكى فى الركن الشمالى الغربى وقد وجد له ثلاثة أمثلة أشير لها فى الرسم بدائرتين متحدتان فى المركز ، أما العمودان المتميزان بتاجين محليين بورق الأكنتس فقد رمز لهما فى الرسم بالعلامة الموجبة .

(الشكل رقم ٣١) مسقط الحرم النبوى فى نهاية العصر المملوكى وقد تميز فيه رواق القبلة بعدد من القباب المتفرقة بالأضافة إلى تزويد

الموضوع المقابل للمواجهة الشريفة بمنور (ياذهنج) للضوء والهواء جاء موقعه كما فى الرسم غرب المنارة الرئيسية . كما ظهر فى الرسم موضع المحراب الحنفى غرب المكبرية .

(الشكل رقم ٣٢) مسقط الحرم النبوى بعد التوسعة التى أضافها السلطان مراد الرابع فى الطرف الشمالى من رواق القبلة ويتضح من الرسم أن المنورين وضعا فى الطرف الشرقى والغربى من البلاطات المضافة كما ظهر فى الرسم تسقيفها بمعدل تسع قباب فى الصف الواحد .

(الشكل رقم ٣٣) مسقط المسجد النبوى قبل العمارة المجيدية وقد شملته الترميمات والتجديدات التى قام بها السلاطين العثمانيون .

(الشكل رقم ٣٤) مخطط الحرم النبوى الشريف بعد العمارة المجيدية كما أعده مهندسوا الأتراك فى أواخر العصر العثمانى وقد ظهرت فيه الأكتاف المسندة بالجدار الشمالى والشرقى والغربى وجزء من جدار القبلة مما يلى باب السلام كما ظهر فى صحنه موضع المشاعل والمصابيح الكهربائية بالإضافة للسياج المحيط بمصلى النساء .

« عن إبراهيم رفعت »

(الشكل رقم ٣٥) مخطط الحرم النبوى الشريف فى أواخر العصر العثمانى وقد أحاطت به الطرقات والمبانى من جميع الجهات .

« عن محمد صادق باشا »

(الشكل رقم ٣٦) مخطط الحرم النبوى فى العمارة المجيدية ١٢٦٩-١٢٧٧هـ وقد تجلت فيه المراحل التى قام بها نظار العمارة .

(الشكل رقم ٣٧) مسقط الرواق القبلى من الحرم النبوى الشريف بعد العمارة المجيدية وتظهر فيه القباب العالية من ذوات الطمبور بلون أسود وقد تركز معظمها فى الجزء الذى عمره عربانى زاده .

(الشكل رقم ٣٨) مسقط الرواق الشمالى من الحرم النبوى الشريف بعد العمارة المجيدية وتظهر فيه الأعمدة منتظمة فى صفين موازيين لجدار القبلة كما تظهر المكاتب والمخازن الملحقة خارج جدار المسجد الشمالى بتقسيماتها وجدرانها المتعددة .

« عن إبراهيم رفعت »

(الشكل رقم ٣٩) مخطط الحجرة الشريفة بعد عمارة السلطان عبد المجيد وقد تميزت بضخامة الأعمدة والأكتاف الملصقة بأعمدة القبة المملوكية ، كما تميزت بالأنكسارات التى أملتها طبيعة اتجاه العقود الجديدة .

« عن إبراهيم العياشى »

(الشكل رقم ٤٠) تفاصيل العناصر الزخرفية المحيطة بالخزائن الجدارية ، الموضوعة فى العمارة المجيدية فى منتصف الجزء السفلى من الجدار الشرقى من رواق القبلة .

(الشكل رقم ٤١) نفاصيل الزخارف الهندسية المتماثلة فى جميع أبواب الشبابيك الموضوعة بأعلى جدار القبلة فى العمارة المجيدية ، وتظهر مؤلفة من طبق نجمى باثنتى عشرة كندة وترس فى الوسط .

(الشكل رقم ٤٢) تفاصيل الزخارف الهندسية التى يتكون منها كل من الطبقين النجميين ، اللذين يحليان قبة المنبر والجزء السفلى من جلسة الإمام .

(الشكل رقم ٤٣) تفاصيل الزخارف الهندسية المكونة من الطبق النجمى وأرباعه ، والموضعة على جانبى المحراب السليمانى ، وتظهر مشابهة تماما لما فى حنية المحراب من زخارف هندسية .

(الشكل رقم ٤٤) تفاصيل الزخارف التى يتيمز بها تاج اسطوانة أبى لبابة عن بقية اسطوانات الروضة المطهرة ويظهر فى الرسم انتهاء المحارة بكابولى يمتد على طول تاج الأسطوانة من جوانبه الأربعة .

« من عمل الطالب »

(الشكل رقم ٤٥) طريقة تكوين الشكل اللولبى الذى يميز أركان التيجان الأيونية المستخدمة فى الرواق القبلى من الحرم النبوى الشريف وقد انتهى كل اثنين منهما بشكل ورقة نباتية متطورة عن أوراق الأكنتس .

(الشكل رقم ٤٦) أجزاء العنصر الزخرفى الظاهر فى المثلثات الكروية التى تقع فى منطقة تكوين القباب الموجودة فوق سقف البلاطتين اللتين أضافهما السلطان عبد المجيد فى مؤخرة الرواق القبلى مما يلى صحن المسجد النبوى .

(الشكل رقم ٤٧) تفاصيل العناصر الزخرفية المنحوتة بالحفر البارز على الحجر فوق العتب العلوى للشباك الموضوع فى العمارة المجيدية فى وسط الجدار الشرقى من رواق القبلة فى موضع باب النبى عليه الصلاة والسلام .
وتظهر الزخارف مؤلفة من أوراق نباتية مسننة وأكاليل محيطة بالبسملة مع ما يميزها من الخطوط المشعة على هيئة ذيل الطاووس .

(الشكل رقم ٤٨) تفاصيل الزخارف المنحوتة بالحفر البارز فى الجزء السفلى من الأسطوانات الواقعة شمال وغرب الروضة المطهرة للدلالة على أنها كانت ملبسة بالرخام قبل العمارة المجيدية وتتميز بأشكال ورود كبيرة تقع فى أربعة أجزاء من كل أسطوانة .

(الشكل رقم ٤٩) تفاصيل الأجزاء الرخامية المعشقة التى تتألف منها زخرفة الجزء العلوى من حنية المحراب العثمانى وقد شملت بعض الخطوط المنكسرة وأنصاف الأوراق الثلاثية النصوص وبعض الأوراق الكاملة فى تقابل وتدابر فريد وقد جاءت ستة أشكال فى الجانب الأيمن ومثلها فى الجانب الأيسر من الشكل المميز فى الرسم باللون الأسود داخل الحنية المذكورة .

(الشكل رقم ٥٠) تفاصيل زخارف البرونز النباتية المتأثرة بالفن الباروكى والتى تزين مصراعى باب السلام وأهمها الشكل الذى رمز له فى الرسم بعلامة + وقد ظهر فى ثمانية عشر موضعاً من المصراع الواحد كما ظهرت منه ثمانية أنصاف رمز لها فى الرسم بعلامة × أما الشكل الذى يتألف من عدة أوراق مخرومة من أسفلها فأشرت لها بالعلامة ÷ وتظهر فى أركان المربعين الذين يحليان أسفل المصراع وأعلاه ، كما أحيطت الكتابات التى تزين المستطيل الواقع فى وسط المصراع بالزخارف النباتية التى أخذت العلامة = .

(الشكل رقم ٥١) طريقة تنظيم النصوص المملوكية المكتوبة بالحفر الغائر على ستة أشرطة نحاسية أعيد استخدامها فى مصراعى باب جبريل المجدد فى العمارة المجيدية .

(الشكل رقم ٥٢) التقسيمات الرئيسية لأهم الأشكال الهندسية المزخرفة بالقطع البرونزية فى ثلاثة من أبواب الحرم الشريف وأهمها الدوائر وما يماثلها من الأشكال البيضاوية .

(الشكل رقم ٥٣) تفاصيل الرفرف المحدث فى العمارة المجيدية فوق نوافذ بعض قباب الرواق من ذوات الطمبور بقصد حمايتها من الأمطار .

(الشكل رقم ٥٤) مسقط الرواق القبلى من الحرم النبوى الشريف بعد العمارة المجيدية ويظهر به ما تبقى من قناديل الزيت المعمولة على عوارض تمتد بين الأعمدة موازية لجدار القبلة وقد رمزت لها بعلامة × . أما السلاسل المتدلية من نفس العوارض دون قناديل فرمزت لها بشرطة مائلة وتظهر محصورة فى مؤخرة الرواق مما يلى الصحن ، كما يظهر فى الرسم موضع الثريات الكهربائية الكبيرة وأهمها الثرياء ذات اللون الأبيض والمهداة من السلطان عبد الحميد الثانى وقد رمزت لموضعها بعلامة + وإلى الشرق والغرب من موقعها تظهر موقع الثريتان المميزتان باللون الوردى.

(الشكل رقم ٥٦) الخطافان اللذان تنتهى بهما السلاسل الفضية المستخدمة فى حمل قناديل الزيت المتبقية من العصر العثمانى فى رواق القبلة ويظهر فيهما النوع الأول أكثر دقة وجمالا مما يؤكد اختلاف مصادر الأهداء .

(الشكل رقم ٥٧) بعض الزخارف المرسومة على البدن الزجاجى للشمعدانين المنصوبين أمام دكة الأغوات وقد حوت بعض الأوراق النباتية والورود المرسومة بالمينا الأبيض والذهبى على أرضية حمراء فاتحة (بلون وردى) ويظهر خلوها من الأوراق والورود التى اشتهر بها الفن العثمانى مما يؤكد حداثة صنعها وأنها مجلوبة فى الأرجح من أحدى المصانع الأوربية .

(الشكل رقم ٥٨) رسم إحدى الدوارق الفخارية المستخدمة فى سقى الماء داخل الحرم النبوى الشريف فى حدود ١٣١٨ - ١٣٢٥هـ وقد ظهرت عليه بعض الزخارف النباتية والهندسية .

« عن إبراهيم رفعت »

(الشكل رقم ٥٩) جدول بأئمة الحرم النبوى الشريف وخطبائه فى العصر العثمانى، كما ورد فى عدد من المصادر .

(الشكل رقم ٦٠) تفاصيل الأشكال الهندسية التى تزين القبة الواقعة فوق دكة المبلغ والمتميزة بالأرتفاع والشكل النصف أسطوانى (البرميلى) وقد حوت ستة عشر معينا كما ظهر فى وسطها بعض الدوائر المنبعجة وأنصافها كما زينت بعدد من الورود والأزهار المتماثلة .

(الشكل رقم ٦١) إحدى النوافذ المحدثة فى العمارة المجيدية بأعلى الجدار الشرقى من رواق القبلة وتظهر مؤلفة من دوائر يحيط بها من الجانبين شكل ثلاثى تميل بعض أضلاعه إلى التدوير .

(الشكل رقم ٦٢) تفـاصـيل تداخل الفـروع والأوراق والورود التى تتـألف منهـا زخرفة النوع الرابع من البلاطات الخزفية المستخدمة فى تحلية بعض الجدران من رواق القبلة وتظهر فروعها متصلة بمثيلاتها فى البلاطة الثانيـة وفق التـرتيب التـالى (١ـ٣) ، (٢ ، ١) ، (٣ ، ٢) .

(الشكل رقم ٦٣) جدول بموضع الآيات والسور التى تزين بطون بعض ثياب رواق القبلة بعد العمارة المجيدية وتظهر كما يتضح من الجدول الثانى مؤلفـة من عـدد يسيـر من السـور الطويلة مع عـدد مـحدود من قصار السور .

(الشكل رقم ٦٤) تفاصيل إحدى قباب رواق القبلة من الخارج وقد علاها جزء أسطوانى طويل يعرف بالشخشيخة بقصد جلب الهواء والنور من فتحاته الجانبية .

فهرس اللوحـــات

(لوحة رقم ٨) إحدى نوافذ الجزء السفلى من المنبر الشريف على هيئة العقد المفصص وقد حليت جوانبها بزخارف نباتية بارزة بطراز رومى جميل ، (أرابسك متطور) .

« عن مركز أبحاث الحج »

(لوحة رقم ٩) شكل المسجد النبوى فى حدود سنة ٩٩٢هـ/١٥٨٤م ويتبين منها استخدام القباب الصغيرة فى تسقيف الأجزاء المجددة فى عهد السلطان سليمان القانونى خاصة فى الرواق الشرقى والغربى .

« عن على حافظ »

(لوحة رقم ١٠) منظور لمبنى المسجد النبوى قبل عمارة السلطان عبد المجيد ويتبين منه استخدام القباب فى الأجزاء المجددة من سقف المسجد قبل عمارة السلطان عبد المجيد .

« عن Burton »

(لوحة رقم ١١) إحدى الأسطوانات الملبسة بالرخام فى الروضة المطهرة وقد استخدم فى تزيينها عدد من المستطيلات المختلفة تميز بعضها بنقش أبيات من القصيدة العثمانية المنسوبة إلى السلطان سليم الثالث ، كما يظهر فى وسطها عدد من الدوائر المنزلية بألوان متعددة من الرخام الفاخر .

« عن كرت بوستال »

(لوحة رقم ١٢) تفاصيل الزخارف المنحوتة فى الحجر على هيئة الأوراق النباتية المقوسة والموضوعة فى العمارة المجيدية بأعلى الوزرة الرخامية المحدثة فى عهد السلطان سليم الثالث فوق أسطوانات الروضة المطهرة .

« عن عظمت شيخ »

(لوحة رقم ١٣) تفاصيل منارة باب السلام وما بها من عناصر معمارية زخرفية تعود فى مجملها إلى فترتين مختلفتين من التاريخ العثمانى فتظهر الشرفة الثانية مشابهة لشرافات المنارتين المجيدية والعزيزية بينما تنفرد الشرفة الأولى بكونها مربعة ومحلاة بعدة صفوف من المقرنصات .

« عن مؤسسة سديم للتجارة ، المدينة المنورة »

(لوحة رقم ١٤) منارة جامع أورطاكوى (Ortakoy) بمدينة استانبول ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م وتظهر شرفتها محمولة على أربعة كوابيل مشابهة لما يرى حاليا فى الشرفة الثانية من منارة باب السلام .

« عن أرسفان Turksanati Tarihi »

(لوحة رقم ١٥) صورة المسجد النبوى الشريف وقد ظهرت فيها شرافات المنارتان المجيدية والعزيزية محمولة على كوابيل مشابهة تماما لما فى الشرفة الثانية من منارة باب السلام .

« عن وليم فاكى »

(لوحة رقم ١٦) صورة قباب الرواق الغربى وستارة السطح الخارجية ويتبين منها خلوها من الشرافات التى اقتصر وجودها على الجدران المطلة على صحن المسجد .

« عن ألبوم الصور فى جامعة استانبول »

(لوحة رقم ١٧) رسم المسجد النبوى الشريف بعد العمارة المجيدية ويتضح منه خلو المخازن والمكاتب الشمالية من القباب كما يتضح منه تماثل المنارة المجيدية والعزيزية فى الطول وعدد الشرافات .

« عن أيوب صبرى »

(لوحة رقم ١٨) منظر رواق القبلة من الجو وتظهر فيه القباب بأحجام مختلفة وتتميز قباب الروضة المطهرة بنوافذها المتعددة .

« عن مركز أبحاث الحج »

(لوحة رقم ١٩) منظر إحدى قباب رواق القبلة من الداخل وقد أحيطت من الداخل بعدد من الآيات المنقوشة بخط الثلث الأبيض على أرضية سوداء .

« عن مجلة الفيصل »

(لوحة رقم ٢٠) إحدى قباب رواق القبلة من الداخل وقد أحيطت صرتها بثمانية أقسام متماثلة تميز كل قسم بمظهر طبيعى لأنها روجبال وبساتينى .

« عن مجلة الفيصل »

(لوحة رقم ٢١) نموذج لإحدى التيجان الأيوبية فى رواق القبلة وقد تميزت أركانه الأربعة بأشكال حلزونية تنتهى بأوراق نباتية مقلوبة .

« عن عظمت شيخ »

(لوحة رقم ٢٢) شكل الأوراق البارزة بأعلى التيجان الموجودة حاليا فى رواق القبلة فى الأسطوانة المسماه خطأ أسطوانة الوقود والسرير وما يقابلهما بالإضافة إلى ظهوره فوق جميع الأكتاف المسندة بجدران رواق القبلة من الداخل .

« عن عظمت شيخ »

(لوحة رقم ٢٣) تفاصيل الزخارف النباتية المنحوتة بالحفر البارز على العتب الخارجى لباب السلام على شكل أزهار وفروع نباتية ملتوية فى طراز باروكى عثمانى .

« عن البتنونى وصالح لمعى »

(لوحة رقم ٢٤) تفاصيل الزخارف النباتية المحيطة باللوحة الموضوعة فى العمارة المجيدية بأعلى الجدار المطل من رواق القبلة على صحن المسجد والمخصص فى بداية الأمر للنقش التأسيسى ويتجلى فيها فن الباروك العثمانى فى أوضح صورة .

« عن عظمت شيخ »

(لوحة رقم ٢٥) صورتا المحرابان النبوى والسليماني وقد حوتا بعض التفاصيل الهامة عن الشكل الهرمى المحدث بأعلاهما فى العمارة المجيدية وما يحيط بواجهتهما من أوراق نباتية مسننة تخرج من أشكال قرون الرخاء بالإضافة إلى وضوح بعض التفاصيل عن المداخل النحاسية المحيطة بجوانبهما الأربعة .

« عن مجلة العربى »

(لوحة رقم ٢٦) صورة المحراب العثمانى المجدد فى العمارة المجيدية وقد حوت بعض التفاصيل عن زخارفه الرخامية المعشقة والمشعة وما تتميز به حنيته من الانكسارات والتعشيقات الرخامية الجميلة .

« عن عمارة المسجد النبوى حتى نهاية العصر المملوكى »

(لوحة رقم ٢٧) تفاصيل الزخارف الكتابية والنباتية المجددة فى العمارة المجيدية على جانبى المحراب العثمانى فوق ألواح من الرخام المثبت فى موضع النصوص القديمة وقد أحيطت بنوع من الزخارف المرسومة بالألوان المائية (الفرسكو) على هيئة النموذج الرابع من الخزف المستخدم فى رواق القبلة .

« عن وزارة الإعلام »

(لوحة رقم ٢٨) تفاصيل الأشرطة الكتابية المحيطة بحنية المحراب العثمانى وقد انقطع بعضها عند جانبه والتف بعضها داخل حنيته كما التف البعض الأخر بأعلاه .

« عن عمارة المسجد النبوى حتى نهاية العصر المملوكى »

(لوحة رقم ٢٩) مدخل باب الرحمة بمظلته المحمولة على أعمدة وتيجان رومانية وقد حوت بعض التفاصيل عن الزخارف الكتابية والنباتية فى واجهته المطلة وما يتميز به عقد الباب ومصراعاه من الزخارف المتنوعة ذات التأثير الباروكى الواضح .

« عن البتنونى »

(لوحة رقم ٣٠) منظر جدار القبلة الشرقى من الخارج وما به من عناصر زخرفية معمارية تمثلت فى النوافذ المدورة والشبابيك المستطيلة وما يحيط بها من أكتاف وأفاريز لم تظهر فى العمارة المجيدية إلا فى هذا الجزء من جدران المسجد الشريف .

« عن مؤسسة سديم للتجارة ، المدينة المنورة »

(لوحة رقم ٣١) الجدار الشمالى من المكاتب الملحقة بمؤخرة الحرم النبوى فى العمارة المجيدية ويظهر فيها مدخل الباب المجيدى والمنارة (السنجارية ثم السليمانية ثم العزيزية) بثلاث شرفات محمولة على كوابيل مشابهة لما فى منارة باب السلام .

« عن أوقاف المدينة المنورة »

(لوحة رقم ٣٢) صورة الأبيات الظاهرة من القصيدة العثمانية المكتوبة سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م باللغة العثمانية فوق المدخل المضاف فى مقدمة باب السلام فى عهد السلطان عبد العزيز .

« عن مؤسسة سديم للتجارة ، المدينة المنورة »

(لوحة رقم ٣٣) تفاصيل الزخارف النباتية المرسومة فوق عدد من البلاطات الخزفية فى تربة السلطان مصطفى الأول بمدينة بروسه والمشابهة لزخارف النوع الأول من الخزف المستخدم فى الحرم النبوى .

« عن Arseven : Les Arts Decoratife Turcs »

(لوحة رقم ٣٤) تفاصيل إحدى البلاطات الموجودة فى مسجد السلطان أحمد الأول بمدينة استانبول ١٠٢٩هـ/١٦١٩م والمشابهة للنوع الأول من الخزف المستخدم فى جدار القبلة .

« تصوير الباحث »

(لوحة رقم ٣٥) تفاصيل إحدى البلاطات الموجودة فى جامع السلطان أحمد الأول بمدينة استانبول ١٠٢٩هـ/١٦١٩م والمشابهة للنوع الثانى من الخزف المستخدم فى الحرم النبوى .

« تصوير الباحث »

(لوحة رقم ٣٦) تفاصيل إحدى البلاطات الخزفية الموجودة فى جامع السلطان أحمد الأول بمدينة استانبول ١٠٢٩هـ/١٦١٩م والمشابهة للنوع الثالث من الخزف المستخدم فى الحرم النبوى ويتبين منها مشابهتها للنوع الثانى فى كثير من التفاصيل .

« تصوير الباحث »

(لوحة رقم ٣٧) تفاصيل النوع الخامس من الخزف المستخدم فى نطاق ضيق داخل الرواق القبلى من المسجد النبوى الشريف ويتبين منه مماثلة للأشكال المرسومة بالألوان المائية (الفرسكو) فى جدار القبلة وبعض من عقود الجدار الشرقى .

« عن مؤسسة سديم للتجارة ، المدينة المنورة »

(لوحة رقم ٣٨) صورتان لمقدمة صحن المسجد النبوى الشريف مما يلى رواق القبلة وقد ظهرت بينهما حديقة الصحن المنسوبة خطأً لسيدتنا فاطمة وأعمدة الكهرباء المحدثة فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى كما يتبين منها استخدام الألوان فى تمييز صنجات العقود المطلة على صحن المسجد الشريف وظهرت فيهما الدوائر المحدثة فى كوشات العقود والمحلاة بلفظ الجلالة واسم الرسول وبعض الصحابة الأجلاء .

« عن البتنونى فى الرحلة الحجازية ، وكذلك عن

« Arsevan : Turk Sanati Tarihi

(لوحة رقم ٣٩) صورة الثرياء المهداة من السلطان عبد الحميد الثانى للمسجد النبوى الشريف بعد ادخال الكهرباء إليه فى عهده وقد نقشت الطفراء السلطانية مع كلمة الغازى على البرم الزجاجية المحيطة بشمعاتها الثمان .

« عن مجلة العربى »

(لوحة رقم ٤٠) صورة الشجرتان البرونزيتان الموضوعتان فى أواخر العصر العثمانى على جانبى المحراب النبوى ويتضح من الصورة كثرة القواعد المخصصة للشمعات الكهربائية وتحلية سعفها بقطع مدورة من البلور الأبيض .

« تصوير الباحث فى أوقاف المدينة »

(لوحة رقم ٤١) صورة إحدى الشمعدانين المقابلين لدكة الأغوات وقد أهديا إلى الحرم النبوى بعد ادخال الكهرباء إليه سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م .

« عن مؤسسة سديم للتجارة ، المدينة المنورة »

(لوحة رقم ٤٢) صورة إحدى الشمعدانين المنسوبتين إلى الوزير سليمان باشا الخادم والمؤرخين سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م ويتضح من الصورة خلو بدن الشمعدان من الزخارف النباتية والهندسية .

« تصوير الباحث عن أوقاف المدينة »

(لوحة رقم ٤٣) شمعدان السلطان محمود الأول المؤرخ سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م ويتبين من الصورة ضخامة قاعدته وصغر ارتفاعها كما يظهر على بدنه النقش المكتوب بالحفر الغائر وقد تضمن اسم المهدى وألقابه وتاريخ الأهداء .

« تصوير الباحث عن أوقاف المدينة »

(لوحة رقم ٤٤) تفاصيل الزخارف النباتية المنقوشة بالحفر الغائر على سطح قاعدتى النخلتين المصنوعتين من البرونز وقوامها أشكال نباتية وهندسية فى طراز حديث .

« تصوير الباحث عن أوقاف المدينة »

(لوحة رقم ٤٥) تفاصيل الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية الظاهرة فوق إحدى المداخل البرونزية المجددة فى العمارة المجيدية على جانبى المحراب النبوى والسليمانى .

« عن مجلة العربى »

(لوحة رقم ٤٦) صورة الطرف الجنوبى من الرواق الشرقى المزال فى التوسعة السعودية وتظهر فيه العقود نصف دائرية كما تماثل فيها كوشات العقود وشرافاتها وما بينها من سياج حديدى ما تبقى حاليا فى الرواق القبلى .

« عن إبراهيم رفعت »

(لوحة رقم ٤٧) تفاصيل الزخارف المصنوعة من الحديد على هيئة أوراق نباتية كاسية والموضوعة فى وسط النوافذ العلوية من الجدار الشرقى .

« عن وزارة الإعلام »

(لوحة رقم ٤٨) صورة إحدى الخزائن المهداة فى أواخر العصر العثمانى من والدة خديوى مصر عباس حلمى الثانى سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م لحفظ التحف المهداة إلى الحجرة الشريفة وقد حليت وجهتها بالزخارف النباتية والهندسية والكتابية .

« تصوير الباحث عن أوقاف المدينة »

(لوحة رقم ٤٩) صورة الخزانة السادسة من الخزائن المهداة من والدة خديوى مصر عباس حلمى الثانى سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م وقد تميزت بوجود عقدين مدببين على مصراعيها نتيجة اختلافها فى العرض عن الخزائن السابقة .

« تصوير الباحث عن أوقاف المدينة »

(لوحة رقم ٥٠) تفاصيل الزخارف الهندسية المنفذة على إحدى الرحال العثمانية المخصصة لحمل المصحف بطريقة التطعيم وقد حوت أطباقا نجمية وأشكال هندسية ونباتية مختلفة .

« عن أرسفان Les Arts Decoratife Turcs »

(لوحة رقم ٥١) ستارة الحجرة الشريفة فى أواخر العصر العثمانى وقد تميزت بلون أخضر وكتابات مذهبة حوت بعض الآيات الشريفة والعبارات الدالة على موضع الوجوه الشريفة وعدد من أسماء وصفات الرسول عليه السلام .

«عن الرسم الذى أعده أيوب صبرى سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م»

(لوحة رقم ٥٢) نموذج آخر لستارة الحجرة الشريفة فى القرن التاسع عشر الميلادى وقد حوت بعض الكتابات التى لم تظهر فى الجزء الذى نشره إبراهيم رفعت عن كسوة الحجرة الشريفة فى حدود سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

« عن على أحمد الطايش »

(لوحة رقم ٥٣) تفاصيل ستارة الحجرة الشريفة فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى من ١٣١٨-١٣٢٥هـ وقد حوت بعض النصوص التى لم تظهر فيها نشره أيوب صبرى أو أحمد الطايش .

« عن إبراهيم رفعت »

(لوحة رقم ٥٤) تفاصيل ستارة محراب التهجد المرسلة فى عهد السلطان عبد العزيز وقد حوت بعض الزخارف النباتية المتأثرة بالفن الباروكى.

« تصوير الباحث عن أوقاف المدينة »

(لوحة رقم ٥٥) إحدى الستائر المخصصة فى عهد السلطان عبد العزيز لمشبك الحجرة الخارجى وتظهر عليها الزخارف النباتية المنسوجة بالقصب فى طراز باروكى واضح .

« تصوير الباحث عن أوقاف المدينة »

(لوحة رقم ٥٦) صورة عصا الخطيب فى أواخر العصر العثمانى وتظهر محلاة من أعلاها وأسفلها بصفائح رقيقة من الفضة وبأعلاها عدد من الجواهر الصغيرة كما يتيمز وسطها بشرائط حلزونية مزينة ببعض الزخارف النباتية .

« تصوير الباحث عن أوقاف المدينة »

(لوحة رقم ٥٧) اللباس التقليدى لخطيب الحرم الشريف فى حدود سنة ١٣١٨-١٣٢٥هـ ويظهر فيه غطاء الرأس المعروف بالكودبان والشال الموضوع على الكتف بالإضافة إلى الفرجية التى يرتديها الخطيب أثناء القاء الخطبة .

« عن إبراهيم رفعت »

(لوحة رقم ٥٨) وقفية سقى الماء البارد فى الحرم النبوى الشريف من والى مصر عباس باشا الأول سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م بمبلغ ٣٠٠ ريال فرانسة فى السنة لقاء توزيع خمسين دورقا فى كل صلاة .

« عن إبراهيم رفعت »

(لوحة رقم ٥٩) طفراء السلطان سليمان القانونى المنقوشة على بعض الأوامر الصادرة إلى قاضى ووالى مدينة القدس سنة ٩٥٦هـ/١٥٤٩م.

« عن ناجى زينى الدينى »

(لوحة رقم ٦٠) إحدى التيجان الرومانية المركبة والمستخدمة فى كوشك محمد الفاتح بمدينة استانبول فى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى وتتضح فيها الأصالة وخلوها من التأثيرات التى ظهرت على مثيلاتها فى الحرم النبوى .

« عن Ekrem Hakki »

(لوحة رقم ٦١) صورة الخزانة السابعة من الخزائن التى أهدتها والدة عباس حلمى الثانى إلى الحجرة الشريفة سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ويتبين من تفاصيلها اختلاف زخارفها وحجمها عن الخزائن السابقة بسبب ضيق المكان المخصص لها .

« تصوير الباحث عن أوقاف المدينة »

(لوحة رقم ٦٢) صورة الجدران الغربى من رواق القبلة بعد ازالة المدرسة المحمودية فى التوسعة السعودية ويتبين منها اختفاء الواجهة الأصلية للجدار بسبب استحداث عدة غرف وصالات بين مدخل باب السلام وما برز من المدخل المضاف أمام باب الرحمة .

« عن عظمت شيخ »

(لوحة رقم ٦٣) تفاصيل الزخارف النباتية على إحدى البلاطات الخزفية الموجودة فى جامع السلطان أحمد الأول بمدينة استانبول ١٠٢٩هـ/ ١٦١٩م والمشابهة للنوع الرابع من البلاطات

الخزفية المستخدمة كإطار لبعض أجزاء النوع الثالث من الخزف المستخدم فى الحرم النبوى الشريف .

« تصوير الباحث »

(لوحة رقم ٦٤) تفاصيل إحدى البلاطات الموجودة فى جامع السلطان أحمد الأول والمشابهة للنوع الرابع من الخزف المستخدم فى الحرم النبوى بيد أنها جاءت جزءا من بلاطة أخرى .

« تصوير الباحث »

(لوحة رقم ٦٥) صورة الشمعدان المصنوع من النحاس والمنسوب إلى السلطان عبد المجيد ويتضح من الصورة موضع الجواهر المثبتة باللحام على بدن الشمعدان بأكمله كما يتميز عن بقية الشمعدانات بالأرتفاع وضخامة البدت .

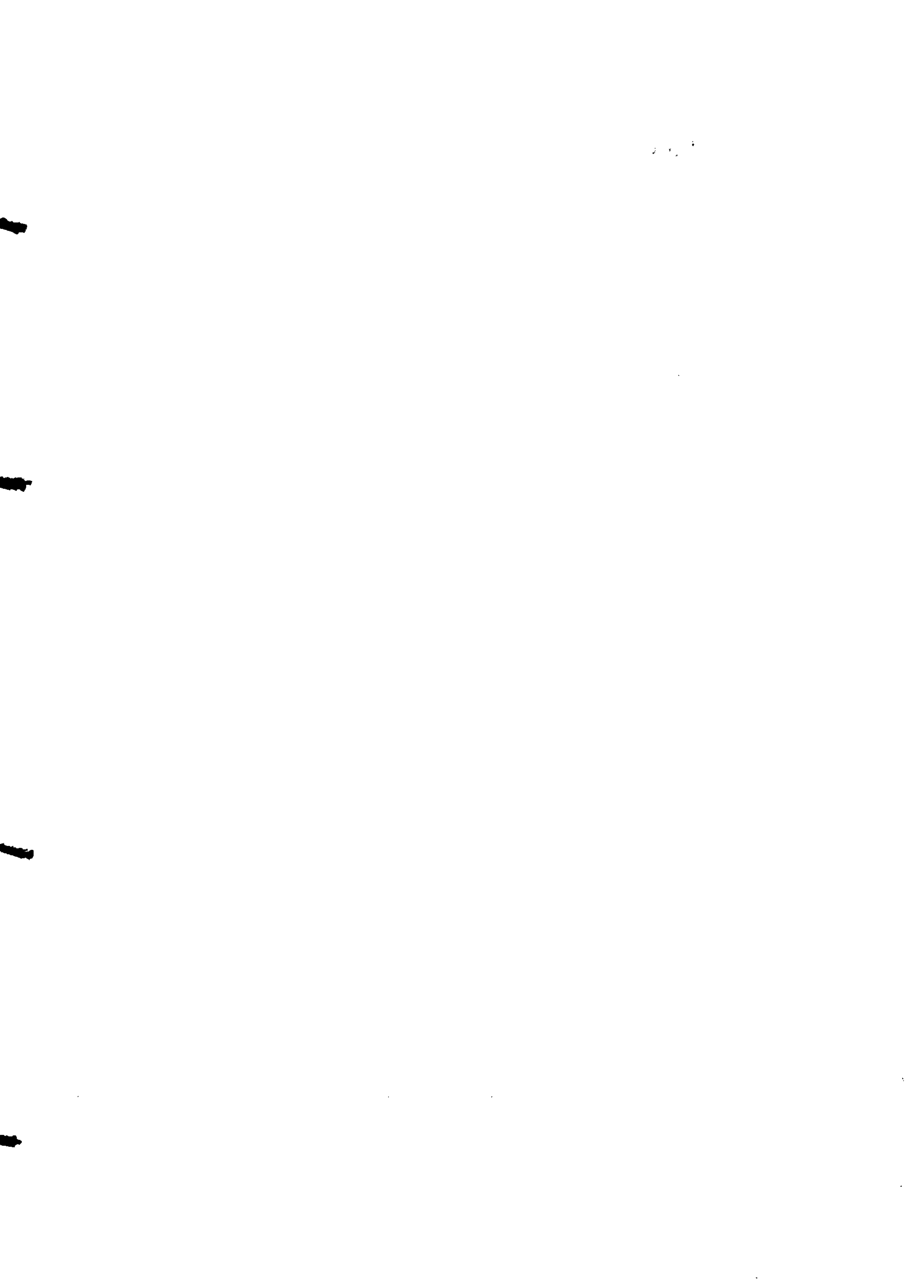
« تصوير الباحث عن أوقاف المدينة »

(لوحة رقم ٦٦) شمعدان الحاج على فخرى باشا المؤرخ سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م ويتضح من صورته أثر الصناعة الحديثة فى تشكيل بدنه المتميز بالارتفاع وصغر الحجم وكثرة الأوضاع والأنتفاخات المتدرجة .

« تصوير الباحث عن أوقاف المدينة »

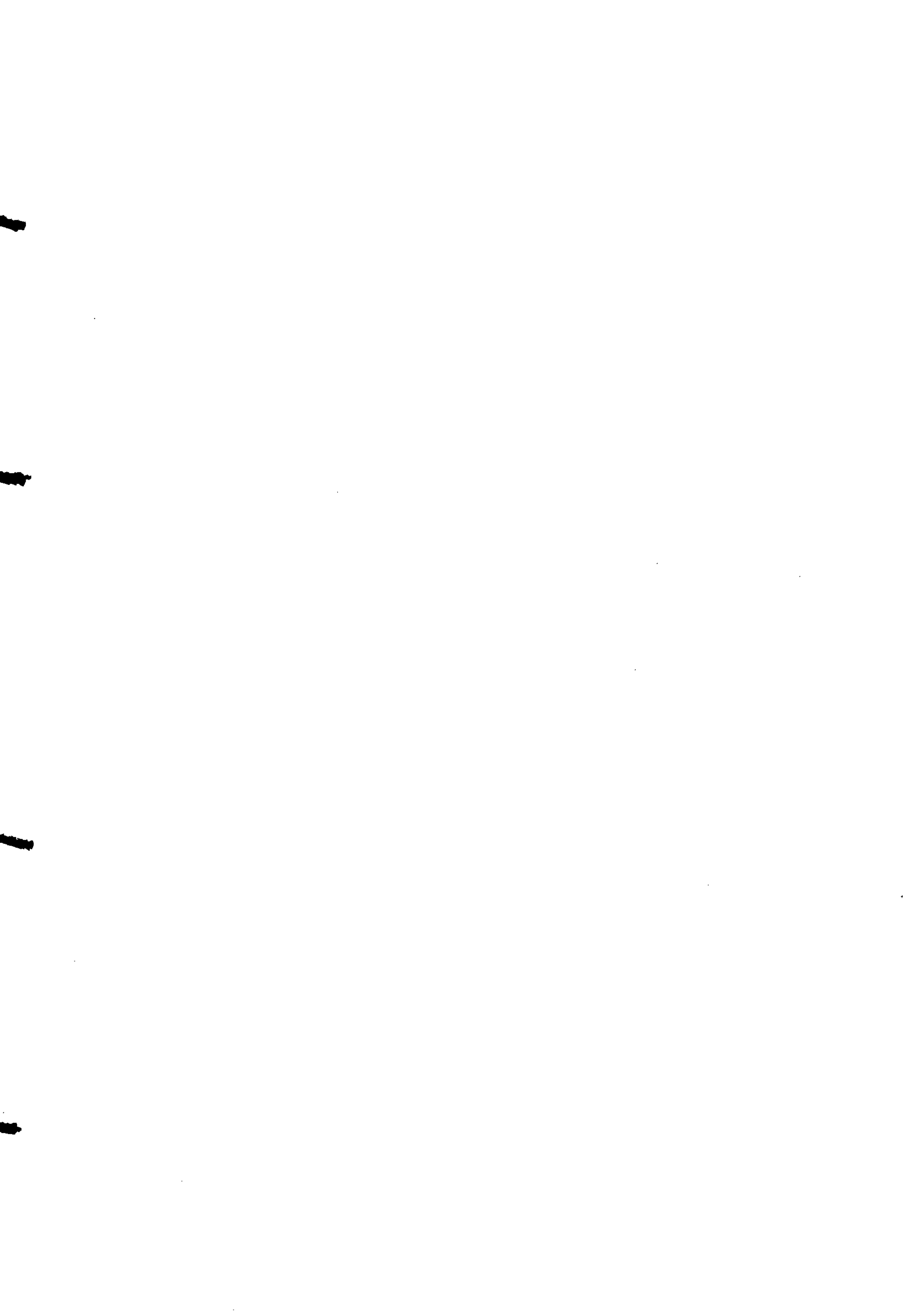
(لوحة رقم ٦٧) صورة جدار القبلة من الخارج قبل تلبيسه بالرخام فى العمارة السعودية التى بدأت سنة ١٣٧٣هـ ويتبين منها خلوه من الشرافات والمداميك الملونة كما تظهر فيه النوافذ بعقود نصف دائرية بالإضافة إلى وضوح بعض الدعائم البارزة فى الطرف الشرقى منه قرب المنارة الرئيسية .

« عن وزارة الإعلام »

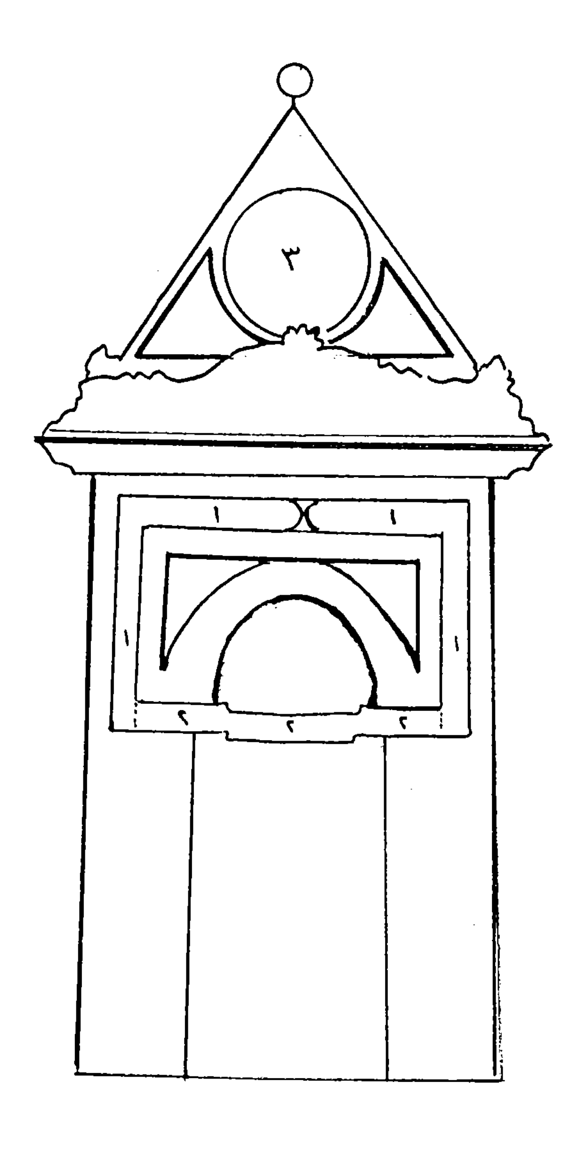


جدول السور والايات التي ظهرت في قباب رواق القبلة من الحرم النبوى الشريف .

الرقم	اسم السورة أوالآية	عدد آياتها	عدد القباب التي ظهرت عليها
١	سورة الكهف	١ ـ ١١٠	٢٦
٢	سورة الفتح	١ ـ ٢٩	٧
٣	سورة المنافقون	١ ـ ١١	٤
٤	سورة الملك	١ ـ ٣٠	٦
٥	سورة المزمل	١ ـ ٢٠	٤
٦	سورة المدثر	١ ـ ٥٥	٦
٧	سورة يس	١ ـ ٨٣	١٤
٨	سورة النجم	١ ـ ٦٢	٦
٩	سورة مريم	١ ـ ٩٨	١٨
١٠	سورة محمد	١ ـ ٣٨	١٠
١١	سورة البقرة	٨	٢
١٢	الفاتحة	٧	١
١٣	سورة الناس + سورة الفلق	٥ + ٦	١
١٤	سورة الرحمن	١ ـ ٧٨	٥
١٥	سورة الليل	١	١ ـ ٨
١٦	سورة التين	٨	١ ـ ٨
١٧	سورة الضحى ، الانشراح ، الاخلاص	١١+٨+٤	١
١٨	سورة التغابن	١ ـ ١٨	٢
١٩	سورة	١٠٥ ـ ١١٤	١
٢٠	سورة العلق	١ ـ ١٩	١
٢١	سورة الاعلى	١ ـ ١٩	١

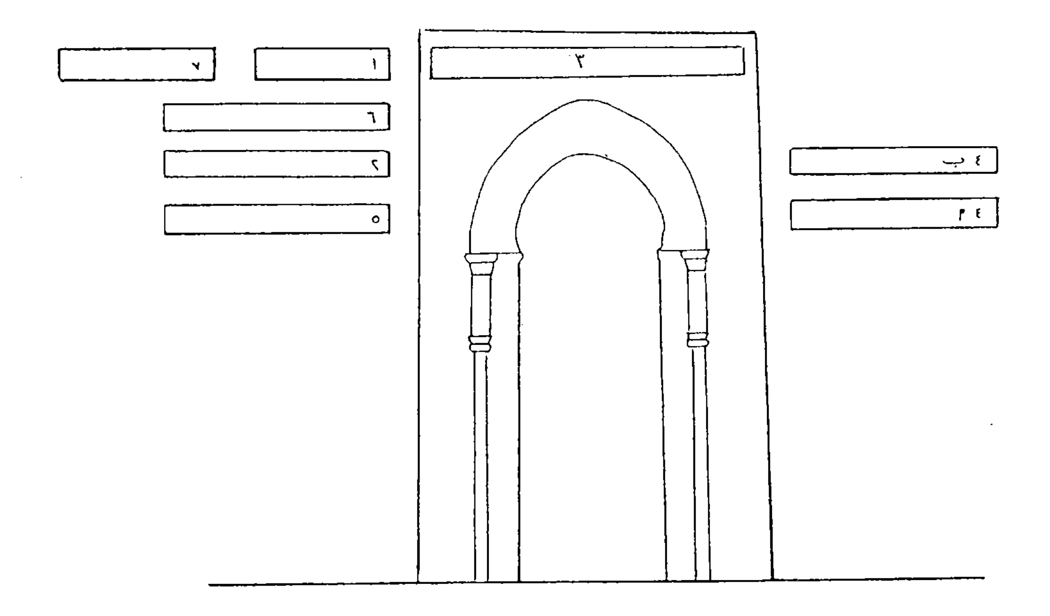


الأشكال واللوحات



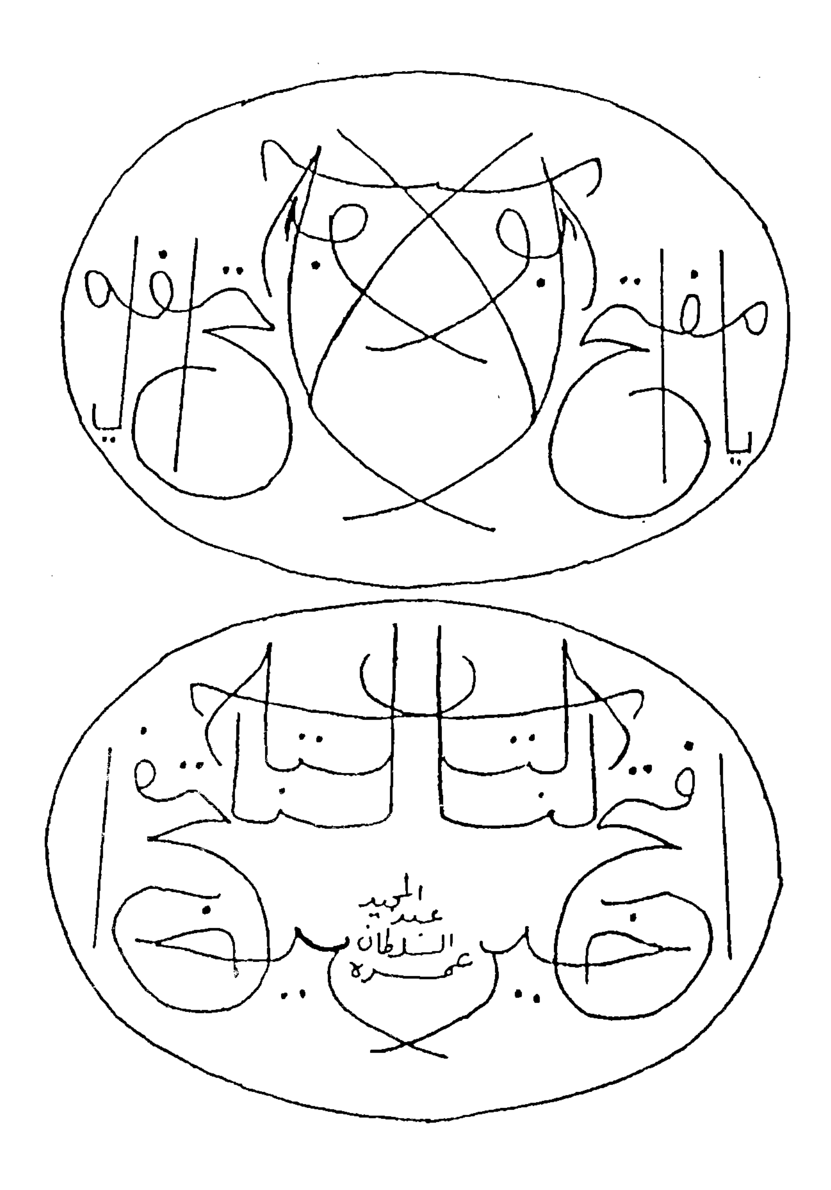
(الشكل رقم ١)

توزيع النصوص المكتوبة بالحفر البارز حول حنية المحراب السليمانى بعد نقله من الطرف الشمالي الغربي للروضة المطهرة، إلى محاذاة المحراب النبوى في سنة ٩٤٨هـ/١٥٤١م .



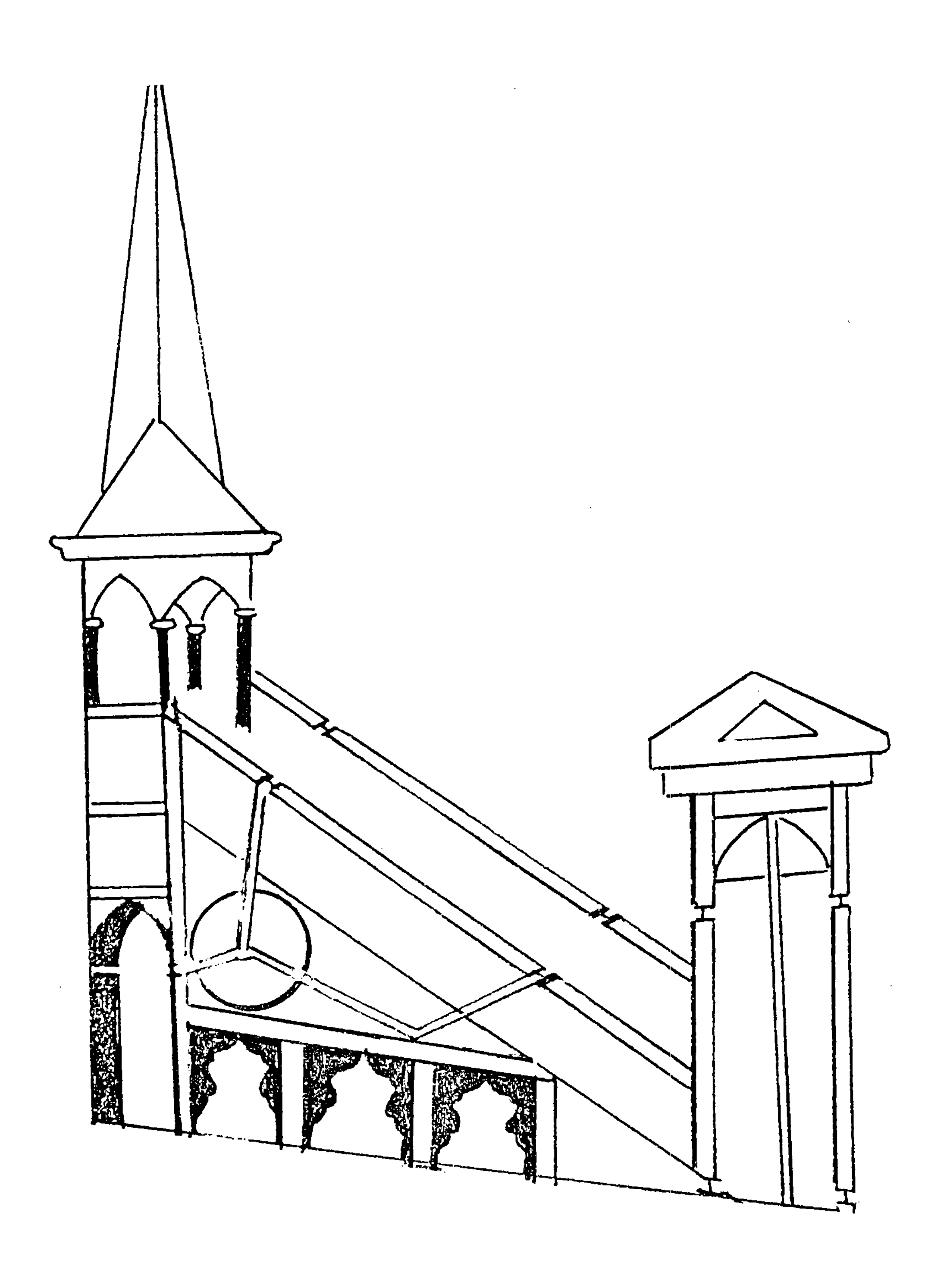
(الشكل رقم ٢)

طريقة توزيع النصوص حول حنية المحراب العثمانى بعد التجديد الذى قام به السلطان عبد الحميد الأول في المحراب العثماني سنة ١١٩٨هـ/١٧٨٣م .



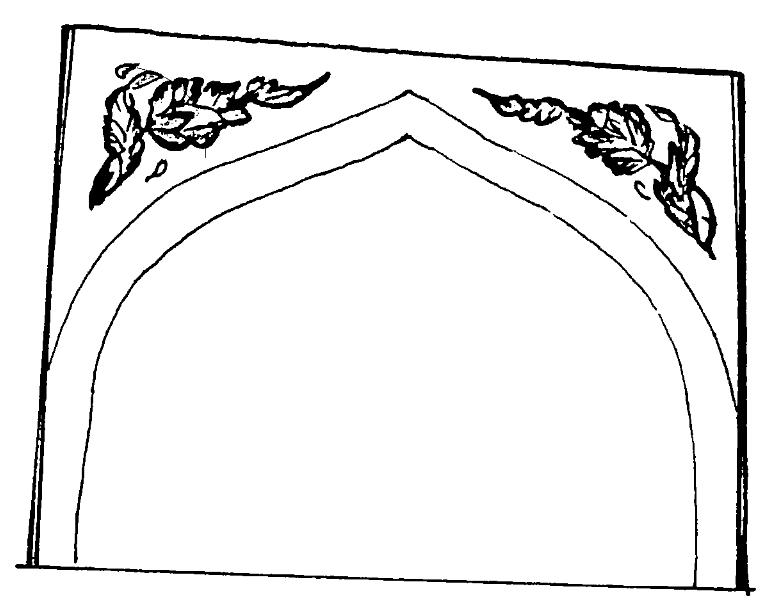
(الشكل رقم ٣)

تفاصيل الدعاء المكتوب بالحروف المتقابلة في مصراعي باب النساء ويظهر في وسط أحدهما عبارة " عمره السلطان عبد الحميد " .



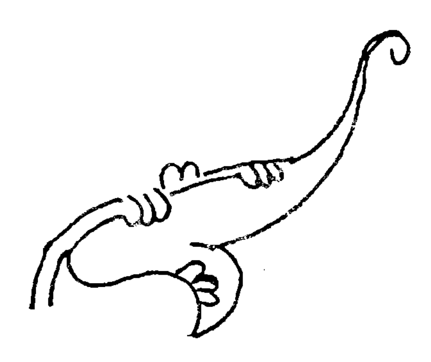
(الشكل رقم ٤)

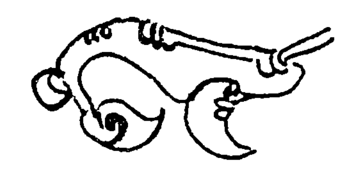
تفاصيل الأجزاء التي يتألف منها المنبر المرسل إلى الحرم النبوي من السلطان مراد الثالث سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م وطريقة تعشيقها .

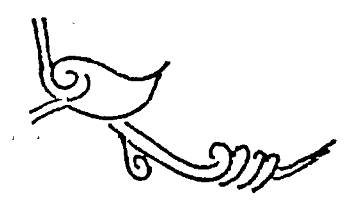


(الشكل رقم ٥)

تفاصيل أشكال الورود المرسومة بالتقابل على جانبى عقد باب المنبر وعقدى الفتحتان الواقعتان تحت جلسة الامام وتتميز بميلها إلى الأشكال الطبيعية .

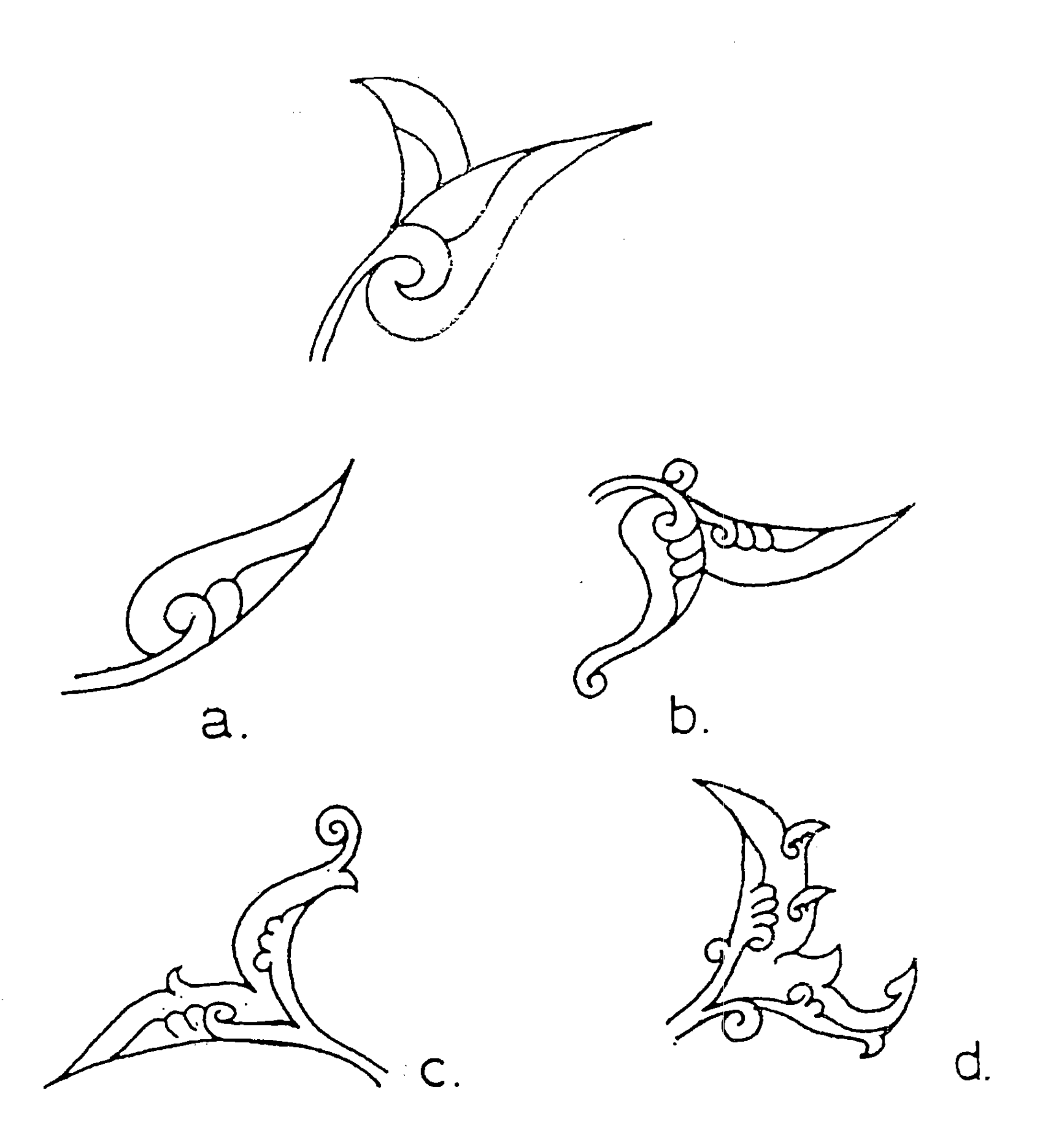






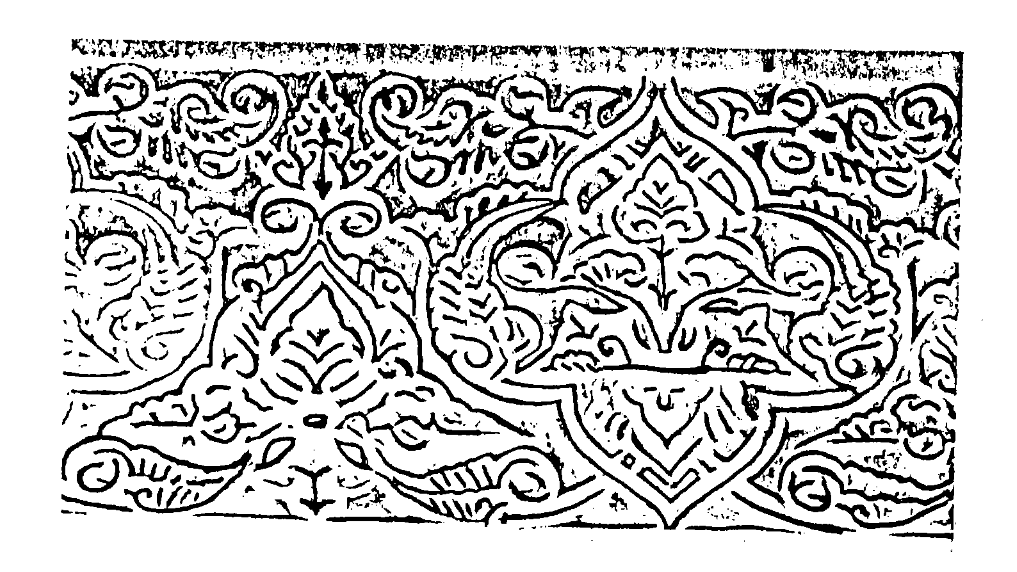
(الشكل رقم ٦)

نماذج بعض الأوراق النباتية المرسومة بالحفر البارز على أجزاء متفرقة من المنبر الشريف في طراز رومي كلاسيكي .



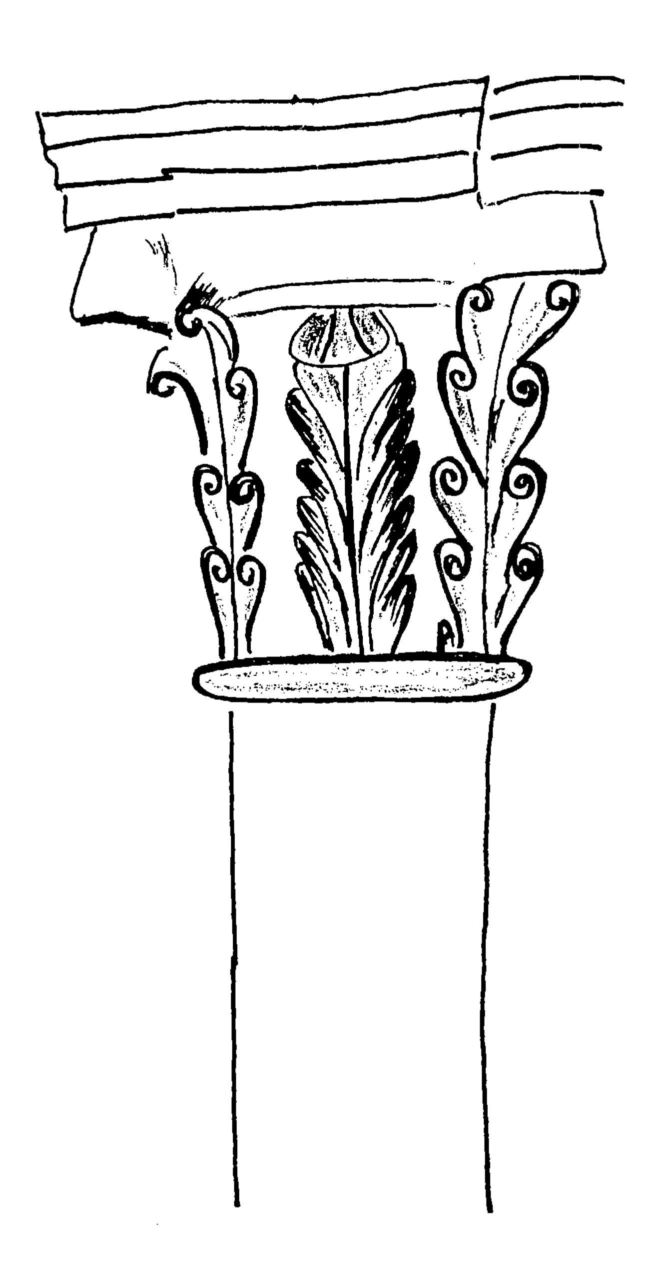
(الشكل رقم ٧)

نماذج بعض الأوراق النباتية المرسومة في طراز رومي كلاسيكي (أرابسك متطور) داخل الجامع الأخضر ببروسة ٨٢٢هـ/١٤١٩م وتظهر مشابهة تماما لبعض الزخارف المرسومة بالحفر البارز على المنبر الشريف .



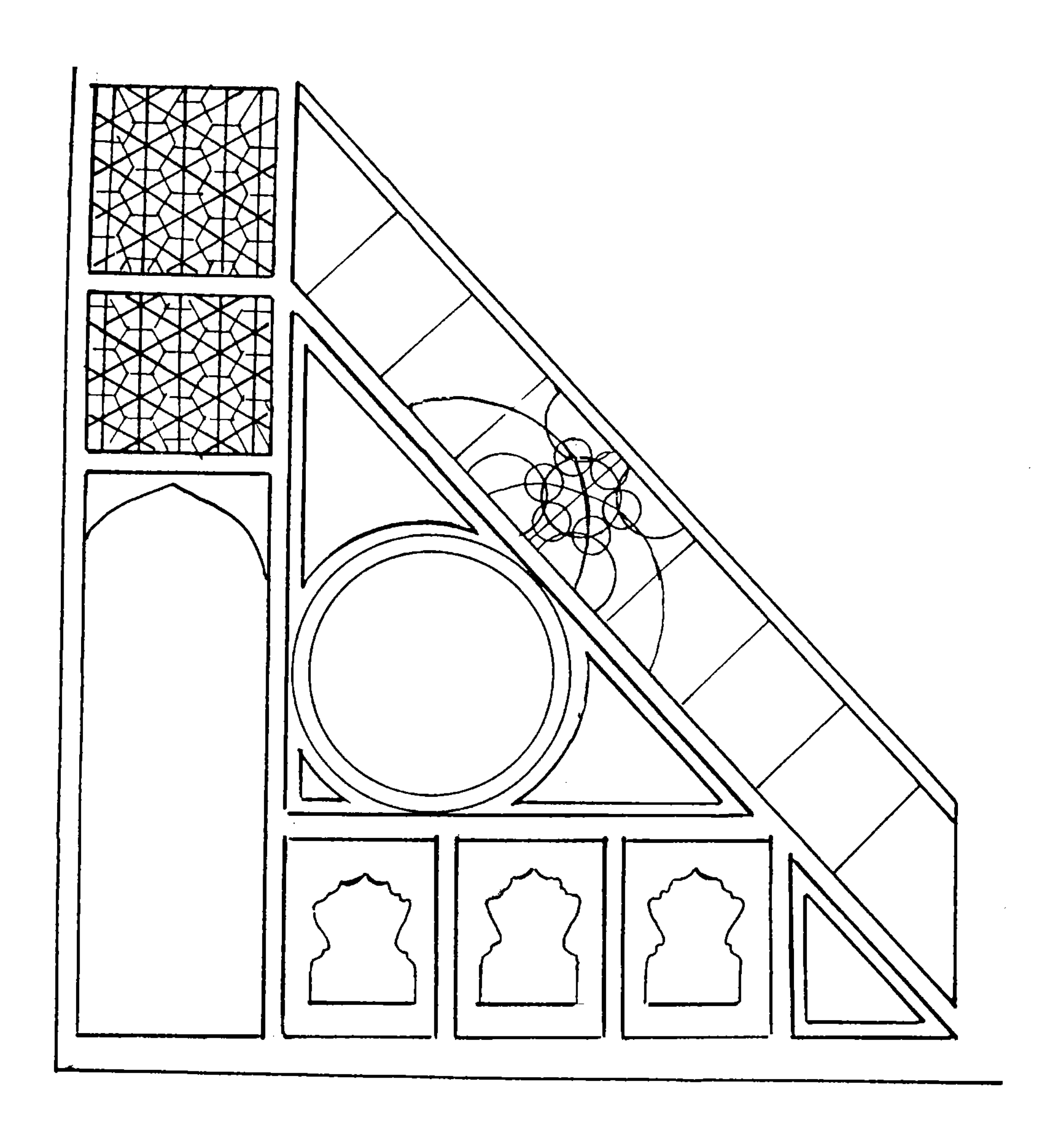
(الشكل رقم ٨)

تفاصيل الزخارف المنقوشة بالحفر البارز على الرخام المحيط بأعلى المكبرية .



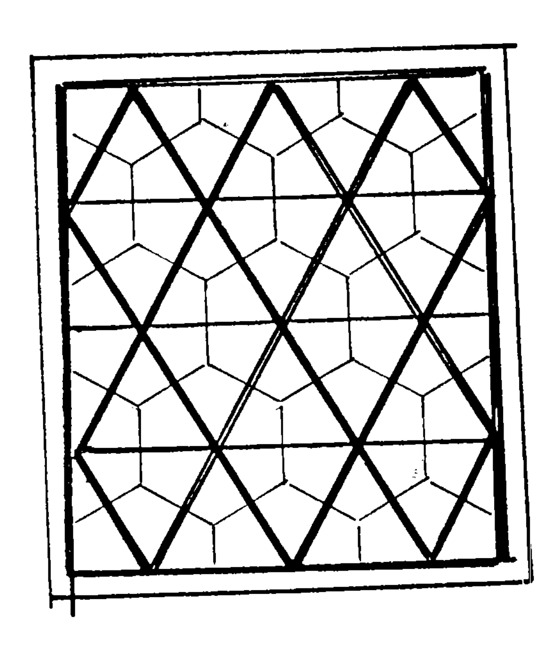
(الشكل رقم ٩)

أحد الأعمدة الواقعة تحت المكبرية وقد تميز عن بقية تيجانها بثمانية أشكال لأوراق الأكنتس المنقوشة بالحفر البارز على جوانبه الأربعة .



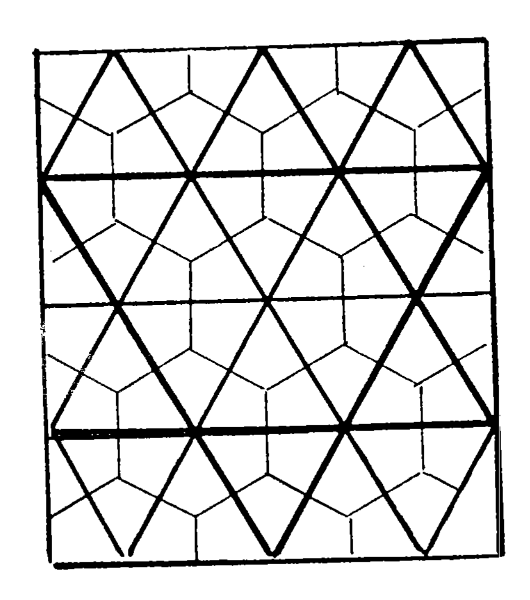
(الشكل رقم ١٠)

(الشكل رقم ١٠) تفاصيل بعض الزخارف الهندسية المفرغة في بعض الأجزاء الرخامية من المنبر المهدى إلى الحرم النبوى الشريف في عهد السلطان مراد الرابع سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م .



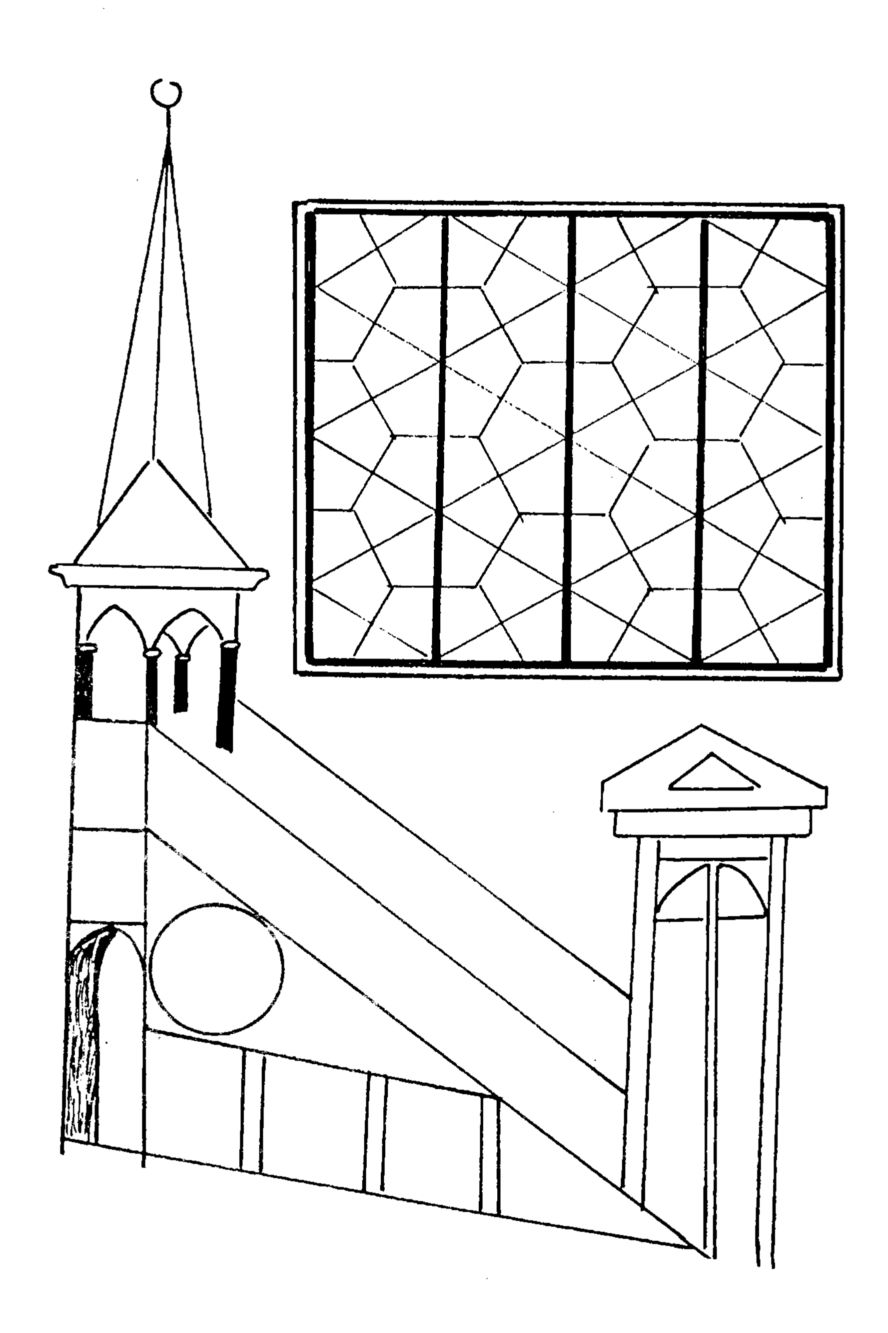
(الشكل رقم ١١)

نموذج آخر لبعض الزخارف الهندسية المفرغة في الرخام في بعض أجزاء المنبر الواقعة تحت جلسة الإمام وعلى جوانبها . ويتبين منها استخدام الأشكال السداسية والمعينية في توافق جذاب .



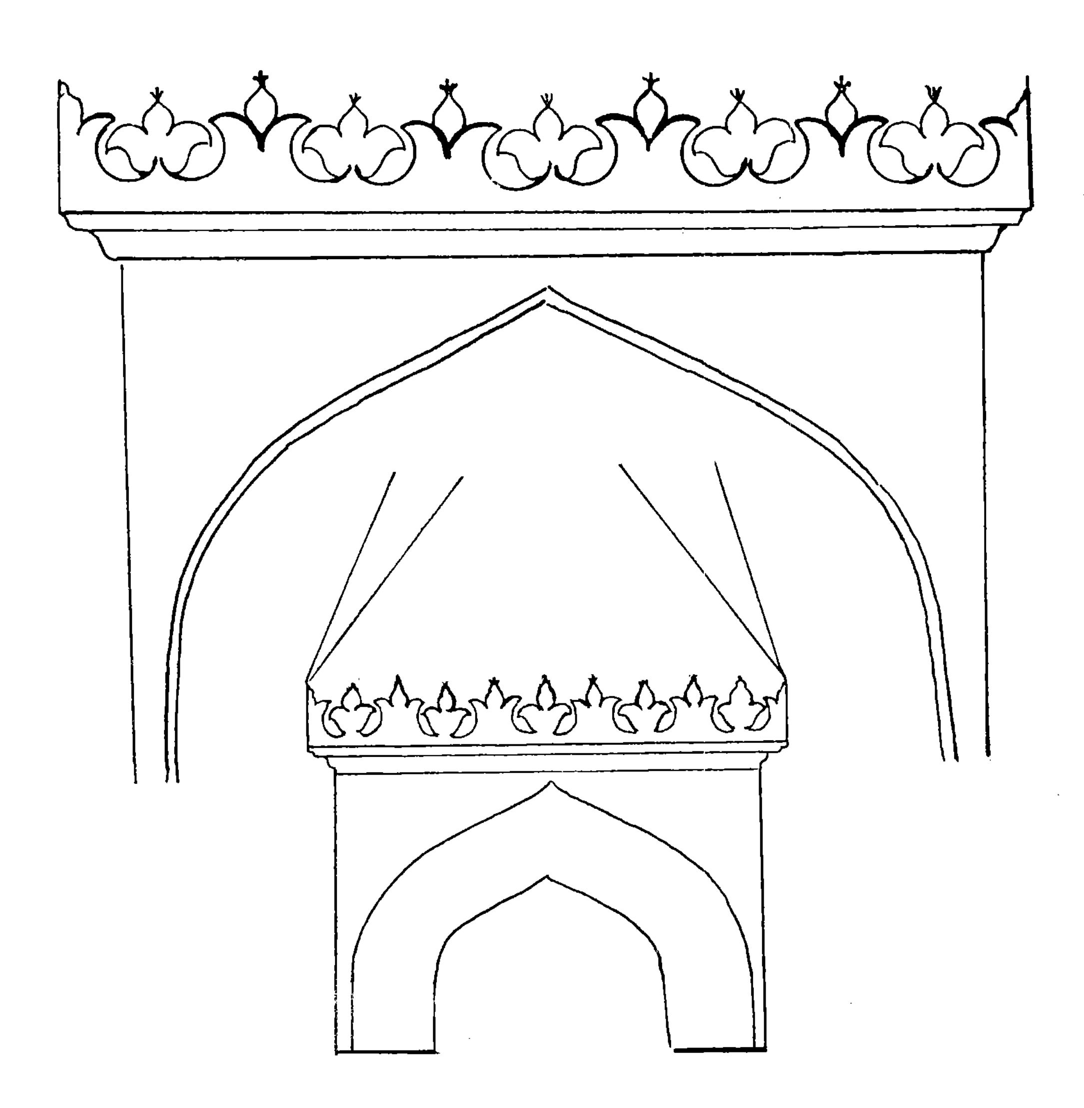
(الشكل رقم ١٢)

تفاصيل بعض الزخارف الهندسية المفرغة في رخام المنبر الشريف تحت جلسة الإمام وعلى جوانبها وأهمها المثلثات المتساوية الاضلاع والأشكال التي تؤلف المسدسات المعروفة باللوزة .



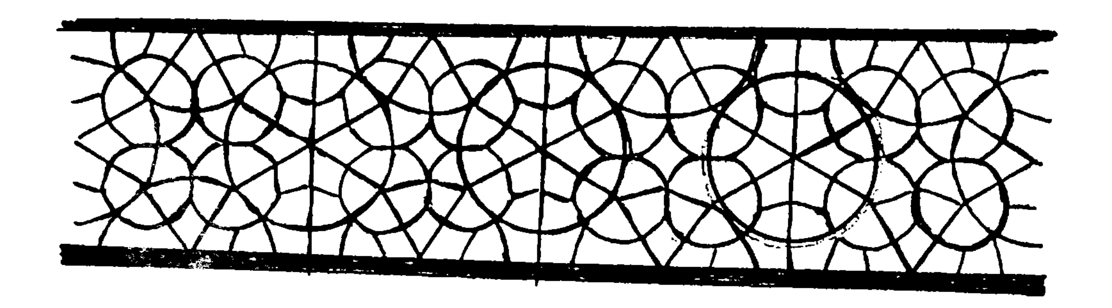
(الشكل رقم ١٣)

أنواع المستطيلات المستخدمة في زخرفة أجزاء المنبر الشريف وتفصيل موضع بعضها من الأجزاء المفرغة تحت جلسة الإمام وما تحتها .



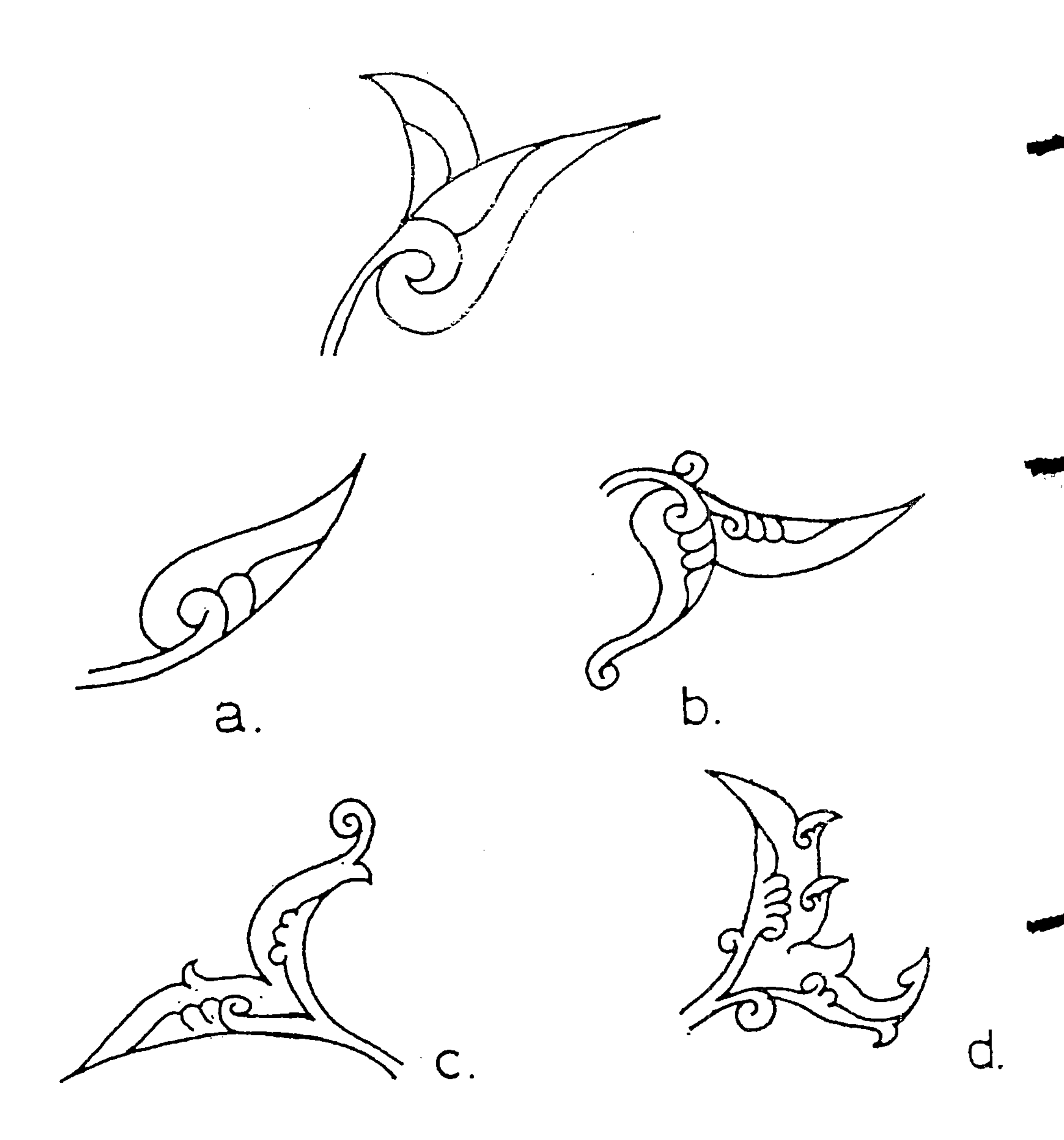
(الشكل رقم ١٤)

تفاصيل جانب من الزخارف المنحوتة من الرخام على هيئة أوراق ثلاثية لتزيين قبة المنبر المهدى من السلطان مراد الثالث إلى الحرم النبوى سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م . ويتبين منها ظهور تسع شرافات على هيئة ورقة كاملة واقتصار كل من الجانبين على نصف شرافة فقط .



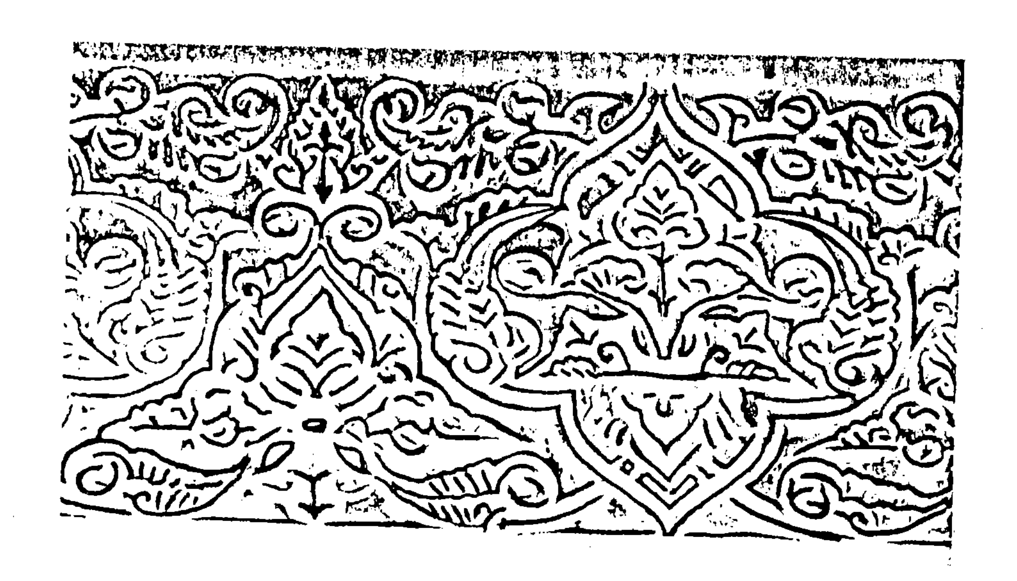
(الشكل رقم ١٥)

أشكال الدوائر المتداخلة في الجزء المفرغ من السياج الرخامي الموضوع على جانبي درج المنبر المهدى إلى الحرم النبوي في عهد السلطان مراد الرابع سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م .



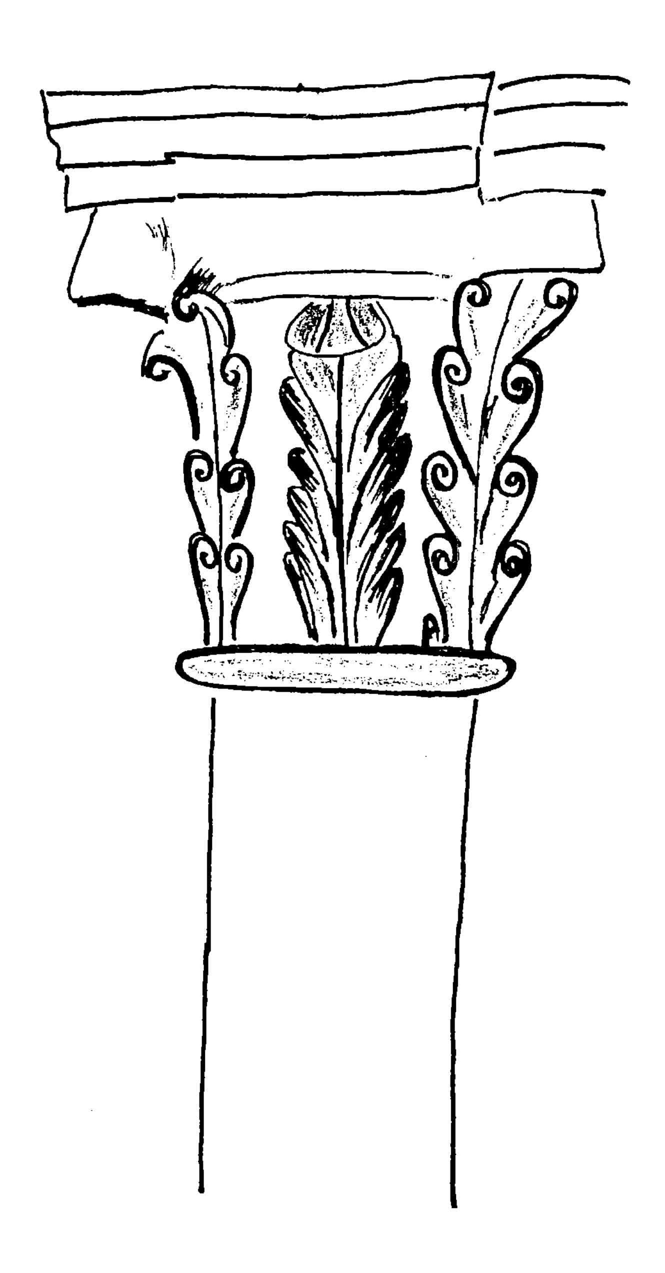
(الشكل رقم ٧)

نماذج بعض الأوراق النباتية المرسومة في طراز رومي كلاسيكـي (أرابسك متطور) داخـل الجامـع الأخضـر ببروسة ٨٢٢هـ/١٤١٩م وتظهر مشابهة تماما لبعض الزخارف المرسومة بالحفر البارز على المنبر الشريف .



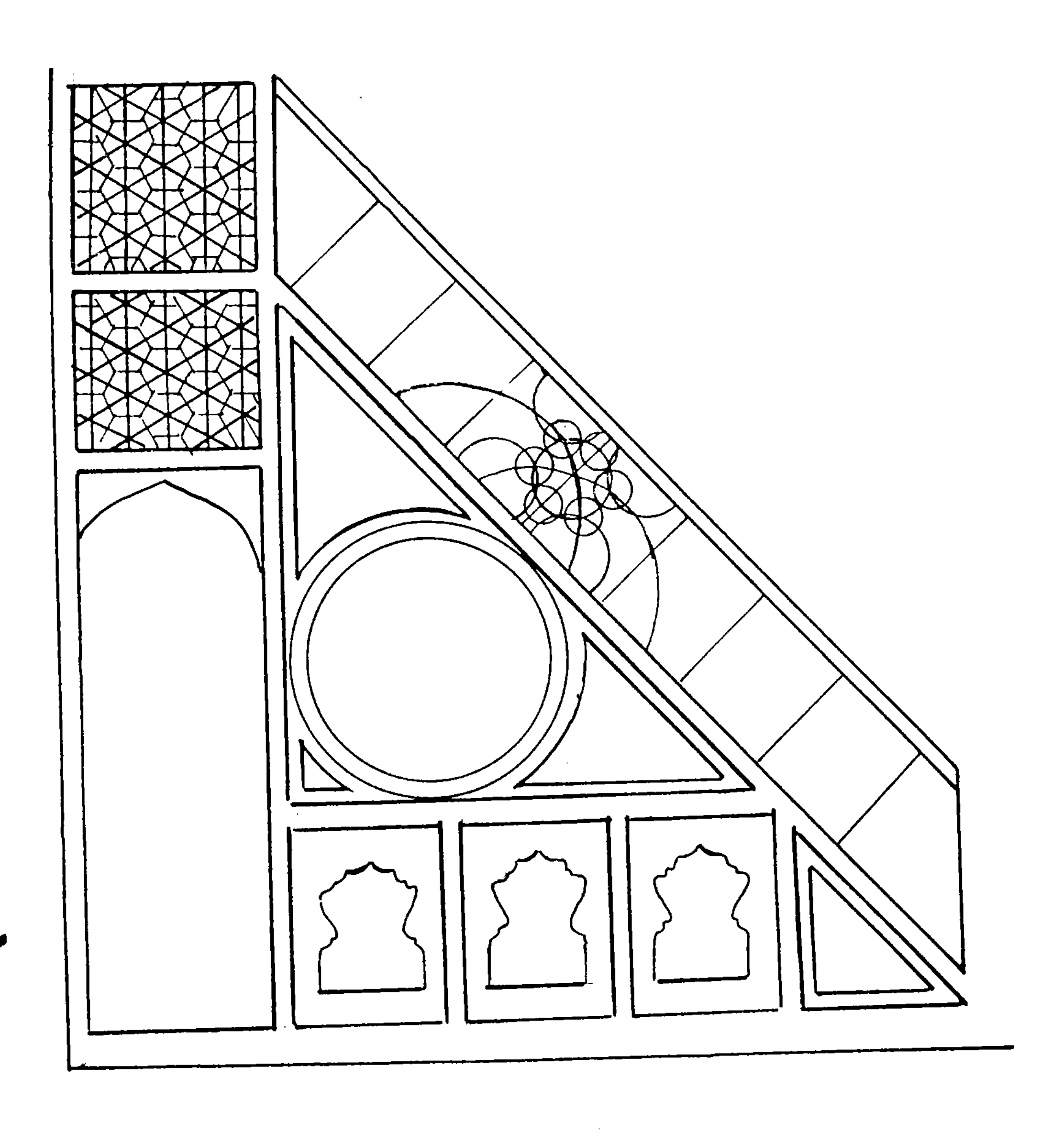
(الشكل رقم ٨)

تفاصيل الزخارف المنقوشة بالحفر البارز على الرخام المحيط بأعلى المكبرية .



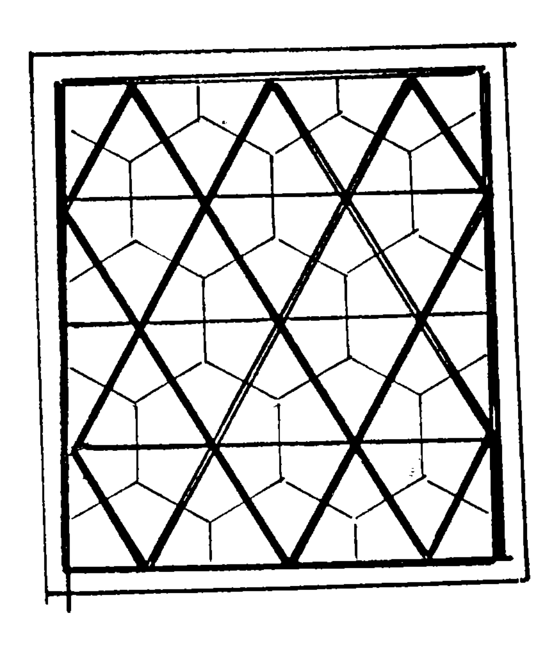
(الشكل رقم ٩)

أحد الأعمدة الواقعة تحت المكبرية وقد تميز عن بقية تيجانها بثمانية أشكال لأوراق الأكنتس المنقوشة بالحفر البارز على جوانبه الأربعة .



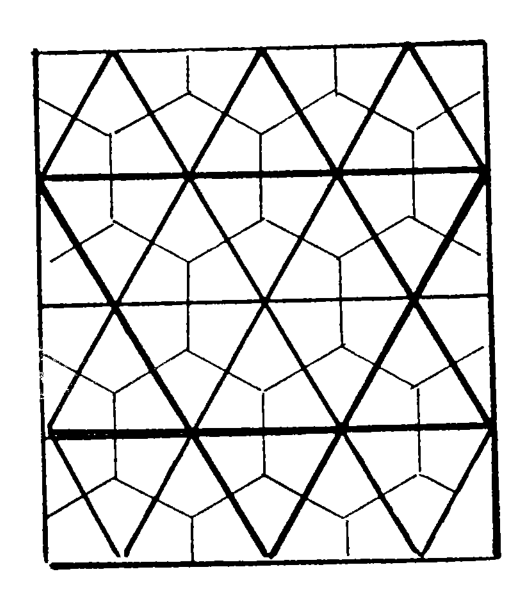
(الشكل رقم ١٠)

(الشكل رقم ١٠) تفاصيل بعض الزخارف الهندسية المفرغة في بعض الأجزاء الرخامية من المنبر المهدى إلى الحرم النبوى الشريف في عهد السلطان مراد الرابع سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م .



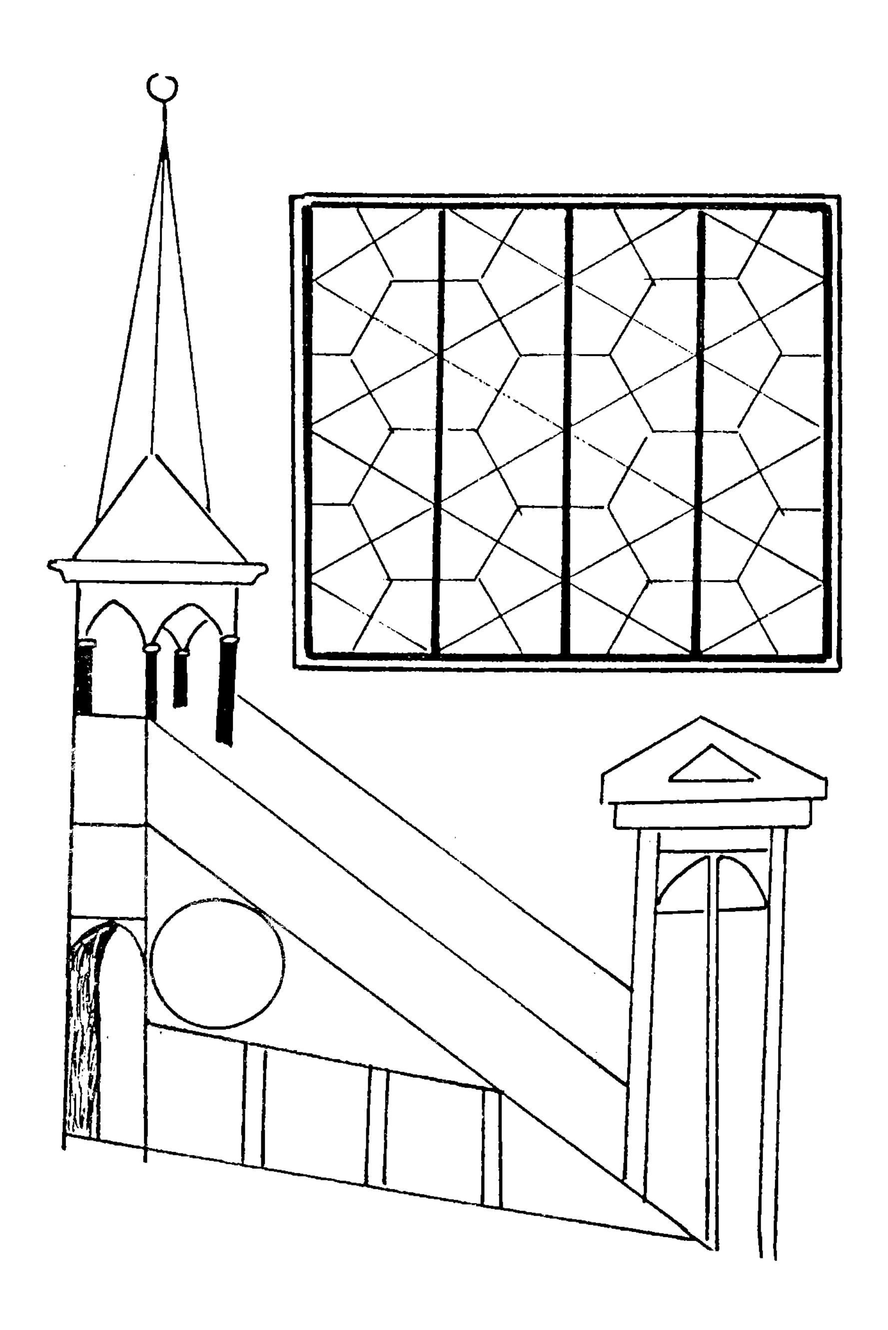
(الشكل رقم ١١)

نموذج آخر لبعض الزخارف الهندسية المفرغة في الرخام في بعض أجزاء المنبر الواقعة تحت جلسة الإمام وعلى جوانبها . ويتبين منها استخدام الأشكال السداسية والمعينية في توافق جذاب .



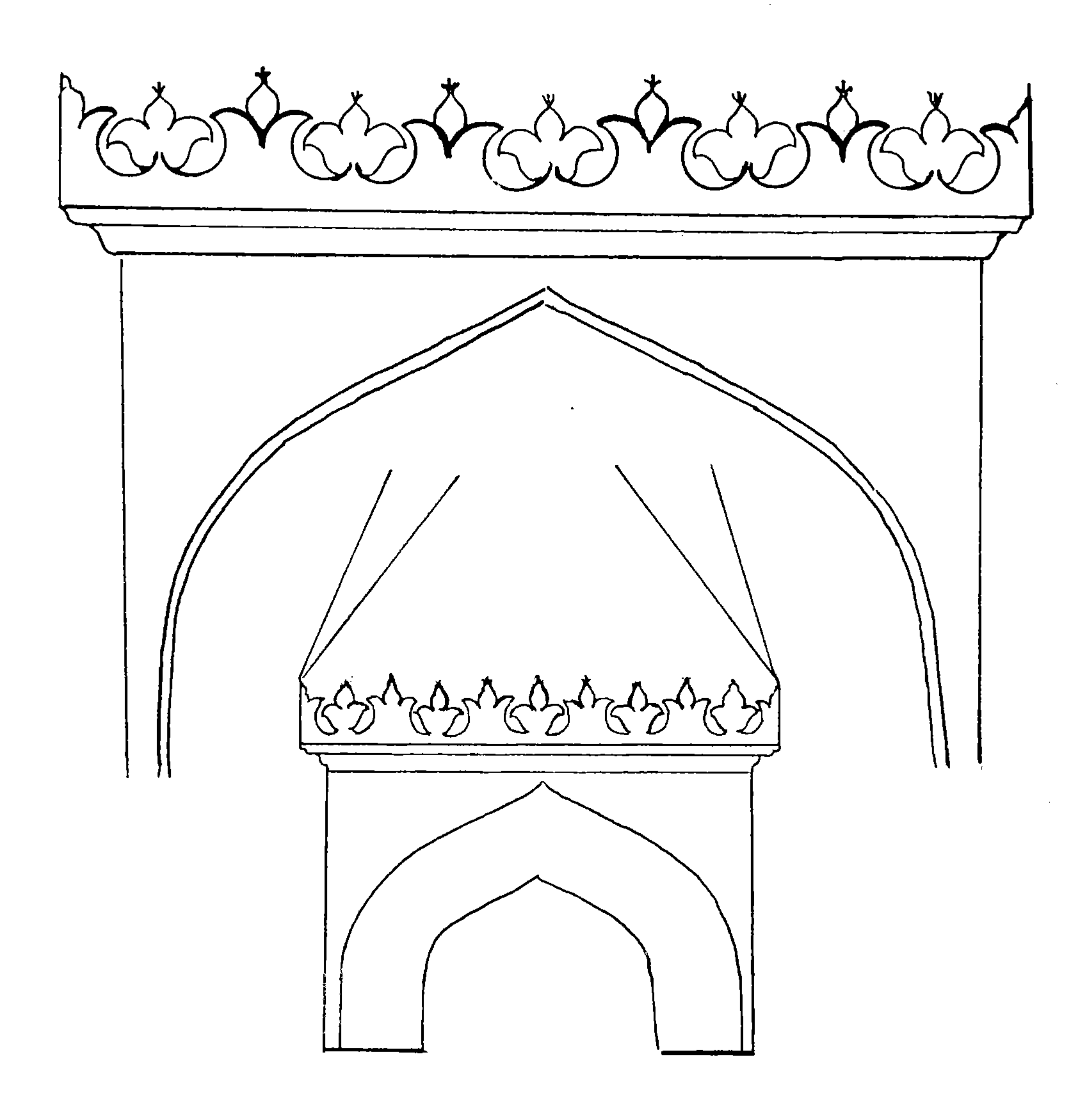
(الشكل رقم ١٢)

تفاصيل بعض الزخارف الهندسية المفرغة في رخام المنبر الشريف تحت جلسة الإمام وعلى جوانبها وأهمها المثلثات المتساوية الاضلاع والأشكال التي تؤلف المسدسات المعروفة باللوزة .



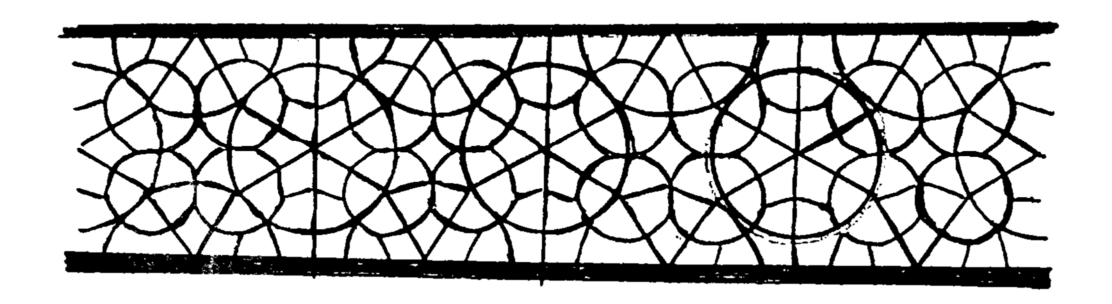
(الشكل رقم ١٣)

أنواع المستطيلات المستخدمة في زخرفة أجزاء المنبر الشريف وتفصيل موضع بعضها من الأجزاء المفرغة تحت جلسة الإمام وما تحتها .



(الشكل رقم ١٤)

تفاصيل جانب من الزخارف المنحوتة من الرخام على هيئة أوراق ثلاثية لتزيين قبة المنبر المهدى من السلطان مراد الثالث إلى الحرم النبوى سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م . ويتبين منها ظهور تسع شرافات على هيئة ورقة كاملة واقتصار كل من الجانبين على نصف شرافة فقط .



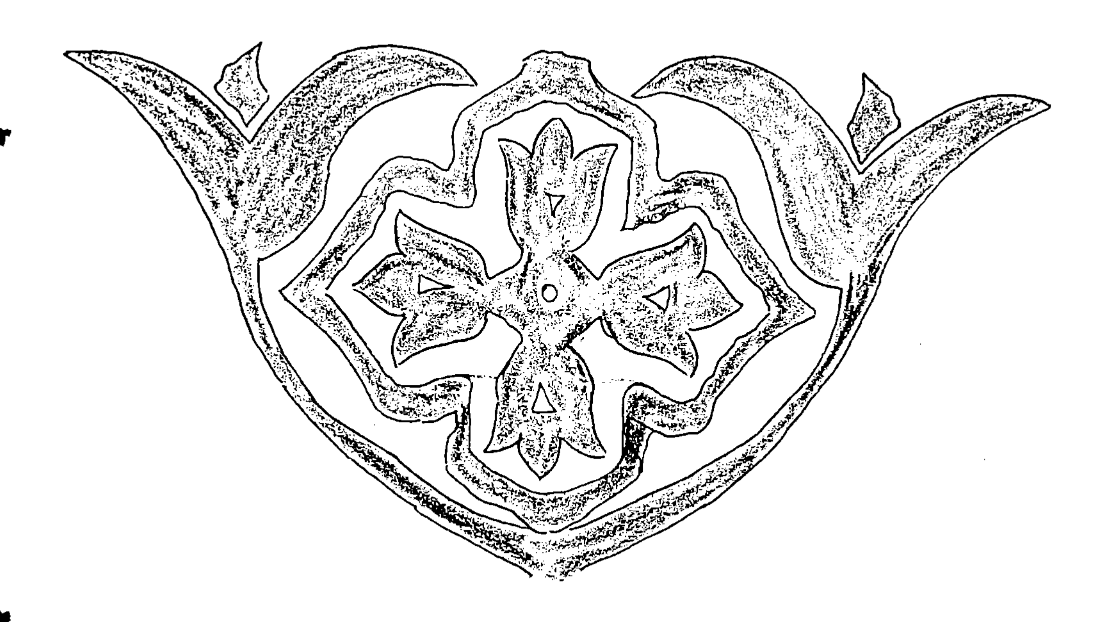
(الشكل رقم ١٥)

أشكال الدوائر المتداخلة في الجزء المفرغ من السياج الرخامي الموضوع على جانبى درج المنبر المهدى إلى الحرم النبوى في عهد السلطان مراد الرابع سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م .



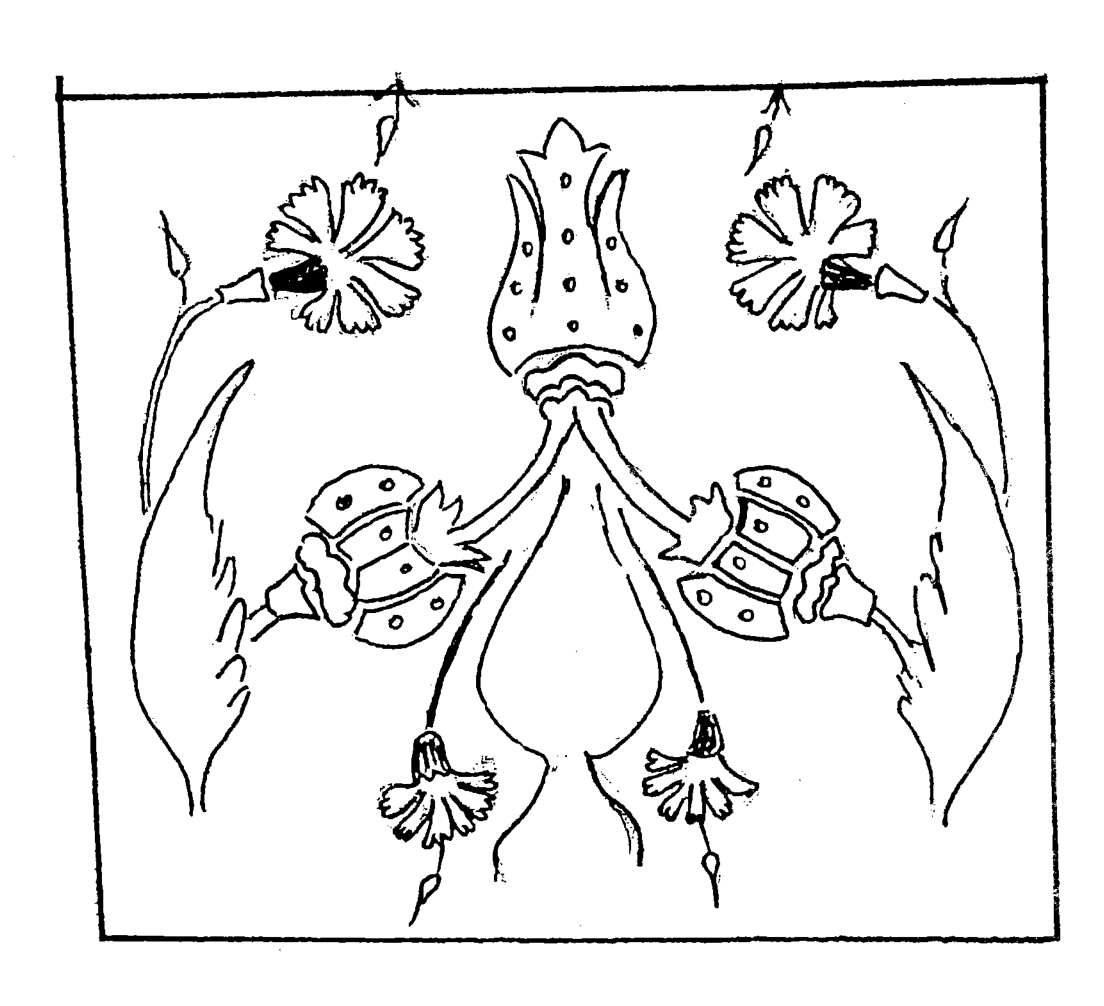
(الشكل رقم ١٦)

تفاصيل الزخارف المرسومة بالأخضر الغامق على النموذة الأول من الخزف الموجود فوق جدران الحجرة الشريفة من الخارج وقد تميز هذا النوع بتداخل الألوان وتزحزحها عن أماكنها الأصلية بالإضافة إلى عدم ظهور أى من زهرة االقرنفل أو السوسن اللتان تميزان الخزف التركي أبان أزدهارة .



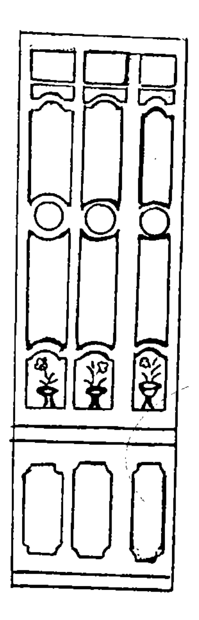
(الشكل رقم ١٧)

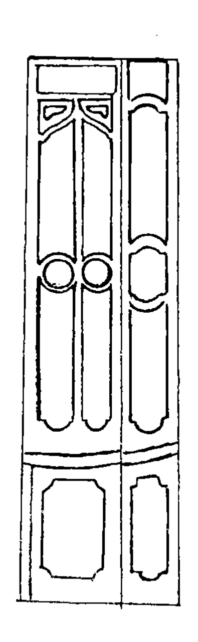
أهم العناصر التي أمكن تحديدها من زخارف النموذج الثاني من البلاط الذى يزين بعض الأماكن المحدودة من جدران المواجهة من الخارج ويتضح من الزهور التي اشتهر بها الخزف العثماني كالسوسن والقرنفل .



(الشكل رقم ١٨)

تفاصيل ما اتضح من العناصر الزخرفية التي تزين النموذج الثالث من الخزف الموجود حاليا فوق بعض الأجزاء المحددة من جدار الحجرة الشريفة مما يلي المواجهة . ويتميز بوجود نماذج جيدة لزهرتي الاله والقرنفل والأوراق المسننة .

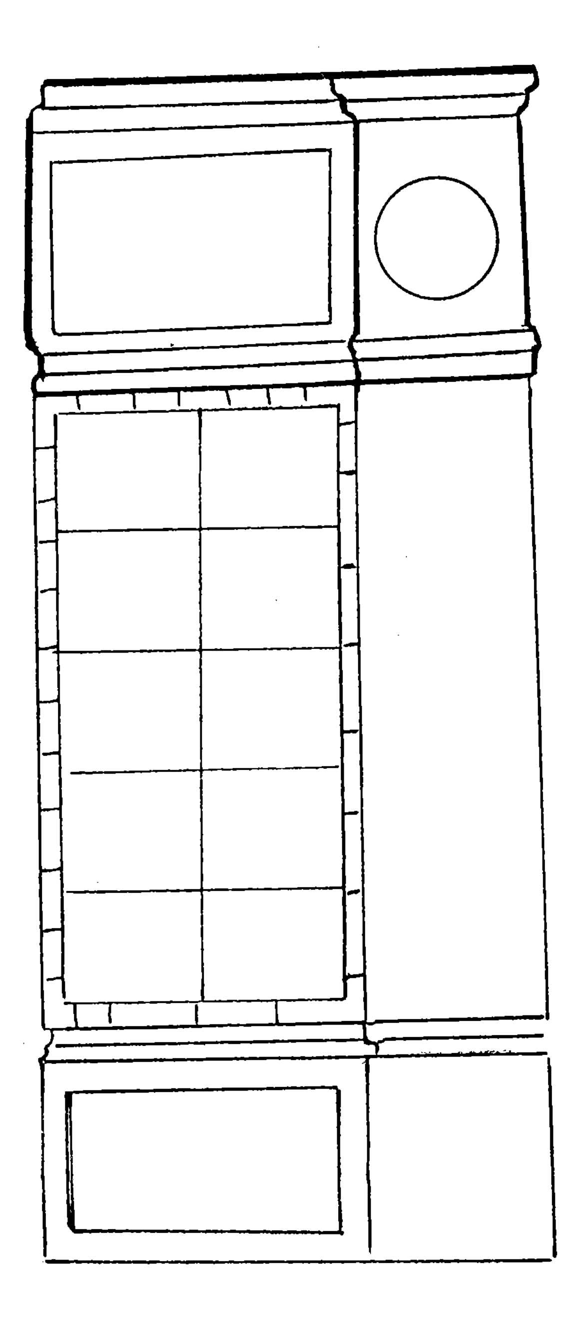




(الشكل رقم ٢٢)

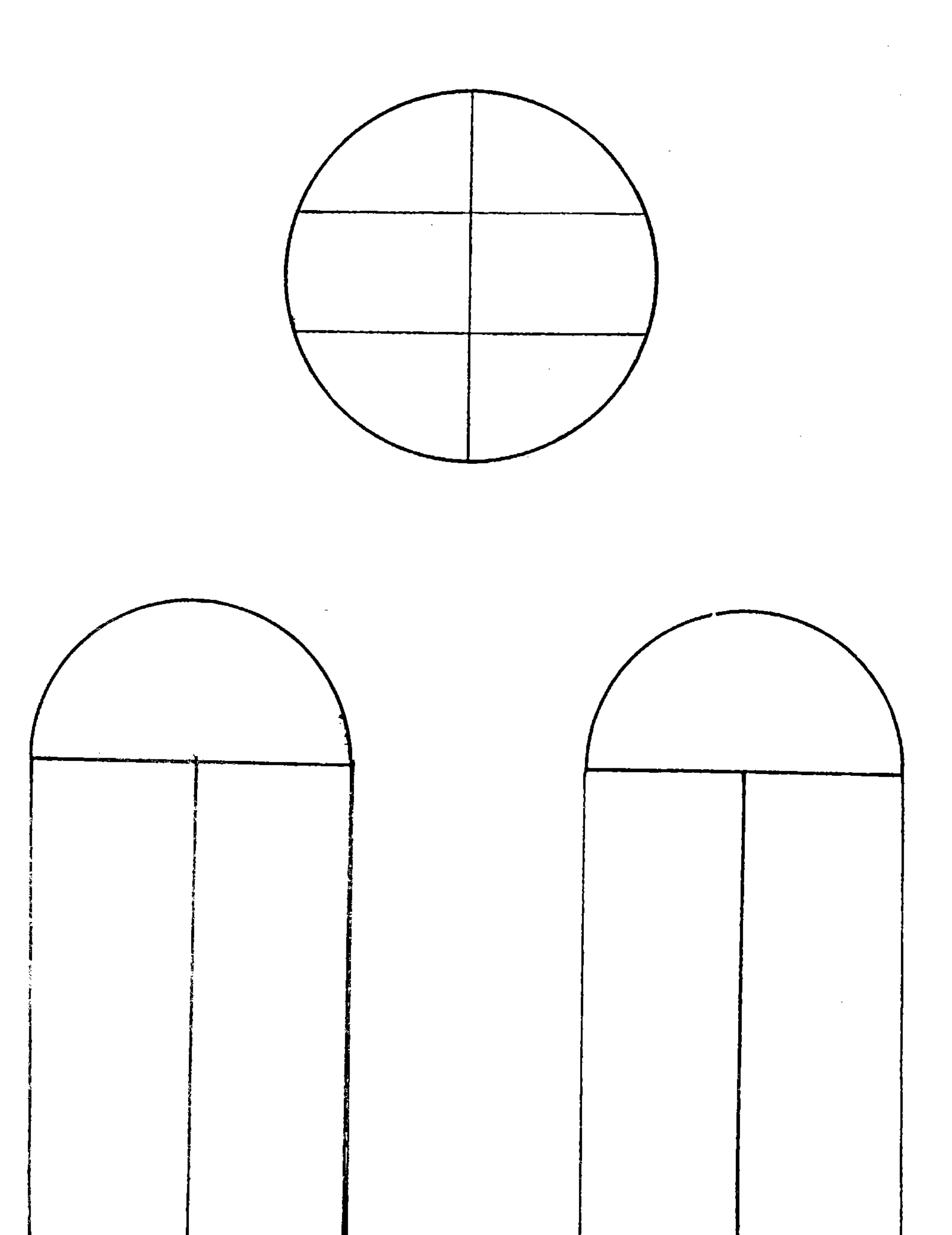
نماذج لأجزاء الرخام الذى يكسو الجزء السفلي من اسطوانات الروضة المطهرة وما يليها من مقدم المسجد ويتألف الرخام الذى يكسو كل اسطوانة من أربعة ألواح متماثلة فى الحجم والزخرفة .

أما الاسطوانات التي تحمل قبة المحراب العثماني فيتألف الرخام الموضوع على ثلاث منها من ثمان قطع وعشر قطع فوق الاسطوانتين الكبيرتين .



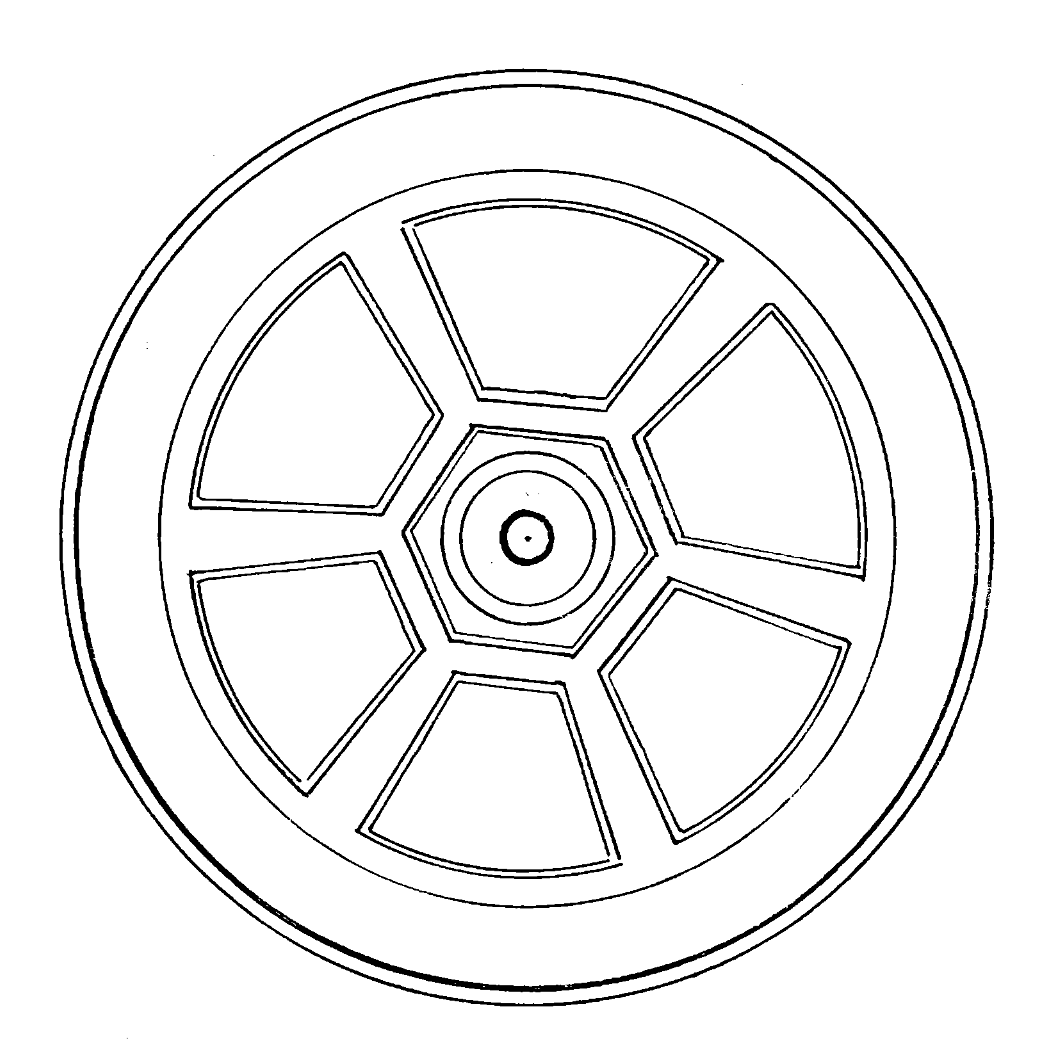
(الشكل رقم ٢٣)

تفاصيل جزء من الكسوة الرخامية التي تحلى الجزء السفلى من جدار القبلة ومدخل باب السلام وقد ظهر فيها موضع المربعات الخزفية بين ثلاث قطع من الرخام تميز منها الجزء العلوى والسفلي يكونهما من قطعة رخامية واحدة . أما الكتف الواقعة يمين المربعات الخزفية فمن قطعة منفصلة أحكم ربطها بالجزء العلوى والسفلي حتى غدت كأنها جزء واحد من الرخام .



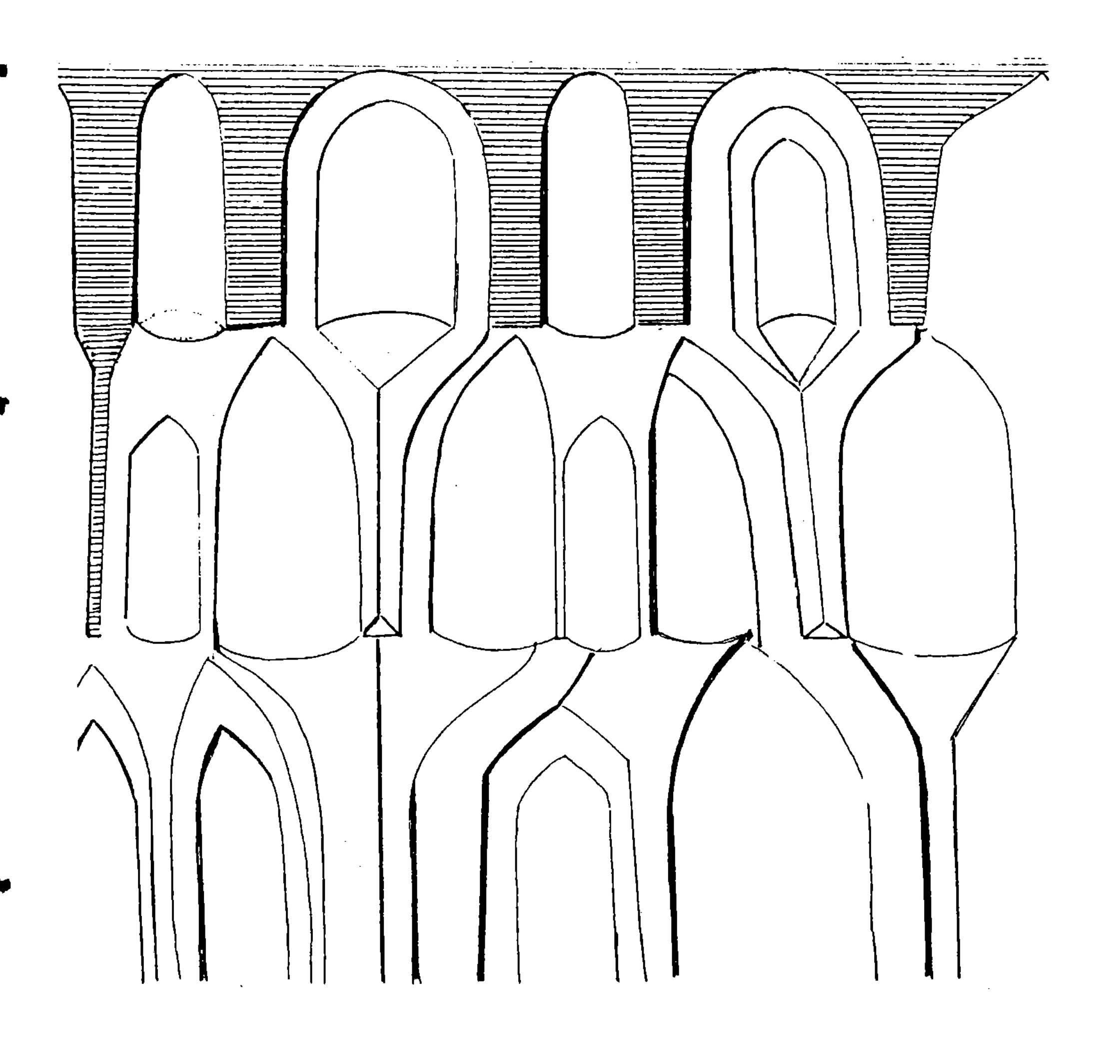
(الشكل رقم ٢٤)

نموذج بعض الشبابيك الدائرية بأعلى رقبة قبة المحراب العثماني وقد جاءت فوق شباكين معقودين بعقد نصف دائرى وسدت من الخارج بستة ألواح من الزجاج ومن الداخل بنوع من التعشيقات الرخامية .



(الشكل رقم ٢٥)

(الشكل رقم ٢٥) تفاصيل بعض الأشكال الهندسية المرسومة بالألوان المائية (الفرسكو) داخل بعض قباب الرواق القبلي من المسجد النبوى وأهمها عدد من الدوائر المختلفة الأحجام وتظهر مشتركة في مركز واحد هو صرة القبة .

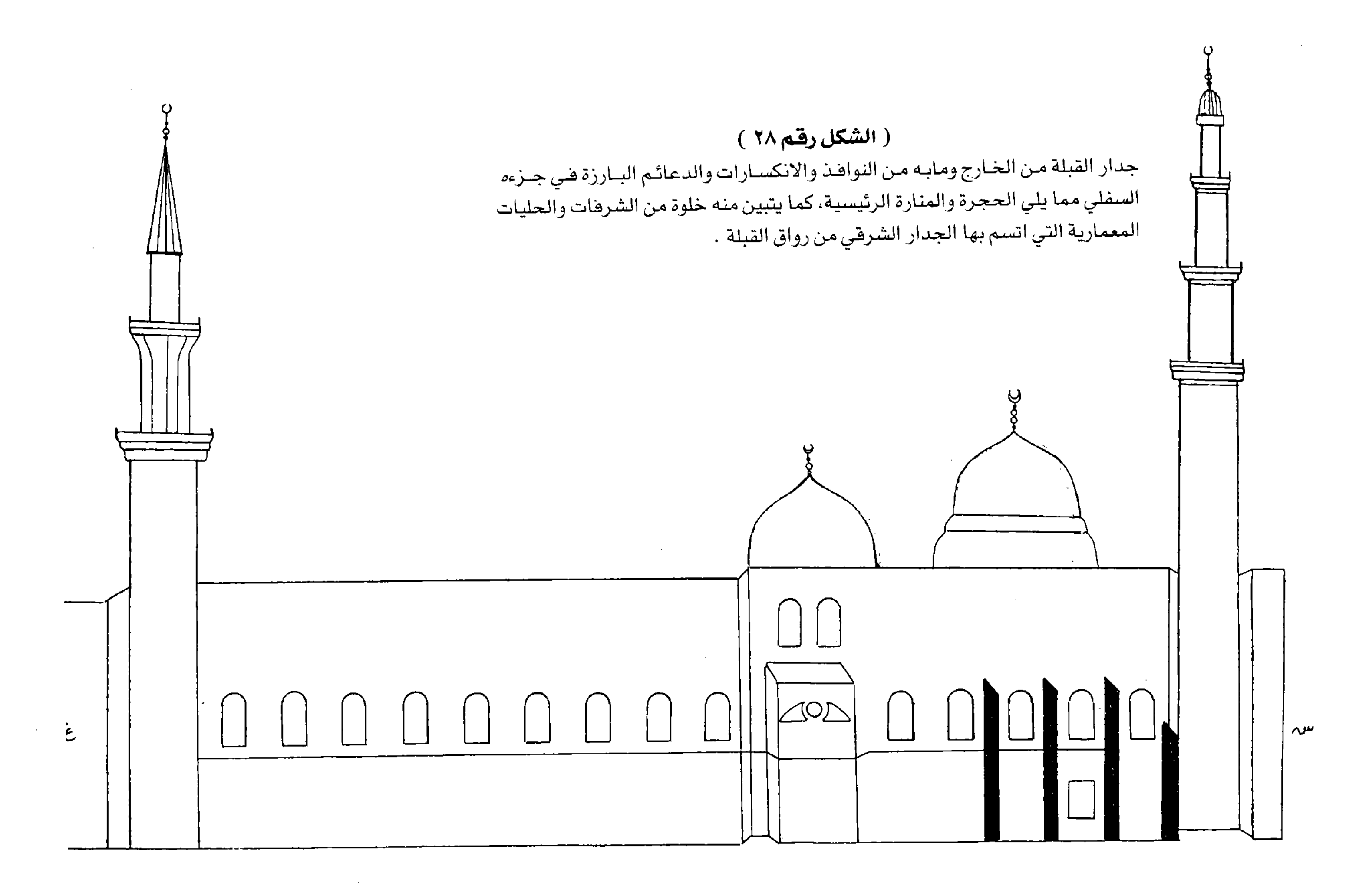


(الشكل رقم ٢٦)

تفاصيل جزء من المقرنصات التي تحمل الشرفة الأولى من منارة باب السلام وقد ظهرت في ثلاثة صفوف تميز العلوى منها بحفر عميقة بينما جاء الأوسط منها والسفلي متشابهان في المثلثات والحفر المائلة .

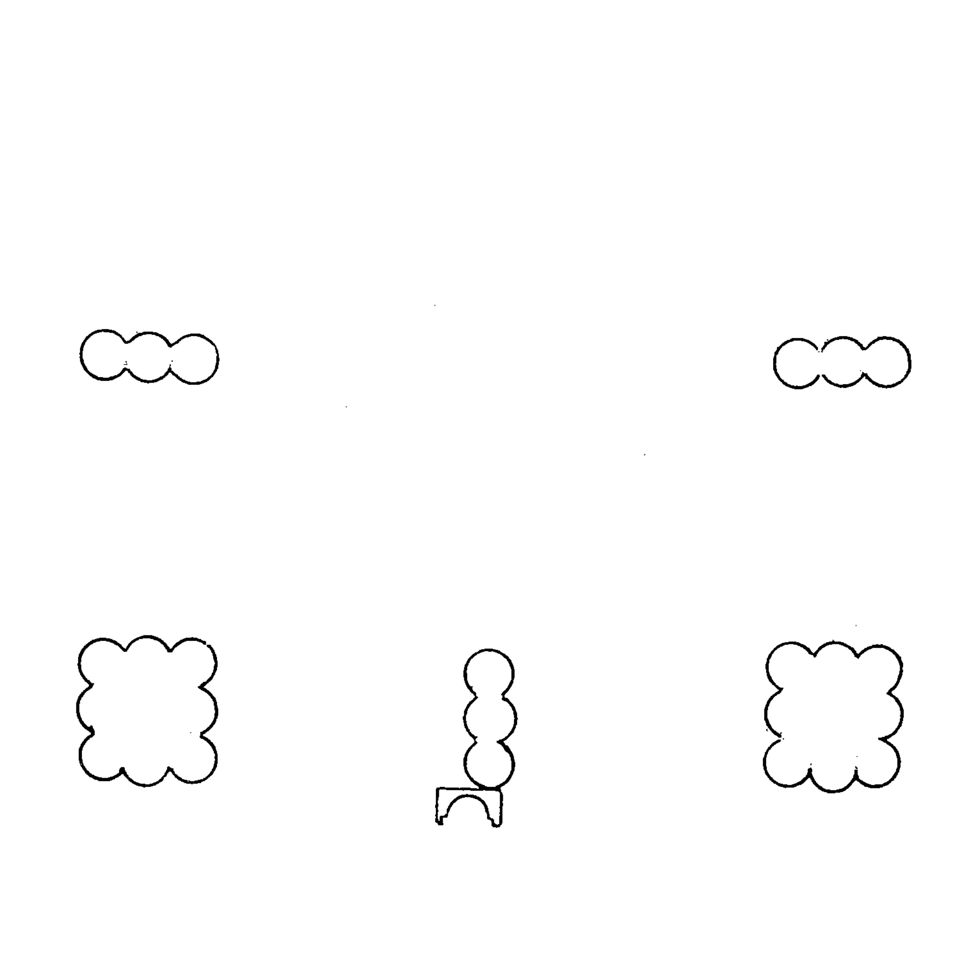
(الشكل رقم ٢٧)

تفاصيل الواجهة الداخلية لجدار القبلة من المنارة الرئيسية إلى منارة باب السلام ويتبين منها طريقة ترتيب الأشرطة الكتابية وما يفصلها من أشرطة زخرفية بالإضافة إلى الدعائم البارزة قرب منارة باب السلام ومايزين الجزء العلوى من رسوم مائية ونوافذ وعقود .



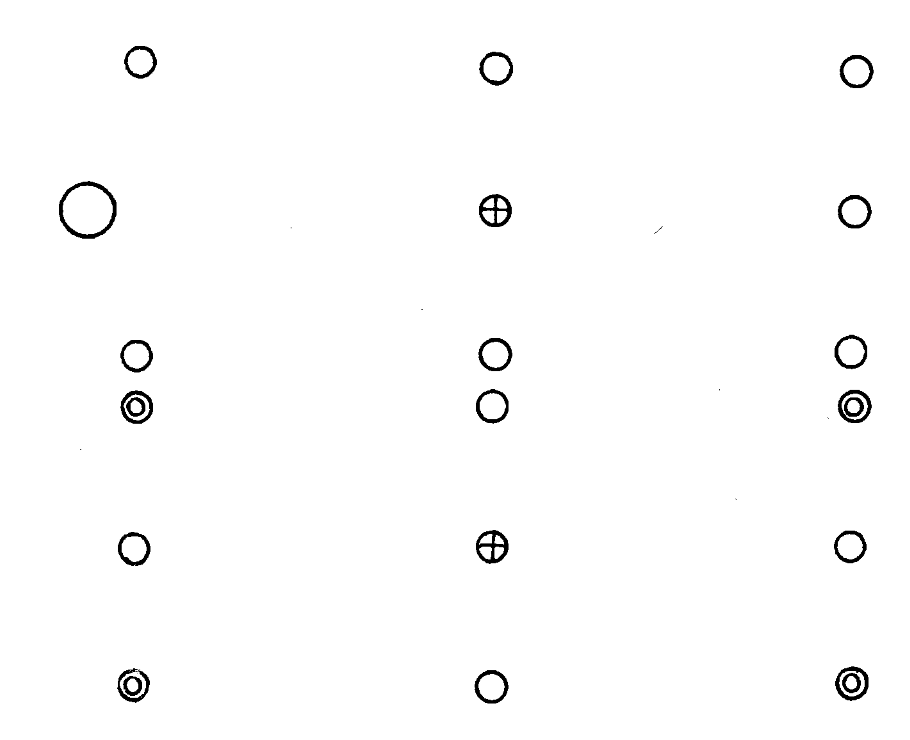
(الشكل رقم ٢٨)

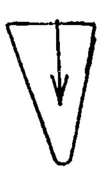
جدار القبلة من الخارج ومابه من النوافذ والانكسارات والدعائم البارزة في جزءه السفلي مما يلي الحجرة والمنارة الرئيسية، كما يتبين منه خلوة من الشرفات والحليات المعمارية التي اتسم بها الجدار الشرقي من رواق القبلة .



(الشكل رقم ٢٩)

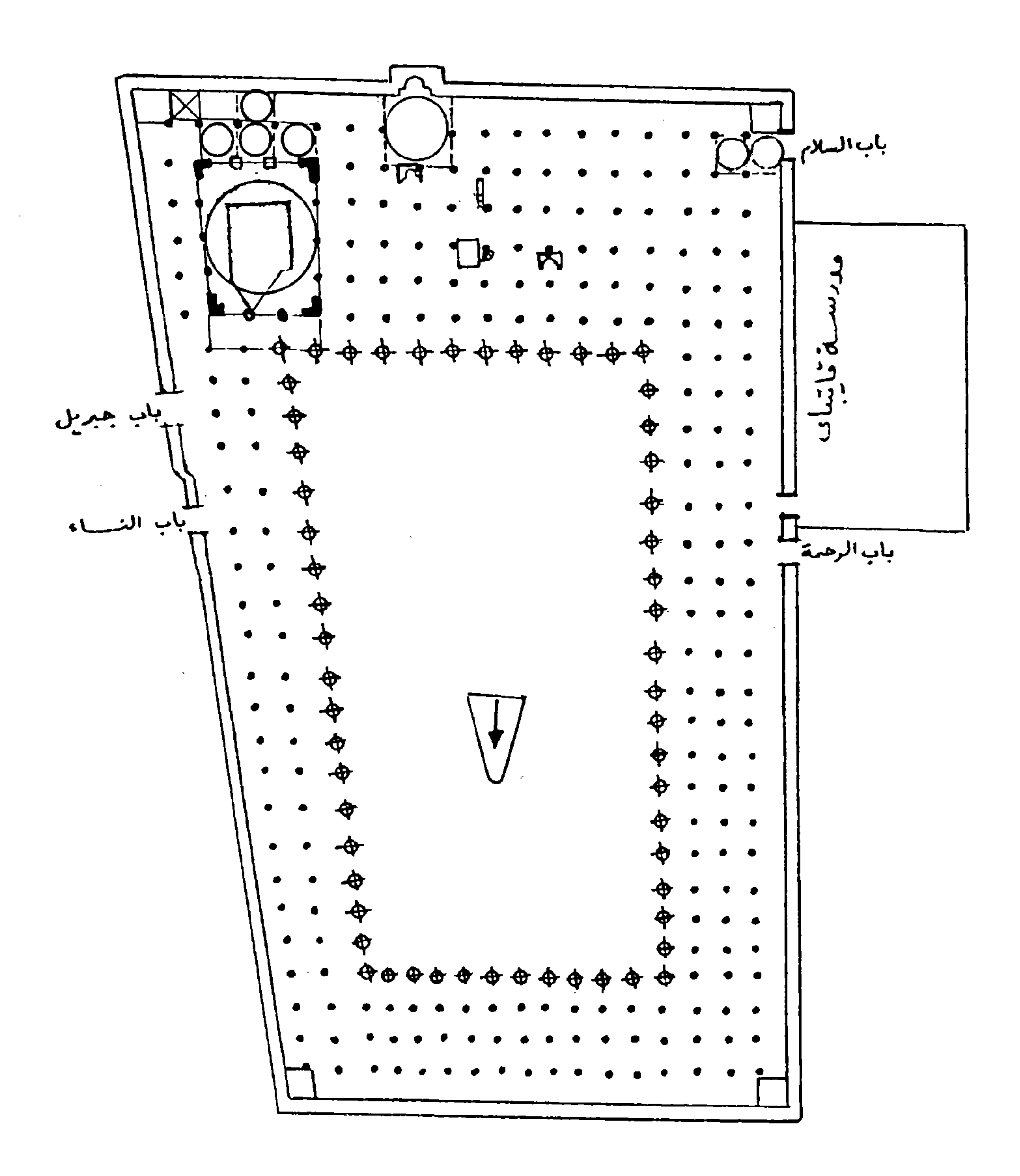
مسقط أعمدة قبة المحراب العثماني ويتبين منها ضخامة الأعمدة الموضوعة في طرفيها الشماليين والمؤلفة من تسعة أعمدة، أما الأعمدة الواقعة خلف المحراب النبوى وكذلك القريبة من المحراب العثماني فقد اقتصر كل منها على ثلاثة أعمدة .





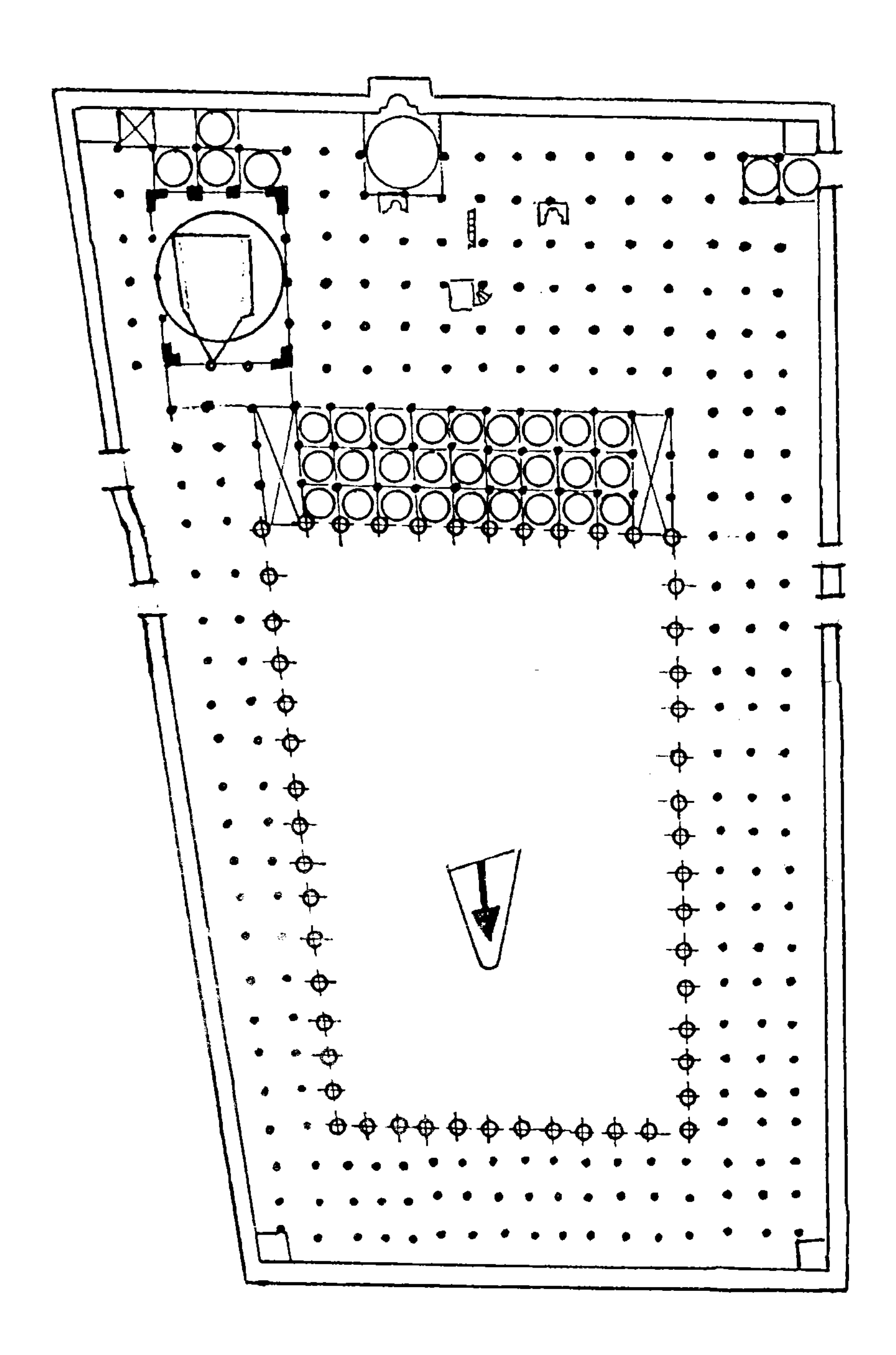
(الشكل رقم ٣٠)

مسقط أعمدة المكبرية بوضعها الحالي ويتضح منه وجود العمود المملوكي في الركن الشمالي الغربي وقد وحد له ثلاثة أمثلة أشير لها في الرسم بدائرتين متحدتين في المركز، أما العمودان المتميزان بتاجين محليين بورق الاكنتس فقد رمز لهما في الرسم بالعلامة الموجبة .



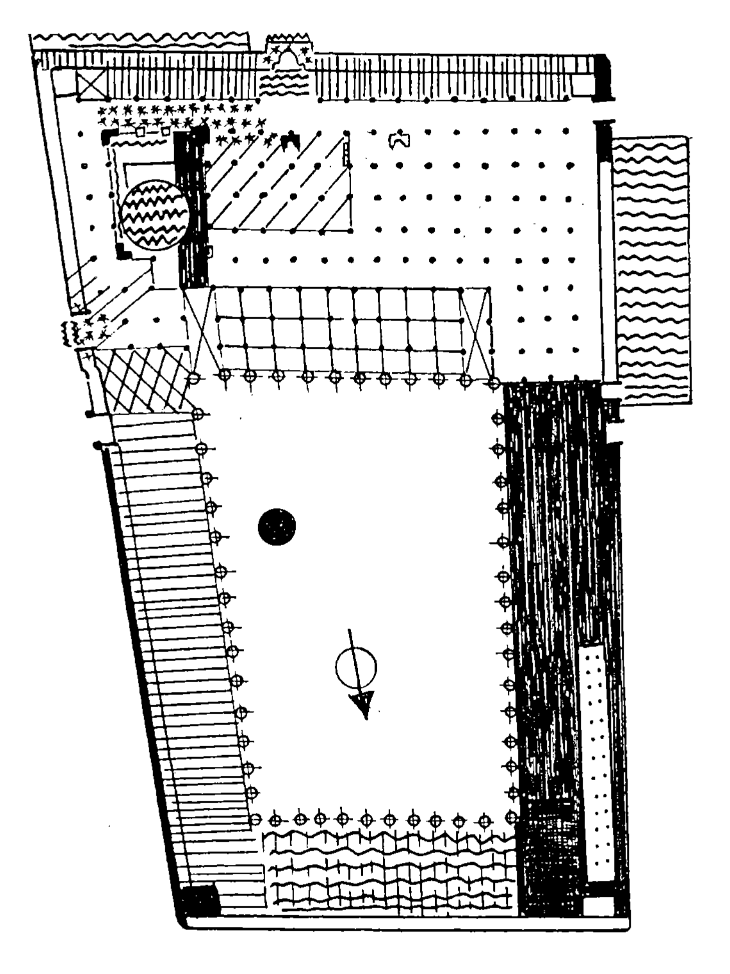
(الشكل رقم ٣١)

مسقط الحرم النبوى فى نهاية العصر المملوكي وقد تميز فيه رواق القبلة بعدد من القباب المتفرقة بالاضافة إلى تزويد الموضع المقابل للمواجهة الشريفة بمنور (باذهنج) للضوء والهواء جاء موقعه كما في الرسم غرب المنارة الرئيسية . كما ظهر في الرسم موضع المحراب الحنفي غرب المكبرية .



(الشكل رقم ٣٢)

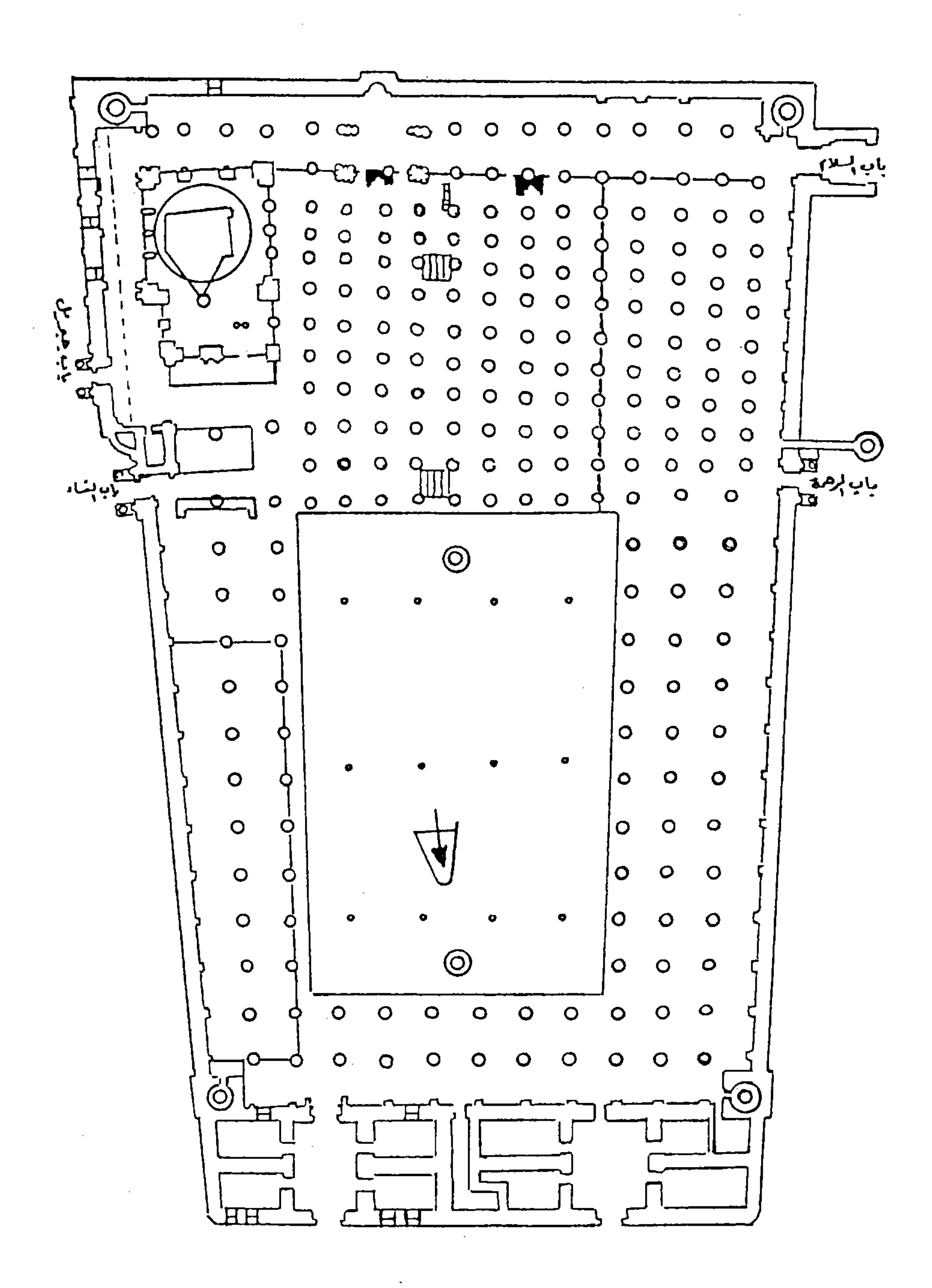
مسقط الحرم النبوى بعد التوسعة التي أضافها السلطان مراد الرابع في الطرف الشمالي من رواق القبلة ويتضح من الرسم أن المنورين وضعا في الطرف الشرقي والغربي من البلاطات المضافة كما ظهر في الرسم تسقيفها بمعدل تسع قباب في الصف الواحد .



(الشكل رقم ٣٣)

مسقط المسجد النبوى قبل العمارة المجيدية وقد شملته الترميمات والتجديدات التي قام بها السلاطين العثمانيون على النحو التالي :

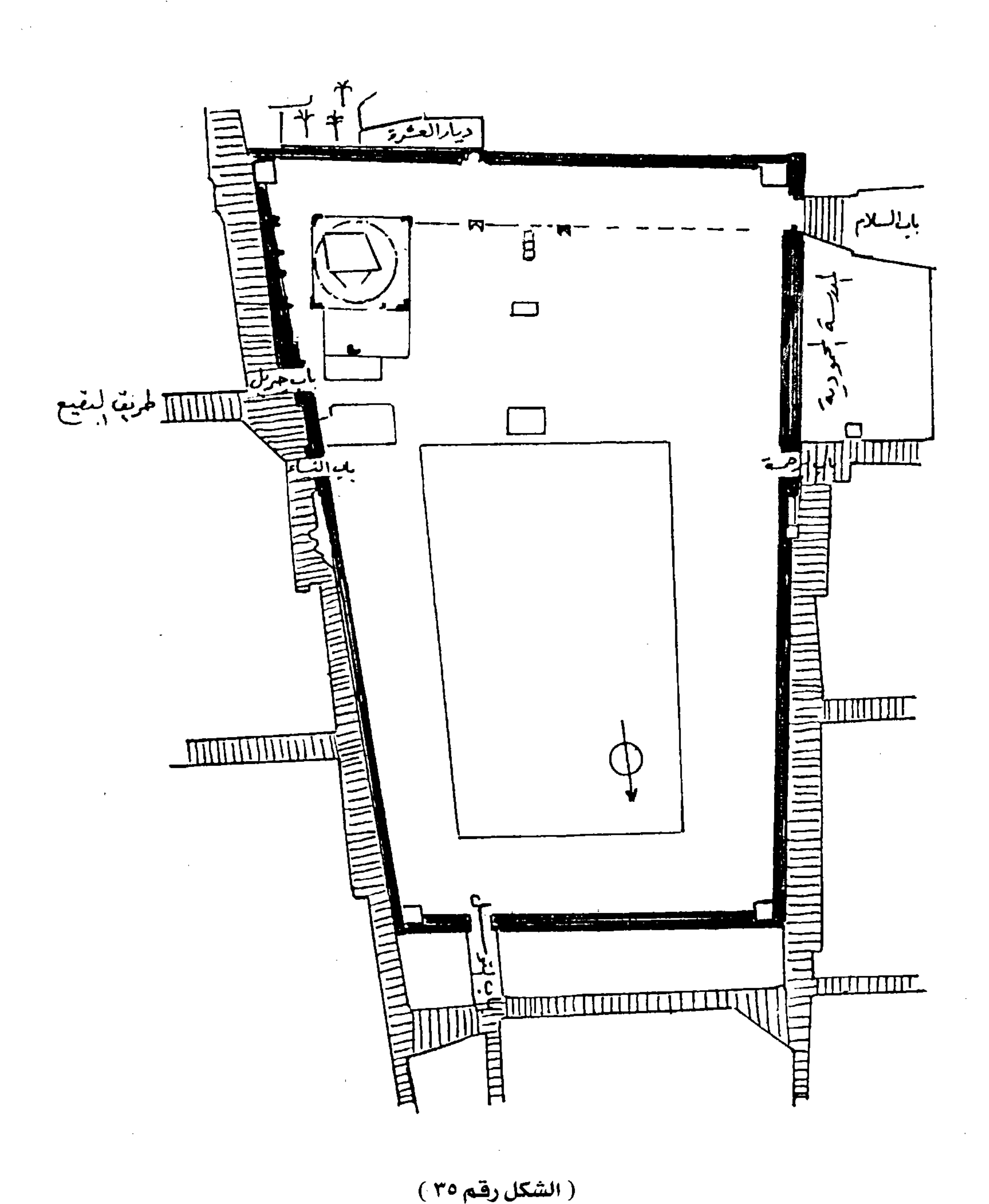
- أعمال السلطان سليمان مراد القانوني ٩٤٠ - ٩٧٤ هـ .
- أعمال السلطان مراد الثالث ٩٩٥ - ٩٩٨ هـ .
- أعمال السلطان مراد الرابع ١٠٤٤ هـ .
- أعمال السلطان محمد الرابع ١٠٦٠ - ١٠٩٣ هـ .
- أعمال السلطان مصطفى الثاني ١١٠٨ - ١١١٢ هـ .
- أعمال السلطان أحمد الثالث ١١٣٢ هـ .
- أعمال السلطان محمود الأول ١١٤٩ هـ .
- أعمال السلطان عبد الحميد الأول ١١٩١ - ١٢٠١ هـ .
- أعمال السلطان سليم الثالث ١٢٠٦ - ١٢١٥ هـ .
- أعمال السلطان محمود الثاني ١٢٢٨ - ١٢٥٣ هـ .



(الشكل رقم ٣٤)

مخطط الحرم النبوى الشريف بعد العمارة المجيدية كما أعده مهندسوا الأتراك في أواخر العصر العثماني وقد ظهرت فيه الأكتاف المسندة بالجدار الشمالي والشرقي والغربي وجزء من جدار القبلة مما يلي باب السلام كما ظهر في صحنه موضع المشاعل والمصابيح الكهربائية بالإضافة للسياج المحيط بمصلى النساء .

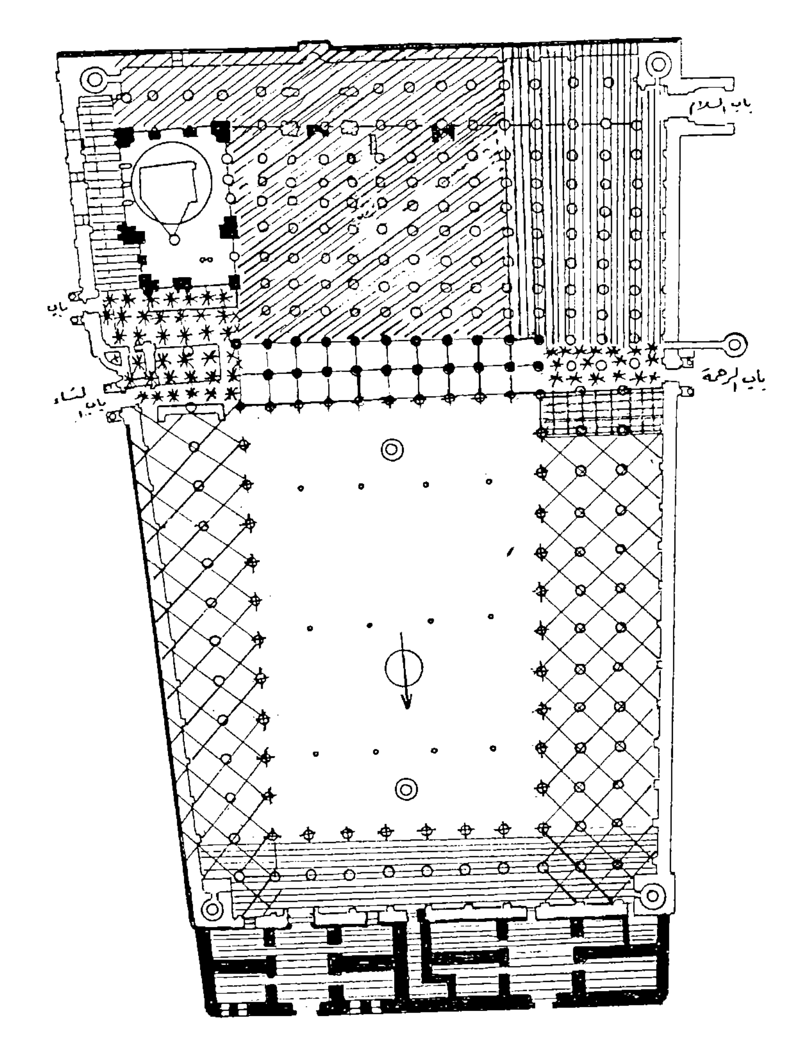
" عن إبراهيم رفعت "



(الشكل رقم ٣٥)

مخطط الحرم النبوى في أواخر العصر العثماني وقد أحاطت به الطرقات والمباني من جميع الجهات .

(عن محمد صادق باشا)

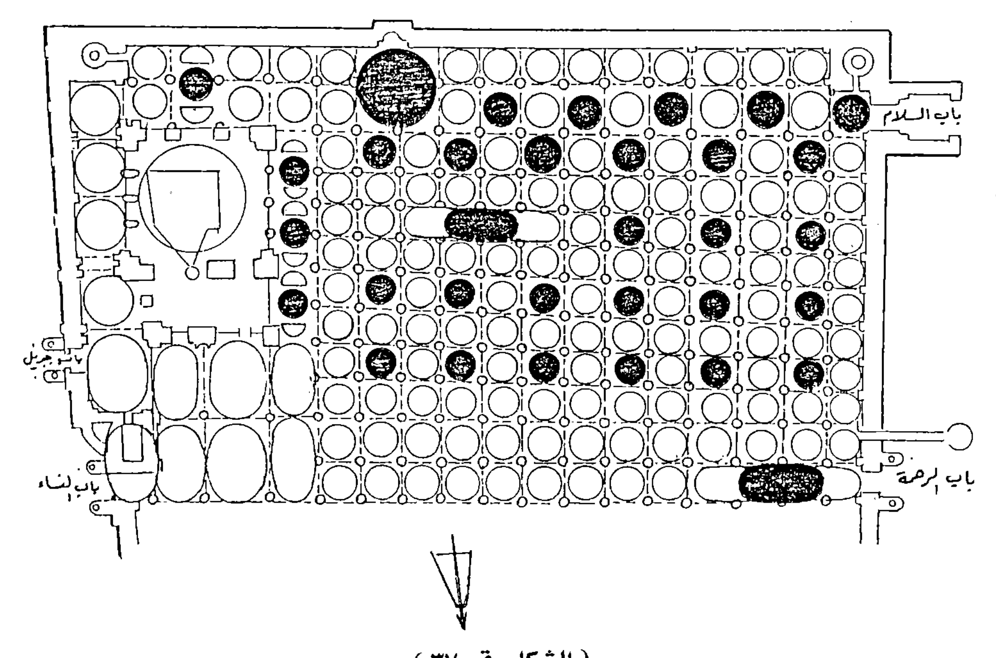


(الشكل رقم ٣٦)

مخطط الحرم النبوى الشريف في العمارة المجيدية ١٢٦٩ - ١٢٧٧ هـ وقد تجلت فيه المراحل التي قام بها نظار العمارة على النحو التالى :

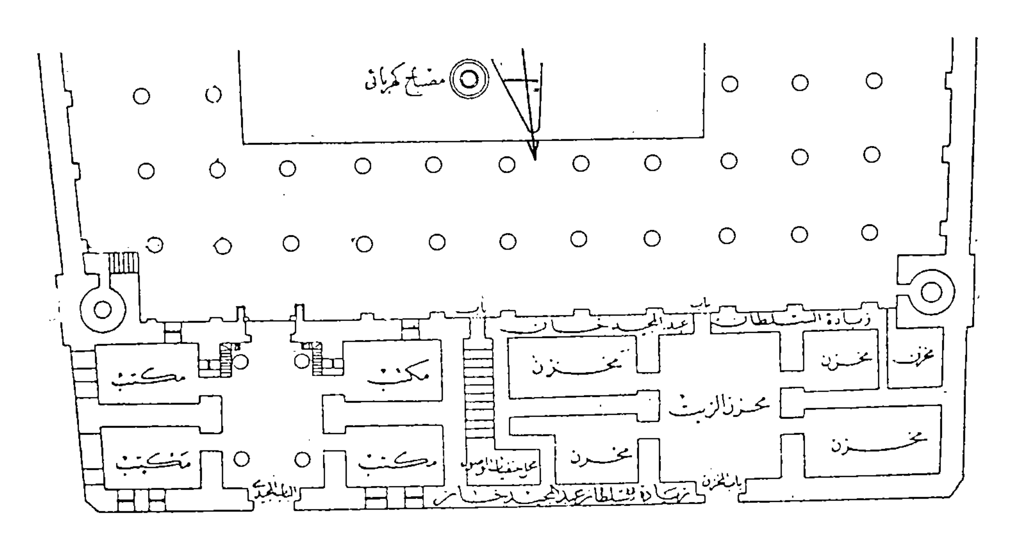
- أعمال المهندس محمد رائف باشا ٢٢ شعبان ١٢٦٧ هـ إلى منتصف سنة ١٢٦٩ هـ .
- أعمال الفريق أبو بكر باشا من ١١ شعبان ١٢٦٩ هـ إلى ١٩ جمادى الأولى سنة ١٢٧١ هـ .
- أعمال شيخ الحرم دولار باشا من جمادى الأولى ١٢٧١ هـ إلى ١٥ صفر سنة ١٢٧١ هـ .
- أعمال ناظر مكتب البحرية أدهم باشا من ١٥ صفر سنة ١٢٧٢ هـ إلى رمضان سنة ١٢٧٣ هـ .
- أعمال المهندس صالح أفندى من شعبان سنة ١٢٧٣ هـ إلى أواخر سنة ١٢٧٤ هـ .
- أعمال عضو مجلس الشورى محمد راشد أفندى أواخر سنة ١٢٧٤ هـ - ذى القعدة ١٢٧٥ هـ .
- أعمال قاضى المدينة عرباني زاده من جمادى الأولى سنة ١٢٧٦ هـ - أواخر سنة ١٢٧٧ هـ .

"من عمل الباحث"



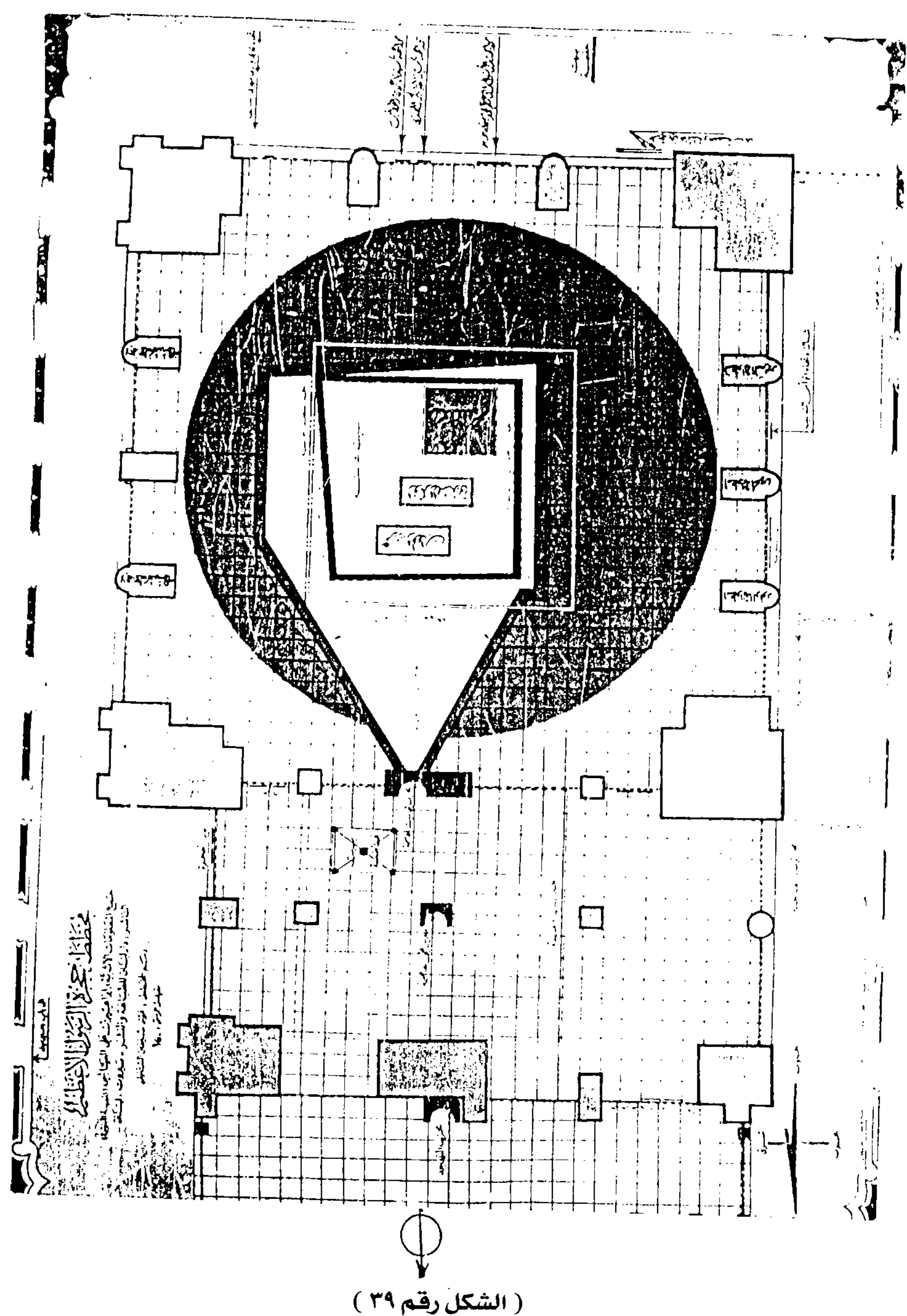
(الشكل رقم ٣٧)

مسقط الرواق القبلي من الحرم النبوى الشريف بعد العمارة المجيدية وتظهر فيه القباب العالية من ذوات الطمبور بلون أسود وقد تركز معظمها في الجزء الذى عمره عرباني زاده .



(الشكل رقم ٣٨)

مسقط الرواق الشمالي من الحرم النبوى الشريف بعد العمارة المجيدية وتظهر فيه الأعمدة منتظمة في صفين موازيين لجدار القبلة كما تظهر المكاتب والمخازن الملحقة خارج جدار المسجد الشمالي بتقسيماتها وجدرانها المتعددة . "عن إبراهيم رفعت"



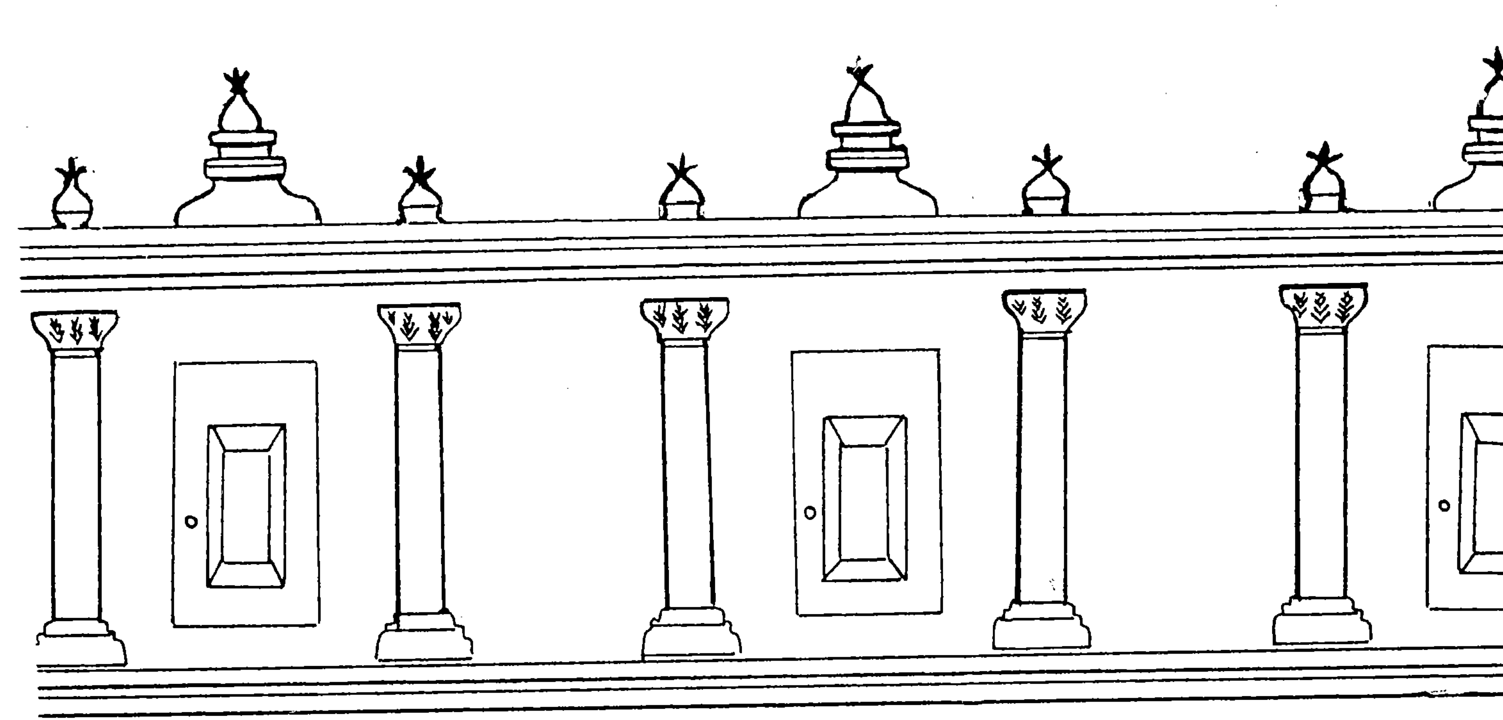
(الشكل رقم ٣٩)

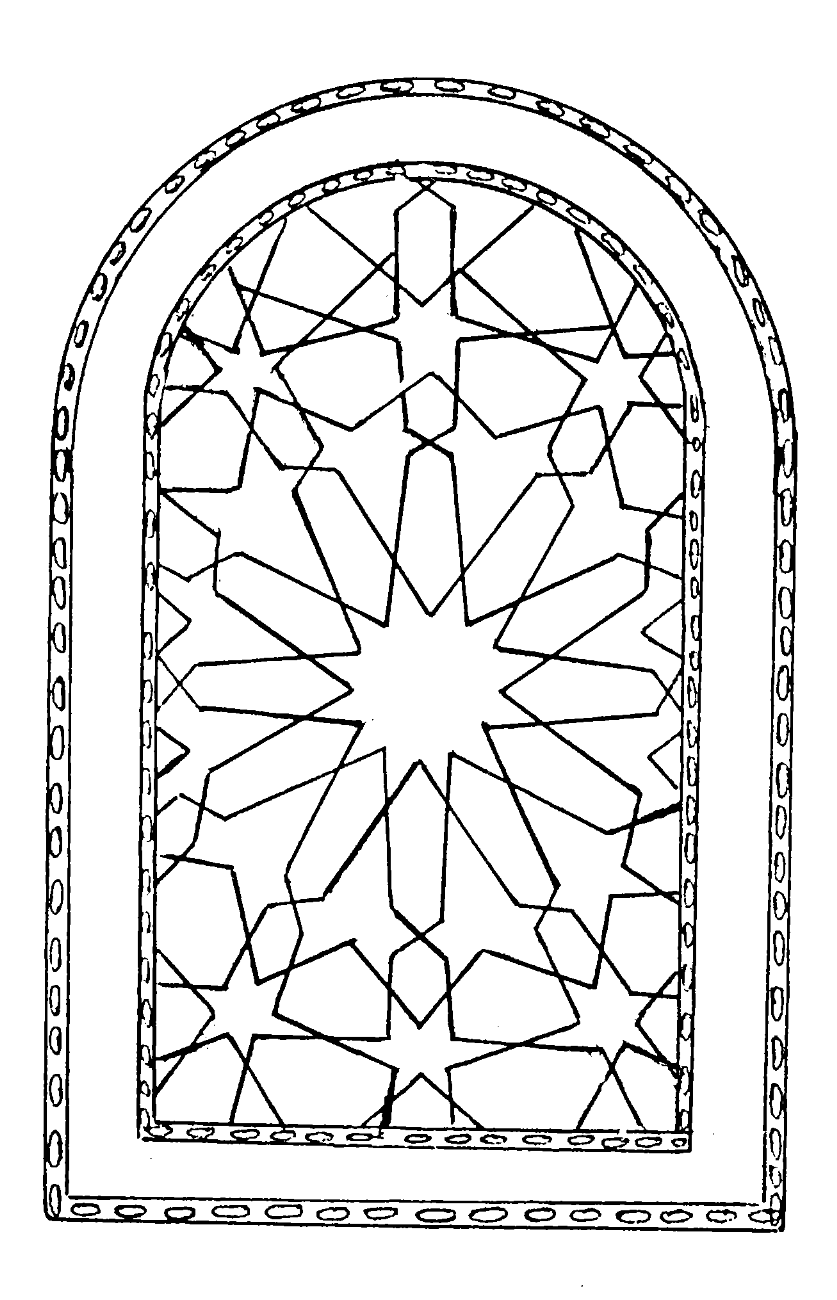
مخطط الحجرة الشريفة بعد عمارة السلطان عبد المجيد وقد تميزت بضخامة الأعمدة والأكتاف الملصقة بأعمدة القبة المملوكية ، كما تميزت بالأنكسارات التي أملتها طبيعة اتجاه العقود الجديدة .

"عن إبراهيم العياشي"

(الشكل رقم ٤٠)

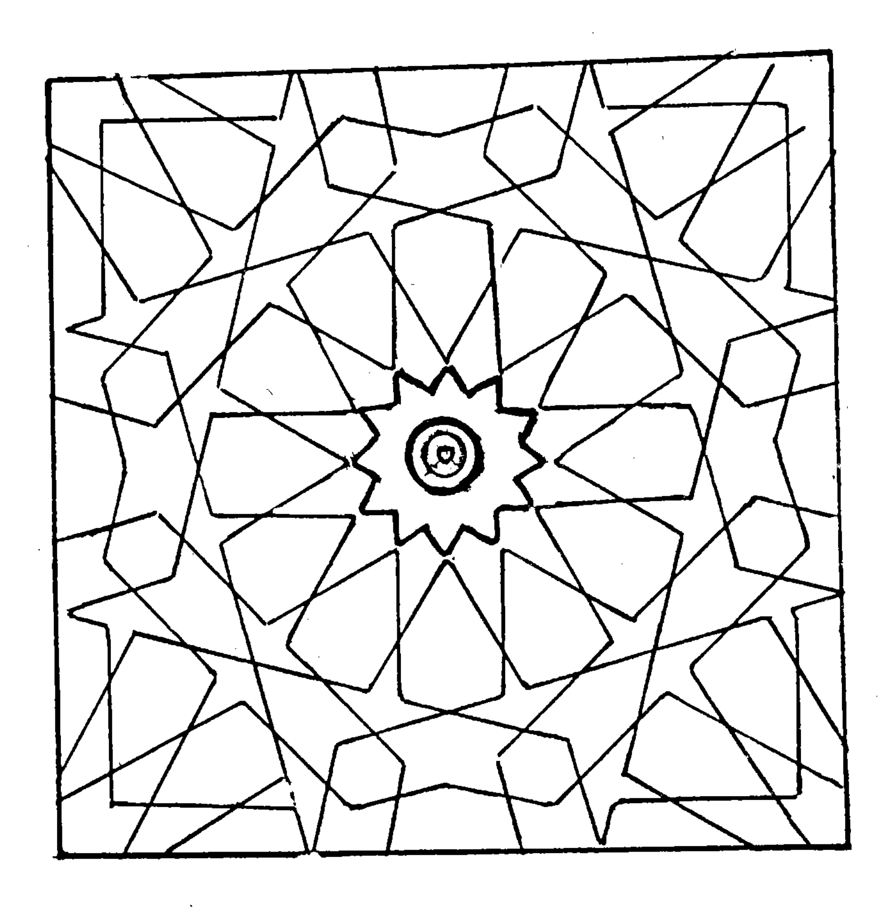
تفاصيل العناصر الزخرفية المحيطة بالخزائن الجدارية، الموضوعة في العمارة المجيدية في منتصف الجزء السفلي من الجدار الشرقي من رواق القبلة .





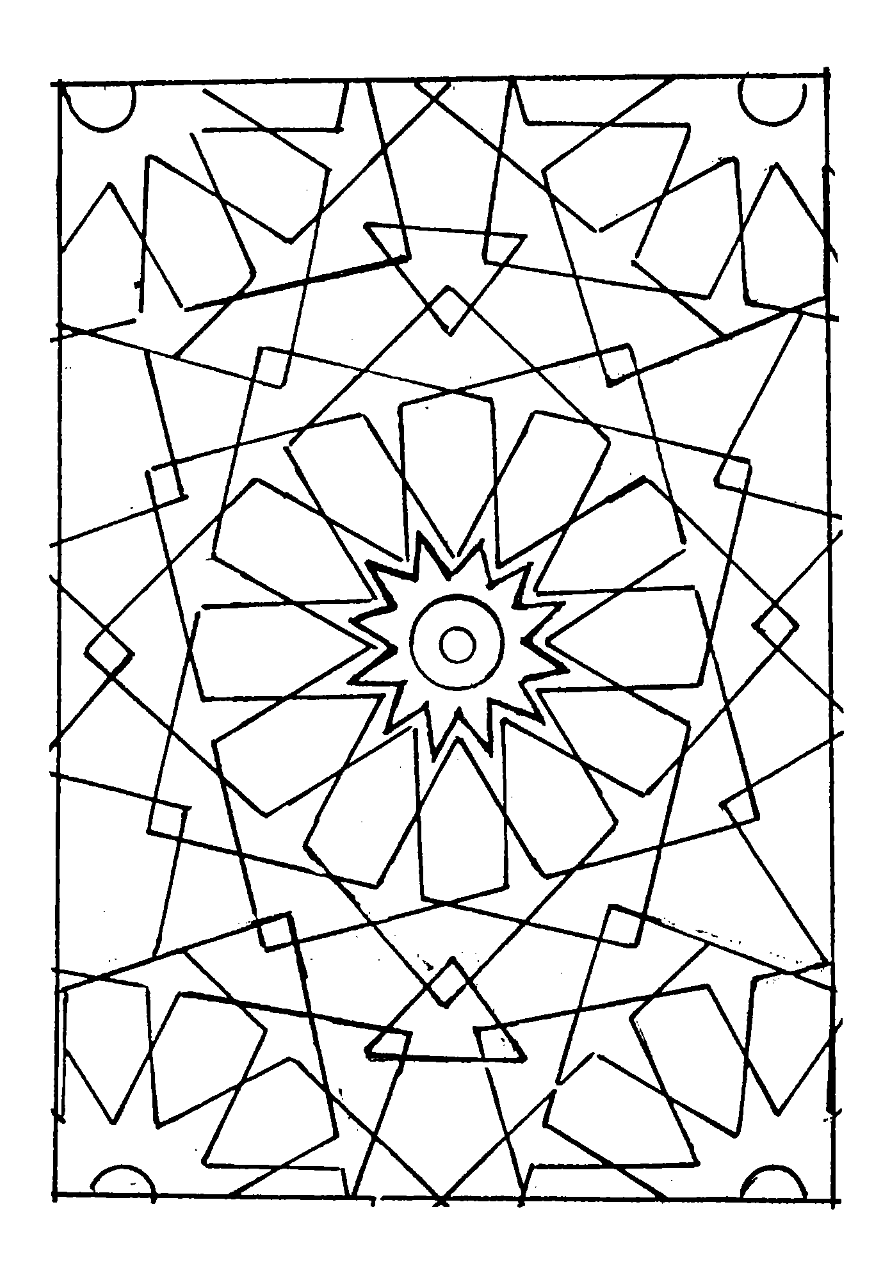
(الشكل رقم ٤١)

تفاصيل الزخارف الهندسية المتماثلة في جميع أبواب الشبابيك، الموضوعة بأعلى جدار القبلة في العمارة المجيدية، وتظهر مؤلفة من طبق نجمي باثنتي عشرة كندة وترس في الوسط .



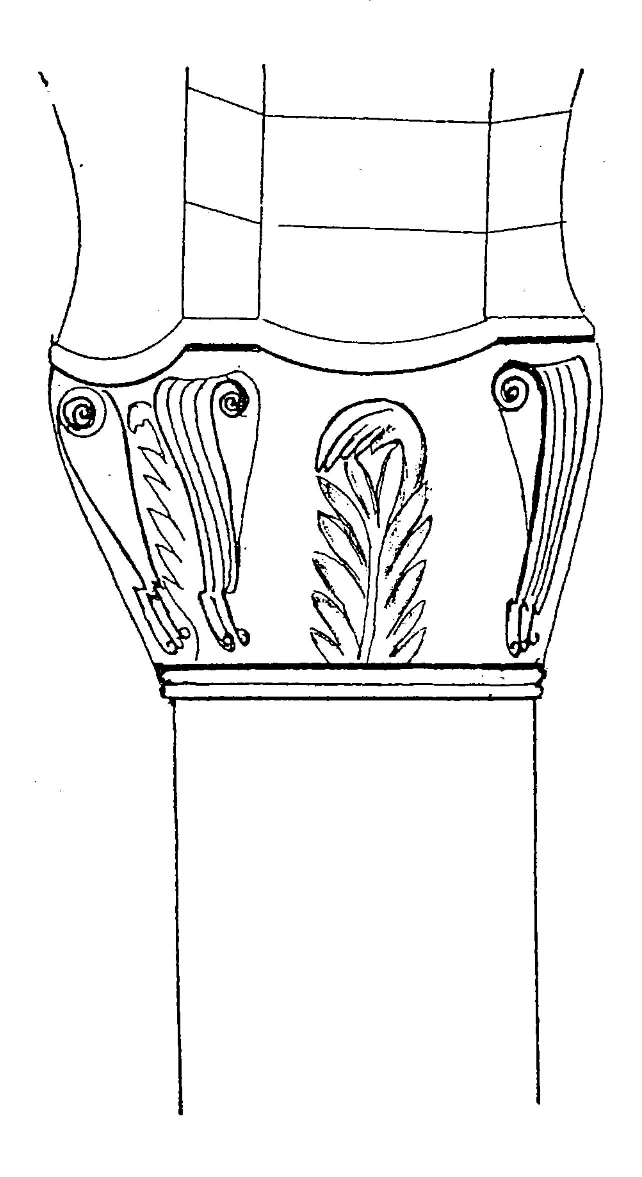
(الشكل رقم ٤٢)

تفاصيل الزخارف الهندسية التي يتكون منها كل من الطبقين النجميين، اللذين يحليان قبة المنبر والجزء السفلي من جلسة الإمام .



(الشكل رقم ٤٣)

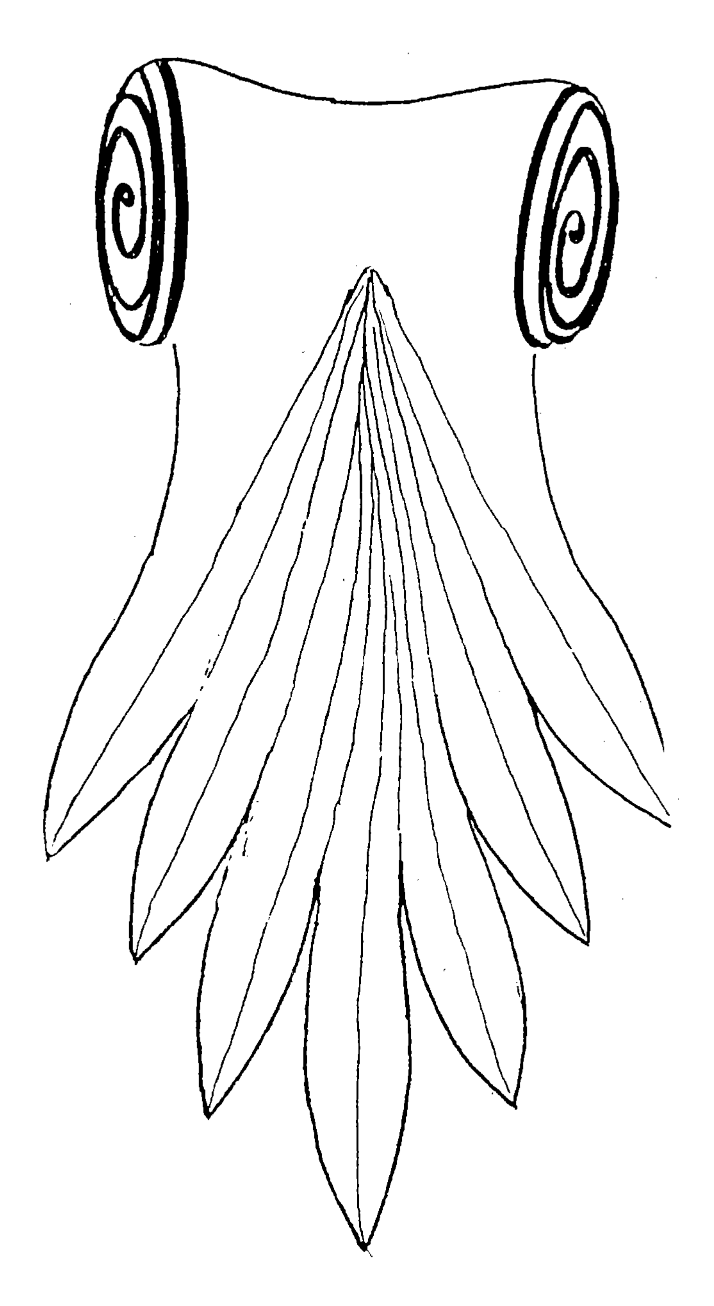
تفاصيل الزخارف الهندسية المكونة من الطبق النجمي وأرباعه، والموضوعة على جانبي المحراب السليماني وتظهر مشابهة تماما لما في حنية المحراب من زخارف هندسية .



(الشكل رقم ٤٤)

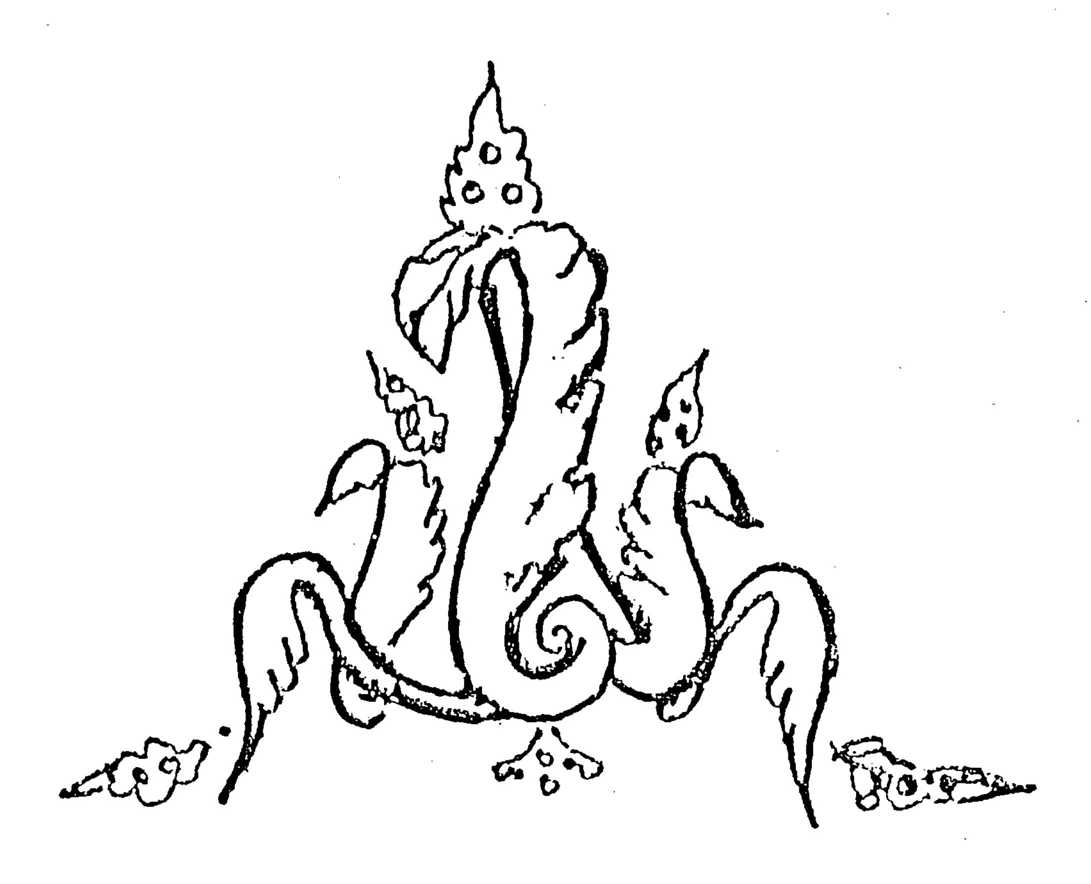
تفاصيل الزخارف التي يتميز بها تاج اسطوانة أبي لبابة عن بقية اسطوانات الروضة المطهرة ويظهر في الرسم انتهاء المحارة بكابولي يمتد على طول تاج الاسطوانة من جوانبه الأربعة .

"من عمل الطالب"



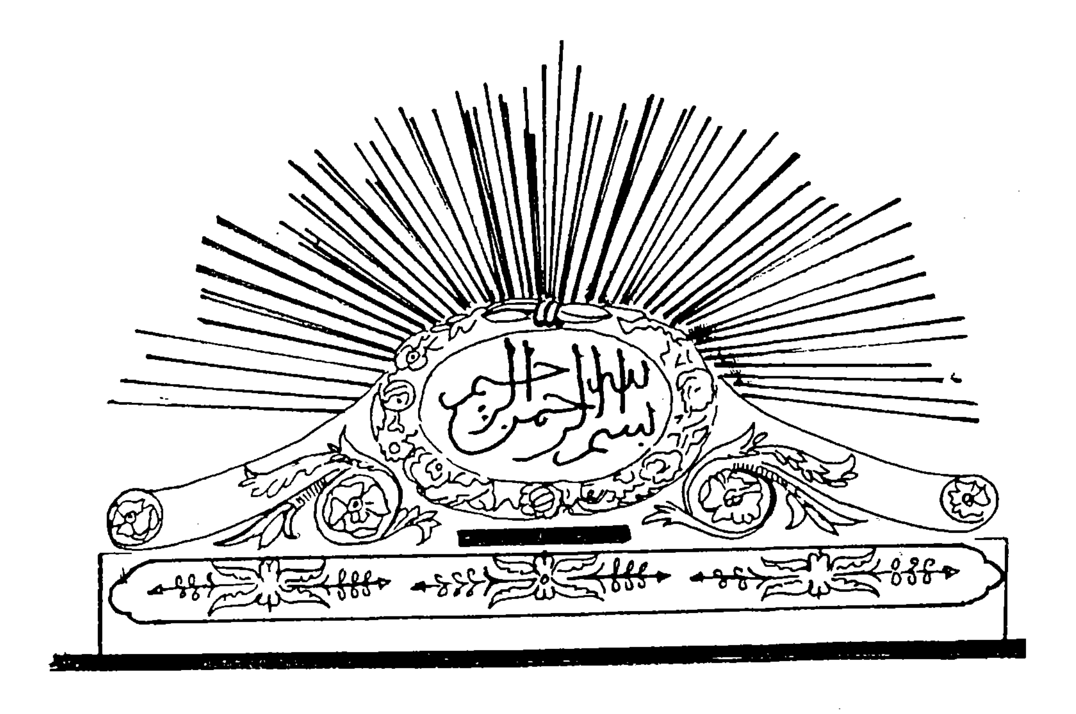
(الشكل رقم ٤٥)

طريقة تكوين الشكل اللولبي الذى يميز أركان التيجان الأيونية المستخدمة في الرواق القبلي من الحرم النبوى الشريف وقد انتهى كل اثنين منهما بشكل ورقة نباتية متطورة عن أوراق الاكنتس .



(الشكل رقم ٤٦)

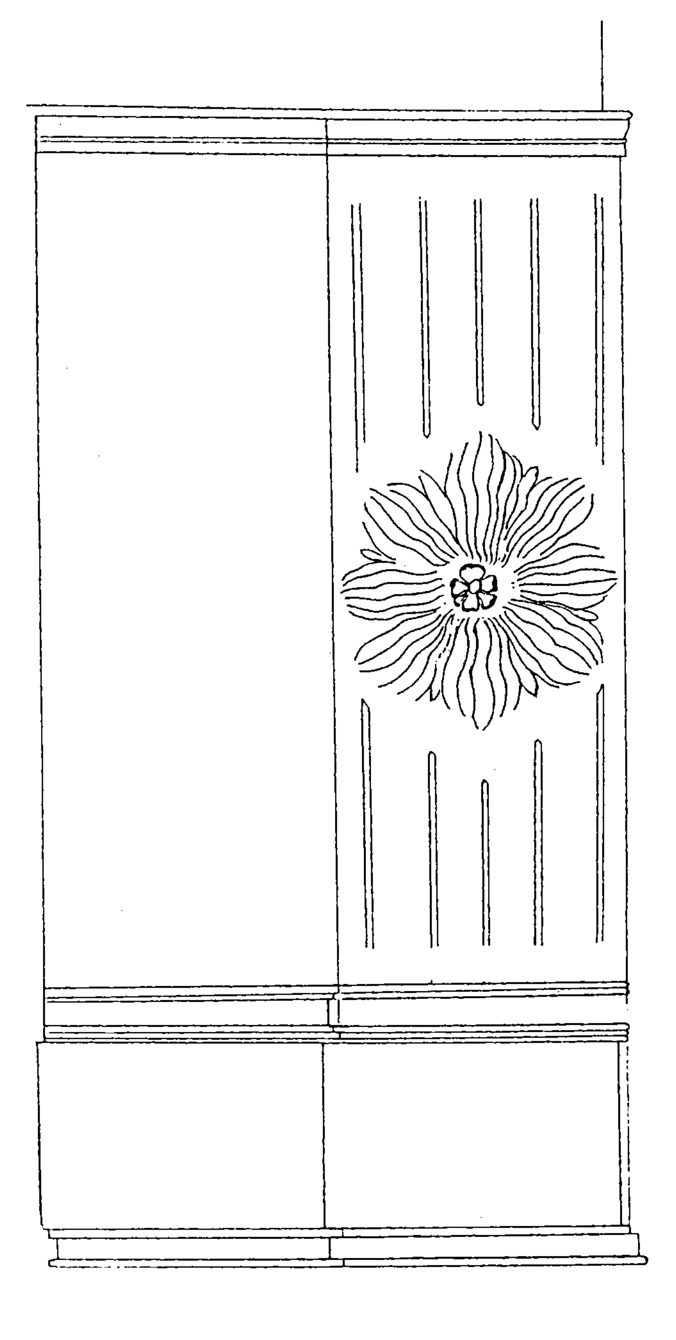
أجزاء العنصر الزخرفي الظاهر في المثلثات الكروية التي تقع في منطقة تكوين القباب الموجودة فوق سقف البلاطتين اللتين أضافهما السلطان عبد المجيد في مؤخرة الرواق القبلي مما يلي صحن المسجد النبوى .



(الشكل رقم ٤٧)

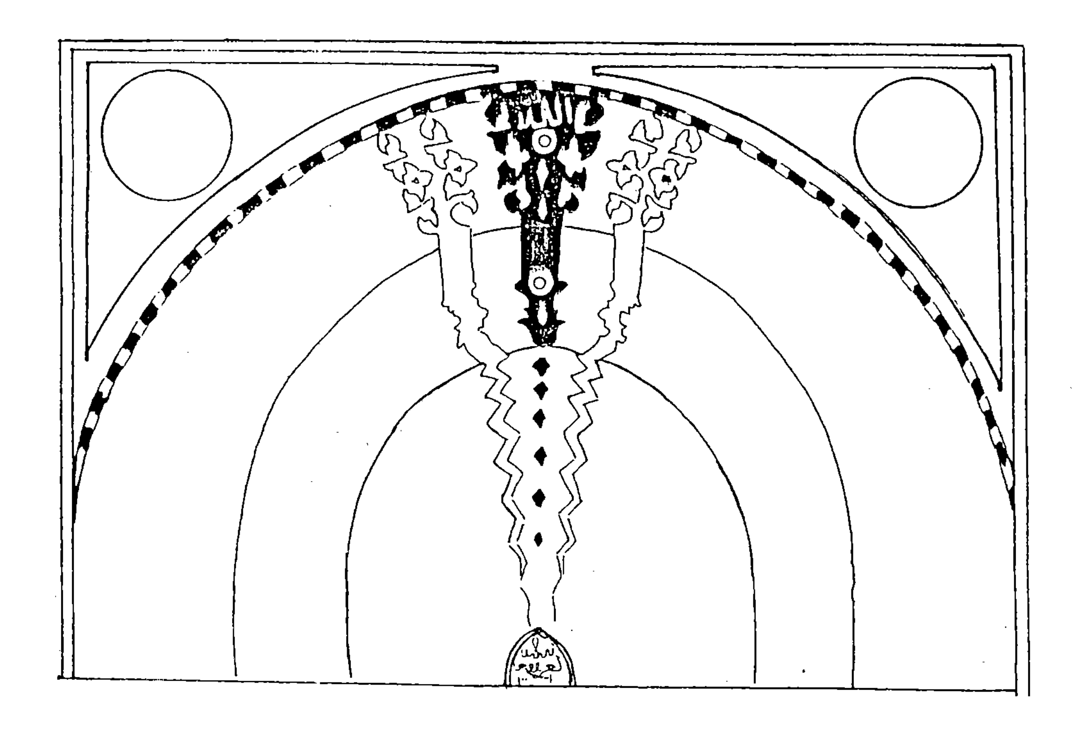
تفاصيل العناصر الزخرفية المنحوتة بالحفر البارز على الحجر فوق العتب العلوى للشباك الموضوع في العمارة المجيدية في وسط الجدار الشرقي من رواق القبلة في موضع باب النبي عليه الصلاة والسلام .

• وتظهر الزخارف مؤلفة من أوراق نباتية مسننة وأكاليل محيطة بالبسملة مع مايميزها من الخطوط المشعة على هيئة ذيل الطاووس .



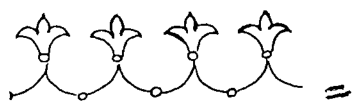
(الشكل رقم ٤٨)

تفاصيل الزخارف المنحوته بالحفر البارز في الجزء السفلي من الاسطوانات الواقعة شمال وغرب الروضة المطهرة للدلالة على أنها كانت ملبسة بالرخام قبل العمارة المجيدية وتتميز بأشكال ورود كبيرة تقع في أربعة أجزاء من كل أسطوانة .



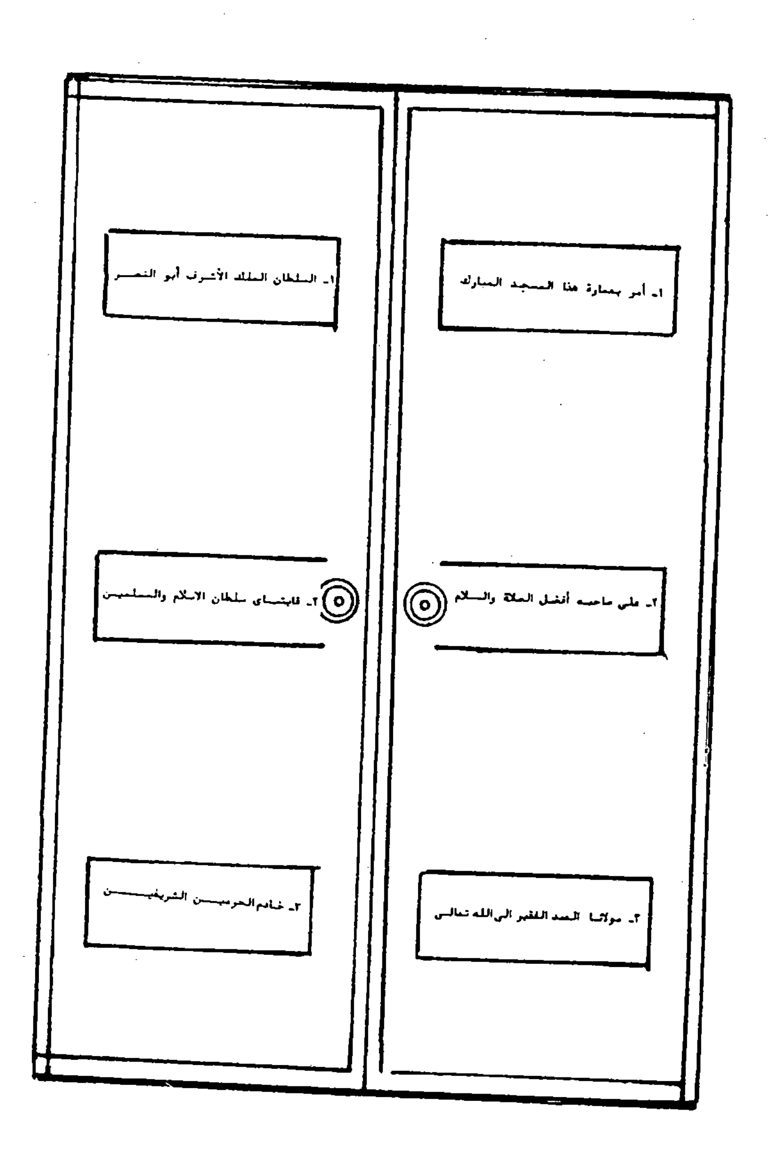
(الشكل رقم ٤٩)

تفاصيل الأجزاء الرخامية المعشقة التي تتألف منها زخرفة الجزء العلوى من جنية المحراب العثماني وقد شملت بعض الخطوط المنكسرة وأنصاف الأوراق الثلاثية الفصوص وبعض الأوراق الكاملة في تتابل وتدابر فريد وقد جاءت ستة أشكال في الجانب الأيمن ومثلها في الجانب الأيسر من الشكل المميز في الرسم باللون الأسود داخل الحنية المذكورة .



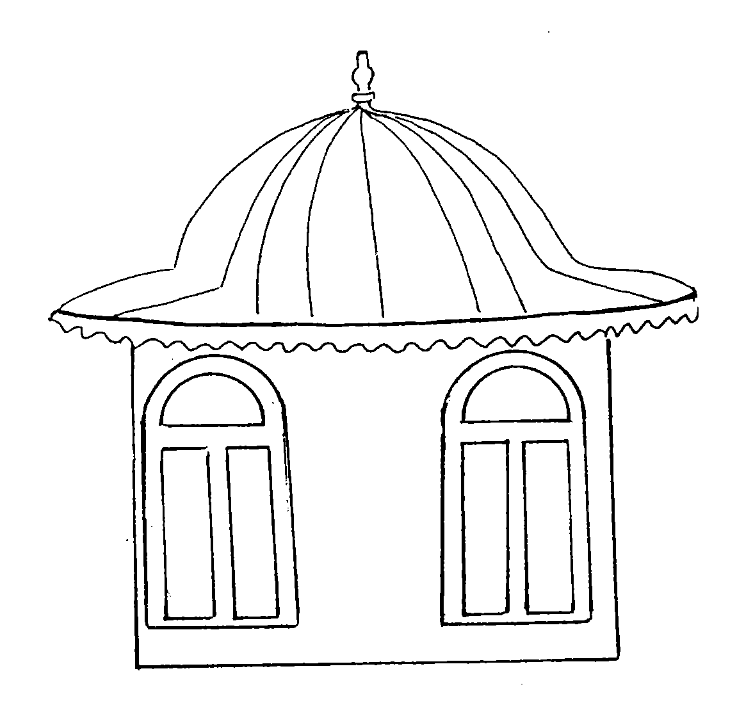
(الشكل رقم ٥٠)

تفاصيل زخارف البرونز النباتية المتأثرة بالفن الباروكي والتي تزين مصراعي باب السلام وأهمها الشكل الذى رمز له في الرسم بعلامة + وقد ظهر في ثمانية عشر موضعا من المصراع الواحد كما ظهرت منه ثمانية أنصاف رمز لها في الرسم بعلامة × أما الشكل الذى يتألف من عدة أوراق محزومة من أسفلها فأشرت لها في بالعلامة ÷ وتظهر في أركان المربعين الذين يحليان أسفل المصراع وأعلاه، كما أحيطت الكتابات التي تزين المستطيل الواقع في وسط المصراع بالزخرفة النباتية التي أخذت العلامة = .



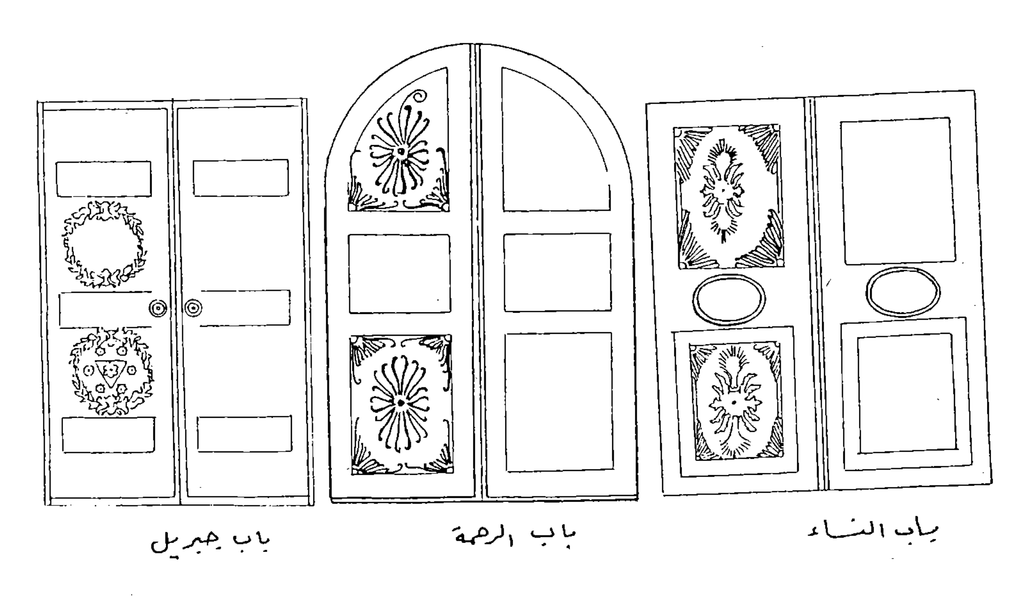
(الشكل رقم ٥١)

طريقة تنظيم النصوص المملوكية المكتوبة بالحفر الغائر على ستة أشرطة نحاسية أعيد استخدامها في مصراعي باب جبريل المجدد في العمارة المجيدية .



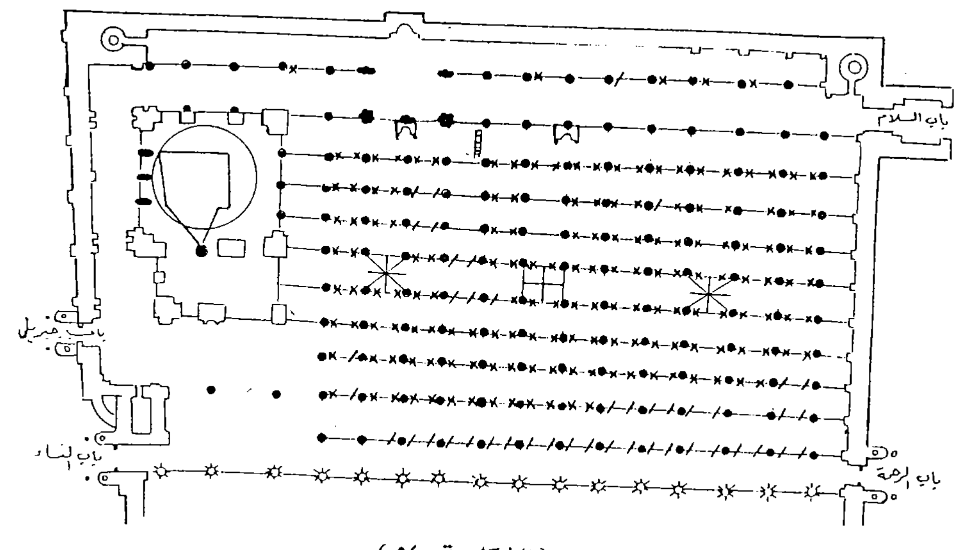
(الشكل رقم ٥٣)

تفاصيل الرفرف المحدث في العمارة المجيدية فوق نوافذ بعض قباب الرواق من ذوات الطمبور بقصد حمايتها من الأمطار .



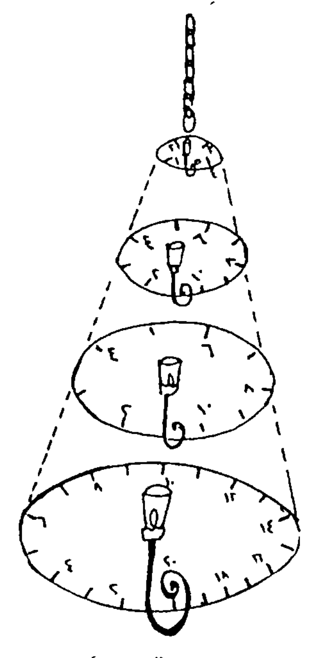
(الشكل رقم ٥٢)

التقسيمات الرئيسية لأهم الأشكال الهندسية المزخرفة بالقطع البرونزية في ثلاثة من أبواب الحرم الشريف وأهمها الدوائر ومايماثلها من الأشكال البيضية .



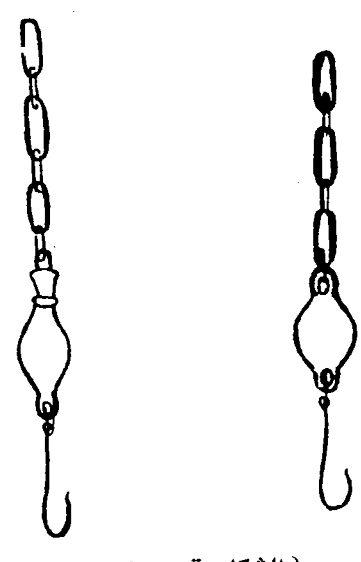
(الشكل رقم ٥٤)

مسقط الرواق القبلي من الحرم النبوى الشريف بعد العمارة المجيدية ويظهر به ما تبقى من قناديل الزيت المحمولة على عوارض تمتد بين الأعمدة موازية لجدار القبلة وقد رمزت لها بعلامة × أما السلاسل المتدلية من نفس العوارض دون قناديل فرمزت لها بشرطة مائلة وتظهر محصورة في مؤخرة الرواق مما يلي الصحن كما يظهر في الرسم موضع الثريات الكهربائية الكبيرة وأهمها الثرياء ذات اللون الأبيض والمهداة من السلطان عبد الحميد الثاني وقد رمزت لموضعها بعلامة + والى الشرق والغرب من موقعها تظهر موقع الثريتان المميزتان باللون الوردى .



(الشكل رقم ٥٥)

أجزاء الهيكل المعدني لاحدى الثريتان الموضوعيتان في الرواق القبلي والمتميزتان باللون الوردى . وتظهر مؤلفة من أربع طبقات تتدرج في الكبر من الأعلى إلى الأسفل .



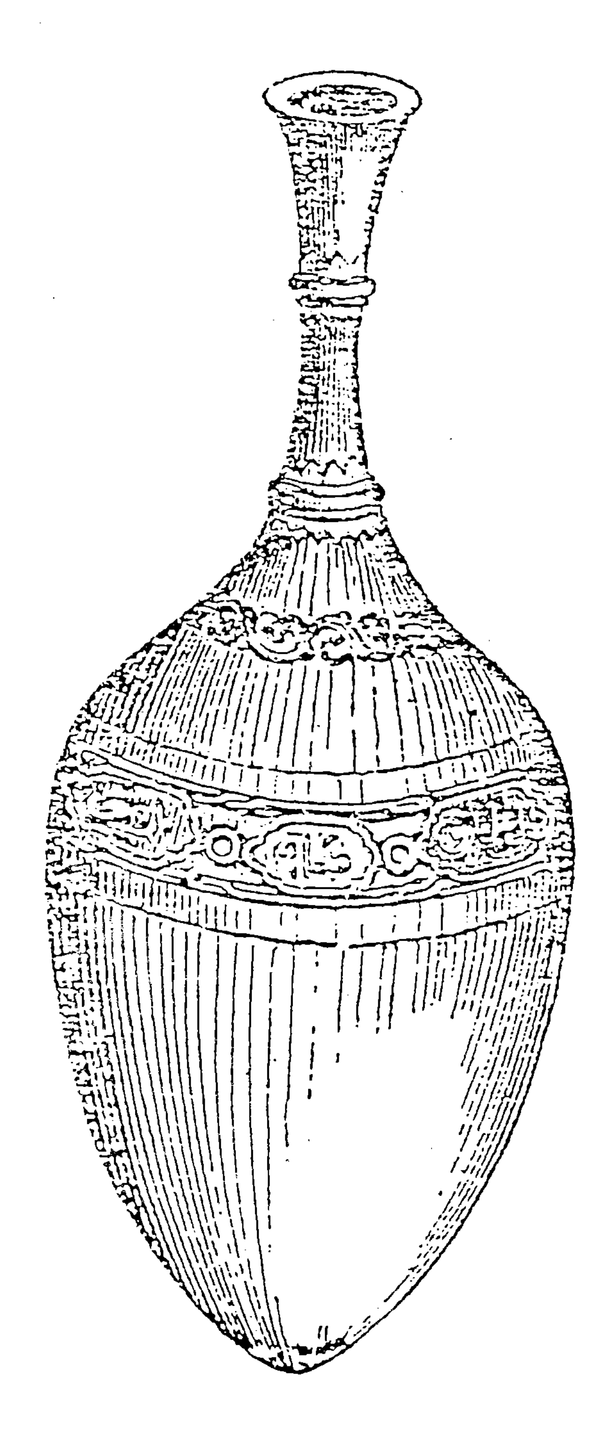
(الشكل رقم ٥٦)

الخطافان اللذان تنتهي بهما السلاسل الفضية المستخدمة في حمل قناديل الزيت المتبقية من العصر العثماني في رواق القبلة ويظهر فيهما النوع الأول أكثر دقة وجمالا مما يؤكد اختلاف مصادر الاهداء .



(الشكل رقم ٥٧)

بعض الزخارف المرسومة على البدن الزجاجي للشمعدانيين المنصوبين أمام دكة الأغوات وقد حوت بعض الأوراق النباتية والورود المرسومة بالمينا الأبيض والذهبي على أرضية حمراء فاتحة (بلون وردى) ويظهر خلوها من الأوراق والورود التي اشتهر بها الفن العثماني مما يؤكد حداثه صنعها وأنها مجلوبة في الأرجح من احدى المصانع الأوروبية .



(الشكل رقم ٥٨)

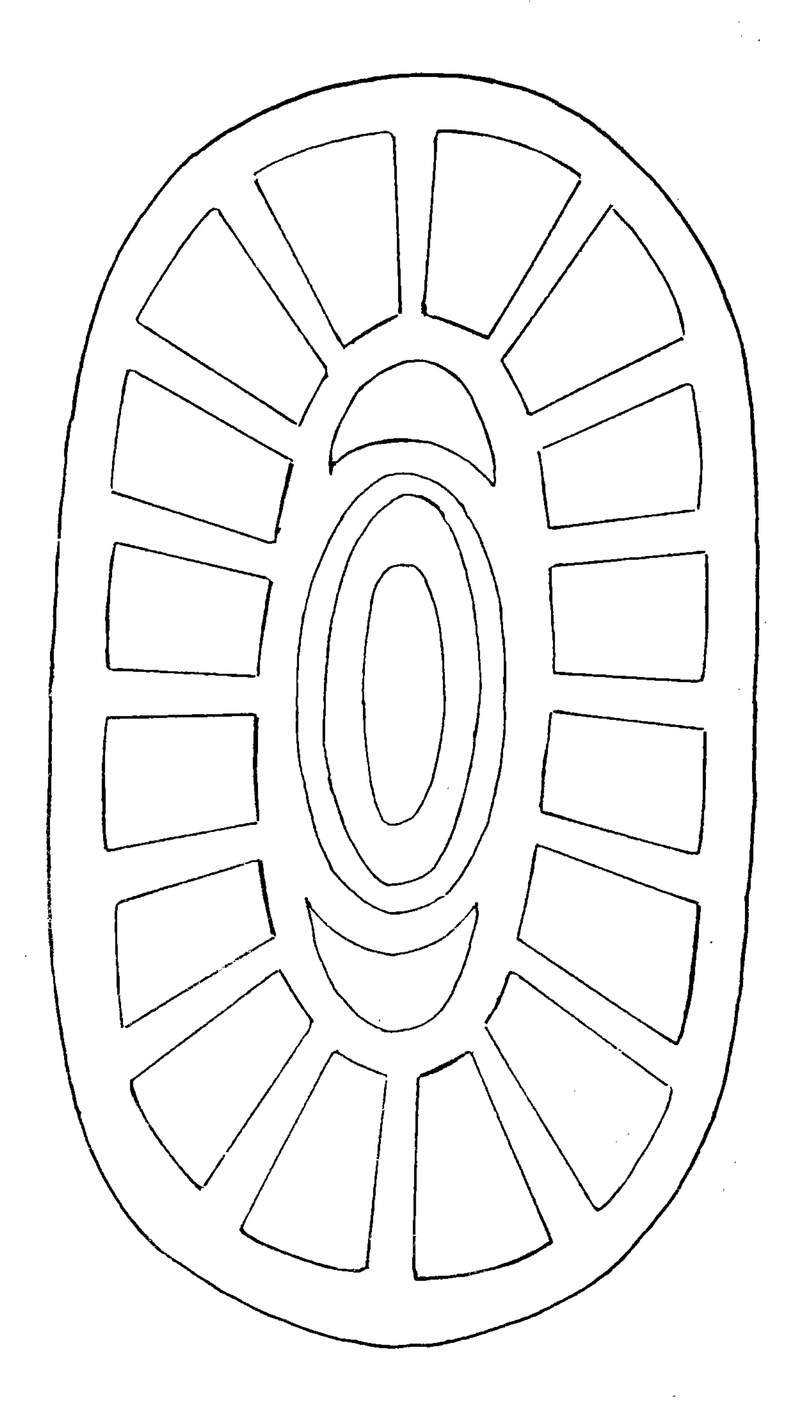
رسم احدى الدوارق الفخارية المستخدمة في سقي الماء داخل الحرم النبوى الشريف في حدود ١٣١٨ - ١٣٢٥ هـ وقد ظهرت عليه بعض الزخارف النباتية والهندسية .

"عن إبراهيم رفعت"

(الشكل رقم ٥٩)

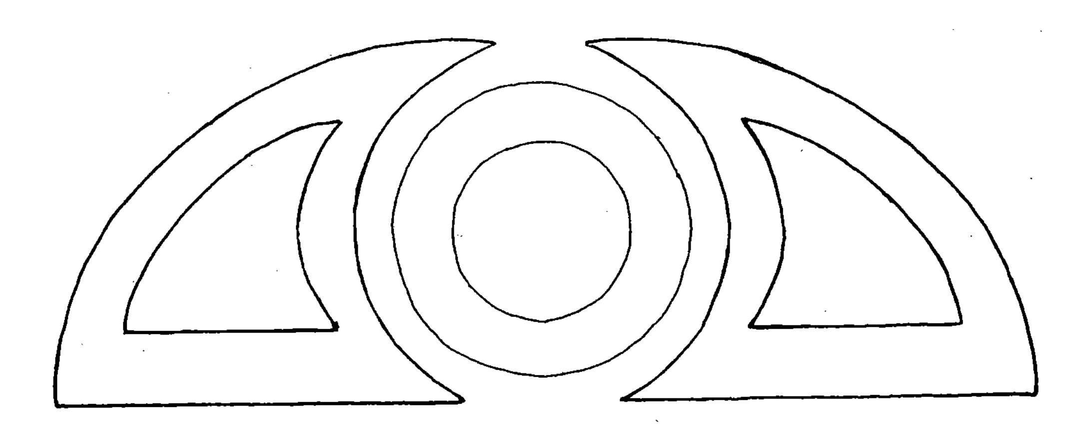
جدول بأئمة الحرم الشريف وخطبائه في العصر العثماني ، كما ورد في عدد من المصادر

	اسم المؤلف	اسم الكتاب	سنة	الأئمة					الخطباء				
				شوافع	حنفية	مالكية	حنابلة	المجموع	شوافع	حنفية	مالكية	حنابلة	المجموع
١	أحمد بشكارى زاده	رسالة في وصف المدينة	١٢٠٦ هـ	١٢	٢٥			٣٧ إماما	١٠	٢		١	١٣
٢	بيرتون Burton	Personal Nartive	١٢٦٨ هـ					٧٥ إماما					٤٥ لهم وظيفة إمام
٣	علي بن موسى	وصف المدينة المنورة	١٣٠٣ هـ					١٧٠ بما فيهم الخطباء وأكثرهم من الاحناف					١٧٠ بما فيهم الأئمة وأكثرهم الأحناف
٤	تقرير حكومي	ملحق بسالنامة	١٣٠٣ هـ					٣٨ + ٣١ رديف أول وعدد مجهول من الرديف الثاني					٤٦
٥	أحد الكتاب الأتراك	أوصاف الحرم الشريف	؟	١٢	٢٥			٣٧ إماما	١٠	٢٠	١	١	٣٢
٦	أيوب صبرى	مرآة المدينة						٣٧ + ٣١ رديف أول + ٣٤ مراهف + نقبب .					٤٦ لهم وظيفة إمام
٧	إبراهيم رفعت	مرآة الحرمين				٢		٣٨ + ٣١ وكيل أمام					٤٦
٨	البتنوني	الرحلة الحجازية						٣٨ + ٦٢ مساعد إمام					٤٦



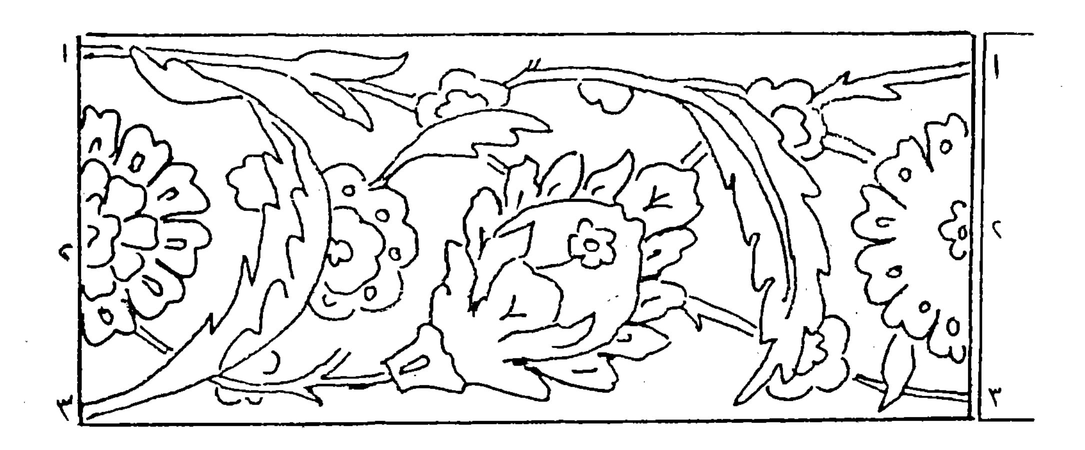
(الشكل رقم ٦٠)

تفاصيل الأشكال الهندسية التي تزين القبة الواقعة فوق دكة المبلغين والمتميزة بالارتفاع والشكل النصف اسطواني (البرميلي) وقد حوت ستة عشر معينا كما ظهر في وسطها بعض الدوائر المنبعجة وأنصافها كما زينت بعدد من الورود والأزهار المتماثلة .



(الشكل رقم ٦١)

احدى النوافذ المحدثة في العمارة المجيدية بأعلى الجدار الشرقي من رواق القبلة وتظهر مؤلفة من دائرة يحيط بها من الجانبين شكل ثلاثي تميل بعض أضلاعه إلى التدوير .

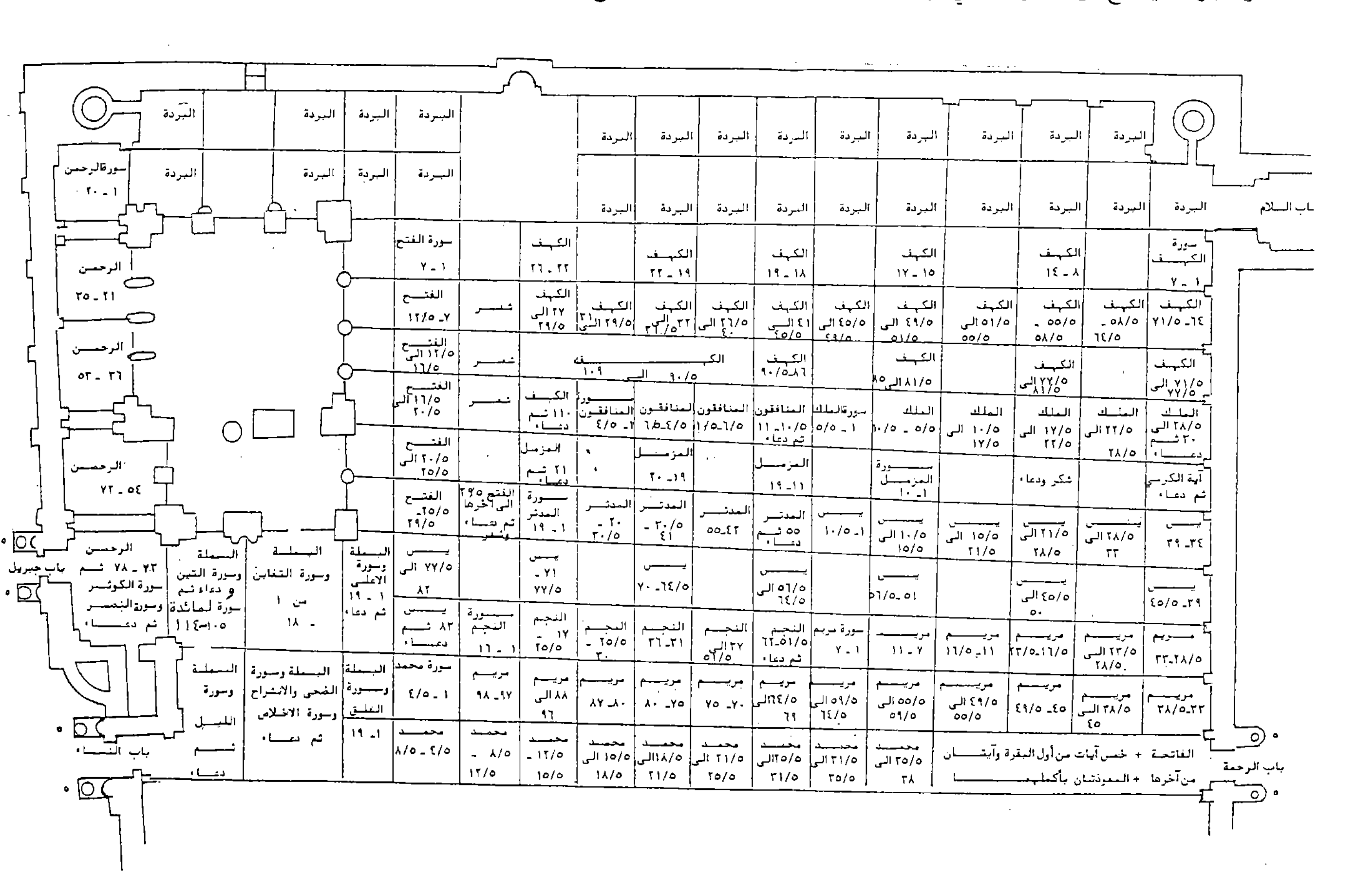


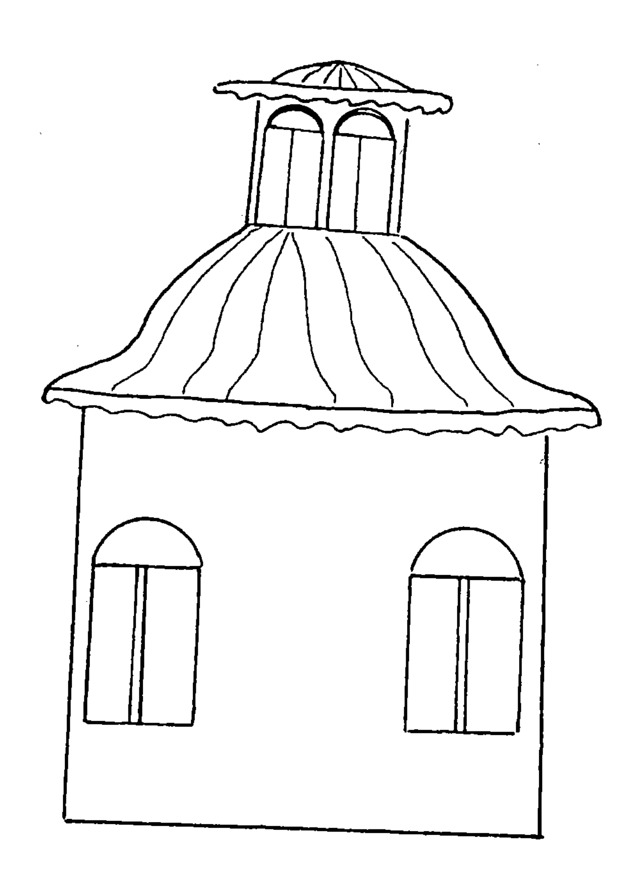
(الشكل رقم ٦٢)

(الشكل رقم ٦٢) تفاصيل تداخل الفروع والأوراق والورود التي تتألف منها زخرفة النوع الرابع من البلاطات الخزفية المستخدمة في تحلية بعض الجدران من رواق القبلة وتظهر فروعها متصلة بمثيلاتها في البلاطة الثانية وفق الترتيب التالي (١-٣) ، (١،٢) (٢،٣) .

(الشكل رقم ٦٣)

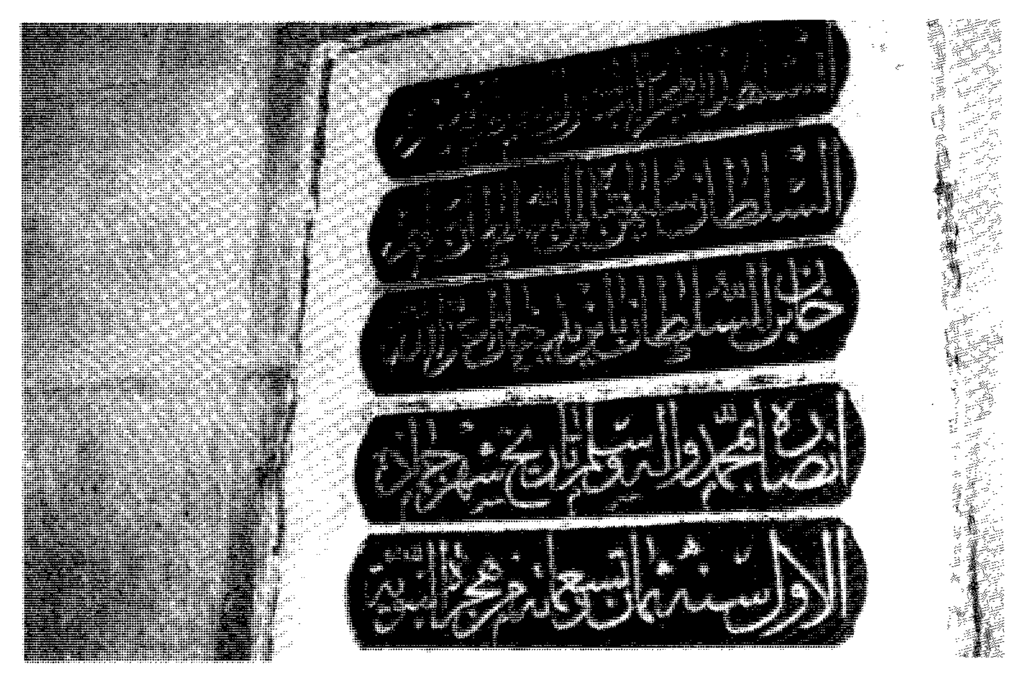
(الشكل رقم ٦٣) جدول بموضع الآيات والسور التي تزين بطون بعض قباب رواق القبلة بعد العمارة المجيدية وتظهر كما يتضح من الجدول الثاني مؤلفة من عدد يسير من السور الطويلة مع عدد محدود من قصار السور .



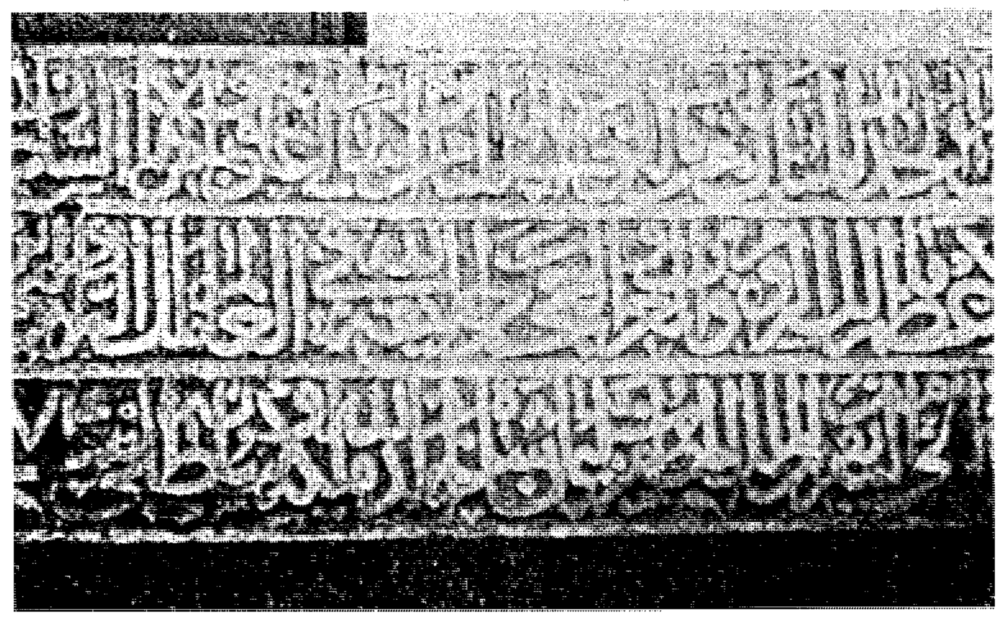


(الشكل رقم ٦٤)

تفاصيل احدى قباب رواق القبلة من الخارج وقد علاها جزء اسطواني طويل يعرف بالشخشيخة بقصد جلب الهواء والنور من فتحاته الجانبية .

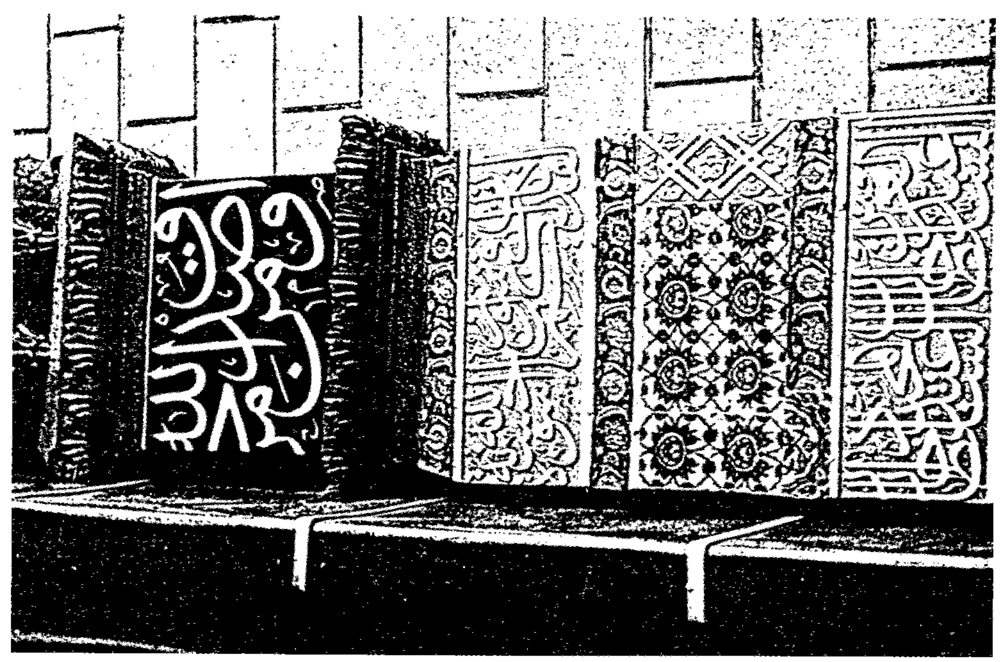


لوحة رقم (١) نقش تأسيس المحراب السليماني سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م في عهد السلطان سليمان القانوني .

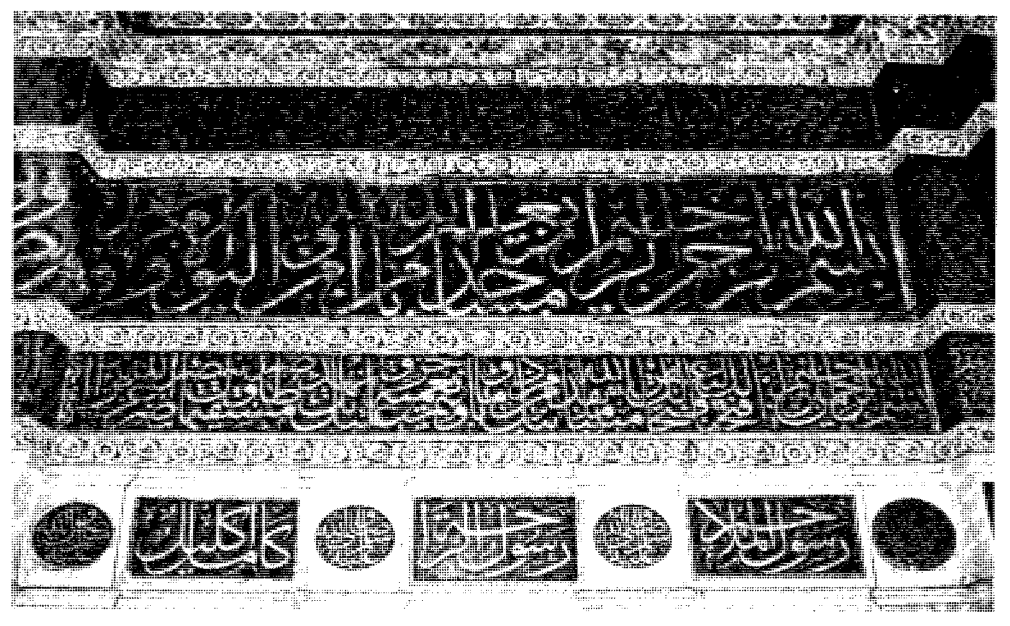


لوحة رقم (٢) نقش تجديد الجدار الغربي الممتد من باب الرحمة الى المنارة الشمالية الغربية (الخشبية ، الشكيلية) في عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م .

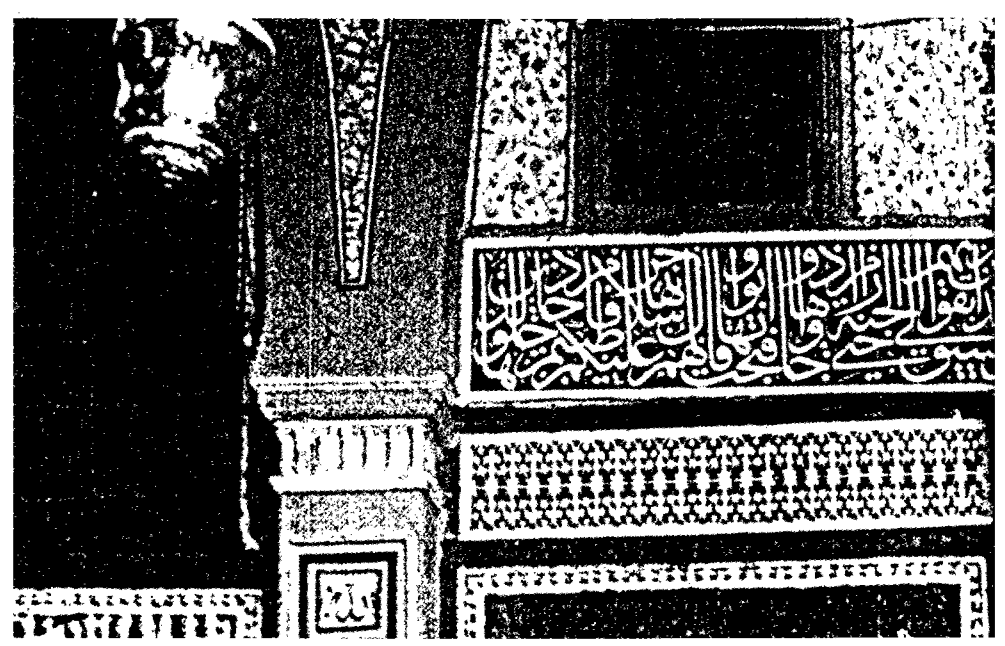
"عن عبد القدوس الأنصارى"



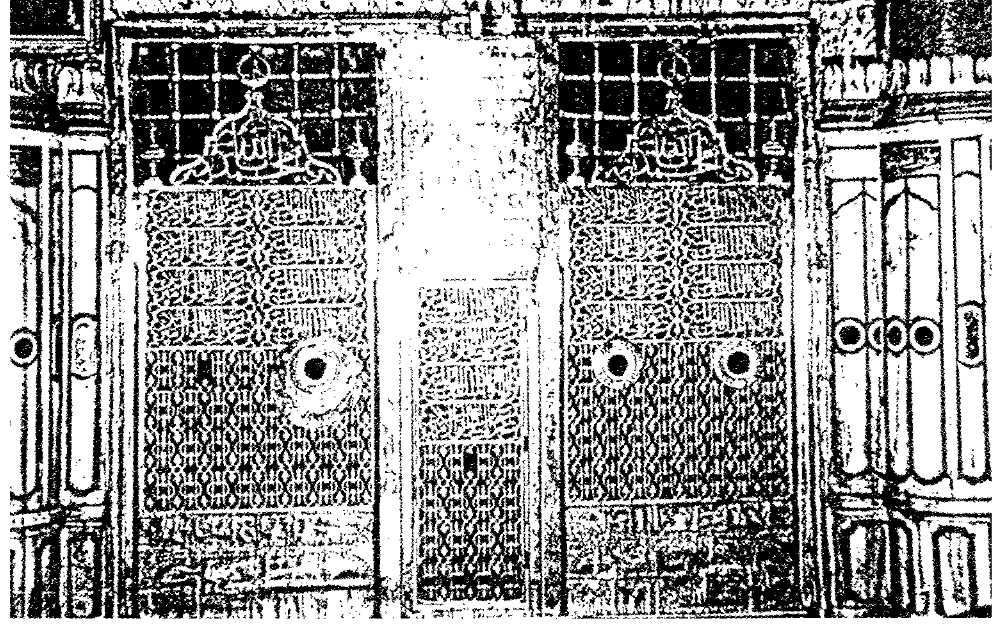
(لوحة رقم ٣) خطوط مدخل باب السلام المضاف في عهد السلطان عبد العزيز ويظهر فيها تميز الشريط العلوى بالعرض خلافا لخطوط جدار القبلة التي جاء فيها أعرض الأشرطة بين شريطين متماثلين من الخطوط . "عن مؤسسة سديم للتجارة - المدينة المنورة"



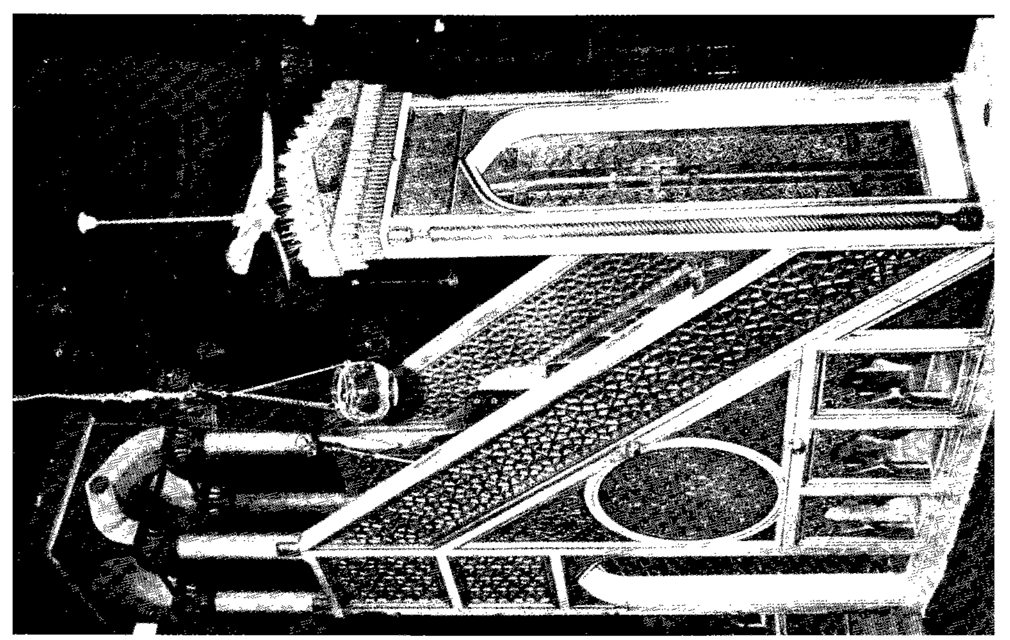
لوحة رقم (٤) الأشرطة الكتابية في جدار القبلة وطريقة تنظيمها حسب أرقى النسب الجمالية . "عن عظمت شيخ"



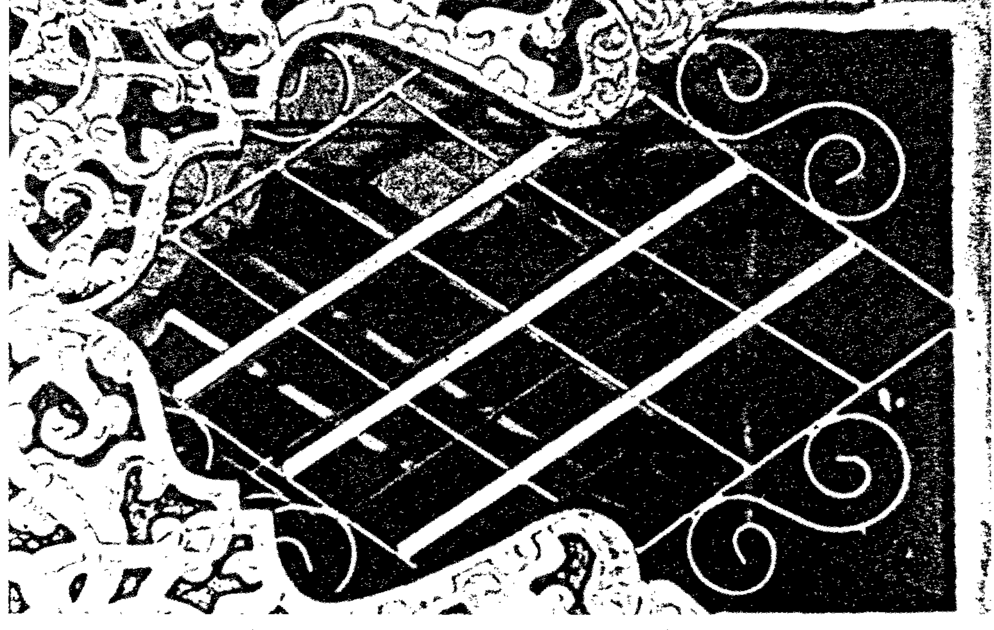
(لوحة رقم ٥) احدى النصوص المنقوشة بعد العمارة المجيدية فوق الجدران الخارجية للحجرة الشريفة ويظهر فوق بابها الشمالي مما يلي دكة الأغوات ، كما يظهر في الصورة بعض أبيات القصيدة المدونة فوق جدران الحجرة الشريفة في عهد السلطان عبد الحميد الأول سنة ١١٩١هـ/١٧٧٧م . "عن مجلة العربي"



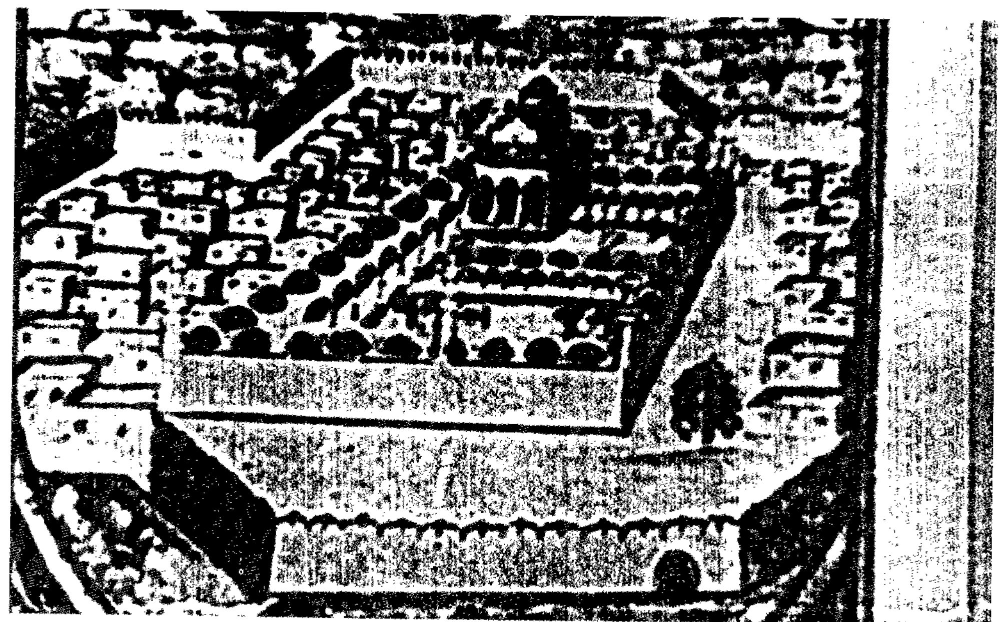
(لوحة رقم ٦) المواجهة الشريفة ويظهر بها اللوح الفضي المهدى من السلطان أحمد الثالث والسياج المحدث في أواخر العصر العثماني . "عن كرت بوستال"



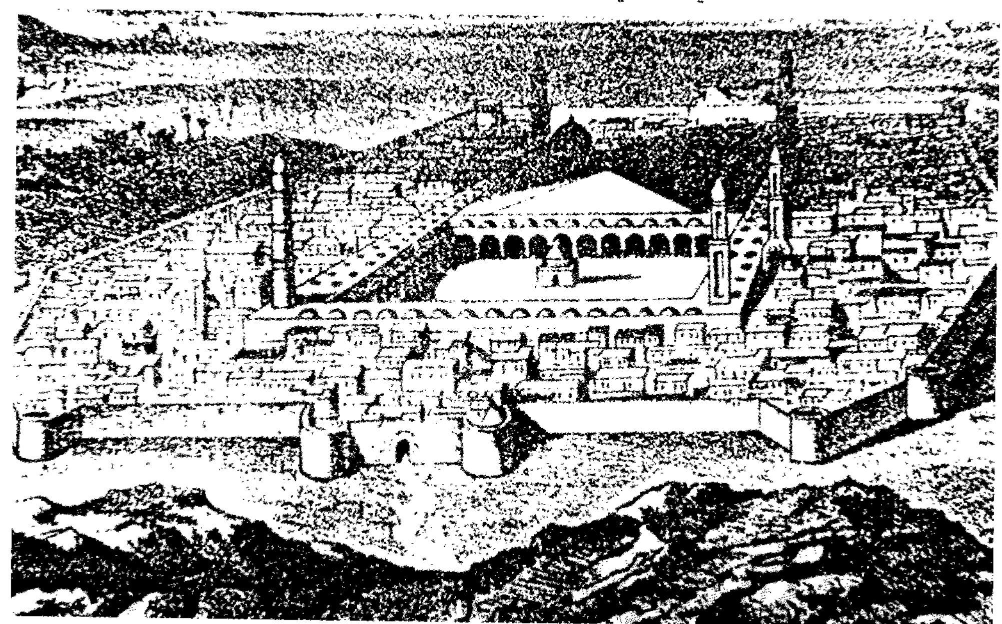
(لوحة رقم ٧) تفاصيل الزخارف الهندسية البارزة فوق مصراعي باب المنبر المهدى من السلطان مراد الثالث سنة ٩٩٨هـ / ١٥٨٩ م . "عن عظمت شيخ"



(لوحة رقم ٨) احدى نوافذ الجزء السفلي من المنبر الشريف على هيئة العقد المفصص وقد حليت جوانبها بزخارف نباتية بارزة بطراز رومي جميل ، (أرابسك متطور) .
"عن مركز أبحاث الحج"

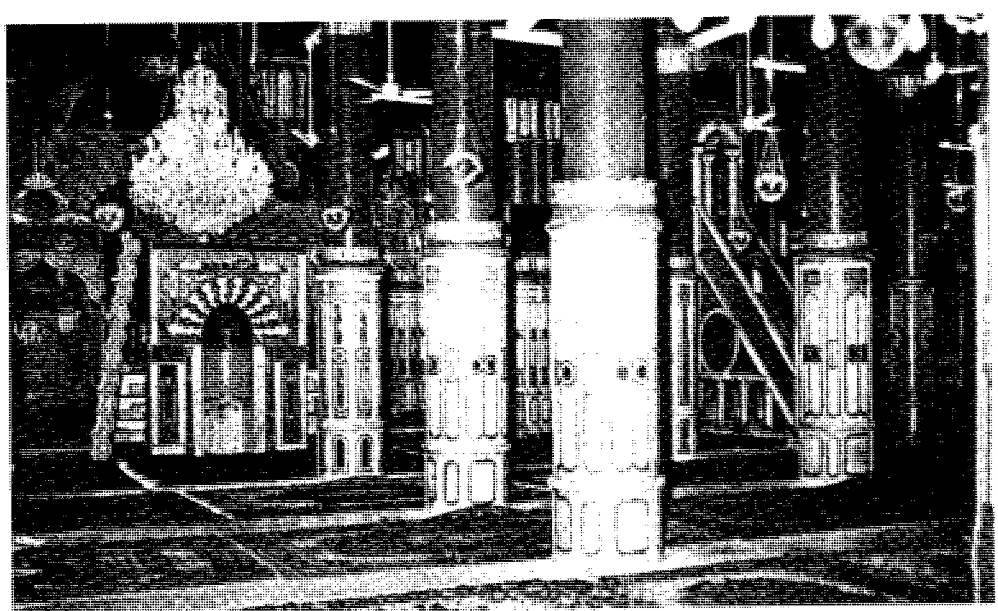


(لوحة رقم ٩) شكل المسجد النبوى في حدود سنة ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م ويتبين منها استخدام القباب الصغيرة في تسقيف الأجزاء المجددة في عهد السلطان سليمان القانوني خاصة في الرواق الشرقي والغربي .   "عن على حافظ"

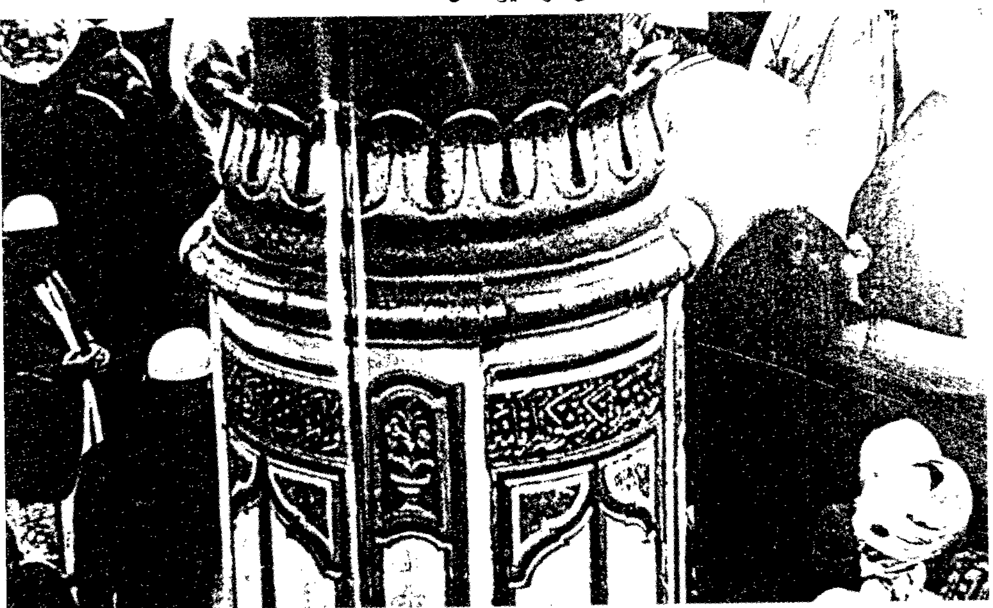


(لوحة رقم ١٠) منظور لمبنى المسجد النبوى قبل عمارة السلطان عبد المجيد ويتبين منه استخدام القباب في الأجزاء المجددة من سقف المسجد قبل عمارة السلطان عبد المجيد .

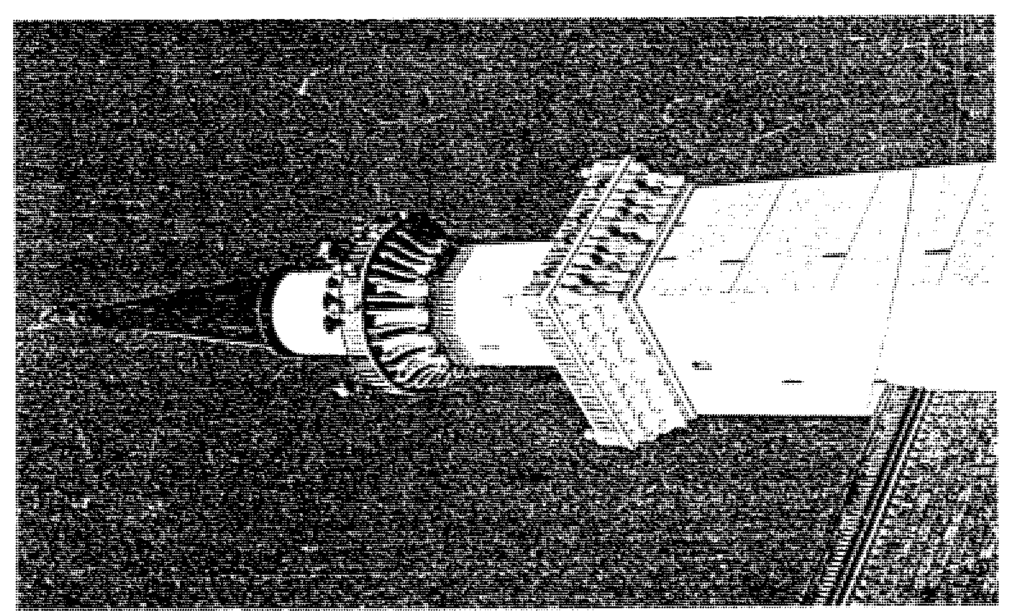
"عن Burton "



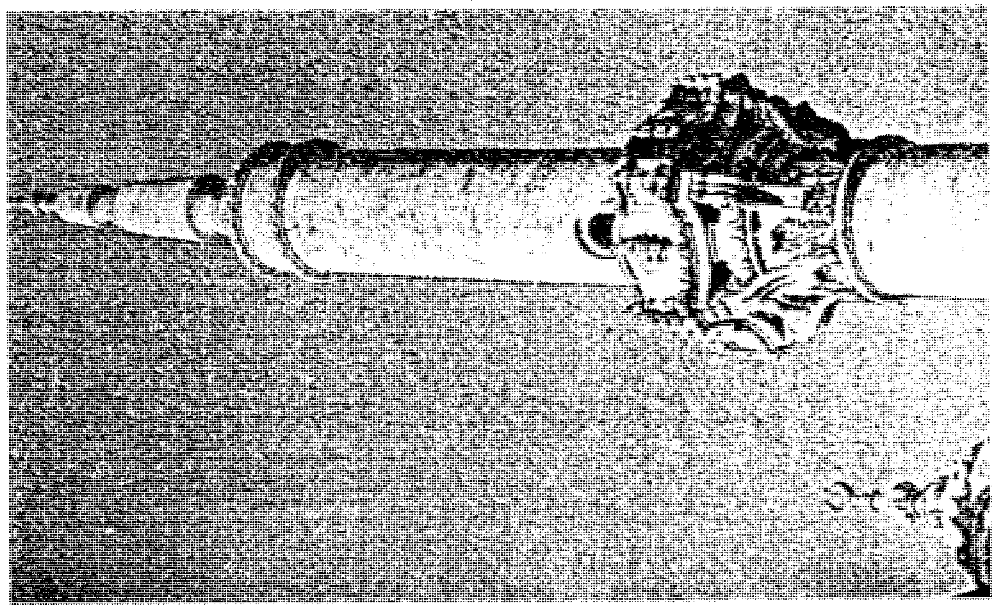
(لوحة رقم ١١) احدى الاسطوانات الملبسة بالرخام في الروضة المطهرة وقد استخدم في تزيينها عدد من المستطيلات المختلفة تميز بعضها بنقش أبيات من القصيدة العثمانية المنسوبة إلى السلطان سليم الثالث ، كما يظهر في وسطها عدد من الدوائر المنزلية بألوان متعددة من الرخام الفاخر . "عن كرت يوستال"



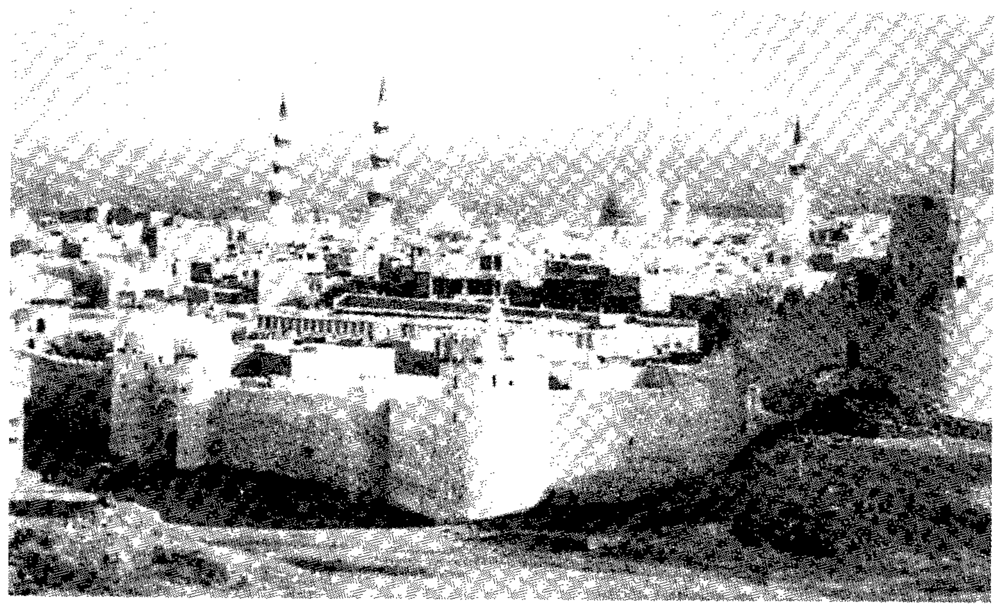
(لوحة رقم ١٢) تفاصيل الزخارف المنحوتة في الحجر على هيئة الأوراق النباتية المقوسة والموضوعة في العمارة المجيدة بأعلى الوزرة الرخامية المحدثة في عهد السلطان سليم الثالث فوق اسطوانات الروضة المطهرة . "عن عظمت شيخ"



(لوحة رقم ١٣) تفاصيل منارة السلام ومابها من عناصر معمارية زخرفية تعود في مجملها الى فترتين مختلفتين من التاريخ العثماني . فتظهر الشرفة الثانية مشابهة لشرفات المنارتين المجيدية والعزيزية بينما تنفرد الشرفة الأولى بكونها مربعة ومحلاة بعدة صفوف من المقرنصات . "عن مؤسسة سديم للتجارة ، المدينة المنورة"



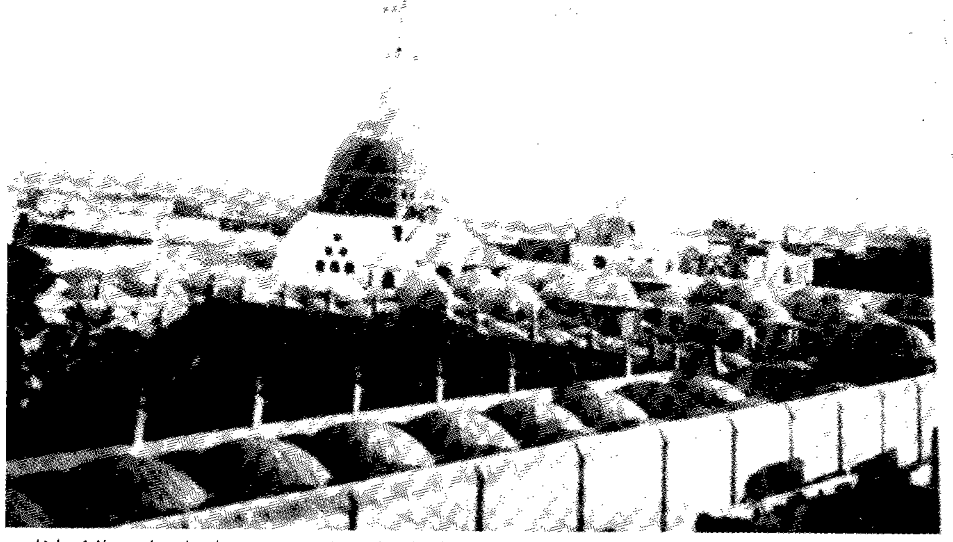
(لوحة رقم ١٤) منارة جامع أورطاكوى (Ortakoy) بمدينة استانبول ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م وتظهر شرفتها محمولة على أربعة كوابيل مشابهة لما يرى حاليا في الشرفة الثانية من منارة باب السلام .
"عن أرسفان Turk sanati Tarihi"



(لوحة رقم ١٥) صورة المسجد النبوى الشريف وقد ظهرت فيها شرافات المنارتان المجيدية والعزيزية محمولة على كوابيل مشابهة تماما لما في الشرفة الثانية من منارة باب السلام .

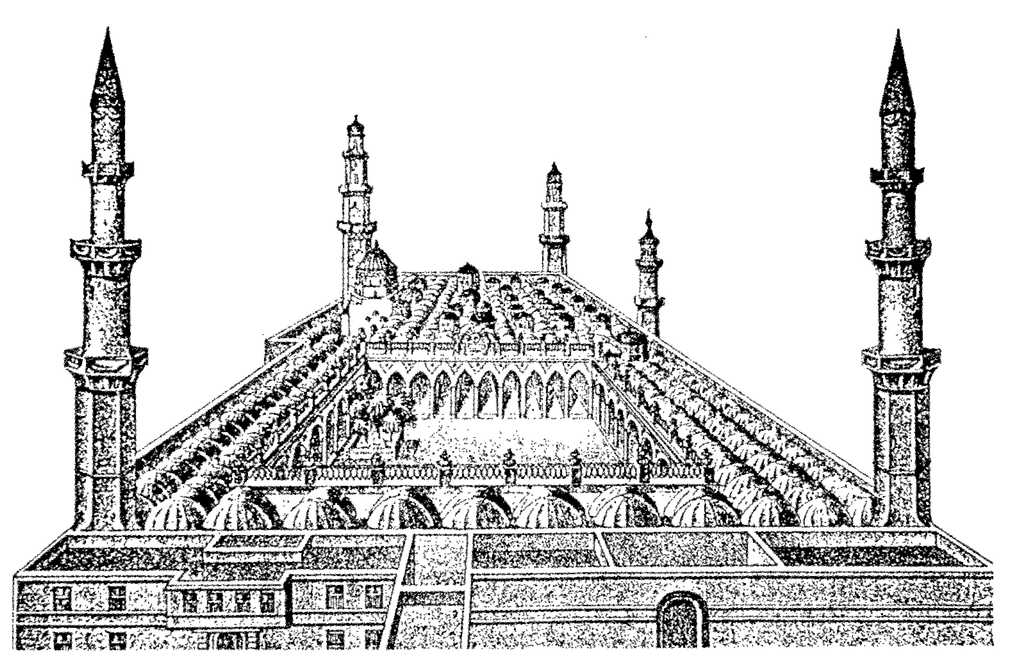
"عن وليم فاكى"

Saudi Arabia By the First Photographers

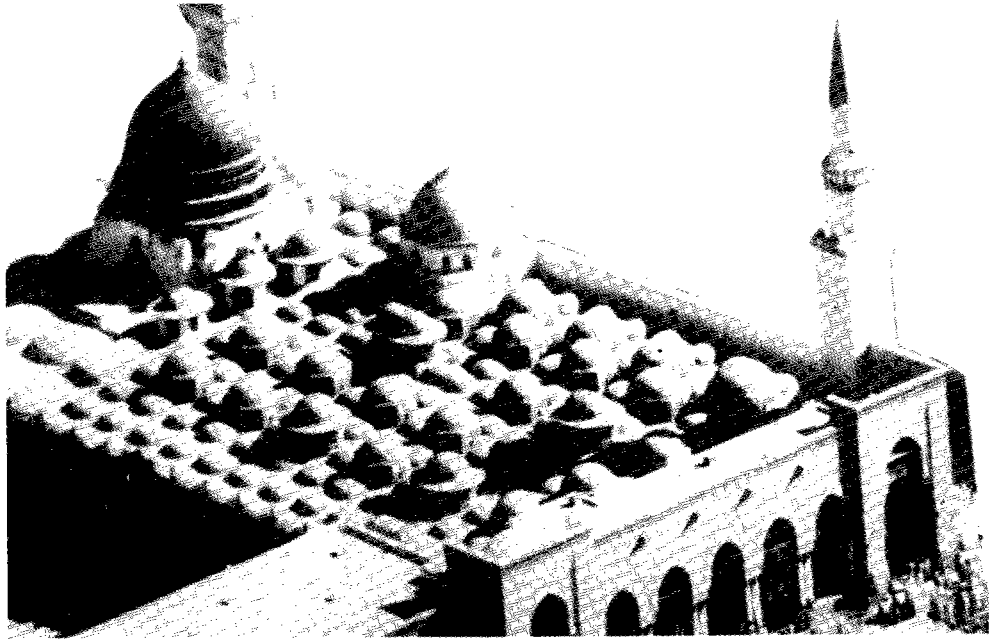


(لوحة رقم ١٦) صورة قباب الرواق الغربي وستارة السطح الخارجية ويتبين منها خلوها من الشرافات التي اقتصر وجودها على الجدران المطلة على صحن المسجد .

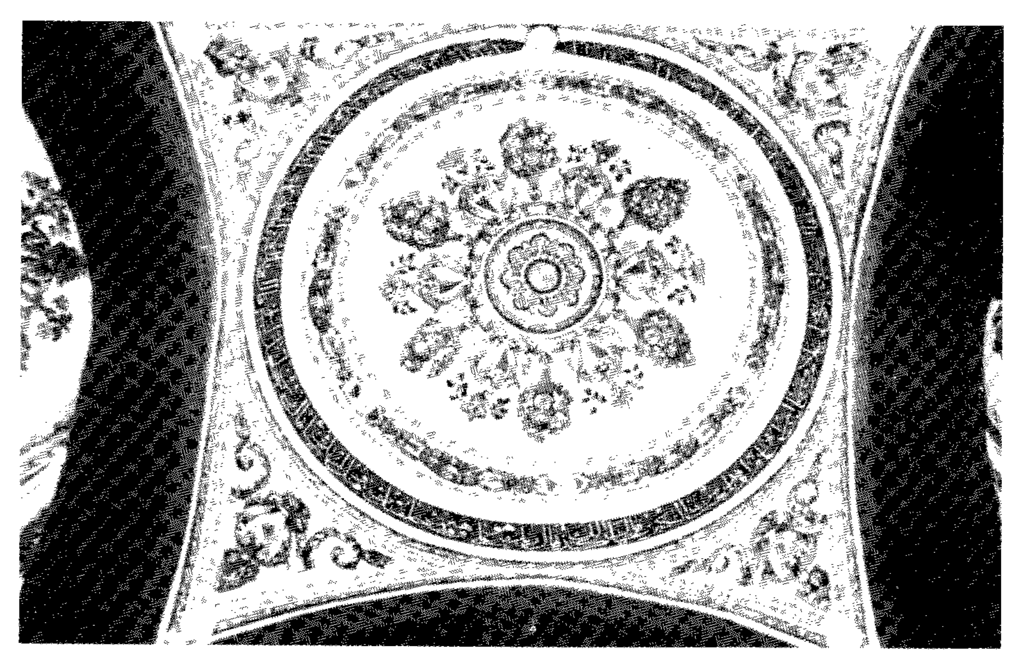
"عن ألبوم الصور في جامعة استانبول"



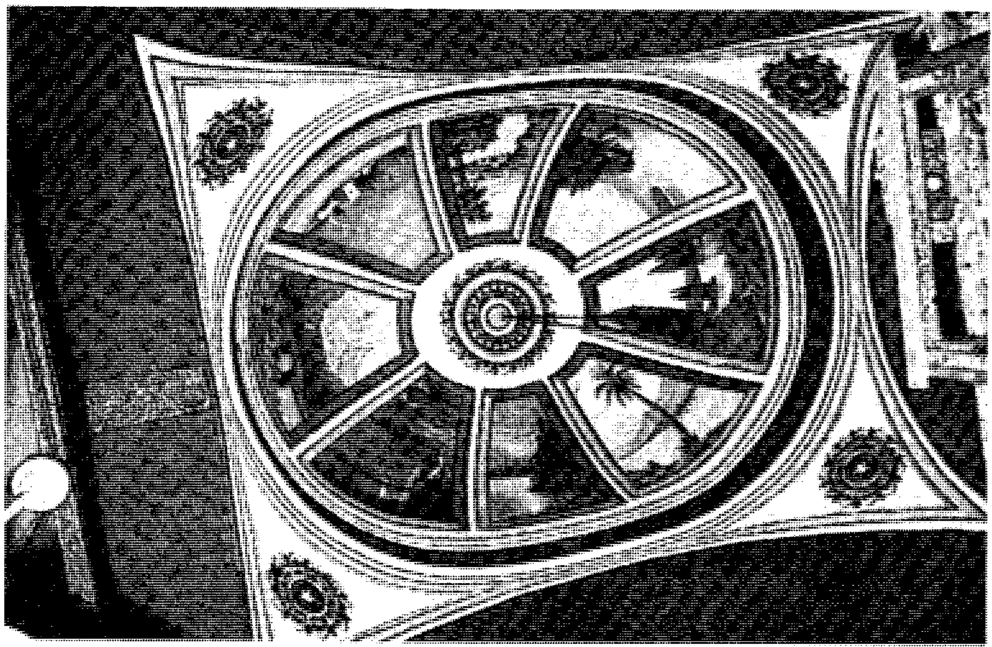
(لوحة رقم ١٧) رسم المسجد النبوى الشريف بعد العمارة المجيدية ويتضح منه خلو المخازن والمكاتب الشمالية من القباب كما يتضح منه تماثيل المنارة المجيدية والعزيزية فى الطول وعدد الشرفات . "عن أيوب صبرى"



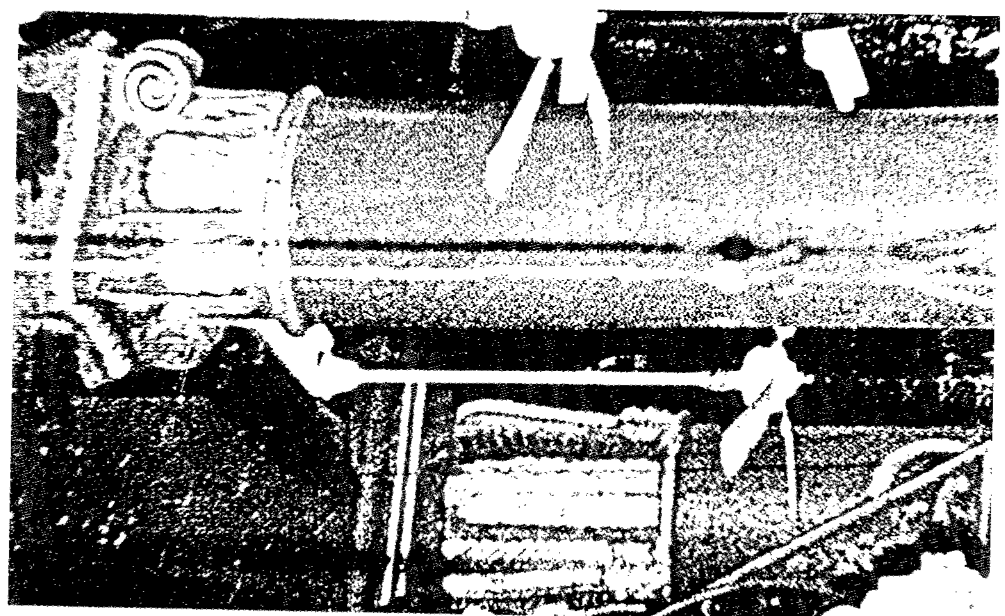
(لوحة رقم ١٨) منظر رواق القبلة من الجو وتظهر فيه القباب بأحجام مختلفة وتتميز قباب الروضة المطهرة بنوافذها المتعددة . "عن مركز أبحاث الحج"



(لوحة رقم ١٩) منظر احدى قباب رواق القبلة من الداخل وقد أحيطت من الداخل بعدد من الآيات المنقوشة بخط الثلث الأبيض على أرضية سوداء . "عن مجلة الفيصل"

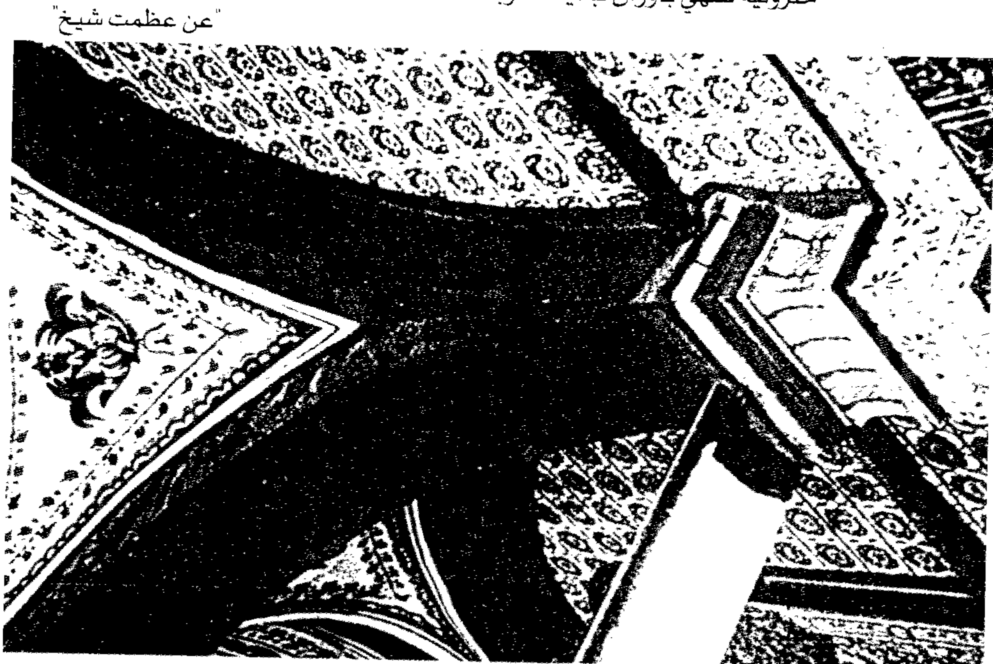


(لوحة رقم ٢٠) احدى قباب رواق القبلة من الداخل وقد أحيطت صرتها بثمانية أقسام متماثلة تميز كل قسم منها بمظهر طبيعي لأنهار وجبال وبساتين . "عن مجلة الفيصل"



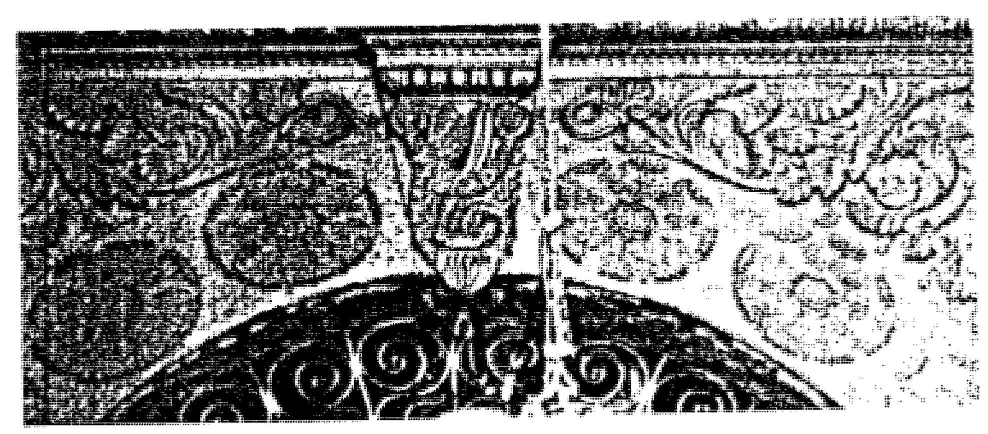
(لوحة رقم ٢١) نموذج لاحدى التيجان الأيونية في رواق القبلة وقد تميزت أركانه الأربعة بأشكال حلزونية تنتهي بأوراق نباتية مقلوبة .

"عن عظمت شيخ"



(لوحة رقم ٢٢) شكل الأوراق البارزة بأعلى التيجان الموجودة حاليا في رواق القبلة فـي الاسطوانـة المسماه خطأ اسطوانة الوفود والسرير وما يقابلهما بالإضافة إلى ظهوره فوق جميع الأكتاف المسندة بجدران رواق القبلة من الداخل .

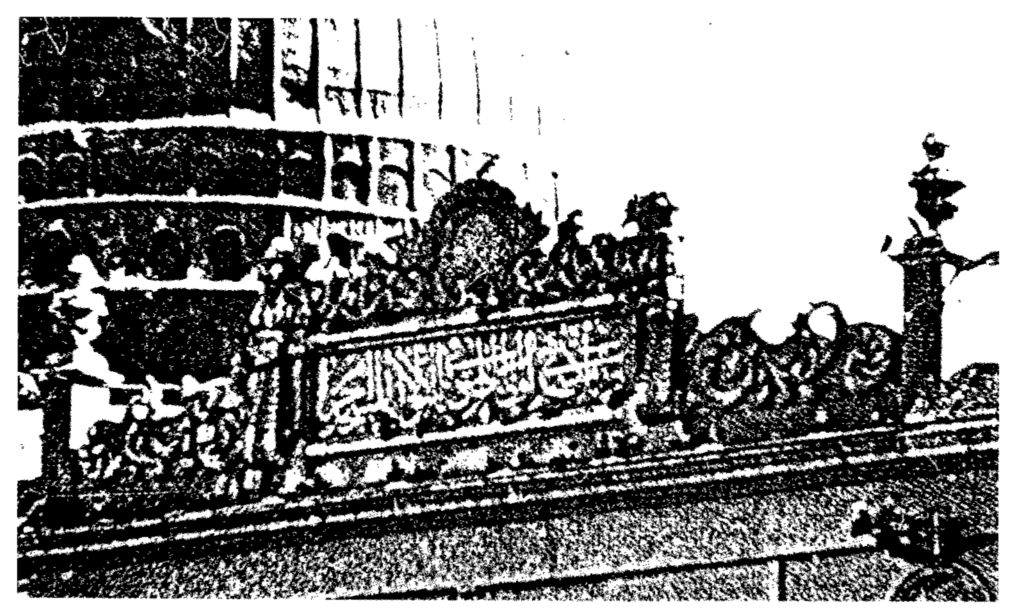
"عن عظمت شيخ"



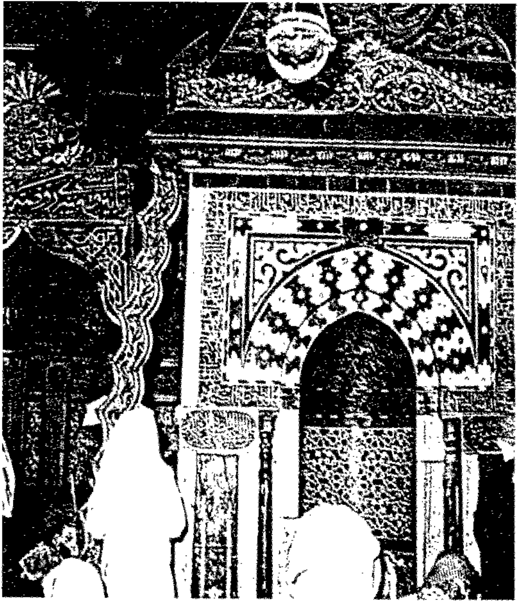


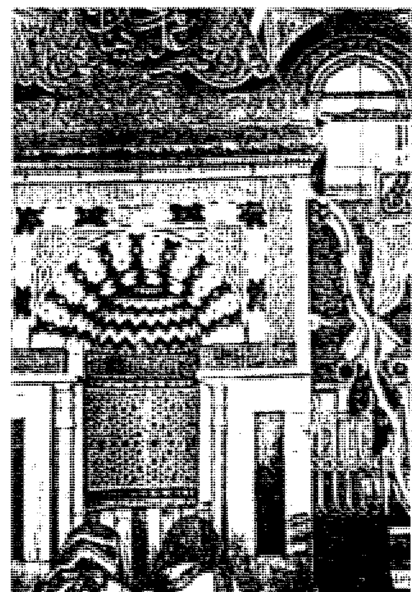
(لوحة رقم ٢٣) تفاصيل الزخارف النباتية المنحوتة بالحفر البارز على العتب الخارجي لباب السلام على شكل أزهار وفروع نباتية ملتوية في طراز باروكي عثماني .

"عن البتنوني وصالح لمعي"

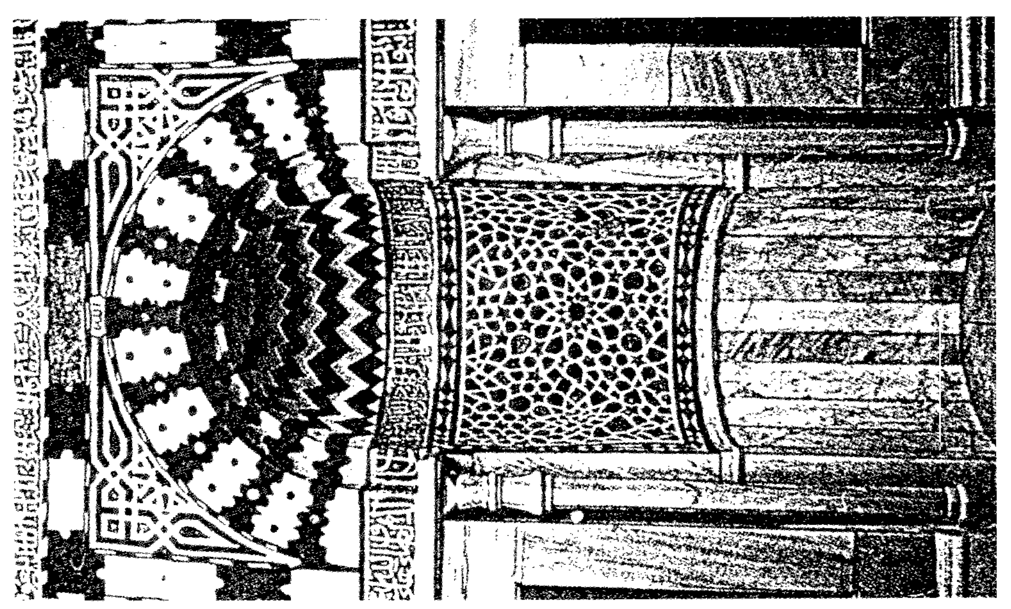


(لوحة رقم ٢٤) تفاصيل الزخارف النباتية المحيطة باللوحة الموضوعة في العمـارة المجيديـة بأعلى الجدار المطل من رواق القبلة على صحن المسجد والمخصصة في بداية الأمر للنقش التأسيسي . ويتحلى فيها فن الباروك العثماني في أوضح صورة . "عن عظمت شيخ"

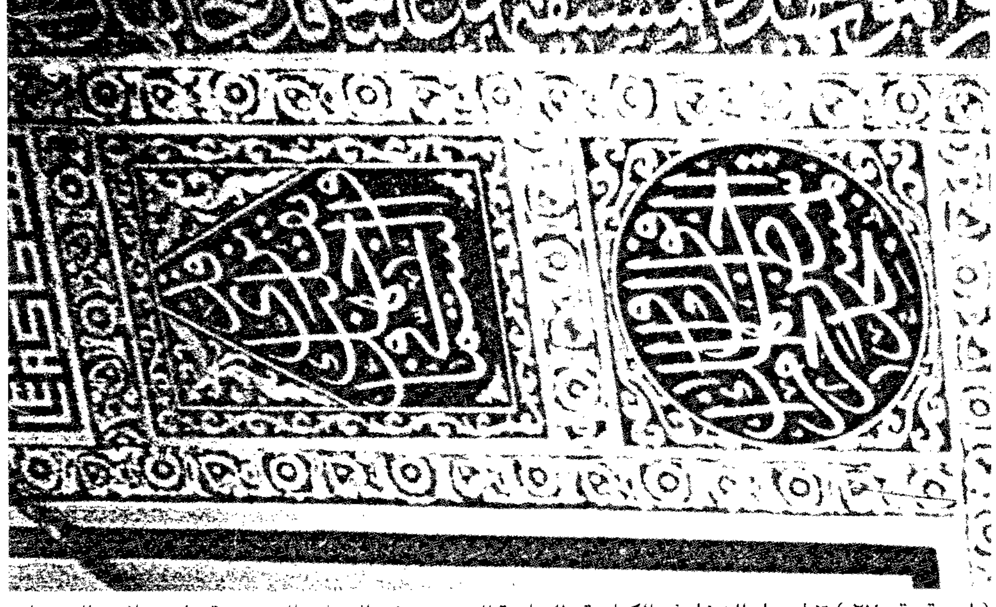




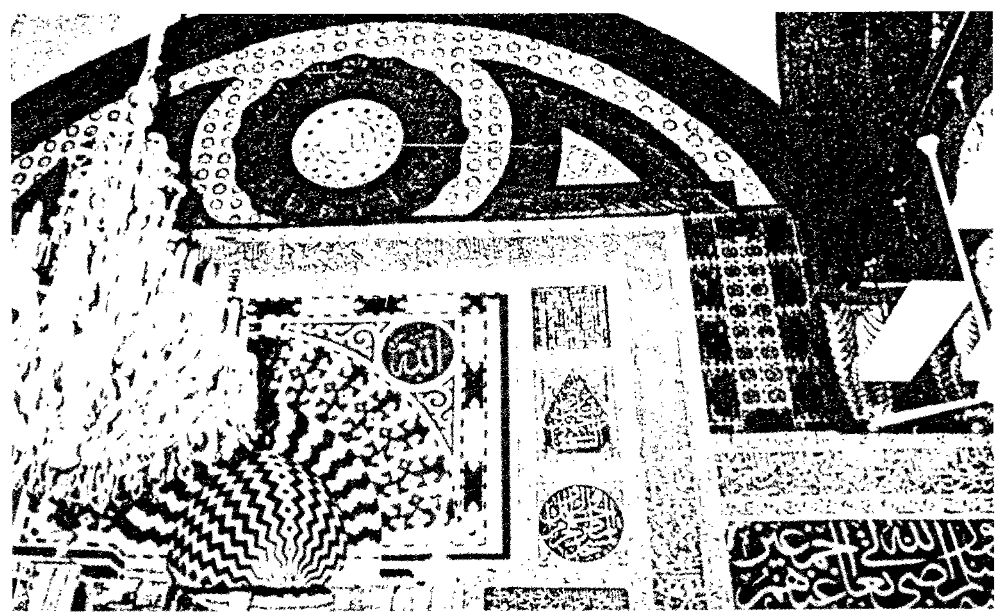
(لوحة رقم ٢٥) صورتا المحرابان النبوى والسليماني وقد حوتا بعض التفاصيل الهامة عن الشكل الهرمي المحدث بأعلاهما في العمارة المجيدية وما يحيط بواجهتهما مـن أوراق نباتيـة مسننـة تخرج من أشكال قرون الرخاء بالإضـافـة إلـى وضـوح بعض التفاصيـل عـن المداخـل النحاسية المحيطة بجوانبها الأربعة . "عن مجلة العربي"



(لوحة رقم ٢٦) صورة المحراب العثماني المجدد في العمارة المجيدية وقد حوت بعض التفاصيل عن زخارفه الرخامية المعشقة والمشعة وما تتميز به حنيتة من الانكسارات والتعشيقات الرخامية الجميلة . عن عمارة المسجد النبوي حتى نهاية العصر المملوكي للباحث

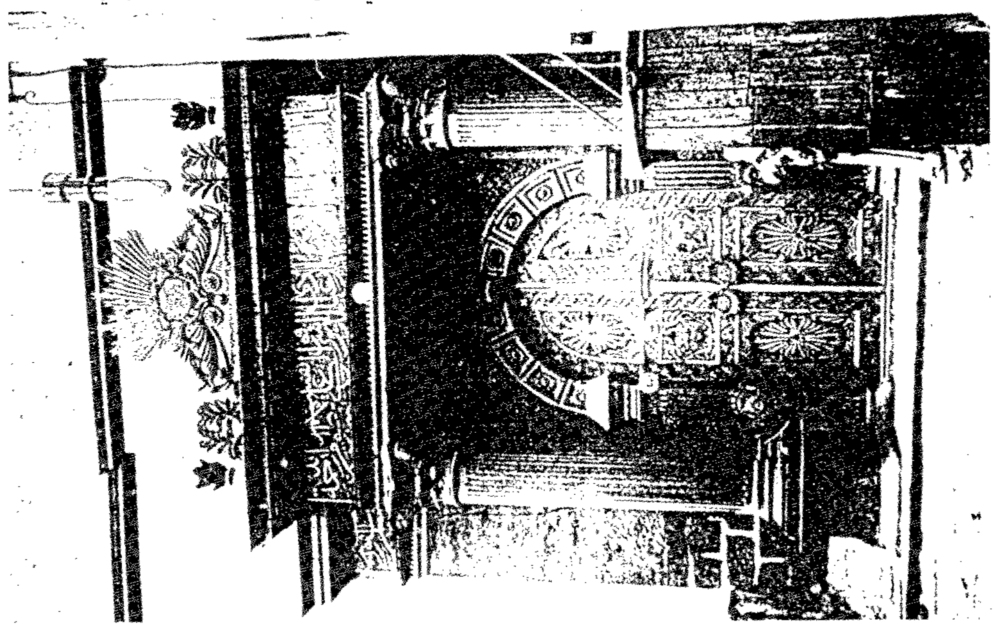


(لوحة رقم ٢٧) تفاصيل الزخارف الكتابية والنباتية المجددة في العمارة المجيدية على جانبي المحراب العثماني فوق ألواح من الرخام المثبت في موضع النصوص القديمة وقد أحيطت بنوع من الزخارف المرسومة بالألوان المائية (الفرسكو) على هيئة النموذج الرابع من الخزف المستخدم في رواق القبلة . "عن وزارة الإعلام"

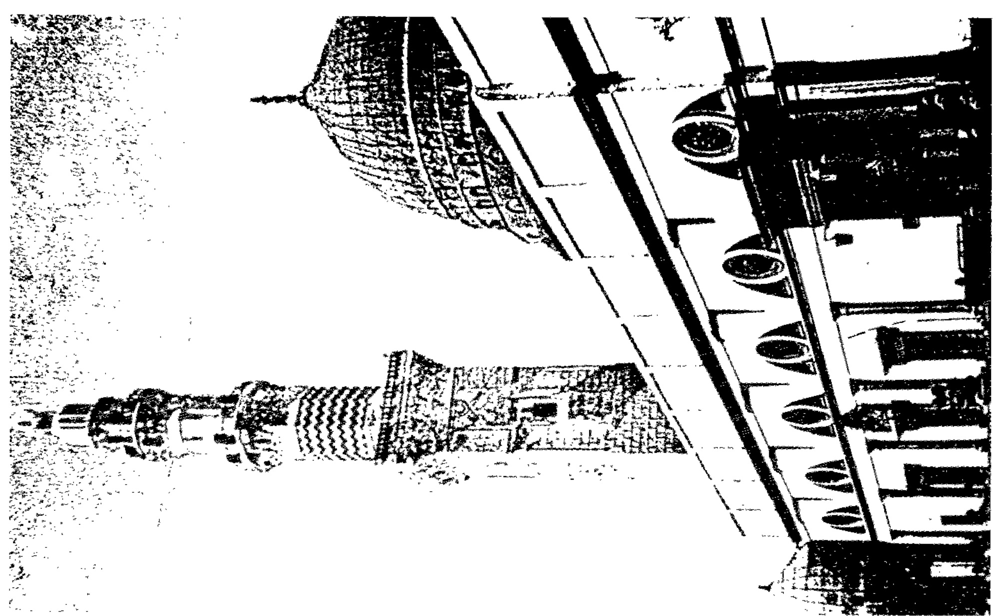


(لوحة رقم ٢٨) تفاصيل الأشرطة الكتابية المحيطة بحنية المحراب العثماني وقد انقطع بعضها عند جانبيه والتف بعضها داخل حنيته كما التف البعض الآخر بأعلاه .

عن عمارة المسجد النبوي حتى نهاية العصر المملوكي للباحث

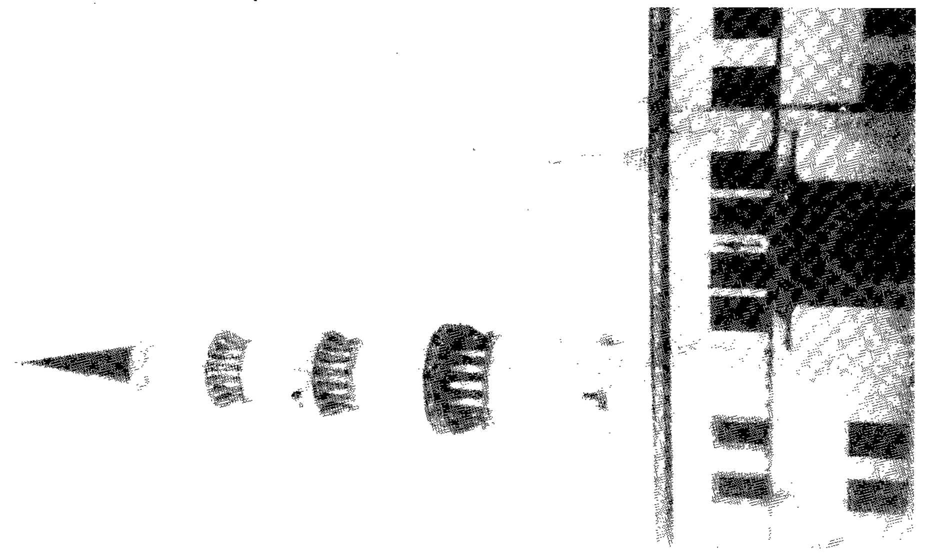


(لوحة رقم ٢٩) مدخل باب الرحمة بمظلته المحمولة على أعمدة وتيجان رومانية مركبة وقد حوت بعض التفاصيل عن الزخارف الكتابية والنباتية في واجهة المظلة وما يتميز به عقد الباب ومصراعاه من الزخارف المتنوعة ذات التأثير الباروكي الواضح . "عن البتنوني"



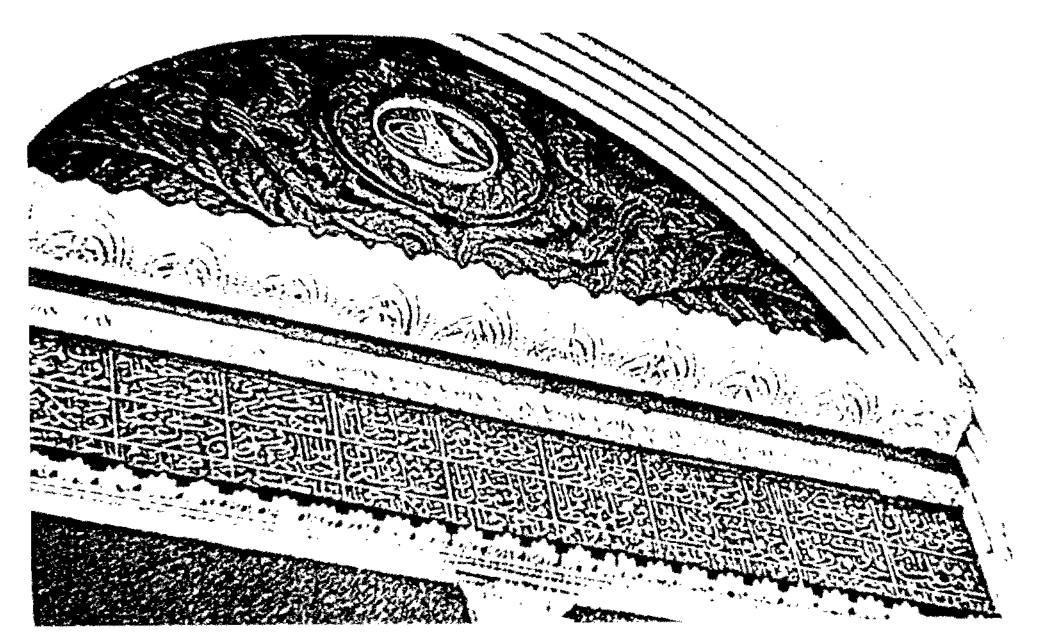
(لوحة رقم ٣٠) منظر جدار القبلة الشرقي من الخارج ومابه من عناصر زخرفية معمارية تمثلت في النوافذ المدورة والشبابيك المستطيلة وما يحيط بها من أكتاف وأفاريز لم تظهر في العمارة المجيدية الا في هذا الجزء من جدران المسجد الشريف .

"عن مؤسسة سديم للتجارة ، المدينة المنورة"



(لوحة رقم ٣١) الجدار الشمالي من المكاتب الملحقة بمؤخرة الحرم النبوى في العمارة المجيدية ويظهر فيها مدخل الباب المجيدى والمنارة (السنجارية ثم السليمانية ثم العزيزية) بثلاث شرفات محمولة على كوابيل مشابهة لما في منارة باب السلام .

"عن أوقاف المدينة المنورة"



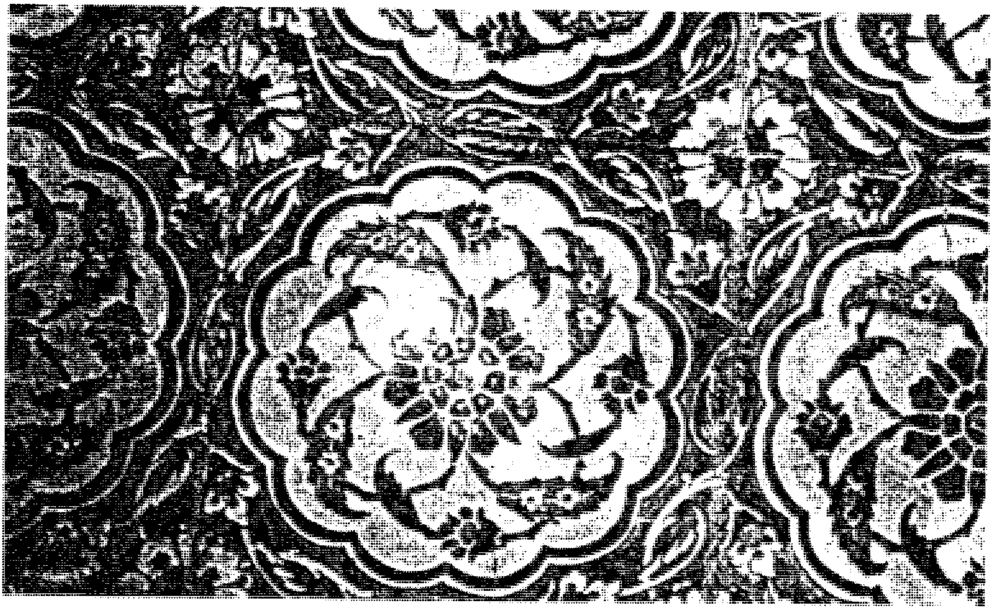
(لوحة رقم ٣٢) صورة الأبيات الظاهرة من القصيدة العثمانية المكتوبة سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م باللغة العثمانية فوق المدخل المضاف في مقدمة باب السلام في عهد السلطان عبد العزيز .
"عن مؤسسة سديم للتجارة بالمدينة المنورة"



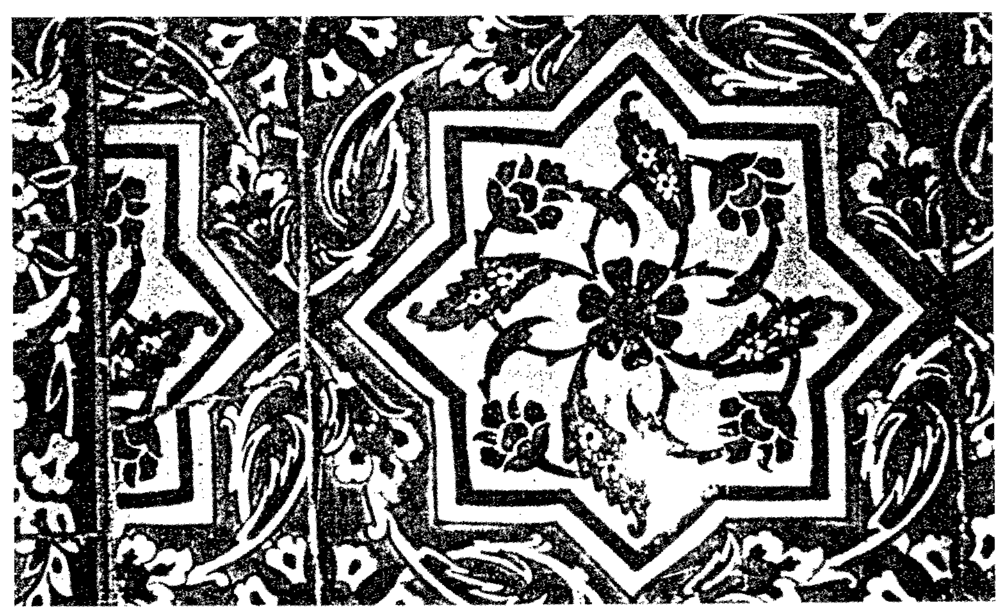
(لوحة رقم ٣٣) تفاصيل الزخارف النباتية المرسومة فوق عدد من البلاطات الخزفية في تربة السلطان مصطفى الأول بمدينة بروسه والمشابهة لزخارف النوع الأول من الخزف المستخدم في الحرم النبوى .
"عن Arseven : "les Arts Decoratife turcs"



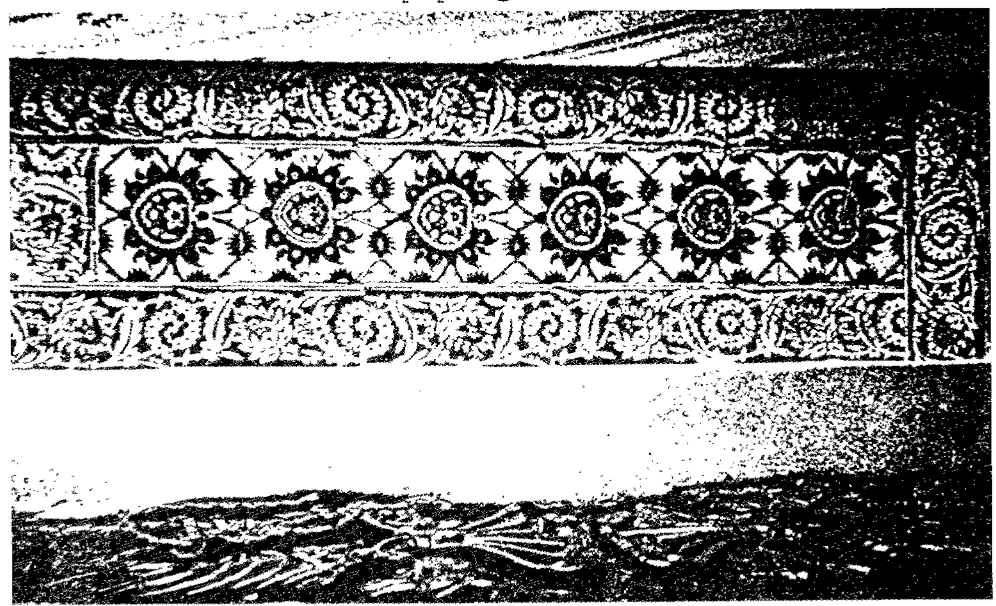
(لوحة رقم ٣٤) تفاصيل احدى البلاطات الموجودة في مسجد السلطان أحمد الأول بمدينة استانبول ١٠٢٩هـ/١٦١٩م والمشابهة للنوع الأول من الخزف المستخدم في جدار القبلة .
"تصوير الباحث"



(لوحة رقم ٣٥) تفاصيل احدى البلاطات الموجودة في جامع السلطان أحمد الأول بمدينة استانبول ١٠٢٩هـ/١٦١٩م والمشابهة للنوع الثاني من الخزف المستخدم في الحرم النبوى .
"تصوير الباحث"

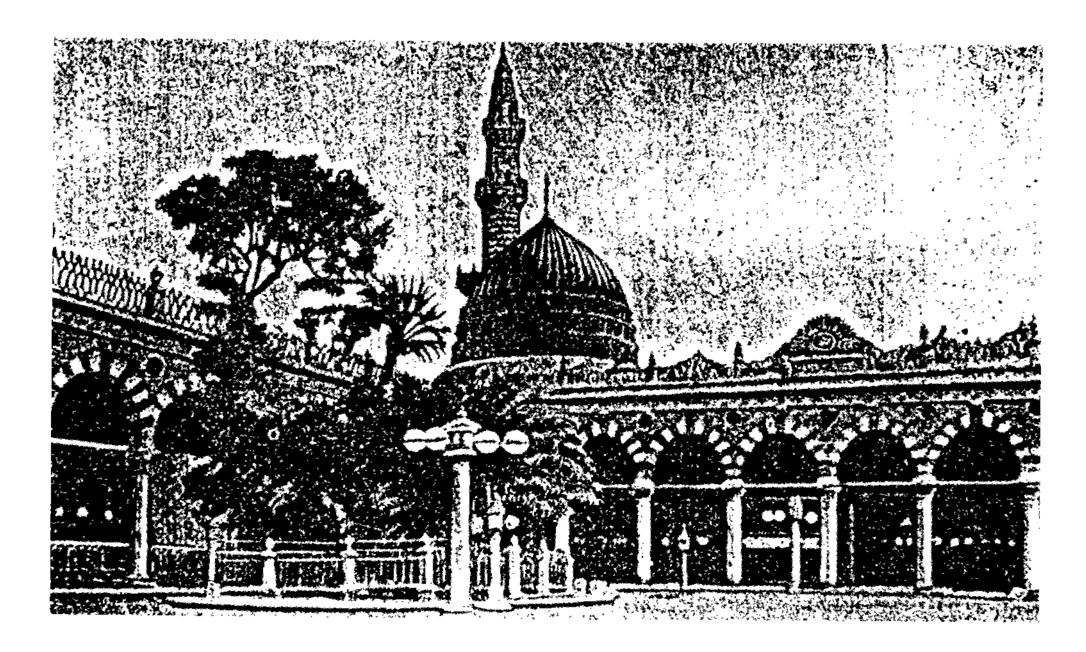


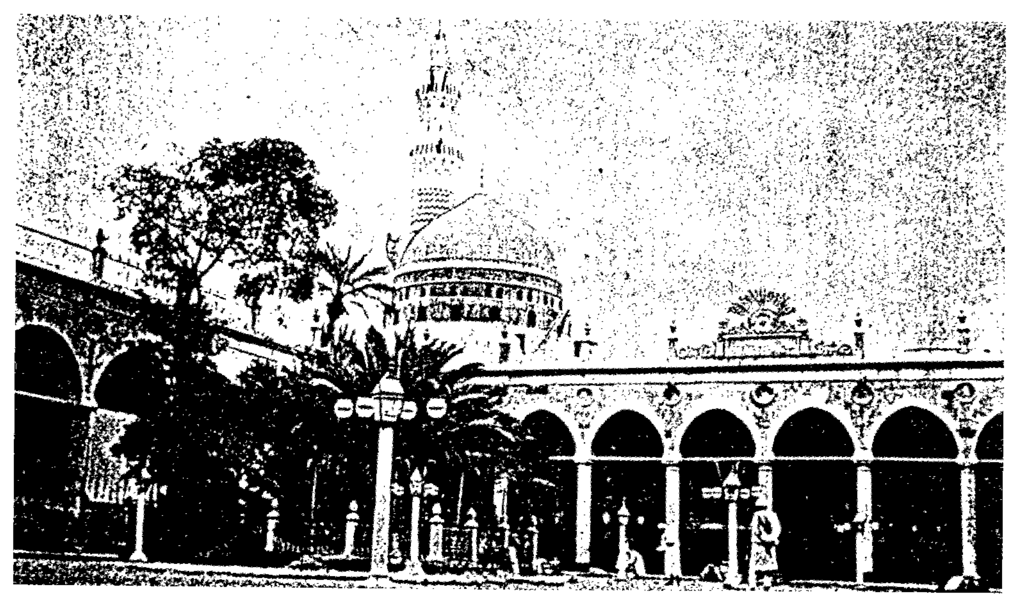
(لوحة رقم ٣٦) تفاصيل احدى البلاطات الخزفية الموجودة في جامع السلطان أحمد الأول بمدينة استانبول ١٠٢٩هـ/١٦١٩م والمشابهة للنوع الثالث من الخزف المستخدم في الحرم النبوى ويتبين منها مشابهتها للنوع الثاني في كثير من التفاصيل . "تصوير الباحث"



(لوحة رقم ٣٧) تفاصيل النوع الخامس من الخزف المستخدم في نطاق ضيق داخل الرواق القبلي من المسجد النبوى الشريف ويتبين منه مماثلته للأشكال المرسومة بالألوان المائية (الفرسكو) في جدار القبلة وبعض من عقود الجدار الشرقي .

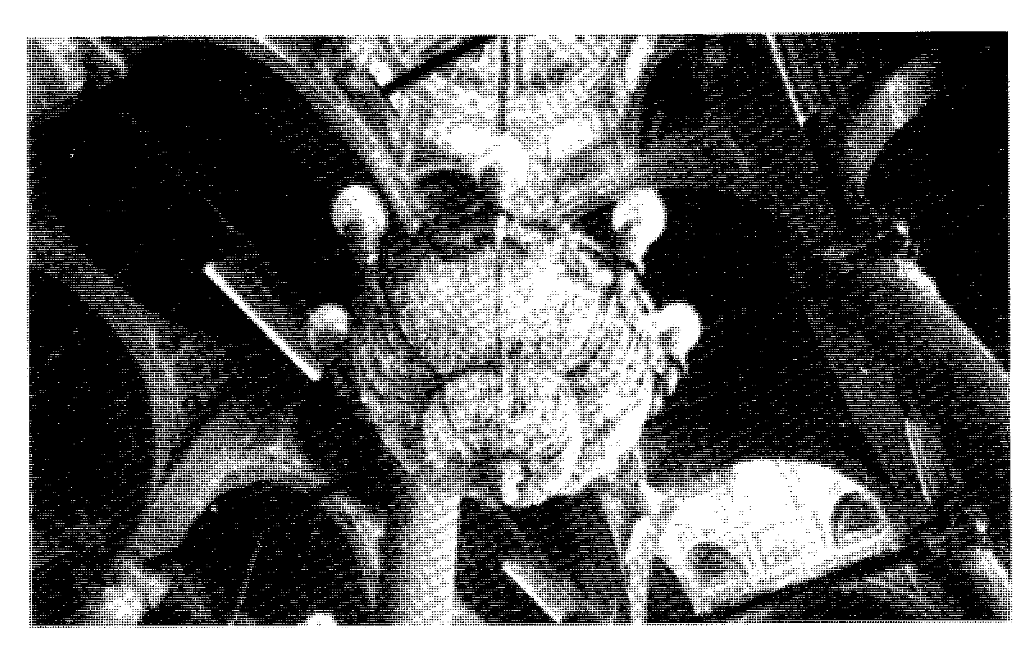
"عن مؤسسة سديم للتجارة ، المدينة المنورة"



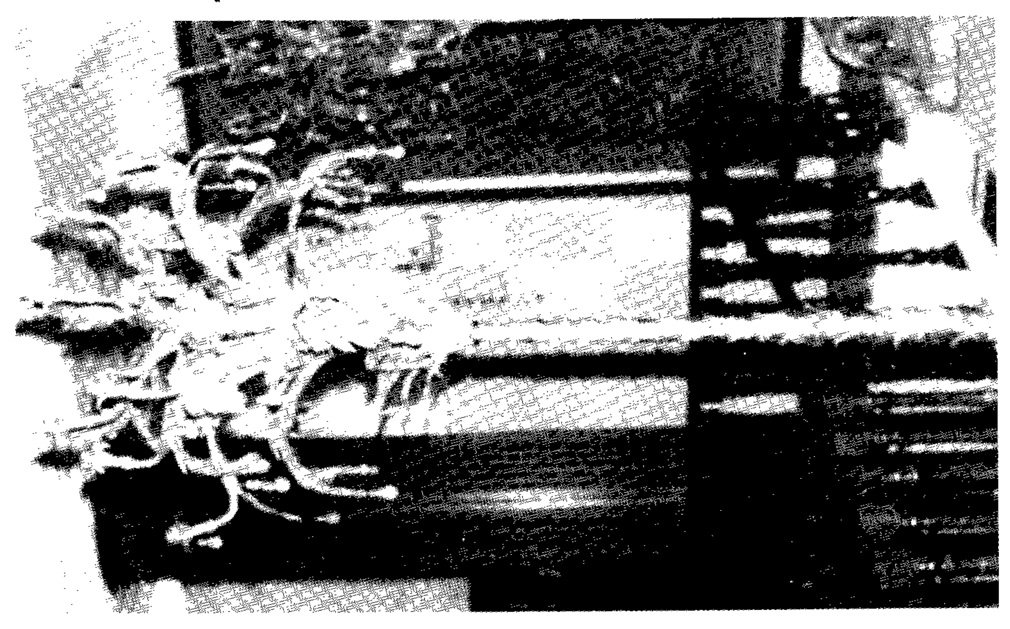


(لوحة رقم ٣٨) صورتان لمقدمة صحن المسجد النبوى الشريف مما يلي رواق القبلة وقد ظهرت بينهما حديقة الصحن المنسوبة خطأ لسيدتنا فاطمة وأعمدة الكهرباء المحدثة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني كما يتبين منهما استخدم الألوان في تمييز صنجات العقود المطلة على صحن المسجد الشريف وظهرت فيهما الدوائر المحدثة في كوشات العقود والمحلاة بلفظ الجلالة واسم الرسول وبعض الصحابة الأجلاء .

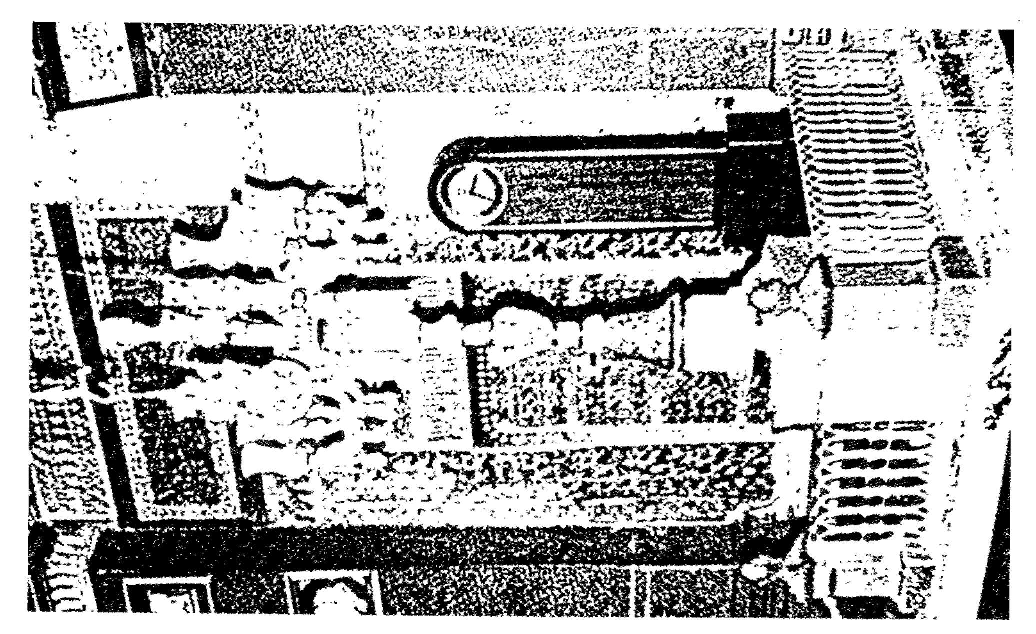
" عن البتنوني في الرحلة الحجازية ، وكذلك عن Arsevan: Turk sanati Tarihi"



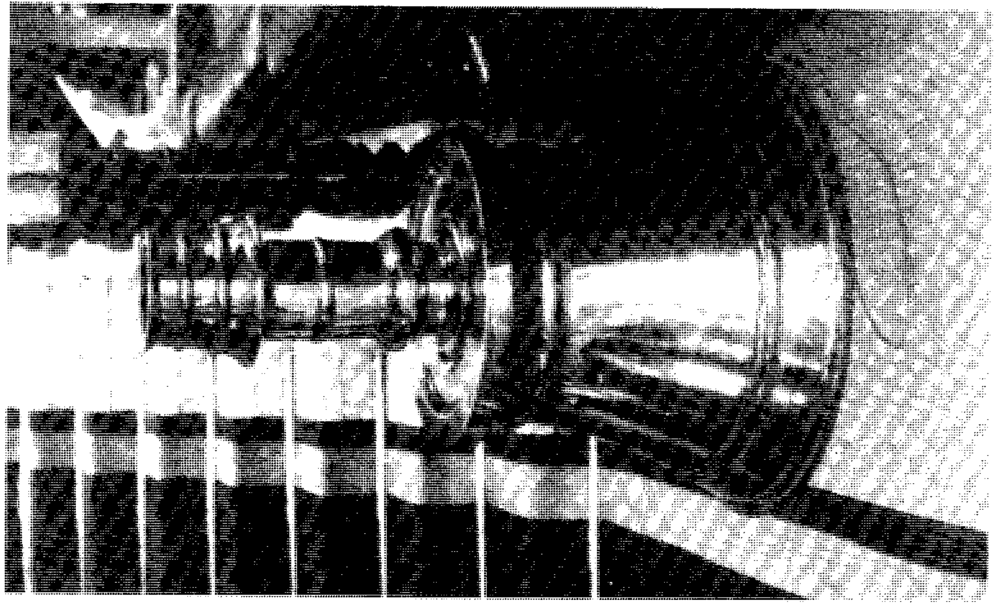
(لوحة رقم ٣٩) صورة الثرياء المهداة من السلطان عبد الحميد الثانـي للمسجد النبـوى الشريـف بعـد ادخال الكهرباء اليه في عهده وقد نقشت الطفراء السلطانية مع كلمة الغازى على البزم الزجاجية المحيطة بشمعاتها الثمان .   "عن مجلة العربي"



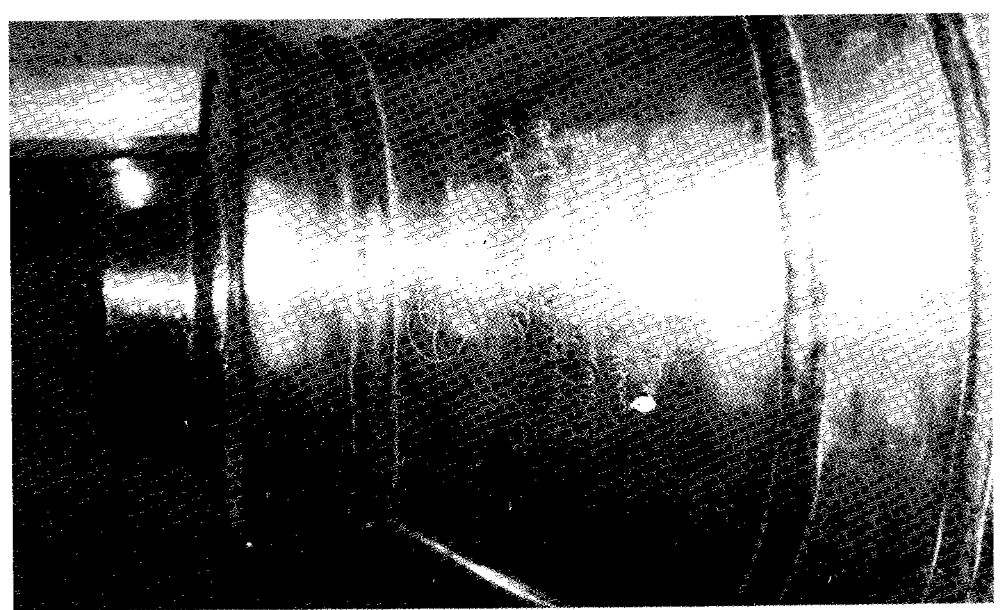
(لوحة رقم ٤٠) صورة الشجرتان البرونزيتان الموضوعتان في أواخر العصر العثمانـي علـى جانبـي المحراب النبوى ويتضح من الصورة كثرة القواعد المخصصة للشمعـات الكهربائيـة وتحلية سعفها بقطع مدورة من البلور الأبيض .   "تصوير الباحث عن أوقاف المدينة"



(لوحة رقم ٤١) صورة احدى الشمعدانين المقابلين لدكة الأغوات وقد أهديا إلى الحرم النبوى بعد ادخال الكهرباء اليه سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م .
"عن مؤسسة سديم للتجارة ، المدينة المنورة"



(لوحة رقم ٤٢) صورة احدى الشمعدانين المنسوبين الى الوزير سليمان باشا الخادم والمؤرخين سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م ويتضح من الصورة خلو بدن الشمعدان من الزخارف النباتية والهندسية .
"تصوير الباحث عن أوقاف المدينة"



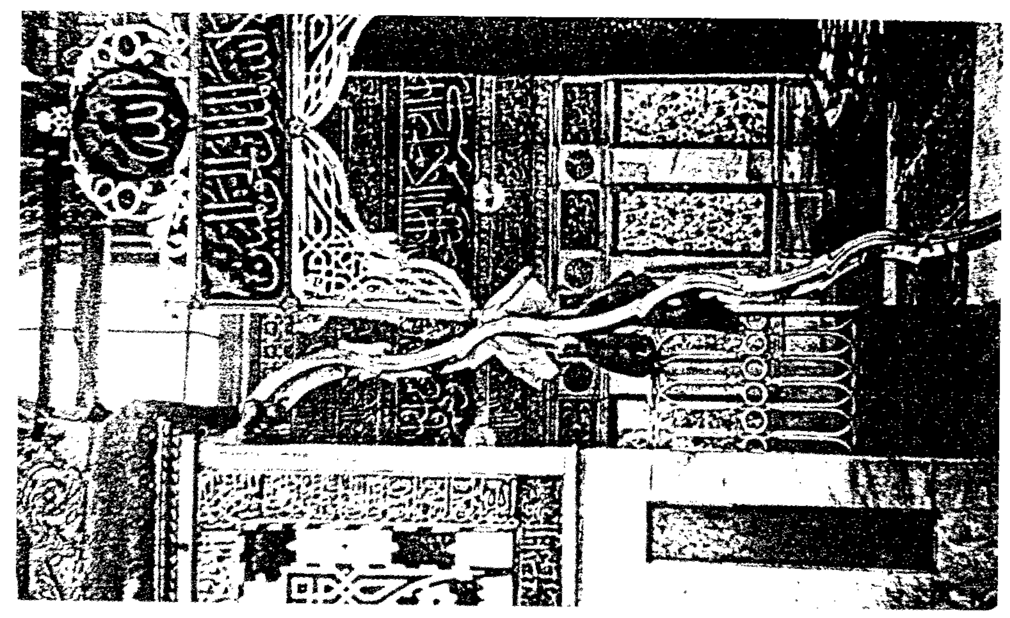
(لوحة رقم ٤٣) شمعدان السلطان محمود الأول المؤرخ سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٨م ويتبين من الصورة ضخامة قاعدته وصغر ارتفاعه كما يظهر على بدنه النقش المكتوب بالحفر الغائر وقد تضمن اسم المهدى وألقابه وتاريخ الاهداء .

"تصوير الباحث عن أوقاف المدينة"

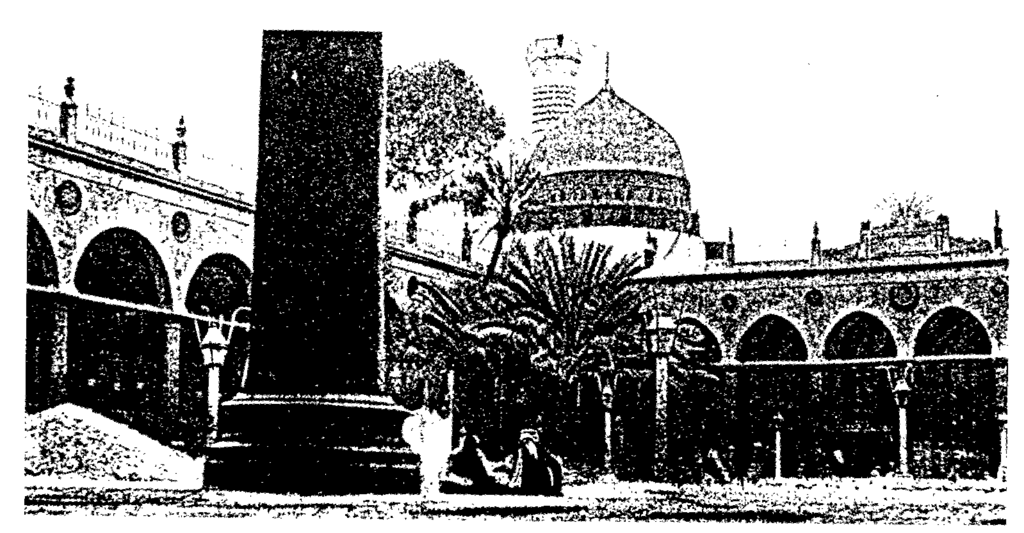


(لوحة رقم ٤٤) تفاصيل الزخارف النباتية المنقوشة بالحفر الغائر على سطح قاعدتي النخلتين الموضوعتين من البرونز وقوامها أشكال نباتية وهندسية في طراز حديث .

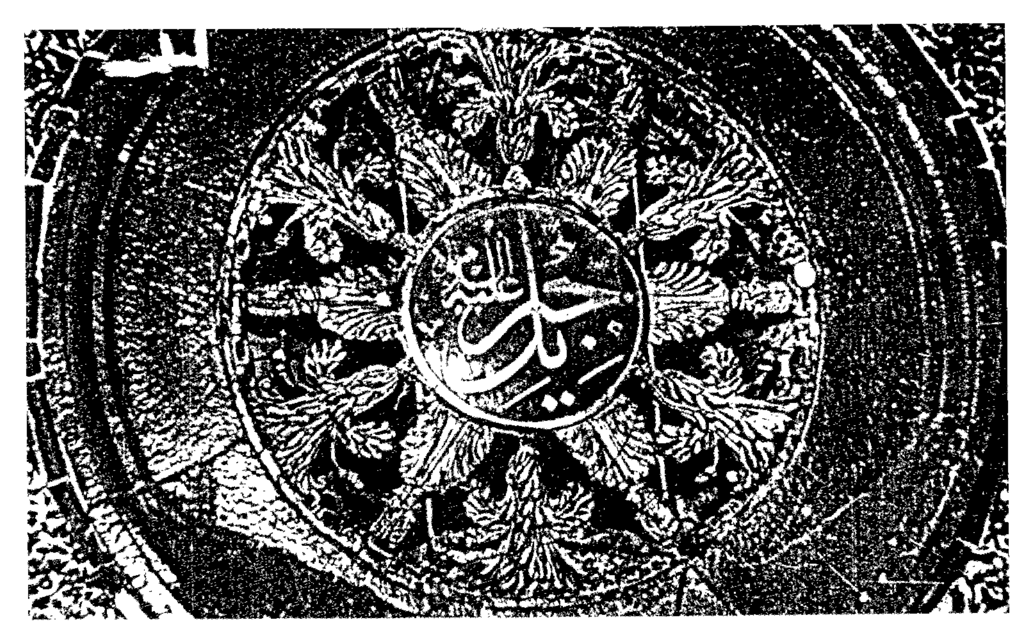
"تصوير الباحث عن أوقاف المدينة"



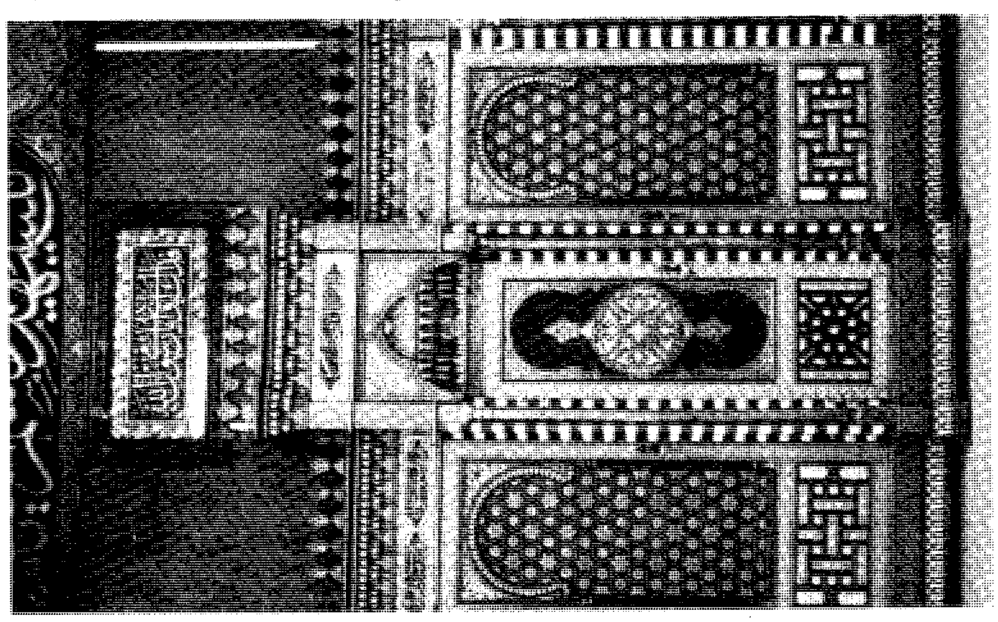
(لوحة رقم ٤٥) تفاصيل الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية الظاهرة فوق احدى المداخل البرونزية المجددة في العمارة المجيدية على جانبي المحراب النبوى والسليماني .
"عن مجلة العربى"



(لوحة رقم ٤٦) صورة الطرف الجنوبي من الرواق الشرقي المزال في التوسعة السعودية وتظهر فيه العقود نصف دائرية . كما تماثل فيها كوشات العقود وشرفاتها وما بينها من سياج حديدى ما تبقى حاليا في الرواق القبلي .
"عن إبراهيم رفعت"

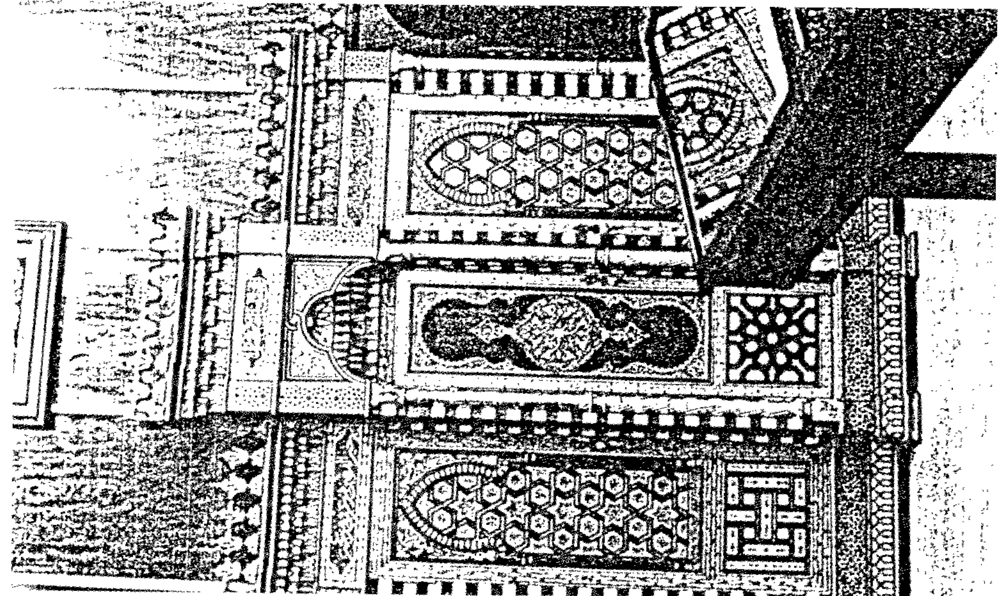


(لوحة رقم ٤٧) تفاصيل الزخارف المصنوعة من الحديد على هيئة أوراق نباتية كاسية والموضوعة في وسط النوافذ العلوية من الجدار الشرقي . "عن وزارة الإعلام"

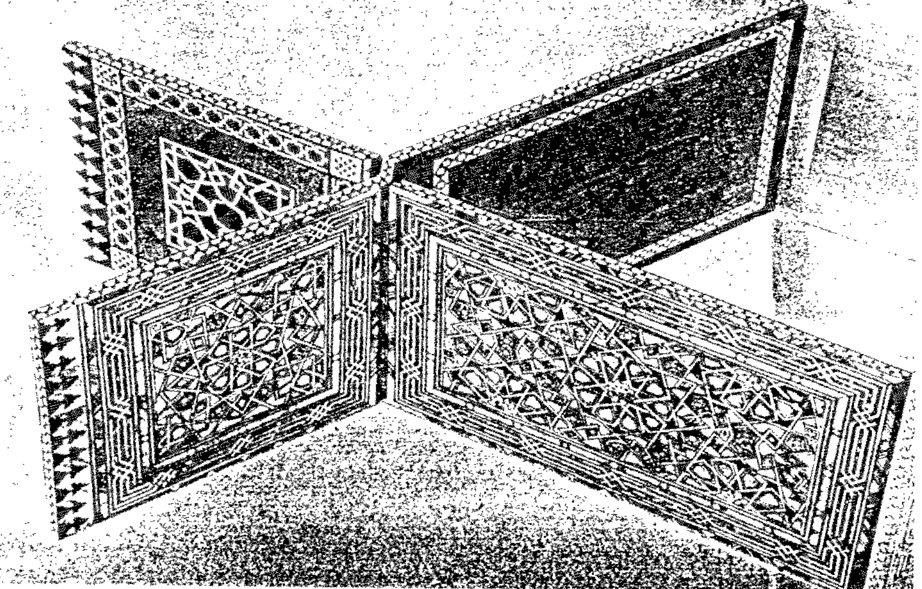


(لوحة رقم ٤٨) صورة احدى الخزائن المهداه في أواخر العصر العثماني من والدة خديوى مصر عباس حلمي الثاني سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م لحفظ التحف المهداه إلى الحجرة الشريفة وقد حليت واحهتها بالزخارف النباتية والهندسية والكتابية .

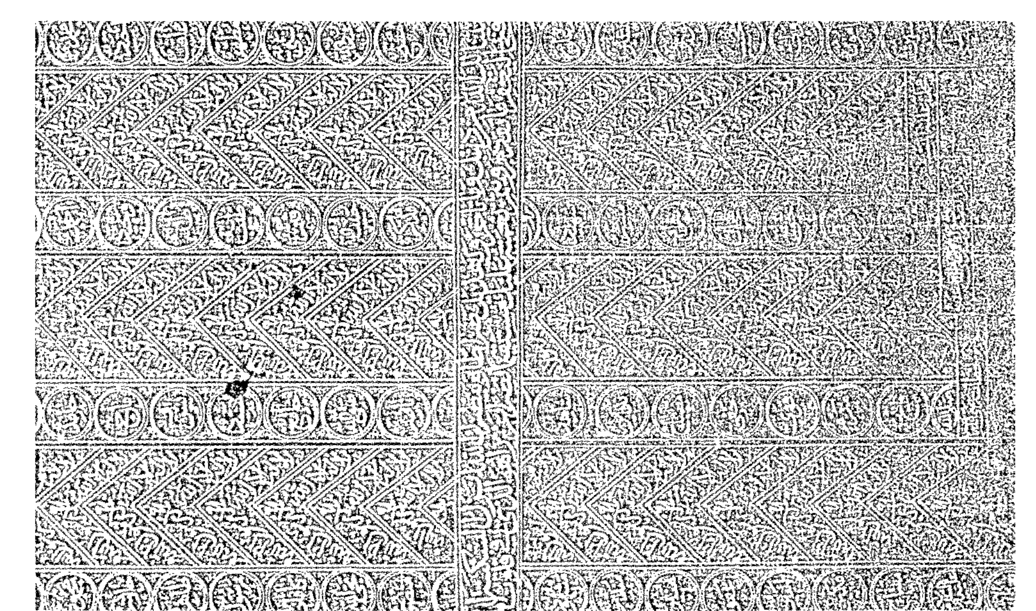
"تصوير الباحث عن أوقاف المدينة"



(لوحة رقم ٤٩) صورة الخزانة السادسة من الخزائن المهداة من والدة خديوى مصر عباس حلمي الثاني سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م وقد تميزت بوجود عقدين مدببين على مصراعيها نتيجة اختلافها في العرض عن الخزائن السابقة . "تصوير الباحث عن أوقاف المدينة"

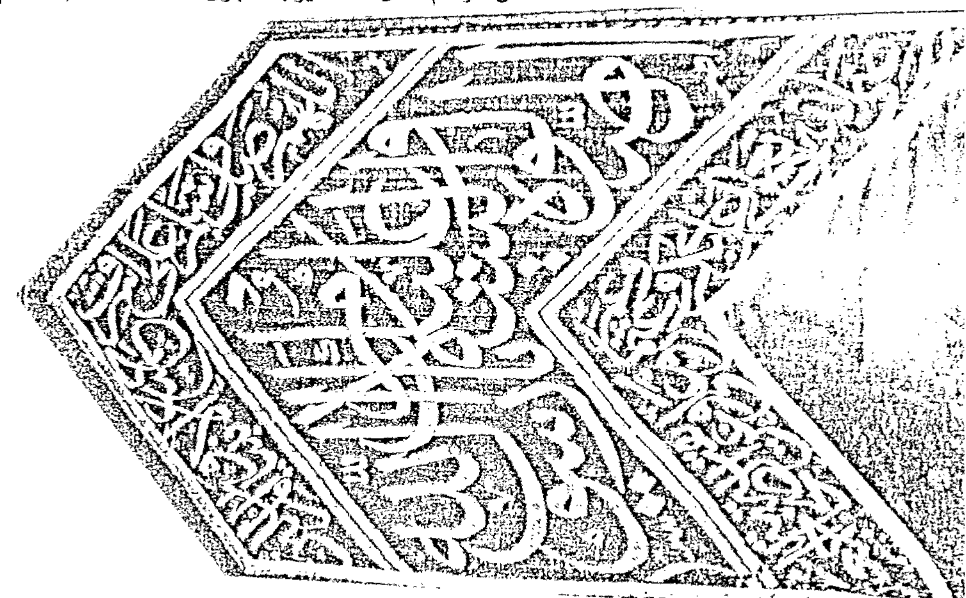


(لوحة رقم ٥٠) تفاصيل الزخارف الهندسية المنفذة على احدى الرحال العثمانية المخصصة لحمل المصحف بطريقة التطعيم وقد حوت أطباقا نجمية وأشكال هندسية ونباتية مختلفة .
"عن أرسفان"
"les arts Decoratife Turcs"

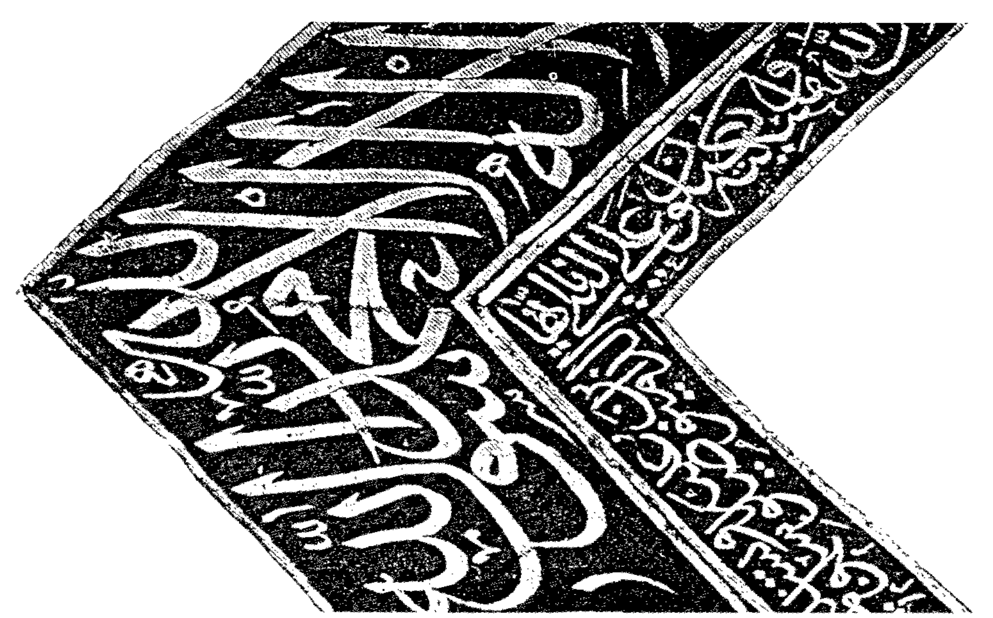


(لوحة رقم ٥١) ستارة الحجرة الشريفة في أواخر العصر العثماني وقد تميزت بلـون أخضر وكتابـات مذهبة حوت بعض الآيات الشريفة والعبارات الدالة على موضع الوجوه الشريفة وعدد من أسماء وصفات الرسول عليه السلام .

"عن الرسم الذى أعده أيوب صبرى سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م"

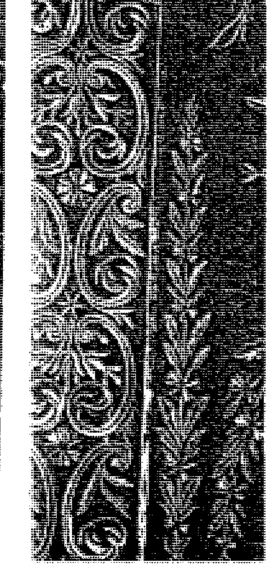


(لوحة رقم ٥٢) نموذج آخر لستارة الحجرة الشريفة في القرن التاسع عشر الميـلادى وقد حوت بعض الكتابات التي لم تظهر في الجزء الذى نشره إبراهيم رفعت عن كسوة الحجرة الشريفة في حدود سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .   "عن على أحمد الطايش"

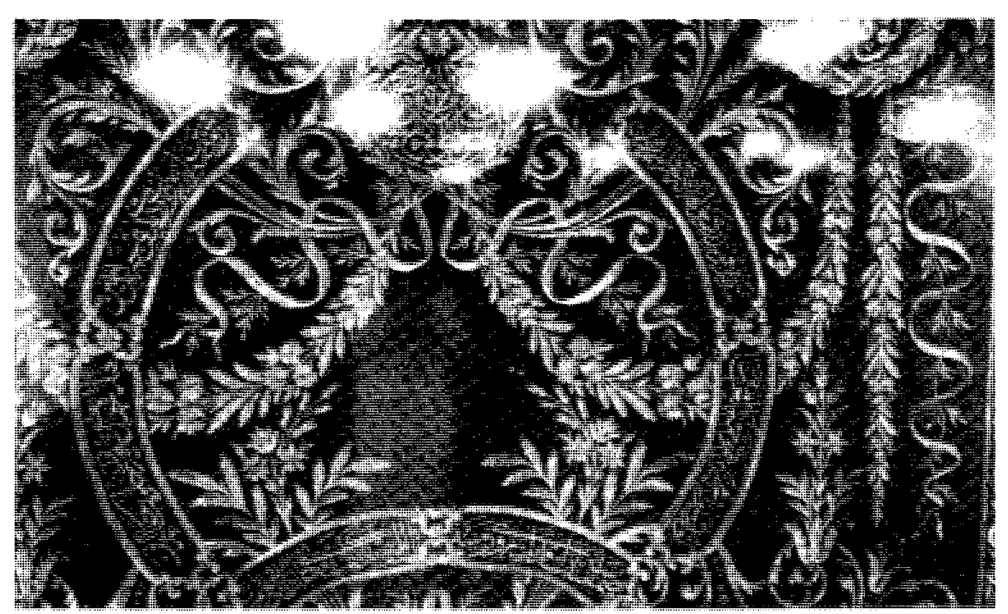


(لوحة رقم ٥٣) تفاصيل ستارة الحجرة الشريفة في أوائل القرن الرابع عشر الهجري من ١٣١٨-١٣٢٥هـ وقد حوت بعض النصوص التي لم تظهر فيها نشرة أيوب صبري أو أحمد الطايش .
"عن إبراهيم رفعت"





(لوحة رقم ٥٤) تفاصيل ستارة محراب التهجد المرسلة في عهد السلطان عبد العزيز وقد حوت بعض الزخارف النباتية المتأثرة بالفن الباروكي . "تصوير الباحث عن أوقاف المدينة"



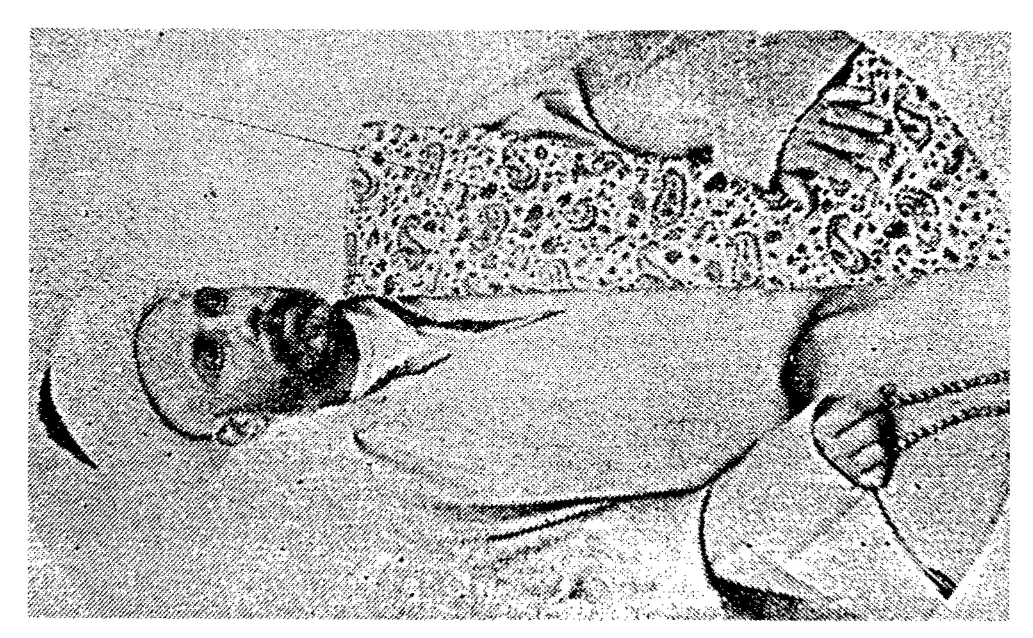
(لوحة رقم ٥٥) احدى الستائر المخصصة في عهد السلطان عبد العزيز لمشبك الحجرة الخارجي وتظهر عليها الزخارف النباتية المنسوجة بالقصب في طراز باروكي واضح .

"تصوير الباحث عن أوقاف المدينة"

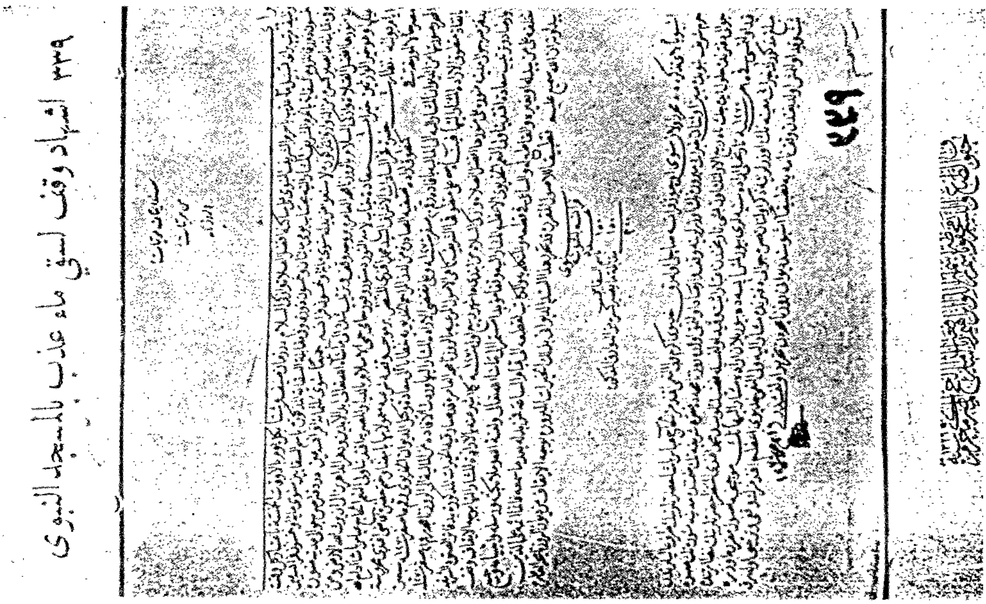


(لوحة رقم ٥٦) صورة عصا الخطيب في أواخر العصر العثماني وتظهر محلاة من أعلاها وأسفلها بصفائح رقيقة من الفضة وبأعلاها عدد من الجواهر الصغيرة كما يتميز وسطها بشرائط حلزونية مزينة ببعض الزخارف النباتية .

"تصوير الباحث عن أوقاف المدينة"

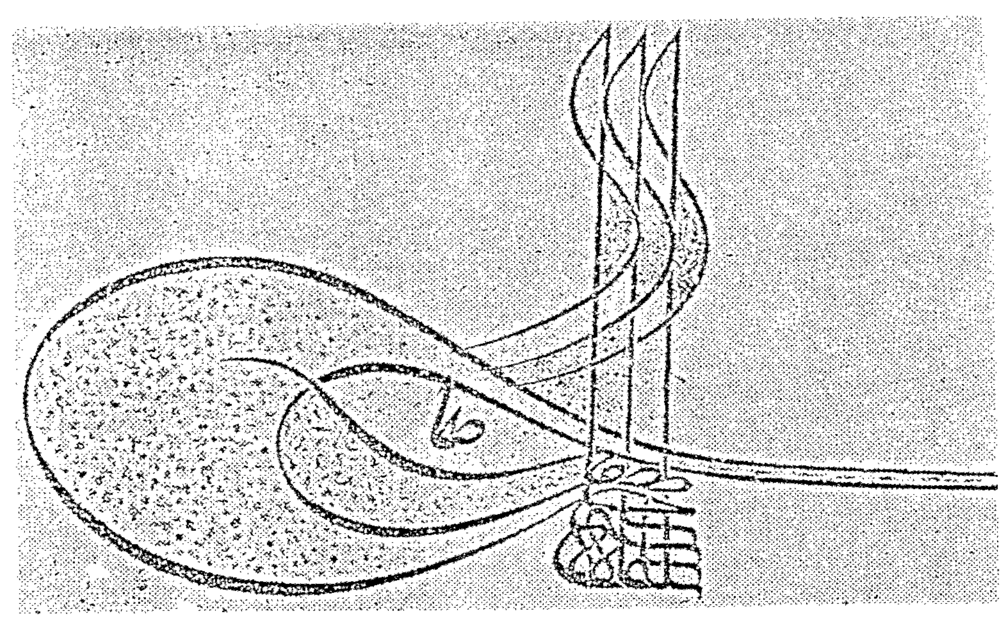


(لوحة رقم ٥٧) اللباس التقليدى لخطيب الحرم الشريف في حدود سنة ١٣١٨-١٣٢٥هـ ويظهر فيه غطاء الرأس المعروف بالكودابان والشال الموضوع على الكتف بالإضافة إلى الفرجية التي يرتديها الخطيب أثناء القاء الخطبة . "عن إبراهيم رفعت"



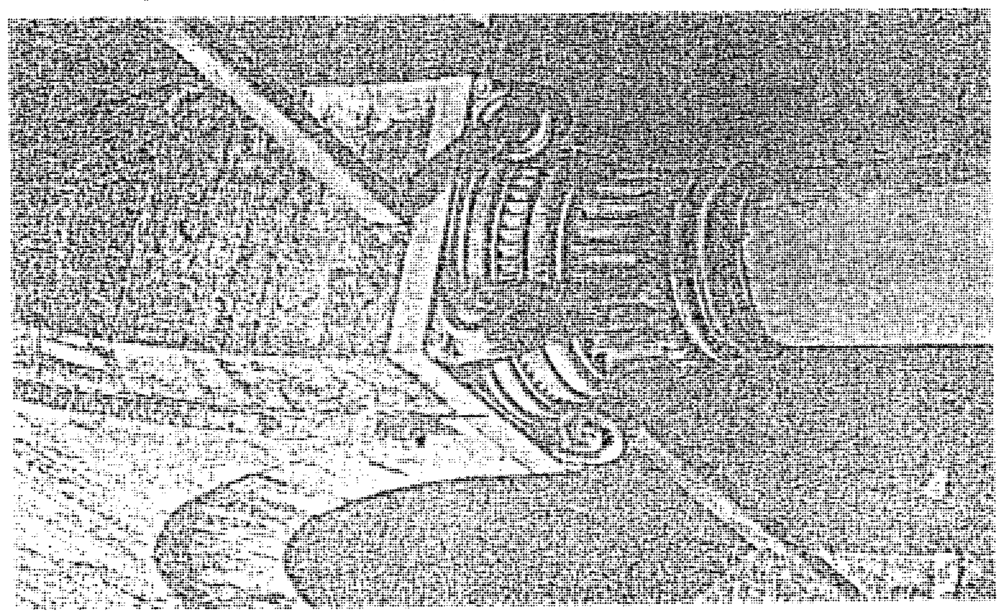
٣٣٩ اشهاد وقف لسقى ماء عذب بالمسجد النبوى

(لوحة رقم ٥٨) وقفية سقى الماء البارد فى الحرم النبوى الشريف من والي مصر عباس باشا الأول سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م بمبلغ ٣٠٠ ريال فرانسة في السنة لقاء توزيع خمسين دورقا فى كل صلاة . "عن إبراهيم رفعت"



(لوحة رقم ٥٩) طفراء السلطان سليمان القانوني المنقوشة على بعض الأوامر الصادرة إلى قاضي ووالي مدينة القدس سنة ٥٩٥٦/١٥٤٩م .

"عن ناجي زين الدين"

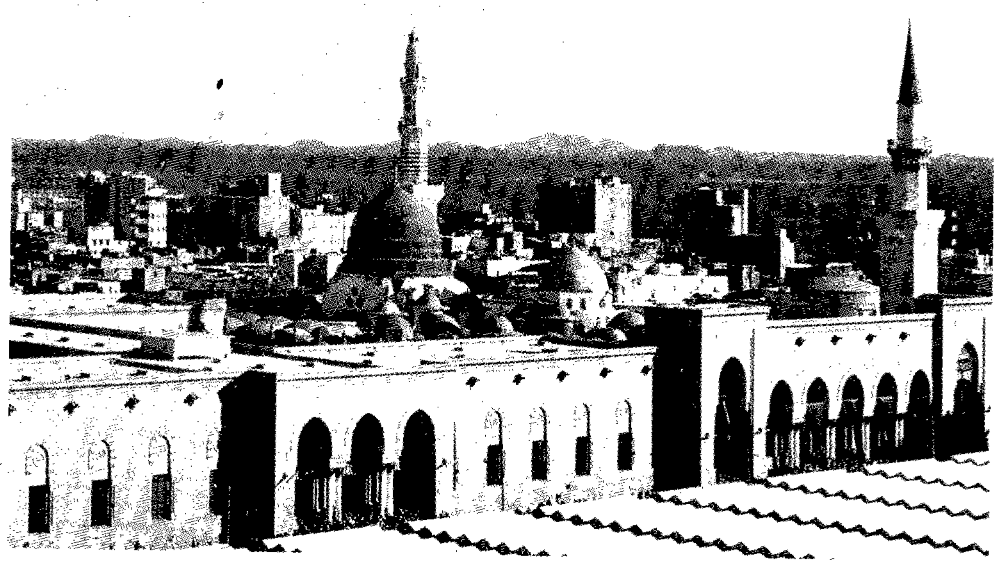


(لوحة رقم ٦٠) احدى التيجان الرومانية المركبة والمستخدمة في كوشك محمد الفاتح بمدينة استانبول في القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى وتتضح فيها الأصالة وخلوها من التأثيرات التي ظهرت على مثيلاتها في الحرم النبوى . "عن Ekrem Hakki"



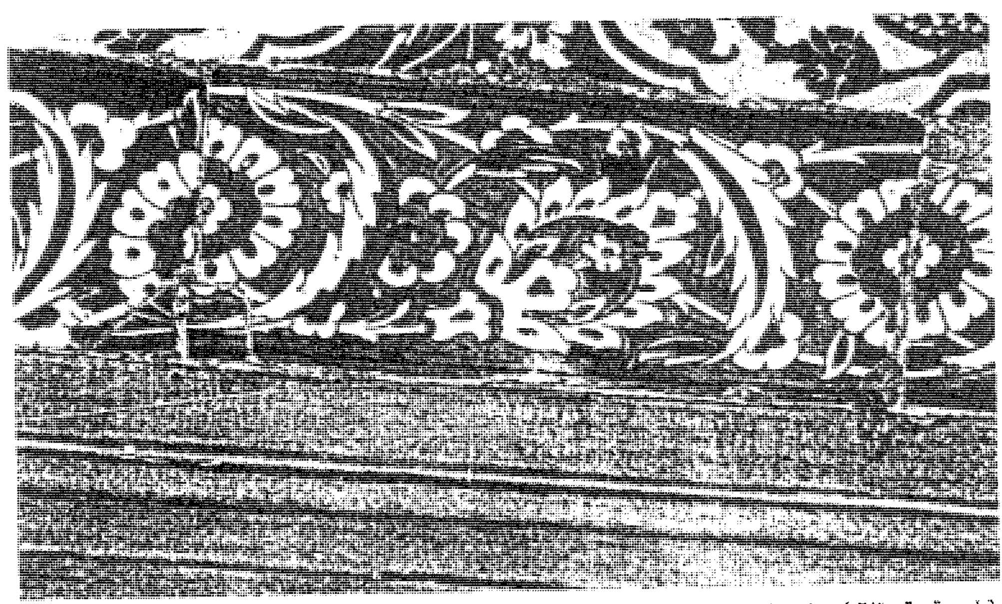
(لوحة رقم ٦١) صورة الخزانة السابعة من الخزائن التي أهدتها والدة عباس حلمي الثاني إلى الحجرة الشريفة سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م ويتبين من تفاصيلها اختلاف زخارفها وحجمها عن الخزائن السابقة بسبب ضيق المكان المخصص لها .

"تصوير الباحث عن أوقاف المدينة.

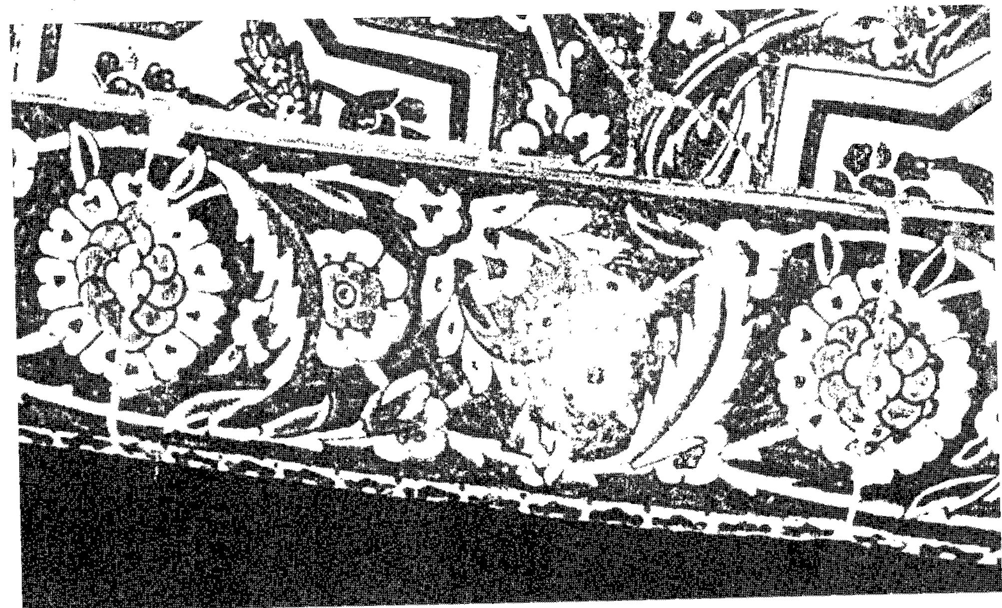


(لوحة رقم ٦٢) صورة الجدار الغربي من رواق القبلة بعد إزالة المدرسة المحمودية في التوسعة السعودية ويتبين منها اختفاء الواجهة الأصلية للجدار بسبب استحداث عدة غرف وصالات بين مدخل باب السلام وما برز من المدخل المضاف أمام الرحمة .

"عن عظمت شيخ"

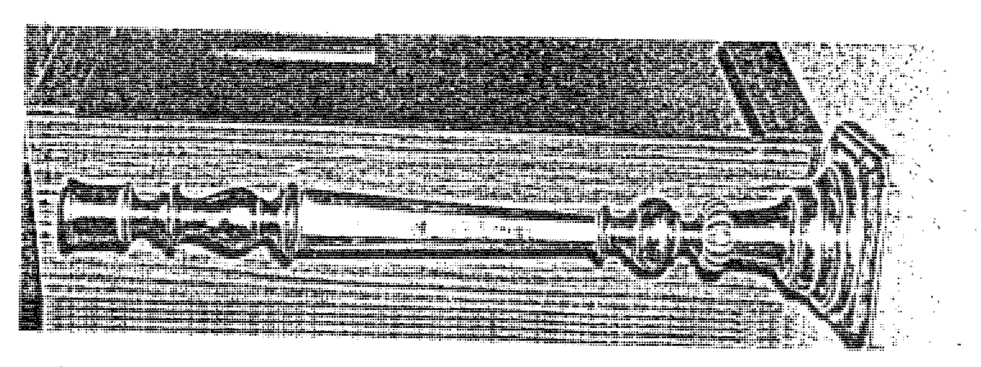


(لوحة رقم ٦٣) تفاصيل الزخارف النباتية على إحدى البلاطات الخزفية الموجودة في جامع السلطان أحمد الأول بمدينة استانبول ١٠٢٩هـ/١٦١٩م والمشابهة للنوع الرابع من البلاطات الخزفية المستخدمة كاطار لبعض أجزاء النوع الثالث من الخزف المستخدم في الحرم النبوى الشريف .
"تصوير الباحث"

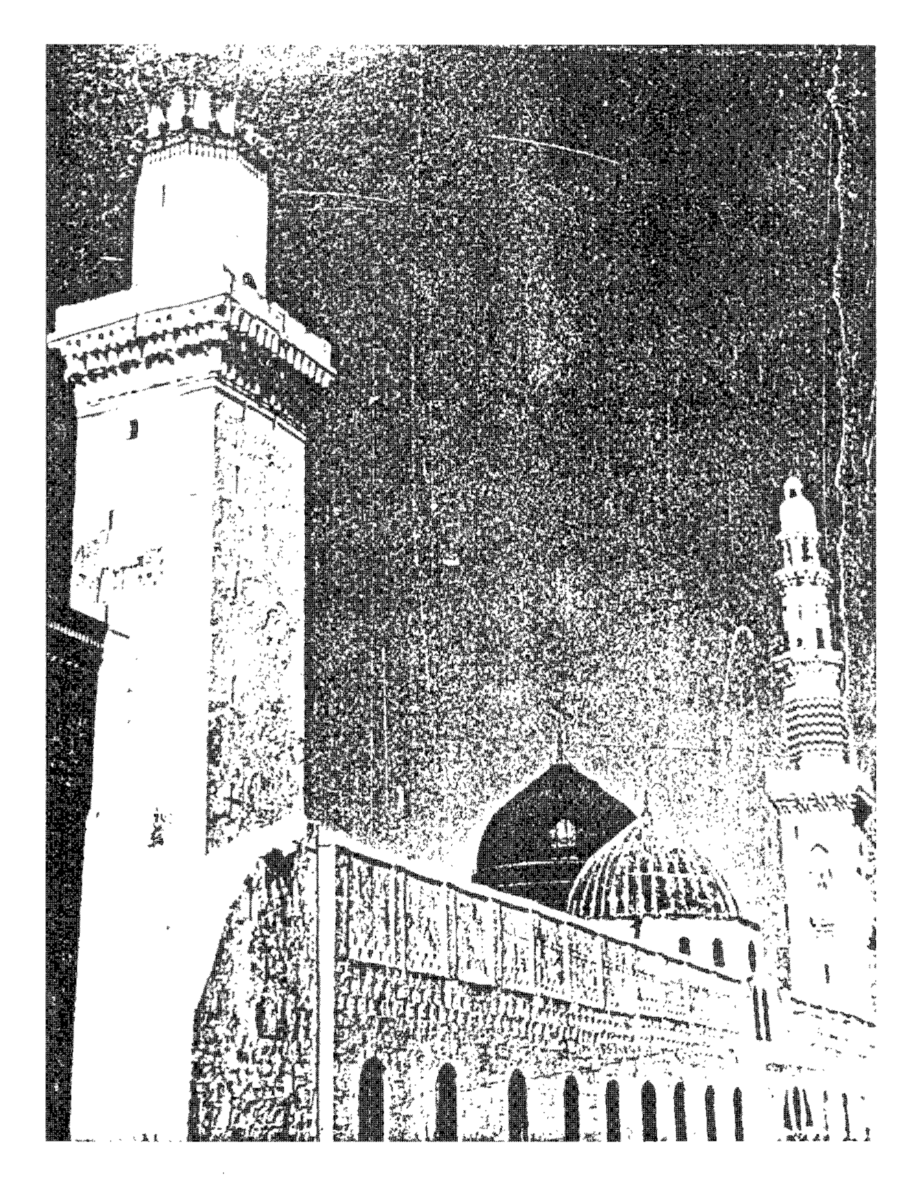


(لوحة رقم ٦٤) تفاصيل احدى البلاطات الموجودة في جامع السلطان أحمد الأول والمشابهة للنوع الرابع من الخزف المستخدم في الحرم النبوى بيد أنها جاءت جزءا من بلاطة أخرى .
"تصوير الباحث"

(لوحة رقم ٦٥) صورة الشمعدان المصنوع من النحاس والمنسوب إلى السلطان عبد المجيد ويتضح من الصورة موضع الجواهر المثبتة باللحام على بدن الشمعدان بأكمله كما يتميز عن بقية الشمعدانات بالارتفاع وضخامة البدن . "تصوير الباحث عن أوقاف المدينة"



(لوحة رقم ٦٦) شمعدان الحاج على فخرى باشا المؤرخ سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م ويتضح من صورته أثر الصناعة الحديثة في تشكيل بدنه المتميز بالارتفاع وصغر الحجم وكثرة الأضلاع والانتفاخات المتدرجة . "تصوير الثاحث عن أوقاف المدينة"



(لوحة رقم ٦٧) صورة جدار القبلة من الخارج قبل تلبيسه بالرخام في العمارة السعودية التي بدأت سنة ١٣٧٣هـ/ ويتبين منها خلوه من الشرفات والمداميك الملونة كما تظهر فيه النوافذ بعقود نصف دائرية بالإضافة إلى وضوح بعض الدعائم البارزة في الطرف الشرقي منه قرب المنارة الرئيسية . "عن وزارة الإعلام"

مطبعة العمرانية للأوفست
الجيـزة ت : ٧٧٩٧٥٥٠

المحتوي

الموضوع	الصفحة